المجلد الاول من انسان العيون

عمومي ٢٥

اياصوفيه
٢٩٧٨

هذه فهرست الجزء الاول وعدد ابوابه اربعة وثلاثون بابا من سيره مسمى علي الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

فهرست

كتاب انسان العيون في سيرة الامين والمامون عليه الصلاة والسلام على طول الدوام تاليف شيخ الاسلام العالم العلامه نور الدين علي الحلبي الشافعي رحمه الله تعالى واعاد علينا من بركاته وبركات علومه امين وهذه فهرست الجزء الاول

الباب الاول في نسبه الشريف
الباب الثاني في تزويج عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم
الباب الثالث في حمل امه امنه به صلى الله عليه وسلم
الباب الرابع في وفاة والده صلى الله عليه وسلم
الباب الخامس ذكر مولده صلى الله عليه وسلم
الباب السادس في تسميته صلى الله عليه وسلم محمد واحمد
الباب السابع في رضاعه صلى الله عليه وسلم من حليمه وغيرها
الباب الثامن في وفات امه امنه وحضانة ام ايمن وكفالة جده عبد المطلب له
الباب التاسع في وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه ابو طالب له صلى الله عليه وسلم
الباب العاشر فيه ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام
الباب الحادي عشر فيما حفظه الله تعالى به في صغره من امر الجاهلية
الباب الثاني عشر في رعيته الغنم صلى الله عليه وسلم
الباب الثالث عشر حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار
الباب الرابع عشر حضوره صلى الله عليه وسلم حلف الفضول
الباب الخامس عشر سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسره
الباب السادس عشر تزويجه صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد
الباب السابع عشر بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى
الباب الثامن عشر فيما جاء من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود واخبار الرهبان والكهان من العرب على السنة الجان وما سمع من الهواتف
الباب التاسع عشر في بيان حتى البعثة وعموم لبعثته صلى الله عليه وسلم
الباب العشرون في بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم
الباب الحادي والعشرون في ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة
الباب الثاني والعشرون في ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم
الباب الثالث والعشرون في استخفائه صلى الله عليه وسلم في دار الارقم
الباب الرابع والعشرون في [illegible] من قريش عليه صلى الله عليه وسلم من حوادث المعلقات مغيبا
الباب الخامس والعشرون في الهجرة الاولى الى الحبشة وسبب رجوع من هاجر
الباب السادس والعشرون في اجتماع المشركين على بني هاشم وبني المطلب [illegible] الصحيفة
الباب السابع والعشرون [illegible] الى [illegible]
الباب الثامن والعشرون الهجرة الثانية الى [illegible]
الباب التاسع والعشرون [illegible]
الباب الثلاثون في ذكر وفاة عمه ابي طالب وزوجته خديجة
الباب الحادي والثلاثون [illegible] الى الطائف
الباب الثاني والثلاثون ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي [illegible] والاسلام

عدة كراريس [illegible] لتسعة [illegible]

كتاب انسان العيون

في سيرة الامين المامون عليه

الصلاة والسلام على طول الدوام

تأليف شيخ الاسلام العالم

العلامة نور الدين علي

الحلبي الشافعي رحمه الله

تعالى واعاد علينا

من بركاته وبركات

علومه امين

امين

٢٩٧٨

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم

مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان

السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر

واعتبر وتذكر اجل الله تعالى ثوابه واوفر في العقبى

حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين

غفر لهما

الباب الثالث والثلاثون في ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس وفي رؤيته ربه

الباب الرابع والثلاثون في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق

الباب الخامس والثلاثون في الهجرة الى المدينة

الباب السادس والثلاثون في بدء الاذان والاقامة

الباب السابع والثلاثون

تمت فهرسة الجزء الاول

في يوم الثلاثاء غاية شهر ربيع الاخر

١١٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

حمدا لمن نضر وجوه اهل الحديث، وصلاة وسلاما علي من نزل عليه احسن الحديث
وعلي اله واصحابه اهل التقدم في القديم والحديث، صلاة وسلاما
دايمين ما سادت الايمة في جمع سير المصطفي السير الحثيث، وبعد
فيقول افقر المحتاجين، واحوج المفتقرين، لعفو ذي الفضل والطول المتين
علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، ان سيرة المصطفي عليه افضل الصلاة والسلام
من اهم ما اهتم به العلما الاعلام، وحفاظ ملة الاسلام، كيف لا وهو الموصل
لعلم الحلال والحرام، والحامل علي التخلق بالاخلاق العظام، وقد قال الزهري
في علم المغازي خير الدنيا والاخرة، وهو اول من الف في السير، قال بعضهم اول
سيرة الفت في الاسلام سيرة الزهري، وعن سعد بن ابي وقاص انه قال
كان ابي يعلمنا مغازي رسول الله صلي الله عليه وسلم وسراياه فيقول يا بني هذه
شرف ابايكم فلا تنسوا ذكرها، واحسن ما الف في ذلك وتداولته الاكياس
سيرة الحافظ ابي الفتح بن سيد الناس، لما جمعت من تلك الدراري والدرر
ومن ثم سماها عيون الاثر، غير انه اطال بذكر الاسناد الذي كان للمحدثين به
مزيد الاعتداد وعليه لهم كثير الاعتماد، اذ هو من خصايص هذه الامة ومفتخر
الايمة لكنه صار الان لقصور الهمم لا تقبله الطباع، ولا تمتد اليه الاطماع، واما
سيرة الشمس الشامي فهو وان اتي فيها بما يعد في صفايح وجوه الصحايف حسنا،
لكنه اتي فيها بما هو في اسماع ذوي الافهام كالعادات، ولا يخفي ان السير تجمع
الصحيح، والسقيم، والضعيف، والبلاغ، والمرسل، والمنقطع، والمعضل
دون الموضوع ومن ثم قال العراقي رحمه الله

وليعلم الطالب ان السيرا، تجمع ما صح وما قد انكرا

قال الامام احمد بن حنبل وغيره من الايمة اذا روينا في الحلال والحرام
شددنا واذا روينا في الفضايل ونحوها تساهلنا، وقد قال الامام احمد
ابن حنبل وغيره من الايمة اذا روينا في الحلال والحرام شددنا واذا روينا
في الفضايل ونحوها تساهلنا، وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير من اهل العلم

الترخص

الترخص في الرقايق، وما لا حكم فيه من اخبار المغازي، وما يجري مجري
ذلك، وانه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها،
فلما رايت السيرتين المذكورتين علي الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه، لما
اشتملتا عليه، عن لي ان الخص من تينك السيرتين انموذجا يروق للاحداق
ويحلو للاذواق، بغرايب ما اضمه اليه بين يدي المشايخ علي غاية الانسجام ونهاية
الانتظام، ولا زلت في ذلك اقدم رجلا واوخر اخري لكوني لست من اهل هذا
الشان، ولا ممن يسابق في ميدانه علي خيل الرهان، حتي اشار علي بذلك وبسلوك
تلك المسالك من اشارته واجبة الاتباع ومخالفة امره لا تستطاع، ذو البديهة
المطاوعة والفضايل البارعة، والفواضل الكثيرة النافعة، من اذا استبان عن راي معضلة
استشكلت علي ذوي المعرفة والوثوق لا تراه يتوقف، ولا يخرج عن صوب الصواب
ولا يتقاعس، ولا اخبر في كثير من الاوقات عن شي من المغيبات، وكان لا يتخلف
وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ ابو عبد الله وابو المواهب
محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من نشر ذكره
ملا المشارق والمغارب، وسري سره في ساير المساري والمسارب ولي الله والقايم
بخدمته في الاسرار والاعلان والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع
ابن مولانا الاستاذ ابو عبد الله وابو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع فانه
نتيجة صدر العلما العاملين واستاذ جميع الاستاذين والمعدود من المجتهدين
صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا الاستاذ محمد ابو الحسن تاج
العارفين البكري الصديقي اعاد الله تعالي علي وعلي احبابي من بركاتهم وجعلنا في
الاخرة من جملة اتباعهم، فلما اشار علي ذلك الاستاذ بتلك الاشارة رايتها منه
اعظم بشارة، شرعت معتمدا في ذلك علي من يبلغ كل مومل امله ولم يخيب من قصده
وامله، وقد يسر الله تعالي ذلك علي اسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع
ولا تنفر منه الطباع، والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي علي سيرة ابي الفتح
ابن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي اولها قلت وفي
اخرها انتهي، وان قلت اتيت بلفظة اي، وجعلت في اخر القولة دايرة بالحمرة هكذا ه بالحمرة

ومنها اقول وفي السيرة الشامية ومنها عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن
الكثيرة باي وما ليس بعده تلك الدائرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر
غالبا وقد يكون من زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما
ومنها ميزت تلك الزيادة بقولي في اولها اقول وفي اخرها والله اعلم وقد
يكون من الزيادة ما اقوله في السيرة الشامية بتقديم الفاعل الى وحيث
اقول قال في الاصل وذكر في الاصل او نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر ثم
عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعرا
واشعر العلما وهو الشيخ شرف الدين الابوصيري ناظم القصيدة المعروفة
بالبردة ما تضمنته تلك الابيات واشارت اليه من ذلك السياق فانه
احلى في الاذواق ومنها احل ذلك النظم بما يوضح معناه ويظهر تركيب
مبناه ومنها اذكر من ابيات تائية الامام السبكي ما يناسب المقام
ومنها اذكر ايضا بعض ابيات من كلام صاحب الاصل من قصائده النبوية
المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقد سميت مجموع ذلك
انسان العيون في سيرة الامين المامون واسئل من لا مسئول الا اياه
ان يجعل ذلك وسيلة لرضاه امين باب الاول في نسبه الشريف
صلى الله عليه وسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله ومعنى عبد الله
الخاضع الذليل له تعالى وقد جا احب اسمائكم وفي رواية احب الاسما الى الله
عبد الله وعبد الرحمن وجاء احب الاسما الى الله ما تعبد به وقد سمي صلى الله
عليه وسلم بعبد الله في القران قال الله تعالى وانه لما قام عبد الله
يدعوه وعبد الله هذا هو ابن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد
الناس له اي لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجاهم في الامور
فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له
شيبة الحمد لانه ولد وفي راسه شيبة اي وفي لفظ كان وسط راسه ابيض
او سمي بذلك تفاؤلا بان يبلغ سن الشيب قيل اسمه عامر وعاش مائة واربعين
سنة اي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة وكان

يقال

يقال له الفياض ومطعم طير السما لانه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش
في روس الجبال قال وكان من حلما قريش وحكمائها وكان نديمه حرب
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان وكان في جوار عبد المطلب
يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق
تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب
ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجواره
ثم نادم عبد الله بن جدعان انتهى ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب
لما جا به من المدينة صغيرا اردفه خلفه اي وكان بهيئة رثة اي ثيابه
خلقة فصار كل من يسال عنه ويقول من هذا يقول عبدي اي حياء ان
يقول ابن اخي فلما دخل مكة احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه صار يقول
لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبة بن اخي هاشم لكن غلب عليه
الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب اي وقيل له لانه تربى في حجر عمه المطلب
وعادة العرب ان تقول لليتيم الذي تربى في حجر احد هو عبده وكان عبد المطلب
يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات
الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة
الى ان هلك رجل ظلوم من ارض الشام لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك
ففكر وقال والله ان ورا هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب
المسيء باساءته اي فالظلوم شانه في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه
العقوبة فهي معدة له في الاخرة ورفض في اخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله
سبحانه وتعالى ويوثر عنه سنن جا القران باكثرها وجاءت السنة بها منها
الوفا بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموءودة
وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي
ابن هاشم وهاشم هو عمرو العلا اي لعلو مرتبته وهو اخو عبد شمس وكانا
توامين وكانت رجل هاشم اي اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها
الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما

اي بين بني العباس وبين بني امية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة
ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس لان هاشما ساد لعله وابن
قومه بعد ابيه عبد مناف فحسده امية بن اخيه فتكلف ان يصنع كما يصنع هاشم
فعجز فعيرته قريش وقالوا له اتتشبه بهاشم ثم دعا امية هاشما للمفاخرة
فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية افاخرك
على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فكانت هذه
اول عداوة وقعت بين هاشم وامية فرضي امية بذلك وجعلا بينهما
الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال
قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو
من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر
فنصر هاشما على امية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل واطعم الناس وخرج امية
الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم
وامية وتوارث ذلك بنوهما وكانت يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب
ونوفل اقداح النضار اي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم
وسيادتهم على سائر العرب قال بعضهم ولا يعرف بنو اب تباينوا
في محال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزة اي كما سياتي وعبد شمس
مات بمكة وقبره باجياد ونوفلا مات بالعراق والمطلب مات بردمان من
ارض اليمن اي وقيل له هاشم لانه اول من هشم الثريد بعد جده ابراهيم
فان ابراهيم اول من فعل ذلك اي ثرد الثريد واطعمه للمساكين وقيل اول
من ثرد الثريد واطعمه بمكة بعد ابراهيم جد هاشم قصي ففي الامتاع وقصي
اول من ثرد الثريد واطعمه بمكة وفيه ايضا هاشم عمرو العلا اول من اطعم
الثريد بمكة وسياتي ان اول من فعل ذلك عمرو بن لحي فليتامل وقد يقال
لا منافاة لان الاولية في ذلك اضافية فاولية قصي لكونه من قريش واولية
عمرو بن لحي لكونه من خزاعة واولية هاشم باعتبار شدة
المجاعة حصلت لقريش والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

والطعم

والطعم

والطعم في المحل عمرو العلا ... فالسنين به خصب عام

وقال ايضا

عمرو العلا والفدا من لا يسابقه ... مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابي للوفود اذا ... لبوا بمكة ناداهم مناديه
لو امحلوا اخصبوا منها وقد مليت ... قوتا الحاضر منهم وباديه

وقد قيل فيه

قل للذي طلب السماحة والندا ... هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلم للاضياف

عن بعض الصحابة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله
تعالى عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا ايها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك امك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فقال اهكذا قال الشاعر لا ما قال
بعثك بالحق لكنه قال

يا ايها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن اقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وكان
هاشم بعد ابيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يحمل الطعام للحجاج يأكله
من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة واتفق انه اصاب الناس
سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام
فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر
الجزور وجعله ثريدا واطعم الناس حتى اشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان
يقال له ابو البطحا وسيد البطحا قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في
السراء والضراء قال ابن الصلاح روينا عن الامام سهل الصعلوكي انه قال

في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام اراد فضل
ثريد عمرو العلا الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقال ابو
سهل في تاويل الحديث والذي اراه ان معناه تفضيل الثريد من الطعام على باقي
الطعام لان ساير بمعنى باقي اي والمراد اي ثريد لا خصوص ثريد عمرو العلا
حتى يكون افضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويومن الخايف
قال وقد ذكر انه كان اذا اهل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره
الى الكعبة من تلقا بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم
سادة العرب احسنها وجوها واعظمها احلاما اي عقولا واوسط
العرب اي اشرفها انسابا واقرب العرب بالعرب ارحاما يا معشر
قريش انكم جيران بيت الله تعالى اكرمكم الله تعالى بولايته وخصكم
بجواره دون بني اسرايل وانه ياتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم
اضيافه واحق من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزواره
فانهم ياتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه
وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه
وانا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يوخذ بظلم ولم
يدخل فيه حرام فمن شا منكم ان يفعل مثل ذلك واسالكم بحرمة هذا البيت
ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا
لم يوخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يوخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك
ويخرجونه من اموالهم فيضعونه في دار الندوة انتهى وقيل في تسمية شيبة
الحمد عبد المطلب غير ذلك ما تقدم فقد قيل انما سمي شيبة الحمد عبد المطلب
غير ذلك ما تقدم فقد قيل انما سمي شيبة الحمد عبد المطلب لان اباه هاشما
قال للمطلب الذي هو اخو هاشم وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك
يعني شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب كذا في المواهب وقدمه على ما تقدم
وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على شخص من بني النجار بالمدينة
وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في اهلها اي ثم مضى لوجهه قبل ان يدخل

بها ثم

بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى مكة فلما اثقلت بالحمل
خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضى الى الشام فمات بغزة قيل وعمره
حينيذ عشرون سنة وقيل اربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد
فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون اي ينتضلون
بالسهام واذا غلام فيهم اذا اصاب قال انا ابن سيد البطحا فقال
له الرجل من انت يا غلام فقال انا شيبة ابن هاشم بن عبد مناف فلما قدم
الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما راى فذهب المطلب الى
المدينة فلما راه عرف شبه ابيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية
من امه وفي لفظ انه عرفه بالشبه قال لمن كان يلعب معه اهذا ابن هاشم
قالوا نعم فعرفهم انه عمه فقالوا له ان كنت تريد اخذه فالساعة قبل ان
تعلم به امه فانها ان علمت لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال
يا ابن اخي انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك واناخ راحلته فجلس
على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم امه حتى كان الليل فقامت تدعوه فاخبرت
ان عمه قد ذهب به وكساه حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد
المطلب اي فان هذا السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه
هاشم بغزة وكون عمه عبد المطلب كساه حلة لا ينافي ما سبق انه دخل به
مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون هذه الحلة البست له عند
اخذه ثم نزعت عنه في السفر اي هو ان هذه الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به
كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوي على انه يجوز ان يكون اشترى
له حلتين واحدة البسها له بالمدينة واخرى اشتراها بمكة والبسها له وفي السيرة
الشامية الشامية ان ام عبد المطلب كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها
حتى يشترطوا لها ان امرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته اي وانها لا تلد ولدا
الا في اهلها كما تقدم وان عمه المطلب لما جاه لاخذه قالت له لست بمرسلته
معك فقال لها المطلب اني غير منصرف حتى اخرج به معي ان ابن اخي قد بلغ
وهو غريب في غير قومه ونحن اهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته

وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة لعمه لست بمفارقها الا ان تاذن
لي فاذنت له ودفعته اليه فاردفه اليه خلفه علي بعيره وجا به الي الجمع بين هذا
وما قبله فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه اي ظننا منهم انه اشتراه من المدينة
فان الشمس اثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال لهم ويحكم انما هو ابن اخي هاشم
ولا يخالف هذا ما سبق من انه صار يقول لمن يساله عنه من هذا فيقول عبدي
لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه
وبعضهم ساله فاجابه بقوله هذا عبدي كما تقدم ولما دخل مكة قال لهم
ويحكم الخ وهاشم ابن عبد مناف وعبد مناف اسمه المغيرة اي وكان يقال له
قمر البطحا لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلي الله عليه وسلم
وهو الجد الرابع لعثمان ابن عفان والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله
تعالي عنهما ووجد كتاب في حجر انا المغيرة بن قصي اوصي قريشا بتقوي الله جل
وعلا وصلة الرحم ومناف اصله مناة اسم صنم كان اعظم اصنامهم وكانت
وكانت امه جعلته خادما لذلك الصنم وقيل وهبته له لانه كان اول ولد
لقصي علي ما قيل لان عبد مناف بن قصي اي ويسمي قصي زيدا وعن امامنا
الشافعي رضي الله عنه ان اسمه يزيد ويدعي مجمعا ايضا وقيل له قصي لانه قصي
اي تبعد عن عشيرته الي اخواله من كلب في باديتهم وقيل بعد الي قضاعة مع امه
لانها كانت منهم اقول لا منافاة لجواز ان تكون ام قصي من كلب وابوها
من قضاعة وانها رحلت بعد موت عبد مناف الي بني كلب ثم لما تزوجت
من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة كانت جهة الشام فلا يخالف
ما قيل له قصي لانه بعد مع امه الي الشام لان امه تزوجت بعد موت ابيه
وهو فطيم بشخص يقال له ربيعة بن حزام وقيل حزام بن ربيعة العذري
فرحل بها الي الشام وكان قصي لا يعرف له ابا الا زوج امه المذكور
فلما كبر وقع بينه وبين الزوج امه شر اي فانه ناضل رجلا منهم فنضله
قصي اي غلبه فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربة وقالوا له
الا تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفي لفظ لما قيل له ذلك قال

ممن انا

ممن انا قيل له سل امك فشكي الي امه فقالت له بلادك خير من بلادهم
وقومك خير من قومهم انت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة وقومك عند
عند البيت الحرام تفد اليهم العرب وقد قالت لي كاهنة رايتك صغيرا انك تلي
امرا جليلا فلما اراد الخروج الي مكة قالت له امه لا تعجل حتي يدخل الشهر
الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فاني اخاف عليك فسحص مع الحجاج فدخل
قصي مكة علي قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا له فضله وشرفه
فاكرموه وقدموه عليهم فساد فيهم ثم تزوج بنت حليل بالحا المهملة
المضمومة الخزاعي وكان امر مكة والبيت اليه وهو اخر من ولي امر
البيت والحكم بمكة من خزاعة فجا منها باولاده اللاتي ذكرهم فلما انتشر
ولده وكثر ماله وعظم شرفه مات حليل فراي قصي انه اولي بامر مكة من
خزاعة لان قريشا اقرب الي اسمعيل من خزاعة فدعا قريشا وبني كنانة
الي اخراج خزاعة من مكة فاجابوه الي ذلك وانضم اليه قضاعة جابهم
اخو قصي لامه فازاح قصي بني خزاعة وولي امر مكة وقيل ان
حليلا جعل امر البيت لقصي ولا منافاة لجواز ان يكون خزاعة لم يرض
بما فعله حليل من ان يكون امر البيت لقصي فحاربهم واخرجهم من مكة
وقيل ان حليلا اوصي بذلك لابي غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان اوصي
بذلك لابنته زوج قصي وقالت لا قدرة لي علي فتح البيت واغلاقه
وان قصيا اخذ ذلك منه بزق خمر فقالت العرب اخسر صفقة من ابي
غبشان وقيل ان ابا غبشان اعطي ذلك لابنة حليل زوج قصي
واعطاه قصي اثوابا وابعرة وكان ابو غبشان اخر من ملك امر مكة
والبيت من خزاعة ولا يخالف ذلك ما تقدم من ان حليلا اخر من
ولي امر البيت والحكم بمكة لجواز ان يكون المراد اخر من ولي ذلك واستمر
لم كذلك الي ان مات قال بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصي وكان
في عقله شي فخدعه قصي فاشتري منه امر مكة والبيت باذواد من الابل
والجمع بين هذه الروايات من ان قصيا اخذ ذلك من ابي غبشان بزق خمر

وبين انه اخذ ذلك باثواب وابعرة وبين انه اخذ ذلك باذواد من الابل لما كان
لجواز ان يكون جمع بين الحمر والاثواب والابل فوقع الاقتصار على بعضها من بعض
الرواة تامل ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثني عشر قبيلة كما
سياتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم ولذلك سماه النبي صلى الله عليه
وسلم مجمعا والى ذلك يشير قول الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا ۞ به جمع الله القبايل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها عبد المطلب مدحه بها حذافة ابن غانم
فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم غالته بيوت مكة فلقوا حذافة
فاخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطايف
معه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به
فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال حذافة بن غانم مربوطا مع ركب
قال الحقهم واسئلهم ما شانهم فلحقهم فاخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب
فقال ما معك قال والله ما معي شي قال الحقهم لا ام لك واعطهم بيدك
واطلق الرجل فلحقهم ابو لهب فقال عرفتم تجارتي ومالي وانا احلف لكم لاعطينكم
عشرين اوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوه منه
واطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال وابي انك لعاص
ارجع لا ام لك قال يا ابتاه هذا الرجل معي فناداه يا حذافة اسمعني صوتك
فقال هذا انا ذا بابي انت يا ساقي الحجيج اردفني فاردفه خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه

القصيدة ومطلعها

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه ۞ يضي ظلام الليل كالقمر البدر

وهي قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من ابي لهب رهن ردايه
على ما ذكره لهم في ان يخلوا عن الرجل مع ان رداه لا يقع موقعا من ذلك اجيب
بان سنة العرب وطريقتهم ان الواحد منهم اذا رهن غيره ولو شيا حقيرا
على امر جليل لا يغدر بل يحرص على وفا ما رهن عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم بدعا
النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد

رضى

رضي الله تعالى عنه ذهب الى كسرى لياخذ منه امانا لقومه لينزلوا ريف
العراق لاجل المرعى فقال له كسرى انتم قوم غدر واخاف على الرعايا منكم فقال له
حاجب انا ضامن ان لا يفعل قومي شيا من ذلك فقال له كسرى ومن لي
بوفايك قال هذه قوسي رهينة فجعله كسرى وجلساوه وضحكوا منه فقيل
لهم هذه العرب لو رهن احدهم شيا لا بد ان يفي فلما اخصبت ارض تميم بدعا
النبي صلى الله عليه وسلم لهم لما وفد اليه جماعة منهم واسلموا ومات حاجب امر
عطارد قومه بالذهاب الى بلادهم وجا عطارد الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال
انك لم تسلم الي شيا فقال ايها الملك اني وارث ابي وقد وفينا بالضمان فان
لم تدفع الي قوس ابي صار عارا علينا وسبة فدفعها له وكساه حلة فلما وفد
عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم دفعها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال
اما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم
والى هذا اشار بعض الشعرا ولقد احسن واجاد وتلطف بقوله

تزاهو علينا بقوس حاجبها ۞ تيه تميم بقوس حاجبها

وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين ازاح يد خزاعة عن البيت واجلاهم
عن مكة بعد ان لم يسلموا لقصي في ولاية امر البيت ولم يجيزوا ما فعل حليل وابو
غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان اقتتلوا اشد القتال بمنى بعد ان حذرهم قريش
الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين الحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة
فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجرح في الفريقين الا انه في خزاعة اكثر
ثم تداعوا للصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف
وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فنا الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال
الا اني قد طرحت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد في دم
اي وقيل قضى بان كل دم اصابته قريش من خزاعة موضوع وان ما اصابته
خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي بانه اولى بولاية مكة فتولاها
قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير اهلها اي بتجارة وكانت
خزاعة قد ازالت بني جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي هو الاكبر

و لي امر البيت بعد ثابت بن اسماعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت
والحكام بمكة لانتزاعهم ولد اسماعيل في ذلك لخولتهم واعظاما لان يكون
بمكة بغي ثم ازجرها بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال
الكعبة الذي يهدي لها حتي ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يزني ولم يجد
مكانا دخل البيت فزني فيه فاجمعت اي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة
فبعد ان فعلوا ذلك سلط الله تعالي علي جرهم دواب تشبه النغف بالعين
المعجمة والفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا في
ليلة واحدة سوي الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافني غالبهم
اي وجاز ان يكون ذلك الدم ناشيا عن ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقي
الي اليمن مع عمرو بن الحارث الجرهمي اخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم
علي ما فارقوا من امر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو ابياتا منها

كان لم يكن بين الحجون الي الصفا ✿ انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت ✿ نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلي نحن اهلها فابادنا ✿ صروف الليالي والدهور البواتر تما

ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت بين يدي الوزير يحيي ابن خالد
البرمكي ايام الرشيد فاخذه النوم فنام فحلم برهة ثم انتبه مذعورا فقال
لامر ما كان والله ذهب ملكنا وزال عزنا وانقضت ايام دولتنا قلت وما
ذاك اصلح الله الوزير قال سمعت منشدا انشدني كان لم يكن بين الحجون الي البيت
واجبته من غير روية بلي نحن كنا اهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وانا
بين يديه علي عادتي اذ جاء انسان واكب عليه واخبره ان الرشيد قد قتل
جعفر الساعة قال او قد فعل قال نعم فما زاد ان رمي القلم من يده وقال
هكذا تقوم الساعة بغتة ومما يوثر عن يحيي هذا ينبغي للانسان ان
يكتب احسن ما يسمع ويحفظ احسن ما يكتب ويحدث باحسن ما يحفظ
وقال من لم يبت علي سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت خزاعة بعد
جرهم ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي

وهو ابن بنت عمرو

وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي اخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ
عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده في الجاهلية
وهو اول من اطعم الحج بمكة شرائف الابل ولحمانها علي الثريد والشرائف جمع
شريف وهو السمين وذهب شرفه في العرب كل مذهب حتي صار قوله دينا
متبعا لا يخالف وفي كلام بعضهم صار عمرو في العرب وما لا يبتدع لهم بدعة
الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم ربما نحر لهم
في الموسم عشرة الاف بدنة وكسا عشرة الاف حلة وهو اول من غير دين ابراهيم
اي فقد قال بعضهم تظافرت نصوص العلما علي ان العرب من عهد ابراهيم
استمرت علي دينه اي من رفض عبادة الاصنام الي زمن عمرو بن لحي فهو اول من
غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات فعبد الاصنام وسيب السائبة
وبحر البحيرة وقيل اول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع
اذنيهما وحرم البانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته في النار يخبطانه
باخفافهما ويعضانه بافواههما وعمرو اول من وصل الوصيلة وحمي الحامي
ونصب الاصنام حول الكعبة واتي بهبل من ارض الجزيرة ونصبه في بطن
الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام علي ما سياتي واول من ادخل
الشرك في التلبية لانه كان يلبي تلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وهي لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك فبعد ذلك تمثل له الشيطان في صورة
شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك الشيخ الا شريكا
هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه وما ملك وهذا لا باس به
فقال ذلك عمرو فتبعته العرب علي ذلك اي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون
معه اصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال تعالى توبيخا لهم وما يومن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون وهو اول من احل ايضا اكل الميتة فان كل القبائل من
ولد اسماعيل لم تزل تحرم اكل الميتة قال كيف لا تاكلون ما قتل الله لكم
وتاكلون ما قتلتم وروي البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت
[redacted] جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمروا يجر قصبه في النار

وفي رواية امعاءه اي وهي المرادة بالقصب بضم القاف وفي رواية رايته
يؤذي اهل النار بريح قصبه ويقال للامعا الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف
وسكون المثناة الفوقية اخره با موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
يجا بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار والاندلاق
الخروج بسرعة وقال صلى الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى
واكثم بالثا المثلثة وهو في اللغة واسع البطن يا اكثم رايت عمرو بن لحي يجر
قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه من رجل منك به ولا بك منه
فقال اكثم فعسى ان يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مومن وهو كافر
انه اول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان اي ودين اسماعيل هو
دين ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فان العرب من عهد ابراهيم استمرت
على دينه لم يغيره احد الى عهد عمرو المذكور كما تقدم وفي كلام بعضهم ان اكثم
هذا هو ابو معبد زوج ام معبد التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
الهجرة واكثم هذا هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت الدجال
فاذا هو اشبه الناس يا اكثم ابن عبد العزى فقام اكثم فقال ايضرني شبهي
اياه فقال لا انت مومن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذي
فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله في ذكر عمرو بن لحي وانما كان عمرو بن لحي
اول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فراى بارض
البلقا العماليق ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح وراهم يعبدون الاصنام
فقال لهم ما هذه قالوا هذه اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها
فتنصرنا فقال لهم افلا تعطوني منها صنما فاسير به الى ارض العرب فاعطوه
صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على بيرها وامر
الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفره بدا به قبل اهله
بعد طوافه بالبيت وحلقة راسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح
فيه مكتوب العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلى من خرج
حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح فيه لا وذلك للامر الذي يريدونه

وقدح

9

وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا في ولد هل هو منهم
اولا وقدح فيه بها وقدح فيه ما بها اذا ارادوا ارضا يحفرون فيها للما وكان
هبل من العقيق على صورة انسان وعاش عمرو بن لحي هذا ثلثمائة سنة
واربعين سنة وراى من ولده وولد ولده الف مقاتل اي وملك
هو وولده من بعده في ولاية البيت خمسمائة سنة وكان اخرهم حليل
الذي تزوج قصي ابنته كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال
له اذهب الى جدة وائت منها بالالهة التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس
عليهما السلام وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب
واتى بها الى مكة ودعى الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب
فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال
المعجمة على وزن مسجد ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر
لحمير اي وكانوا هولا على صور عباد ماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصورهم
ابليس اللعين لهم تماثيل من صفر ونحاس ليستانسوا بهم فجعلوها في موخر
المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه الهة ابائكم
تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجها اللعين وفي كلام
بعضهم ان ادم كان له خمسة اولاد صلحا وهم ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون
يفارقونه وذلك بارض بابل فلما راى ابليس ذلك من فعلهم جا اليهم في صورة
انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورته اذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا
نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صور صورته وسموا تلك
الصور باسمايهم ثم لما تقادم الزمان وماتت الابا والابنا وابنا الابنا قالوا
لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فارسل
الله لهم نوحا فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه لذلك وكان بين ادم ونوح عشرة
قرون كلهم على شريعة من الحق فاول ما حدثت عبادة الاصنام في قوم نوح فارسله
الله تعالى اليهم فنهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل البحر

مما يلي قريبه وكانت الازد تحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان و
وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في تفسيره لبعض الايات القرانية عند
قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض ان اصل وضع الاصنام
انما هو من قوة التنزيه من العلما الاقدمين فانهم نزهوا الله تعالى
عن كل شي وامروا بذلك عامتهم فلما راوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم
الاصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها
الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك العلما ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله
تعالى هذا كلامه وكان في زمان جرهم فجر رجل يقال له اساف بامراة يقال لها
نايلة في جوف الكعبة اي قبلها فيها كما في تاريخ الازرقي وقيل زنا بها فمسخها
حجرين فاخرجا منها ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان عمرو بن لحي
اخذهما عمرو ونصبهما حول الكعبة اي على زمزم وجعلا في وجهها وصار من يطوف يتمسح
بهما يبدا باساف ويختم بنايلة وذلك قبل ان يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام
وكانت قريش تذبح ذبايحها عندهما وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نايلة
عند فتح مكة خرجت منها سودا شمطا تخمش وجهها وتنادي بالويل والثبور
وكان عمرو يخبر قومه بان الرب يشتي بالطايف عند اللات ويصيف عند العزى
فكانوا يعظمونهما وكانوا يهدون الى الكعبة وقصي هو الذي امر لقريش
ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم ذلك هابتكم
العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا ابواب
بيوتهم جهة الطايفين منهم باب ينسب الان اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم
وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبنى قصي دار الندوه
وهو اول دار بنيت بمكة واستمر الامر على انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس
حوله جدار زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق فلما كان زمن ولاية
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشترى تلك الدور من اهلها وهدمها
وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان اشترى دورا اخر
وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ثم ان ابن الزبير زاد في المسجد

زيادة

ام

زيادة كبيرة ثم ان عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره
عمارة حسنة ولم يزد فيه شيا ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد
وحمل اليه اعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر
بناوه على ذلك الى الان وكانت قريش قبل ذلك اي قبل بنا منازلهم في
الحرم يحترمون الحرم ولا يبيتون به ليلا واذا اراد احدهم قضا حاجته
الانسان يخرج الى الحل وقد جا انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا اراد
حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم افصح من فتحها وهو على ثلثي فرسخ
من مكه وهابت قريش شجر الحرم التي في منازلهم التي بنوها فقد كان بمكة
شجر كثير من العضاة والسلم وشكوا ذلك الى قصي فامرهم بقطعها فهابوا
ذلك فقالوا نكره ان ترى العرب انا استخففنا بحرمتنا فقال قصي انما تقطعونه
لمنازلكم وما تريدون به فسادا بهلة الله اي لعنة الله على من اراد فسادا
فقطعها قصي بيده وبيد اعوانه وفي كلام السهيلي عن الواقدي الاصح
ان قريشا حين ارادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم
قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك فكان احدهم يحوف البنيان حول الشجرة حتى
تكون في منزله قال واول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير
حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل فدا كل شجرة بقرة قلت ما الجمع وانزل قصي
القبايل من قريش في نواحي مكة بطاحها وظواهرها اي فانه جعلها اثنى عشر
قبيلة كما تقدم ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر
قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومن الاولى بنو هاشم والى ذلك
يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

من بني هاشم ابن عبد مناف ... وبنو هاشم سراة الحيا
من قريش البطاح من عرف الناس ... لهم فضلهم بغير امترا

قال بعضهم كان قصي اول رجل من بني كنانة اصاب ملكا ولما حضر الحج
وقد سمعت قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وانكم معظمون
ولا اعلم مكرمة عند العرب اعظم من الطعام فيخرج كل انسان منكم من ماله خرجا

ثم فعلوا اجمع من ذلك شيا كثيرا فلما جا اوايل الحاج نحر على كل طريق من طرق
مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقي الما المحلى بالزبيب وسقي اللبن
وهو اول من اوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النحر ومما
يوثر عن قصي من اكرم لئيما اشركه في لومه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه
ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان
والحسود العدو الخفي ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا الخمرة فانها
تفتح الابدان وتفسد الاذهان وحاز قصي شرف مكة فكان بيده السقاية
والرفادة والحجابة والندوة واللوا والقيادة وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي
وعبد مناف اشرفهما اي لانه شرف في زمان ابيه قصي وذهب شرفه كل
مذهب وكان يليه في الشرف اخوه المطلب كان يقال لهما البدران وكانت قريش
تسمي عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطي قصي ولده عبد الدار جميع تلك
الوظايف التي هي السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللوا والقيادة اي فانه
قال له اما والله لا لحقنك بالقوم يعني اخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد
شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له بسبب الحجابة للبيت
ولا يعقد لقريش لوا لحربها الا انت بيدك اي وهذا هو المراد باللوا ولا يشرب رجل
بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية ولا ياكل احد من اهل الموسم الا
من طعامك اي وهذا هو المراد بالرفادة ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في
دارك يعني دار الندوة اي ولا يكون احد قايد القوم الا انت وذلك بسبب القيادة
فلما مات عبد الدار واخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب
وهولا اخوة لاب وام امهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم امه واقدة بنت
حرملة ان ياخذوا تلك الوظايف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربة اي واخرج
بنو عبد مناف جفنة مملوة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة
ثم غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاوهم ثم مسحوا الكعبة بايديهم توكيدا
على انفسهم فسموا المطيبين اي اخرجتها لهم ام حكيم البيضا بنت عبد المطلب عمة النبي صلى
الله عليه وسلم وتوامة ابيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها

مع

مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى وبنو الحارث بن فهر
فالمطيبون من قريش خمس قبايل وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم وهم بنو مخزوم
وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا
فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد ان اخرجوا جفنة مملوة دما من دم جزور نحروها
ثم قالوا من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون ايديهم فيها
ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذي لعق الدم فسموا لعقة الدم بنو عدي
خاصة ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف والحجابة
واللوا لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذي
رايته في المشرق فيما حاضرته من اداب المشرق ولما شرف عبد مناف بن قصي في حياة
ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار اراد ان يلحقه ذكرا
فاعطاه الحجابة ودار الندوة واللوا واعطا عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة
وجعل عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار
ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم وليها ولده من بعده والسقاية كانت
حياضا من ادم توضع بفنا الكعبة وينقل اليها الما العذب من الابار على الابل في
المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما تقذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال لسقي
الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف
ولده هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا كانت قريش تسميه
الفياض لكثرة جوده فلماكبر المطلب فوض اليه امر السقاية والرفادة فلما مات المطلب
وثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف وغصبه اركاحا اي افنية ودورا فسال عبد المطلب
رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى اخواله
بني النجار بالمدينة بما فعله عمه نوفل فلما وقف خاله ابو سعيد بن عدي النجاري على كتابه بكى
وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل بالابطح فتلقاه عبد المطلب
وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى القى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ
قريش فاقبل ابو سعيد حتى وقف عليهم فقام نوفل قايما وقال يا ابا سعيد انعم صباحا
فقال له ابو سعيد لا انعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد

علي ابن اختي اركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد
عليه مشايخ قريش ثم نزل علي عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى
الي المدينة ولما جري ذلك حالف نوفل وبنوه بني اخيه عبد شمس علي بني هاشم
وحالفت بنو هاشم خزاعة علي بني نوفل وبني عبد شمس اي فان خزاعة قالت
نحن اولي بنصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب امه حبي بنت حليل
سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب هلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة
وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم
ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة علي النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما
اشرقت الشمس علي ثبير وهب بفلاة بعير وما اقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان
والمراد من ذلك الابد وعبد المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الما منها لتلك الاحواض
ويقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده قام بها ولده ابو طالب ثم اتفق ان ابا طالب
املق اي افتقر في بعض السنين فاستدان من اخيه العباس عشرة الاف درهم
الي الموسم الاخر فصرفها ابو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان
العام المقبل لم يكن مع ابي طالب شي فقال لاخيه العباس اسلفني اربعة عشر الفا الى العام
المقبل لاعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لي اكفلها
فقال نعم فلما جا العام الاخر لم يكن مع ابي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له
السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله بن عباس واستمر ذلك في بني العباس الى زمن
السفاح ثم تركت بنو العباس ذلك والرفادة اطعام الحاج ايام الموسم حتي يتفرقوا
فان قريشا كانت علي زمن قصي تخرجه من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به
طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتي قام بها بعده ولده عبد مناف
ثم بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب
وقيل ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلي الله عليه وسلم وزمن الخلفا بعده ثم استمر
ذلك في الخلفا الى ان انقرضت الخلافة من بغداد ثم من مصر واما القيادة وهي امارة
الركب فقام بها عبد مناف بن عبد شمس ثم كانت بعد عبد شمس لابنه امية ثم لابنه
حرب ثم لابنه ابي سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم الاحزاب

ومن ثم

ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست في العير ولا في النفير
قال له ويحك العير والنفير عيبتي اي وعاي لان العيبة ما يجعل فيه الثياب جدي
ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ودار الندوة كانت
قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية
اذا حاضت تدخل الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها
اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح رجل امراه من قريش
الا في دار قصي التي هي دار الندوة ولا يعقد لوا حرب الا فيها ولا تدرع جارية
من قريش الا في ذلك الدار فشق عنها درعها ويدرعها بيده فكانت
قريش بعد موت قصي يتعولن ما كان عليه في حياته كالدين المتبع ولا زالت
هذه الدار في بني عبد الدار الى ان صارت الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام
بماية الف درهم فلامه عبد الله ابن الزبير وقال اتبيع مكرمة ابايك وشرفهم فقال
حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية
بزق خمر وقد بعتها بماية الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله تعالى فاينا المغبون
وقيل وقصي هو جماع قريش فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ونسب
هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل لانه توصل به الى انه لا يكون سيدنا
ابو بكر وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنهما من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمي
التي هي الخلافة لقوله صلي الله عليه وسلم الايمة من قريش ولقوله صلي الله عليه وسلم
لقريش انتم اولي الناس بهذا الامر ما كنتم علي الحق الا ان تعدلوا عنه لانهما لم
يلتقيا مع النبي صلي الله عليه وسلم الا فيما بعد قصي لان ابا بكر رضي الله عنه يجتمع معه
معه في مرة كما سياتي لانه تيم بن مرة وبين ابي بكر وتيم خمسة ابا وعمر يجتمع معه
في كعب كما سياتي وبين عمر رضي الله عنه وكعب سبعة ابا وقصي بن كلاب
اي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد والترصيد
كان بالكلاب وهو الجد الثالث لامنة امه صلي الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب
ابيه وامه صلي الله عليه وسلم بن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله عنه

والامام مالك رضي الله تعالى عنه تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي
هو مرة ايضا **ابن كعب** اي وهو الجد الثامن لعمر رضي الله تعالى عنه وكان
كعب يجمع قومه يوم العروبة اي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة ويقال
انه اول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث كان اهل
الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة
بن دحية ولم تسم العروبة الجمعة الا منذ جاء الاسلام وسياتي في ذلك كلام
فكانت قريش تجتمع الى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ويعلمهم انه من ولده ويامرهم باتباعه فيقول سياتي لحرمكم نبا عظيم وسيخرج
منه نبي كريم وينشد ابياتا اخرها

على غفلة ياتي النبي محمد * فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

وينشد ايضا

يا ليتني شاهد نجوى دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة وفي الامتاع
وعشرون سنة لان الحق ان الخمسمائة والستين انما هو بين موت كعب والفيل الذي
هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في الدلائل النبوية وقيل ان كعب
اول من قال اما بعد فكان يقول اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا
ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار ضاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال
اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم
وثمروا اموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون اي وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه
لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبة ولعلوه وارتفاع شانه
ارخوا بموته حتى كان عام الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب
وكعب **بن لؤي** اي بالهمزة اكثر من عدمها اي وهو تصغير خلاف **بن غالب**
ابن فهر سماه ابوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش والمناسب ان يكون
لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها
بماله وكان بنوه يقرشون اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا.

قال بعضهم

قال بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار اجمع النسابون
من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس
لابي عبيدة بن الجراح **ولما** جا حسان ابن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ
احجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج
فهر الى مقاتلته بعد ان جمع قبايل العرب فقاتله واسره وانهزمت حمير
ومن انضم اليهم واستمر حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير
وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا امره ومما يوثر
عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يدك اغنى لك من كثير ما اخلق وجهك
وان صار اليك وفهر هو **بن مالك** قيل له ذلك لانه ملك العرب **ابن النضر**
اي ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء
فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ○ ويقال لكل من اولاده الذين
منهم مالك واولاده قرشي فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش فقال
من ولد النضر اي وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك واولاده والنضر جده واولاده
ليسوا من قريش والنضر **بن كنانة** قيل له كنانة لانه لم يزل في كن بين قومه
وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج اليه
العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى احمد يدعو الى
الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى
عزكم ولا تعتدوا اي تكذبوا ما جاء به فهو الحق قال بن دحية كان كنانة
يانف ان ياكل وحده فاذا لم يجد احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة نصبها
بين يديه انفة من ان ياكل وحده ومما يوثر عنه رب صورة تخالف
المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر
وكنانة **ابن خزيمة بن مدركة** ومدركة اسمه عمرو وقيل له مدركة لانه
ادرك كل عز وفخر كان في ابائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ولعل المراد ظهوره فيه ومدركة **بن الياس** بهمزة قطع مكسورة وقيل
مفتوحة ايضا وقيل همزة وصل ونسب للجمهور قيل سمي بذلك لان اباه مضر

كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم امره
عند العرب حتي كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا
دونه وهو اول من اهدي البدن الي البيت واول من ظفر بمقام ابراهيم لما
غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت لذا في حياة الحجون
تلبينا مل وجا في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مومنا وقيل انه حاج
في لبيتي اي فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه
تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم
في قومه وهو اول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف
حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتي ماتت ومن ثم قيل احزن من
خندف والياس بن مضر قيل وهو جماع قريش فلا يقال لاولاد من فوقه
مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة اقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل النضر
وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو واخوه
ربيعة مال والدهما اعني نزار اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء
واخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجا في حديث لا تسبوا
ربيعة ولا مضر فانهما كانا مومنين اي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان
علي ملة ابراهيم وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان علي دين اسماعيل
ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة اقول سياتي في بنيان قريش
للكعبة انهم وجدوا فيها كتبا بالسريانية من جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا
يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الي اخرها ياتي وعن ابي عبيدة البكري
ان قبر مضر بالروحا يزار والروحا علي ليلتين من المدينة والله اعلم وكان مضر
من احسن الناس صوتا وهو اول من حدي للابل فانه وقع فانكسرت يده
فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعي فلما صح وركب حدي وقيل
اول من سن الحدا للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فصار يقول
يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها اي لان الحدا مما ينشط الابل لا سيما
ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد اعناقها وتصغي الي الحادي وتسرع في
سيرها

سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير
وربما اخذت ثلاثة ايام في يوم واحد وفي ذلك حكاية مشهورة ولاجل ما ذكر ذكر
ايمتنا انه مستحب وفي الاذكار للامام النووي رضي الله تعالي عنه باب استحباب
الحدا للسرعة في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها
فيه احاديث كثيرة مشهورة ومضر بن نزار بكسر النون كان يري نور
النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو اول من كتب الكتاب العربي علي الصحيح
والامام احمد بن حنبل رضي الله تعالي عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد
الذي هو نزار بن معد بن عدنان هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه
وسلم عند العلما بالانساب ومن ثم لما قال فقهاونا شرط الامام الاعظم
ان يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامع للشروط التي ذكروها فكناني قال بعضهم
وقياس ذلك ان يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد
مدركي فياسي فان لم يوجد ياسي فمضري فان لم يوجد مضري فنزاري
فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد
عدناني فمن ولد اسماعيل لان من فوق عدنان لا يصح فيه شي ولا يمكن حفظ
النسب فيه الي اسماعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب وغارات
علي بني اسرائيل ولم يحارب احدا الا رجع بالنصر والظفر قال بعضهم ولا يخرج
عربي في الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس
وولد قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بخت نصر علي العرب امر الله تعالي
ارميا ان يحمل معد بن عدنان علي البراق كيلا تصيبه النقمة وقال فاني
ساخرج من صلبه نبيا كريما اختم به الرسل ففعل ارميا ذلك واحتمله معه الي
ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل ثم عاد بعد ان هدات الفتن اي بموت بخت نصر
وكان عدنان في زمن عيسي عليه السلام وقيل في زمن موسي عليه السلام قال
الحافظ ابن حجر وهو اولي اي ومما يضعف الاول ما في الطبراني عن ابي امامة
الباهلي رضي الله تعالي عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ
ولد معد ابن عدنان اربعين رجلا وقعوا في عسكر موسي عليه السلام فانتهبوه

فدعي عليهم موسى عليه السلام فاوحي الله تعالى اليه لا تدع عليهم فان منهم
النبي الامي النذير البشير الحديث اذ يبعد تقاعد الى زمن عيسى عليه السلام ومعلوم
انه لا اختلاف في ان عدنان من ولد اسماعيل نبي الله تعالى اي ارسله الله تعالى
الى جرهم والى العماليق والى قبايل اليمن في زمن ابيه ابراهيم وكذا بعث اخوه
اسحاق الى اهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابرهيم
فكانوا انبيا على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم ان من العماليق
فرعون موسى عليه السلام ومنهم الريان بن الوليد فرعون يوسف عليه السلام
وكان اسماعيل بكر ابيه جا له وقد بلغ ابوه من العمر سبعين سنة وقيل ستا
وثمانين سنة ولد بين الرملة وايليا وكان بين عدنان واسماعيل اربعون ابا
وقيل سبعة وثلاثون وفي النهر لابي حيان ان ابراهيم هو الجد الحادي والثلاثون
لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفي ان اسماعيل اول من تسمى بهذا
الاسم من بني ادم ومعناه بالعبرانية مطيع الله واول من تكلم بالعربية اي
البينة الفصيحة والا فقد تعلم اصل العربية من جرهم ثم الهمه الله تعالى العربية
الفصيحة البينة فنطق بها وفي الحديث اول من فتق لسانه بالعربية البينة
اسماعيل وهو ابن اربعة عشرة سنة وفي كلام بعضهم لما خرج ابراهيم
بهاجر وولدها اسماعيل الى مكة على البراق واحتمل معه قربة ما ومزودا
فيه تمر فلما انزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهي تقول الله امرك ان
تدعني وهذا الصبي في هذا المحل الموحش الذي ليس به انيس قال نعم فقالت
اذا لا يضيعنا ولا زالت تاكل من التمر وتشرب من الما الى ان نفذ الما الحديث
وكان انزاله لهما بموضع الحجر ولذلك لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم وكون اسماعيل
اول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل اول من تكلم بالعربية يعرب
ابن قحطان وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل له عم صباحا
ويعرب هذا قيل له يمن لان هودا نبي الله تعالى قال له انت ايمن ولدي وسمي
اليمن يمنا بنزوله فيه وهو اول من قال القريض والرجز وقيل سمي اليمن يمنا
لانه على يمين الكعبة وقيل ان اول من كتب الكتاب العربي اسماعيل والصحيح
ان اول من كتب ذلك نزار بن معد كما تقدم وكذا كون اسماعيل اول من تكلم

بالعربية

بالعربية البينة لا ينافي ما قيل اول من تكلم بالعربية ادم في الجنة فلما اهبط
الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانية لان الله تعالى علمها ادم في الجنة
سرا من الملايكة وانطقه بها قيل واول من كتب الكتاب العربي والفارسي
والسرياني والعبراني وغيرها من بقية الاثني عشر كتابا وهي الحميري واليوناني
والرومي والقبطي والبربري والاندلسي والهندي والصيني ادم كتبها في طين
وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسماعيل الكتاب
العربي واما ما جا اول من خط بالقلم ادريس فالمراد منه خط الرمل
كلام بعضهم اول من تكلم بالعربية المحضة وهي عربية قريش التي نزل بها القران اسماعيل
واما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسماعيل ويقال لمن يتكلم بلغة هولا
العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسماعيل العرب المستعربة وهي لغة الحجاز وما
والاها وجا من احسن ان يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق
وقد ذكر بعضهم ان اهل الكهف كلهم اعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وانهم يكونون وزرا
المهدي على السنة الناس انه صلى الله عليه وسلم قال انا افصح من نطق بالضاد قال
جمع لا اصل له ومعناه صحيح لان المعني انا افصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد
ولا توجد في غير لغتهم واسماعيل اول من ركب الخيل وكانت وحوشا اي ومن ثم قيل
لها العراب اولما سياتي وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميرات ابيكم اسماعيل
رواية اوحي الله تعالى الى اسماعيل ان اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمي بذلك
لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع بالكنز فخرج الى
جياد فالهمه الله تعالى دعا فدعا به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب الا اجابته
وامكنته من نواصيها وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين
وهي ميراث ابيكم اسماعيل الحافظ السيوطي ان له كتابا في الخيل سماه جر الذيل
في علم الخيل العرايس ان الله تعالى لما اراد ان يخلق الخيل قال لريح الجنوب
اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليايي ومذلة على اعدايي وجمالا لاهل طاعتي
فقالت افعل ما تشا فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير
معقودا بناصيتك والغنايم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك

تطيري بلا جناح وانت للطلب وانت للهرب وعن وهب انه قيل لسليمان صلوات الله
وسلامه عليه ان خيلا بلقي لها اجنحة تطير بها وترد ماكذا فقال للشياطين علي بها
فصبوا في العين التي تردها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتي تانست
قيل ويجوز ان يكون من تلك الخيل الفرس الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اتيت عقالبد
الدنيا علي فرس ابلق جاني به جبريل وجا ان الله تعالي لما عرض علي ادم كل شي مما خلق
قال له اختر من خلقي ما شيت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا
ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابد الابدين ودهر الداهرين وهذا صريح في ان الخيل قبل ادم
او بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور فاجاب السيوطي بان المختار
ان خلق الخيل قبل ادم لان الدواب خلقت يوم الخميس وادم خلق يوم الجمعة بعد
العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين احدهما ان الذكر اشرف من الانثي
والثاني حرارة الذكر اقوي من الانثي ولذلك كان خلق ادم قبل خلق حوي
فليتامل وذكر السهيلي ان في الفرس عشرين عضوا كل عضو منها يسمي باسم
طاير ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر والنعامة والقطاة والذهاب والعصفور
والغراب والصرد والصقر قالوا في الحيوان اعضا بارده يابسة كالعظام نظير السودا
واعضا باردة رطبة كالدماغ نظير البلغم واعضا حارة يابسة كالقلب نظير الصفرا
واعضا حارة رطبة كالكبد نظير الدم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن شي احب اليه بعد النسا من الخيل وجا ما من ليلة الا والفرس يدعو فيها
ويقول رب انك سخرتني لابن ادم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني احب اليه من
اهله وولده قيل لبعض الحكما اي المال اشرف قال فرس يتبعها فرس وفي بطنها
فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطونها كنز وفي الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك
في الظلمة الي عين الحياة سال اي الدواب في الليل ابصر قالوا الخيل فقال اي الخيل
ابصر قالوا الاناث فقال اي الاناث ابصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة الاف فرس
كذلك واعطي الله اسماعيل القوس العربية وكان لا يرمي شيا الا اصابه وفي الحديث ارموا
بني اسماعيل فان اباكم كان راميا اي قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون
فقال حسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا زاد في بعض الروايات ارموا وانا مع بني فلان

فامسك

فامسك الفريق الاخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي
وانت معهم اذا ينتضلونا قال ارموا وانا معكم كلكم اخرجه البخاري في صحيحه زاد
البيهقي في دلايل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا علي السوا ما نضل بعضهم
بعضا وقد جا احب اللهو الي اجرا الخيل والرمي ارموا واركبوا وان ترموا احب الي
من ان تركبوا وجا احب اللهو الي الله تعالي اجرا الخيل والرمي وجا كل شي يلهو به
الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه او تاديبه فرسه او ملاعبته امراته فانهن
من الحق وجا علموا اولادكم السباحة والرمي وفي رواية الرماية وفي رواية
علموا بنيكم الرمي فانه نكاية العدو وقد جا تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين
روضة من رياض الجنة وروي مرفوعا حق الولد علي الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة و
والرمي وجا من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا وفي رواية فهو نعمة جحدها قال
الحافظ السيوطي والاحاديث المتعلقة بالرمي كثيرة قال وقد الفت كتابا في الرمي
سميته غرس الانشاب في الرمي بالنشاب وفي العرايس كان اسماعيل مولعا بالصيد
مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع والرمي سنة اذا نوي به التاهب للجهاد
لقوله تعالي واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي علي
حد قوله الحج عرفة والاتقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في الاية واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة قال الرمي والسيوف والسلاح وسيل الحافظ السيوطي هل ما ذكره الطبري
والمسعودي في تاريخهما ان اول من رمي بالقوس العربية ادم عليه الصلاة والسلام وذلك
لما امره الله تعالي بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع ارسل الله تعالي له طايرين
يخرجان ما يذره ويا كلانه فشكي الي الله تعالي ذلك فهبط عليه جبريل وبيده قوس
وتر وسهمان فقال ادم ما هذا يا جبريل فاعطاه القوس وقال هذه قوة الله
تعالي واعطاه الوتر وقال هذه شدة الله تعالي واعطاه السهمين وقال هذه نكاية
الله تعالي وعلمه الرمي بهما فرمي الطايرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته
وانسا عند وحشته ثم صار القوس العربية الي ابراهيم الخليل ثم الي ولده اسماعيل وهو
يدل علي ان قوس ابراهيم هي القوس التي هبطت علي ادم من الجنة وانه ادخرها لابراهيم
وهو خلاف قول بعضهم انها غيرها اهبطت الي ابراهيم من الجنة فاجاب الحافظ

السيوطي بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ آدم وابراهيم عليهما السلام فلم اجده
فيه ولا يبعد صحته فان الله تعالى علم آدم علم كل شيء وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الرمي
من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال اول من عمل القوس ابراهيم
عمل لاسماعيل واسحاق قوسين فكانا يرميان لهما وتقدم ان اسحاق ولد لابراهيم بعد اسماعيل
بثلاث عشرة وقيل باربعة عشر سنة اي حملت به امه سارة في البلد التي خسف الله تعالى
بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط في قوم
لوط في النسا قبل الرجال باربعين سنة ثم استغنى النسا بالنسا والرجال بالرجال فخسف الله
تعالى بهم الارض قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار والخنزير وكان اول من اتخذ
القوس الفارسية نمرود فليتامل الجمع وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون ابراهيم اول
من عمل القوس بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية ومعلوم ان اسماعيل بن ابراهيم
خليل الله تعالى عليهما الصلاة والسلام اي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد
اسماعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم واما خالد بن سنان وان كان من ولد اسماعيل على ما قيل
قال بعضهم لم يكن في بني اسماعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث
بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى اي وكان بينه وبين عيسى ثلثمائة سنة وخالد
هذا هو الذي اطفا النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب ان تعبدها
كالمجوس كان يرى ضوؤها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض
فلا يجد شيئا الا اكله فامر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بير ثم تنتشر
فلما خرجت وانتشرت اخذ خالد بن سنان باطفائها وكانت تخرج من بير ثم تنتشر فلما
خرجت وانتشرت اخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا كل هدى وهي
تتاخر حتى نزلت الى البير فنزل الى البير خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار
حتى اطفاها ويذكر انه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه قالوا
له انما تخوفنا بالنار فان تسيل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فقومنا ثم قال
اللهم ان قومي كذبوني ولم يومنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارا فارسلها عليهم
نارا فخرجت فقالوا يا خالد اردها فانا مومنون بك فردها قيل وكان خالد
ابن سنان اذا استسقى يدخل راسه في جيبه فيجي المطر ولا يقلع الا ان رفع راسه

وقيل

وقيل وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها وبسط لها
رداءه وقال لها مرحبا بابنة اخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فاسلمت وهذا الحديث
مرسل رجاله ثقات وفي البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني
وبينه نبي قال بعضهم ويرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان وقد يقال مراده
صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي ياتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا يشكل هذا الا على انه لم
يات بشريعة مستقلة ولا ما جاء في رواية اخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولا ما في كلام
البيضاوي تبعا للكشاف من ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة انبيا ثلاثة
من بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان وبعده حنظلة بن صفوان ارسله
الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز ان يكون كل من هولا الثلاثة
لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة عيسى ايضا كخالد بن سنان والرس
البير الغير المطوية اي الغير المبنية كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية
باسقاط غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها وحين دسوه بها غار ماوها وعطشوا
بعد ريهم ويبست اشجارهم واسقطت ثمارهم بعد ان كان ماوها يرويهم ويكفي ارضهم
جميعا وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد
الاصنام اي وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل
لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا اعوزه الصيد وكان اذا خطف احدا منهم
اغرب به اي ذهب به الى جهة الغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة الغرب
عنقا مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة فدعا على تلك العنقا فارسل الله تعالى عليها
صاعقة فاهلكتها ولم تعقب وكان جزاؤه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم
وذكر بعضهم ان حنظلة هذا كان من العرب من ولد اسماعيل ايضا عليه السلام
ثم رايت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى وانه لما ذكر ان في زمن عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفي
لفظ سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا
ووجدوا عند راسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيامة وان من وفاته الى
الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة قال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بيني

بل هو رجل صالح لان عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص
الحديث في البخاري **اقول** وقد علمت الجواب عن ذلك من ان المراد بالنبي الرسول
وفيه ان هذا يبعده عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض الروايات الا ان يجعل
من عطف التفسير والله اعلم **والفترة** التي كانت بينهما اربعمائة سنة وقيل ستمائة
وقيل ستمائة وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما وجدنا
احدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا اي كذبا لان الخواص الكذاب كذا
قيل **اقول** لعل المراد بالكذب الخبر المقطوع بصحة لان الخرص حقيقته الحدس
والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على ذلك قيل له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا
وحينيذ كان القياس ان يقال الا خرصا اي حزرا وتخمينا وعلى هذا كان الصديقة
رضي الله تعالى عنها ارادت المبالغة للتنفير عن الخوض في ذلك والله اعلم **وعن**
عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر
ابن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اي مما زاد على ذلك فقد كذب **اقول**
اطلاق الكذب على من زاد على كنانة الى عدنان يخالف ما سبق من ان المجمع عليه الى
عدنان الا ان يقال لا يخالفه لانه يجوز ان يكون عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد
على النضر بن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم له الذي سمعه غيره وفي
اطلاقه الكذب على ذلك التاويل السابق **واخرج** الجلال السيوطي في الجامع الصغير
عن البيهقي انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الى ان قال ابن مضر بن نزار وهذا هو الترتيب المالوف وهو الابتدا بالاب
ثم بالجد ثم بابي الجد وهكذا وقد جا في القران على خلافه في قوله تعالى حكاية
عن سيدنا يوسف عليه السلام واتبعت ملة ابراهيم واسحاق ويعقوب
قال بعضهم والحكمة انه لم يرد مجرد ذكر الاباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم
التي اتبعها فبدا بصاحب الملة ثم بمن اخذها عنه اولا فاولا على الترتيب
والله اعلم **وعن** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون
مرتين او ثلاثا **قال** البيهقي والاصح ان ذلك اي قوله كذب النسابون

من قول

من قول ابن مسعود اي لا من قوله صلى الله عليه وسلم **اقول** والدليل على ذلك
ما جا كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين يدعون
علم الانساب ونفى الله تعالى علمها عن العباد ولا مانع ان يكون هذا القول
صدر منه صلى الله عليه وسلم اولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية
تقتضي ان الزيادة على المجمع عليه واما النقص عنه اي زيادة أدد او نقص عدنان
فهي مخالفة لما قبلها **وفي** كلام بعضهم ان بين عدنان وادد أد فيقال عدنان
ابن أد بن ادد وقيل أدد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف
قيل وهو اول من نظم الكتابة **اي** العربية من ولد اسماعيل وتقدم ان
الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم بن عدي
ان الناقل لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن امية
ابن عبد شمس وقد يقال الاولية اضافية اي من قريش **وعدنان** سمي بذلك
قيل لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة **قال** بعضهم اختلف الناس
فيما بين عدنان واسماعيل من الاباء فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل خمسة عشر
وقيل اربعون والله اعلم **قال** الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا
لا يكاد يحاط بها فقد جا كان ما بين ادم ونوح عشرة قرون وبين نوح وابرهيم
عشرة قرون **وعن** ابن عباس ان مدة الدنيا اي من ادم سبعة الاف سنة
اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة الاف وسبعمائة
واربعون سنة وعن ابي خيثمة ثمانمائة سنة **وفي** كلام بعضهم من خلقة
ادم الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وثمانمائة سنة
وثلاثون سنة **وقد** جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طرق صحاح
انه قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اخر يوم منها **وفي** كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث والاثار على ان مدة
هذه الامة تزيد على الالف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة اصلا وانما
تزيد بنحو اربعمائة سنة تقريبا **ومما اشتهر** على السنة الناس ان النبي صلى

الله عليه وسلم لا يمكث في قبره اكثر من الف سنة باطل لا اصل له وهذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة خمسماية سنة هل تخالف ما اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسماية سنة وفي كلام بعضهم فقد اكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة اي هي سبعة وبعضهم اثني عشر الف سنة بعدد البروج وبعضهم ثلثماية الف وستون الف بعدد درجات الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي خلق الموجودات من الجمادات والنبات والحيوان بعد انتها خلق العالم الطبيعي باحدي وسبعين الف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي اربع وخمسون الف سنة ثم خلق الله تعالى الاخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار امدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة ادم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبع عشرة الف سنة ومن عمر الاخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وخلق الله تعالى الجان في الارض قبل ادم بستين الف سنة اي ولعل هذا هو المعني بقول بعضهم خلق الله قبل ادم خلقا في صورة البهايم ثم اماتهم قيل وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا في الارض وسفكوا الدما كما سياتي قال الشيخ محيي الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فقال لي واحد منهم اما تعرفني فقلت لا قال انا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع واربعين الف سنة فقلت ليس لادم هذا القدر من السنين فقال لي عن اي ادم تقول عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ماية الف ادم فقلت قد يكون ذلك الجسد الذي نسبني اليه من اولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه يقول سال بنو اسرائيل المسيح عليه الصلاة ان يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال اروني قبره

توقف

فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى فقام واذا راسه ولحيته بيضا فقال انك مت وشعرك اسود فقال لما سمعت الندا ظننت انها القيامة فشابت راسي ولحيتي الان فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة آلاف سنة الى الان لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف فيما بين عدنان وادم ان قوما العرب لم يكونوا اصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من حفظ بعض ولعله لا يخالفه ما تقدم من ان اول من كتب معد ونزار وفي كلام سبط ابن الجوزي ان سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما بين ادم ونوح وفيما بين الانبيا من السنين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو شا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه اي لو اراد ان يعلم ذلك للناس لعلمه لهم وهذا اولى من يعلمه بفتح اليا وسكون العين وذكر ابن الجوزي ان بين ادم ونوح شيث وادريس وبين نوح وابراهيم هود ثم صالح وبين ابراهيم وموسى بن عمران اسماعيل واسحاق ولوط وهو ابن اخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبيا ويعقوب ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احدي وتسعون سنة وكان فراقه له ليوسف وله من العمر ثماني عشرة سنة وبقيا مفترقين احدي وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفي الاتقان القي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي اباه بعد الثمانين وعاش ماية وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين يدي امه فلم يرض الله تعالى له ذلك فاراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وموسى بن منشا قبل موسى بن عمران وهو اول انبيا بني اسرائيل وداود ويوشع وكان يوشع كهارون يكتب لموسى ويذكر ان مما اوصى به داود ولده سليمان لما استخلفه يا بني اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان اي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك الحاشي تدر وتدر

العداوة المزاح وقد قيل المزاح يذهب بالمهابة ويورث الضغينة وقيل اكثر اسباب القطيعة المزاح وقد قيل من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه واقطع طمعك من الناس فان ذلك هو الغنى واياك وما تعتذر منه من القول او الفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس السفها واذا غضبت فالصق نفسك بالارض اي وقد جا في الحديث اذا جهل على احدكم جاهل فان كان قايما جلس وان كان جالسا فليضطجع ومن مات من الانبيا فجاة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل ثم بعد يوشع كالب ابن لوقنا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان امه سالت الله تعالى ان يرزقها ولدا بعد ما كبرت وعقمت فجات به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل ثم الياس ثم طالوت الملك اي فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة ساله بنو اسرايل ان يقيم فيهم ملكا فاقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من اعيانهم بل كان راعيا وقيل سقا وقيل غير ذلك وبين داود وعيسى وهو اخر انبيا بني اسرايل ايوب ثم يونس ثم شعيا ثم ارميا ثم زكريا ويحيى وفي النهر لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير اي وهو من اولاد هارون بن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وكان بين موسى وعيسى الف نبي هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته وعلو مكانه ما جا عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال ابعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والاخرة قال وعن سعد بن ابي وقاص

ايضا

ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله تعالى انتهى اي واشد الاهانة ما كان في الاخرة وحينيذ اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم او المراد المبالغة او يكون ذلك من خصايص قريش فلا ينافي ان حكم الله المطرد في عدله ان لا يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازي على الافعال والاقوال الواقعة او ما هو منزل منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصايص هذه الامة عدم مواخذتها بما حدثت به نفسها وعن ام هاني بنت ابي طالب رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا اي ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اي على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القران لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم الله تعالى دون غيرهم في تلك المدة وعن انس رضي الله تعالى عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش اي وقال الايمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الايمة من قريش وفي الحديث عالم قريش يملا طباق الارض علما وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما قال جماعة من الايمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وفي كلام بعضهم ليس في الايمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه ان الامام مالك بن انس من قريش ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من ان جماع قريش قصي وقد ذكر ابن السبكي انهم ذكروا ان من خواص الشافعي رضي الله تعالى عنه من بين الايمة ان من تعرض اليه او الى مذهبه بسوء او نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله تعالى هذا كلامه قال الحافظ العراقي واسناد هذا الحديث

يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما لا يخلوا عن ضعف وبه يرد
ما زعمه الصاغاني من انه موضوع وحاشا الامام احمد ان يحتج بحديث موضوع او
يستانس به على فضل الشافعي وقال بن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل ذلك
اي في المناقب وزعم وضعه حسدا وغلط فاحش اي وعن الربيع قال رايت في
المنام كان ادم مات فسالت عن ذلك فقيل لي هذا موت اعلم اهل الارض لان الله علم
ادم الاسما كلها فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعي رضي الله عنه ورضي عنا به ومما
يوثر عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من المراكب في وجهك بما ليس فيك فقد
شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم بك ومن اذا ارضيته قال فيك ما ليس
فيك اذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا
تقدموها اي لا تتقدموها وفي رواية ولا تعالموها اي لا تغالبوها بالعلم
ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها اي لا تجعلوها في المقام الادني الذي هو
مقام المتعلم بالنسبة للمعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله
تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي
السنن الماثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رواية المزني عنه قال الطحاوي
قال حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان قتادة بن النعمان وقع في قريش
وكانه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم قريشا فانك
لعلك ترى منهم رجالا اذا رايتهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله
تعالى اي لولا انها اذا علمت ما لها عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل ربما ارتكبت
ما لا يجمل اتكالا على ذلك لاعلمتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب
وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم
يوما يا ايها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر اي من طلب لها المكايد
اكبه الله تعالى لمنخريه اي اكبه على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وعن سيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد بن العاص فسلم عليه فقال له يا بن
يا بن اخي ما قتلت اباك يوم بدر وما لي ان اكون اعتذر من قتل مشرك فقال له
سعيد ابن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فتعجب عمر من قوله وقال قريش

افضل الناس اخلاقا واعظم الناس امانة ومن يرد لقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا
كلامه والذي قتل العاص والد سعيد علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقيل سعد بن ابي
وقاص رضي الله تعالى عنه فعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قتلت يوم بدر
العاص واخذت سيفه ذا الكتيفة وقال صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس
وفي رواية خيار قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس اي ولعله سقط
من هذه الرواية قبل شرار الثانية لفظ خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضي لذلك
المقام ويحتمل ابقاذلك على ظاهره لانهم ممن يقتدى بهم فكانوا اشر الاشرار
ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار شرار الناس ثم رايت في كتاب السنن
الماثورة عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه رواه المزني عنه خيار قريش
خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث قريش ولاة هذا الامر فبر
الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش اهل امانة هكذا
قراه عليها المزني اهل امانة اي بالنون وانما هو اهل امامة بالميم وفي كلام فقهائنا
قريش قطب العرب وفيهم الفتوة ومما يدل على شرف هذا النسب ايضا ما جا عن عمرو بن
العاص رضي الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارني على من انا منهم من اولئك
العرب ومما جا عن واثلة بن الاسقع رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم اقول وجا بلفظ اخر عن واثلة وهو ان الله اصطفى من ولد ادم
ابراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل
نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة
قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من
بني عبد المطلب والله اعلم قال وفي رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل
واصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم ومما جا عن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال لي يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الارض
وغربها وسهلها وجبلها فلم اجد حيا خيرا من مضر ثم امرني فطفت في مضر فلم اجد حيا

خيرا من كنانة ثم ادرني فطفت في كنانة فلم اجد حيا خيرا من قريش ثم امرني فطفت
في قريش فلم اجد حيا خيرا من بني هاشم ثم امرني ان اختار في انفسهم اي اختار نفسا
من انفسهم فلم اجد نفسا خيرا من نفسك انتهى اي وفي الوفا عن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال ليس من العرب قبيلة
الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضرها وربيعتها ويمانيها قال وعن ابن عمر رضي
الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار
من الخلق بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر
قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى
خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على ان مضر ليس جماع قريش والا كانت
اولاده كلها قريشا وعن ابي هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقي ان الله حين خلق
الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة
الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله
في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم اخرجني
من خيار من انا منه قال بعضهم ما جاء في فضل قريش فهو ثابت لبني هاشم
والمطلب لانهم اخص وما ثبت للاعم يثبت للاخص ولا عكس وفي الشفا عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه قسم الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب
اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك
قوله تعالى اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى
وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا ابر ولد ادم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر ثم جعل
القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الاية فهذا كلام الشفا فليتامل والى شرف هذا النسب يشير صاحب
الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم * من كريم اباؤه كرماء

لنسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار * انت فيه اليتيمة العصماء

اي ظهر لهذا العالم منك كريم اي جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لي من فلان
صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من اب كريم سالم من نقص الجاهلية اباؤه
الشامل للامهات جميعهم كرماء اي سالمون من نقايص الجاهلية اي ما يعد في الاسلام
نقصا من اوصاف الجاهلية وهذا النسب لاجل سنه وجلالته اذا تاملته تظن
بسبب ما تحلى به من الكمالات لان معاليها جعلت الجوزاء نجومها التي يقال لها نطاق
الجوزاء قلادة لتلك المعالي وهذه القلادة نعم هي قلادة سيادة وتمدح موصوفة
بانك في تلك القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن الاعين لجلالتها
لا يقال شمول الاباء للامهات لا يناسب قوله لنسب لان النسب الشرعي في الاب خاصة
لانا نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوي او قد يقال سلامة اباء به من النقايص
انما هو من حيث ابوته اي كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم ان يكون امهاته كذلك
وسياتي لم يزل ينقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وسياتي الكلام
على ذلك مستوفا وقد قال الماوردي في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه
صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده صلى الله عليه وسلم علمت انه سلالة اباء كرام ليس
فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة

وهنا كلامه ومن كلام عمه ابي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها * ففي هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف القوم قومه واشرف
القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم وعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني

الله تعالى قال تبغض العرب فتبغضني وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق د في الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي
ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب
لثلاث لاني عربي والقران عربي وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لوا الحمد
يوم القيامة بيدي وان اقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم
اذا ذلت العرب ذل الاسلام د في كلام قعقاع بن الفرج اولى الامم لا يهم الحاطبون لولا
والدين عزلي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير
بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ
خلق الله تعالى ادم الا كنت في خيرها اقول د في لفظ اخر عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ثم
حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير انفسهم
ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وانا خيرهم نسبا
د في لفظ اخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين
فجعلني في خيرهم قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل الثلث
قبائل فجعلني في خيرها قبيلة ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وتقدم عن
الشعبي مثل ذلك مع زيادة الاستدلال بالايات وتقدم الامر بالتامل في ذلك والله
اعلم وفيه انه ورد النهي في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الاباء في الجاهلية
على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا باباءكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي
بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من اباءكم الذين ماتوا في الجاهلية اي والذي يدحرجه
الجعل هو النتن وجا في الحديث لتدعن الناس فخرهم في الجاهلية او ليكونن ابغض الى
الله تعالى من الخنافس وجا ان الحسب الفخر اي ما هو الشرف بالاباء التعاظم
بذلك واجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر انما اراد تعريفه
منازل اولئك ومراتبهم اي ومن ثم جا في بعض الروايات قوله ولا فخر اي فهو

من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر او هو اشارة الى نعمة الله تعالى
عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم ذلك الفخر ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا
اي وجدته الانبيا في اباءه فنسبا اي انه قذف بي في صلب ادم ثم في صلب نوح
ثم في صلب ابراهيم بدليل ما ياتي وما ياتي فيه وفي لفظ اخر عنه ما زال النبي
صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبيا اي المذكورين او وغيرهم حتى ولدته
امه اي وهذا كما لا يخفى لا ينافي وقوع من ليس نبيا في اباءه فالمراد وقوع
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم في نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت فروره
ان اباءه كلهم ليسوا انبيا لكن قال غيره لا زال نوره ينتقل من ساجد الى ساجد
قال ابو حيان واستدل بذلك اي بما ذكر من الاية المذكورة اي المفسرة
بما ذكره الرافضة على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين اي لان الساجد
لا يكون الا مؤمنا فقد عبر عن الايمان بالسجود وسياتي مزيد الكلام في ذلك وهو
استدلال ظاهري والا فالاية قيل معناها وتصفحك احوال المتهجدين من
اصحابك لانه لما نسخ فرض قيام الليل عليه وعليهم بنا على انه كان واجبا عليه وعلى
امته وهو الاصح وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان واجبا على الانبيا عليهم
السلام قبله صلى الله عليه وسلم طاف صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه
لينظر حالهم اي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة
المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير اي لان الله عز وجل
افترض عليه صلى الله عليه وسلم اي وعلى امته قيام الليل او نصفه او اقل او اكثر
في اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك في اخر السورة بما تيسر اي وكان نزول ذلك
بعد سنة ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سياتي وجعل بعضهم
ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا لما علمت ان اخر هذه السورة ناسخ و
منسوخ بفرض الصلوات الخمس واعترض بان الاخبار دالة على ان قوله تعالى
فاقرءوا ما تيسر من القران انما نزل بالمدينة يدل على ذلك قوله علم ان سيكون
منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون

في سبيل الله لان القتال في سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر
اختيار لا ايجاب **وقيل** معنى وتقلبك في الساجدين وتقلبك في اركان الصلاة
قائما وقاعدا وراكعا وساجدا في الساجدين اي المصلين ففي الساجدين ليس متعلقا
بتقلبك بل بساجدا المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المؤمنين انه من
جملة ابائه ازر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان كافرا لانا
نقول اجمع اهل الكتابين على ان ازر كان عمه والعرب تسمي العم ابا كما تسمى الخالة
اما حكى عن يعقوب انه قال اباي ابراهيم واسماعيل ومعلوم ان اسماعيل
انما هو عمه اي ويدل لذلك ان ابا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق والمعجمة
كما عليه جمهور اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ في الفتح لا ازر لكن
ادعى بعضهم انه لقب له لان ازر اسم صنم كان يعبده فصار له اسمان ازر
وتارخ كيعقوب واسرائيل **قال** بعضهم وقد تساهل من اخذ بظاهر
الاية كالقاضي البيضاوي وغيره فقال ان ابا ابراهيم مات على الكفر وما
قيل انه عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل **ويوافقه** ما في النهر نقلا عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ازر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ
السيوطي يستنبط من قول ابراهيم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب وكان ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة ان المذكور في القران بالكفر
والتبري من الاستغفار له اي في قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه هو عمه لا ابوه
الحقيقي قال فلله الحمد على ما الهم **اي** ولا يخفى ان هذا لا يتم الا اذا كان ابوه
الحقيقي حيا وقت التبري وان التبري سببه الموت اي موت عمه على الكفر
لا الوحي بانه يموت كافرا فليتامل **وحينئذ** يكون ابوه الحقيقي هو المعني
بقول ابي هريرة احسن كلمة قالها ابو ابراهيم ان قال لما راى ولده قد
القي في النار على تلك الحال وكان سنه حين القي في النار ست عشرة سنة
كما في الكشاف وفي كلام غيره كان سنه ثلاثين سنة بعد ما سجن ثلاثة عشر سنة
اي في روضة خضرا حوله النار لم يحرق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابراهيم

ابن عباس

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما خلق
الله تعالى ادم القى ذلك النور في صلبه قال صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض
في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب
الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
اقول قوله فاهبطني ينبغي ان لا يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا
كانت نورا بين يدي الله تعالى الى اخره فيكون نوره صلى الله عليه وسلم من جملة نور قريش
واودع في صلب نوح عليه السلام الى اخره **قوله** كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم
باربعة عشر الف عام اللازم لذلك ان يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور
قريش من نوره صلى الله عليه وسلم **وحكمة** اتصاله صلى الله عليه وسلم على من ذكر من
الانبياء عليهم السلام لا يخفى وهي انهم ابا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فمن ذرية
نوح هود وصالح ومن ذرية ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب
وموسى وهارون بناء على انه شقيق موسى ولابيه والاقسيا تي ان نوره انتقل الى شيث
وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسماعيل **وعن** علي بن الحسين عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام
ورايت في كتاب التشريفات في الخصايص والمعجزات لم اقف على اسم مولفه عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام فقال يا جبريل
كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست اعلم غير ان في الحجاب الرابع نجما يطلع في
كل سبعين الف سنة مرة رايته اثنين وسبعين الف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي
جل جلاله انا ذلك الكوكب رواه البخاري هذا كلامه **فلما خلق الله ادم** جعل ذلك النور
في ظهره **اي** فهو حالة كونه نورا سابق على قريش حالة كونها نورا بل سابق بل
على ان نوره صلى الله عليه وسلم سابق على ساير المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك
النور ادم وذريته وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون ادم خلق من نوره صلى الله عليه وسلم
وجعل نوره صلى الله عليه وسلم في ظهر ادم عليه السلام فقد تقدم في الخبر لما خلق الله تعالى
ادم جعل ذلك النور في ظهره اي فكان يلمع في جبينه فيغلب على ساير نوره الى اخر ما ياتي

ثم انتقل الي ولده شيث الذي هو وصيه وكان من جملة ما اوصاه به انه يوصي كل من انتقل اليه ذلك النور من ولده انه لا يضع ذلك النور الذي انتقل اليه الا في المطهرة من النسا ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الماضية الي ان وصل ذلك النور الي عبد المطلب اي وهذا السياق يدل علي ان ذلك النور كان ظاهرا ايمن ينتقل اليه من ابايه وهو وفق يخالف ما تقدم من تخصيص بعض ابايه بذلك ولم تلد حوي ولدا مفردا الا شيث كرامة لهذا النور قيل مكث في بطنها حتي نبتت اسنانه وكان ينظر الي وجهه من صفا بطنها وهو الثالث من ولد ادم وكانت تلد ذكرا وانثي معا اي فقيل انها ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة ويقال ان ادم لما مات بكي عليه من ولده وولد ولده اربعون الفا ولم يحفظ من نسل ادم الا ما كان من صلب شيث دون اخوته اي فانهم لم يعقبوا اصلا فهو ابو البشر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالي عنهما قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شي خلقه الله تعالي قبل الاشيا قال يا جابر ان الله تعالي قد خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره الحديث وفيه انه اصل لكل موجود والله سبحانه وتعالي اعلم واختلف الناس في عد طبقات انساب العرب وترتيبها والذي في الاصل عن الزبير بن بكار انها ست طبقات وان اولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها الزين العراقي بقوله

للعرب الربا طباق عدة ۞ فصلها الزبير وهي سته

اعمها الشعب فالقبيله ۞ عمارة بطن فخذ فصيله

اي فالشعب اصل القبايل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطون والبطن اصل الفخذ والفخذ اصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل شعبه خزيمة وكنانة قبيلته صلي الله عليه وسلم وقريش عمارته صلي الله عليه وسلم وقصي بطنه صلي الله عليه وسلم وهاشم فخذه صلي الله عليه وسلم وبنو العباس فصيلته صلي الله عليه وسلم وقيل بعد الفصيلة العشيره وليس بعد العشيرة شي وقيل بعدها الفصيلة ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينهما وقد ذكرها محمد بن سعد اثني عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة وفي كلام بعضهم الاسباط بطون

بني اسرايل

بني اسرايل والشعب في لسان العرب الشجره الملتفة الكثيرة الاغصان والاوراق والقبايل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتامل

باب الثاني في تزويج عبد الله ابي النبي صلي الله عليه وسلم امنة ام النبي صلي الله عليه وسلم وحفر بير زمزم

وما يتعلق بذلك قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان احسن رجل في قريش خَلقًا وخُلقًا وكان نور النبي صلي الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية كان احسن رجلا ربا بكسر الراو وضمها ثم همزة مفتوحة منظرا في قريش وفي رواية كان اجمل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم الي قريش وقد هدي الله تعالي والده فسماه باحب الاسما الي الله تعالي الي ففي الحديث احب الاسما الي الله تعالي عبد الله وعبد الرحمن وذلك لان اباه عبد المطلب حين امر في النوم بحفر زمزم بير اسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد دفنتها اي فان جرهما لما استخفوا بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رييسهم مضاض بن عمرو الجرهمي وحكي ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما راي ذلك منهم عمد الي غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال اي والسيوف والدروع علي ما سياتي التي كانت تهدي الي الكعبة ودفنها في بير زمزم مرات الزمان ان هاتين الغزالتين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس الثانية وورد بان الفرس لم تزل تحج الي البيت ولا تحجوه هذا كلامه وفيه ان هذا الابتدا في ذلك فليتامل وكانت بير زمزم نضب ماوها اي ذهب فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي ودفن الحجر الاسود ايضا كما قيل وطم البير واعتزل قومه فسلط الله تعالي عليهم خزاعة فاخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لم تزل زمزم مطمومة لا يعرف محلها مدة خزاعة ومدة قصي ومن بعده الي زمن عبد المطلب ورويا التي امر فيها بحفرها قيل وتلك المدة خمسماية سنة وكان قصي قد حفر بيرا في الدار التي سكنتها ام هاني اخت علي رضي الله تعالي عنهما وهي اول سقاية احتفرت بمكة فعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه قال قال عبد المطلب بينما انا نايم في الحجر اذ اتاني ات فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر بره فقلت وما بره فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت

الى مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان
الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف
ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل
وقوله لا تنزف اي لا يفرغ ماوها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد
حبشي فمات بها وانتفخ فنزحت من اجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماها يفور
من ثلاثة اعين اقواها واكثرها بناحية الحجر الاسود وقوله ولا تذم بالذال
المعجمة اي لا توجد قليلة الما من قولهم بير ذمة اي قليلة الما قيل وليس المراد انه
لا يذمها احد لان خالد ابن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك
ذمها وسماها ام جعلان واحتفر بيرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل
يفضلها علي زمزم ويحمل الناس علي التبرك بها وفيه ان هذا جراة منه علي الله
تعالى وقلة حيا منه وهو الذي كان يلعن ويفصح بلعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى
عنه علي المنبر فلا عبرة بذمه وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات
من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانها
ضن بها علي غير المومنين فلا يتضلع منها منافق وقد جا في رواية يقول الله
تعالى ضننت بها علي الناس الا عليك ولعل المراد الا علي اتباعك فيكون بمعنى ما قبله
وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علاماتها فجا الى قومه
وقال لهم اني قد امرت ان احفر زمزم قالوا فهل يكون بين لك ابن هي قال لا
قالوا فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا من الله يبين لك
وان يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه
فاتاه فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من ابيك الاعظم
لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب ابن هي فقال
هي بين الفرث والدم عند قرية النمل حين ينقر الغراب الاعصم غدا اي
والاعصم قيل احمر المنقار والرجلين وقيل ابيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام
الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة في النسا مثل الغراب
الاعصم بين ماية غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم ابيض

الجناحين

الجناحين وقيل ابيض احدي الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده
الحارث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم
اي في محلهما وذلك بين اساف ونايلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا
كانت تذبح عندهما ذبايحها اي التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جا في رواية
انه لما قام يحفرها راي ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث
والدم فبينما هو كذلك اذ ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد
فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز ان يكون فهم انه يكون الفرث
والدم موجودين بالفعل ولا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه ذلك
الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فارسل الله تلك البقرة ليري الامر عيانا وذكر
السهيلي لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا باس بها ولعل اساف ونايلة نقلا بعد
ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا
يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اسافا كان علي الصفا ونايلة علي
المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما اي ومن ثم لما جا الاسلام وكسرت
الاصنام كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان
شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من
شعاير الله الاية وقد يقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت
المسجد في موضع زمزم فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث
فليتامل الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الاولى فندت بقرة من
ذابحها اي ممن شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها اي تمم ذبحها فقد نحرت
بالحزورة وبالمسجد او يراد بنحرها في الحزورة ذبحها وبنحرها في المسجد سلخها وتقطيع
لحمها فقد راينا الحيوان بعد ذبحه يذهب الى موضع اخر ثم يقع به وعند ذلك جا
عبد المطلب بالمعول وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك
تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحارث
ذد عني اي امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما راوه غير نازع خلوا
بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدي له الطي اي البنا فكبر وقال

هذا طوي اسماعيل عليه السلام اي بناه فعرفت قريش انه اصاب حاجته فقاموا
اليه وقالوا والله يا عبد المطلب انها بير ابينا اسماعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا
معك فقال ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا فاحاكمنا
فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شيتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد
ابن هذيم وكانت باعالي الشام اي ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا
وسطيحا وتفلت في فيهما وذكرت ان سطيحا خلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها
ذلك وسطيح ستاتي ترجمته واما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يد واحدة
ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب
من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك ما بين الحجاز والشام مفازات لا ما بها
فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه وماء اصحابه فظمئوا ظما شديدا حتى
ايقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبايل قريش فابوا عليهم وقالوا نخشي على
انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ماترون قالوا ما راينا الا تبع رايك
فقال اني اري ان يحفر كل احد منكم حفيرة يكون فيها الي ان يموت فكلما مات رجل دفنه
اصحابه في حفرته ثم واروه حتي يكون اخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد اي تركه
بلا مواراة ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما امرت به فحفر كل حفيرة لنفسه
ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه والله ان القانا بايدينا
هكذا الي الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسي الله ان يرزقنا فانطلقوا
كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ما هم فاعلون فتقدم عبد المطلب الي راحلته
فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب
وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب اصحابه وملوا اسقيتهم ثم دعا القبايل
فقال هلموا الي الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا
واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب والله
لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك
زمزم فارجع الي سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الي
الكاهنة فلما جاء واخذ في الحفر وجد فيها الغزالتين من الذهب اللتين دفنهما

جرهم

جرهم ووجدوا فيها اسيافا وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك
في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الي امر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر
النون وسكون الصاد المهملة وبفتحها النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح
قالوا وكيف تصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج
قدحاه علي شي كان له ومن تخلف قدحاه فلا شي له قالوا انصفت فجعل قدحين
اصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش
ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل اي وجعلوا الغزالتين
قسما والاسياف والادراع قسما اخر وقام عبد المطلب يدعو ربه بشعر مذكور في
الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران علي الغزالتين وخرج الاسودان
علي الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف
بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالتين فكان اول ذهب حليت به الكعبة ذلك
ومن ثم جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما والله ان اول من جعل باب الكعبة ذهبا
لعبد المطلب وفي شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالتين في الكعبة فكان اول
من علق المعاليق بالكعبة وسياتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما
حليا لباب الكعبة وقد كان بالكعبة بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله تعالي
عنه لما فتحت مداين كسري كان مما بعث اليه منها هلالان فعلقا بالكعبة
وعلق بها عبد الملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير وعلق بها
الوليد بن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صفحة خضرا وعلق بها المنصور القارورة
الفرعونية وبعث المامون ياقوتة كانت تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن
الموسم في سلسلة من ذهب ولما اسلم بعض الملوك في زمنه ارسل اليها بصنمه الذي
كان يعبده وكان من ذهب متوجا ومكللا بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر
والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة ثم ان الغزالتين سرقتا وابيعتا من قوم تجار
قدموا مكة بخمر وغيرها فاشتروا بثمنها خمرا وقد ذكر ان ابا لهب مع جماعة نفدت
خمرهم في بعض الايام واقبلت قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا
بها خمرا وطلبتها قريش وكان اشدهم طلبا لها عبد الله بن جدعان فعلموا بهم
فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب ابو لهب هرب الي اخواله من خزاعة

فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزال الكعبة وقد قيل منافع
الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من النواحي لكثرة ما يربحون
فيها لانه كان المشتري اذا توقف انما سلعة في شرايها عدوه فضيلة له ومكرمة فكانت
ارباحهم تتكثر بسبب ذلك وما قيل في منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم الطعام
وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية
وتزيد في الهمة والاستعلا فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت هذه
المنافع وصارت ضررا صرفا ينشا عنها الصداع والرغبة في الدنيا لشاربها وفي الاخرة
تسقي عصارة اهل النار وفي كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر
العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجاة وهي مميتة
للقلب ومسخطة للرب ومن ثم جا انها اي الخمرة ليست بدوا ولكنها دا وجا
اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شي اي كان مغلقا وجا الخمر ام الفواحش وفي رواية
ام الخبايث وجا في الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا شفى من استشفى بها وقد قيل
لا منافاة بين كون الغزالين علقتا في الكعبة وسرقتا او سرقت احداها وبين
كون عبد المطلب جعلهما حليا للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب استخلص
الغزالين او الغزالة من التجار ثم جعلها حليا للباب بعد ان كان علقها في الابتداء
وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من ابار حفرت بمكة واول من حفر بها بير اقصي
كما تقدم وكان الما العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا
وصار هو وولده يملانه فيكسره قوم من قريش ليلا حسدا فيصلحه نهارا حين
يصبح فلما اكثروا من ذلك وجا شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا
فاري في المنام ان قل اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل [illegible]
حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى
بذلك فلم يكن يفسد حوضه احد الا رمي في جسده بدا ثم ان عبد ٨١
المطلب لما قال لولده الحارث ذد عني اي امنع عني حتى احفر وعلم انه لا قدرة
له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه من تبعا [illegible] لينحرن
احدهم عند الكعبة اي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف ابو المطعم

فقال له يا عبد المطلب

فقال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك اي متوحد بلا ولد
واحد ولا مال لك وما انت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب اتقول هذا
وانما كان نوفل ابوك في حجر هاشم اي لان هاشما كان خلف على ام نوفل وهو صغير
فقال له عدي وانت ايضا قد كنت في يثرب عند غير ابيك كنت عند اخوالك من بني النجار
حتى ردك عمك المطلب فقال له عبد المطلب او بالقلة تعيرني فلله علي النذر لئن اتاني
الله عشرة من الاولاد الذكور لانحرن احدهم عند الكعبة وفي لفظ ان اجعل احدهم
لله نحيره وقيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم فعن معاوية
رضي الله عنه ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر
بعض ولده فلما صاروا عشرة اي وحفر زمزم امر في النوم بالوفا بنذره اي
قيل له قرب احد اولادك اي بعد ان نسي ذلك وقيل قيل له ذلك اوف بنذرك
فذبح كبشا واطعمه الفقرا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح
ثورا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له في النوم قرب
ما هو اكبر من ذلك فقال وما هو اكبر من ذلك فقيل له قرب احد اولادك الذي
نذرت ذبحه فضرب القداح على اولاده بعد ان جمعهم واخبرهم بنذره
ودعاهم الى الوفا واطاعوه ويقال ان اول من اطاعه عبد الله وكتب اسم كل واحد
على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقايم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح
فخرجت على عبد الله اي وكان اصغر ولده واحبهم اليه مع ما تقدم من اوصافه
فاخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على اساف ونايلة والقاه
على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى
اثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى ان مات كذا قيل وفيه ان العباس
لما ولد صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاث سنين ونحوها فعنه رضي الله عنه اذكر مولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجي به حتى نظرت اليه
وجعلت النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته وقيل منعه اخواله بنو مخزوم
وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا له ارض ربك وافد ابنك ففداه
عابة ناقة وفي رواية واعظمت قريش ذلك اي وقامت سادة قريش من انديتها
اليه ومنعوه من ذلك وقالوا والله لا تفعل حتى تستفتي فيه فلانة الكاهنة

اي لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه حتى يذبحه اي
ويكون سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر وقال له بعض عظماء قريش
لا تفعل ان كان فداوه باموالنا فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك
كانت بخيبر فاتها فاسالها فان امرتك بذبحه ذبحته وان امرتك بامر لك وله فيه فرج
قبلته فاتاها اي مع بعض قومه ومنهم جماعة من اخوال عبد الله بني مخزوم فسالها وقص
عليها القصة فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى ياتي تابعي فاسئله فرجعوا من عندها ثم
غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت
تخرج عشرة من الابل وتقدح وكلما وقعت عليه يزاد الابل حتى تخرج القداح عليها فقرب
على عشرة فخرجت عليه فلم يزل يزيد عشرة ثم عشرة حتى بلغت مائة فخرجت القداح
عليها فقالت قريش ومن حضره قد انتهى رضا ربك فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب
عليها ثلاث مرات اي ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد اي من ادمي
ووحش وطير قال الزهري فكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل
اي بعد اذ كانت عشرة كما تقدم اي واما ما قيل ان القداح وقيل اول من سن ذلك
ابو سيار العدواني وقيل عامر بن الظرب فجرت في قريش اي وعلى ذلك فاولية عبد المطلب
اضافية ثم فشت في العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من ودي
بالابل من العرب زيد بن بكر من هوازن قتله اخوه اي واما ما قيل ان القداح
بعد المائة خرج على عبد الله ايضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة فخرج
على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا وقد ذكر الحافظ ابن كثير ان ابن عباس
رضي الله عنهما سالته امراة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها بذبح مائة
من الابل اخذا من هذه القصة ثم سالت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن ذلك فلم
يفتها بشيء فبلغ مروان ابن الحكم وكان اميرا على المدينة فامر المراة تعمل ما استطاعت
من خير بدل ذبح ولدها وقال ان ابن عباس وابن عمر لم يصيبا الفتيا ولا يخفى ان هذا
نذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شيء وعند ابي حنيفة ومحمد يلزمها
ذبح شاة في ايام النحر في الحرم اخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
قال القاضي البيضاوي وليس فيه ما يدل عليه وفي الكشاف انه صلى الله عليه وسلم انا ابن

الذبيحين

الذبيحين اي عبد الله واسماعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضي الله تعالى عنه
فتذاكر القوم الذبيح هل هو اسماعيل او اسحاق فقال معاوية على الخبير سقطتم
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي اي يشكو اليه جدب ارضه فقال
يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد علي بما افاء الله عليك
يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحين
يا امير المومنين قال عبد الله واسماعيل قال الحافظ السيوطي هذا حديث غريب
وفي اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما احب ابراهيم ولده اسماعيل
بطبع البشرية اي لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد اجرى الله العادة
البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالد وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره امره
الله بذبحه ليخلص سره من حب غيره بابلغ الاسباب الذي هو الذبح للولد
فلما امتثل وخلص سره لله ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام
الخلة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة
لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر وفي هذا وجا ما يدل على ان الذبيح اسحاق
حديث سئل صلى الله عليه وسلم اي النسب اشرف وفي رواية من اكرم الناس
فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله
ابن ابراهيم خليل الله كذا روي قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب
ابن اسحاق بن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوي ولما ذكر ان يعقوب
لما بلغه ان ولده بنيامين اخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يومئذ
ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت
موكل بنا البلاء اما جدي فربطت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق
فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه
ليذبح ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب فذهبت
عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك
حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك

دعوة ذريتك السابع من ولدك والسلام لم يثبت فمن كلام القاضي البيضاوي
وما روي ان يعقوب كتب ليوسف من يعقوب بن اسحاق ذبيح الله لم يثبت
اي ولعله لم يثبت ايضا ما في انس الجليل ان موسى لما اراد مفارقة شعيب
وذهابه الى وطنه مملكة فرعون بسط شعيب يديه وقال يا رب ابراهيم
الخليل واسماعيل واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد علي
قوتي ونصري فامن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته وذكر ان يعقوب
راى ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله
هو حي وعلمه ما يدعوا به وهو يا ذا المعروف الدايم الذي لا ينقطع معروفه
ابدا ولا يحصيه غيره فرج عني وذكر ان سبب ذبح اسحاق اي على القول بانه
الذبيح ان الخليل قال لسارة ان جاءني منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة
باسحاق وكان بينه وبين ولادة هاجر لاسماعيل ثلاثة عشر او اربعة عشر
سنة واسحاق اسمه بالعبرانية الضحاك وجا في حديث راويه ضعيف ان
داوود سال ربه فقال اي ربي اجعلني مثل آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب
فاوحى الله اليه اني ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحاق بالذبح فصبر
وابتليت يعقوب اي بفقد يوسف فصبر والحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح
ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده اي لما صبر الاب على ما امر به وسلم الولد لامر الله
حصلت المجازاة على ذلك باعطا النبوة قال الحافظ السيوطي وجزم بهذا القول
عياض في الشفا والبيهقي في المعرفة والاعلام وكنت ملت اليه في علم التفسير وانا
الان متوقف عن ذلك هذا كلامه وقد تنبأ كل من اسماعيل واسحاق ويعقوب
في حياة ابراهيم فبعث الله اسماعيل لجرهم واسحاق الى ارض الشام ويعقوب
الى ارض كنعان ولا ينافي ذلك اي كون اسحاق هو الذبيح بتسميته صلى الله عليه وسلم
من قول القائل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب كما تقدم تسمي العم ابا
وفي الهدي اسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علما الصحابة والتابعين
ومن بعدهم واما القول بانه اسحاق فمردود باكثر من عشرين وجها ونقل عن الامام

ابن تيمية

ابن تيمية ان هذا القول متلقى من اهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم الذي
هو التوراة بان فيه ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده وقد
حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحاق اي ومن ثم ذكر الحافظ ابن
زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علما اليهود اي ابني ابراهيم امر بذبحه
فقال والله يا امير المؤمنين ان اليهود يعلمون انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر
العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون
انه اسحاق لان اسحاق ابوهم ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح
رجحت فيها القول بان الذبيح اسماعيل جوابا عن سوال رفعه الي بعض الفضلا وفي
ان الذبيح اسماعيل محل الذبح منى وعلى انه اسحاق فمحله معروف بالارض المقدسة
على ميلين من بيت المقدس وفي كلام ابن القيم ما يؤيد كون الذبيح اسماعيل لا اسحاق
ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة
واستشكل كون اولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان حمزة
ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ يشكل قول بعضهم فلما
تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وابو لهب والعباس
وحمزة وابو طالب وعبد الله هذا كلامه واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون
له حينئذ اي عند ارادة الذبح ولدا ولد اي فقد ذكر ان لولده الحارث ولدين ابو سفيان
ونوفل وولد الولد يقال له ولد حقيقة هذا وذكر بعضهم ان اعمامه صلى الله عليه وسلم
كانوا اثني عشر وقيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال
ولا يشكل كون حمزة اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وكلاهما اصغر من عبد الله
ما تقدم من ان عبد الله كان اصغر بني ابيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد
انه كان اصغرهم حين اراد ذبحه لا بقيد كونهم عشرة او بذلك القيد ولا ينافيه كونه
ثالث عشرهم لان المراد به واحد من الثلاثة عشر وكان عبد الله كما تقدم احسن فتى
يرى في قريش واجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري
اي المضيء منسوب الى الدر حتى شغفت به نسا قريش ولقي منهن عنا ولينظر
ما هذا العنا الذي لقيه منهن قيل انه لما تزوج امنة لم تبق امراة من قريش

من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الامرضت اي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع
ابيه ليزوجه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان الهاء واما
الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في الاصل هي البياض اي وام وهب
اسمها قيلة بنت ابي كبشة اي وكان عمر عبد الله حينئذ نحو ثمان عشر سنة وعرض على امرأة
من بني اسد بن عبد العزى اي يقال لها قتيلة وقيل رقية وهي اخت ورقة ابن نوفل وهي
عند الكعبة وكانت تسمع من اخيها ورقة انه كائن في هذه الامة نبي اي وان من دلائله
ان يكون نورا في وجه ابيه اوانها الهمت ذلك فقالت لعبد الله اي وقد رات نور
النبوة في غرته ه اين تذهب يا عبد الله قال مع ابي قالت لك مثل الابل التي
نحرت عنك وقع علي الان قال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وانشد

اما الحرام فالممات دونه ❊ والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه ❊ يحمي الكريم عرضه ودينه

قال ومن شعر عبد الله والده صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي

لقد حكم البادون في كل بلدة ❊ بان لنا فضلا على سادة الارض
وان ابي ذو المجد والسودد الذي ❊ يشار به ما بين نشز الى خفض

اي ارتفاع وانخفاض وعن ابي يزيد المديني ان عبد المطلب لما خرج بابنه عبد الله
ليزوجه مر به على امرأة كاهنة من اهل تبالة بضم التا المثناة فوق بلدة
باليمن قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه
عبد الله فقالت يا فتى هل لك ان تقع علي الان واعطيك مائة من الابل فقال
عبد الله ما تقدم انتهى اقول قال الكلبي كانت اي تلك الكاهنة من اجمل النسا
واعفهن فدعته الى نكاحها فابى ولا منافاة لانه جاز ان تكون ارادته بقولها
وقع علي الان اي بعقد النكاح وفهم عبد الله انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد
الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا بنا على اتحاد الواقعة وان المراة في
هاتين الواقعتين واحدة وانما اختلف في اسمها وانه مر على تلك المراة في ذهابه مع ابيه
ليزوجه امنة ويدل لذلك اتيان المراة التي عرضت عليه فاعرضت خطابه سياق المواهب
يقتضي انها تصدت له وان الاولى عند انصرافه مع ابيه ليزوجه امنة وقوله قد رات

الكتب

الكتب اي ابي بجاز الهارات في تلك الكتب ان النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نورا
في وجه ابيه وانه يكون من اولاد عبد المطلب اوانها الهمت ذلك فطمعت ان يكون
ذلك النبي منها وبو بد الثاني ما سيأتي عنها والله اعلم فاتى عبد المطلب عظم منه وهو
وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا وكانت في
حجره لموت ابيها وهو وهب بن عبد مناف وقيل اتى عبد المطلب الى وهيب بن عبد مناف
فزوجه ابنته امنة وقدم هذا في الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهي يومئذ
افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين املك عليها
مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها
قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى اقول
فيه انه سياتي في فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحا المهملة عند شعب ابي طالب
المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن ان يقال ذلك الشعب
الذي في الحجون كان محلا لسكن ابي طالب في غير ايام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة
الوسطى كان ينزل فيه ابو طالب ايام منى فلا مخالفة والله اعلم ثم اقام عندها ثلاثة
ايام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امراته اي عند اهلها اي فهي واهلها
كانوا بشعب ابي طالب ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت
فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور
الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم بك حاجة قال وفي رواية انه لما مر بها
بعد ان وقع على امنة قال لها ما لك لا تعرضين علي ما عرضت بالامس قالت من انت
قال انا فلان قالت له ما انت هو لقد رايت بين عينيك نورا ما اراه الان
ما صنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكن رايت
في وجهك نورا فاردت ان يكون في وابى الله الا ان يجعله حيث اراد اذهب
فاخبرها انها حملت خير اهل الارض انتهى اقول وفي رواية ان المراة التي عرضت
نفسها عليه هي ليلى العدوية وان عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار
وانه رجع اليها بعد ان وقع على امنة وانتقل منه النور اليها وقال لها هل لك فيما
قلت قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به اي وفي سيرة ابن هشام

سررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت علي امنة فذهبت بها
ولين كنت اي وحيث كنت المت يامنة لتلدن ملكا ولايخفي ان تعدد الواقعة
ممكن وان هذا السياق يدل علي ان هذه المراة كان عندها علم بان عبد الله تزوج
امنة وانه يريد الدخول بها وانها علمت انه كاين بينهما يكون له الملك والسلطان
وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه علي المراة لم يكن لريبة بل لبستبين الامر الذي دعاها
الي بذل القدر الكبير من الابل في مقابلة هذا التي علي خلاف عادة النساء مع الرجال
ولا يجالف ذلك بل يوكده ما في الوفا من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما
عرضت عليه فاقبل اليها الحديث والله اعلم وعن الكلبي انه قال كتبت للنبي صلى
الله عليه وسلم خمسماية ام اي من قبل امه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد
بالسفاح الزنا فان المراة كانت تسافح الرجل مرة ثم يتزوجها ان اراد ٥
ولا شيا مما كان من امر الجاهلية اي من نكاح الام اي زوجة الاب لانه كان
في الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلفه علي زوجته اكبر اولاده من غيرها
وفي كلام بعضهم كان اقبح ٥ ما يصنعه اهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا
يعيبون المتزوج بامراة الاب ويسمونه الضيزن والضيزن الذي يزاحم
اباه في امراته ويقال له نكاح المقت وهو العقد علي الرابة وهي امراة الاب
والراب زوج الام وما قيل ان هذا اي نكاح امراة الاب وقع في نسبه
صلى الله عليه وسلم لان خزيمة احد ابايه لما مات خلف علي زوجته اكبر اولاده
وهو كنانة فجا منها بالنضر فهو قول ساقط غلط لان الذي خلف عليها
كنانة بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه ومنشا الغلط انه تزوج بعدها بنت
اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجا منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام
السهيلي نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات
التي انتهكوها ولا من العظايم التي ابتدعوها لانه امر كان في عمود نسبه صلى الله
عليه وسلم فكنانة تزوج امراة ابيه خزيمة وهي برة بنت مرة فولدت له النضر
ابن كنانة وهاشم ايضا قد تزوج امراة ابيه واقدة فولدت له ضعيفة
ولكن هذا خارج من عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها اي واقدة لم تلد

جدا له صلى

لعله الابن

لعله العقد

جداه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح ولذلك
قال الله تعالي ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الا ما قد سلف اي الا ما قد سلف
من تحليل ذلك قبل الاسلام وفايدة هذا الاستثنا ان لا يعاب نسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن في اجداده صلى الله عليه وسلم من كان بغية
ولا من سفاح الا ترى انه لم يقل في شي نهي عنه في القران اي مما لم يبح لهم الا ما قد
سلف نحو قوله تعالي ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا في شي من المعاصي التي نهي عنها الا في هذه
وفي الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا ايضا في شرع من كان
قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد
سلف التفات الي هذا المعني هذا كلامه فلا التفات اليه ولا معول عليه علي ان
قوله ان يعقوب جمع بين الاختين ينازعه قول القاضي البيضاوي ان يعقوب
انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل وفي اسباب النزول للواحدي ان في
البخاري عن اسباط قال المفسرون كان اهل المدينة في الجاهلية في اول الاسلام
اذا مات الرجل وله امراة جا ابنه من غيرها فالقي ثوبه علي تلك المراة وصار احق
بها من نفسها ومن غيرها فان شا ان يتزوجها تزوجها من غير صداق الا الصداق
الذي اصدقها الميت وان شا زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها شيا وان
شا عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار فجا ولده من غيرها وطرح
ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدي منه فاتت
تلك المراة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالي الاية ولا تنكحوا
ما نكح اباوكم من النسا الاية وقيل توفي ابو قيس فخطب ابنه قيس امراة ابيه
فقالت اني اعدك ولدا ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فاتته
فاخبرته فانزل الله تعالي الاية وعن البرا ابن عازب قال لقيت خالي يعني ابا
البردا رضي الله عنه ومعه الراية فقلت اين تريد قال ارسلني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الي رجل تزوج امراة ابيه ان اضرب عنقه زاد في رواية واخذ
ماله وذكر بعضهم ان في الجاهلية كان اذا اراد الشخص ان يتزوج يقول خطب ويقول

اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قايما مقام الايجاب والقبول ومن نكاح الجاهلية الجمع
بين الاختين فانه كان مباحا عندهم اي مع استقباحهم له كما تقدم وذكر بعضهم
ان قبل نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين اي ثم حرم ذلك بنزولها قال
وقد افتخر صلي الله عليه وسلم بجداته اي تحدث بنعمة ربه قاصدا به التنبيه
علي شرف هولا النسوة وفضلهن علي غيرهن فقال انا ابن العواتك والفواطم
فعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجري فرسه مع ابي ايوب الانصاري
فسبقته فرس المصطفي فقال صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر
يعني فرسه وقال في بعض غزواته اي في غزوة حنين وفي غزوة احد
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا ابن العواتك وجا انا ابن العواتك
من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبين
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في يوم احد انا ابن الفواطم اي ولا ينافيه
ما سبق انه قال في ذلك اليوم انا ابن العواتك لانه يجوز ان يكون قال كلا من
الكلمتين في ذلك اليوم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم
فمن مكثر ومن مقل وقد نقل الحافظ بن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم
اربع عشره وقيل احدي عشرة اي واولهن ام لوي بن غالب واللواتي من بني سليم
منهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال
ام هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال ام ابي امه وهب اي وقيل اراد بالعواتك
من بني سليم ثلاثة من بني سليم ابكارا ارضعنه كما سياتي في قصة الرضاع
وكل واحدة منهن تسمي عاتكة قال وعن سعد ان الفواطم من جداته
عشرة انتهي اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف علي من اسمه فاطمة
من جداته من جهة ابيه الاعلي اثنتين فاطمة ام عبد الله وفاطمة ام قصي
الا ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه بل اراد
الاعم حتي يشمل فاطمة ام اسد بن هاشم وفاطمة بنت اسد التي هي ام ابي طالب
وفاطمة امها وهولا الفواطم غير الثلاثة الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم
لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة

فان هولا

فان هولا فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت اسد
ثم رايت بعضهم عد فيهن ام عمرو بن عايذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام
وامها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف ام ام عبد مناف والد هاشم
وعن عايشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت
من نكاح غير سفاح اي زنا فقد تقدم ان المراة كانت تسافح الرجل مدة
ثم يتزوجها ان اراد فكانت العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان
يتورع عنه علانية والا بعض افراد منهم حرمه علي نفسه في الجاهلية اي
وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الي
ان ولدني ابي وامي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح اهل
الاسلام قال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم ولم تزل تتنازعني الامم
كابرا عن كابر حتي خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة انتهى
اقول والبغايا كن في الجاهلية ينصبن علي ابوابهن رايات تكون علما لمن
اراد ان يدخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها اجمعوا لها
ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتاطه اي تعلق
والتحق به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك والله اعلم قال وعن انس رضي الله تعالى
عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من انفسكم بفتح الفا
وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابايي من لدن ادم سفاح كلها نكاح
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنكاح الاسلام اي يخطب الرجل الي الرجل
موليته فيصدقها ثم يعقد عليها انتهى وعن الامام السبكي الانكحة التي في نسبه
صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة الاسلام ولم يقع في نسبه صلى الله
عليه وسلم منه الي ادم الا نكاح صحيح مستجمع لشرايط الصحة لنكاح الاسلام الموجود اليوم
قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والاخرة قال
بعضهم وهذا من اعظم العناية به صلى الله عليه وسلم ان اجرى الله سبحانه نكاح
ابايه من ادم الي ان اخرجه من بين ابويه علي نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم

لم يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا اراد الرجل ان يتزوج قال خطب ويقول اهل
الزوجة نكح كما تقدم ويكون ذلك قايما مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام
ما يفيد الحل حتى يشمل التسري بنا على ان ام اسماعيل كانت مملوكة لابراهيم حتى حملت
باسماعيل ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك وعن عايشة رضي الله عنها كما في البخاري
ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحا نكاح كنكاح الناس اليوم اي بايجاب وقبول
شرعيين دون ان يقول الزوج خطب ويقول اهل الزوجة نكح وحينيذ يزيد
على ذلك النكاح الذي كان يقال فيه ذلك ونكاح البغايا ونكاح الاستبضاع ونكاح
الجمع اي ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب لاكبر اولاده والجمع بين الاختين
على ما تقدم وحينيذ يكون المراد ليس في نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح زوجة الاب الا لما
لما تقدم عن السهيلي ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو ان يطا البغي
جماعة متفرقين واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت الحق الولد بمن غلب عليه
شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المراة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها
يقول لها زوجها ارسلي الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى
يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها
اذا احب وليس فيه نكاح الجمع وهو ان تجمع جماعة دون العشرة ويدخلون على
امراة من البغايا ذوات الرايات كلهم يطوها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال
بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول
لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت منهم فيلحق
به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا
قسمان وحينيذ يحتمل ان يكون ام عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني
من نكاح البغايا فانه يقال انه وطيها اربعة وهم العاص وابو لهب وامية بن خلف
وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمروا فالحقته بالعاص وقيل لها لم اخترت
العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل ان يكون من القسم الاول ويدل
عليه ما قيل انه الحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره بذلك
علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وسياتي ذلك في

قصه

قصة قتل عثمان عند الكلام على بنا مسجد المدينة قال وجا انه صلى الله عليه وسلم
قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات اي وفي رواية لم يزل
الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وروى البخاري بعثت من خير
قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه انتهى وقد تقدم في قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى ساجد وتقدم ما فيه من جملة قول الرجال
ان ذلك استدل به بعض الرافضة على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين متمسكين
بشرايع انبيايهم ثم رايت الحافظ السيوطي ذكر الذي تلخص ان اجداده صلى الله عليه وسلم
من ادم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم اي في الاحاديث واقوال السلف وبقي بين مرة
وعبد المطلب اربعة اجداد لم اظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سياتي الكلام فيه وقد
ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة اي لانه سياتي
انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
اي لم يعبد الاصنام والثالث ان الله تعالى احياه له بعد البعثة حتى امن به ثم مات وهذا
اضعف الاقوال واوهاها لم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل به احد من ايمة
السنة وانما حكي عن بعض الشيعة قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب
الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى ادم
وحوى ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز
ان يكون المراد بها ما قابل انكحة الجاهلية المتقدمة وقد اشار الى الاسلام بايمانهم صاحب

الهمزية يقول

لم تزل في ضماير الكون تختار لك الامهات والابا

اي لان الكافر لا يقال انه مختار الله والسبب الذي دعى عبد المطلب لاختيار بني زهرة
ما حدث به ولده العباس رضي الله تعالى عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن
في رحلة الشتا فنزلت على حبر من اليهود يقرا الزبور اي الكتاب ولعل المراد به
التوراة فقال من الرجل قلت من قريش قال من ايهم قلت من بني هاشم قال اتاذن
لي ان انظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر
في الاخرى فقال اشهد ان في احدى يديك وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى

نبوة وانا اجد ذلك اي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذاك قلت لا ادري
قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة اي لانها تشايع اي تتابع
وتناصر زوجها قلت اما اليوم فلا اي ليست لي زوجة من بني زهرة اذ كان
معه غيرها او مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج منهم اي
وهذا الذي ينظر في الاعضا في غيلان الوجه فيحكم علي صاحبها بطريق الفراسة
يقال له حزّاء بالمهملة وتشديد الزاي اخره همزة منونة وقد ذكر الشيخ عبد
الوهاب عن شيخه علي الخواص نفعنا الله تعالي ببركاتهما انه كان اذا نظر
لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الي ان يموت علي التعيين
من صحة فراسته هذا كلامه اي ومن ذلك ان معاوية بن ابي سفيان تزوج
امراة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد اذهبي فانظري اليها
فاتتها فنظرت ثم رجعت اليه وقالت هي بديعة الحسن والجمال ما رايت مثلها
لكن رايت خالا اسود تحت سرتها وذلك يدل علي ان راس زوجها يقطع ويضع
في حجرها فطلقها معاوية رضي الله تعالي عنه ثم تزوجها النعمان ابن بشير رضي الله تعالى
عنه وكان واليا علي حمص فدعي لابن الزبير وترك مروان ثم خاف من اهل حمص لما
تبعوا مروان ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا راسه ووضعوها
في حجر تلك المراة ثم بعثوا بتلك الراس الي مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم لان امه لما ولدته وكان اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة علي
ما سياتي حملته الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعي بتمرة فمضغها ثم وضعها
في فيه فحنكه بها فقالت يا رسول الله ادع الله تعالي ان يكثر ماله وولده فقال
اما ترضين ان يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة وهو الذي اشار علي
يزيد بن معاوية باكرام ال البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من اولاده
واولاد اخيه واقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو راهم علي هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم ورده معهم وامره باكرامهم
علي ما سياتي ذكرهم وما يروى عنه رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان للشيطان فخوخا ومصالي وان من مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله

والفخر

والفخر بعطا الله والكبر علي عباد الله واتباع الهوي في غير ذات الله وقد ذكر ان حمص
نزل بها تسعماية من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وفي حياة
الحيوان ان حمص لا تعيش بها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها
قيل لطلسم بها وفي حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزّاء هو
الكاهن وقيل هو الذي يحزر الاشيا ويقدرها بظنه ويقال للذي ينظر في النجوم
فانه ينظر فيها بظنه فربما اخطا اي لان من علوم العرب الكهانة والقيافة والزجر
والخط اي الرمل والطرح معرفة الانوا ومهاب الرياح فلما رجع عبد المطلب الي
مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية وزوج
ابنه عبد الله امنة بنت وهب اخي وهيب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله علي ابيه اي فاز وظفر لان الفلج بالفا واللام
المفتوحتين والجيم الفوز والظفر اي فاز وظفر اي عالم يناله ابوه من وجود هذا
المولود العظيم الذي وجد عند ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره اي وفي كلام عبد
ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم امنة في مجلس خطبة عبد الله
لامنة وتزوجا واولما ثم ابتنابهما ثم رايت في اسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد
المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد قيل وفيه تصريح بان عبد الله كان موجودا
حين قال الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع
انتقالها لعبد الله وقد يقال من اين ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه
من عند الحبر حتي يكون قول الحبر لعبد المطلب صادرا بعد وجود عبد الله جاز
ان يكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل ولادة عبد الله وفيه ان هذا
لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بني زهرة الا ان يقال يجوز ان يكون
عبد الله وجد من بني زهرة لجواز ان يكون عبد المطلب تزوج من بني زهرة
غير هالة فاولدها عبد الله ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احد يديه
الملك وانه يكون في بني زهرة مشكل ايضا لان الملك لم يكن الا في اولاد ولده
العباس ولا يستقيم الا لو كانت ام العباس من بني زهرة اما هالة التي هي ام حمزة
او غيرها وام العباس ليست من بني زهرة خلافا لما وقع في كلام بعضهم ان العباس

ولدته فهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون
الملك والنبوة اللذين عناهما الحبر هما نبوته صلي الله عليه وسلم وملكه صلي الله عليه وسلم
لانه صلي الله عليه وسلم اعطيهما اي كل من الملك والنبوة المنتقلين اليه صلي الله عليه وسلم
من ابيه عبد الله بنا علي ان عبد الله امه كانت من بني زهرة ولعله لاينافيه قول
بعضهم تزوج ابو طالب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل
من ذهب فولدت له ابو طالب وعبد الله والد النبي صلي الله عليه وسلم لانه يجوز
ان تكون فاطمة هذه من بني زهرة وحينئذ لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت
فتزوج منهم اي من بني زهرة لعبد قوله الك شاعة وقيل اي الذي دعا عبد المطلب
لاختيار امنة من بني زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة الكاهنة
وهي عمة وهب والد امنة امه صلي الله عليه وسلم كان من امرها انها لما ولدت راها
ابوها زرقا شيما اي سودا وكانوا يئدون من البنات من كانت علي هذه الصفة
اي يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن علي هذه الصفة مع ذل وكاية اي لانه سباني يد
ان الجاهلية كانوا يقتلون البنات وهن احيا خصوصا كندة قبيلة من العرب
خوف العار او خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل يحيي الموءودة لاجل الاملاق
يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك لا تفعل انا اكفيك مونتها فياخذها
فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مونتها
وكان صعصعة جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فامر ابوها بوادها وارسلها
الي الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد
الصبية وخلها فالتفت فلم ير شيا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع اخر
في المعني فرجع الي ابيها واخبره بما سمع فقال ان لها لشانا وتركها فكانت كاهنة
قريش فقالت يوما لبني زهرة فيكم نذيرة وتلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم
فعرض عليها فقالت في كل واحدة منكن قولا ظهر بعد حين حتي عرضت عليها
امنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة او تلد نذيرا له شان وبرهان منير
اي فاختار عبد المطلب لامنة من بني زهرة واضح من سياق قصة هذه
الكاهنة واما اختياره لتزوجه بعض نسا بني زهرة فسببه ما تقدم عن الحبر

على

علي ان ام عبد الله كانت من بني زهرة واما جعل الشمس الشامي ما تقدم عن الحبر
سببا لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امراة من بني زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف
ياتي ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله الك شاعة اي زوجة
ثم رايت ابن دحية ذكر في التنوير عن السرقا ان سبب تزويج عبد الله امنة ان
عبد المطلب كان ياتي اليمن ينزل فيها علي عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا
عنده رجل من قرا الكتب فقال له ائذن لي ان افتش منخرك فقال دونك فانظر
فقال اري نبوة وملكا واراهما في المنافين عبد مناف ابن قصي وعبد شمس ابن
عبد مناف وبني زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب
فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله امنة فولدت له رسول الله صلي الله عليه وسلم
وهذا اوضح لانه اسقط قول الحبر لعبد المطلب هل لك شاعة الي اخره فاحتاط عبد المطلب
فتزوج من بني زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان المناسب للترقي
ان يورد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله امنة قوله وتزوج عبد المطلب هالة

باب الثالث في ذكر حمل امنة به صلي الله عليه وسلم وعلي جميع الانبيا والمرسلين

عن الزهري قال قالت امنة لقد علقت به صلي الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة
حتي وضعته وعنها انها كانت تقول ما شعرت بفتح اوله وثانيه اي ما علمت
باني حملت به ولا وجدت له ثقلا بفتح القاف كما تجد النسا الا اني انكرت رفع
حيضتي بكسر الحا الهيئة التي تلزمها الحايض من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة
من دفعات الحيض اي والذي ينبغي ان يكون الثاني هو المراد واستعملت المرة في مطلق
الدم قراه الحايض وربما يويد ان هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم
للحيض قالت وربما ترتفعني وتعود اي فلم يكن فيها دليل علي الحمل اي وهذا ربما يفيد
ان حيضها تكرر قبل حملها به صلي الله عليه وسلم ولم اقف علي مقدار تكرره وقد
ذكر ان مريم حاضت قبل حملها بعيسي عليه السلام حيضتين قالت امنة واتاني
اي من الملايكة وانا بين النايمة واليقظانة وفي رواية بين النايم اي الشخص النايم
واليقظان فقال هل شعرت بانك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها اي وفي رواية
بسيد الانام اي اعلمني بذلك وامهلني حتي دنت ولادتي اتاني فقال قولي اذا

اذا ولدته فسميه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد اي ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل
احمد يحمده اهل السما واهل الارض وفي القران محمد اي والقران كفا به وسياتي عن محمد الباقر
ان تسمية احمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت ابيات لا اصل لها واذا ثبت انها
قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان امنة رقت النبي صلي الله
عليه وسلم من العين اقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من قول الملك لانها
لم تجد ما تستدل به علي ذلك لانها لم تجد ثقلا وعادتها ان حيضها ربما عاد بعد
عدم وجوده في زمنه المعتاد لها اي ولم تعول علي مفارقته النور لعبد الله
وانتقال النور الي وجهها علي ما ذكر بعضهم ففي كلام هذا البعض لما فارق
النور وجه عبد الله انتقل الي وجه امنة ولا علي خروج النور منها منا ما ويقظة
بنا علي انه غير الحمل علي ما ياتي لخفا دلالة ما ذكر علي ذلك ولعل اباه عبد الله لم
يبلغها قول المراة التي عرضت نفسها عليه اذهب فاخبرها انها حملت خير اهل
الارض والتقل في ابتدا الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سياتي يجوز ان
يكون بعد اخبار الملك لها لكن في المواهب في رواية عن كعب ان مجي الملك لها
كان بعد ان مضي من حملها ستة اشهر فليتامل فان الستة اشهر لا يقال انها
ابتدا الحمل ونص الرواية كانت امنة تحدث وتقول اتاني ات حين مر بي من حملي
ستة اشهر في المنام وقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدته
فسميه محمدا واكتمي شانك الا ان يقال يجوز تعدد الملك او تكرر مجي الملك لها
فليتامل والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان من دلالة حمل امنة
برسول الله صلي الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اي التي حملت فيها
اي في اليوم قبلها برسول الله صلي الله عليه وسلم اي بنا علي ما هو الظاهر مما
تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول الله
صلي الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا
اصبح منكوسا اي ومثل هذا لا يقال من قبل الراي اقول دلالة الاول علي
مطلق الحمل به صلي الله عليه وسلم لا علي خصوص حمل امنة به حينيذ واضحة
واما دلالة الثاني عليه فقد يتوقف فيها الا ان يقال ان ذلك كان من علامة

الحمل به صلي الله عليه وسلم في الكتب القديمة مع ان المدعي في كلام ابن عباس انما هو
خصوص حمل امنة به علي ان السياق يدل علي ان المراد علم امنة بحملها به صلي الله
عليه وسلم والله اعلم وعن كعب الاحبار ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام
الدنيا منكوسة اي ولعل ذلك كان من علامة حمل امه به صلي الله عليه وسلم في الكتب
القديمة وقول الصادق لا يتخلف وسياتي ان عند ولادته ايضا تنكست تلك
الاصنام ولا مانع من التعدد قال وروي الحاكم وصححه ان اصحاب رسول الله
صلي الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى اخي عيسي ورات امي حين حملت بي كانه خرج منها نور وفي لفظ
سراج وفي لفظ شهاب اضات له قصور بصرى من ارض الشام قال
الحافظ العراقي وسياتي انها رات النور خرج منها عند الولادة وهو اولي لكون
طرقه متصلة ويجوز ان يكون خرج منها النور مرتين مرة حين حملت به صلي
الله عليه وسلم ومرة حين وضعته صلي الله عليه وسلم اي وكلاهما يقظة ولا مانع
من ذلك اوهذه اي روية النور حين حملت به كانت منا ما كما تصرح به الرواية
الاتية وتلك يقظة فلا تعارض بين الحديثين اقول الرواية الاتية هي رواية
شداد بن اوس ولفظها انها رات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا وهي
تفيد ان ذلك النور هو نفس حملها فهو بعد تحقق حملها وظهوره وفي الرواية
التي هنا تفيد ان النور غيره وانه كان وقت ابتدا وجود الحمل فلا يصح حمل احدهما
علي الاخري الا ان يقال المراد بحين حملت زمن حملها وان النور كان هو ذلك
لكن الذي ينبغي ان تكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولي حاصلة
قبيل الولادة فتكون رات النور عند الولادة منا ما ويقظة تانيسا لها علي انه
يجوز ابقا الروايات الثلاث علي ظاهرها وانها رات منا ما انه خرج منها نور
عند ابتدا الحمل ثم رات كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رات
يقظة عند وضعه خروج النور وسياتي في رواية عن امه صلي الله عليه وسلم انها قالت
وضعته خرج معه نور ويحتمل ان لا تخالف هذه الرواية الثالثة حتي تكون رابعة تبصري
اول تبعه من الشام مخلص اليها نور النبوة وعلي انه مرتين ناسب قدومه صلي الله عليه وسلم

لها مرتين مرة مع عمه ابي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة كما سياتي وبها مبرك
الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك فيه وبني على ذلك المحل
مسجد وهذه الكائنة اول مدينة فتحت من ارض الشام في الاسلام وكان فتحها صلحا
في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبها قبر سعد ابن عبادة وهي من ارض حوران
والله اعلم ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عابد اي بالبا المثناة
تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا
ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النسا اي وقد ولد عند وجود المشتري
وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم
الانور وكانت امه صلى الله عليه وسلم تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم
بركة منه وروى ابن حيان عن حليمة رضي الله تعالى عنها عن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم
انها قالت ان لابني هذا شانا اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف علي ولا اعظم منه
بركة وقيل بقي عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر اي ويكون
ذلك اية كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكما المنجمين على ان
من يولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو اقل
مدة الحمل اي فقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك ان الولد عند استكمال سبعة اشهر
يتحرك للخروج حركة عنيفة اقوى من حركته في الشهر السادس فان خرج عاش وان لم
يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة له فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك
تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف
فلا يعيش لاستيلا حركتين مضعفتين له مع ضعفه وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي
لم ار للثامنة صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن
يموت ولا يعيش وعلى فرض ان يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر
الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت اي وقيل كان حمله
ووضعه صلى الله عليه وسلم في ساعة واحدة وقيل في ثلاث ساعات اي كما قيل بذلك
في عيسى اي وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح
والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار

واتاهم

واتاهم الرغد من كل جانب في تلك السنة وفي حديث سطحون فيه فاذن الله تلك السنة
لنسا الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولم اقف على ما يجري في تلك السنة
المدام من انه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى في بطن امه كما نقل عن عيسى انه كان يكلم امه
اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي تسمع وعن شداد بن اوس
قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ كبير من بني عامر هو سيد قومه
اي المقدم فيهم يتوكا على عصى فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن
عبد المطلب اني انبيت انك تزعم انك رسول الله الى الناس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى
وعيسى وغيرهم من الانبيا الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبيا والخلفا اي معظمهم
في بيتين من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فالك والنبوة ولكن
لكل حق حقيقة فانبئني بحقيقة قولك وبدء شانك قال فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم
بمسئلته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي سالتني عنه نبا ومجلسا فاجلس فثنى
رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال يا اخا بني عامر
ان حقيقة قولي وبدء شاني اني دعوة ابي ابراهيم اي حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اي وعند ذلك
قيل له قد استجيب لك وهو كاين في اخر الزمان كذا في تفسير ابن جرير قال في ينبوع الحياة
اجمعوا على ان الرسول المذكور ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم اقول وفيه ان جبريل اعلم
ابراهيم قبل ذلك بانه يوجد نبي من العرب من ذريته ولده اسماعيل فقد جاء ان ابراهيم
لما امر باخراج هاجر ام ولده اسماعيل حمل هو وهي وولدها على البراق فلما اتى مكة
قال له جبريل انزل فقال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم ها هنا يخرج النبي الامي الذي من
ذرية ولدك يعني اسماعيل الذي تتم به الكلمة العليا الا ان يقال الغرض من دعائه
بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان ام اسماعيل قالت لابراهيم ما قاله لجبريل والله اعلم
ثم قال وبشرى اخي عيسى وفي رواية انا اخر من بشر بي الانبيا عيسى بدليل
الرواية الاخرى وكان اخر من بشر به عيسى لان الانبيا بشرت به قومها الى ان بشر
صاحب الهمزية بقوله
ما مضت فترة من الرسل الا ... بشرت قومها بك الانبيا

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد اي
والمبشر بهم من الانبيا قبل وجودهم ايضا اربعة اسحاق ويعقوب ويحيى وعيسى
قال تعالى في حق سارة فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قيل بشرت بان
تبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحاق وقال في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال
في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ثم قال واني كنت بكر ابي وامي وانها
حملتني كاثقل ما تحمل النسا وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها رات في المنام
ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى
اضاءت له مشارق الارض ومغاربها الحديث وستاتي تتمته في الرضاع اي وقال ابن
الجوزي ممن روى عن امه صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا رسول الله
ما كان بدو امرك قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي قالت خرج مني
نور اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذي وقع في هذه الرواية
كان في ابتدا الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار
الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال اقول قد قدمنا انه يجوز ان يكون
هذا الثقل الواقع في ابتدا الحمل كان لمجي اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق
وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن الزهري قال قالت امنة لقد علقت به
فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن ان يكون المراد بالمشقة ما تقدم في بعض الروايات
لم تشك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النسا اي فمع وجود الثقل
لم تحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي شكواها ما تجده من ثقله والله تعالى اعلم

باب الرابع في وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحاق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حامل به اي كما عليه اكثر العلما ه اي وصححه الحافظ الدمياطي وسياتي
في بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة
قيل وان موت والده صلى الله عليه وسلم كان بعد ان تم لها من حملها شهران
وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان في المهد حين توفي ابوه ابن شهرين وذكر السهيلي

ان عليه اكثر العلما بالتامل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة اشهر اي وقيل ابن تسعة
اشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول لكثير من الاكثرين ه وقيل ابن ثمانية
عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اي وما ياتي في الرضاع من ان المراضع ابته
ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع ولذا يخالف القول الذي قبله لانه لم يبق من زمن
الرضاع الا شهران وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها ليمتار تمرا او للزيارة اخواله
بها اي اخوال ابيه عبد المطلب ه بني عدي بن النجار اي ولا مانع من قصد الامرين
معا وقيل خرج الى غزة في عير من عيرات قريش والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت
جمع عير وهي التي تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة
وعبد الله مريض فقال انا اتخلف عند اخوالي بني عدي بن النجار والنجار هذا اسمه تيم قيل و
له النجار لانه اختتن بقدوم اي وهو الة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل بقدوم فقام
عندهم مريضا شهرا اي وهذا اثبت من الاول ه ومضى اصحابه فقدموا مكة
فسالهم ابوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند اخواله بني عدي بن النجار وهو
مريض فبعث اليه اخاه الحارث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم اي ومن ثم
كان يكنى به ولم يدرك الاسلام فوجده قد توفي اي وفي اسد الغابة ان عبد المطلب
ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله فشهد وفاته ودفن في دار النابغة بالنون
المثناة فوق والبا الموحدة والعين المهملة اي وهو رجل من بني عدي بن النجار اي
تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر الى تلك الدار عرفها وقال ها هنا
نزلت بي امي وفي هذه الدار قبر ابي عبد الله واحسنت العوم في بير بني عدي بن النجار
ومن هذا ومما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم
كان هو واصحابه يسبحون في غدير اي في الجحفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر فسبح النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر حتى اعتنقه وقال انا وصاحبي انا وصاحبي
وفي رواية انا الى صاحبي انا الى صاحبي يعلم رد قول بعضهم وقد سيل هل عام صلى
الله عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت انه سافر في بحر ولا بالحرمين بحر قال وقيل قد توفي
ودفن ابوه بالابوا محل بين مكة والمدينة انتهى اقول سياتي ان الذي بالابوا قبر امه

صلى الله عليه وسلم على الاصح فلعل قايل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز ان يكون سمعه
صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابوا هذا قبر احد ابوي وقد ذكر بعضهم في حكمة تربيته
صلى الله عليه وسلم يتيما ما لا نطيل به وقد جا ارحموا اليتامى واكرموا الغربا فاني كنت
في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا وقد جا ان الله لينظر كل يوم الى الغريب الف نظرة والله اعلم
واورد الخطيب عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان الله احيا له اباه وامن به وفي رواية
احيا الله له ابويه حتى امنا به قال السهيلي وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير
انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع يرده القران
والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا اي معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد ساله رجل
اين ابي فقال في النار فلما قفا اي ولى دعاه وقال له ان ابي واباك في النار فيه ان
هذا رواه مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا اي معارضا له اقول هو على تقدير
ثبوته يكون معارضا على ان حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله ان ابي
واباك في النار وهذه اللفظة انما رواها حماد بن سلمة عن ثابت عن انس وخالفه
معمر عن ثابت عن انس فروي بدل ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد
نصوا على ان معمرا اثبت من حماد فان حمادا تكلم في حفظه ووقع في احاديثه
مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها
واما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شي من حديثه وايضا ما رواه معمر ورد من
حديث سعد بن ابي وقاص فقد اخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق ابراهيم
ابن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اين ابي فقال في النار قال فاين ابوك قال حيث ما مررت
بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف
الراوي رواه بالمعنى بحسب ما فهم فاخطا وذكر الحافظ السيوطي ان مثل
هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن انس في نفي
قراة البسملة والثابت من طريق اخر نفي سماعها ففهم منه الراوي نفي قراتها
فرواه بالمعنى على ما فهمه فاخطا كذا اجاب امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه
عن حديث نفي قراة البسملة والذي ينبغي انه لا يجوز ان يكون هذا اي ما في

الصحيحين

الصحيحين كان قبل ان يسال الله تعالى ان يحييه له فاحياه وامن به كما اشار اليه
الاصل او انه قال ذلك لمصلحة اي ان ذلك السايل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم
الا بعد ما قفا فظهر له من حاله انه تعرض له فتنة اي يرتد عن الاسلام فاتى له بما يشبه
بالمشاكلة مريدا بابيه عمه ابا طالب لا عبد الله لانه كان يقال لابي طالب قل لابنك يرجع عن
شتم الهتنا وقالوا له اعطنا ابنك ونحذ هذا مكانه فقال اعطيكم ابني تقتلونه الى غير
ذلك مما يدل على انه تقدم ان العرب تسمي العم بالاب يقال على ثبوت هذا الحديث وصحته
التي صرح بها غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه كيف ينفع الايمان بعد الموت
لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى الخصوصية
فعليه الدليل اي لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا بحديث صحيح وفي
كلام القرطبي قد احيا الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة من الموتى
واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احياهما ويكون ذلك زيادة في كرامته
وفضيلته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن احيا ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا
كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا في بقا الوقت لم ترد والله اعلم قال الواقدي المعروف
عندنا وعند اهل العلم ان امنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل
سبط ابن الجوزي ان عبد الله لم يتزوج قط غيرها ولم تتزوج امنة قط غيره ونقل
اجماع علما النقل على ان امنة لم تحمل بغير النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم اجد اخف منه
المفيد انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم خرج على وجه المبالغة انتهى اقول هذه الرواية
لم اقف عليها والذي تقدم ما رايت من حمل هو اخف منه وفي اخرى حملت به فلم اجد
حملا قط اخف منه على وجه الرؤية والوجدان على العلم الحاصل باخبار غيرها من دون انه
الحمل لها على حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك انها حملت بغيره وايضا فيه قولها اخف على
ان المراد على ما فيها علمت والله اعلم قال والحافظ ابن حجر نسب سبط ابن الجوزي
في نقل الاجماع الى المجازفة فقال وجازف سبط ابن الجوزي كعادته في نقل الاجماع
ولا يمتنع ان تكون امنة اسقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها المذكور اليه
انتهى اقول وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بنا على
ان والده صلى الله عليه وسلم لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها وجدت المشقة في حمل

ذلك السقط وانه اخبارها بذلك تاخر عن حملها بذلك السقط وانها رات في حملها بذلك
السقط من الشدة ما لم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم وانما حملها بذلك السقط
قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم من ان عبد الله دخل بها
حين املك عليها وانتقل اليها النور عند ذلك وانه يخرج بذلك عن كونه بكر ابيه
وامه واما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا قال فيها الواقدي لا نعرف عند اهل
العلم كما بينا ذلك في الكوكب المنير على ان حملها بسقط لا يقدح في نقل الاجماع
على انها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان ان مراده حملا تاما وفي الخصائص
الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد ابواه غيره صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال
وترك عبد الله جاريته ام ايمن بركة الحبشية اسلمت قديما هي وولدها ايمن
وكان من حبشي يقال له عبيد انتهى اقول في كلام ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم
اعتقها حين تزوج خديجة وزوجها عبيد الحبشي بن زيد من بني الحارث فولدت
له ايمن ولا ينافيه ما في الاصابة كانت ام ايمن تزوجت في الجاهلية عبيد الحبشي
ابن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل ام ايمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات عنها
فرجعت الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري والله اعلم قال وقد زوجها صلى الله
عليه وسلم اي بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة ه وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى
الله عليه وسلم يقول من يسره ان يتزوج امراة من اهل الجنة فليتزوج بام ايمن
فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب بن الحب وقيل اعتقها عبد الله قبل
موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وترك اي عبد الله خمسة اجمال وقطعة
من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيه انتهى اي فهو صلى الله
عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه
صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتي متن في حياته فعلى
تقدير صحته جاز ان يكون ترك احد ميراثه تعففا وسياتي وقال ابن الجوزي اصاب
ام ايمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت اي الى المدينة على قدميها وليس معها احد
وذلك في حر شديد فسمعت شيا فوق راسها فتدلى عليها من السما دلو من ماء
برشا ابيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول ما اصابني عطش بعد ذلك ولقد تعرضت

للعطش

للعطش بالصوم في الهواجر ما عطشت اي ومن مزيل الحفا قال الواقدي
كانت ام ايمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام عليكم اي بدله
سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم
او السلام عليكم هذا كلامه فليتامل فان هذا يقتضي ان الصيغة الاصلية في
السلام سلام الله عليكم مع ان الصيغة في السلام اما السلام عليكم او سلام عليكم
وكذا عليكم السلام ولم يذكر ائمتنا تلك الصيغة وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وام ايمن عنده فقالت يا رسول الله
اسقني فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما خدمته
اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها وبعض المورخين ذكر انه
بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سودا اي لونها اسود
ولهذا خرج ابنها اسامة في اسواد اي وكان ابوه زيد ابيض ومن ثم كان
المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عايشة
رضي الله تعالى عنها قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فرحا مسرورا فقال
الم تري ان مجززا المدلجي دخل علي فراى اسامة وزيدا عليهما قطيفة قد
غطيا روسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض
وقد جعل ائمتنا ذلك اصلا لوجوب الاخذ بقول القايف في الحاق النسب قال
لابي دا العروق ان الحبشية انما هي بركة اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها
من الحبشة وكانت تكنى ام يوسف كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم اي وهي التي
شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سياتي قيل وورث صلى الله عليه وسلم من ابيه مولاه
شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل اشتراه من عبد الرحمن
ابن عوف واعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن بن عوف له صلى الله عليه وسلم كما سياتي

باب الخامس ذكر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا
اي مقطوع السرة ان ابراهيم عليه السلام حين ولد نزل جبريل وقطع سرته

واذن في اذنه وكساه ثوبا ابيض **وولد** نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا اي على صورة
المختون اي ومكحولا ونظيفا ما به قذر **اقول** اي لم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافي
جواز وجود البلل والقذر بعده اي في زمن امكان النفاس فلا يستدل بذلك على
انه صلى الله عليه وسلم لم تنفس امه لان النفاس عندنا معاشر الشافعية هو البلل
الحاصل بعد الولادة في زمن امكانه وهو قيل مضي خمسة عشر يوما الا الحاصل مع الولد
والله اعلم **قال** وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي
اي لئلا يرى احد سوأتي عند الختان قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله
عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا
واجيب بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ
ابن كثير من الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان
اي وقد يدعي انه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز ان يكون من قال
صحيحة اراد صحيحة لغيرها اذ الصحيحة لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال
ضعيفة اراد في حد ذاتها **وفي** الهدي ان الشيخ كمال الدين بن طلحة صنف في انه ولد مختونا
مصنفا اجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد عليه في ذلك الشيخ
جمال الدين بن العديم وذكر انه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب **وولد**
من الانبيا على صورة المختون ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا **وقد** نظم الجميع بعضهم فقال

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ۞ ثمان وعشر طيبون اكارم
وهم زكريا شعيب ادريس يوسف ۞ وحنظلة عيسى وموسى وادم
ونوح شعيب سام لوط وصالح ۞ سليمان يحيى هود يس خاتم

وليس هذا من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس
يولد كذلك **ومن** خرافات العامة ان يقولوا المن يولد كذلك ختنه القمر اي لان العرب
تزعم ان المولود في القمر يتفسخ قلفته فيصير كالمختون وربما قالت العامة
ختنته الملايكة ولهذا يرد على ما ذكره الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى اي من
خصايصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا **وقيل** ختن صلى الله عليه وسلم اي ختنه الملك

الذي

الذي هو جبريل كما صرح به بعضهم يوم شق قلبه صلى الله عليه وسلم عند ظيره اي مرضعته
حليمة قال الذهبي انه خبر منكر **وقيل** ختنه جده يوم سابع ولادته صلى الله عليه وسلم
قال العراقي وسنده غير صحيح انتهى اي لما عق عنه صلى الله عليه وسلم بكبش كما سياتي **اقول**
وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب في ذلك فتمم جده
ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا
ولم ير احد سوأتي اي لاجل الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمناه **اي** وفي كلام بعضهم
ان عيسى عليه السلام ختن بالته وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم **والظاهر** ان المراد بالالة
التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى الله عليه وسلم بنا على ان جده ختنه كانت الالة المعروفة
التي هي الموسى والا لنقلت لان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله **لا يقال** عدم وجود
القلفة نقص من اصل الخلقة الانسانية فقد قالوا في حكمة وجود القلفة السودا
التي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلق بها تكملة للخلق الانساني لانا نقول
انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت
تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة
الانسانية عنها عين الكمال بخلاف العلقة السودا **وكره** الحسن ان يختن الولد
يوم السابع لان فيه تشبيها باليهود اي لان ابراهيم عليه السلام لما ختن ولده اسحاق
عليه السلام يوم سابع ولادته اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسماعيل
لثلاث عشرة سنة **قال** ابو العباس بن تيمية فصار ختان اسماعيل عليه السلام اي
في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب ويوئيده قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا
لا يختنون الغلام حتى يدرك اي لان الثلاث عشرة هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس
عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يوميذ مختون اي في اوايل سن
الختان والله اعلم **ولما** ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يديه
يشير بالسبابة كالمسبح بها **اقول** وفي رواية عن امه انها قالت لما خرج من بطني نظرت
اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه
السبابتان من اليدين والله اعلم **وفي** سجوده اشارة الى ان مبدا امره على القرب من الحضرة الالهية
قال وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا راسه الى السما

انتهي اقول وفي رواية وقع جاثيا علي ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من انها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز ان يكون سجوده بعد رفع راسه وشخوص بصره الي السما ولا منافاة بين كونه وقع علي الارض مقبوضة اصابع يده ووقوعه علي كفيه لجواز ان يكون قبض اصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة المنصوب علي الحال لقرب زمنها من الوقوع علي الارض والاقتصار علي الركبتين لا ينافي الجمع بينهما وبين الكفين ورايت في كلام بعضهم انه صلي الله عليه وسلم ولد واضعا احدي يديه علي عينيه والاخري علي سوءتيه فليتامل والله اعلم واما رفع راسه صلي الله عليه وسلم وشخوص بصره الي السما فبشر بصاحب الهمزية بقوله

رافعا راسه وفي ذلك الرفع ❊ الي كل سودد ايماء
رامقا طرفه السما ومرمي ❊ عين من شانه العلو العلا

اي وضعته حالة كونه رافعا راسه الي السما وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه صلي الله عليه وسلم الي هذا العالم اشارة الي حصول كل رفعة وسيادة ووضعته حالة كونه رامقا ببصره الي السما وسر ذلك الاشارة الي علو مرماه اذ مرمي عين الذي قصد ارتفاع شانه الرفعة والشرف قال وقد روي انه صلي الله عليه وسلم قبض قبضة واهوي ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لان صدق هذا الفال ليغلبن هذا المولود اهل الارض اي لانه قبض عليها وصارت في يده والفال بالهمز وبدونه ويقال فيما يسر والتطير فيما يسو ء قال الفال ضد الطيرة بكسر الطا وقد جا اني اتفاءل ولا اتطير وقيل له ما الفال قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وقال صلي الله عليه وسلم لا عدوي ولا طيرة ويعجبني الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفي رواية واحب الفال الصالح وفرق بعضهم بين الفال والتفاول بان الاول يكون في سماع الادميين والثاني يكون في الطير باسمايها واصواتها وممرها وقوله لا عدوي معارض لما جا انه صلي الله عليه وسلم كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبي صلي الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع ولم يصافحه وجا لا تديموا النظر للمجذوم وبين وسياتي الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جا انه اخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال كل بسم الله

عزوجل

عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حي من الازد اعلم الناس بالزجر اي زجر الطير والتفاول بها وبغيرها فقد كان في الجاهلية اذا اراد الشخص ان يخرج لحاجة جا الي الطير وازعجها من اوكارها فان مر الطاير علي اليمين سمي سانحا واستبشر مريد الحاجة بقضايها وان مر علي اليسار سمي بارحا بالموحدة والرا والحا المهملة وتعد مريد الحاجة عنها تفاولا بعدم قضايها اي وهذا ما فسر به امامنا الشافعي الحديث الذي اقروا الطير في مكامنها فعن سفيان بن عيينة قال قلت للشافعي رضي الله تعالي عنه يا ابا عبد الله ما معني هذا الحديث فقال علم العرب كان في زجر الطير كان الرجل منهم اذا اراد سفرا جا الي الطير في مكانها فطيرها الحديث وحكي عن وايل بن حجر وكان زاجرا حسن الزجر خرج يوما من عند زياد بالكوفة وهو الذي الحقه معاوية بابيه ابي سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذي قاتل الحسين وكان اميرها المغيرة بن شعبة فراي غرابا ينعق بالغين المعجمة اي يصيح فرجع الي زياد وقال له هذا الغراب يرحلك من ها هنا الي خير فقدم رسول معاوية الي زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان ابا ذويب الهذلي الشاعر كان مسلما علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم عليل ولما كان وقت السحر هتف بي هاتف وانا نايم وهو يقول

قبض النبي محمد فعيوننا ❊ تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومي فزعا فرايت في السما فلم ار الا سعد الذابح فتفالت به وعلمت ان النبي صلي الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وجددتها حتي اذا كنت بالغابة زجرت الطير فاخبرني بوفاته صلي الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا فيها ضجيج بالبكا كضجيج الحاج فسالت فقيل لي قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو مسجي وقد خلي به اهله وابو ذويب هذا هو القايل

امن المنون وريبها تتوجع ❊ والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية انشبت اظفارها ❊ الفيت كل تميمة لا تنفع
والنفس راغبة اذا رغبتها ❊ واذا ترد الي قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جا اعرابي الي دار القاضي ابي الحسن الازدي المالكي

فجا غراب فقعد علي نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان
صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف ففي
سابع يوم مات هذا القاضي وقد جا النهي عن ذلك اي عن الزجر والطيرة في قوله صلى الله عليه وسلم
اقروا الطير علي مكاناتها اي لا تزجروها وجا الطيرة شرك وجا من ارجعته الطيرة عن
حاجته فقد اشرك اي حيث اعتقد انها توثر وجا اذا راي احدكم من الطيرة ما يكره فليقل
اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يدفع السيات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك وفي
رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته وقد
جا لا عدوي ولا طيرة ولا هامة وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر
والهامة هو انه كان اهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يوخذ بثاره يخرج له
طاير يقول عند قبره اسقوني من دم قاتلي اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك
حتي يوخذ بثار القتيل كانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف واما الهامة بالتشديد
فواحدة الهوام وهي الحيات والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول في تعويذه للحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا ابراهيم عليه السلام كان يعوذ اسماعيل
واسحاق وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد به حية صفرا تكون في جوف
الانسان اذا جاع توذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا التفسير
هو الصحيح الذي عليه عامة العلما وقد ذكره مسلم عن جابر الحديث فتعين اعتماده
وروي ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رات امي حين وضعتني سطع
منها نورا اضات له قصور بصري وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج له
نورا اضا له ما بين المشرق والمغرب فاضاب له قصور الشام واسواقها حتي
رايت اعناق الابل ببصري وفي الخصايص الصغري ورات امه عند ولادته
نورا خرج منها اضا له قصور الشام وكذا امهات الانبيا عليهم السلام يرين
انتهي ولعل المراد بين مطلق النور الذي تضيي منه قصور الشام وقوله قصور
الشام الخ ظاهر في ان المراد جميع الاقليم لا خصوص بصري ولعل الاقتصار علي بصري
في الروايات لكون النور كان بها اتم ومن ثم قالت حتي رايت اعناق الابل ببصري.

اورات مرة وصول النور الي بصري خاصة ومرة جاوزها تامل والي هذا النور يشير
عمه العباس رضي الله تعالي عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد قال له في مرجعه
من تلك الغزاة يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

وانت لما ولدت اشرقت الارض ** وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي ** النور وسبل الرشاد نخترق

والي ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله

وترات قصور قيصر بالروم ** يراها من داره البطحا

قال وهذا
اي رويت قصور ملك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة
ظاهر في انها رات ذلك النور يقظة وتقدم في حديث شداد انها رات انه مناما
وتقدم الجمع انتهي اي وتقدم ما في ذلك الجمع وذكر ان امامنا الشافعي رضي الله تعالي
عنه رات وهي حامل به ان النجم المسمي بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع
في كل بلدة منه شظية فتاول ذلك اصحاب تاويل الرويا بانه يخرج عالم يكون علمه
بمصر اولا ثم ينتشر الي ساير البلدان وروي السهيلي عن الواقدي انه صلى الله عليه
وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروي ان اول ما تكلم به لما ولدته امه
حين خروجه من بطنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
ولا مانع من انه صلى الله عليه وسلم تكلم بكل ذلك والاوليه في الرواية الاولي اضافية
لا تخفي وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم اي هل كان ليلا او نهارا
وعلي الثاني في اي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله قيل ولد يوم الاثنين
قال بعضهم لا خلاف فيه والله بل اخطا من قال ولد يوم الجمعة اي عن قتادة
رضي الله تعالي عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم
ولدت فيه وذكر الزبير بن بكار والحافظ بن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر
ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد ابن
المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اي وسطه كان ذلك اليوم

لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اي وكان ذلك في فصل الربيع

اشار الي ذلك بعضهم بقوله

يقول لنا لسان الحال منه ❊ وقول الحق يعذب للسميع

فوجهي والزمان وشهر وضعي ❊ ربيع في ربيع في ربيع

قال وحكي الاجماع عليه وعليه العمل الان اي وفي الامصار خصوصا اهل مكة في زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت وصحح انتهى اي وصححه الحافظ الدمياطي اي ان الاول قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحاق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح اصلا ولو اسنده ابن اسحاق لم يقبل منه لتجريح اهل العلم له فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحاق ليس بحجة ووصفه مالك رضي الله تعالى عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه انه قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما ابن اسحاق انما هو دجال من الدجاجلة اخرجناه من المدينة قال بعضهم وابن اسحاق من جملة من يروي عنه شيخ مالك يحيي بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحاق فقيه لكنه مدلس وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار اهل الحديث اي كالحميدي وشيخه بن حزم وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتا عشرة بقين منه وقيل لاثني عشرة وقيل لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وصححه كثير من العلما وهذا هو الموافق لما تقدم من ان امه صلى الله عليه وسلم حملت به في ايام التشريق او في يوم عاشورا وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستند قايله انه اوحي اليه صلى الله عليه وسلم في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلي انها حملت به في ايام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الاقوال قال وقيل في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في المحرم وقيل في عاشورا اي كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه انتهى اه وذكر الذهبي ان القول بانه ولد صلى الله عليه وسلم في عاشورا من الافك اي الكذب وفيه ان كان ذلك انه لاجماع

انها حملت به صلى الله عليه وسلم في ايام التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل ياتي فيما عدا القول في انه ولد في رمضان ثم رايت بعضهم حكي انه حمل به في شهر رجب وحينيذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الاول وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ولد يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول وانزل عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان ابن ابي العاص عن امه رضي الله تعالى عنها انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شي انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الي النجوم تدنو حتي اني لاقول ليقعن علي قال ابن دحية وهو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل عن العدل انه سيل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القران وايضا الصوم لا يكون الا النهار وافاد البدر الزركشي ان هذا الحديث اي المتقدم عن ام عثمان بن العاص علي تقدير صحته لا دلالة فيه علي انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والي التردد في ولادته هل هو في الليل او النهار اشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذي كان للدين ❊ سرور بيومه وازدها

فهنيا به لامنة الفضل ❊ الذي شرفت به حوا

من لحوا انها حملت احمد ❊ او انها به نفسا

يوم نالت بوضعه ابنة وهب ❊ من فخار ما لم تنله النسا

اي ليلة المولد الذي ولد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه وقد اضاف كل من الليل والنهار للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيا لامنة الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه

وسلم اي لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي شرفت بذلك
الفضل حوا التي هي ام البشر ومن يشفع لحوا في انها حملت به وانه اصابها ما
تماس به يوم اعطيت امنه بنت وهب بسبب وضعه من القهار وهو ما
يتمدح به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعطه غيرها من النسا
وقد اقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى اي
والضحى والليل وقيل اراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع ان يكون الاقسام
وقع بهما اي استعمل الليل فيهما ويدل لكون ولادته كانت ليلا قول
بعض اليهود ممن عنده علم من الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود
قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة اي اخرها ياتي وسياتي
ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة وولادته صلى الله عليه وسلم
قيل كانت في عام الفيل قيل في يومه نحو ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس بن
مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل فنحن لدان
قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام اي بدل لفظ اليوم وقد يراد
باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه
فترا ان معناه متقاربان في الحس بالموحدة وعلى ان المراد باليوم حقيقته
يكون بالنون وفي تاريخ ابن حبان ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله
تعالى الطير الابابيل فيه على اصحاب الفيل وعن ابن مسعود ولد يوم
الفيل يعني عام الفيل انتهى اي لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون قول ابن
حبان في اليوم تفسيرا للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت وقيل
ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلي قال بعضهم وهو
قال وقيل بخمسة وخمسين يوما وقيل باربعين يوما وقيل بشهر وقيل بعشر سنين
وقيل بثلاثة وعشرين سنة وقيل بثلاثين سنة وقيل باربعين سنة
وقيل بسبعين سنة اي وعلى انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ
الدمياطي وعبارة المواهب حكاه الدمياطي في اخرين وكونه في عام الفيل
قال

قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال ابراهيم بن المنذر شيخ
البخاري لا يشك فيه احد من العلما ونقل غير واحد فيه الاجماع وقال كل
قول يخالفه وهم وقيل قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة قال بعضهم وهذا
غريب منكر وضعيف ايضا اقول والقول بانه ولد قبل عام الفيل او فيه او بعده
بعشر سنين يقتضي تضعيف ما ذكره الحافظ ابو سعيد النيسابوري ان نور
النبي صلى الله عليه وسلم كان يضي في غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا اصابها
قحط اخذت بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله تعالى
ببركة ذلك النور وانه لما تقدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون الكنيسة
التي بناها ويقال لها القليس لارتفاع بنايها وعلوها ومنه القلانس
لانها في اعلا الروس مكان الكعبة في الحج اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها
فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك من قصر
بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة
ومنابر من العاج والابنوس وشدد عليها عمالها بحيث اذا طلعت الشمس
قبل ان ياخذ العامل في عمله قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس
فجاءت معه امه وهي امراة عجوز فتضرعت اليه في ان لا يقطع يد ولدها
فابى الا ان يقطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم لك وغدا لغيرك
فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك
فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها فعفى عنه ورجع عن هذا
الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور
في وجه عبد المطلب كالهلال والقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر
عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله
ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول
صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا
عليه اي فكان يخور كالثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب اي لانه
صاحب الفيل امره ان يقول لقريش ان الملك انما جا لهدم البيت فان لم تخلوا بينه وبينه

لم يزد على هدمه فان احلتم بينه آتي عليكم فقال عبد المطلب ما
عندنا منعة ولاندفع عن هذا البيت وله رب ان شا منعه اي دفع لفظ
قال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله
الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه
وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وامر ابرهة رسوله ايضا ان ياتي له بسيد
القوم فقال لعبد المطلب قد امرني ان اتيه بك فقال عبد المطلب افعل ما في اه
راعي ابله وخيله واخبره ان الحبشة اخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بالمجاز
وفي سيره ابن هشام بل وفي غالب السير الاقتصار على الابل وانما كانت مايتي
بعير وقيل اربعماية ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه
ولده الحارث فاستوذن له على ابرهة اي قيل له ايها الملك هذا سيد قريش
ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس
بالسهل والوحوش في روس الجبال فاذن له فلما دخل وراه ابرهة اجله واكرمه
عن ان يجلسه تحته وكره ان يكون الحبشة يجلسه على سرير ملكه فنزل عن سريره
واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسئله عن حاجته فذكر ابله وخيله
فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت اعجبتني
اذ رايتك ثم قد زهدت فيك اذ سئلتني ابلا وخيلا وتركت ان تسئلني عن البيت
الذي هو عزك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب انا رب الابل والخيل
التي سالتها الملك واما البيت فله رب ان شا يمنعه من الملك فقال ابرهة
ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان اخذ له وانصرف وابرهة بلسان الحبشة
الابيض الوجه ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير
وخر ساجدا وانطق الله سبحانه وتعالى الفيل فقال السلام على النور الذي
في ظهرك يا عبد المطلب وفي كلام بعضهم ان ابرهه لما بلغه مجي عبد المطلب اليه
امر ان عبد المطلب قبل دخوله عليه ان يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى
الفيل الاعظم وكان ابيض اللون اقول رايت ان ملك الصين كان في مربطه
الف فيل ابيض وكان معه الفرس في قتال ابي عبيد بن مسعود الثقفي امير الجيش

وخلافة

في خلافة الصديق افيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين ايديهم فيلا عظيما
ابيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت وسمعت حس الجلاجل نفرت فامر
ابو عبيد المسلمين ان يقتلوا الفيلة فقتلوها عن اخرها وتقدم ابو عبيد لهذا
الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة
هايلة وحمل على ابي عبيد فتخبطه برجليه ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل
شخص كان ابو عبيد اوصى ان يكون اميرا بعده فقتله ثم اخر حتى قتل سبعة
من ثقيف كان قد نص ابو عبيد عليهم واحدا بعد واحد وهذا من اغرب
الاتفاقيات والله اعلم وانما اري عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا
كان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل الاعظم تسجد
لابرهة واما الفيل الاعظم لم يسجد الا للنجاشي فلما رات الفيلة عبد المطلب
سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما
بلغ ابرهة سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم امر بادخال عبد المطلب عليه فلما
راه القيت له الهيبة في قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رايت
ابن حجر في شرح الهمزية حال الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري
من ان النور استدار في وجه عبد المطلب الى اخره اي وقول الفيل السلام على النور
الذي في ظهرك يا عبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها
ان يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله ثم انتقل من عبد الله الى امنة بان
النور وان انتقل عن عبد المطلب لكن الله سبحانه وتعالى اكرم عبد المطلب فاحدث
ذلك النور في ظهره وفي وجهه واطلع ذلك الفيل عليه هذا كلامه فليتامل
وذكر بعضهم ان الفيل مع عظم خلقته صورته صنبل اي ضعيف ويفرق
اي يخاف من السنور الذي هو القط ويفزع منه وفي المواهب والمشهور انه صلى
الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطية لنبوته ومقدمة
لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد
وجوده وقبل بعثته الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية
الذي هو المراد بظهوره وحينيذ فقول القاضي البيضاوي انها من الارهاصات

اذ ددي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم اي بعد
وجوده ومن ثم قال ابن القيم في الهدي ان مما جرت به عادة الله تعالي ان
يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها فمن ذلك قصة مبعثه
صلي الله عليه وسلم تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة في الذهاب
الي مكة ووصل الفيل الي اول الحرم والمواهب اسقط هذا وهو يوهم
انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتامل وعند وصوله
الي اول الحرم برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب في مراقه
فلا يقوم فوجهوا وجهه الي جهة اليمن فقام يهرول وكذا الي جهة
الشام فعل ذلك مرارا فامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه
فسقوه فثبت علي امره ويقال انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمي
قام الي جنب الفيل فحرك اذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا
من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك قال السهيلي
الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون سقوطه الي الارض لما جاءه من امر الله
سبحانه وتعالي ويحتمل ان يكون فعل البارك وهو الذي يلزم موضعه
ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت من يقول ان في الفيلة
صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك ارسل الله سبحانه وتعالي
عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر امثال الخطاطيف يقال ان حمام
الحرم من قبل تلك الطير فاهلكهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي
قيل انه من نسل الابابيل انما هو شي يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم
من الحرم والاشبه ان حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشعش علي
فم الغار علي ما سياتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل يعشش
ويفرخ بين السما والارض ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش
وهابتهم الناس كلهم وقالوا اهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله سبحانه
وتعالي قاتل معهم وكفاهم مونة عدوهم الذي لم يكن لساير العرب بقتاله قدرة
وغنموا اموال اصحاب الفيل اي ومن حينئذ مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول

تلك

تلك الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات
ومردة الجن وكان كل من اراد ان ياخذ منها شيا اصابته الجن واستمرت كذلك الي زمن
السفاح الذي هو اول خلفا بني العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله علي اليمن
فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب والالات المفضضة التي تساوي قناطير
من المال فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفي رسمها وانقطع خبرها واندرست اثارها
وقد كان عبد المطلب امر قريشا ان تخرج من مكة وتكون في روس الجبال تخوفا عليهم
من المعرة وخرج هو وابا هم الي ذلك بعد ان اخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش
يدعون الله سبحانه وتعالي ويستنصرونه علي ابرهة وجنده وقال

لاهم ان العبد يمنع رحله ۞ فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ۞ غدوا محالك

اي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف الالف
واللام وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاه ابوك تريد الله ابوك والحلال بكسر الحا
المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم القوة والشدة والغدو
بالغين المعجمة اصله الغد وهو اليوم الذي ياتي بعد يومك الذي انت فيه ويقال
ان عبد المطلب جمع قومه وعقد راية وعسكر بمني وجمع ابن ظفر بينه وبين
ما تقدم من انه خرج مع قومه الي روس الجبال بانه يحتمل انه امر ان تكون الذرية
في روس الجبال اي وخرج معهم تانيسا لهم ثم رجع وجمع اليه المقاتلة اي ويويد
ذلك قول المواهب ثم ان ابرهة امر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة
ونظر الي وجه عبد المطلب خضع الي اخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش
جيشت جيشا مع قوله ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش
لا يحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطا مجي القوم الي مكة ينظر ما الخبر فوجدهم
قد هلكوا اي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من صفرا وبيضا
ثم اذن اي اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا وفي كلام سبط ابن الجوزي
وسبب غنا عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود الثقفي
لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا من اموال ابرهة واصحابه

شيا كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنيا قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان
ورثه عثمان اي ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهب بل بقي بمكة سايس
الفيل وقايده فعن عايشة رضي الله تعالى عنها ادركت قايد الفيل وسايقه بمكة اعميين
مقعدين يستطعمان الناس واورد على هذا ان الحجاج خرب الكعبة بنصب المنجنيق
ولم يصبه شي واجاب بان الحجاج لم يجيء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد
التضييق على عبد الله بن الزبير ليسلم نفسه وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى
والله اعلم وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار التي صارت لمحمد
ابن يوسف اخي الحجاج اي وكانت قبل ذلك لعقيل بن ابي طالب ولم تزل بيده وبيد اولاده بعده
الى ان باعوها لمحمد بن يوسف اخي الحجاج بماية الف دينار قاله الفاكهي اي فادخلها
في داره وسماها البيضا اي لانها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضا
وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سياتي في فتح مكة انه قيل له صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله تنزل في الدور فقال هل ترك لنا عقيل من رباع ودور فان هذا
السياق يدل على ان عقيلا باع تلك الدار فلم تبق بيده ولا بيد اولاده بعده
الا ان يقال المراد باع غالبها هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم اي لانه كما
سياتي في الفتح باع دار ابيه ابي طالب لانه وطالب اخاه ورثا ابا طالب لانهما كانا
كافرين عند موت ابي طالب دون جعفر وعلي فانهما كانا مسلمين وعقيل اسلم بعد
دون طالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي هي دار خديجة اي التي يقال لها مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها
وهي الان مسجد يصلى فيه بناه معاوية رضي الله تعالى عنه ايام خلافته قيل وهو افضل
موضع بمكة بعد المسجد الحرام اي واشتهر مولد فاطمة رضي الله تعالى عنها لشرفها
فهو مولد بقية اخوتها من خديجة ولعل معاوية رضي الله تعالى عنه اشترى
تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه
وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التي ابقاها هي لعقيل اي التي هي دار خديجة فانه
لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر فاخذها عقيل وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله
عليه وسلم مكة ضرب مخيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال هل ترك

لنا عقيل

لنا عقيل منزلا وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته
حين هاجر وامن بمكة ومنزل كل من هاجر من بني هاشم وفي كلام بعضهم كان عقيل
تخلف عنهم في الاسلام والهجرة فانه اسلم عام الحديبية التي هي السنة السادسة وباع
دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شي منها وهي اي تلك الدار التي ولد بها عند الصفا
قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا الماجت وفي كلام ابن دحية ان
الخيزران امها رون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها
مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لكل
منهما وسياتي ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا ايضا ولعل الامر
التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني
هاشم اقول قد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون تلك الدار من شعب بني هاشم
ثم رايت التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحجون ان شعب ابي طالب وهو من جملة
بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز ان يكون ابو طالب انفرد عنهم بذلك والله اعلم قال
وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم اي في ردم بني جمح وهم بطن من قريش
ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني الحارث فقد وقع بين بني
جمح وبين بني الحارث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحارث
فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى
اقول ما يرد القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض فقهائنا ان من جملة
ما يجب على الولي ان يعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة
الا ان يقال ذلك بنا على ما هو الاصح عندهم والردم المحل الذي كانت ترى منه
الكعبة قبل الان ويقال له الان المدعى لانه يوتى فيه بالدعا الذي يقال عند
روية الكعبة ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا
في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في
خلافته لما جا السيل العظيم الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة ابن
سعيد بن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل
المقام الى ان القاه باسفل مكة ايضا فجي به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر بذلك
فحضر وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام دثر وصار لا يعرف

فهاله ذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب
ابن رفاعة رضي الله تعالى عنه انا يا امير المومنين عندي علم بذلك فقد كنت
اخشى عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى
زمزم بمقاط فقال له اجلس عندي وارسل فارسل فجي بذلك المقاط فقيس به
ووضع المقام بمحله الان واحكم ذلك واستمر الى الان فعند ذلك بني هذا المحل الذي
يقال له الردم بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة
تشاهد منه والان قد حالت الابنية فصارت لا ترى مع ذلك لا باس بالوقوف
عنده والدعا فيه تبركا عن سلف ولعل هذا محمل قول من قال اول من نقل
المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فلا ينافي
ان الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سياتي لكن رايت ابن كثير قال وقد كان هذا الحجر
الذي هو المقام ملصقا بجدار الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى ايام
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاخذه عنه لئلا يشغل المصلون عنه
الطائفين بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم
على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فليتامل وعن كعب الاحبار اني اجد في
التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة اي وهو ظاهر في ان كعب الاحبار كان
قبل الاسلام على دين اليهودية قال وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله تعالى عنه
عن امه الشفا اي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفا وقيل بفتحها وتشديد الفا
مقصورا قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي اي فهي
دايته صلى الله عليه وسلم ووقع في كلام ابن دحية ان ام ايمن دايته صلى الله عليه وسلم
ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفا قابلته وقد قيل في اسم الوالدة والقابلة
الامن والشفا وفي اسم الحاضنة البركة والنما وفي اسم مرضعته اولا
التي هي ثويبة الثواب وفي اسم مرضعته المستقلة برضاعه التي هي الحليمة السعدية
الحلم والسعة قالت ام عبد الرحمن فاستهل فسمعت قايلا يقول يرحمك الله تعالى
او رحمك ربك اي او يرحمك ربك ولهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس
اي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو

في المشهور صياح المولود اول ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته
على العطاس مع الاعتراف بانه لم يجي في شي من الاحاديث تصريح بانه صلى
الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى اي فقد قال الحافظ السيوطي لم اقف في شي
من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد
من مظانها اي وعطس بفتح الطا يعطس بالكسر والضم وحكى الفتح ولعله من
تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العاطس وحينئذ يكون
استهلال المولود له معنيان هما مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على
العطاس لقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وقد اشار الى التشميت صاحب
الهمزية يقول

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اي قالت له الاملاك رحمك الله او رحمك ربك وقت وضع امه له وفرحتنا
بقولها المذكور الشفا التي هي ام عبد الرحمن بن عوف اقول قال بعضهم ولعله
صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه انه لا يسن التشميت
الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما ترجاه ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم
حين خروجه من بطن امه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز
ان يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره صلى الله عليه وسلم وقد جا العاطس ان حمد الله
تعالى فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجا اذا عطس فحمد الله تعالى فحق على كل
من سمعه ان يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته
وعطس اخر فلم يحمد الله فلم يشمته وفي حديث حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه
فاذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك اي بالامر
بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل فيها الوجوب ويقوله حق اهل الظاهر
على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض الايمة الى وجوبه على الكفاية
وهو منقول عن مشهور مذهب مالك رضي الله تعالى عنه اي وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس وعن سالم بن عبيد الله الاشجعي
وكان من اهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله وليقل

وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم يغفر الله لي ولكم ومن لطيف
ما اتفق ان الخليفة المنصور وُشي عنده ببعض عماله فلما حضر عنده عطس
المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت
فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسي فقال قد شمتك في نفسي فقال له ارجع
الى عملك ذلك اذا لم تحابني لا تحابي غيري قال بعضهم والحكمة في قول العاطس
ما ذكر انه ربما كان العطاس سببا لانتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك
وقال غيره لان الاذى وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذي
فيه قوة التذكر والتفكر اي فهو بحران الراس كما ان العرق بحران بدن المريض
وذلك نعمة جليلة وكابرة عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها اي وان الاطبا
كما زعمه بعضهم نصوا على ان العطاس من انواع الصرع اعاذنا الله تعالى من الصرع
وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطبا ان العطاس للدماغ كالسعال
للرية قال والعطاس انفع الاشيا لتخفيف الراس وهو ما يعين على نقص المواد
المحتبسة وتسكين ثقل الراس فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول
للترمذي قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن
يعطس ثلاث عطسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع
الصغير ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاوب والعطسة الشديدة من
الشيطان وفي الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن اصدق الحديث
ما عطس عنده وقد جا ان روح ادم لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فمه
ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال الحق يرحمك
الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك اي للموت وقد روى
الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاوب في الصلاة من
الشيطان وروى ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان الله يكره التثاوب
ويحب العطاس في الصلاة اي مع كون كل واحد من العطاس والتثاوب
في الصلاة من الشيطان العطاس فيها احب الى الله تعالى من التثاوب فيها
والتثاوب فيها اكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة مقولة بالتشكيك

ويمكن

ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت به كما تقدم
التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جا اذا عطس احدكم اي هم بالعطاس
فيضع كفه على وجهه وليخفض صوته اي ولا ينافي وجود الشفا ووجود ام
عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روي عنها انها
قالت لما اخذني ما ياخذ النسا عند الولادة واني لوحيدة في المنزل رايت
رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن
المحدث ودخل على نسا طوال كانهن من بنات عبد المطلب ما رايت اضوا
منهن وجوها وكان واحدة من النسا تقدمت الي فاستندت اليها
واخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحده منهن تقدمت الي وناولتني
شربة من الما اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد
فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت
ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن
لي اي تلك النسوة نحن اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران
وهولا الحور العين لجواز وجود الشفا وام عثمان عندها بعد ذلك
وتاخر خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على يد
الشفا لما تقدم من قولها وقع على يدي ولعل حكمة شهود اسية
ومريم لولادته كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع
مع كلثوم اخت موسى ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم
بنت عمران وامراة فرعون واخت موسى وسيأتي عند موت خديجة انه صلى
الله عليه وسلم قال لها اشعرت ان الله تعالى قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية
اما علمت ان الله تعالى قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت
موسى واسية امراة فرعون فقالت الله اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفا
والبنين وقد حمى الله هولا النسوة عن ان يطاهن احد فقد ذكر ان اسية
لما ذكرت لفرعون احب ان يتزوجها فتزوجها على كره منها ومنعها مع بذله لها
الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها اخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكانت

قد رضي منها بالنظر اليها ولما مريم فقيل انها زوجت بابن عمها يوسف
النجار ولم يقربها وانما تزوجها ليرافقها الى مصر لما ارادت الذهاب الى مصر
بولدها عيسى عليه السلام واقاموا بها اثني عشر سنة ثم عادت مريم وولدها
الى الشام ونزلا الناصرة واخت موسى لم يذكروا انها تزوجت وهذا يخدش ان بنات
عبد مناف او عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات عن غيرهن من النسا في افراط
الطول وقد رايت ان عليا بن عبد الله بن عباس وهو جد الخليفتين السفاح
والمنصور اول خلفا بني العباس ابو ابيهما محمد كان مفرطا في الطول كان
اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا الطول الى منكب ابيه
عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب ابيه العباس وكان
العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي اقتصر في ذكر الطوال
على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد وحبيب بن سلمة
وعلي بن عبد الله بن عباس وسكت عن عبد الله بن عباس وعن ابيه العباس
عن ابيه عبد المطلب لكن وفي المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا
ورايت ان عليا هذا جد الخلفا العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة
والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان اجمل شريف على وجه الارض
وكان يصلي في كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا عليا
ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه هو الذي سماه عليا وكناه ابا الحسن
فقد روي ان عليا رضي الله تعالى عنه افتقد عبد الله ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما في وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال ابي العباس يعني عبد الله
لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رضي الله تعالى عنه قال امضوا
بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب زاد بعضهم
ورزقت بره وبلغ اشده ما سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه
فامر به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه فقال خذ اليك
ابا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولي معاوية الخلافة
قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته يعني علي بن ابي طالب كراهة في ذلك وقد

كنيته

كنيته ابا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ما ذكر بعضهم ان عليا المذكور
لما قدم على عبد الملك بن مروان قال له غير اسمك او كنيتك فلا صبر لي على اسمك
وهو علي وكنيتك وهي ابو الحسن قال اما الاسم فلا اغيره واما الكنية فالكنى بابي
محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي بن ابي طالب وكنيته وعلى هذا
دخل هو وولدا ولده محمد وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على
هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول
سيليان هذا الامر يعني الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه
في ذلك الى الحمق وقيل ان الوليد بن عبد الملك اي لما ولي الخلافة وبلغه عنه
انه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه
مما يلي ذنب البعير وصايح يصيح عليه هذا علي بن عبد الله بن عباس الكذاب
قال بعضهم فاتيته وقلت ما هذا الذي نسبوه اليك من الكذب قال بلغهم
عني اني اقول ان هذا الامر يعني الخلافة ستكون في ولدي والله لتكونن
فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولي السفاح الخلافة ثم المنصور وفي دلايل
النبوة للبيهقي ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قدم على معاوية رضي الله تعالى
عنه فاجازه واحسن جايزته ثم قال يا ابا العباس هل تكون لكم دولة قال
اعفني يا امير المومنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال اهل خراسان
اي وهو ابو مسلم الخراساني يجي بجيشه معه رايات سود يسلب دولة
بني امية ويجعل الدولة لبني العباس يقال ان ابا مسلم هذا قتل ستماية
الف رجل صبرا غير الذي قتله في الحروب وهذه الرايات السود غير التي عناها
صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رايتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان
فاتوها فان فيها خليفة الله المهدي فان تلك الرايات تاتي قبيل قيام الساعة
ثم صارت الخلافة في اولاد المنصور حكى في مرآة الزمان عن المامون
انه قال حدثني ابي يعني هارون الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور
عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي عن ابيه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم وذكر ان ما يوثر عن المامون

انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لوم وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرايم واني اخاف ان لا اوجر على العفو اي لانه صار طبيعة قالت امه صلى الله عليه وسلم ورايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله اعلم ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلعلت قال وهذا مما يوبد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الانا لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما اصبحوا اتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السما فعجبوا من ذلك وعن امه انها قالت وضعت عليه الانا فوجدته قد تفلق الانا عنه وهو يمص ابهامه يشخب اي يسيل لبنا انتهى اي وفي العرايس ان فرعون لما امر بذبح ابنا بني اسرايل جعلت المراة اي بعض النسا كما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد او غار فاخفته فيه فيقيض الله سبحانه وتعالى له ملكا من الملايكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي اتا السامري لما جعلته امه في غار من الملايكة جبريل عليه السلام فكان اي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع الرضيع يمص ابهامه فيروي من المص قد جعل الله فيه رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى ويخفي الكفر وفي رواية ان عبد المطلب هو الذي دفعه للنسوة ليضعوه تحت الانا اقول هذا هو الموافق لما سياتي عن ابن اسحاق من ان امه صلى الله عليه وسلم لما ولدته ارسلت الى جده اي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجا اليها اي فقالت له يا ابا الحارث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال اليس بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع راسه واصبعيه الى السما فاخرجته له فنظر اليه واخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف في قول ابن دريد الكفيت عليه جفنة لئلا يراه

احد

احد قبل جده اخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة دفعها والنسوة ليضعوه تحت جفنة اخرى الى ان يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم عن امه صلى الله عليه وسلم فوجدت الانا قد تفلق وهو يمص ابهامه وعن اياس الذي يضرب به المثل في الذكا قال اذكر الليلة التي ولدت فيها وضعت امي على راسي جفنة وقال لامه ما شي سمعته لما ولدت قالت يا بني طشت سقط من فوق الدار الى اسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة قال بعضهم يولد في كل ماية سنة رجل تام العقل وان اياسا منهم ولعل هذا هو المراد بما جا في الحديث يبعث الله على راس كل ماية سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها والمراد براسها اخرها بان يدرك اوايل الماية التي يليها بان تنقضي تلك الماية وهو حي الا اني لم اقف على ان اياسا هذا كان من المجددين والله اعلم وفي تفسير ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف مثله اصلا ان ابليس رن اي صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهو المراد بقول بعضهم يوم لعينه ورنة حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب والى رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الاصل بقوله

لمولده قد رن ابليس رنة ۞ فسحقا له ماذا ابيد رنينه

وعن عطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض قايلين ما هذه الصرخة التي افزعتنا قال امر نزل بي لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الاية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة قال اطلبوا فاني سا طلب قال فلبثوا ما شا الله ثم صرخ اخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل وجدتم شيا قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما الذي وجدت قال ازين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا ولا يراها دنبا حتى يستغفر الله منها وقد جا في الحديث ابا الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع

بدعته اي لا يتوبه علي عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة وعن الحسن قال بلغني
ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت
لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالي منها وهي الاهوا اي البدع وقد جا في الحديث
اخاف علي امتي بعدي ثلاث ضلالة الاهوا الحديث واهل الاهوا هم اهل البدع
وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم وراي تساقط النجوم
قال اي لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا وهذا يدل علي ان تساقط
النجوم كان عند ابليس علامة علي وجود نبينا صلي الله عليه وسلم فقال له جنوده لو
ذهبت اليه فخبلته فلما دني من رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث الله سبحانه وتعالي
جبريل فركضه برجله ركضة فوقع بعدن وكون تساقط النجوم كان عند ابليس
علامة علي وجود نبينا صلي الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين
ومنعت من مقاعدها في السما لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم هذا
امر حدث في الارض وامرهم بان ياتوه بتربة من كل ارض فصار يشمها الي ان اتي
بتربة ارض تهامة فلما شمها قال من هاهنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته
صلي الله عليه وسلم الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة علي وجود
نبينا صلي الله عليه وسلم لكن في اي ارض علي ان بعضهم انكر كون ما ذكر
كان عند الولادة وقال المذكور في كلام غيره انما هو عند مبعثه صلي الله عليه وسلم
كما سياتي ولعله من خلط الرواة وعبارة بعضهم روي ان الشياطين كانت تصعد
الي السما ثم تجاوز سما الدنيا الي غيرها وصاروا يسترقون السمع اي في سما الدنيا
حتي ولد نبينا محمد صلي الله عليه وسلم فمنعوا من التردد الي السما الا قليلا اي فصاروا
يسترقون السمع في سما الدنيا في بعض الاحايين وفي اكثر الاحايين يسترقون دونها
حتي بعث النبي صلي الله عليه وسلم فمنعوا اصلا فصاروا لا يسترقون السمع الا دون سما
الدنيا ثم رايتني نقلت في الكواكب المنير في مولد البشير النذير عن ابن عباس
رضي الله تعالي عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
وياتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها علي الكهنة فلما ولد عيسي عليه السلام
حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات ولما ولد رسول الله صلي الله
عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمي
بشهاب وسياتي عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة

ولادته صلي الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله تعالي عنه قال اني لغلام
يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا بيهودي
بيثرب يصرخ ذات غداة علي اطمة اي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه
وانا اسمع وقالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في هذه الليلة اي الذي
طلوعه علامة علي ولادته صلي الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان
هذا سياتي انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام مثلها ولذا عاش ابوه
هذا القدر وهو مائة وعشرون سنة وجده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف اربعة
تناسلوا وتساوت اعمارهم سواهم وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه
وكذا ابنه وابوه وجده وعن كعب الاحبار رايت في التوراة ان الله تعالي اخبر موسي
عن وقت خروج محمد صلي الله عليه وسلم اي من بطن امه وموسي اخبر قومه ان الكوكب
المعروف عندكم باسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلي الله عليه
وسلم اي وصار ذلك مما يتوارثه العلما من بني اسرايل وعن عايشة رضي الله تعالي عنها
قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كان الليلة التي ولد فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه
قال احفظوا ما اقول لكم هذه الليلة ولد نبي هذه الامة الاخيرة اي وهو منكم معاشر
قريش علي كتفه اي عند كتفه علامة اي شامة فيها شعرات متواترات اي متتابعات
كانهن عرف فرس اي وتلك العلامة هي خاتم النبوة اي علامتها والدليل عليها لا يرضع
ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلايل نبوته اي وعدم ارضاعه لعله لنوع يصيبه
وفي كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم رضاعه لان عفريتا من الجن وضع يده في فمه
وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا
الي منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله بن
عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقي القوم حتي جاوا اليهودي فاخبروه الخبر اي قالوا
له اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معي حتي انظر اليه فخرجوا حتي ادخلوه علي امه فقال
اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراي تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق
قالوا ويلك ما لك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرايل افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم

مسطوة يخرج خبرها من المشرق الي المغرب اي وعن الواقدي انه كان بمكة
يهودي يقال له يوسف فلما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الامة
الليلة في عرتكم اي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتي انتهى
الي مجلس عبد المطلب فسال فقيل له قد ولد لابن عبد المطلب اي لعبد الله غلام فقال
هو نبي والتوراه وكان بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعي عيص وقد كان
اتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك
ان اي يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اي تذل وتخضع ويملك
العجم اي ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اي ادرك بعثته واتبعه
اصاب حاجته اي ما يوصله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطا حاجته
فكان لا يولد بمكة مولود الا يسال عنه ويقول ما جا بعد اي لان فلما كان
صبيحة اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج عبد
المطلب حتي اتي عيص فوقف علي اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال
انا عبد المطلب اي وقيل الجاي له عبد الله والد النبي صلي الله عليه وسلم بنا علي انه
لم يمت وامه صلى الله عليه وسلم حامل به ولعل قايله اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل
له ما تري عليه اي علي ذلك المولود فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم
عنه وان نجمه اي الذي طلوعه علامة علي وجوده طلع البارحة وعلامة ذلك اي ايضا
انه الان وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافا اقول اي ولا يرضع في تلك الثلاث ليلتين فلا يخالف
ماسبق من قول الاحر لا يرضع ليلتين ولا دلالة في قوله كن اباه علي ان الجاي للراهب عبد الله
لان عبد المطلب كان يقال له ابو النبي صلي الله عليه وسلم ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب
وقال النبي صلي الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب كما تقدم والله اعلم ثم قال له فاحفظ لسانك
ولا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لن يحسد حسده احد ولم يبغ علي احد كما يبغى
عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت وتردوها في احد وستين
او ثلاث وستين زاد في رواية وذلك جل اعمار امته صلي الله عليه وسلم وعند ولادته
صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام اي اصنام الدنيا وتقدم ايضا انها تنكست عند الحمل

به صلي الله عليه وسلم وتقدم انه لا مانع من تعدد ذلك وجا ان عيسى عليه السلام لما
وضعته امه خر كل شي يعبد من دون الله في مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه
وقرع ابليس فعن وهب بن منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى على نبينا وعليه الصلاة و
السلام اصبحت الاصنام في جميع الارض منكسة علي روسها وكلما ردوها علي قوايمها
انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الي ابليس فطاف ابليس في الارض
ثم عاد اليهم فقال رايت مولودا والملايكة قد حفت به ولم استطع ان ادنو اليه وما كان
نبي قبله اشد علي وعليكم منه واني لارجو ان اضل اكثر ممن يهتدي به اقول
قد علمت ان تنكيس الاصنام تكرر لنبينا صلي الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولاده فالخاص
به ما كان عند الحمل الا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى له صلى الله عليه وسلم في ذلك وبهذا
يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصايصه الصغري ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم تنكيس
الاصنام لمولده وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرايت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت
سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر
من عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس في حق عيسى لا استطيع
ان ادنو اليه وتقدم في حق نبينا صلي الله عليه وسلم ان ابليس دني منه فركضه جبريل
عليه السلام لانا نقول يجوز ان يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنو الي محله الذي
هو فيه لا الي جسده والدنو المنفي في حق عيسى الدنو الي جسده عليه السلام فان قيل
جا في الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم
وابنها رواه الشيخان اي لقول ام مريم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي
رواية كل ابن ادم يطعنه الشيطان في جسده باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب
يطعن فطعن في الحجاب اي وهي المشيمة التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه
الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل صارخا الا
عيسى بن مريم وامه مريم ضرب الله سبحانه وتعالى عليهما الحجاب فاصابت الطعنة الحجاب
فلم ينفذ اليهما منها شيا ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون غيرها قلنا جاء
عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في جسده حين يولد ساير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل الراي وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص

عليه وسلم ان ساير الانبيا كعيسي وامه وهذا عيسي وامه بالذكر كان قبل ان يعلم صلي الله عليه وسلم ان ساير الانبيا كعيسي وامه
الكلام يرد بيان القاضي عيا ض للضرر المنفي في قوله صلي الله عليه وسلم من قال اذا اراد ان ياتي اهله
بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما في ذلك
الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته
بخلاف غيره وهذا اي عدم قربه من نبينا صلي الله عليه وسلم يجوز ان يكون في حق خصوص ابليس فلا
ينافي ما تقدم عن الحافظ بن حجر ان عدم ارتضاعه صلي الله عليه وسلم في الليلتين يوضع عفريت من الجن يده
في فيه علي تسليم صحته وصاحب الكشاف اخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع
الشيطان في اغوايه وتبعه القاضي علي ذلك وسياتي في شق صدره صلي الله عليه وسلم كلام يتعلق
بذلك وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم انه لا بد لجميع بني ادم من العقوبة والالام شيا
بعد شي الي دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الي البرزخ فلا بد له من الالام ادناه سوال منكر ونكير
فاذا بعث فلا بد له من الم الخوف علي نفسه او غيره واول الالم في الدنيا استهلال المولود حين
ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهوي عند خروجه من الرحم
فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد اخذ حظه من البلا وقال بعد ذلك في قوله تعالي
حكاية عن عيسي عليه الصلاة والسلام السلام علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس
الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسي
بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتامل هذا مع قوله ان استهلال المولود وصراخه
حين يولد سببه البرد والذي يجده لبعد مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا
يدل علي ان سجود نبينا صلي الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصايصه والله اعلم وذكر
ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون
الي صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم فراوه منكسا علي وجهه فانكروا
ذلك فاخذوه فردوه الي حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة
فقالوا ان هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويساله
فيها عن سبب تنكيسه فسمع هاتفا من جوف الصنم جهيرا اي مرتفع يقول بصوت
تردي لمولود انارت بنوره ❊ جميع فجاج الارض بالشرق والغرب
الابيات ولذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وتوالت

وتوالت بشري الهواتف ان قد ❊ ولد المصطفي وحق الهناء
اي تتابعت بشراه جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يري شخصه بان قد ولد المصطفي
المختار علي الخلق كلهم وثبت لهم الفرح والسرور وليلة ولادته صلي الله عليه وسلم
تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة رات قريش
من مولد النبي صلي الله عليه وسلم وارتجس اي اضطرب وانشق ايوان كسري انوشروان
ومعني انوشروان مجدد الملك اي وكان بنا محكما مبنيا بالاجر الكبار والجص بحيث لا يعمل
فيه الفوس مكث في بنايه نيفا وعشرين سنة اي وسمع لشقه صوت هايل
وسقط من ذلك الايوان اربعة عشر شرفة اي بضم الشين المعجمة وسكون الراء
وليس ذلك لخلل في بنايه وانما اراد الله تعالي ان يكون ذلك اية لنبيه صلي الله عليه وسلم
باقية علي وجه الدهر اي وقد ذكر ان الرشيد امر وزيره يحيي بن خالد البرمكي والد جعفر
والفضل بهدم ايوان كسري فقال له يحيي لا تهدم بناء دل علي فخامة شان بانيه
قال بلي يا مجوسي ثم امر بنقضه فقدر للنفقة علي هدمه فاستكثرها الرشيد فقال
له يحيي ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شي بناه غيرك هذا والذي رايته في بعض المجاميع
ان المنصور لما بني بغداد احب ان ينقض ايوان كسري فان بينه وبينها مرحلة
ويبني به فاستشار خالد بن برمك فيها وقال هو اية الاسلام ومن راه علم ان
هذا بناوه لا يزول امره وهو مصلي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والمونة في نقضه
اكثر من الانفاق عليه وما مانع من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولده الرشيد
وانما قال الرشيد ليحيي بن خالد يا مجوسي ان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان من
خراسان وكان اولا مجوسيا ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الي الشام
في دولة بني امية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره ثم لما
زالت دولة بني امية وجاءت دولة بني العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور
من بني العباس صادر ايت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه صار الي زيارة ملك الهند
فاكرمه وانس به واحضر طعاما قال فاكلت حتي انتهيت فقال لي كل فقلت لا اقدر
والله ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك وامر به علي صدري فكاني
لم اكل شيا ثم اكلت اكلا كثيرا حتي انتهيت فقال لي كل فقلت والله لا اقدر ايها الملك

فامر بالنقيب علي صدري فكاني لم اكل شيا قط فاكلت حتي انتهيت فقال لي كل فقلت
ما اقدر علي ذلك فاراد ان يرد القضيب علي صدري فقلت ايها الملك ان الذي دخل
يحتاج الي ان يخرج فقال لي صدقت وامسك عني فسالته عن القضيب فقال تحفة
من تحف الملوك **وما يحفظ** عن يحيي بن خالد هذا زيادة علي ما تقدم عنه اذا احببت
انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فتوق شره
وما يحفظ عنه ايضا وقد قال له ولده واظنه الفضل وكان معه مقيدا في حبس الرشيد
بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهب اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا ابت
بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الي هذه الحال فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت ليلا
غفلنا عنها وما غفل الله تعالي عنها **اي** فقد قال ابو الدردا اياكم ودمعة اليتيم
ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام اي ولان الله تعالي يقول انا الحكم
الظالمين ان غفلت عن ظلم ظالم **وقد** قال صلي الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما
يسئل الله تعالي حقه فان الله تعالي لن يمنع ذا حق حقه **وجا** اتق دعوة
المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب **وجا** اتقوا دعوة المظلوم فانها
تحمل علي الغمام يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين
والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السما السابعة المعني فيه بقوله تعالي
يوم تشقق السما بالغمام اي لا تقوي علي حمله اذا سقط ونصر دعوة المظلوم
استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو وان امهل الظالم لا يهمله **وجا** اتقوا
دعوة المظلوم فانها تصعد الي السما كانها شرارة اي تصعد الي السما السابعة
فما فوقها **وجا** اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القايل

تنام عيناك والمظلوم منتبه … يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومما قيل في يحيي بن خالد هذا من المدح البليغ

سالت الندا هل انت حر فقال لا … ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شرا قال لا بل وراثة … توارثني من والد بعد والد

ومما يحفظ عن والده خالد المذكور قوله بعد ثلاثة استحق الموده **ومما**
يحفظ عن جعفر ولد يحيي قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر

في انفاقه

في انفاقه وقوله المسي لا يظن في الناس الا سوا لانه يراهم بعين طبعه **ومما**
قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

يروم الملوك ندا جعفر … ولا يصنعون كما يصنع
وليس باوسعهم في الغنا … ولكن معروفه اوسع

وخمدت نار فارس اي مع ايقاد خدامها لها اي كتب له صاحب فارس ان بيوت النيران
خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام **وغاضت** اي غارت بحيرة ساوي اي
بحيث صارت يابسة كان لم يكن بها شي من الماء شدة اتساعها اي كتب له بذلك عامله
باليمن والي هذا يشير صاحب الاصل بقوله

لمولده ايوان كسري تشققت … مبانيه وانحطت عليه سقوفه
لمولده خرت على الاشرفات … ولا شرف للفرس يبقي حصينه
لمولده نيران فارس اخمدت … فهو يحير اخماده كان حينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة … واعقب ذاك المرح حزن يشينه
كان لم يكن بالامس ريا للناهل … وورد العين للمسته ما معينه

والي ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

وتداعي ايوان كسري ولولا … اية منك ما تداعي البنا
وغدا كل بيت نار وفيه … كربة من خمودها وبلا
وعيون للفرس غارت فهل كا … ن لنيرانهم بها اطفا

اي ومن العجايب التي ظهرت ليلة ولادته صلي الله عليه وسلم تهادم ايوان كسري انوشروان
الذي كان يجلس به مع ارباب مملكته وكان من اعاجيب الدنيا سعة وبنا واحكاما والوان
وجود علامة صادرة عنك الي الوجود ما تهادم هذا البنا العجيب الاحكام **ومن** ذلك
ايضا انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار الفارس التي كانت يعبدونها خامدة
نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلا عظيما من اجل سكون لهيب تلك النيران
التي يعبدونها في وقت واحد **ومن ذلك** ايضا غور ماعيون الفرس في الارض حتي لم
يبق منها قطرة وحينيذ يستفهم توبيخا وتعريبا عليهم لهم فقال هل تلك المياه
التي غارت كان بها اطفا تلك النيران ويقال في جوابه لا بل اطفاوه انما هو لوخود

هذا النبي وظهوره صلى الله عليه وسلم ورأى الموبذان اي القاضي الكبير وفي كلام ابن
المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم
رأي في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين قد قطعت
دجلة اي وهي نهر بغداد وانتشرت في بلادها اي والابل كناية عن الناس
ورأى كسرى ما هاله وافزعه اي الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته
فلما اصبح تصبر اي لم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه
لا يدخر ذلك اي هذا الامر الذي هاله وافزعه من مرازبته بضم الزاي اي فرسانه
وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا
عنده قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك
اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران اي وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره
ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان
وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الما
لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم بما رأى وما هاله اي وهو
ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته فقال الموبذان وانا اصلح الله الملك قد رأيت
في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اي شي هذا يا موبذان قال
حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمايهم
فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان
ابن المنذر اما بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد ان اساله عنه فوجه اليه بعبد
المسيح الغساني اي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد
عليه قال الك علم بما اريد ان اسالك عنه قال ليسالني الملك عما احب فان كان عندي
علم منه والا اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال
لي يسكن مشارق الشام يقال اي اعاليها اي وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له
سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى
الى سطيح وقد اشفى اي اشرف على الضريح اي الموت اي احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة
سنة وقيل سبعمائة اي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له

وكان

وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم
يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفي لفظ ليس له عظم
ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ما المرأة
لان ما الرجل يكون منه العظم والعصب اي كما سيأتي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة
الرجل يخلق منها العظم والعصب اي كما سيأتي عنه صلى الله عليه وسلم ونطفة المرأة
يخلق منها اللحم والدم قال ذلك لما ساله اليهود فقالوا له ممن يخلق الولد فلما قال
لهم ذلك قالوا له هكذا كان يقول من قبلك من الانبيا وفيه ان عيسى عليه السلام على تسليم
انه خلق من نطفة وهي نطفة امه كان فيه العظم والعصب فقد قيل تمثل لها الملك
في صفة شاب امرد حتى انحدرت شهوتها الى اقصى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة
اصلا وقد صرح بالاول الشيخ محيي الدين بن العربي حيث قال انكر الطبيعيون وجود
ولد من ما احد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق
من ما امه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا لشدة اللذة بالنظر اليه نزل الما
منها الى الرحم فيكون عيسى عليه السلام من ذلك الما المتولد عن النفخ الموجب للذة منها
فهو من ما امه فقط هذا كلامه وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يخص سطيح بهذا
الوصف فقد رأيت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبى امة وجهها في صدورها
فذعرت الناس منهم وعمر هذا كان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام وقيل قبله
بقليل ملكته بعده بلقيس قبل بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد والخوص اذا اريد
نقله الى مكان ينطوي من رجليه الى ترقوته وفي لفظ الى جمجمته كما نطوى الثوب فيوضع
على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشا واذا اريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما
يحرك وطب المخيض اي سقا اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلي ويعلوه
النفس فيخبر عما يسال وكانت جمجمته اذا لمست اثر اللمس فيها للينها قيل وهو اول
كاهن كان في العرب وهذا يدل على انه سابق على شق وقد تقدم في حفر زمزم ان الكاهنة
الذي ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا اليها تفلت في فم سطيح وفي شق وذكرت
ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن احد اشرف في الكهانة ولا اعلم بها ولا ابعد
فيها صيتا من سطيح وكان في غسان وذكر بعضهم ان سطيحا كان في زمن نزار بن

معد ابن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر واخوته وهو
يوبخ ما تقدم من انه عمر سبعماية سنة ثم نشق وعبد المسيح وهولا كانوا روس
الكهنة واهل العلم الغامض منهم بالكهانة اي والانهم اي من اهل العلم الغامض
مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وسجاح كانت في بني تميم وسجاح اخرى كانت
في بني سعد والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية
لان لها استعداد للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها فسلم عبد المسيح
علي سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشا عبد المسيح يقول اصم ام يسمع
غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر ابيات ذكرها فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح
رفع راسه اقول قد يقال لا منافاة بين اثبات الراس هنا ونفيه في قوله
ولم يكن له راس لانه يجوز ان يكون المراد بالراس المثبت الوجه لكن تقدم
انه لم يكن له عظم سوي في راسه او جمجمة ففي ذلك اثبات الراس وقد
يقال لما كان راسه وتلك الجمجمة يوتر فيهما اللمس للينهما لمخالفتهما الراس عمو
شاع اثبات الراس ونفيه عنه والله اعلم وعند رفع راسه قال عبد المسيح
علي جمل مشيح اي سريع الي سطيح وقد وافى علي الضريح اي القبر والمراد به الموت
كما تقدم بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورويا
الموبذان راي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فقد قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اي تلاوة القران وظهر صاحب الهراوه
وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا
الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات علي عدد الشرفات وكل
ما هو ات ات ثم قضي سطيح مكانه اي مات من ساعته والهراوه بكسر
الهاء وهي العصا الضخمة اي وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا
كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز له فيصلي اليها التي هي
العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المومن وسنة الانبيا وفي الحديث من بلغ
اربعين سنة ولم يا خذ العصا من الكبر والعجب وقد يقال مراد سطيح بالعصا
العنزة التي تغرز فيصلي اليها في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك كان لمن قبله
من الانبيا

من الانبيا وذكر الطبري ان ابرويز بن هرمز جاه جاي في المنام فقيل له
سلم ما في يديك الي صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان
بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه وعند موت
سطيح نهض عبد المسيح الي راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضي العزم شمير … ولا يغرنك تفريق وتغيير
والناس اولاد علات فمن علموا … ان قد اقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الام اما ادرا ونسبا … فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن … فالخير متبع والشر محذور

قدم عبد المسيح علي كسرى واخبره بما قال سطيح فقال كسرى الى ان يملك اربعة
عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الي خلافة
عثمان رضي الله تعالى عنه اي فقد ذكر ان اخر من هلك منهم كان في اول خلافة عثمان
رضي الله تعالى عنه اي وكانت مدة ملكهم ثلاثة الاف سنة ومايه سنة واربعا
وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان
يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جا المنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن
جليته ووجدوا بها عمير بن تميم وهو ابن ثلثماية سنة وكان معلقا في قفة لعدم
قدرته علي الجلوس فاخذ وجي به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال
للملك ايها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم
علي يد نبي يبعث في اخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا
الامر باطلا فلا يضرك وان يك حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافونك عليها
ولا يعطونك بها في دولتك فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب واحسن اليهم
بعد ذلك وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم اقف علي انه ملك منهم من
النسا الا واحده وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم قال لا يفلح قوم ملكتهم
امراة فملكت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحاق انه امه صلى الله عليه وسلم
لما ولدته ارسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فاتاه فانظر اليه ونظر اليه
وحدثته بما رات فاخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة اي وقام يدعو الله اي واهله يومئذ

ويشكر له ما اعطاه ثم خرج بدا الي امه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك
وتقدم ما فيه قال وتكلم صلي الله عليه وسلم في المهد في اوايل ولادته
واول كلام تكلم به ان قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهي اقول
وتقدم انه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما اورده السهيلي عن الواقدي
وانه روي انه تكلم حين خروجه من بطن امه فقال الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه
وحين وضعه في المهد وانه زاد في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا
وحينيذ يكون تكلمه حين خروجه من بطن امه لم يشاركه فيه غيره من الانبيا الا الخليل
والا نوحا كما سياتي بخلاف تكلمه صلي الله عليه وسلم في المهد علي انه سياتي انه يجوز ان يكون المراد
بالتكلم في المهد والتكلم في غيره وان الكلام ويقال
انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه صلي الله عليه وسلم
قال الحمد لله لما عطس علي الاحتمال الذي ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه
ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة الذي هي جلال ربي الرفيع والله
اكبر كبيرا والحمد لله حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف علي نقل
وحينيذ تكون الاولية الواقعة في بعض ذلك اما حقيقية او اضافية
وقد علمت ان الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر
كبيرا اضافية والله اعلم قال وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالي بقوله

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيي وعيسي والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لذي الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم

انتهي قال بعضهم لكن هو صلي الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر
نفسه اي فقد روي عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسي وصاحب جريج وابن
المراة التي مر عليها بامراة يقال انها زنت وقد يقال الحصر اضافي اي ثلاثة
من بني اسرايل او ان ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد وذكر ان عيسي عليه السلام تكلم في المهد

ابن ليلة

ابن ليلة وقيل هو ابن اربعين ليلة اشار بسبابته وقال بصوت رفيع
اني عبد الله لما رمت بنوا اسرايل علي مريم وهي حاملة به وانكروا
عليها ذلك واشارت اليهم ان كلموه وضربوا بايديهم علي وجوههم تعجبا
وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم قص الله تعالي عليهم ثم
رايتني في الكلام علي قصة الاسرا والمعراج ذكرت ذلك وان عيسي تكلم
يوم ولادته لابن خال امه يوسف النجار وقد خرج في طلب امه وقد
اخذها ما ياخذ النسا من الطلق عند الولادة خارج بيت
المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاحضرت النخلة من ساعتها وتدلت
عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها ابشر يا يوسف وطب
نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من ظلمة الارحام الي ضوء الدنيا وبنيا
الي بني اسرايل وادعوهم الي طاعة الله فانصرف يوسف الي زكريا واخبره
بولادة مريم وقول ولدها له ما ذكر وفي النطق المفهوم ان عيسي كلم
يوسف المذكور وهو في بطن امه فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم فقال
لها مفزعا لها يا مريم هل نبتت الارض زرعها من غير بذر وهل يكون ولد
من غير فحل فقال له عيسي وهو في بطن امه قم فانطلق الي صلاتك واستغفر
الله مما وقع في قلبك وعن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه ان عيسي تكلم
في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتي بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان
عادة اي ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم يستمع الاذان
مثله فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع علي كل
شي قدير من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك وتكلم كذلك
اي في بطن امه قيل له من ابوك فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم
بعد خروجه من بطن امه فقد تكلم مرتين مرة في بطن امه ومرة بعد
خروجه وهو طفل كذا في النطق المفهوم ولم اقف علي وقت كلامه ولا علي
ما تكلم به حينيذ واما يحيي فتكلم وهو ابن ثلاث سنين قال لعيسي اشهد
انك عبد الله ورسوله والخليل تكلم وقت ولادته وسياتي ما تكلم به وفي كون

يحيي ابن ثلاث سنين وكونه تكلم وقت ولادته يكون في المهد نظر
الا ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في عنفوان الكلام ولم اقف علي
من تكلم في المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لدي الاخدود فانه
لما جي بامه ليلقي في نار الاخدود لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال
لها يا امه اصبري فانك علي الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة اشهر
وفي النطق المفهوم انه شاهد يوسف الصديق كان عمره شهرين وكان
ابن داية زليخا وفي الخصايص الصغري وخص بكلام الصبيان
في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني هذا كلامه
وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوه من هولا الا مبارك اليمامة حسبما
وقفت عليه ورايت في الاجوبة المسكتة لابن عون ان اليهود قالوا
للنبي صلي الله عليه وسلم السنت لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق في
المهد كما نطق عيسي قال ان الله خلق عيسي من غير فحل فلولا انه
نطق في المهد لما كان لمريم عذر واخذت بما يوخذ مثلها وانا ولدت بين
ابوين وهو يخالف ما تقدم من انه صلي الله عليه وسلم تكلم في المهد الا ان
يقال مرادهم لم لم تنطق في المهد تميل للذي نطق به عيسي او ان ذلك
منه صلي الله عليه وسلم ادعي للعيان فليتامل ثم رايت ان ابرهيم الخليل لما
سقط علي الارض استوي قايما علي قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا قال في النطق المفهوم ولد بالغار
الذي ولد به نوح وادريس عليهما ويقال لهذا الغار غار النور ونظير
لهولا ما ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي قال قلت لبنتي زينب مرة
وهي في سن الرضاع قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع
حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليهما الغسل فتعجب الحاضرون من
ذلك ثم اني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت اذنت
لوالدتها في الحج فجات مع الحج الشامي فلما خرجت لملاقاتها راتني من
فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان تراني امها هذا ابي

وصاحت

وصاحت وارمت نفسها الي قال وقد رايت اني علمت من اجابة امه
بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته
من جوفها شهد عند الثقاة بذلك قال وهذا واحد خصه الله بعلمه
وهو في بطن امه ولا يحتج بقوله تعالي والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيا لانه لا يلزم من العالم حضوره مع علمه دايما وفي النطق
المفهوم ان يوسف صلوات الله عليه تكلم في بطن امه فقال انا المفقود والمغيب
عن وجه ابي زمانا طويلا فاخبرت امه والده بذلك فقال اكتمي امرك وفيه
ان نوحا عليه السلام تكلم عقب ولادته فان امه ولدته في غار خوفا
علي نفسه وعليها فلما وضعته واردت الانصراف قالت وانوحاه فقال لها
لا تخافي احدا علي يا اماه فان الذي خلقني يحفظني ومنه ان ام موسي
لما وضعت موسي عليه الصلاة والسلام استوي قاعدا وقال يا امه لا تخافي
ابي من فرعون ان الله معنا ومبارك اليمامه قال بعض الصحابة دخلت
دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم وسمعت منه عجبا جاه
رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة قال له النبي صلي الله عليه وسلم يا غلام
من انا قال الغلام بلسان طلق انت رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشي فكنا نسميه مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلي الله عليه وسلم يناغي القمر
وهو في مهده اي يحدثه يقال ناغت المراة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه
وعد ذلك من خصايصه ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن والاسناد
عن عمه العباس رضي الله تعالي عنه انه قال يا رسول الله دعاني الي الدخول في دينك
اشارة اي علامة لنبوتك وايتك في المهد تناغي القمر اي تحدثه فتشير اليه باصبعك
فحيثما اشرت اليه قال قال كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع
وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش ولم اقف علي سنده صلي الله عليه وسلم
حين ذاك وكان مهده صلي الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملايكة وعد ابن سبع
من خصايصه باب تسميته صلي الله عليه وسلم محمد لا يخفي ان جميع

اسمايه مشتقة من صفات قامت به توجب المدح والكمال فله من كل
وصف اسم قال وكما ان لله تعالي الف اسم للنبي صلي الله عليه وسلم الف اسم
عن ابي جعفر محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه وهو الباقر
من بقر العلم اتقنه قال امرت امنة اي في المنام وهي حامل برسول
الله صلي الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحق ان تسميه محمد
او قد تقدم قال والثاني هو المشهور في الروايات اي وعلي الاول اقتصر
الحافظ الدمياطي والمسمي له بمحمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم عق عنه اي يوم
سابع ولادته جده بكبشين وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك علي
ان تسميه محمدا ولم تسميه باسم ابايه وفي لفظ وليس من اسماء ابايك ولا
قومك قال اردت ان يحمده الله في السما ويحمده الناس في الارض اقول
وهذا هو الموافق لما اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالي تفاولا
بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة التي يحمد عليها ولذلك كان ابلغ
من محمود ولذلك تسير حسان رضي الله تعالي عنه فشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد وهذا الالهام لا ينافي ان يكون امه قالت له
انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاه بانه صلي الله عليه وسلم
تكاملت فيه الخصال المحبوبة فتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة
فظهر بمعني اسمه عن الحقيقة وفي الخصايص الصغري وخص باشتقاق
اسمه من اسم الله تعالي وبانه صلي الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به احد
قبله ولافادته الكثرة في معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة
لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب ادعي بعضهم انه من صيغ المبالغة
اي الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعني المذكور استعمالا لا وضعا لان
الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة في الصيغ الخمسة وليس
هذا منها وهذا السياق يدل علي ان تسميته صلي الله عليه وسلم
بذلك كانت في يوم العقيقة وان العقيقة كانت في اليوم السابع من ولادته

وتقدم

وتقدم ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل
علي ان تسميته صلي الله عليه وسلم بذلك كانت في ليلة ولادته او يومها
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قوله هنا وسماه محمدا اظهر تسميته
بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الي ما قيل
اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمي تناسب في الحسن والقبح واللطا
والكثافة ومن ثم غير صلي الله عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما
غير الاسم الحسن بالقبيح للمعني المذكور كتسميته لابي الحكم بابي جهل
وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجا انه صلي الله عليه وسلم قال لبعض
اصحابه ادع لي انسانا يحلب ناقتي فجا بانسان فقال له ما اسمك فقال حرب
فقال اذهب فجاه باخر فقال ما اسمك قال يعيش فقال احلبها ويروي
انه صلي الله عليه وسلم طلب شخصا يجز بعيرا فجاه رجل فقال له ما اسمك قال
مرة فقال له اذهب وليس هذا من الطيرة التي كرهها ونهي عنها وانما هو من
كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان يكتب لامرايه اذا ابردتم لي بريدا فابردوه
اي اذا ارسلتموا الي رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم
قال له سيدنا عمر لما قال لمن اراد ان يحلب له ناقته او يجز له البعير لا ادري تقدم
اقول ام اسكت فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم قل قال كنت نهيتنا
عن التطير فقال له صلي الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن اثرت الاسم الحسن وللجلال
السيوطي كتاب فيمن غير صلي الله عليه وسلم اسمه ولم اقف عليه ورايت في
كلام بعضهم ان حزن بن ابي لهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن
المسيب اراد النبي صلي الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع
وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم
اي وفي حديث انه صلي الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما جاته النبوة
قال الامام احمد هذا منكر والحديث المنكر من اقسام الضعيف لانه باطل كما
قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك اصله لعمل المولد قال لان
العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك علي ان هذا الذي فعله النبي صلي الله عليه وسلم

اظهارا للشكر علي ايجاد الله تعالي رحمة للعالمين وتشريفا لامته كما كان
يصلي علي نفسه كذلك قال فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلي الله عليه وسلم
هذا كلامه **وروي ان عبد المطلب** انما سماه محمدا لرويا راها اي في منامه
راي كان سلسلة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في الارض
وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة علي كل ورقة
منها نور واذا اهل المشرق واهل المغرب يتعلقون بها فقصها وعبرت
له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السما
والارض فلذا اسماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما راته علي ما تقدم **وعن
ابي نعيم** عن عبد المطلب قال بينا انا نايم في الحجر اذ رايت رويا ذعرتني
ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي قرات
في وجهي التغيير فقالت ما بال سيدنا قد اتي متغير اللون هل رابه من
حدثان الدهر شي فقلت لها بلى فقلت اني رايت الليلة وانا نايم في الحجر كان
شجرة نبتت قد نال راسها السما وضربت باغصانها المشرق والمغرب
وما رايت نورا ازهر منها ورايت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل
ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورايت رهطا من قريش يريدون قطعها فاذا
دنوا منها اخذهم شاب لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر
اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت
مذعورا فزعا فرايت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت الآن صدقت رؤياك
ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس **وعند ذلك
قال عبد المطلب** لابنه ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان ابو طالب
يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد صلي الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة هي **محمد**
وفي الاقناع قثم بن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلي الله عليه وسلم
بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله
صلي الله عليه وسلم ثم تبين سماه قثم حتي اخبرته امه امنة انها رات في منامها
ان تسميه **محمدا فسماه محمدا** اي ولا مخالفة بين هذه الروايات علي تقدير صحتها
كما

كما لا يخفي لانه يجوز ان يكون نسي تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معني
سواله بما حملك علي ان تسميه محمدا وليس من اسما قومك اي لما استقر امرك علي
ان تسميه محمدا **وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب** من تسمي بهذا الاسم يعني محمدا
قبله الا ثلاثة طمع اباوهم حين وفدوا علي بعض الملوك وكان عنده علم الكتب
الاول واخبرهم بمبعث النبي صلي الله عليه وسلم اي بالحجاز وبقرب زمنه
وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل علي ان اسمه في الكتب القديمة وكان
كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد
ذكر ان يسميه محمد ففعلوا ذلك **وفي الشفا ان هذين الاسمين** محمد واحمد
من بديع اياته للنبي المصطفي وعجايب خصايصه ان الله تعالي حماهما عن ان
يسمي بهما احد قبل زمانه قبل شيوع وجوده اما احمد الذي اتي في الكتب
القديمة وبشرت به الانبيا فمنع الله تعالي بحكمته ان يتسمي به احد غيره
ولا يدعوا به مدعوا قبله منذ خلقت الدنيا **وفي حياته** زاد الزين العراقي
ولا في زمن الصحابة حتي لا يدخل لبس علي ضعيف القلب او شك اي فالتشبه
به من خصايصه صلي الله عليه وسلم علي جميع الناس ممن تقدمه خلافا لما
يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصايص الصغري انه من خصايصه
علي الانبيا فقط **ومن ثم ذهب** ذهب بعضهم الي افضليته علي محمد **وقال
الصلاح الصفدي** ان احمد ابلغ من محمد كما ان احمد واصفي ابلغ من محمر ومصفر
ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلي الله عليه وسلم احمد الحامدين
لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح علي احد قبله **وفي
الهدي** لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان اولي ان يسمي الحماد كما سميت
بذلك امته وهو الذي يحمده اهل السما والارض لكثرة خصاله المحمودة التي تزيد
علي عد العادين واحصا المحصين اي احق الناس واولاهم بان يحمد فهو
لمحمد في المعني فهو ماخوذ من الفعل الواقع علي المفعول لا الواقع من الفاعل
وحينيذ **فالفرق بين محمد واحمد** ان محمدا من كثرة حمد الناس له واحمد من يكون
حمد الناس له افضل من حمد غيره **وسياتي عن الشفا** ان احمد المحمود في واحد

الحامدين فيجوز ان يكون احمد ماخوذ من الفعل **وفي كلام السهيلي** ثم
انه لم يكن محمدا حتى كان احمد فاحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه
كان قبل حمد الناس له واطال في بيان ذلك **وفي** كلام **بعض فقهائنا** معاشر
الشافعية انه ليس في احمد من التعظيم ما في محمد لانه اشهر اسمايه الشريفة
وافضلها فلذلك لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد **وقد جا احب الاسما**
الي الله عبد الله وعبد الرحمن **قال بعضهم** وعبد الله احب من عبد الرحمن
لاضافة العبد الي الله المختص به تعالي اتفاقا والرحمن مختص به علي الاصح
ومن ثم سمي نبينا في القران بعبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه
وعلي ما ذكره هنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في القران في قوله تعالي وعباد
الرحمن احمد ثم محمد اي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله عبد الرحمن **وذكر**
بعضهم ان اول من تسمي باحمد بعد نبينا ولد لجعفر ابن ابي طالب وعليه يشكل
ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل اي ولعل المراد به الخليل ابن احمد
صاحب العروض ثم رايت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال **واول**
من تسمي في الاسلام احمد والد الخليل بن احمد العروضي ويشكل علي ذلك
وعلي قوله لم يسم به احد في زمن الصحابة تسميته ولد جعفر بن ابي طالب
بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقي وهو خامس خمسة كل يسمي الخليل
بن احمد **وزاد بعضهم سادسا** وكذلك محمد ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده
صلي الله عليه وسلم وميلاده الا بعد ان شاع ان نبيا يبعث اسمه
محمد اي بالحجاز وقرب زمنه فسمي قوم قليل من العرب ابناهم بذلك وحمي الله
تعالي هولا ان يدعي منهم النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه شي من سماتها
اي علاماتها حتي تحققت له صلي الله عليه وسلم **وفي** محمد **دعوي ان الذي في** الكتب
القديمة انما هو احمد يخالف ما سبق وما ياتي عن التورية والانجيل اي فالمراد
بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي ان في بعضها اسمه محمد وفي بعضها الجمع
بين محمد واحمد **قال بعضهم** سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك
ابوك في الجاهلية محمدا قال سالت ابي اي عما سالتني عنه قال خرجت رابع اربعة
من تميم

من تميم يريد الشام فنزلنا عند غدير عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه
للغة قوم ما هي للغة اهل هذه البلدة فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اي المضاير
فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا اي سريعا فسارعوا اليه
وخذوا بحظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله
ما بقي احد منا الا اذرع قوله في قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا
رغبة فيما قال اي نذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق قال فلما انصرفنا
ولد لكل واحد غلام فسماه محمدا رجا ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل
رسالاته **اقول يجوز** ان يكون هولا الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا علي بعض
الملوك وحينين تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير فاضمار ذلك لا ينافي
نذره المتقدم فالمراد باضماره نذره كما قدمناه ويجوز ان يكون غيرهم فيكونوا
سبعة **وذكر ابن ظفر** ان سفيان ابن مجاشع نزل علي حي من بني تميم فوجدهم مجتمعين
علي كاهنتهم وتقول العزيز من والاه والدليل من خالاه فقال لها سفيان من
تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدي وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو
لله ابوك فقال بني مويد تراه حين يوجد ودني اوان مولده يبعث للاحمر والاسود
اسمه محمد فقال سفيان اعربي ام عجمي فقالت اما والسما ذات العنان والشجر
ذوات الافنان انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فامسك
عن سوالها ومضي الي اهله وكانت امراته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجا ان يكون
هو النبي الموصوف والله اعلم وقد عدهم بعضهم ستة عشر ونظمهم في قوله

ان الذين سموا باسم محمد ۝ من قبل خير الخلق ضعف ثمان ۝
ابن البرا مجاشع بن ربيعة ۝ ثم ابن سلم يحمدي وما لحي ۝
لبني السليمي وابن اسامة ۝ سعدي وابن هواه هرماني ۝
وابن الجلاح مع الاسيدي يا فتي ۝ ثم الفقيمي هكذا الحرماني ۝

قال بعضهم وفاته اخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحارث ومحمد بن عمرو بن
مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفا ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف

الشهير في اول من سمي بذلك الاسم منهم اقول وفي شرح الكفاية لابن الهايم
ويمكن ان يكون من زاد علي اوليك الاربعة او السبعة سمع ذلك وقع لبني اسرايل
فان يوسف صلوات الله عليه لما حضرته الوفاة اعلم بني اسرايل بحضور اجله
وكان اول انبيايهم فقالوا يا نبي الله تحب انا ان تعلمنا مما يول اليه امرنا بعد خروجك
من بين اظهرنا في امرد بيننا فقال لهم ان اموركم لم تزل مستقيمة حتي يظهر
عليكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية يذبح ابناكم ويستحيي نساكم
ثم يخرج من بني اسرايل رجل اسمه موسي بن عمران فينجيكم الله به من ايدي
القبط فجعل كل واحد من بني اسرايل يسميه عمران رجا انه ان يكون الذي
منه ولا يخفي ان بين عمران ابي موسي وعمران ابي مريم ام عيسي وهوافر
انبيا بني اسرايل الف وثمانماية سنة والله اعلم والذي ادرك الاسلام ممن تسمي
باسمه عليه الصلاة والسلام محمد بن ربيعة ومحمد بن الحارث ومحمد بن مسلمة
وادعي بعضهم ان محمد ابن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلي الله عليه وسلم باكثر
من خمسة عشر سنة وقد ذكر ابن الجوزي اول من يسمي في الاسلام بمحمد محمد بن
حاطب وعن ابن عباس اسمي في القران اي وفي التورية محمد وفي الانجيل
احمد وافضل التسمية بهذا الاسم اعني محمد فقد جا في احاديث كثيرة واخبار
شهيرة اي منها انه صلي الله عليه وسلم قال قال الله تعالي وعزتي وجلالي
لا اعذب احدا يسمي باسمك في النار اي باسمك المشهور وهو محمد واحمد
ومنها جا من فاية وضعت فحضر عليها من اسمه احمد ومحمد اي
وفي رواية فيها اسمي الا وقد قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومنها قال
يوقف عبدان اي اسم احدهما احمد والاخر محمد بين يدي الله تعالي فيومر بهما
الي الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله
تعالي ادخلا الجنة فاني اليت علي نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد
لكن قال بعضهم ولم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكلما ورد فيه
فهو موضوع قال بعض الحفاظ واصحها اي اقربها للصحة من ولد له مولود فسماه
محمدا احبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة وعن ابي رافع عن ابيه قال

سمعت

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه
ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا
تجبهوه ولا تقنفوه وشرفوه واكرموه وعظموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجلس
ولا تقبحوا له وجا بورك في محمد وفي فيه محمد ومجلس فيه محمد وفي رواية
تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها اما يستحيي احدكم ان يقول
يا محمد ثم تضربه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ولد له ثلثة اولاد فلم يسمي
احدهم محمدا فقد جهل اي وفي رواية فهو من الجفا وفي رواية اخري فقد
جفاني وذكر بعضهم انه لم يرد في المرفوع من اراد ان يكون حمل زوجته ذكر
فليضع يده علي بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا الا كان
ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات انه وقد رفع هذا بعضهم اي وروي ما اجتمع
قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد الم يدخلوه الا لم يبارك فيه اي في الامر
الذي اجتمعوا فيه وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم
اي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسمه محمد في بيت الا جعل الله في
ذلك البيت بركة وابهم راوي ذلك فانه مجروح وروي ما قعد ما قعد قوم علي
طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا انضاعفت فيهم البركة اي اسمه المشهور
وهو احمد ومحمد كما تقدم وفي الشفا ان لله ملايكة سياحين في الارض عبادتهم
بالبا الموحده كل دار فيها اسم محمد اي حراسة كل دار فيها اسم محمد وقد
ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت وعن الحسين ابن علي بن ابي طالب
رضي الله تعالي عنهما قال من كان له حمل فنوي ان يسميه محمدا حوله الله
ذكرا وان كان انثي قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا
وعنه صلي الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع انه يسميه محمدا رزقه الله
تعالي غلاما وشكت اليه صلي الله عليه وسلم امراة بانها لا يعيش لها ولد فقال
لها اجعل الله عليك ان تسميه اي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش
ولدها وعن علي رضي الله عنه مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا يدعي باسمه
اي ولا يكني الا ادم صلي الله عليه وسلم فانه يدعي بابي محمد تعظيما له وتوقيرا

للنبي صلي الله عليه وسلم اي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكني الانسان باجل
ولده قاله الحافظ الدمياطي وفي رواية ليس احد اي من اهل الجنة يكني الا ادم فانه يكني
ابي محمد اي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادي منادٍ يا محمد قم فادخل الجنة
بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد لا يمنعون
وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصي الله مائة سنة
اي في بني اسرايل ثم مات فاخذوه فالقوه في مزبلة فاوحي الله تعالي الي موسي
عليه الصلاة والسلام ان اخرجه فصل عليه قال يارب ان بني اسرايل شهدوا
انه عصاك مائة سنة فاوحي الله اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التورية
ونظر الي اسم محمد قبله ووضعه علي عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته
سبعين حوراً انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وضعه صلي الله عليه
وسلم ان يقوموا تعظيما له صلي الله عليه وسلم وهذا القيام بدعة لا اصل لها
اي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس هو بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله
تعالي عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعم البدعة وقد قال العز بن عبد
السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكروا من امثلة كلما يطول ذكره
ولا ينافي ذلك قوله صلي الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة
ضلالة وقوله صلي الله عليه وسلم من احدث في امرنا اي شرعنا ما ليس منه فهو
رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي قدس الله سره
ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضلالة وما احدث
من الخير ولم يخالف شيا من ذلك فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر
اسمه محمد صلي الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدي به الايمة دينا وورعا الامام
تقي الدين السبكي وتابعه علي ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد
حكي بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علما عصره فانشد
منشد قول الصرصري في مدحه صلي الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفي الخط بالذهب ۞ علي ورق من خط احسن من كتب ۞
وان تنهض الاشراف عند سماعه ۞ قياما صفوفا او جثيا علي الركب ۞

فعند

فعند ذلك قال الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل انس كبير بذلك
المجلس ويكفي ذلك في الاقتدا وقد قال ابن حجر الهيثمي والحاصل ان البدعة
الحسنة متفق علي ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة
حسنة ومن ثم قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي ومن احسن ما ابتدع
في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلي الله عليه وسلم
من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان
للفقرا مشعر بمحبته صلي الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك او شكر الله
علي ما من به من ايجاد رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي ارسله رحمة للعالمين
هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله احد من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث
بعد ثم لا يزال اهل الاسلام من ساير الاقطار في المدن الكبار يعملون المولد
ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراة مولده الكريم
ويظهر عليهم من بركاته بكل فضل عظيم قال ابن الجوزي من خواصه انه
امان في ذلك العام وبشري عاجله بنيل البغية والمرام واول من احدثه
من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية كتابا في المولد سماه التنوير
بمولد البشير النذير فاجازه بالف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر
اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي وردا علي الفاكهاني المالكي في قوله
ان عمل المولد بدعة مذمومة باب ذكر رضاعه صلي الله عليه
وسلم وما اتصل به يقال انه صلي الله عليه وسلم ارتضع من
ثمانية من النسا وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن عن بريدة
قالت اول من ارضع رسول الله صلي الله عليه وسلم ثويبة اي بعد ارضاع امه
له كما ياتي قال وثويبة هي جارية عمه ابي لهب وقد اعتقها حين بشرته
بولادته صلي الله عليه وسلم اي فانها قالت له اشعرت ان امنة ولدت ولدا
وفي لفظ غلاما لاخيك عبد الله قال لها انت حرة فجوزي بتخفيف العذاب
عنه يوم الاثنين بان يسقي ما في جهنم في تلك الليلة اي ليلة الاثنين في مثل
النقرة ويذكر ان بعض النبي بين السبابة والابهام انتهي اي ان سبب تخفيف العذاب
عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك الليلة في تلك النقرة ويذكر ان بعض اهل ابي لهب

اي وهو اخوه العباس راه في المنام في حالة سيية فعن العباس رضي الله تعالي
عنه قال مكثت حولا بعد موت ابي لهب لا اراه في نوم ثم رايته في شر حال
فقال له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم رخا وفي لفظ فقال له
بشر خيبته بفتح الخا المعجمة وقيل بكسر الخا غير اني سقيت في هذه واشار الي
النقرة المذكوره بعتقا في ثويبته ذكره الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد روي
ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك قال في النار الا انه يخفف عني
كل ليلة اثنين وامص من بين اصابعي ها تين ما واشار براس اصبعه وان
ذلك باقيا في لثويبته عندما بشرتني بولادة النبي صلي الله عليه وسلم
وبارضاعها له فلينا مل وقيل انما اعتقها لما هاجر صلي الله عليه وسلم الي
المدينة اي فان خديجة كانت تكرمها وطلبت من ابي لهب ان تبتاعها منه لتعتقها
فابي ابو لهب فلما هاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم الي المدينة اعتقها ابو
لهب اقول قد يقال لا منافاة لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها
واباوه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله اعلم
وارضاعها له صلي الله عليه وسلم كان اياما قلايل قبل ان تقدم حليمه
وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة ثم
را مضمومة ثم حا مهملة كذا في النور وفي السيرة الشاميه بفتح الميم
وكانت قد ارضعت قبل ابا سفيان بن عمه الحارث وفي كلام بعضهم
كان تربا له صلي الله عليه وسلم وكان تشبهه وكان يالف الفا شديدا قبل
النبوة فلما بعث صلي الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا اصحابه فانه كان
شاعرا مجيدا وسياتي اسلامه رضي الله تعالي عنه عند توجهه صلي الله
عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبته قبلهما عمه حمزة بن عبد المطلب وكانت
اسن منه صلي الله عليه وسلم بسنتين وقيل باربع سنين اقول هذا يخالف
ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة [illegible]
هاله واتي منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة امنة وذلك في مجلس
واحد وان امنة حملت برسول الله صلي الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها
وانه دخل بها حين املك عليها فكيف يكون حمزة اسن منه صلي الله عليه وسلم
بسنتين

بسنتين الا ان يقال ليس فيما تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله
دخلا علي زوجتيهما في وقت واحد وعبارة السهيلي رحمه الله تعالي هاله
بنت وهيب بن عبد مناف بن زهره عم آمنة بنت وهب ام النبي صلي الله
عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله امنة في ساعة واحدة
فولدت هاله لعبد المطلب حمزة وولدت امنه لعبد الله رسول الله صلي الله
عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول الغاية المتقدم
ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد تصريح بانهما دخلا
بزوجتيهما في وقت واحد لامكان حمل التزويج علي الخطبة المصرح به
فيما تقدم عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة في مجلس خطبة عبد الله
لامنة والله اعلم ثم رايت في الاستيعاب قال كان ابي حمزة اسن من رسول الله
صلي الله عليه وسلم باربع سنين وهذا لا يصح عندي لان الحديث الثابت ان حمزة
رضي الله عنه ارضعته مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الا ان تكون ارضعتهما في زمانين
وفيه ما علمت وفيه ايضا علي تسليم انها ارضعتهما في زمانين لكن بلبن ابنها
مسروح كما سياتي وقد يقال بلبن ابنها مسروح اربع سنين ثم ارضعت رسول الله
صلي الله عليه وسلم وسياتي الجواب عنه وارضعت ثويبه بعده صلي الله عليه وسلم
ابا سلمة بن عبد الاسد اي ابن عمته صلي الله عليه وسلم الذي كان زوجا
لام حبيبة بنت ابي سفيان ام المومنين رضي الله تعالي عنهما فقد ارضعت ثويبة
حمزة ثم ابا سفيان بن عمه الحارث ثم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم ابا سلمة
وهو يخالف بظاهره لقول المحب الطبري وارضعت ثويبة جارية ابي لهب وارضعت
بعد حمزة ابني عبد المطلب وابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بلبن ابنها مسروح
هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان تكون لم تحمل علي ولدها مسروح
في المدة المذكوره واستمر لبنها وايضا ارضعت بلبن حمزة ورسول الله صلي الله عليه
وسلم ابا سفيان ابن عمه الحارث كما علمت وذكر بعضهم ان ابا سلمة اول
من يدعي للحساب اليسير وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم حديثا واحدا
فعن ام سلمة رضي الله عنها قالت اتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم قولا سررت به

قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبته فيسترجع عند مصيبته ثم يقول
اللهم اجرني من مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال الترمذي حسن
غريب ويدل لكون ابي سلمة اخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ما جا عن ام حبيبة
قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هل لك في اختي بنت ابي سفيان
اي وهي عزة بعين مهملة ثم زاي اي وفي رواية هل لك في اختي حمنه بنت ابي سفيان
قال وتحبين ذلك قالت نعم لست بمخلية بضم الميم وسكون الخا وكسر اللام وبالتحتية
اي لست لك بتاركة عدم اخذها واحب من شاركني في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان ذلك لا يحل لي قالت فوالله اني انبيت اي وفي لفظ انا لنتحدث انك تخطب
درة اي وفي لفظ تريد ان تنكح درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة واما
ضبطه بفتح الذال المعجمة قال بعضهم وهو تصحيف لا شك فيه يعني بدرة بنتها
من ابي سلمة قال ابنة ابي سلمة قالت نعم قال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري
ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباه ثويبة اي وفي رواية
لو اني لم انكح ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان اباها اخي من الرضاعة
لا تحل لي اجمعها معك فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن قيل وفي هذا
اي في قوله لم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم
حجة له او والظاهر ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم
تكن في حجره فهي حلال له اي وقيل لها ربيبة لانها ماخوذة من الرب وهو
الاصلاح لان زوج امها يقوم باصلاح احوالها قال وكان ان تقول كان الظاهر
الاقتصار على الاخوات لان ام حبيبة التي هي عرضت اختها ولا تعرض بنتها
التي هي درة وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب ام حبيبة خطابا
لجميع زوجاته لان هذا الكلام لا يختص بواحدة دون اخرى انتهى اقول فيه
ان هذا واضح لو كان في زوجاته من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد
فلا تعرضن لا ينبغي لكن ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم
رايت الامام النووي ذكر ان هذا من ام حبيبة اي من عرض اختها محمول
على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال ولهذا
لم يعلم من عرض بنت ام سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض
الناس

الناس عرض عليه بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه
اتحد قوله فلا تعرضن علي بناتكن تامل وبهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز
له ان يجمع بين المراة واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك
له ولا يجمع بين المراة وبنتها خلافا لوجه حكاه الرافعي وهذا الحديث وهو قوله
صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام سلمة لم تحل لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص
الصغرى وله الجمع بين المراة واختها وعمتها وخالتها في احدى الوجهين وبين
المراة في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة وجزموا بابه عليك والله اعلم
ومما يدل ايضا على ان حمزة اخوه من الرضاعة ما جا عن علي رضي الله تعالى
عنه قال قلت يا رسول الله ما لك لا تتوق في قريش اي بمثناتين فوق مفتوحتين
ثم واو مشددة ثم قاف اي لا تشتوف اليهم ماخوذ من الشوف الذي هو الشوق
وفي رواية بالتا والنون اي لا تختار ولا تتزوج منهم قال وعندك قلت نعم
ابنة حمزة اي عمه وهي امامة وهي اوضى فتاة في قريش قال تلك ابنة اخي
من الرضاعة اي وهذا من علي رضي الله عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت
الاخت من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم او انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له
صلى الله عليه وسلم من الرضاع وفيه انه جا قد علمت انه اخي من الرضاعة وان
الله قد حرم من الرضاعة ما حرم من النسب الا ان يراد بقوله قد علمت اي اعلم
قال ولعله لم يقل ارضعتني واباه ثويبة كما قال ذلك في ابي سلمة لان
ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابا سلمة لان حمزة رضيعه
ايضا من امراة من بني اسرايل سعد غير حليمة كان حمزة مسترضعا عندها
في بني سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهي عند حليمة اي فهو رضيعه
صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المراة السعدية ولم اقف
على اسم تلك المراة انتهى ولو اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم يرضع معه على غيرها
وذكر في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه خولة بنت المنذر اقول
تقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التي هي ام
بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم وقد يجاب عنه بانه يجوز ان يكون خولة بنت
المنذر اثنان واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابراهيم

وان خولة التي ارضعتة صلي الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال
فيها الشمس الشامي لم اقف علي اسم تلك المراة والله اعلم ولم يذكر اسلام ثوبية الا ابن
منده **قال الحافظ ابن حجر** وفي طبقات ابن سعد ما يدل علي انها لم تسلم ولكن لا يدفع
نقل ابن منده به **وفي الخصايص الصغري** لم ترضعه مرضعة الا اسلمت ولم اقف علي
اسلام ابنها مسروح اقول ومما يدل علي عدم اسلامه ما جا بسند ضعيف اذا كان
يوم القيامة اشفع لاخ لي في الجاهلية **قال الحافظ السيوطي** يعني اخاه من الرضاعة
لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من ابن انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد
الله الذي كان يرضع معه بنا علي انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف له اسلام لانا نقول
سياتي عن شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة اسلم والله اعلم اي **وقد
يدل علي عدم اسلام ثوبية** وابنها المذكور الذي هو مسروح ما جا انه صلي
الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة وهي بمكة حتي جاه خبر وفاتها مرجعه
من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها اي ولو كانا اسلما
لهاجرا الي المدينة **اقول وهذا بظاهره** يدل علي ان مسروحا ادرك الاسلام
وقد منا في علم وفاتها مرجعة من خيبر ما ذكره السهيلي انه صلي الله عليه وسلم
كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر
انهما ماتا **وقد يقال** لا منافاة لانه يجوز ان يكون الثاني للمنسب لوصوله محل اقامتهما
والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الي المدينة يقال عليه يجوز ان يكون الهجرة تعذرت
عليهما لعارض عرض لهما والله اعلم **قال وجا ان امه ارضعته صلي الله عليه وسلم**
تسعة ايام اقول وعن عيون المعارف للقضاعي سبعة ايام وفي الامتاع انهما ارضعته
سبعة اشهر ثم ارضعته ثوبية اياما قلايل هذا كلامه وقوله ثم ارضعته ثوبية
يخالف ما تقدم من ان اول من ارضعته ثوبية الا ان يقال المراد اول من ارضعته
غير امه ثوبية فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان اول لبن نزل
جوفه صلي الله عليه وسلم لبن ثوبية فانه فهم ذلك من قول الاصل اول من ارضعته
ثوبية لما علمت ان الاولية اضافية لا حقيقة الا ان يدعي ذلك في نقل ابن المحدث
ايضا اي اول لبن نزل جوفه بعد لبن امه والله اعلم **قال وارضعه صلي الله عليه وسلم**
ثلاث نسوة اي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعها في فمه فدرت
في فيه فرضع منهن وارضعته ام فروة انتهي اي وهولا النسوة الابكار كل واحدة
منهن

منهن تسمي عاتكة وهي اللاتي عناهن صلي الله عليه وسلم بقوله انا ابن
العواتك من سليم علي ما تقدم وما تقدم من ان ام ايمن ارضعته صلي الله عليه
وسلم **ذكره في الخصايص الصغري** ورد بانها حاضنته لا مرضعته وعلي
تقدير صحته ينظر بلبن اي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة
الا ان يقال جاز ان لبنها در له صلي الله عليه وسلم من غير وجود لبن كما تقدم
في النسوة الابكار **وارضعته حليمه بنت ابي ذويب** وتكني ام كبشه
اي بولد بنت لها اسمها كبشه ويكني بها ايضا والدها الذي هو زوج حليمه اي
وكانت من هوازن اي من بني سعد بن بكر بن هوازن وسياتي الكلام علي
اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها معها ابن لها ترضعه
اسمه عبد الله ومعها زوجها **قال** وهو الحارث عبد العزي ويكني ابا ذويب
اي كما يكني ابا كبشه ادرك الاسلام واسلم **فقد روي** ابو داود بسند صحيح
عن عمرو بن السايب انه بلغه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل
ابوه من الرضاعة **فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم** واجلسه بين يديه
وعن ابن اسحق بلغني ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبي صلي الله عليه
وسلم وهو يرد قول بعضهم لم يذكر الحارث كثير ممن الف في الصحابة انتهي
اقول يدل الاول ظاهر **ما روي** ان الحارث هذا قدم علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم بمكة بعد نزول القران عليه فقالت له قريش اما تسمع يا حارث ما يقول
ابنك **فقال** وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وان لله دارين
يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه اي يعذب في احدهما من
عصاه وهي النار ويكرم في الاخري من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا
وفرق جماعتنا فاتاه **فقال** اي بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون
انك تقول كذا اي الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الي جنة ونار
فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم نعم انا اقول ذلك **وفي لفظ** انا ازعم
ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا ابت فلاخذن بيدك حتي اعرفك حديثك
اليوم فاسلم الحارث بعد ذلك وحسن اسلامه اي **وقد كان** يقول حين اسلم

لواخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني حتى يدخلني الجنة يقال
قوله وانما قلنا ظاهر لانه قد بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه اسلم في حياته صلى الله عليه وسلم وفي
شرح الهمزية لابن حجر ومن سعادتها يعني حليمة توفقها للاسلام
هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والنبي وابنته هذا كلامه وفي الاصابة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من
الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه
جلوسه مقابله وحينئذ فتامل جلس النبي صلى الله عليه وسلم وصير يديه راجع
لاخيه اي قام صلى الله عليه وسلم عن كل محل جلوسه على الثوب واجلس اخاه
على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة اخيه ففعل ذلك صلى
الله عليه وسلم ليكون اخاه هو وابواه جميعا على الثوب والله اعلم قال وخرجت
نسوة من بني سعد اي ابن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعا في سنة
شهبا اي ذات جدب وقحط لم يبق شيئا على اتان قمرا بفتح القاف والمد
اي شديدة البياض ومعنى شارف اي ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة
وربما روي بالمهملة اي ما ترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلتنا اجمع مع
صبينا الذي معنا من بكايه من الجوع ما سدي وفي رواية يدي ما يغنيه
وما في شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين
المهملة وكسر الذال المعجمة وضم البا الموحدة اي ما يكفيه بحيث يرفع راسه وينقطع
عن الرضاعة قالت حليمة وكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على اتاني تلك فلقد
ادمت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب اي جلسة بتاخيرها عنه لشده
عيائها وتعبها لضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة
فلنلتمس اي نطلب الرضعا جمع رضيع وام ماخوذ من المسا الدابر يقال ادم
بالركب اذا بطا حتى جسم ويروى بالمعجمة اي جا بما يدم عليه وهو هنا الابطا قال

لانه

لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة
في غير قبيلته ليكون انجب للولد وافصح له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار
على المراة ان ترضع ولدها انتهى اي تستقل برضاعه ويدل للاول ما جا
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه انا اعربكم اي افصحكم عربية انا قرشي
واسترضعت من بني سعد وجاان ابابكر رضي الله عنه لما قال ما يمنعني وانا
من قريش وارضعت في بني سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعا الى المراضع
الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب
الوليد يعني ولده لانه لمحبته له ابقاه مع امه في المدر ولم يسترضعه في البادية
مع الاعراب فصار لحانا لا عربية له واخوه سليمان استرضع في البادية مع
الاعراب فصار عربيا غير لحان قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجو
المعروف من ابي الصبي فكنا نقول يتيم ما عسى ان تصنع امه وجده فكنا
نكره هذا لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا
الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من بين
صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلاخذنه قال لا عليك
اي لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه
فاخذته اقول وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب
خرج يلتمس له المراضع فالتمس له حليمة ابنة ابي ذويب الا ان يقال
جاز ان يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وابين ان
يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم تجد رضيعا ويدل لذلك قول
صاحب شفا الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال
من انت فقلت انا امراة من بني سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد
المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة
ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نسا بني سعد فابين ان يقبلنه وقلن
ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى

ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتي اشاور صاحبي فانصرفت
الي صاحبي فاخبرته فكان الله قد قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال
لي يا حليمة خذيه فرجعت الي عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني
فقلت نعم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني وادخلني بيت امنه فقالت
اهلا وسهلا وادخلني في البيت الذي فيه محمد فاذا هو مدرج في ثوب
صوف ابيض من اللبن وتحته حريرة خضرا راقد علي قفاه يغط يفوح
منه رايحة المسك فاشفقت اي خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله
فوضعت يدي علي صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج من عينيه
نور حتي دخل خلال السما وانا انظر فقبلته بين عينيه واخذته وما حملني
علي اخذه اي اكد اخذه الا اني لم اجد غيره والا فما ذكرته من اوصافه
مقتضي لاخذه اي وهذه الرواية ربما تدل علي انها لم تره قبل ذلك وان
ايا بها له كان قبل رويا هاله قالت فلما اخذته رجعت به الي رحلي فلما
وضعته في حجري اقبل ثدياي بما شا الله من لبن فشرب حتي روي
اي من الثدي الايمن وعرضت عليه الايسر فاباه قالت حليمة وكانت
تلك حالته بعد اي بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن
وفي السبعيات انه اخذ ثديي حليمة كان لا يبدر اللبن منه فلما
وضعته في فم رسول الله صلي الله عليه وسلم در اللبن منه قالت
وشرب معه اخوه حتي روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لعدم
نومه من الجوع فقام زوجي الي شارفنا تلك فاذا هي لحامل اي ممتلية الضرع
من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتي انتهينا ريا وشبعا فبتنا
بخير يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد اخذتي نسمة مباركة
قلت والله اني [illegible] ارجوا ذلك ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته معي عليها فوالله
لقطعت بالركب اي صيرته خلفها ما يقدر عليها اي علي موافقتها ومصاحبتها
شي من حمرهم حتي ان صواحبي يقلن لي يا ابنت ابي ذويب ويحكي اربعي
اي اعطفي وعدم الشدة في السير اليس هذا لاتانك التي كنت خرجتي عليها

اي

اي تخفضك طورا وترفعك اخري فاقول لهن بلي والله انها لهي فيقلن
والله ان لها لشانا اي وقالت حليمه فكنت اسمع اتاني ينطق ويقول
والله ان لي لشانا ثم شانا شاني بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد
هزلي ويحكن يا نسا بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من علي ظهري
خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين
ذكره في النطق المفهوم وذكرت انها لما ارادت فراق مكة رات تلك
الاتان سجدت اي خفضت راسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها
الي السما ثم تمشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من الله
اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا اي غزيرات اللبن
فنحلب ونشرب وفي لفظ تحلب ماشيا وما يحلب انسانا قطرة لبن ولا يجدها
في ضرع حتي كان الحاضر اي المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويلكم
اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذويب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا
ما تبض قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير
بضب سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه
حتي كان غلاما جفرا اي غليظا شديدا وعن حليمة انه صلي الله عليه وسلم
لما بلغ شهرين كان يحبي الي لكل جانب اي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع
من ان امه ارضعته سبعة اشهر قالت حليمه فلما بلغ ثمانية كان يتكلم بحيث
يسمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة
اشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها انها قالت انه لفي حجري ان مرت
غنيمات لي فاقبلت واحدة منهن حتي سجدت له وقبلت راسه ثم ذهبت
الي صواحبها اقول وقد سجدت له الغنم وكذا الجمل بعد بعثته والهجرة
فعن انس ابن مالك رضي الله تعالي عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
دخل حايطا اي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجال من الانصار
وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله تعالي عنه يا رسول الله
كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي ان يسجد احد لاحد

ولوكان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها زاد
في رواية ولوان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الي جبل لكان نولها
اي حقها ان تفعل وحرب حمل بكسر الرا اي اشتد غضبه فصار لا يقدر
احد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لاصحابه
افتحوا عنه فقالوا انا نخشي عليك يا رسول الله فقال افتحوا عنه ففتحوا
عنه فلما راه الجمل خر ساجدا اي فاخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه
وقال استعمله واحسن علفه فقال القوم يا رسول الله كنا احق ان نسجد
لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث وفي هذا دلاله علي عظيم حق
الزوج علي زوجته وجا ما يدل علي ذلك ايضا ما روي ان اسما بنت يزيد الانصارية
اتت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله بعثك الي الرجال والنسا
فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر النسا مقصورات مخدرات قواعد بيوت
وموضع شهوات الرجال وحاملات اولادهم وان الرجال فضلوا الجماعات
وشهود الجنايز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم
افنشاركهم في الاجر يا رسول الله فالتفت رسول الله صلي الله عليه وسلم
بوجهه الي اصحابه وقال هل سمعتم مقالة امراة احسن سوالا عن دينها
من هذه قالوا بلي يا رسول الله فقال انصرفي يا اسما واعلمي انك من النسا
ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل
كلما ذكر للرجال اي حضور الجماعات وشهود الجنايز والجهاد فانصرفت
اسما وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم
والتبعل ملاعبة المراة لزوجها قالت حليمه وكان ينزل عليه كل يوم نور
كنور الشمس ثم ينجلي عنه والي قصة رضاعه صلي الله عليه وسلم اشار
صاحب الهمزيه بقوله

• وبدت في رضاعه معجزات • ليس فيها من العيون خفا •
• اذ ابته ليتمه مرضعات • قلن ما في اليتيم عنا غنا •
• فاتته من ال سعد فتاة • قد ابتها لفقرها الرضعا •

ارضعته

• ارضعته لبانها فسقتها • وبنيها البانهن الشا •
• اصبحت شولا عجافا وليت • سايها سايل ولا عجفا •
• اخصب العيش عندها بعد محل • اذ اغتدا للنبي منها غذا •
• يا لها منة لقد ضوعف الاجر • عليها من جنسها والجزا •
• واذا سخر الاله اناسا • لسعيد فانهم سعدا •

اي ظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلي الله عليه وسلم امور خارقة
للعادة لوضوحها لا تخفي علي العيون فمن ذلك ان المراضع ابت ان تاخذه لاجل
يتمه فبعد ان تركته اتته فتاة من ال سعد قد ابتها الرضعا لفقرها فسقته
لبنها فسقتها وبنيها الشا البانها وكانت تلك الشاة لا لبن لها هزيلات
فصارت ذات البان وسمن ومن ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل
لاجل حصول غذا النبي صلي الله عليه وسلم يا لها اي تلك الفعلة الصادرة
من حليمة وهي سقيها له لبنها نعمة منها عليه لقد كرر الثواب والجزا علي
تلك النعمة من حسن تلك النعمة لان الجزا من جنس العمل فلما سقت اللبن
سقيته ولا بدع فان الله تعالي اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته
فانهم بسبب ذلك سعدا اقول لم اقف علي رواية فيها ان حليمة
ابتها الرضعا لفقرها وكان الناظم اخذ ذلك من قولها فما بقيت امراة قدمت
مع الا اخذت رضيعا غيري وما حملني علي اخذه الا اني لم اجد غيره ولا دلالة
في ذلك واستفتي الحافظ ابن حجر رحمه الله عن بعض الوعاظ يذكر عند
اجتماع الناس للمولد ماجريات اي وقايع يتعلق به صلي الله عليه وسلم
جات بها الاخبار في محله بالتعظيم حتي يظهر من السامعين حزن فيبقي في خبر
من يرحم لا في خبر من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حصون ولم ياخذنه
لعدم ماله ونحو ذلك فما قولكم في ذلك فاجاب بما نصه ينبغي لمن يكون
فطنا ان يحذف من الخبر اي الحديث ما يوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضر ذلك
بل يجب كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله تعالي عنه حيث قال في بعض تصانيفه
وقطع رسول الله صلي الله عليه وسلم امراة لها شرف فكلم فيه فقال سرقت

ثلاثة لامراة شريفة لقطعتها يعني فاطمه بنت النبي صلي الله عليه
وسلم فلم يصرح رضي الله تعالي عنه باسمها تادبا معها ان يذكرها في هذا
المعرض وان كان صلي الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلي الله عليه وسلم
حسن دال علي ان الخلق عنده في الشرع سوا فهذا من كمال ادب الامام
رضي الله تعالي عنه وارضاه ونفعنا ببركاته اي فاذا جاز حذف بعض الحديث
الموهم نقصا في اهل بيته صلي الله عليه وسلم فما بالك بما يوهم النقص
فيه صلي الله عليه وسلم **وهذا من الحافظ** رحمه الله تعالي يدل علي ان ابا المراضع
له صلي الله عليه وسلم واراد حيث اقره ولم ينكره والله اعلم **قال**
وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما كان اول كلام متكلم به رسول الله صلي
الله عليه وسلم حين فطمته حليمة **الله اكبر كبيرا والحمد لله**
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا اي وتقدم انه صلي الله عليه وسلم
تكلم بهذا عند خروجه من بطن امه **وفي رواية** اول كلام تكلم به في بعض
الليالي اي وهو عند حليمة السعدية **لا اله الا الله قدوسا قدوسا**
نامت العيون والرحمن لا تاخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيا
الا قال باسم الله **وعن حليمة** لما دخلت به الي منزلي لم يبق منزل
من منازل سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبة واعتقاد بركته
في قلوب الناس حتي ان احدهم كان اذا نزل به اذي في جسده اخذ
كفه صلي الله عليه وسلم فيضعها في موضع الاذي فيبرا باذن الله تعالي
سريعا وكذلك اذا اعتل لهم بعيرا او شاة انتهي **قالت حليمة فقدمنا**
مكة علي امه اي بعد ان بلغ سنتين ونحن احرص شي علي مكثه فينا لما نري
من بركته فكلمنا امه وقلت لها لو تركت بني عندي حتي يغلظ وفي كلام ابن
الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخري فاني اخشي عليه وبا مكة
اي موضعها ودخمها فلم نزل بي حتي ردته معنا وقيل ان امه امنة **قالت**
لحليمة ارجعي بابني بالعوا فاني اخاف وبا مكة فوالله اي ليكونن له
شان اي ولا مخالفة بينهما ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمه ارجعي بابني

علي

علي الغور فاني اخاف عليه وبا مكة اي كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة
فرجعنا به فوالله انه بعد ان قدمنا به باشهر وعبارة ابن الاثير بعد ان قدمنا
بشهرين او ثلاثة مع اخيه يعني من الرضاعة لقربهم لنا **ولعل هذا الاينافيه**
قول المحب الطبري رحمه الله تعالي **فلما شب وبلغ رشد** لانه الفي ذلك الكسره
فبينما هو واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم اولاد الضان اذا اتي اخوه
يشتد اي يعدو فقال لي ولابيه ذاك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما
ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه
قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قايما منتقعا وجهه **وفي لفظ**
لونه اي متغيرا اي صار لونه كلون النقع الذي هو الغبار وهو صفة
الوان الموتي وذلك لما ناله من الفزع اي من روية الملايكة لا من مشقة نشات
من ذلك الشق كما ياتي في بعض الروايات فلم اجد لذلك حسا ولا الما **ومن**
ثم قال ابن الجوزي رحمه الله تعالي فشقه وما شق عليه واطلاقه
شامل لهذه المرة التي هي الاولي **وقد قال** بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو
صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا له ما لك يا بني **فقال**
جاني رجلان عليهما ثياب بيض اي وهما جبريل وميكايل اي وهما المراد بقوله
وفي رواية فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما
لصاحبه اهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فاضجعاني فشقا بطني
فالتمسا فيه شيا اي طلباه فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو اي
وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات **وفي رواية** غريبة نزل علي كركيان
فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الاخر فيه بمنقاره ثلجا او بردا وقد يقال
ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين **وفي كون** مجي جبريل وميكايل
علي صورة النسر سيد الطيور فقد جا في الحديث هبط علي جبريل **فقال** يا محمد
ان لكل شي سيدا فسيد البشر ادم وسيد ولد ادم انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس
سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفي بحر العلوم
وسيد الملايكة اسرافيل وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة ... وسيد الشهدا هابيل وسيد الجبال جبل موسي وسيد الانعام

الثور وسيد الوحوش الابل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور
رمضان وسيد الايام يوم الجمعه وسيد الكلام العربيه وسيد العربيه القران
وسيد القران سورة البقره قالت حليمة فرجعنا به صلي الله عليه
وسلم الي جانبنا اي محل الاقامة وقال لي ابوه يا حليمة لقد خشيت ان
يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه الي اهله قبل ان يظهر ذلك به وفي رواية
قال الناس يا حليمة ردي به علي جده واخرجي من امانتك وفي رواية
قال زوجي اري ان نرد به علي امه لتعالجه والله ان اصابه ما اصابه
الا حسد من ال فلان طابرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة
علي مكة قال قال الواقدي وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول رجع
الي امه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده
وكان غيره اي غير ابن عباس رضي الله تعالي عنهما يقول رجع الي امه وهو ابن اربع
سنين وذكر الاموي انه رجع وهو ابن ست سنين اقول سياق
ما قبله يدل علي ان قدوم حليمة به علي امه كانت عقب الواقعة المذكورة
وتقدم ان سنه كان سنتين واشهر وسياتي ما فيه والله اعلم قال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان حليمة رضي الله تعالي عنها كانت
تحدث بانه صلي الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج ينظر الي الصبيان
يلعبون فيجتنبهم فقال لي يومًا يا اماه مالي اري اخوتي بالنهار يعني
اخوته من الرضاعه وهم اخوه عبد الله واختاه انيسه والشيما بفتح
الشين المعجمة وسكون التحتيه اولاد الحارث قلت فدتك نفسي انهم يرعون
غنما كنا فيروحون من ليل الي ليل قال ابعثيني معهم فكان صلي الله عليه
وسلم يخرج مسرورا ويعود مسرورا اي وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع اخيه
في بهم خلف بيوتنا ولقوله صلي الله عليه وسلم الاتي فبينا انا ذات
يوم منتبذا من اهلي في بطن وادٍ مع اتراب لي من الغلمان كما لا يخفي قالت
حليمه فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اتاني
اخوه اي وفي رواية اذا اتي ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح

باكيا

باكيا ينادي يا ابت ويا امه الحقا اخي محمدا فما تلحقا نه الا ميتا قلت وما قضيته
قال بينما نحن قيام اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل
ونحن ننظر اليه حتي شق صدره الي عانته ولا ادري ما فعل به اقول لعل ضمرة
هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله
صلي الله عليه وسلم الاتي ان الاتراب الذين كانوا معه انطلقوا هرابا مسرعين
الي الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز ان يكون ضمرة سبقهم والله اعلم
قالت حليمة فانطلقت انا وابوه نسعي سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا
علي ذروة الجبل شاخصا ببصره الي السما يتبسم ويضحك فاكببت عليه
وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسي ما الذي دهاك قال
خيرا كنا بالغضب يا ماه بينا انا الساعة قايم اذ اتاني رهط ثلاثة بيد
احدهم ابريق فضة وفي يد الاخر طست من زمردة خضرا والزمردة بالضم
والذال المعجمة الزبرجد وهو معرب فاخذوني وانطلقوا بي الي ذروة الجبل فاضجعوني
علي الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا قد يخالف قوله صلي الله عليه
وسلم الاتي فاخذوني حتي انتوا شفير الوادي فعمد احدهم فاضجعني
الي الارض ثم شق من صدري الي عانتي هو المراد ببطنه فيما تقدم
وما ياتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما الحديث وفي هذه الرواية
طي ذكر القلب وشقه ايضا اقول ولا منافاة بين قولها في تلك الرواية فوجدناه
قايما وبين قولها في هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا علي ذروة الجبل لجواز ان
يكون ارادت بكونه قايما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ساكنا كما لا منافاة
بين قولها في تلك الرواية منتقعا وجهه وبين قولها في هذه الرواية يتبسم ويضحك
لان ذلك لا ينافي الفزع او لجواز ان يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما راي من
الحالة التي عليها امه من التعب والشدة والله اعلم وذكر ابن اسحق
رحمه الله تعالي ان حليمة لما قدمت به صلي الله عليه وسلم مكة لترده علي
امه اي بعد شق صدره صلي الله عليه وسلم وقد بلغ اربع سنين او خمس
او ست علي ما تقدم اضلته في اعالي مكة فاتت جده عبد المطلب فقالت اني قدمت

بمحمد في هذه الليلة فلما كنت باعالي مكة اضلني فوالله ما ادري اين هو
فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعوا الله ان يرده عليه وفي رواية الزمان انه انشد
يا رب رد راكبي محمدا ه اردده ربي واصطنع عندي يدا ه
وسياتي ان هذا البيت انشده عبد المطلب حيث بعث النبي صلي الله عليه
وسلم ليرد ابلا له ضلت وقد يقال لامانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا
من السما يقول يا ايها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولن يضيعه فقال
عبد المطلب نزلنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمني فركب عبد
المطلب نحوه وتبعه ورقه بن نوفل وسياتي بعض ترجمة ورقه فوجداه
صلي الله عليه وسلم قايما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها فقال له جده
من انت يا غلام قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال
وانا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الي مكة
وهو قدامه علي قربوس فرسه ونحر الشياة والبقر واطعم اهل مكة اقول
وقول جده له من انت يا غلام لعله وجده علي حالة لا توجد لمن يكون في
سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان صلي الله عليه وسلم يشب
شبا لا يشبه الغلمان وفي السيرة الشامية ان الذي وجده هو ورقه
بن نوفل ورجل اخر من قريش فاتيا به عبد المطلب اي ويقال ان عمرو بن
نفيلة راه وهو لا يعرفه فقال له من انت يا غلام قال انا محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه علي الراحلة حتي اتي به
عبد المطلب وفي كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالي ووجدك
ضالا فهدي روي انه صلي الله عليه وسلم قال ضللت عن جدي
عبد المطلب وانا صبي فبينما هو متعلق باستار الكعبة وقد يقال
يا رب رد ولدي محمدا ه اردده ربي واصطنع عندي يدا ه
فجا بي ابو جهل بين يديه علي ناقة وقال لجدي لا تدري ما وقع من ابنك
فقال انخت الناقة واركبته من خلفي فابت ان تقوم فاركبته امامي فقامت
ويحتاج الي جمع علي تقدير صحة ما ذكر وقد يقال لامانع من تعدد ذلك ويدل

لذلك

لذلك ان بعض المفسرين قال في تفسير قوله ووجدك ضالا فهدي
قيل ضل عن مرضعته حليمه وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير
قالت حليمه فقالت امه ما قدمك به يا ظير اي يا مرضعة ولقد كنت حريصة
عليه وعلي مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي علي وتخوفت
الاحداث فاديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقيني خبرك
قالت فلم تدعني حتي اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم
فقالت والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني شانا اولا اخبرك خبره قلت
بلي قالت رايت حين حملت به انه خرج مني نورا اضاله قصور بصري
من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رايت اي علمت من حمل قط كان
اخف علي ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافعا
راسه الي السما دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة
انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت لا تحدثوني عن ابني هذا حملته
كذا ووضعته كذا ورايت كذا كما وصفت لها امه اي فانها ذكرت
لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند اخذه منها انتهي اقول ولا ينافي ذلك
قول امه لحليمة اولا اخبرك خبره وقول حليمة لها بلي يجوز
ان تكون امه لم تكن متذكرة انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك
او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة عما اخبرتها اولا بنا علي اتحاد ما اخبرتها
به اولا وثانيا والله اعلم قال ولما اخبرت اوليك اليهود بذلك قال
بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا اليتيم هو فقالت لا هذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان
يتيما قتلناه اقول وهذا يدل علي ان ما ذكرته امه لحليمة من انها حين
حملت به خرج منها نور الي اخر ما تقدم وان يكون لا اب له مذكور في بعض
الكتب القديمة انه من علامة نبوة المصطفي النبي المنتظر والله اعلم
قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ اي وكان سوقا للجاهلية
بين طايف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت بهذا السوق
شهر شوال وكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمي عكاظا يقال عكظ الرجل

صاحبه اذا فاخره وعلبه المفاخرة **وفي كلام بعضهم** كان سوق عكاظ
لثقيف وقيس عيلان فراه كاهن من الكهان فقال يا اهل سوق
عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فراغت اي مالت به وحادت
عن الطريق فانجاه الله تعالى اي **وفي الوفا** لما قامت سوق عكاظ انطلقت
حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس
صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس
من اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس
يقولون اي صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيا فيقال له ما هو
فيقول رايت غلاما والالهة ليقتلن اهل دينكم وليكسرن الهتكم وليظهرن
امره عليكم فطلب فلم يوجد **وعنها** رضي الله تعالى عنها انها لما رجعت به
مرت بذي المجاز وهو سوق الجاهلية على فرسخ من عرفة اي وهذا السوق
قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انفضاضهم من سوق عكاظ
فيقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي
هو سوق ذي المجاز فيقيم فيه الى ان الحج وكان بهذا السوق عراف اي منجم
يوتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا
الصبي فليقتلن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا
لينظر امرا من السما وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله
فذهب عقله حتى مات اي **وفي السيرة الهشامية** ان نصارى من الحبشة
راوه صلى الله عليه وسلم مع امه السعدية حين رجعت به الى امه
بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه اي راوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه
قالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لنا
خذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلام
كائن له شان نحن نعرف امره فلم تكد تنفلت به صلى الله عليه وسلم
منهم وانت به الى امه **وعنه صلى الله عليه وسلم** واسترضعت في بني سعد

فبينا

فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتاني رجلان عليهما ثياب
بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا
قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها اي وقيل هذا
حظ الشيطان منك يا حبيب الله اي **وفي رواية** فاستخرجا منه علقتين
سوداوين اي ولا مخالفة لجواز ان يكون تلك العلقة انفلقت نصفين **وفي
رواية** فاستخرجا مغمز الشيطان اي وهو المعبر عنه في الرواية
قبلها بحظ الشيطان **ولا ينافي** ذلك قوله في الرواية السابقة ولا ادري
ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا بعد علمه **والمراد**
بمغمز الشيطان محل غمزه اي محل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان العلقة
خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من
قلبه فلم يبق فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيا فلم يكن للشيطان فيه
حظ وليست هي محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام
غير واحد وفيه ان هذا يقتضي ان يكون قبل ذلك كان للشيطان عليه سبيل
واجاب السبكي بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه حصول
الالقا اي بالفعل فليتامل **وسيل** رحمه الله تعالى فلم خلق الله هذا القابل في
هذه الذوات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه الله تعالى فيها **واجاب**
بانه من جملة الاجزا الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ثم نزعت تكرمة
له صلى الله عليه وسلم اي ليظهر للخلق بذلك البكرية ليتحققوا كمال باطنه كما
تحققوا كمال ظاهره اي لانه لو خلق خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه
انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة **واجيب بالفرق**
بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها
من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال **وقد تقدم**
كل ذلك وذكر السهيلي رحمه الله تعالى ما يفيد ان هذه العلقة هي محل مغمز
الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه السلام لما لم يخلق من مني الرجال
وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من مغمز الشيطان **قال ولا يدل هذا على فضل**

عيسي عليه السلام علي محمد صلي الله عليه وسلم لان النبي صلي الله
عليه وسلم قد نزع منه ذلك المغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل
ما يلقيه الشيطان من الامور التي لا ينبغي وان ذلك مخلوق في كل احد من الانبيا بعد
عيسي عليه السلام وغيره ولم ينزع الامن نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
قال صلي الله عليه وسلم ثم غسلا قلبي بذلك الثلج اي الذي في الطشت
حتي انقياه وملاه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات اي **وفي رواية**
ثم قال احدهما لصاحبه ايتيني بالسكينة فاتي بها فذرها في قلبي وهذه
السكينة يحتمل ان يكون هي الحكمة والايمان ويحتمل ان يكون غيرهما
وهذه الرواية فيها ان الطشت كان من ذهب وكذا في الرواية الاتية **وفي
الرواية** قبل هذه كان من زمردة خضرا ويحتاج الي الجمع وسنذكره وفي
هذه الرواية وكذا في الرواية الاتية ان الثلج كان في الطشت وفي الرواية
قبل هذه كان بيد احدهم ابريق فضه ويحتاج الي الجمع لان الواقعة لم
تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين وبرده
علي الفواد ذكره السهيلي رحمه الله تعالي **وذكر في بعض حكمه**
كون الطشت من ذهب كلاما طويلا قال صلي الله عليه وسلم وجعل الخاتم
بين كتفي كما هو الان **وفي الروايات السابقة** طي ذكر الخاتم وتتمة
الجواب الذي اجاب به صلي الله عليه وسلم اخا بني عامر الذي وعدنا
بذكرها هنا هو قوله صلي الله عليه وسلم **وكنت مسترضعا** في بني سعد
فبينا انا ذات يوم منتبذا اي متفردا من اهلي في بطن واد مع اتراب
لي اي المقارنين بالموحدة اي النون لي في السن من الصبيان اذا اني رهط
ثلاثة معهم طشت من ذهب ملان ثلجا فاخذوني من بين اصحابي
فخرج اصحابي هرابا حتي انتوا علي شفير الوادي ثم اقبلوا علي الرهط فقالوا ما اربكم
اي حاجتكم الي هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو
موضع فينا يتيم ليس له اب فما يرد عليكم ان يعود بكم قتله وماذا تصيبون
من ذلك فان كنتم لا بد فاقتلوه اي ان كان لا بد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شيتم

فلياتكم

فلياتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه يتيم **فلما راي الصبيان**
ان القوم لا يجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الي الحي يوذنونهم اي يعلمونهم
ويستصرخونهم علي القوم فعمد احدهم الي فاضجعني الي الارض اضجاعا لطيفا
ثم شق بطني ما بين مفرق صدري الي منتهي عانتي وانا انظر اليه
لم اجد لذلك مسا اي ادني مشقة واستخرج احشا قلبي ثم غسلها
بذلك الثلج فانعم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها الي مكانها اي وقد
طوي ذكر استخراج الاحشا وغسلها في الروايات السابقة ولا يخفي ان
من جملة الاحشا ظاهر القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه
عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه
مضغة سودا تقدم التعبير عنها بالعلقة السودا ثم رمي بها ثم قال بيده يمنه
منه كانه يتناول شيا واذا الخاتم في يده من نور يحار الناظرون
دونه فختم به قلبي اي بعد التيام شقه فامتلا نورا وذلك نور النبوة
والحكمة فقد تقدم وملاه حكمة وايمانا وان السكينة ذكرت فيه ثم
اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا **وفي رواية** فانا الساعة
اجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي **اقول** نقل شيخ بعض مشايخنا
الشيخ نجم الدين الغيطي عن مغازي ابن عابد في حديثه صلي الله عليه وسلم
لاخي بني عامر واقبل اي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه
وثدييه فليتامل **وقوله** وصدعه يدل ظاهرا علي ان صدعه كان
بيد الملك فلم يشقه بالة وحينيذ يكون المراد بالشق الصدع
بلا الة وقد طوي في هذه الرواية ذكر ملي قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه
السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم كان لقلبه **وفي الرواية** قبلها انه
كان بين كتفيه **وفي رواية** ابن عابد وبين ثدييه ويحتاج
للجمع والظاهر ان متعاطي الختم جبريل ويدل قول صاحب الهمزية ختمته
يمني الامين وسياتي التعرض لذلك لكن في غير هذه القصة والله اعلم
قال صلي الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم

بيده ما بين مفرق صدري الي منتهي عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله
تعالي وختم عليه وفي رواية قال احدهما للاخر خطه فخاطه وختم عليه اقول
وقد يقال معني خطه الحمه فخاطه اي لحمه اي من بينه فالتحم فلا يخالف
ما سبق ولا ينافيه ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره
صلي الله عليه وسلم وهو اثر مرور يد جبريل عليه السلام ولهذا طوي ذكره
في الروايات السابقة وقوله وختم عليه يقتضي ان الختم كان في صدره
وهو الموافق لما تقدم عن ابن عابد انه بين ثدييه لكنه زاد وبين كتفيه
وتقدم ان الختم كان بقلبه وقد يقال الجمع لا مانع من تعدد الختم في المحال
المذكورة اي في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم
الصدر وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعا
القريب وجسده وعاة البيعه وخص بين الكتفين لانه اقرب
اليه من القلب من بقية الجسد ولعل اولي من جواب القاضي عياض بان
الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره اذ هو خلاف
الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفي وفيه السكوت عن ختم قلبه
ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لما يصير
ساكتا عن ختم الصدر واولي من جواب الحافظ ابن حجر ايضا بانه يجوز
ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراظهره عند كتفه الايسر لان القلب في
ذلك الجانب لما علمت وفيما ان الذي عند الايسر خاتم النبوة الذي
وله صلي الله عليه وسلم به علي ما هو الصحيح وفي الخصايص الصغري
وخص بجعل خاتم النبوة بظهره بازا قلبه حيث يدخل الشيطان
لغيره وساير الانبيا كان الخاتم عن يمينهم اي فقد اخرج الحاكم في المستدرك
عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة
في يده اليمني الا ان يكون نبينا صلي الله عليه وسلم فان شامة النبوة
كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف علي بيان تلك الشامات التي كانت
للانبيا ما هي وكتب الشهاب القسطلاني علي هامش الخصايص قوله وجعل

خاتم

خاتم النبوة بظهره الي اخره مشكل او مفهومه ان موضع الدخول لقلوب
الانبيا غير نبينا لم يختم ولا يخفي ما فيه من المحظور فما اشبعها من عبارة واخطا
من اشارة هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره في قوله حيث يدخل الشيطان
لغيره من غير الانبيا لما علم وتوفي النفوس من عصمة الانبيا من الشيطان
واختص نبينا من ساير الانبيا بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان
وقطع اطماعه فليتامل لا يقال كل من جواب القاضي والحافظ ابن حجر يجوز ان
يكون مبنيا علي خاتم النبوة هو اثر هذا الخاتم وهو موافق لما تمسك به القايل
بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول علي تسليم
انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعند ابي نعيم في الدلايل انه صلي الله
عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الما الذي انبعه ثلث
غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب علي كتفه
كالبيضة المكنونه وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس اثر لهذا الخاتم وكلام السهيلي
يقتضي انه هو حيث قال ان في هذا الحديث الذي في شق صدره في الرضاعة
فيه فايدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به او وضع
فيه بعد ما ولد او حين نبي فبين هذا الحديث متي وضع وكيف وضع
ومن وضعه زادنا الله تعالي علما واوزعنا شكرا ما علم هذا كلامه ثم رايت
عن الحافظ بن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضي الاحاديث التي فيها شق
الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجود حين ولادته وانما كان اول
وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع
هذا كله هه ولا يخفي ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة اولي
لان به يجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع اولي من التضعيف لما
صح من انه ولد به وعلي انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد
بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الي الجواب عن ذلك بان
الموجود بين كتفيه انما هو اثر ما في صدره وقلبه لان نقول يبطله ما تقدم عن
الدلايل لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده خاتم

فوضعه بين كتفيه وثدييه وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة يكرر الاثبات
به ثانيا في قصة المبعث وثالثا في قصة الاسرا ففي قصة المبعث فاكتفائي كما
يكفي الان ثم ختم ظهري و في قصة الاسرا ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما
يبطل كون ما في ظهره او بين كتفيه اثر الذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه
الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة المعراج غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة
انما هو الاثر الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه تكرر الختم علي ذلك
الاثر في المبعث وفي قصة الاسرا وفيه انه لا معني لتكرار الختم في محل واحد
ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لانه ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم
لا عند اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم من انه في
المحال الثلاثة خاتم النبوة ويويده ان المتبادر من القول في قصة الاسرا ثم ختم
بين كتفيه والا فما معني كون الخاتم بمعني الطابع خاتم النبوه فان قلت
علي دعوي الغيرية يحتاج الي الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت
قد يقال هذا اللبس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز
ان تكون البا في كلامه بمعني مع اي مع خاتم النبوة فتامل والله اعلم
قال صلي الله عليه وسلم ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا
ثم قال الاول الذي شق بطني زنه بعشرين من امته فوزنتي فرجحتهم
ثم قال زنه بماية من امته فوزنتي فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنتي فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم ثم ضموني الي
صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري
ما يراد بك من الخير لقرت عيناك اقول في بعض الروايات زنه بعشره ثم قال
زنه بماية ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي وزنه
بعشرة والله اعلم قال فقال صلي الله عليه وسلم وبينما نحن كذلك اذا بالحي قد
اقبلوا بحذافيرهم الي باجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح
باعلي صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملايكة الذين هم اوليك الارهط
الثلاثه وضموني الي صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من
ضعيف

ضعيف ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي فضموني الي صدورهم فقبلوا
راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك
وملايكته والمومنين من اهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفك
من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الي صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك علي الله لو تعلم ما يراد
بك من الخير لقرت عيناك فوصلني بعني الحي الي شفير الوادي فلما ابصرتني
امي وهي ظئري قالت لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتي اكبت علي ثم ضمتني
الي صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في ايديهم
يعني الملايكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول
ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون او طايف من الجن وهي اللمه
فانطلقوا به الي كاهن حتي ينظر اليه ويداويه فقلت ما هذا ما بي
مما تذكرون ارابي اي اعضاي سليمة وفوادي صحيح ليس قلبة اي علة يقلب
لها اي من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري اي لا يرون كلامه صحيحا اني
لارجو ان لا يكون ما بغي باس واتفقوا الي ان يذهبوا بي اليه اي الي الكاهن
فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي قال اسكتوا اسمع من الغلام
فانه اعلم بامره منكم فسالني فقصصت عليه امري من اوله الي اخره فوثب
الي وضمني الي صدره ثم نادي باعلي صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد
اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزي لين تركتموه
فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول ابايكم وليخالفن
امركم وليا تينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن احلامكم
اي عقولكم وليكذبن اوثانكم وليدعونكم الي رب لا تعرفونه ودين
تنكرونه فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت لانت اعته واجن
ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير
قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الي اهليهم واصبحت مفزعا مما فعلوا بي يعني
الملايكة اي من حملي من بين اترابي والقاي علي الارض لا من خصوصية

الشق لما تقدم واصبح اثر الشق ما بين صدري الي منتهي عانتي اي اثر التيام الشق الناشي عن امرار يد الملك كما تم الشراك انتهي **اقول** **الشراك** احد سيور النعل الذي هو المداس الذي يكون علي وجهها ولعل حليمة بقايه ليدل علي وجود الشق وعلم انه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة واحدة يكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيه الاختصار عما وقعت به الاطالة في بعضها وان اخباره صلي الله عليه وسلم بان الملايكة كانوا ثلاثة لاينافي اخبارهم بانهم كانوا اثنين الاخذ ونسبة والاضطجاع والشق للبطن او الصدر الي الثلاثة او الي الاثنين لاينافي ان يتعاطي ذلك واحد منهم كما اخبر به اخره وجا التصريح به في بعض الروايات وان التعبير في بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الي ان منتهي العانة في بعضها وانه ليس المراد بشق البطن او شق الصدر شق القلب لما تقدم في الرواية واستخراج احشاي بطني ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عنه ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي فصدعه الحديث وانه يجوز ان يكون الطشت كان متعددا واحد من زمردة خضرا وواحد من ذهب وان الاول كان فارغا معدا لان يلقي فيه ما يغسل به باطنه اي مع احشايه ومنها انه من جملة الاحشا ظاهر قلبه من الابريق الفضة وان الثاني مملوا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه اي داخل قلبه وحينيذ يكون في بعض الروايات اقتصر علي القلب وفي بعضها جمع بينه وبين الاحشا في ذلك ويحتاج الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون المخرج علقة وكونه مضغة جاز ان يكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادي وانه عبر عن الذي اخرجه والقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبا من العلقة ولايخفي ان هذه العلقة تحتمل انها غير حبة القلب التي احدق فيها المحبه وهي علقة سودا في صميمه المسماة بسويدا القلب ويحتمل انها هي والله اعلم **وقد اشار الي صاحب** الهمزية

بقوله

بقوله وقد يقال

واتت جده وقد فصلته   وبها من فصاله البرحا

اذا احاطت به ملايكة الله   فظنت بانهم قرنا

ورأي وجدها به ومن الوجد   لهيب تصلي به الاحشا

فارقته كرها وكان لديها   ثاويا لايمل منه الثواء

شق عن قلبه واخرج منه   مضغة عند غسله سودا

ختمته يمني الامين وقد او   دع مالم تذع له انبا

صار اسراره الختام فلا   الفض ملم به ولا الافضا

اي واتت حليمة به جده والحال انها فطمته والحال انه لحق بها من اجل فطامه ورده التالم الزايد وردها له لاجل انه احدقت به ملايكة الله فظنتهم شياطين ورأي شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجه الذي بها لهب تحترق به الاحشا وهي ما تحويه الضلوع فارقته بعد ردها كارهة لفارقه والحال انه كان مقيما عندها لاتمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سودا ختمت علي ذلك القلب يمني الامين جبريل بخاتم **والحال** ان ذلك القلب الشريف قد اودع من الاسرار الالهية مالم تنشره اخبار لان تلك الاسرار لايعلمها الا الله تعالي حفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار **اقول وقد علمت** ان صدره الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجي الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مسلم **ولما بلغ عمره صلي الله عليه وسلم** عشرون سنة اي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب **وروي** خامسة ولم يثبت وسياتي تلك الخامسة عن الدر المنثور وسياتي ما فيها والله اعلم **قال وفي المرة** التي كان ابن عشر سنين اي واشهر **قال صلي الله عليه وسلم** جاني رجلان **فقال** احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني لحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان احدهما يختلف بالما في طشت من ذهب والاخر يغسل جوفي ثم شق قلبي **فقال** اخرج الغل والحسد

منه فاخرج منه العلقة والمتبادر ان ال في العلقة للعهد وهي العلقة السودا
التي تقدم انها حظ الشيطان وانها مغمزة فهي محل الغل والحسد وفيه انه تقدم
ايضا ان تلك العلقة اخرجت والقيت قبل هذه المرة وتكررنبذها مستحيل
الا ان تحمل العلقة علي جزء بقي من اجزايها بنا علي جواز انها تجزات اكثر
من جزيين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات علقتين سودا وين الا ان
يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة اي اخرج ما هو كالعلقة اي شيا يشبه العلقة
كما سياتي التصريح بذلك في بعض الروايات فادخل شيا كهيئة الفضة ثم
اخرج ذرورا كان معه فذر عليه اي علي شق القلب ليلتحم به ثم نقر ابهامي ثم
قال اغد واسلم **اقول لم يذكر** في هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية
ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم الرضاع ان ذلك كان امرار يد الملك
واستمر اثر القيام الشق بيشاهد كالشراك **وفي الدر المنثور** عن زوايد مسند
الامام احمد بن ابي بن كعب عن ابي هريرة **قال يا رسول الله** ما درك ما رايت
من امر النبوة فاستوي رسول الله صلي الله عليه وسلم جالسا **وقال لقد سالت**
ابا هريرة اني لفي صحرا ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق راسي واذا رجل
يقول لرجل اهو هو فاستقبلان بوجوه لم ارها بخلق قط وثياب لم ارها
علي احد قط فاقبلا الي يمشيان حتي اخذ كل واحد منهما بعضدي
لا اجد لاحدهما مسا **فقال** احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعاني
بلا قصر ولا هصر اي من غير اتعاب **فقال** احدهما لصاحبه افلق
صدره ففلقه فيما اري بلا دم ولا وجع **فقال** له اخرج الغل والحسد
فاخرج شيا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها **فقال** له ادخل الرافة والرحمة
فاذا مثل الذي اخرج اي ليس خلافه شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمني وقال
اغد واسلم فرجعت اغدو بها رافة علي الصغير ورحمة علي الكبير ولم يذكر في هذه
المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم لكن قول الرجل للاخر اهو هو
يدل علي ان الرجلين ليسا جبريل وميكاييل لانهما لا يعرفانه وقد فعله به ذلك
في قصة الرضاع وقد يدعي ان هذه الرواية هي عين الرواية قبلها **وذكر عشرين سنة**

غلط من الراوي وانما هي عشر سنين **ثم رايت ما يصرح بذلك** وهو وكان
سنة عشر حجج وقد تحتمل هذه المرة اي كونه ابن عشرين سنة علي ان
ذلك كان في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق **وقال** في المرة التي هي عند
ابتدا الوحي جاني جبريل وميكاييل فاخذني جبريل فالقاني لحلاوة القفا ثم
شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شا الله ان يستخرج ولم يبين
ذلك ما هو ثم غسله في طست من ما زمزم ثم اعاده مكانه ثم لامه اي بذلك
الذرور او بامرار يده او بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفي الانا ثم ختم في ظهري
يحتمل ان يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وهو بين كتفيه
ويحتمل ان المراد بظهر المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه انه لا معني لوضع
الختم علي الختم كما تقدم ويمكن ان تكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكاييل
ان ميكاييل ملك الرزق الذي به حياة الاجسام والاشباح وجبريل ملك الوحي
الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي في المعراج سياتي الكلام عليها وفيها
ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر والبطن غير
شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السودا التي هي حظ الشيطان ومغمزة
اي مما اختص به صلي الله عليه وسلم عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم **وما**
بعض الاثارات التابوت اي تابوت بني اسرايل كان فيه الطشت الذي غسلت
فيه قلوب الانبيا المراد بظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشا التي غسلت
لغسل الصدر او البطن كما تقدم علي ان ابن دحية ذكر انه اثر باطل **وقد**
يطلق الصدر علي القلب من باب تسمية الحال محله ومنه ما وقع في
قصة المعراج ثم اتي بطست ممتلي حكمة وايمانا فافرغ في صدري **ومنه**
قول الجلال السيوطي في الخصايص الصغري ان شق صدره الشريف
من خصايصه صلي الله عليه وسلم علي الاصح من القولين اي شق قلبه
وسياتي الكلام علي ذلك في الكلام علي المعراج بما هو ابسط مما هنا **وعن حليمة**
رضي الله عنها انها كانت بعد رجوعها به صلي الله عليه وسلم من مكة لا تدعه
ان يذهب مكانا بعيدا اي **وعنها فغفلت عنه يوما** في الظهيرة فخرجت تطلبه

توجد ته مع اخته اي من الرضاعة وهي الشيما وكانت تحضنه مع امها
اي ولذلك تدعي ام النبي ايضا اي وكانت ترقصه بقولها هذا اخ لي
لم تلده امي وليس من نسل ابي وعمي فانه اللهم فيما تنمي فقالت في هذا
الحر اي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت اخته يا امه يا وجد اخي
حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهي
الي الموضع فجعلت تقول احق يا ابنية قالت اي والله فجعلت تقول
اعوذ بالله من شر ما يحذر علي ابني اي وفي كلام بعضهم ورات يعني
حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال
الروية في حق حليمه علمية وفي حق اخته بصرية فلا مخالفة او انها
ابصرتها بعد الاخبار بها كما يدل علي ذلك القول بانه افزعها ذلك من امره
اي وفي كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شي فقدمت به
علي امه اقول عن الواقدي ان حليمة رضي الله تعالي عنها لما قدمت به
صلي الله عليه وسلم الي مكة لترده لامه رات غمامة تظله في الطريق ان
سار سارت وان وقف وقفت وسياق هذا يقتضي انها ردته الي امه
عقب مجيئها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها وحينئذ
تكون هذه قدمة ثانية لحليمة الي مكة كانت قبل شق صدره ففي
القدمة الاولي كان سنه سنتين وفي هذه القدمة كان سنه سنتين
واشهرا وتكون هذه المرة الثانية محل قول حليمة فوالله ان بعد مقدمنا
باشهر وقول ابن الاثير بشهرين او ثلاثة واما في القدمة الثالثة
وهي التي بعد شق صدره فتركها له عند امه كان سنه اربع سنين ويكون
بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة الثانية التي قبل شق
صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره فلزم الاشكال فتامل ذلك
تاملا جيدا ولا تكن ممن يغرهم تقليدا والله اعلم ووفدت عليه حليمة
بعد تزوجه بخديجة فشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة
فاعطتها عشرين راسا من الغنم وبكرات جمع بكرة وهي الثنية من الابل اي
سنة

وفي

وفي رواية اربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها
رداءه فجلست عليه اي فقد قال بعضهم لم تره بعد ان ردته الا مرتين
احداهما بعد تزوجه اي وعليه فتكون هذه المرة هي التي قدمت فيها مع زوجها
وولدها واجلسهم علي ثوبه الذي كان جالسا عليه والمرة الثانية
يوم حنين ومن كلام القاضي عياض ثم جاءت ابا بكر ففعل ذلك اي ابسط
لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك وفي كلام ابن كثير ان حديث مجي امه
صلي الله عليه وسلم اليه في حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا
لان من وقت ارضعته صلي الله عليه وسلم الي وقت الجعرانة اي بعد
رجوعه من حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته
عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت علي ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما تزيد المدة علي المائة وعن ابي الطفيل قالت رايت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة اي بعد رجوعه من حنين كما تقدم
والطايف وانا غلام شاب فاقبلت امراة فلما راها رسول الله صلي الله عليه
وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل امه التي ارضعته وفي رواية
استاذنت امراة علي النبي صلي الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما
دخلت عليه قال امي امي وعمد صلي الله عليه وسلم الي ردائه فبسطه
لها فقعدت عليه وتقدم من شرح الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة
توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر
اسلامها واشار بذلك الي شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين
حيث قال في سيرة حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم
غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشي وكان الاولي ان يقول
ذكروا اسلامها وليس بشي ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر
ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه
عند جماهير العلما ولا يعول علي قول بعض المتاخرين انه لم يثبت فقد روي
ابن حبان رحمه الله تعالي حديثا صحيحا دل علي اسلامها وانكر الحافظ الدمياطي

وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما هي اخته
من الرضاعة وهي الشيما اقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي
لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم امي امي لانه كان يقال لاخته
الشيما ام النبي صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امه كما تقدم
ولا قول بعض الصحابة امه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حملها
على المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى
كون الوافدة عليه في حنين اخته اقتصر في الهدي والله اعلم قال الحافظ
ابن حجر رحمه الله تعالى بعد ان اورد عدة اثار في مجي امه من الرضاعة
اليه في حنين وفي تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها اصلا اصيلا وفي
اتفاق الطرق على انها امه رد على من زعم ان الذي قدمت عليه اخته انتهى
اقول لا رد في ذلك لانه علم ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي
صلى الله عليه وسلم وحفي بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم
انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين انها اخته ما سياتي
انها لما قدمت في حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا
اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له
يا رسول الله انا اختك قال وما علامتك ذلك قال عضة عضضتنيها
في ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام
لها قايما وبسط لها رداه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى اخر ما ياتي
وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته
والاخرى كانت فيها امه من الرضاعة حيث قال وقد روي ان خيلا
له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة
التي هي الشيما فقالت انا اخت صاحبكم اي الى ان قال فبسط لها رداه
واجلسها عليه فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة
يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداه وجلست عليه وهذا قد يوهم
ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كان فيها اخته ولم تكن في حنين

وان امه

وان امه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان
سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون جاء اليه يوم حنين كل من امه
واخته من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية في السبي وان فرش لكل
رداه وهو تابع في ذلك لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث قال في الاستيعاب
حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين
فقام لها وبسط لها رداه فجلست عليه وروت عنها وروى عنها عبد الله
بن جعفر رضي الله تعالى عنها ثم قال خذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم
من الرضاعة يقال لها الشيما اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن جعفر
على هوازن فاخذوها فيما اخذوا من السبي الحديث وكان عبد الله روى
عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا ينبغي له السماع منها لانه بعد الهجرة بسبع
سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو جعفر بن ابي طالب في خيبر
سنة سبع اي وتبعه حياتها وبقاوها الى ذلك الزمان وفيه ان حنين
بعد خيبر وابعد من ذلك وفودها على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويتقدم
ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه
في حنين اخته لا امه كما يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم قال قال ابو الفرج
ابن الجوزي ثم قدمت امي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت اي فله
يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه اي بعد النبوة في الدليل على اسلامها
انتهى اقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها
وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله قدمت عليه لانه لا يلزم من
قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون قول ابن الجوزي فاسلمت
دليله على اسلامها نظر بل هي دعوى يحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزي
فاسلمت دليل لنا على اسلامها والله اعلم وذكر الذهبي وفدت
عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة يجوز ان تكون ثويبة وتطرقه بان
ثويبة توفيت سنة سبع اي من الهجرة اي مرجعه من خيبر لما تقدم اقول
ذكر في النور ان الحافظ مغلطاي له مولف في اسلام حليمة سماه التحفة

الحسيمه في اسلام حليمه وذكر بعضهم انه لم ترضعه مرضعة الا واسلمت
بكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربعة امه وحليمه
السعديه وثويبة وام ايمن ايضا وهو يويد ما تقدم عن ابن منده من اسلام
ثويبة واما اسلام امه امنة فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته تقدم ما فيه والله اعلم

باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم وحضانة

ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه اي اختصاصه بذلك وذكر
ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل
كان سنة اربع سنين وبه صدر في المواهب اي وهو يرد القول بان حليمة
لما ردته الى امه كان عمره خمس سنين او ست سنين قال وقيل كان سنه
عليه الصلاة والسلام سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنى عشر وشهرا
وعشرة ايام انتهى ووفاتها كانت بالابوا وهو محل بين مكة والمدينه
اي وهو الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تبتواه اي تحل فيه
ودفنت به فقد جا انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابوا في عمرة الحديبية
قال ان الله اذن لمحمد صلى الله عليه وسلم في زيارة قبر امه فاتاه واصلحه
وبكى عنده وبكى المسلمون لبكايه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك
فقال ادركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به من المدينة
من زيارة اخواله صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب لان ام
عبد المطلب من بني عدي ابن النجار كما تقدم بعد ان مكث عندهم شهرا
ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن بركة الحبشيه التي ورثها صلى الله
عليه وسلم من ابيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجات به الى جده
عبد المطلب اي بعد خمسة ايام من موت امه فضمه اليه ورق عليه رقة
لم يرقها على ولده هذا وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موت امه بالابوا حتى انتهى الخبر الى مكة وجات ام ايمن مولاة ابيه
عبد الله فاخذته وذلك لخامسة من موت امه فليتامل وكون موت
امه صلى الله عليه وسلم كان في حياة عبد المطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف
غيره

غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه
بسنتين اي وكان صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن رضي الله تعالى عنها انت امي
بعد امي وفي القاموس دار رايغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه
صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت
اي دفنت بالحجون بشعب ابي دب وغلط قايله وعن عايشه رضي الله تعالى عنها
قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون
وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكايه ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميرا استمسكي
فاستندت الى جنب البعير فمكث طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت
له بابي انت وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت
لبكايك ثم انك عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذلك قال ذهبت لقبر امي
فسالت الله تعالى ان يحييها فاحياها فامنت وردها الله تعالى وهذا الحديث
قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ ابو الفضل بن ناصر الدين والجوزقاني
وابن الجوزي والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ بن حجر في لسان الميزان
وجعله بن شاهين ومن تبعه ناسخا لاحاديث النهي عن الاستغفار اي لها منها
انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اي ولعله في عمرة القضا لانه لم يقدم مكة في حال
مع اصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك اتى رسم قبر امه فجلس اليه فناجاه طويلا
ثم بكى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فبكينا لبكايه صلى الله عليه وسلم
ثم قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكايك فقال ان القبر الذي جلست
عنده قبر امي وفي رواية اتى قبر امه فجلس اليه فجعل يخاطبه ثم قام فدعا بنا
فقال ما ابكاكم ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد راينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في
الاستغفار فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد قال
القاضي عياض بكاوه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه
والايمان به اي النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي

عن الاستغفار بعد طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما **ونص**
مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان
ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة **وفي لفظ** تذكركم
الموت وهذا الحديث اي حديث عايشة علي تسليم ضعفه اي دون وضعه
لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة **اقول** **ذكر الواحدي** في اسباب النزول
اي آيتي ما كان للنبي والذين امنوا وما كان استغفار ابراهيم لابيه
نزلتا لما استغفر صلي الله عليه وسلم لعمه ابي طالب بعد موته **فقال**
المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا هذا رسول الله صلي
الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لابيه اي فنزولهما كان عقب موت ابي طالب لا يقال جاز ان تكون اية ما كان
للنبي تكرر نزولها لما استغفر لامه ولما استغفر لعمه لان نقول كونه صلي
الله عليه وسلم يعود للاستغفار بعد ما نهي عنه ما فيه او المراد بالنسخ المعارضه
يعني قول ابن شاهين انه ناسخ لاحاديث النهي عن الاستغفار اي يعارض لها اذ لا معني
للنسخ هنا علي انه لا معارضة لان النهي عن الاستغفار لها كان قبل ان
تومن **واذا ثبت ما تقدم عن عايشة رضي الله تعالي عنها** وما بعده كان
دليلا لمن يقول قبر امه صلي الله عليه وسلم بمكة وعلي كونها دفنت بالابوا
اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته **وفي الوفا**
عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابوا وقد يقال
علي تقدير صحة الحديثين اي انها دفنت بالابوا وانها دفنت بمكة يجوز ان
يكون دفنت اولا بالابوا ثم نقلت من ذلك المحل الي مكة فعلم ان بكاه
صلي الله عليه وسلم كان قبل ان يحييها الله تعالي له وتومن **ومن ثم قال**
الحافظ السيوطي ان هذا الحديث اي حديث عايشة رضي الله تعالي عنها
قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون
قوله لشخصيني امي وامكما في النار علي تقدير صحة التي ادعاها الحاكم
في المستدرك كان قبل احيايها وايمانها به كما تقدم نظير ذلك في ابيه وقولنا علي

تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم
بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي
ضعف هذا الحديث وحلف علي عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال
كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه علي ان هذا اي منع الاستغفار لها
انما ياتي علي القول بان من بدل او غير او عبد الاصنام من اهل الفترة معذب
وهو قول ضعيف مبني علي وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي عليه
اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان
العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل اسمعيل انتهت رسالته بموته
كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد الموت من خصايص نبينا صلي الله عليه وسلم
فعليه اهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم وانهم غيروا او بدلوا وعبدوا
الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر ومن غير او بدل او عبد
الاصنام مسئولة او خرجت مخرج الزجر للحمل علي الاسلام ثم رايت بعضهم رجح
ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالي وتوحيده اي بعد عبادة الاصنام يكفي
فيه وجود رسول الله صلي الله عليه وسلم دعي الي ذلك وان لم يكن الرسول مرسلا
لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعي الي ذلك او امكنه علم
ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من ان يكون ذلك مرسلا لذلك
الشخص وقد بلغه دعوته وعلي هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلي الله عليه
وسلم ولا زمن قبله من الرسل معذب علي الاشراك بالله بعبادة الاصنام لانه علي
فرض ان لا تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الي الايمان بالله وتوحيده
لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لما قبله وحينيذ لا يشكل
ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما **قال**
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا الي قوم ثم
قبضه الا جعل بعده فترة يملا من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة
في الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس رضي الله تعالي عنه
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد

حتي يطيح رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الي بعض وتقول قط قط اي حسبي بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب علي تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكي الله عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي وقد جا النهي عن ذلك علي السنة الرسل السابقين ووجه التفرقه بين الايمان والتوحيد وغير ذلك ان الشرايع بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرايع قيل وهو المراد من قوله تعالي شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الاية استووا الشرايع كلها في اصل التوحيد اي ومن ثم قال في تمام الاية ولا تتفرقوا فيه وقال تعالي لقد ارسلنا نوحا الي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض الانبيا عليهم الصلاة والسلام غير قومه علي الشرك بعبادة الاصنام ولو لم تكن الايمان والتوحيد لازما لهم لسم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرايع فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرايع اختلاف الامم في الاستعداد والقابلية والدليل علي ان الانبيا متفقون علي الايمان والتوحيد ما جا انه صلي الله عليه وسلم قال الانبيا اولاد علات اي اصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرايعهم لان العلات الضراير فاولادهم اخوة من الاب وامهاتهم مختلفة وقد جا هذا التفسير في نفس الحديث ففي بعض الروايات اخوة من علات امهاتهم شتي ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق الواضح الذي لا غبار عليه ان اهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل اليهم رسول يكلفهم بالايمان بالله فالعرب حتي من في زمن بني اسرايل اهل فترة لان تلك الرسل لم يومروا بدعايهم الي الله تعالي وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من اهل الفترة انه من اهل النار فان امكن تاويله فذاك والا لزمنا ان نومن بهذا الفرد بخصوصه قال واما قول الفخر الرازي لم تزل دعوة الرسل الي التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما ارسل

الي قوم

الي قوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لم يعذب وجواب ما صح من تعذيب اهل الفترة انها احاديث احاد فلا تعارض القطع او يقصر التعذيب علي ذلك الفرد بخصوصه اي حيث لا يقبل التاويل كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جا انهم اي اهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد اخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جا اهل الجاهلية يحملون اوثانهم علي ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم ياتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارايتم ان امرتكم بان تطيعوني فياخذ علي ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتي اذا راوها فرقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي صلي الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن باله صلي الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعوا عند الامتحان اكراما للنبي صلي الله عليه وسلم لتقر عينهم ونرجوا ان يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طايعا الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يومن به اي بعد ان طلب منه الايمان ومما استدل به الحافظ السيوطي علي ابويه صلي الله عليه وسلم ليسا في النار قال لانهما لو كانا في النار لكانا اهون عذابا من ابي طالب لانهما اقرب منه وابسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف ابي طالب وقد اخبر الصادق صلي الله عليه وسلم انه اهون اهل النار عذابا فليس ابواه صلي الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمي عند اهل العقول دلالة الاشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من اهل بيته اي ولا احد من اشراف قريش اجلالا له فكانوا بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم ياتي وهو غلام جفر اي شديد قوي حتي يجلس عليه فياخذه اعمامه ليوخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا راي اي علم ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له شانا ثم يجلس عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابي

عباس رضي الله تعالى عنهما دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشي
اي بشرف وارجوا ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده
وفي رواية دعوا ابني انه ليونس ملكا اي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي
لفظ ردوا ابني الي مجلسي فانه يحدث نفسه بملك عظيم وسيكون له شان
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سمعت ابي يقول كان لعبد المطلب
مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب ابن اميه فمن دونه من عظماء
قريش يجلسون حوله دون المفرش فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره ما لابني
يبكي قالوا له اراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا
ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف اي يتيقن في نفسه شرفا وارجوا
ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده اي فكانوا بعد ذلك لا يردونه
عنه حضر جده عبد المطلب او غاب اي ولعل هذا كان في اخر الامر فلا ينافي
ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف
قول عبد المطلب والا فيحتمل ان اختلاف قول عبد المطلب جا من اختلاف
الرواة وقال لعبد المطلب قوم من بني مدلج اي وهم القافة العارفون
بالاثار والعلامات احتفظ به فانه لم نر قدما اشبه بالقدم التي في المقام
منه اي وهي قدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام اقول اي فان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه في المقام وهو الذي كان يقوم عليه
عند بنا البيت كما سياتي وهو الذي يزار الان بالمكان الذي يقال
له مقام ابراهيم عليه السلام اي وقد اشار الي ذلك عمه ابو طالب
في قصيدته بقوله مقسما

وبالحجر المسود اذ يلثمونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصايل *
وموطي ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل *

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت

على قدر

قدر قدمه حافية لا منتعلة وعن انس رضي الله عنه رايت في المقام اثر اصابع
ابراهيم وعقبيه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم اذهب ذلك اي
ومشابهة قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام
يدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض لما تقدم في قول مجزز المدلجي في
زيد واسامة رضي الله تعالى عنهما وقد ناما وغطيا روسهما ان هذه الاقدام
بعضها من بعض فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لان في ذلك ردا على من
كان يطعن في نسب اسامة بن زيد كما تقدم وذكر بعضهم ان نبينا
صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر ايضا فقد اثر في صخرة بيت المقدس ليلة
الاسرا وان ذلك الاثر موجود الى الان وذكر الجلال السيوطي رحمه
الله تعالى انه لم يقف لذلك اي لتاثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر على اصل
ولا سند قال ورايت من خرجه في شي من الكتب الحديث وقال مثل ذلك
فيما اشتهر على الالسنة ان مرفقه الشريف لما لصقه بالحايط غاص في الجدار
فيه وان سمي بذلك المحل بمكة بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطي مع
قوله المذكور قال في الخصايص الصغرى ولا وطي على صخر الا واثر فيه بهذا
الكلام ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم
ما وطي على صخر الا واثر فيه قد توقف فيها ثم رايت الامام السبكي ذكر
تاثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته واثر في الاحجار مشيك
ثم لم يوثر برمل او ببطحا رطبة قال شارحها ولعل قدم تاثير قدمه الشريف
في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار اي فليس هذا شانه في كل رمل يمشي عليه
وكان اذا رفع قدمه على الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان
الرمل لا ينم اراد به اخفا اثر سيره ليتحير المشركون في طلبه وفيه ان هذا
التعليل مقتضي لتاثير اثره الشريف في الرمل لا لعدم تاثيره في ذلك ويويد
ذلك انه سياتي انهم قصوا اثره الى ان انقطع الاثر عند الغار اي
وقال لهم القايف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة واما القدم الاخر فلا اعرفه
الا انه يشبه القدم في المقام يعني مقام ابراهيم عليه السلام فقالت قريش

ما وراه هذا شي اي محل كما سياتي وفيه ان هذا اي قدمه الشريف
هو قدم سيدنا ابي بكر رضي الله تعالى عنه ربما ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر دع قدمك موضع قدمي فان الرمل لاينم وقد يقال لامنافاة لانه
يجوز ان يكون قدم ابي بكر رضي الله عنه لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه
وسلم ولا يضر في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لاينم لجواز ان يكون
المراد لايظهر فيه قدمي ظهورا بينا فيصح قول القايف هذا الاثر قدم ابن ابي
قحافة **واما القدم الاخر** الي اخره ولم يتعرض هذا الشارح على تاثير
قدمه في الحجارة بل ابدا لذلك حكما لاباس به فليراجع **وقوله**
في الاحجار ولكن لم يكن ذلك شانه في كل حجر مشي عليه كما دلت عليه
عبارة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والله اعلم **قال وبينما عبد المطلب**
يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رييس النصارى في دينهم اشتق
من السقف بالتحريك وهو طول الانحنا لانه لايتخاشع ان يظهر الخشوع وذلك
الاسقف يحادثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسمعيل وهذا
البلد مولده ومن صفته كذا كذا واتي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر
اليه الاسقف والي عينيه والي ظهره والي قدميه **فقال هو** هذا ما هذا منك
فقال هذا ابني قال ما نجد اباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وامه
حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون
ما يقال فيه انتهى **وعن ام ايمن رضي الله تعالى عنها** كنت احضن النبي
صلى الله عليه وسلم اي اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا
بعبد المطلب قايما على راسي يقول يا بركة قلت لبيك قال اتدرين اين
وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لاتغفلي
عن ابني فان اهل الكتاب اي ومنهم سيف ابن ذي يزن كما سياتي يزعمون انه
نبي هذه الامة وانا لا امن عليه منهم وكان لاياكل اي عبد المطلب طعاما الا يقول
علي بابني اي احضروه **قال وكان عبد المطلب** اذا اتي بطعام اجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم الي جنبه وربما اقعده على فخذه فيوثره باطيب طعامه
انتهى

انتهى **وعن بعضهم** اي وهو حيدة ابن معاوية العامري كان رضي الله تعالى
عنه من المعمرين وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال بعضهم**
مات وهو ابن الف رجل وامراة قال حججت في الجاهلية فبينا اطوف
بالبيت اذا رجل **وفي رواية** شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول رد الي
راكبي محمدا **وفي رواية** يارب رد راكبي محمدا اردده ربي واصطنع
عندي يدا فقلت من هذا قالوا عبد المطلب بن هاشم ثم بعث ابن ابنه
في ابل ضلت وما بعثه الي شي الا جا به **قال وفي رواية** هذا سيد
قريش عبد المطلب له ابل كثيره اذا ضل منها شي بعث فيه بنيه يطلبونه
فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة الا انجح فيها وقد بعثه في
حاجة اعيا عنها بنوه وقد ابطا عليه انتهى فما برحت اي ما زالت عن مكاني
حتي جا بالابل معه فقال له يا بني حزنت عليك حزنا لايفارقني بعده ابدا
وتقدم عن بعض المفسرين ما لايحتاج الي اعادته هنا وعن رقيقة
بنت ابي صيفي اي ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن
سعد في المسلمات المهاجرات **اقول وقال ابو نعيم** لا اراها ادركت
الاسلام وقال ابن حبان ان لها صحبة والله اعلم قالت تتابعت على قريش
سنون اي ازمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال واشفين اي اشرفن
على الانفس قالت سمعت قايلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا
النبي المبعوث منكم هذا ابان اي وقت خروجه وبه تاتيكم بالحيا اي
بالخصب المطر العام والخصب فانظروا رجلا من اوساطكم اي اشرافكم
نسبا طوالا عظيما اي طويلا عظيما ابيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار
اي طويل شعر الاجفان اسيل الخدين اي لانتو بهما رقيق العرنين اي
الانف **وقبل اوله** فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل
فليتطهروا وليتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الي راس ابي قبيس
ثم يتقدم هذا الرجل فليستسقي وتومنون فانكم تسقون فاصبحت
وقصيت رواها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا

عليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا ما امرتهم به ثم علي علي ابي قبيس
ومعهم النبي صلي الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال
اللهم هولا عبيدك وبنوا عبيدك واماوك وبنوا امايك وقد نزل بنا ما تري
وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اي الابل والبقر
والخيل والبغال والحمير فاشفت علي النفس اي اشرفت علي ذهابها فاذهب عنا
الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتي سالت الاودية قال وفي رواية
اخري عن رقيقة قالت تتابعت علي قريش سنون جدبة اي امحلت اي ايبست
الجلد وادقت العظم فبينا انا نايمه او مهمومة اي بين اليقظانة والنايمه
اذا هاتف هو الذي يسمع صوته ولا يري شخصه كما تقدم يصرخ بصوت
صحل اي فيه بحوحة اي خشونة الصوت وغلظة يقول يا معشر قريش
ان هذا المبعوث منكم قد اظلتكم ايامه اي قربت منكم وهذا ابان مخرجه
فحيهلا بالحيا والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما ابيض بيضا
اي شديد البياض اوطف الاهداب اي كثير الشعر العينين اسهل الخدين
اشم العرنين اي وتفخ الانف له فخر يكظم عليه اي يسكت عليه ولا يظهره ومن
يهتدي اليه فيخلص هو وولده وولد ولده وليدنف اي يتقدم اليه من كل بطن
رجل فليشنوا من الما اي يفرغوه علي اجسادهم اي يغسلوا به وليمسوا
من الطيب ثم ليلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرتقوا ابا
قبيس فليستسق الرجل وليومن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم اذا ما شيتم
اي جاءكم الغيث علي ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد اقشعر جلدي
ووله اي ذهب عقلي واقتصصت رويايي اي ذكرتها علي وجهها فنمت اي
فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقي ابطحي الا قال هذا شيبة الحمد يعني
عبد المطلب وقامت عنده قريش فانقض اليه من كل بطن رجل فسقوا
من الما ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا ابا قبيس فطفق
القوم يدورون حوله ما ان يدرك بعضهم مهلة وهي التودة والتاني ومعه رسول
الله صلي الله عليه وسلم قد ايفع اي ارتفع او كرب اي قرب من ذلك فقال عبد المطلب

فقال اللهم

فقال اللهم ستار الخلة وكاشف الكربة انت عالم غير معلم ومسول غير مبخل
وهذه عبيدك واماوك عذرات حرمك اي افنيته يشكون اليك سنتهم التي
اقحلت اي ايبست الظلف والخف اي الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا سريعا
مغدقا فما برحوا حتي انفجرت السما بمايها وكظ الوادي اي ضاق بثجيجه اي بسيله
فسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيا لك يا ابا البطحا بك عاش
اهل البطحا انتهي اي والظاهر ان القصة واحدة فليتامل الجمع وقد يدعي ان
الاختلاف عن الرواة منهم من عبر بالمعني وفي سقيا الناس بعبد المطلب
وان ذلك ببركته صلي الله عليه وسلم تقول رقيقة بشيبة الحمد اسقا الله
بلدتنا وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر اي امتد زمن تاخره فجاد بالما جوني
له سيل دان اي مطر هيطل كثير الهطل قريب فعاشت به الانعام
والشجر منا من الله تعالي بالميمون طايره اي المبارك حظا وخير من بشرت يوما
به مضر مبارك الاسم يستسقي الغمام به ما في الانام له عدل ولا خطر اي لا معادل
له ولا مماثل له ولما سقوا لم يصل المطر الي بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماوهم
وقالوا قد اصبحنا في جهد وجدب وقد سقي الله الناس بعبد المطلب
فاقصدوه لعله يسال الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا علي عبد المطلب
فحيوه بالسلام فقال لهم افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد اتت علينا
سنون مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من
شفعك واجري الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا
عرفات ثم اصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده معه رسول الله
صلي الله عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه واخذ رسول
الله صلي الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه
ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب
وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤوسها وحدبت ظهورها
تشكوا اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال فاتح لها سحابا خوارة تضحك
ارضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتي نشات سحابة دكنا لها دوي وقصدت

نحو بلادهم **فقال عبد المطلب** يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد
سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر بعضهم انهم كانوا في الجاهلية اذ جدبوا
فارادوا ذلك اخذوا من ثلاثة اشجار وهي سلع وعشر وشبرق من كل
شجرة شيا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوا بها على ظهر ثور صعب
واضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس بالنار عدا حتى يحترق
ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون **وفي حياة
الحيوان** كانت العرب اذا ارادت الاستسقا جعلت النيران في اذناب
البقر واطلقوها فتمطر السما فان الله يرحمها بسبب ذلك **وقال وذكر
ابن الجوزي** رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده
اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية
عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل
ديره حتى خاف ان يسقط عليه فخرج مبادرا **فقال يا عبد المطلب**
ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولولا اخرج اليك لخر على ديري فارجع به
واحفظه لا يقتله بعض اهل الكتاب ثم عالجه واعطاه ما يعالجه به هذا
ورايت كتابا سماه مولفه كريم الندما وتديم الكرما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمد وهو صغير فمكث ايا ما يشكوا **فقال قايل لجده عبد المطلب**
ان بين مكة والمدينة راهبا يبري من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير
فاخذه جده وذهب به الى ذلك الراهب فلما راه الراهب دخل الى صومعته
فاغتسل ولبس ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة واليه
صلى الله عليه وسلم **ثم قال والله هو خاتم النبيين** ثم قال يا عبد المطلب
هو ارمد قال نعم قال ان دواه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ
عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى
الله عليه وسلم فبرا لوقته **ثم قال الراهب يا عبد المطلب**
وتالله هذا هو الذي اقسم على الله به فابري المرضى واشفي الاعين
من الرمد فليتامل فان تعدد الواقعة لا تخلوا من بعد والله اعلم

باب

باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم

ثم لما كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين على اي بنا على
الراجح من الاقوال المتكاثرة ورجحه ما ياتي توفي عبد المطلب وله من
العمر خمس وتسعون **وقيل** ماية وعشرون **وقيل** اربعون اي ولعل
ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي له لعبد المطلب في المعمرين
قال وقيل اثنان وثمانون اي وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي **قال وقيل**
ماية واربعة واربعون انتهى **وقد قيل له صلى الله عليه وسلم** يا رسول الله
اتذكر موت عبد المطلب قال نعم وانا يومئذ ابن ثمان سنين **وعن ام
ايمن** رضي الله تعالى عنها انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون
عند جده قصي **وجا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما** قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وابهة
الاشراف **ولما حضرته الوفاة اوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق**
ابيه ابي طالب وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه
عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض
ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العالمين **قال الحافظ ابن كثير** وقد اخطاوا في ذلك خطا
كبيرا ولم يتاملوا القران قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه
قوله تعالى اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
وحين اوصى به جده لابي طالب احبه حبا شديدا لا يحبه لاحد من ولده
فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام اي وقيل ابوا
طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم منهما فخرجت
القرعة لابي طالب **وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم** اختار ابا طالب لما كان
يراه من شفقته عليه وموالاته له قبل موت عبد المطلب فياتي انه كان
مشاركا له في كفالته **وقيل كفله الزبير** حتى مات عبد المطلب ثم كفله ابو طالب

اي بعد موت الزبير وغلط قايله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول
الله صلي الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة كذا في اسد الغابة مقدما للاقتراع
علي ما قبله وفي كون عمره صلي الله عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرون سنة
نظر لما سياتي ان عمره اذ ذاك كان اربعة عشر سنة وفي كلام بعضهم فلما مات عبد المطلب
كفله عماه شقيق ابيه الزبير وابوا طالب ثم مات عمه الزبير وله من العمر اربع عشر سنة
فانفرد به ابو طالب وكفالة جده وعمه له صلي الله عليه وسلم بعد موت ابيه وامه مذكورة
في الكتب القديمة من علامات نبوته ففي خبر سيف بن ذي يزن يموت ابوه وامه ويكفله
جده وعمه وفي سيرة بن هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف
انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفيه وهي ام الزبير بن العوام وبره وعاتكه وام حكيم
البيضا وهي جدة عثمان بن عفان لامه واميمة واروي فقال لهن ابكين علي حتي
اسمع ما تقلن في قبل ان اموت فقالت كل واحدة منهن شعرا في وصفه مذكورا
في تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك اشار براسه ان هكذا ابكينني ويقال انه انما اشار
بذلك لما سمع قول اميمة وقد امسك لسانه وكان من قولها شعر

اعيني جودا بدمع درر • علي ماجد الخيم والمعتصر •
علي ماجد الجد واري الزناد • جميل المحيا عظيم الخطر •
علي شيبة الحمد ذي المكرمات • وذي المجد والعز والمفتخر •
وذي الحلم والفضل في النايبات • كثير المفاخر جم الفخر •
له فضل مجد علي قومه • منير يلوح كضوء القمر •

قال ابن هشام لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه لما راي ابن
اسحاق لما رواه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم ولم يبك احد بعد موته
ما بكي عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق اياما كثيرة وروي ابو نعيم
والبيهقي ان سيف ابن ذي يزن الحميري لما ولي علي الحبشه وذلك بعد مولد رسول
الله صلي الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها وشعراوها لتهنيه
اي بهلاك ملوك الحبشه وبولايته عليهم اي لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشه
منهم واستمر في يد الحبشه واستقر فيه علي عادة ابايه وجات العرب تهنيه من كل جانب

وكان

وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية ابن عبد شمس وغالب وجهابهم
اي كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمي وهو ابن عم عايشة
رضي الله تعالي عنها وكاسد ابن عبد العزي ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار فاخبر
بمكانهم وكان في قصر يقال له غمدان وهو متضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج علي راسه وسيفه بين يديه
وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفي الوفا وجده
جالسا علي سرير من الذهب وحوله اشراف اليمن علي كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب
فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين
الملوك فقد اذنا لك فقال ان الله تعالي عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا اي مرتفعا
باذخا اي عاليا منيعا وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته اي والارومة والجرثومة
هي الاصل وثبت اصله وبسق اي طال فرعه في اطيب موضع واكرم معدن وانت ابيت
اللعن اي ابيت ان تفعل من الامور ما تلعن عليه ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه
العماد وكهفها الذي تلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من
انت خلفه ولم يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل بيت حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اي احضرنا
اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا اي اثقلنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية
اي التعزية فعند ذلك قال له الملك من انت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال
ابن اختنا بالتا المثناة فوق لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم في اليمن قال نعم قال
ادن ثم اقبل عليه وعلي القوم فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا
وملكا ربحلا اي كثير العطا يعطي عطا جزيلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل
وسيلتكم فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحبا اي العطا اذا ظعنتم ثم نهضوا
الي دار الضيافة والوفود واجري عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن
لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الي عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد المطلب
اني مفض اليك من سر علمي امرا لو غيرك يكون احدا له به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك طلعة
اي عليه فليكن عندك مخبا حتي ياذن الله عز وجل فيه اني اجد في الكتاب المكنون والعلم
المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا
جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له

عبد المطلب ذلك ايها السايل الملك سرور بر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر فقال
اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة اي السيادة الي يوم القيامة
فقال عبد المطلب ايها الملك ابت اي جئت بخير ما آب بمثله واتر قوم ولولا هيبة الملك واجلاله
واعظامه لسالته من ساره اي من مسارة اياي بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه
الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولنياه سرارا والله
باعثه جهارا وعاجل له منا انصارا يعز بهم اولياه ويذل بهم اعداه ويضرب بهم الناس
عن عرض اي جميعا ويستفتح بهم كرايم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد
النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدله ويامر بالمعروف ويفعله وينهي عن
المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك
سارني با فصاح فقد وضح لي بعض ايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات علي النقب
اي الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع
راسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشي مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك اني كان
لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرايم قومي امنه بنت وهب بن عبد
مناف بن زهره فجات بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني ابي طالب
وهذا يدل علي ان وفود عبد المطلب علي سيف بن ذي يزن كان بعد موت امه
صلي الله عليه وسلم وحينيذ لا ينافي في ذلك ما تقدم ان عمره صلي الله عليه وسلم
كان سنتين لان ذلك كان سنه حين ولي سيف بن ذي يزن علي الحبشه وتاخر وفود
عبد المطلب عليه بعد موت امه صلي الله عليه وسلم ويدل علي ان ابا طالب كان مشاركا لعبد
المطلب في كفالته في حياته ثم اختص هو بذلك بعد موته اي وعبارة سيف بن ذي يزن
صادقة بالحالين فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر من اليهود
فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اي تحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط
والاعلام بقدره قال واطو ما ذكرته لك عن هولا الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم
النفاسة من ان تكون لك الرياسة فينصبون له الحبايل ويبغون له الغوايل وهم فاعلون ذلك او
ابناوهم غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي اي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتي اصير
بيثرب دار ملكه فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام امره وموضع قبره

ولولا

ولولا اني اقيه الافات واحذر عليه العاهات لاعلنت علي حداثة سنه امره واعليت علي
اسنان العرب كعبه ولكن ساصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل
واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اما سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال
ذهب وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوة عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة
اضعاف ذلك وقال اذا جا الحول فاتيني بخبره وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول
الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطا الملك ولكن
يغبطني بما يبقي لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول ولو بعد
حين انتهي وهذا القصر الذي كان فيه سيف بن ذي يزن يقال بيت غمدان يقال انه
كان هيكلا للزهرة نفيد فيه الزهرة وكان سيدنا عمر رضي الله تعالي عنه يقول لا فلحت
العرب ما دام فيها غمدان فلما ولي عثمان رضي الله تعالي عنه الخلافة هدمه وكان ابو طالب
مقلا من المال فكان عياله اذا اكلوا جميعا او فرادي لم يشبعوا واذا اكل معهم النبي صلي الله
عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول كما انتم حتي
ياتي ابني فياتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فياكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان
لبنا شرب رسول الله صلي الله عليه وسلم اولهم ثم يناول العيال القعب اي القدح الذي من خشب
فيشربون منه فيروون من عند اخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم
ليشرب قعبا واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك اقول وفي الامتاع وكان اي ابو طالب
يقرب الي الصبيان بصحفتهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلي الله عليه
وسلم يده لا ينتهب معهم فلما راي ذلك ابو طالب عزل له طعامه علي حدة هذا كلامه ولا ينافي
ما قبله لانه يجوز ان يكون ذلك بما يحضر في البكره الذي يقال له البكور دون الغدا والعشا
لانه كان ياكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا
بضم الرا واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم دهينا
كحيلا قالت ام ايمن رضي الله تعالي عنها ما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم يشكو جوعا
قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكانوا يغدوا اذا اصبح وكان يشرب من ما
زمزم شربة فربما عرض عليه الغدا فيقول انا شبعان اي في بعض الاوقات

فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجا النبي صلي
الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ابن اخي ليحلس بنعيم اي بشرف عظيم قال واستسقى
ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهم بن عرفطة قدمت مكة وقريش
في قحط فقايل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزي وقايل منهم يقول اعتمدوا
مناة الثالثة الاخري فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الراي اني توفكون
اي كيف تصرفون عن الحق وفيه باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما السلام اي
فكيف تعدلون عنه الي ما لا يجدي قالوا كانك عنيت ابي طالب قال ايها فقاموا
باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج علينا رجل حسن الوجه عليه
ازار قد اتشح به فثاروا اي قاموا اليه فقالوا يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب
العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجنة بدال
مهملة فجيم مضمومتين اي ظلمة وفي رواية كانه شمس دجن اي ظلام تجلت
عنه سحابة قتما اي من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلام فاخذه
ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ اي طاف باصبعه الغلام زاد في بعض
الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله اي فتحت اعينها وما في السما قزعة
اي قطعة سحاب فاقبل السحاب من ها هنا ومن ها هنا واغدودق اكثر مطره
وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب من قصيدة
يمدح فيها النبي صلي الله عليه وسلم بالسرق وكرر وعظم اكثر من ثمانين بيتا فقال
وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامي عصمة للارامل •
اي ملجا وغياثا لليتامي ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النسا
والرجال وهو بالنسا اخص واكثر استعمالا اقول واخذت الشيعة من
هذه القصيدة القول باسلام ابي طالب اي لانه صنعها بعد البعثة وسياتي الكلام
في اسلامه واما ما نقله الدميري في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد ان
هذه القصيدة التي منها هذا البيت من انشا عبد المطلب فهو وهم لما درج
عليه ائمة السير ان المنشئ لها هو ابو طالب واحتمال توارد كل من ابي طالب
وعبد المطلب علي هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما يأتي عن النبي

صلي الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابي طالب والله اعلم قال وعن ابي طالب كنت
بذي المجاز اي وهو موضع علي فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخي يعني النبي
صلي الله عليه وسلم فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي قد عطشت وما قلت له ذلك
وانا اري عنده شيا الا الجزع اي لم يحملني علي ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثني وركه اي نزل
علي دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوي بعقبه الي الارض وفي رواية الي الصخرة
فركضها برجله وقال شيا فاذا انا بالما لم ار مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال
ارويت قلت نعم فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر اي وقد اتت عليه صلي الله عليه وسلم
بضع عشرة سنة مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق ابيه كما تقدم الي اليمن فمروا بواد فيه
فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما راه البعير برك وحك الارض بكلكله اي صدره فنزل
صلي الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادي ثم خلي عنه
فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوا ماء يتدفق فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتبعوني
ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الما فلما وصلوا الي مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان
لهذا الغلام شانا انتهى اي وفي السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قايفا وكان اذا قدم
مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فاتي ابو طالب بالنبي صلي
الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه فنظر ثم شغل عنه بشي فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول
ويلكم ردوا علي الغلام الذي رايت انفا فوالله ليكونن له شان فلما راي ابو طالب حرصه عليه غيبه
عنه وانطلق به باب ذكر سفره صلي الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الي الشام
عن ابن اسحق لما تهيا ابو طالب للرحيل صبت به رسول الله صلي الله عليه وسلم بفتح الصاد
المهملة وتشديد الموحدة الصابة رقة الشوق قاله في الاصل قال وعن بعض الرواة ضبثت
فضبث به اي بفتح الصاد المعجمة والبا الموحدة والثا المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه يقال
ضبثت علي الشي اذا قبضت عليه فقد جا اوحي الله تعالى الي داوود عليه السلام قل للملاء
من بني اسرائيل لا يدعوني والخطايا بين اضباثهم اي قبضاتهم اي وهم يحملون الاوزار غير
مقلعين عنها اي وعله ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى فلفظه لما
تهيا يعني ابا طالب للرحيل صبت به رسول الله صلي الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال
والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا اقول رايت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي

وضبت به رسول الله صلى الله عليه ابوا طالب ضباتة لم تضبت مثلها الشي قط لان ذلك انما
يناسب صب بالصاد المهملة اي الذي هو الرقة كما لا يخفى على ان مصدر ضبت انما هو الضبث
ومن ثم لم اجد ذلك في السيرة المذكورة والذي رايته فيها ما قدمته عنها وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة ابي طالب وقال يا عم الى من تكلني لا اب لي ولا
ام وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثني عشر سنة وشهرين وعشرة
ايام اي وهذا الفعل صدر به في الامتاع وقال انه اثبت اي ومن ثم اقتصر عليه المحب
الطبري وذكر انه لما سار به ارد فه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير
ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي هذا نبي اي لان
من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبي في الكتب
القديمة ان يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم وسياتي او بعد وضعه بقليل من
الزمن اي ومن علامته ايضا في تلك الكتب موت امه وهو صغير كما تقدم في خبر سيف
بن ذي يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار من بعض اهل الكتب القديمة على الاول الذي هو موت
ابيه وهو قال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي الذي ياتي اليه الخبر من السما فينبي
اهل الارض قال ابو طالب الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل
براهب ايضا صاحب دير فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما
ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي
يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله
الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي الا تسمع ما يقول
قال اي عم لا تنكر لله قدرة والله اعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا
بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة وسكون المثناة التحتية اخره را مقصورة واسمه
جرجيس وقيل سرجيس وجبينه يكون بحيرا الغيبه في صومعة له وكان انتهى اليه
علم النصرانية اي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية يتوارثونها
كابرا عن كابر عن اوصيا عيسى عليه السلام وفي تلك المرة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل
كان بحيرا من احبار اليهود يهوديا تيما اقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد
ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سياتي هذا وقال ابن عساكر رحمه الله تعالى
ان بحيرا

ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل كان يسكن
البلقا من ارض الشام بقرية يقال لها منيعه ويحتاج الى الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن
في كل من القريتين كل واحدة يسكن فيها زمنا وكان في بعض الاحايين ياتي لتلك الصومعه
فليتامل وقد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير اهل
الارض ثلاثة رباب بن البرا وبحيرا الراهب واخر لم يات بعد وفي لفظ والثالث المنتظر
يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده
من بعده لا يزال يرى عندهما طش وهو المطر الخفيف والله اعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر
على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان راى وهو في صومعته
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما
نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت اغصان الشجرة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها اي وقد كان وجدهم قد سبقوه
صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم قال في الشجرة عليه
ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم
وكبيركم عبدكم وحركم فقال له رجل منهم لم اقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشان
ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد
كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم
فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم
اي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة اي لم يرها في واحد منهم الصفة
التي هي علامة النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اخر الزمان التي يجدها عنده اي ولم ير
الغمامة على احد ورآها متخلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر
قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد
ينبغي له ان ياتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر
هذا الغلام معكم اي فقال وقال فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من
انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب
وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى للوم بنا ان يتخلف ابن عبد المطلب [illegible]

من طعام نبينا ثم قام اليه فاحتضنه اي وجا به واجلسه مع القوم اي وذلك الرجل هو
عمه الحارث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن اخي مع كونه اسن من ابي طالب لان ابا
طالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحارث مع كون ابي طالب هو المقدم في الركب
وقيل الذي جا به ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقد وهاه ابن المحدث على ما قبله فليتامل ولما راه
من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على راسه فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر
الي اشيا من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم
من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له اسالك باللات والعزى الا ما اخبرتني عما
اسالك عنه وانما قال بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما اي وفي الشفا انه
اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيا فوالله
ما ابغضت شيا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له
صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك فجعل يساله عن اشيا من حاله في نومه وهيئته واموره
ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته اي صفة
النبي المبعوث اخر الزمن التي عنده اي ثم كشف عن ظهره فراى خاتم النبوة على الصفة التي
عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما
فرغ اقبل على ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا
الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به
قال صدقت اي ثم قال ما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك
الي بلده واحذر عليه من يهود فانه كاين لابن اخيك هذا شان عظيم اي نجده في كتبنا
ورويناه عن ابائنا واعلم اني قد اديت اليك النصيحة فاسرع به الي بلده
وفي لفظ لما قال له ابن اخي قال بحيرا اشفيق عليه انت قال نعم قال فوالله لئن قدمت
به الي الشام ان جاوزت هذا المحل ووصلت الي داخل الشام الذي هو محل اليهود لتقتلنه
اليهود فرجع به الي مكة وقد يقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن
من الله وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي
فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام وفي الهدي فبعثه
عمه مع بعض غلمانه الي المدينة فليتامل وذكر ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا ارادوا

من رسول

من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راه بحيرا وارادوا به سوا فردهم بحيرا عنه وذكرهم
الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا وان يخلصوا
اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى خرج ابو طالب الي الشام
وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب
بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون
رحالهم يتخللهم حتى جا فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد
العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من
قريش ما علمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا
ولا يسجد الا لنبي اي وان الغمامة صارت تظله دونهم واني لاعرفه بخاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة اي والغضروف تقدم انه راس لوح الكتف
ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فارسلوا
اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم قد سبقوه الي فيء الشجرة
فلما جلس صلى الله عليه وسلم مالت الشجرة عليه فقال الراهب انظروا الي فيء الشجرة
مال عليه فبينما هو قايم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الي ارض الروم قد اقبلوا
فاستقبلهم فقال ما جا بكم قالوا جينا الي هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر
اي مسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال
افرايتم امرا اراده الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اي
بايعوا بحيرا على مسالمته النبي صلى الله عليه وسلم وعدم اخذه واذيته على حسب
ما ارسلوا فيه واقاموا عنده ذلك الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه
قال بحيرا لقريش انشدكم الله اي اسالكم بالله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل
يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه بلالا رضي الله عنه وفي لفظ بعث
معه ابو بكر رضي الله عنه بلالا وزوده بحيرا من الكعك والزيت اي واذا كانت
القصة واحدة فالاختلاف في ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره فبعض الرواة
قدم في هذه الرواية واخر على انه في الهدي قال وقع في كتاب الترمذي وغيره
ان عمه اي ابا طالب او ابا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح

فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر وذكر
في الاصل ان في هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث
الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك اي مع صحة سنده ففي متنه نكارة اي امور منكرة
وهي ارسال ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم وبلال فان بلالا لم ينتقل لابي بكر الا بعد هذه
السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لم يبلغ العشر سنين حينئذ
لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل اي بشهر ولا ينافي ما ياتي وتقدم
ان سنه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين على الراجح اي فيكون سن ابي بكر رضي الله
تعالى عنه سبع سنين وكان بلال اصغر من ابي بكر فلا يتجه على هذا بحال اي لان ابا بكر لم
يكن اهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا ان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم
اسن من ابي بكر هو ما عليه الجمهور من اهل العلم بالاخبار والسير والاثار وما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر فقال له من الاكبر انا او انت فقال
له ابو بكر رضي الله عنه انت اكرم واكبر وانا اسن قيل فيه انه وهم وان ذلك
انما يعرف عن عمه العباس رضي الله تعالى عنه وكون بلال اصغر من ابي بكر ينازعه قول
ابن حبان رحمه الله تعالى بلال بلال كان تربا لابي بكر اي قرينه في السن وبه يرد قول
الذهبي رحمه الله تعالى بلال لم يكن خلق قال ذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال ابي بكر
رضي الله عنه بلالا وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث اخر ادرجه ذلك الراوي
في ذلك الحديث انتهى اقول ولاجل ذلك هذا الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا
بعضه باطل اي لم يوافق الواقع اي فمع كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع
وبعضه لم يوافق الواقع وحينئذ فمراد الاصل بالنكارة في قوله في متنه نكارة البطلان
كما اشرت اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من اقسام الضعيف
وهو يرجع الى الفرد به ولا يلزم من الفرد به ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال
الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى في هذا الحديث وهمان احدهما قوله فبايعوه واقاموا
معه والوهم الثاني قوله وبعث معه ابو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير
في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا فلا وجه فيه وتوجيه الوهم الثاني بعدم
وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا يرد به الاثبات

وحينئذ

وحينئذ لا حاجة معه الى ذكر ما بعده من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه ابو بكر الا ان
يقال هو على تسليم وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم
ذلك ارسال ابي بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك ابي بكر له جاز ان يكون
سيد بلال وهو امية بن خلف ارسله في ذلك العير لامر فاذن ابو بكر لبلال في العود مع النبي
صلى الله عليه وسلم ليكون خادما وليستانس به اعتمادا على سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله
ان يكون مملوكا وكون ابي بكر لم يكن في سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله اعلم
وروى ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر رضي الله عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمانية عشر سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة اي فالنبي صلى الله عليه
وسلم اسن من ابي بكر بعامين اي وشهر كما تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين التي هي الشهر
الواردة مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون الشام في تجاراتهم حتى اذا
نزل منزلا وهو سوق بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل بسدرة فقعد صلى الله عليه وسلم
في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يساله عن شيء فقال من الذي في ظل
السدرة قال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا النبي هذه
الامة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم عليه السلام الا محمد صلى الله عليه وسلم تحتها
اي وقد قال عيسى عليه السلام لا يستظل بعدي بها الا النبي الهاشمي كما سياتي في بعض
الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون سفر ابي بكر رضي الله عنه معه صلى الله عليه
وسلم في سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب اقول وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة
فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين ويدل له ما تقدم من قول
الراوي وهم يريدون الشام في تجاراتهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا في تلك
السفرة وسياتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر
الا ان يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر لكن ربما يبعده ما سياتي ان سنه
صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان عمره خمسا وعشرين سنة على الراجح لا عشرين
وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا
وهو ما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما
وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز ان يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك الصومعة

لمؤته ميلا وهو اقرب من دعوي تعدد الشجرة فتكون واحدة عند صومعة بحيرا
او واحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيهما عيسي ما ذكر ومن دعوي اتحادها
وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير الذي كان فيه ابو طالب نزل
بجهة صومعة بحيرا والعير الذي كان فيه ابو بكر وميسرة نزل بجهة صومعة نسطورا
وسياتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام
لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء علي اقترانها بالنبوة وان المراد بها النبوة اي لم يدركا
النبوة فضلا عن الرسالة بناء علي تاخرها عن النبوة ثم رايت الحافظ ابن حجر قال في بحيرا
ما ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي
الذي هو احد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة فقيه رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن قال
ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا المذكور هنا الذي لقي النبي صلي الله عليه وسلم
قبل البعثة والله اعلم **باب ما حفظه الله تعالي في صغره صلي الله عليه وسلم**
من امر الجاهلية اي من اقذارهم ومعايبهم اي بحسب ما آل اليه سرعة لما يريد الله تعالي
به من كرامته حتي صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم من
الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكرما اي حتي كان افضل قومه يرونه واحسنهم
خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا فسموه الامين
لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروءة فمن ذلك ما ذكره
ابن اسحق رحمه الله تعالي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لقد رايتني اي رايت
نفسي في غلمان قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعري واخذ
ازاره وجعله علي رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لا اقبل معهم كذلك واد بر اذ لكمني
لاكم دواي من الملايكة ما اراها لكمة وجيعة **وفي لفظ** لكمني لكمة شديدة وقد يقال
لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلي الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك
فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة علي رقبتي وازاري علي من بين
اصحابي اي وقع له مثل ذلك اي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم فعن

ابن

ابن اسحق رحمه الله تعالي وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلي الله
عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقي به الحجارة فغشي عليه فلما افاق ساله
ابو طالب فقال اتاني ات عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رويت عورته من يوميذ
وفي الخصايص الصغري ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين
وقد وقع له مثل ذلك اي نهيه عن التعري عند بنيان الكعبة كما سياتي وسياتي ما فيه
ومن ذلك ما جا عن علي كرم الله تعالي وجهه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اي ويفعلونه الا مرتين من الدهر كلاهما
عصمني الله عز وجل منها اي من فعلها قلت لفتي كان معي من قريش ما علي مكة في غنم
لاهله يرعاها **وفي لفظ قلت** ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلنا لم
اتق علي اسم هذا الفتي ابصر لي غنمي حتي اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم
واصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جيت ادني دار من دور مكة سمعت غنا وصوت
دفوف ومزامير فقلت ما هذا قالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امراة من
قريش فلهوت بذلك الصوت حتي غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
الي صاحبي فقال ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخري مثل ذلك **اقول المناسب**
بقوله عصمني الله ما في الرواية الثانية لا ما ذكر في الرواية الاولي الا ان يحمل قوله في الرواية
الاولي فلهوت علي اردت ان الهو والله اعلم **فقال صلي الله عليه وسلم** والله ما هممت بغيرهما
بسوء مما يعمله اهل الجاهلية اي ما هممت بسوء مما تعمله اهل الجاهلية غيرهما **وفي لفظ فوالله**
ما هممت ولا عدت بعدهما لشي من ذلك اي مما تعمله اهل الجاهلية ولا هممت به حتي
اكرمني الله تعالي بنبوته **ومن ذلك ما جا** عن ام ايمن رضي الله تعالي عنها انها قالت كان بوانه
بضم الموحدة وبفتح الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك
اي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الي الليل في كل سنة وكان ابو طالب يحضره مع قومه
ويكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيابي ذلك حتي قالت رايت ابا طالب
غضب عليه صلي الله عليه وسلم ورايت عماته غضبن عليه يوميذ اشد الغضب وجعلن يقلن
اما تخاف علينا مما تصنع من اجتناب الهتنا وتقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا
ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به صلي الله عليه وسلم حتي ذهب فغاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا

فزعا فقلن ما دهاك قال اني اخشي ان يكون لي لمم اي لمة وهو المس من الشيطان
فقلن ما كان الله عز وجل يبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت
قال كلما دنوت من صنم منها اي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة
تمثل لي رجل ابيض طويل اي وذلك من الملايكة يصيح بي وراك يا محمد لا تمسه قالت فما
عاد الي عيد لهم حتي نبا صلي الله عليه وسلم **اقول ظاهر هذا** السياق ان اللمم يكون من
الشيطان وحينيذ يكون بمعني اللمة وهي المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق
اللمم علي اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة الرضاع قد اصابه لمم او طايف
من الجنون اذ هو يدل علي ان اللمم يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف
من الجنون واصاب فلان من الجن لمة وهي المس اي فتغاير بينهما والله اعلم
وما ذكر ما روته عايشة رضي الله تعالي عنها قالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كلما ذبح لغير الله اي فلان يقول لقريش
الشاة خلقها الله تعالي وانزل لها من السما الما وانبت لها من الارض الكلا ثم تذبحونها
علي غير اسم الله فما ذقت شيا ذبح علي النصب اي الاصنام حتي اكرمني الله تعالي برسالته
اي وزيد ابن عمرو كان قبل النبوة زمن الفترة علي دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبايح التي تذبح للاوثان ونهي
عن الموءودة اي وتقدم انه كان يحييها اذا اراد احد ذلك اخذ الموءودة من ابيها ويكفلها وكان
اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد **قال صلي
الله عليه وسلم** انه يبعث امة واحدة اي يقوم مقام جماعة انتهي اي خاص ولان سعيد
قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رايت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفروا له فانه
يبعث يوم القيامة امة واحدة **وفي البخاري** عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالي عنهما ان
النبي صلي الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل ان ينزل علي النبي صلي الله عليه وسلم
الوحي وقد قدمت الي النبي صلي الله عليه وسلم سفرة اي فيها شاة ذبحت لغير الله
او قدمها النبي صلي الله عليه وسلم اليه فابي ان ياكل منها **وقال اني لست** اكل ما تذبحون
علي اصنامكم ولا اكل الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم علي هذا عنه
صلي الله عليه وسلم وان هذا اذ ذلك كان هو السبب في ذلك **قال الامام السهيلي** وفيه

سوال

سوال كيف وفق الله تعالي زيدا الي ترك ما ذبح علي النصب وما لم يذكر اسم الله تعالي عليه
ورسوله صلي الله عليه وسلم كان اولي بهذه الفضيلة في الجاهلية ما ثبت من عصمة الله
تعالي له اي فكان صلي الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا ابتغاء لزيد بن عمرو وحينيذ
لا يحسن الجواب الذي اشرنا اليه بقولنا **واجاب** اي السهيلي رحمه الله تعالي بانه لم يثبت
انه صلي الله عليه وسلم اكل من تلك السفرة اي ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح علي
النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم عليه السلام وانما كان تحريم ذلك في الاسلام
والاصل في الاشيا قبل ورود الشرع علي الاباحة هذا كلامه وفيه ان هذا التسليم
يبطل عند الشمس الشامي ذلك من امر الجاهلية التي حفظه الله منه في صغره ويخالف ما ذكره
بعضهم من ان زيد بن عمرو هذا هو رابع اربعة من قريش فارقوا قومهم وتركوا الاوثان
والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما في عيد لصنم من اصنامهم ينحرونه عنده ويعكفون
عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم علي شي
لقد اخطاوا والله دين ابيهم ابراهيم عليه السلام فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر
ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وظاهر هذا السياق
ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهولاء
الثلاثة الذين مع زيد بن عمرو ورابعهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته
صلي الله عليه وسلم اميمة وعثمان ابن الحويرث وزاد ابن الجوزي علي هولا الاربعة جماعة
اخرين سياتي الكلام عليهم عند الكلام علي اول من اسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن
اخي الخطاب والد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه اخاه لامه فاما ورقة لم يدرك
البعثة علي ما سياتي وكان ممن دخل في النصرانية اي بعد دخوله في اليهودية كما سياتي **واما
عبيد الله بن جحش** فادرك البعثة واسلم وهاجر الي الحبشة مع من هاجر ثم تنصر هناك
كما سياتي وكان يمر علي المسلمين ويقول لهم فقحنا وصاصاتم ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم
تبصروا ومات علي نصرانيته **واما عثمان ابن الحويرث** فلم يدرك البعثة وقدم علي قيصر ملك
الروم وتنصر عنده **واما زيد بن عمرو** بن نفيل هذا فكان يوبخ قريشا ويقول لهم والذي
نفس زيد بن عمرو بيده ما اصبح احد منكم علي دين ابراهيم غيري حتي ان عمه الخطاب اخرجه من مكة
واسكنه حرا ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب

الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام ويسال الاحبار والرهبان عن ذلك حتي بلغ الموصل ثم اقبل الي الشام
فجا الي راهب به كان انتهي اليه علم اهل النصرانية فساله عن ذلك فقال له انك لتطلب دينا
ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها
يبعث به دين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الان هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة
حتي اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال ميفعه وقيل دفن باصل جبل
حرا هذا وفي كلام الواقدي عن زيد بن عمرو انه قال لعامر ابن ربيعة وانا انتظر نبيا من بني اسمعيل
ولا اري اني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت بك مدة فرايته فسلم مني
عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلي الله عليه وسلم عن زيد السلام فرد عليه وترحم عليه
وتقدم ان ولده سعيد رضي الله عنه سال النبي صلي الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه
زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن عايشة رضي الله تعالي عنها قالت قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين قال
الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوي اي وقال الا انه ليس في شي من الكتب وفي رواية
رايته في الجنة يسحب ذيولا وفي الزهري نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اكل ما يذبح للجن
وعلي اسمهم واما ما قيل متي ذبحه بسم الله واسم محمد فلا اكله وان كان القول المذكور
حراما لا يهامه التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالي له صلي الله عليه وسلم لا اذكر
الا وتذكر معي فقد جا اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول لك اتدري كيف
رفعت ذكرك اي علي اي حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور ذلك في قوله تعالي الم نشرح
لك صدرك الي قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر الا وتذكر معي اي في غالب المواطن
وجوبا او ندبا ومن ذلك ما روي عن علي كرم الله وجهه قال قيل للنبي صلي الله عليه وسلم
هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما
كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان انتهي اقول تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصايصه
صلي الله عليه وسلم بل حرمها علي نفسه في الجاهلية جماعة كثيرون سياتي ذكر بعضهم وتقدم
ذكر بعضهم ويكون شرب الخمر من الكفر عليها هو ظاهر السياق بمعني ينبغي ان يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل
هذا وهذا منه صلي الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة
للمبالغة في الزجر عنها والتباعد منها لانها ام الخبايث وقد كان نفوس غالبهم القدما
وهذا اجمل

وهذا اجمل ما جا اتاني جبريل عليه السلام فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله تعالي شيا
اي مصدقا بما جيت به دخل الجنة اي لا بد ان يدخل الجنة وان دخل النار قلت يا جبريل وان زني وان
سرق قال نعم وان سرق وان زني قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها علي الناس والا
ففي الخصايص الصغري وحرمت عليه صلي الله عليه وسلم الخمر قبل ما بعث قبل ان تحرم علي
الناس بعشرين سنة والله اعلم قال واما ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله تعالي عنهما
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه واحد
يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما
عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ
بن حجر انكره الناس اي نقد قال الامام احمد كما في الشفا انه موضوع او يشبه الموضوع وقال
الدارقطني ان ابن شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر قله يلتفت اليه والمنكر فيه قول
الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس ذلك مرادا
ابدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام اصنامهم اي لشهوده صلي الله
عليه وسلم بعض مشاهدهم التي يكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهدة التي
شهدها اي التي كان يشهدها الخلق ونحوها لا لضيافات الاتي بيانها لا مشاهدة استلام
الاصنام فانه براه ما تقدم عن ام ايمن رضي الله عنها انتهي اي من قولها ان بوانه كان صنما
لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الي الليل كل سنة الي اخره اي ويويده ايضا ما تقدم من
قوله صلي الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزي لا تسالني بهما فاني والله ما ابغضت
شيا قط بغضهما لان مثل اللات والعزي غيرهما من الاصنام في ذلك وما سياتي من قوله
صلي الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالي عنها والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيا
قط وما جا انه صلي الله عليه وسلم قال لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر
باب رعيته صلي الله عليه وسلم قال به عيتر بكسر الرا المراد رعيته انتهي اقول
المبني في هذا الباب انما هو فعله صلي الله عليه وسلم الذي هو رعية الغنم لا بيان هيئة رعية
الغنم ترعيه بفتح الرا ابكسرها والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعي الغنم قال له اصحابه وانت يا رسول
الله قال وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط اي وهي اجزا من الدراهم والدنانير يشتري بها الحوايج

الحقيرة قال سويد بن سعد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال
الحربي رحمه الله تعالى قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة والذهب قال ويايد هذا
الثاني بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل ان جا في الصحيح
ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولا نه جا في بعض الروايات لاهلي ولا يرعى لاهله باجرة
اي كما في قصته بذلك العادة وايضا جا في بعض الروايات بدل القراريط باجياد فدل
ذلك علي ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد بان اهل مكة
لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وحينئذ يكون المراد باهله اهل مكة لا اقاربه التي تقتضي
العادة لا يرعى لهم باجرة والاضافة ماتي لادني ملابسة ويدل لذلك ما جا في رواية البخاري
كنت ارعاها اي الغنم علي قراريط لاهل مكة وذكر البخاري لذلك في باب الاجارة وذلك يبعد
ان المراد بالقراريط المحل وحمل علي معني الباء ويرد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي
قطع الدراهم والدنانير اي ويمنع دلالة قوله صلي الله عليه وسلم ستفتحون ارضا يذكر فيها
القيراط علي ذلك لجواز ان يكون المراد يذكر فيها القيراط كثير لكثرة التعامل به فيها وان المراد
بالقيراط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بانه رعي لاهله اي اقاربه بغير
اجرة ولغيرهم باجرة والمراد بقوله اهلي اهل مكة اي الشامل لاقاربه ولغيرهم قال الحقيقة الخبران
ويكون في احد الحديثين بين الاجرة اي التي هي القراريط وفي الاخر بين المكان اي الذي
هو اجياد فلا تنافي في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي وقوع الامرين منه
صلي الله عليه وسلم وهو مما يتوقف علي النقل في ذلك قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى
كان موسي ومحمد صلي الله عليهما وسلم رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحق
برعايته صلي الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها في بني سعد مع اخيه من الرضاع اي وقد يتوقف
في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده يرد قول هذا البعض ثم يرده ما تقدم وما ياتي وفي الفتح
انه صلي الله عليه وسلم اجر نفسه قبل النبوة في رعيه الغنم ومن حكمة الله تعالى في ذلك
ان الرجل اذا استرعي الغنم التي هي اضعف البهايم سكن قلبه الرافة واللطف فاذا انتقل من ذلك
الي رعاية الخلق كان اولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في اعدل الاحوال ووقع
الافتخار بين اصحاب الابل واصحاب الغنم اي عند النبي صلي الله عليه وسلم فاستطال اصحاب
الابل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بعث موسي عليه السلام وهو راعي غنم وبعث
اناوانا

اناوانا راعي غنم اهلي باجياد اي وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد وبغير
همزة ولعل المراد بقوله صلي الله عليه وسلم راعي غنم وكذا قوله وانا راعي غنم اي وقد رعيت الغنم
وقد رعيت ان الاخذ بظاهر الحالية بعيد ولينظر حكمة الاقتصار علي ما ذكر من الله نبيا مع قوله
السابق ما بعث الله نبيا الا رعي الغنم وما ياتي من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد قال صلي
الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها سمنها معاشنا وصوفها رياشنا
ودفرها كفاسنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش اي وفي الحديث الفخر والخيلا
في اصحاب الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم ولعل هذا الابتا في ماجا في الامثال قالوا احمق
وفي لفظ اجهل من راعي ضان لما بين لان الضان تنفر من كل شي فيحتاج راعيها الي جمعها اي
وذلك لحمقه فليتامل وفي رواية الفخر والخيلا وفي لفظ والربا في اهل الخيل والوبر قال وفيما
تقدم في الباب قيل هذا من امر السمر دليل علي ذلك اي علي رعايته الغنم ايضا وما رواه جابر
رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف مفتوحة مفتوحتين
فثا مثلثة اي وهو النضج من ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه اطيب
فاني كنت اجنيه اذ كنت ارعي الغنم قلنا وكيف ترعي الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد
رعاها انتهي اقول وحينئذ لا ينبغي لاحد غير برعاية الغنم ان يقول كان النبي صلي الله عليه وسلم
يرعي الغنم فان قال ذلك ادب لان ذلك كما علمت كمال في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام
دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلي الله عليه وسلم
دون غيره كالامية فمن قيل له انت امي فقال كان النبي صلي الله عليه وسلم اميا يودب والله اعلم

باب حضوره صلي الله عليه وسلم حرب الفجار اي بكسر الفا بمعني المفاخرة
او القتال بمعني المقاتلة وهو فجار البراض بفتح البا الموحدة وتشديد الرا وضاد معجمة عن ابن سعد
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب المذكورة مع عمومتي
ورميت فيه بالسهم وما احب اني لم اكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة اي وهذا
الفجار الرابع واما الفجار الاول فكان عمره صلي الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين وسببه
ان هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر علي
الناس فبسط رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل
فضربه بالسيف علي ركبته فاندرها اي فاسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم

وهو الاصح فاقتتلوا **وسبب الفجار الثاني** ان امراة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ
فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسالها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي
لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت
المراة يا آل عامر فتناروا بالسلاح ونادي الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله فسالها ان تكشف
وجهها فابت يدل علي ان النسا في الجاهلية كن يابين كشف وجوههن **وسبب الفجار الثالث**
انه كان لرجل من بني عامر دين علي رجل من بني كنانة فلواه به اي مطله فجرت بينهما
مخاصمة فاقتتل الحيان **وقد ذكر ان عبد الله** ابن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله
وكان ذلك سبب لانقضا الحرب وقيل لم يقاتل صلي الله عليه وسلم من فجار البراض وعليه
اقتصر في الوفا اي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل علي اعمامي اي ارد عليهم نبل عدوهم
اذا رموه وقد يقال لا مخالفة لان ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل فيها انه كان ينبل
اي يرد النبل فلا ينافي انه يرمي في بعض الاوقات باسهم اي **وفي كلام بعضهم كان ابوا**
طالب يحضر ايام الفجار اي فجار البراض وكانت اربعة ايام وكان معه رسول الله صلي الله عليه
وسلم وهو غلام واذا جا هزمت قيس ولعل المراد بهن هوازن فلا ينافي ما ياتي من
الاقتصار علي هوازن واذا لم يجي هوا اي في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا
لا اباً لك لا تغب عنا ففعل ذكره في الامتاع **وذكر فيه انه صلي الله عليه وسلم** طعن ابا براء
ملاعب الاسنة في تلك الحروب اي بعض تلك الايام وابو برآ هذا كان رييس بني قيس
وحامل رايتهم في تلك الحروب والطعن ظاهر في الرمح يحتمل للنبل وظاهر كلامهم انه
صلي الله عليه وسلم لم يقاتل فيه بغير الرمي للاسهم علي تقدير صحة تلك الرواية بذلك
ولا يبعد ان يكون رمي ولم يصب احدا اذ لو اصاب اخذ النقل لانه مما يتوفر الدواعي علي
نقله الا ان يقال يجوز به ان يكون اصاب جرحة لم تذكر فليتامل **قال وسميت الفجار** لان
العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام انتهي **اقول ظاهر** حروب الفجار الاربعة التي هي فجار
البراض وغيرها وظاهر كلامهم انه صلي الله عليه وسلم انه لم يحضر الا في الفجار الرابع الذي
هو فجار البراض ثم رايت التصريح بذلك في الوفا وسياتي في هذا الباب ما يدل علي ذلك اي ان
القتال في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما كان سببه في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال
فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحا المهملة وكان من اهل هوازن اجاز لطيمة

للنعمان

للنعمان بن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبر للتجارة اي كان المنذر
كان يرسل تلك اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشتري له بثمن ذلك ادم من ادم الطايف
ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من اشرف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة
من العرب كان منهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من بني هوازن **فقال
البراض انا اجيرها** علي بني كنانة يعني قومه فقال له النعمان ما اريد الا من يجيرها علي
اهل نجد وتهامة فقال له الرحال انا اجيرها لك فقال له البراض اتجيرها علي كنانة
فقال نعم وعلي اهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة الرحال مسافرا
وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله وثب عليه فقتله اي فانه شرب الخمر وغنته
القينتان فسكر ونام فجاءه البراض وايقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلني فانها
كانت من ذلة السقطة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك في الشهر الحرام فاتي ان كنانة وهم
بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام
فانطلقوا وهوازن لا يشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل دخولهم الحرم
فاستكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة **ولا يخفي ان في هذا**
تصريح بان القتال لم يكن في الشهر الحرام لانهم اذا كانوا في الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا
اي وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني
دليل علي ان قتالهم لم يكن في الشهر الحرام ومكث القتال بينهم اربعة ايام اي كما تقدم
اقول قال السهيلي الصواب ستة ايام والله اعلم **قال وشهد رسول الله** صلي الله
عليه وسلم بعض تلك الايام اخرجه اعمامه معهم اي ويدل له ما تقدم من انه اذا حضر
كنانة واذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الايام وهواشدها اي وهو اليوم الثالث
قيد اميه وحرب ابنا اميه بن عبد شمس وابو سفيان بن حرب انفسهم كيلا يفروا فسموا
العنابس اي الاسود انتهي اي وحرب والد ابي سفيان وامية اخوه ماتا علي الكفر وابوا
سفيان اسلم كما ياتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام القابل جاوا للوعد
اي وكان امر قريش وكنانة الي عبد الله بن جدعان **وقيل كان** الي حرب بن اميه
والد ابي سفيان لانه كان رييس قريش وكنانة يومين وكان عتبة بن اخيه ربيعة
بن عبد شمس بينهما في حجر فضن اي بخل به حرب ورشفق اي خاف من خروجه معه فخرج

عتبة بغير اذنه فلم يشعر اي يعلم به الا وهو علي بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام
تفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح الصلح علي ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا
عن دمائنا اي فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر علي هوازن بقتلوهم قتلا ذريعا اي وذلك
لا ينافي اشهرانهم في بعض الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الي ان نوفي لكم ذلك
قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به
هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم ابن اخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلي الله عليه وسلم
ورضي عنها كما تقدم فلما رات هوازن الرهن في ايديهم عن الدما واطلقوهم وانقضت
حرب الفجار **وفي رواية وردت قريش** قتلا هوازن ووضعت الحرب اوزارها وقد يقال
علي تقدير صحة هذه الرواية يراد بردت التزمت ان تديها وكان انقضاؤها علي يد عتبة
ابن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو ابن هند زوج ابي سفيان ام معاوية رضي الله
تعالي عنها وعن زوجها وولدها المذكور وكان يقال لم يسد مملق اي فقير الا عتبة ابن
ربيعة وابوطالب فانهما سادا بغير مال **وفي كلام بعضهم** ساد عتبة بن ربيعة
وابوطالب وكان افلس من ابن المذلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد قوت
ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذي
في الوفا الاقتصار علي ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولي كانت المحاربة فيه ثلاث
مرات المرة الاولي سببها قضية بدر بن معشر الغفاري والمرة الثانية كان سببها قضية
المراة والثالثة سببها قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلي الله عليه وسلم تلك المرات
واما المرة الثانية فكانت بين الهوازنه وكنانة وقد حضرها رسول الله صلي الله عليه وسلم

باب شهوده صلي الله عليه وسلم حلف الفضول

وقد يقال الاحلاف في المعني
وهو اشرف حلف في العرب والحلف في الاصل اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لانهم يحلفون
عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان في شوال اي
وقيل في شعبان لا في اي وكان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان في الشهر الحرام
كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر انه كان بعد انقضا
الحرب وقيل مع القريقين للموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل للموعد لم يقع حرب
الان يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين علي المحاربة وهذا الحلف كان في ذي

ابن حزام وهو

الفضول

القعده واول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب اي عم رسول الله صلي الله عليه وسلم
شقيق ابيه كما تقدم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهره وبنو اسد بن عبد العزي وذلك في
دار عبد الله بن جدعان التيمي كانت تيم في حياته كاهل بيت واحد بقوتهم وكان يذبح
في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان
يطبخ عنده الفالوذج يطعمه قريشا اي وسبب ذلك انه كان اولا يطعم التمر والسويق
ويسقي اللبن فاتفق ان امية بن ابي الصلت مر علي بني ابن عبد الدار فراي طعامهم لباب البر
اللبن والشهد **فقال امية ولقد رايت الفاعلين** وفعلهم فرايت اكرمهم بني الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا ما يعللنا بنو جدعان فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل
الي بصري الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه الا هلموا الي جفنة
عبد الله بن جدعان ومن مدح امية ابن ابي الصلت في ابن جدعان قوله

اأذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا اثني عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضك الثناء
كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا ... اذا ما الصب احجره الشتاء

وكان عبد الله اذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر علي نفسه في الجاهلية
اي بعد ان كان بها مغرما **وسبب ذلك** انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض علي ضوء
القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحي فحلف لا يشربها ابدا
وممن حرمها علي نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون رضي الله تعالي عنه وقال لا اشرب شيئا
يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادني مني ويحملني علي ان انكح كريمتي من لا اريد فصنع لهم عبد الله
بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتي يودي اليه حقه ما بل بحر
صوفه اي الابد **وعن عايشه رضي الله تعالي عنها** قالت لرسول الله صلي الله عليه وسلم
ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة
فقال انه لم يقل يوما وفي رواية لم يقل ساعة من الليل او نهار رب اغفر لي خطيئتي
يوم الدين اي لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يقع الا من مسلم فلا يقال مقتضي الحديث
انه لو قال ذلك لنفعه ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا لانه ممن ادرك البعثة ولم يومن وحينئذ

يسال عن الحكمة من عدم ولده صلي الله عليه وسلم الي ذلك من قوله لانه لم يومن بي او لم يكن مسلما اي
وكان يكني ابا زهير وقد قال صلي الله عليه وسلم في اسري بدر لو كان ابو زهير او مطعم ابن
عدي حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنه بن جدعان كان يأكل منها الراكب علي البعير
وسبا نبي في غزوة بدر انه صلي الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلمان علي مايدة
لابن جدعان وانه صلي الله عليه وسلم دفع ابا جهل لعنه الله فوقع علي ركبتيه فجرحه جرحا اثر فيه
اي وقد جا انه صلي الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي اي في الهاجرة
وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمي علي الترخيم رجل من العماليق اوقع بالعدو القتل في
مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمرا
فلما كان علي مرحلتين من مكة قال لقدمه وهم نحو الظهيرة من اتي مكة غدا في مثل هذا الوقت
كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتي اتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل
هذا الاخير الغه قول ابن عباس رضي الله تعالي عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمي فقيل ما صكة
الاعمي قال ان لا يبالي اية ساعة خرج وكان عبد الله بن جدعان في ابتدا امره صعلوكا
وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتي ابغضه عشيرته
وطرده ابوه وحلف لابويه ابدا فخرج هايما في شعاب مكة يتمني الموت فراي شقا في جبل
فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما
تاخر رجع عنه فلم يزل كذلك حتي غلب علي ظنه انه مصنوع فقرب منه ومسكه بيده
فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان علي الفضول
خلق المطيبين لانهم العاقدون له فليتامل وسمي بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا
علي ان يردوا الفضول علي اهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له
الفضل وعبارة بعضهم لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم
الفضل بن فضاله والفضل بن وداعة والفضل ابن الحارث والصحيح في اشرافهم يتبادر
رجوعه الي قريش وهولا الثلاثة تحالفوا علي نصرة المظلوم علي ظالمه فالفضول جمع فضل
وقيل لانهم اي هولا الذين تحالفوا كانوا اخرجوا فضول اموالهم للاضياف وقيل لان قريشا
قالوا عن الذين تحالفوا العقد دخلوا هولا في فضول الامر والسبب في هذا الحلف والحامل
عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وايل وكان من اهل الشرف
والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدي عليه الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما
وعدي بن كعب فابوا ان يعينوا علي العاص وانتهروه اي الزبيدي فلما راي الزبيدي الشر رقي
علي ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال باعلي صوته

يا ال فهر لمظلوم بضاعته • ببطن مكة نائي الدار والنفر •
ومحرم اشعث لم يقض عمرته • يا للرجال وبين الحجر والحجر •
ان الحرام لمن تمت مكارمه • ولا حرام لثوب الفاجر الغدر •

والحرام بمعني الاحترام فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب اي مع عبد الله بن جدعان
كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وابو سفيان رضي الله عنهما وتعاقدوا
وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم علي الظالم حتي يودي اليه حقه شريفا او ضعيفا ثم
مشوا الي العاص بن وايل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه انتهي اقول وذكر
السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت له اوضأ نساء العالمين
فاغتصبها منه لنبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادي
بالحلف الفضول فاذا هم يعنقون عليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم اي جردوها يقولون
جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي فانتزعها مني قهرا فساروا اليه حتي وقفوا
علي باب داره فخرج اليهم فقالوا له اخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا اليه
فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شمت لقحة اي مقدار من ذلك فاخرجها
اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالي انه كان بين الحسن بن علي رضي الله عنهما
وبين الوليد بن عتبة بن ابي سفيان منازعة في مال متعلق بالحسين رضي الله تعالي عنه
فقال الوليد للحسين عم احلف بالله لتنصفني من حقي او لاخذن سيفي ثم لاقومن من مسجد
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول اي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة
المظلوم علي ظالمه ووافقه علي ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير رضي الله تعالي عنهما
لانه كان اذ ذاك في المدينة فلما بلغ ذلك للوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتي رضي والله اعلم

باب سفره صلي الله عليه وسلم الي الشام ثانيا مع ميسرة وذلك غلام خديجه

بن خويلد رضي الله تعالي عنها لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اي علي
الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلما وتلك اقوال ضعيفة لم يتم عليها حجة علي ساق

وليس له صلي الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين لما تكمل فيه من خصال الخير كما تقدم وسببه
ذلك ان عمه اباطالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان اي القحط
والحت اي اقبلت ودامت سنون منكرة اي شديدة الجدب وليس لنا مادة اي
اي ما يمدنا وما يقوتنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة وفي
رواية عير ان جمع عير قد حضر خروجها الي الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا
من قومك في عيرانها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك
عليها لاسرعت اليك او فضلتك علي غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا اكره
ان تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدًّا فقال له رسول الله صلي
الله عليه وسلم فلعلها ترسل الي في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب
امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجه رضي الله تعالي عنها ما كان من محاورة عمه ابي طالب له فقالت
ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه صلي الله عليه وسلم فقالت اني دعاني الي البعثة اليك
ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف ما اعطي
رجلا من قومك ففعل رسول الله صلي الله عليه وسلم ولقي عمه ابا طالب فذكر له
ذلك فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة اي يريد
الشام وقالت خديجه لميسرة لا تعصي له امرا ولا تخالف له رايا وجعل عمومته يوصون
به اهل العير اي ومن حين سيره صلي الله عليه وسلم اظلته الغمامة فلما قدم
صلي الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصري في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب
يقال له نسطورا اي بالقصر فاطلع الراهب الي ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة
من هذا الذي تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب
ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي اي ما صاحبها الله تعالي من نزل تحتها غير نبي ثم قال
افي عينيه حمرة قال ميسرة لا تفارقه قال الراهب هو هو وهو اخر الانبيا ويا ليت اني
ادركه حين يومر بالخروج اي يبعث فوعي ذلك ميسرة اي والحمرة كانت في بياض عينيه
وهي الشكلة ومن ثم قيل في وصفه صلي الله عليه وسلم اشكل العين فهذه الشكلة من علامات
نبوته صلي الله عليه وسلم في الكتب القديمة اي وقد تقدم ذلك قال وفي الشرف النيسابوري
فلما راي الراهب الغمامة تظله صلي الله عليه وسلم فزع وقال ما انتم عليه اي اي شي انتم قال ميسرة

غلام خديجه فدنا الي النبي صلي الله عليه وسلم سرًّا من ميسرة وقبل راسه وقدمه وقال امنت
بك وانا اشهد انك الذي ذكره الله في التورية ثم قال يا محمد قد عرفت منك العلامات كلها اي
العلامات الدالة علي نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لي عن
كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلالا فاقبل عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله
الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر بك عيسي ابن مريم فانه قال لا ينزل بعدي
تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب
لوا الحمد اقول قال في النور ولم اجد احدا عد هذا الراهب الذي هو نسطورا في الصحابة
كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغي ان يكون هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا
انه سياتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم من اقر برسالته صلي الله عليه وسلم بعد وجودها
الي اخر ما ياتي ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة
غلطا قال لان تعريف الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلي الله عليه وسلم وهو
مومنا به ومات علي ذلك قال فقولي مسلم يخرج من لقيه مومنا قبل ان يبعث كهذا الرجل
يعني بحيرا هذا كلامه ومراده ما ذكرناه ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية
من النصاري فالنصاري افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسي ابن الله ويعقوبية
قالوا عيسي هو الله اهبط الي الارض ثم صعد الي السما وملكانية قالوا عيسي عبد الله
ونبيه قال بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية قالوا هو اله وامه اله والله اله هذا
وفي القاموس النسطورية بالضم وتفتح امة من النصاري تخالف بقيتهم وهم اصحاب
نسطورا الحكيم الذي ظهر في ايام المامون وتصرف في الانجيل برايه وقال ان الله واحد
ذو اقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها افترقت
ربانيه وقرابيه وسامره ولا يخفي ان بقا تلك الشجرة هذا الزمان الطويل قبل عيسي وبعده
الي زمن نبينا محمد صلي الله عليه وسلم علي خلاف العادة وصون غير الانبيا عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبيا
الذين وجدوا بعد عيسي علي ما تقدم من النزول تحت تلك الشجرة بعد عيسي الذي دلت عليه الرواية الاولي
والرواية الثانية ممكن وان كان الشجرة لا تبقي في العادة هذا الزمن الطويل وتبعد في العادة ان تكون
شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها احد غير الانبيا لان هذا الامر مع كونه ممكنا خارق للعادة والانبيا لم

خرق العوايد سيما نبينا صلي الله عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه
الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبي لبعد العهد بالانبيا قبل ذلك وان كان
في لفظ الخبر قط اي كما تقدم فقد تكلم بها علي جهة التاكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا
العمر الطويل حتي يدري انه لم ينزل تحتها الا عيسي او غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ويبعد في العادة ايضا ان تكون شجرة تخلوا من ان ينزل تحتها احد حتي يجي نبي لعدم اكلا مه
وقد يقال يجوز ان تكون هذه الشجرة شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاث الاف سنة
علي ان في بعض الروايات ونزل رسول الله صلي الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة تحت عودها فلما
اطمأن تحتها اخضرت ونورت واعشوشب ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها وترفرفت
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من اهل السنة ان كل ما جاز
وقوعه للانبيا من المعجزات جاز للاوليا مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي لان المعجزة يعتبر
فيها التحدي وان تكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينيذ لا يستبعد
ما ذكر عن الشيخ ارسلان رحمه الله تعالي ونفعنا به انه كان اذا اتكي الي شجرة يابسة قد ماتت
تورق ويخرج ثمرها في الحال علي انه سياتي في الكلام علي غزاة الخندق ان كرامات الاوليا معجزات
لانبيايهم ولما راي الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب ان انحدر من صومعته وقال له باللات
والعزي ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر
في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوريت فظن بعض القوم ان الراهب يريد النبي صلي الله
عليه وسلم مكرا فانتضي سيفه وصاح يا ال غالب يا ال غالب فاقبل الناس يهرعون اليه
من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الي ذلك اقبل يسعي الي صومعته فدخلها
واغلق [illegible] اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذي راعكم مني فوالذي رفع السموات بغير عمد
اني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت الشجرة هو رسول رب العالمين يبعثه بالسيف
المسلول وبالربح الاكبر وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجا ومن عصاه غوي ثم حضر
رسول الله صلي الله عليه وسلم سوق بصري فباع سلعته التي خرج بها واشتري
قال ولم اقف علي تعيين ما باعه وما اشتراه انتهي وكان بينه وبين رجل اختلاف
في سلعته فقال رجل لرسول الله صلي الله عليه وسلم احلف باللات والعزي فقال النبي
صلي الله عليه وسلم ما احلف بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة
هذا ا

هذا ابني والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده احبارنا مبعوثا في الكتب ميسرة ذلك اي وقيل ان يحلوا
الي بصري عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم في اول الركب فخاف
ميسرة علي نفسه وعلي البعيرين فانطلق يسعي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول
الله صلي الله عليه وسلم الي البعيرين فوضع يده علي اخفافهما وعوذهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغا
قال وفي الشرف انهم باعوا امتاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة اربعين سنة
ما ربحنا ربحا قط اكثر من هذا الربح علي وجهك انتهي واقول لا يخفي ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجه اربعين سنة
ولعلها مصحفة عن سفره او هو علي المبالغة والله اعلم ثم انصرف اهل العير جميعا راجعين وكان
ميسرة يري ملكين يظلانه صلي الله عليه وسلم من الشمس وهو علي بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد
الحر وهذا هو المعني بقول الخصايص الصغري وخص باظلال الملايكة له في سفره ويحتمل ان المراد في
كل سفر سافره لكن لم اقف علي اظلال الملايكة له في غير هذه السفرة وقد القي الله تعالي محبة رسول الله
صلي الله عليه وسلم في قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران اي وهو وادي بين مكة
وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مكة وهو المعروف الان بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي
صلي الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الي خديجة فتخبرها بالذي جرا لعلها تزيدك بكرة الي بكرتيك
اي وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالي لها علي وجهك فركب النبي صلي الله عليه وسلم وتقدم حتي دخل
مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اي في غرفة مع نسا فرات رسول الله صلي الله عليه وسلم حين دخل
وهو راكب علي بعيره وملكان يظلان عليه فرايته نساها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم
فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت اين ميسرة قال خلفته في البادية
قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم اهو الذي رات ام غيره فركب رسول الله صلي الله
عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فراته علي الحالة الاولي فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة
اخبرته بما رات فقال لها ميسرة قد رايت هذا منه خرجنا من الشام والي ذلك اشار الامام السبكي رحمه الله تعالي
في تائيته بقوله * وميسرة قد عاين الملكين اذ * اظلاك لما سرت ثاني سفرة * اخبرها
ميسرة بقول الراهب نسطور وقول الاخر الذي حالفه اي استحلفه في البيع اي وضعف البعيرين
اي وحينيذ اعطت خديجة [illegible] تعالي عنها له صلي الله عليه وسلم ضعف ما سمته له اي وما سمته له
ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومها كما تقدم قول ميسرة له فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الي بكرتيك
يدل عليها انما سمت له صلي الله عليه وسلم بكرتين وكانت تسمي لغيره صلي الله عليه وسلم بكرة وفي كلام بعضهم
وفي الروض الباسم استاجرته صلي الله عليه وسلم علي اربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه اجرت نفسي
من خديجة بكرتين بقلوصين ثم رايت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه واجر صلي الله عليه وسلم نفسه من خديجه

مرتين بقلوصين وفي السفرة الاولى ارسلته صلى الله عليه وسلم كما مر مع عبدها ميسرة الى سوق حباشه
اي وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يتبايعون فيه ثلاثة ايام من اول رجب
في كل عام فابتاعا منه برا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية ارسلته مع عبدها ميسرة
الى الشام وفيه ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة فعن مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي رحمه
الله تعالى عن جابر ان خديجة ارسلته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الرا موضع باليمن
كل سفرة بقلوص وهي المسناه من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات
كما تقدم ولعل سوق حباشه هو جرش والالزم ان يكون سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة
الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استاجرته صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام باربع
بكرات لا يناس ما تقدم عن ميسرة وقد جا في بعض الروايات ان ابا طالب جا لخديجه وقال لها هل لك
ان تستاجري محمدا فقد بلغنا انك استاجرتي فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون اربع بكرات فقالت
خديجة لو سالت لبعيد بغيض فعلت وقد سالت لحبيب قريب ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم
مع ميسرة لسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم من قول عمه ابي طالب
وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جيتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجه
ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد قول ابي طالب وقولها المذكور
ارسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى الشام او كانت خديجه لا تجوز ان ابا طالب يرضى بسفره
الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتامل وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من حين
سفره اي من مكة صارت الغمامة تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب
والملكان يظلانه في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة رضي الله تعالى عنها تظليل الغمامة
له صلى الله عليه وسلم في ذهابه انه لم يفطن لها اصلا ولكن سياتي من كلام صاحب الهمزيه ما يدل
على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع روية البشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملايكة غير
جبريل وفي المنقذ من الضلال للغزالي رحمه الله تعالى ان الصوفية يشاهدون الملايكة في
يقظتهم اي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلايق وحسمهم مواد اسباب
الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دايما وعملا مستمرا والله اعلم
قال ولم اقف على اسم الرجل الذي حالفه اي لم يحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم اقف على رواية صحيحة
خبيئة فيه لانه اي ميسرة بقي الى البعثة انتهى ثم ان خديجة رضي الله تعالى عنها ذكرت ما راته من الايات
وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة ابن نوفل وكان نصرانيا اي بعد ان كان يهوديا
على ما ياتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت
انه

انه كابن لهذه الامة نبي منتظر هذا زمانه اي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان
يتجر لخديجة وكان صلى الله عليه وسلم شريكا للسايب بن السايب الصيفي ولما قدم عليه السايب
يوم فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري اي لا يرايي ولا يماري اي
يخاصم صاحبه وهذا ابدا على ان قوله كان لا يداري الخ من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال فقهاونا
رحمهم الله تعالى الاصل في الشركة خبر السايب بن يزيد انه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل
المبعث وافتخر بشركته قبل المبعث اي قال صلى الله عليه وسلم شريكي نعم شريك لا يداري ولا يماري
ولا يشاري والمشارة المشاحه في الامر واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك من مقول السايب
ولا مانع من ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسايب قال في حق الاخر كان لا يداري ولا
يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات في هذا الكلام الذي هو كان خير شريك
كان لا يداري ولا يماري فمنهم من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في السايب ومنهم
من يجعله من قول السايب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين
السايب بن ابي السايب صيفي وبين السايب بن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفي لقب لوالده
واسمه يزيد وفي الاستيعاب وقع اضطراب هل الشريك كان ابا السايب او ولد السايب
بن ابي السايب او ولد السايب وهو قيس بن السايب بن ابي السايب او الاخ السايب وهو عبد الله
ابن ابي السايب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شي ولا تقوم به حجة والسايب بن ابي السايب
من المولفة اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنايم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السايب ابن
السايب قتل يوم بدر كافرا ومما يدل على ان الشركة كانت لقيس بن السايب رضي الله تعالى عنه
قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان خير شريكي كان لا يشاريني ولا يماريني
ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي واقره عليه وذكر في الامتاع ان حكيم بن
حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا من تهامه بسوق حباشه وقدم به مكة فكان ذلك
سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتري لها بزا
وفي سفر السعادة انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة
كان شراوه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات واما شراوه فكثير واجر واستاجر
والاستيجار اغلب ووكل وتوكل وكان توكيله اكثر باب تزوجه صلى الله عليه وسلم
لخديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها بن اسد بن عبد العزي بن قصي رضي الله عنها يجتمع معه
صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وهي من اقرب نسايه صلى الله عليه وسلم
في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا ام حبيبة رضي الله تعالى عنها هن اكلاهه وعن نفيسه

بنت منبه رضي الله تعالى عنها اي وهي اخت يعلى بن منبه وعليه يكون ضمير وهي لمنبه لا لنفيسه
قالت كانت خديجة ابنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي قوية شريفة اي مع ما اراد
الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ اوسط نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا
اي واحسنهم جمالا وكانت رضي الله تعالى عنها تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كان يقال
لها سيدة قريش لان الوسط في ذلك النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان
اوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها
وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا اي خفية الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان
رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان
كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاية الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة
قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت بلى وانا افعل فذهبت فاخبرتها
فارسلت اليه صلى الله عليه وسلم ان ائت ساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها
فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه احدهم اي وهو ابو طالب على ما ياتي
وقال في خطبته ولابن اخي خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو ابن اسد
هذا الفحل لا يقدع انفه اي بالقاف والدال المهملة اي لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير الكريم
اذا اراد ان يركب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو بن اسد
قال بعضهم هو المجتمع عليه وقيل المزوج لها اخوها عمرو بن خويلد وعن الزهري ان المزوج لها
ابوها خويلد بن اسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهو ثوب فوق ثوب
لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق اي لطخته بطيب مخلوط بزعفران فلما صحا من سكره
قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم
رضيه وامضاه اي لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها له فصنعت له
طعاما وشرابا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر ابوها قالت له ان محمد ابن عبد الله
يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلعته والبسته لان ذلك اي الباس الحلة وجعل الخلوق به
كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج ابنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة
زوجتني من محمد بن عبد الله قال انا ازوج يتيم ابي طالب لا لعمري فقالت له خديجة رضي الله تعالى
عنها الا تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي
اي وهذا ربما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها على انفسهم
في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من ياتي وفي رواية انها عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم
فقالت

فقالت يا ابن عمي اني قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر
ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه حتى دخل على خويلد
بن اسد فخطبها اليه فزوجها اقول قال في النور ولعل الثلاثة اي اباه واخاه وعمها حضروا
ذلك فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفي كون المزوج لها ابوها وكونه حضر تزويجها
نظر لان المحفوظ عن اهل العلم ان خويلد بن اسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها قال بعضهم
وهو الذي نازع تبعا اي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة
من قريش ثم راى تبع في منامه ما ردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له صلى الله
عليه وسلم عمه حمزة رضي الله عنه اقتصر ابن هشام رحمه الله تعالى في سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب
حتى دخل على خويلد بن اسد وخطبها اليه ففعل وحضر ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب
وقال الحمد لله الخ القضية والله اعلم قال وعن ابن اسحق انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت
انا قال ومن لي بك انت ايم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم على
البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف اي الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ
ممن مات ابوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على اخت خديجة فنادتني
فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة
فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد
ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع بعد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منبه
ذكر انه قيل انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا مانع من ان يكون كل ممن ذكر كان
سفيرا وفي الشرف ان خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة
فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا ابا طالب ادخل الى عمي فكلمه يزوجني من ابن اخيك محمد بن عبد الله
فقال ابو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء معه عشرة من قومه الى عمها
الحديث اي وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد بني هاشم اولئك العشرة
وانهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس وغيره ان ابا طالب خطب يومئذ
فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد اي معدنه وعنصر مضر اي
اصله وجعلنا حضنة بيته اي المتكلفين لشانه وسواس حرمه اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا
محجوجا وحرما امنا وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا
ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وهو والله

بعد هذا الدنيا عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله
واجله اثني عشر اوقيه ونشا اي وهو عشرون درهما والاوقيه اربعون درهما اي وكانت الاواق
والنش من ذهب كما قال المحب الطبري اي فيكون جملة الصداق خمسماية درهم شرعي وقيل
اصدقها عشرين بكرة اي كما تقدم اقول لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال بعضهم
يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان
الكل صداقا والله اعلم قال وما قيل ان عليا رضي الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد
علي جميع الاقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ
سبع سنين اي لانه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فاكثر وسنه حين تزوج كان
خمسا وعشرين سنة على ما تقدم وزيادة شهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما ياتي
وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور
حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما ما روي ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلما قال
النووي وعند ذلك قال لها عمها عمرو ابن اسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قايل ذلك ورقة
بن نوفل اي فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقه فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت
وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العرب فضلكم ولا يرد احد
من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت
خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها
اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه وسلم
نحر جزورا او قيل جزورين واطعم الناس وامرت خديجة ان ترقصن وتضربن الدفوف وفرح ابو طالب
فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة اولمها صلى الله
عليه وسلم اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجب تام قد دعوا بقرة والبسوا خديجة حليا
لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة الدخول ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله
وقد ابتني بها لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافي كون المزوج له عمه ابو طالب لا ينافي ما تقدم
ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع ابو طالب فنسب التزويج اليه ايضا والله اعلم
والسبب في ذلك اي في عرض خديجة رضي الله تعالى عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ايضا مع
ما اراد الله تعالى بها من الخير ما ذكره ابن اسحق قال كان لنسا قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد
فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي وقال يا معشر نسا قريش انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده
فايكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه النسا اي رمينه بالحصا وقبحنه واغلظن له

واغفت

واغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما اخبرها ميسرة بما راه من الايات وما راته هي اي وما قاله
لها ورقه لما حدثته لما حدثها به ميسرة مما تقدم قال قالت ان كان ما قاله اليهودي حقا ما ذاك الا هذا وذكر
الفاكهي عن انس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب فاستاذن ابا طالب في ان يتوجه
الي خديجة اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية
له يقال لها نبعه فقال انظري ما تقول له خديجة اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان
يتزوجها فخرجت خلفه فلما جا صلى الله عليه وسلم الي خديجة اخذت بيده فضمتها الي صدرها ونحوها ثم قالت
بابي وامي والله ما افعل هذا الشي ولكني ارجو ان يكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف
حقي ومنزلتي وادع الاله الذي يبعثك لي فقال لها والله لين كنت انا هو لقد اصطنعت ما لا اضيعه ابدا
وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نبعه واخبرت ابا طالب بذلك
وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد مجيه من الشام بشهرين وخمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرين
سنة على ما هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين
وعشرة ايام وقد اشار الي ما تقدم صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله وراته خديجة والتقى
والزهد فيه سجية والحيا واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افيا واحاديث ان وعد رسول الله
بالبعث حان منها الوفا فدعته الي الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكيا وعلمت خديجة ذات
الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والحال ان التقى والزهد والحيا فيه صلى الله عليه
وسلم سجية وطبيعة واتاها الخبر بان الغمامة والشجر اظلته افيا اي ظلال حالة كونه تلك الافيا من
الغمامة والشجر وفيه ان هذا يدل على ان الملكين هي الغمامة قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله
عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة واتى خديجة الاحاديث والاخبار
من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الي الخلق قرب منه الوفا
به منه تعالى فبسبب ذلك خطبته الي ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما احسن بلوغ الاذكيا
ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يوميذ بنت اربعين سنة قال وقيل خمس واربعين سنة
وقيل ثلاثين وقيل ثمان وعشرين انتهى اي وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله
صلى الله عليه وسلم رجلين اولهما عتيق ابن عابد اي بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة
فولدت له بنتا اسمها هند وهي ام محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة وولدت له ابنا اسمه هند ايضا فهو
هند ابن هند اي وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه زوج امه وامي خديجة واخي القاسم واختي فاطمة قتل هند هذا مع علي يوم الجمل وفي كلام السهيلي
انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنايزهم عن جنازته

فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته باهند بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت
واحتملت جنازته علي اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا وفي المواهب
انها كانت تحت ابي هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وسياتي بقية ترجمتها في ازواجه صلي الله عليه وسلم

باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالي لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسا وثلاثين

سنة علي ما هو الصحيح جا سيل حتي اتي من فوق الردم الذي صنعوه لمنعه السيل فاخربه اي ودخلها
وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امراة جمرتها فطارت شرارة في
ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول اي تذهبها بالمرة وقيل تبخير المراة
لها كان في زمن عبد الله بن الزبير ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد
ابراهيم ولم يكن لها سقف اي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب اي الذي يهدي اليها في بير
داخلها عند بابها علي يمين الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة كما سياتي فاراد شخص
في ايام جرهم ان يسرق من ذلك شيا فوقع علي راسه وانهار البير عليه فهلك وفي كلام بعضهم فسقط
عليه حجر فحبسه في تلك البير حتي اذا اخرج منها وانتزع المال منه فليتامل الجمع وقد يقال علي بعد
جاز ان يكون هذا الرجل تكررت منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية
بيضا سودا الراس والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها تلك البير لحفظ تلك الامتعة وكانت تخرج
منها الي ظاهر البيت فتترق بالقاف اي تبرز للشمس علي جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت
عليه فتصير راسها عند ذنبها فلا يدنوا منها احد الا كشت اي صوتت وفتحت فاها معطوف
علي كشت ففي حياة الحيوان قال الجوهري كشيش الافعي صوتها من جلدها لا من فيها فحرست
بيته والبيت خمسمايه عام لا يقربه احد اي لا يقرب بيته ولا خزانته الا اهلكته اي ولعل المراد
لو قربه منه احد اهلكته اذ لو اهلكت احدا قرب من تلك البير لنقل فلم تزل كذلك حتي في زمن
قريش ووجد هذا السيل والحريق ارادوا هدمها واعادت بنايها وان يشيدوا بنيانها اي
يرفعوه ويرفعوا بابها حتي لا يدخلها الا من شاوا واذا اجتمعت القبايل من قريش تجمع الحجارة كل
قبيلة تجمع علي حدة واعدوا لذلك نفقة اي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة احد
من الناس اي بعد ان قام ابو وهب عمرو بن عابد فتناول منها حجرا فوثب من يده حتي رجع الي
موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث اي وفي
لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا البيت مهر بغي اي زانية ولا بيع ربا وفي لفظ
انه قال لهم لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم
فيه ذمة بينكم وبين احد من الناس وابو وهب هذا خال عبد الله ابي النبي صلي الله عليه وسلم
وكان شريفا في قومه وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روي الشيخان عن جابر
ابن عبد الله رضي الله تعالي عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلي الله عليه وسلم والعباس ينقلان
الحجا

الحجارة فقال العباس للنبي صلي الله عليه وسلم اجعل ازارك علي رقبتك يقيك الحجارة اي كيفية
القدم فانهم كانوا يصنعون ازرهم علي عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل فخر الي الارض فطمحت
عيناه الي السما اي ونودي عورتك فقال ازاري ازاري شدوا علي ازاري فشد عليه وفي
رواية سقط فغشي عليه العباس الي نفسه وساله عن شانه فاخبره انه نودي من السما
ان تشد عليك ازارك وهذا يبعد ما جا في رواية قال له العباس اي بعد ان امر بستر عورته وشدها
يا ابن اخي اجعل ازارك علي راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري وفي رواية بينا النبي
صلي الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها
علي عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك اي غطها فلم ير عريانا اي مكشوف العورة
بعد ذلك اي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس لانه يجوز ان يكون صدر من العباس
حينئذ وغايته انه سمي النمرة ازارا قال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع هذا مع ما تقدم
من نهيه عن ذلك اي الذي تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي طالب لزمزم قبل هذا قال
لانه صلي الله عليه وسلم اذا نهي عن شي مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه انتهي اي وقد عاد الي
ذلك اقول يجوز ان يكون صلي الله عليه وسلم لم يفهم ان امره بستر عورته اولا عزيمة بل جوز الترك
وفي الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من كرامتي علي ربي ان احدا لم ير عورتي وتقدم ان ذلك من
خصايصه صلي الله عليه وسلم ففي الخصايص الصغري لم تر عورته قط ولو راها احد طمست
عيناه لانا نقول لا يلزم من كشف عورته صلي الله عليه وسلم رويتها كما لا يلزم من حضانته وتربيته
ومجامعته زوجته ذلك فعن عايشة رضي الله عنها ما رايت منه والظاهر ان بقية زوجاته
كذلك والله اعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها علي شفق وحذر اي خوف من ان يمنعهم الله تعالي
ما ارادوا اي بان يوقع بهم البلا قبل ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عابد قال ابن
اسحق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اي خافوا من ان يحصل لهم بسببه بلا فقال الوليد
ابن المغيرة لم اتريدون بهدمها الاصلاح قال فان الله تعالي لا يهلك المصلحين قالوا من الذي يعلوها
فيهدمها قال انا اعلوها انا ابدوكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع
اي بالرا والعين المهملتين والضمير في ترع للكعبة الا نفرع الكعبة اي لا يصيبها الا خير ابيها وفي رواية
لم نزغ بالنون والزاي والمعجمة اي لم نخرج ذلك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس
ذلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شي
هدمناها فقد رضي الله بما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الي عمله فهدم
وهدم الناس معه حتي انتهي الهدم بهم الي الاساس اساس ابراهيم صلي الله عليه وسلم
افضوا الي حجارة كالاسنمة اي اسنمة الابل وفي رواية كالاسنة قال السهيلي وهو وهم
من بعض النقلة عن ابن اسحق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنة في الخضرة وكالاسنمة
في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يري اخضر اخذ بعضها من بعض
فادخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنفضت
مكة اي تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن
ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتي قراه لهم رجل من يهود
فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها
بسبعة املاك حنفا لا تزول اخشابها اي جبلاها وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف علي الصفا

وقيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى ابي قبيس يبارك لاهلها في الماء والطين
ووجدوا في المقام اي محله كتابا اخر مكتوب فيه مكة بيت الله الحرام ياتي رزقها من ثلاث سبل
ووجدوا كتابا اخر من يزرع خيرا يحصد غبطة اي ما يغبط اي ما يحسد حسدا محمودا عليه
ومن يزرع شرا يحصد ندامة اي ما يندم عليه يعملون السيات وتجزون الحسنات اجل اي
نعم كما يجتني من الشوك العنب اي الثمر وفي السيرة الهشامية ان ذلك وجد مكتوبا
في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة اسطر الاول انا الله ذو بكة
صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر اي اخره وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت واشتققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الثالث انا الله ذو بكة
خلقت الخير والشر فطوبي لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه
قال ابن المحدث ورايت في مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه انا الله ذو بكة مفقر
ومعري تارك الصلاة ارخصها والاقوات فارغة واعليها والاقوات ملئ اي فارغ محلها
وملان محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع من ان يكون ذلك حجرا اخر او يكون هو ذلك
الحجر وما ذكر مكتوب في محل اخر منه اي وفي الاصابة عن الاسود بن عبد يغوث عن ابيه
انهم وجدوا كتابا باسفل المقام فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه لحرفا لو اخبرتكموه
لقتلتموني قال وظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمى بسفينة
الى ساحل جدة اي الذي به جدة الان وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي يرمي به السفن يقال
لها الشعيبة بضم الشين فلا يخالف قول بعض واحد فلما كانت السفينة بالشعيبة ساحل
مكة انكسرت وفي لفظ حبسها الريح وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم اسمه باقوم
وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد
سرحها مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة
وقيل من الشعيبة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمتها اي كسرتها فخرج الوليد بن
المغيرة في نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا
هدمها من اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منه اي البيت ليهدموه بدت
لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينا هي ذات يوم تشرف على جدار الكعبة كما كانت
تصنع بعث الله تعالى طايرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها في الحجون فالتقمتها الارض
قيل وهي الدابة التي تكلم الناس يوم القيامة وقد جاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد
وفي حديث ان موسى عليه السلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له من الارض
فراى منظرا هاله وافزعه فقال اي رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا ان يكون الله تعالى
قد رضي

قد رضي ما اردنا اي بعد ان اجتمعوا عند المقام وعجوا الى الله تعالى ربنا لن نراع اردنا
تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه واشغل عنا هذا الثعبان يعنون
الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا في السما صوتا ووجبة واذا الطاير المذكور
اخذها وذهب بها اجياد فقالوا ما ذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا
اخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة
وكان بانيا كما تقدم فانهم جاوا به معهم الى مكة وهو باقوم مولى سعيد بن العاص
وكان نجارا وتلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت
اقول ومع اخذ الطاير لتلك الحية يجوز ان يهابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد
ابن المغيرة فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها
عند اخذ الطاير لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم
اي ثم لما ارادوا بنيانها جزاتها قريش اي بعد ان اشار عليهم بذلك ابو وهب
عمر بن عايذ فقال لهم اني ارى ان تقسموا اربعة ارباع فكان شق الباب لعبد مناف
وزهرة وكان ما بين الركنين الاسود واليماني لبني مخزوم وقبايل من قريش انضموا
اليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ابني بن عمرو وكان شق الحجر اي الجانب الذي
فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني اسد ولبني عدي والذي في كلام المقريزي كان لبني
عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر اي وهو شق الباب وصار لاسد وعبد الدار
وزهرة الحجر كله اي الجانب الذي فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لساير قريش ما بين
الركن اليماني الى الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام لبعضهم وسمي الركن اليماني
باليماني لان رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم النجار اي الذي هو مولى سعيد بن العاص
اقول وكان المناسب ان يكون الذي بناها باقوم الرومي الذي كان صحبة السفينة التي كسرت
لانه كما تقدم كان بانيا وسياتي التصريح بذلك واما باقوم مولى سعيد ابن العاص فتقدم انه كان
نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بانيا واشتهر بالوصف الاول فكان الباني لها
وفيه انه يحتمل ان يكون باقوم الرومي البنا كان نجارا ايضا واشتهر بالوصف الاول
ثم رايت في كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم الرومي نجارا بانيا فقول القايل
وكان الباني لها باقوم النجار مراده باقوم الرومي لا مولى سعيد ثم رايت في بعض الروايات ما يويد

ذلك وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتاخذ خشبها
اي السفينة التي كسرت فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد
دلت الروايات علي انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون احدهما بني والاخر عمل
سقفها او انهما اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رايت عن ابن اسحاق
وكان بمكة قبطي يعرف نجر الخشب وتسويته فوافقهم علي ان يعمل لهم سقف الكعبة
ويساعدهم باقوم اي الرومي فالقبطي هو مولي سعيد بن العاص وحينئذ ففي
هذه الرواية وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا كالرواية التي قبلها وسياتي
في الرواية التي تلي هذه انه الذي بناها وفي الاصابة اسم الرجل الذي بني الكعبة
لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا
خشبها وقالوا له ابنها علي بنيان الكنائس وان باقوم الرومي اسلم ثم مات فلم يدع
وارثا فدفع النبي صلي الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو ثم لما بنوها جعلوا مدماكا
من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الي اعلاها وزادوا فيها
تسعة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان
لا يصعد اليها الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها علي تلك القواعد
فاخرجوا منها الحجر وفي لفظ اخرجوا من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا
قصيرا علامة علي انه من الكعبة ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل
قبيلة تريد ان ترفعه الي موضعه دون الاخري حتي اعادوا للقتال فقربت بنو عبد
الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي اي تحالفوا علي الموت وادخلوا
ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين
ومكث النزاع بينهم اربع او خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان ابو امية
ابن المغيرة واسمه حذيفة اسن قريش كلها وسيد اي وهو والد ام سلمة ام المومنين
وهو احد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر
لا يتزود معه احد بل يكفي كل من سافر معه الزاد اي وذكر بعضهم ان ازواد
الراكب من قريش ثلاثة زمعة ابن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر
كافرا ومسافر بن ابي عمرو بن امية وابو امية ابن المغيرة وهو اشهرهم بذلك وفي كلام بعضهم

لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية بن المغيرة وحده ويحتمل ان المراد لا تكاد
تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا يخالفه وابو امية هذا مات علي
دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون
فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب بني شيبة
كان يقال له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له الان باب السلام
وفي لفظ اول من يدخل من باب الصفا وهو المقابل لما بين الركنين اليماني والاسود
ففعلوا اي وفي البلاذري ان الذي اشار علي قريش بان يضع الركن اول من يدخل
من باب بني شيبة مهشم بن المغيرة ويكني ابا حذيفة وقد يقال لا مخالفة
لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكني بابي حذيفة كما يكني بابي امية ومهشم لقبه
وان الراوي عنه اختلف كلامه فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه
يضع الركن والمشهور الاول ويدل له ما ياتي فكان اول داخل منه رسول الله صلي
الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد اي لانهم كانوا يتحاكمون
اليه في الجاهلية لانه كان لا يداري ولا يماري فلما انتهي اليهم واخبروه الخبر قال
صلي الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي به اليه اي وفي رواية فوضع رسول الله صلي الله
عليه وسلم ازاره وبسطه في الارض اي وقيل انه كسا ابيض من متاع الشام وقيل
ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فاخذ صلي الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه
فيه بيده الشريفة ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من زواياه
ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان في الربع الثاني
زمعة وكان في الربع الثالث ابو حذيفة بن المغيرة وكان في الربع الرابع قيس بن عدي
حتي اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلي الله عليه وسلم اي ولما مات ابو امية ابن المغيرة
رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة ورثاه ابو حجية يقول

الا هلك الماجد الرافد ۞ وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة ايتامنا ۞ وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما لما وضع رسول الله صلي الله عليه وسلم
الركن اي الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلي الله عليه وسلم

حجرا يشد به الركن فقال العباس لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اشد به الركن فغضب النجدي وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال
عمدوا الى رجل اصغرهم سنا واقلهم مالا فراسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم
كانهم خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد يثير شرا
فيما بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي ان ابليس تمثل في صورة
شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الركن من يرفعه وصاح
يا معشر قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون اشرافكم وذوي اسنانكم انتهى وانما
تصور بصورة نجدي لان في الحديث نجد يطلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا فاعاد الاول فاعادوا
الثاني فقال هناك الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان اقول وسياتي
انه تصور بهذه الصورة ايضا عند دخول قريش دار الندوة ليبيتوا ويروا في
كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل معهم وسياتي ثم في حكمة تصوره بذلك غير ما ذكر
ولا مانع ان يكون حكمة هاهنا ولما ياتي واعادوا الصور التي كانت في حيطانها اي فكان
في حيطانها صور الانبيا بانواع الاصباغ وجعلوا صورة ابراهيم في يده الازلام
اي يستقسم بها عبل وفي يده الازلام وصورة الملايكة وصورة مريم كما سياتي في فتح مكة
وكساها ازعما وهم اردية منسوجة وكانت من الوصايل ولم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة
اي من بنا الكعبة بنا على ان اول من بناها الملايكة خفي بعض الانما ان الله سبحانه
وتعالى قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الما اي العذب فلما اضطرب
العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن فلما اراد ان يخلق السموات
والارض ارسل الريح على ذلك الما فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان
السموات ثم ازال ذلك الما عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ ارسل على الما ريحا
هفافة فصفقت الريح الما اي ضرب بعضه بعضا فابرز عنه حشفة الحرث وبسط
الحق سبحانه من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي اصل الارض
وسرتها وقد جا لفظ ما في انس الجليل روي عن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

انه قال

انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع الارضين كلها الى السما باثني عشر ميلا انتهى
بين ذلك في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال وكان اول جبل وضع عليها
ابا قبيس وحينئذ كان ينبغي ان يسمى ابا الجبال وان يكون افضلها مع ان افضلها
كما قال الجلال السيوطي استنبا طا احد لقوله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا ونحبه ولما
ورد انه على باب من ابواب الجنة قال ولانه من جملة الارض المدينة التي هي افضل
البقاع اي عترته تبعا لجمع ولانه مذكور في القران باسمه في قراة من قرا اذ تصعدون ولا
تلوون على احد اي بضم الهمزة والحا ثم فتق الارض فجعلها سبع ارضين وجا
بدا الله تعالى خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين
ثم دحى الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا يظهر التوقف
في قول مغلطاي ان لفظه بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل
لان خلق الارض قبل خلق السما لما علمت ان الارض خلقت قبل السما مدحوة ثم بعد
خلق السما دحى الارض ثم رايت بعضهم سال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن ذلك حيث
قال له يا امام اختلف على من القران ايات ثم ذكر منها انه قال قال الله تعالى
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طايعين ثم قال في الاية الاخرى
ام السما بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اما قوله تعالى خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السما وكانت السما دخانا
فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض واما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحرا وبه يرد قول
بعضهم خلقت السما قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار فليتامل وقد جا
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين
في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسكم
رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ ما لمرة صحة
لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته
فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن ان يوول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا
يبلغون الجن انبيا البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا انه

كلاسه وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه
المشهور وهو محمد قلبنا مل ولما خاطب الله عز وجل السموات والارض بقوله ايتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طايعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السما ما حاذاها
الذي هو محل البيت المعمور وعن كعب الاحبار لما اراد الله عز وجل ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم
امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاوها ونورها فقبض قبضة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضا منيرة لها شعاع عظيم
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة
الارض بمكة قال بعض العلما هذا يشعر بان ما اجاب من تلك الارض الا تلك
الطينة اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي
بكر الصديق اتعرف يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله
سالتني عن يوم المقادير يعني يوم الست بربكم ولقد سمعتك تقول حينئذ اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد سئل الشيخ علي الخواص نفعنا الله ببركاته
لم لم يتكلم الانبيا بلسان الباطن الذي تتكلم به الصوفية فاجاب بانه لم لم يتكلم
بذلك لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الا فهم العامة دون فهم الخاصة
الا بعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق اتعرف يوم يوم فقال
نعم يا رسول الله الحديث وتلك الطينة هي لما تموج الماء رمي بها من مكة الى محل
تربته صلى الله عليه وسلم ومدفنه بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون اصل
طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون في محل دفنه
ثم عجنها بطينة ادم ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله عليه وسلم
وقد قال جابر يا رسول الله اخبرني عن اول شي خلقه الله عز وجل قبل الاشيا قال يا جابر
ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارض
ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث وجا اول ما خلق الله نوري وفي رواية اول ما خلق
الله العقل قال الشيخ علي الخواص ومعناهما واحد ان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر
عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
والاوليا مستمدة من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول

بعضهم لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار
الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه انه
لا يناسبه قوله ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارض اذ كيف ياتي ذلك مع قول
كعب الاحبار امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض الخ ومع قول
ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا ان يقال
ان ذلك النور لما اراد ايجاده اودع تلك الطينة التي هي قلب الارض وسرتها وحينئذ
لا يخالف ذلك ما جا ان الله تعالى خلق ادم من طين العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم
فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات
والناس وقد جا في الحديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله ادم من تراب
الجابية وعجنه بما الجنة وما خلق الله ادم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان
الاراك ودحنا محل قريب من الطايف وتقدم انه يحتاج الى بيان وجه كون ادم
خلق من نوره وجعل نوره في ظهر ادم ولما خلق الله ادم وقيل نفخ الروح فيه
استخرج ذلك النور من ظهره واخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك عن بقية
خلقه من بني ادم فان بني ادم لما اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق الا بعد
نفخ الروح في ادم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما اخرج الذر واعاده في صلب
ادم امسك روح عيسى الى ان توفي وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يبعد ان اخذ العهد
على الصديق كان بعد نفخ الروح في ادم واخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان
سابقا على ذلك وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق حينئذ لما قال له صلى الله
عليه وسلم اتعرفه يوم يوم وقال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول حينئذ
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اي حين اخذ العهد على بني ادم حين
اخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر فليتامل ثم لما نفخت الروح في ادم صار
ذلك النور في ظهر ادم فصارت الملايكة تقف صفوفا خلف ادم ينظرون
من ظهوره ذلك النور فقال ادم يا رب ما بال هولا ينظرون الى ظهري قال
ينظرون الى نور محمد خاتم الانبيا الذي اخرجه من ظهرك فسال الله عز وجل
ان يجعله في مقدمه ليستقبله الملايكة فجعله الله في جبهته ثم سال الله عز وجل ان يجعله

في محل براه فكان في سبابته فلما اهبط ادم الي الارض انتقل ذلك النور الذي ظهره
فكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل النور الي سبابته قال يارب هل بقي
في ظهري من هذا النور شي قال نعم نور اخصا اصحابه فقال يارب اجعله
في بقية اصابعي فكان نور ابي بكر في الوسطي ونور عمر في البنصر ونور عثمان في
الخنصر ونور علي في الابهام فلما اكل من الشجرة عاد ذلك النور الي ظهره كذا في
العلوم عن ابن عباس ثم انتقل ذلك النور من ادم الي ولده شيث ولما قال الله تعالي
للملايكة اني جاعل في الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها يعنون
الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدما غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملايكة اي علمت
ان ما قالوا ردا علي ربهم وان الله قد غضب عليهم فوقهم فلاذوا بالعرش وطافوا به
سبعة اشواط يسترضون ربهم فرضي عليهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة
عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني ادم
اي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضي عنهم فبنوا الكعبة
وفي هذه الرواية اختصار بدليل ما قبل وضع الله تحت العرش البيت المعمور علي اربع
اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمرا وقال للملايكة طوفوا بهذا البيت
اي لارضي عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره اي فعلوا وقدره
عطف تفسير علي مثاله فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال للملايكة اني جاعل
في الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية خافوا ان يكون الله تعالي
عايبا عليهم لاعتراضهم في علمه تعالي فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم
ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور في السما السابعة وان يجعلوا طوافهم
به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم امرهم ان يبنوا في كل سما بيتا
وفي كل ارض بيتا قال مجاهد هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت
منها لسقط علي مقابله والبيت المعمور في السما السابعة وله حرمة كحرمة مكة
في الارض واسم البيت الذي في السما الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل
سما بيت يعمره الملايكة بالعبادة كما يعمر اهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام
والاعتمار في كل وقت والطواف في كل اوان ولينظر تفسير ما معني بنا الملايكة

للبيوت في السموات واذا لم يصح ان الملايكة بنت الكعبة فتكون هذه المرة من بنا
قريش هي المرة الثالثة بنا علي ان اول من بناها ادم صلي الله عليه وسلم او ولده شيث
فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثر بن الزبير علي ان اول من بناها الملايكة
لم يصح واحد منهما وكانت قبل ذلك اي وكانت محلها قبل بنا ادم لها خيمة من ياقوتة
حمرا انزلت لادم من الجنة اي لها بابان باب من زمرد اخضر شرقي وباب غربي من ذهب
منظومان من در الجنة فكان ادم يطوف بها ويانس اليها وقد حج اليها من الهند
ماشيا اربعين حجة ويجوز ان تكون الخيمة هي البيت المعمور وعبر عنها بحمرا لان
سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمرا قال وذكر ان ادم لما هبط الي الارض كان
رجلاه بها وراسه في السما وفي لفظ كان راسه يمسح السحاب فصلع فاورث
ولده الصلع اي بعض ولده يسمع تسبيح الملايكة ودعاهم فاستانس بذلك
فهابته الملايكة اي صارت تنفر منه فشكي الي الله تعالي فنقص الي ستين
ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع ادم فلما فقد اصوات الملايكة
حزن وشكي الي الله تعالي فقال يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به اي
تطوف به الملايكة كما يطاف حول عرشي ويصلي عنده كما يصلي عند عرشي اي كان
ذكر اي الطواف بالعرش والصلاة عنده شان الملايكة اولا فلا ينافي ما تقدم
انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه اي طف
به وصلي عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التي انزلت لاجله وقد علمت انه
يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وقيل اهبط ادم وطوله ستون ذراعا
اي علي الصفة التي خلق عليها وهو المراد بقوله صلي الله عليه وسلم خلق الله ادم علي
صورته وطوله ستون ذراعا اي اوجده الله تعالي علي الهيئة التي خلقه الله
تعالي عليها لم ينتقل في النشاة احوالا بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه
الروح فالضمير في صورته يرجع لادم وعلي رجوعه الي الحق سبحانه وتعالي المراد علي
صفته اي حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وقد يخالف
هذا قول ابن خزيمة في قوله صلي الله عليه وسلم ان الله خلق ادم علي صورته مخرج علي
سببه وهو ان النبي صلي الله عليه وسلم راي رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب علي وجهه و

فان الله تعالى خلق ادم على صورته اي صوره هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا
ولا يخفي ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله وهذا القيل المتقدم من انه
اهبط وطوله ستون ذراعا يوافقه ما جا في الحديث المرفوع كان طوله
ستين ذراعا في سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان
ما روي ان ادم لما اهبط كانت رجلاه في الارض وراسه في السما فجعله الله الي
ستين ذراعا اي الذي تقدم ظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق في
ابتدا الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان ادم امرد وفي الصحيح
كل من يدخل الجنة يكون على صورة ادم وقد جا في صفة اهل الجنة جرد
مرد على صوره ادم وفي بعض الاخبار ان ادم لما كثر بكاوه على فراق الجنة
نبتت لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية الا لولده وكان مهبطه بارض الهند
بجبل عال يراه البحريون من مسافة ايام وفيه اثر قدم ادم مغموسة في الحجر
ويري على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم مطر
يغسل قدمي ادم وذروة هذا الجبل اقرب ذروة جبال الارض الى السما ولعل
هذا اوجه النظر الذي ابداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب
الارض الى السما بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه
من ورق الجنة فنبت هناك فمنه كان اصل الطيب بالهند وعن عطا ابن ابي رباح
ان ادم هبط بارض الهند ومعه اربعة اعواد من الجنة فهي هذه التي تتطيب
الناس بها وجا انه نزل بنخلة العجوة ثم لما امر ادم بالخروج لتلك الخيمة خرج
اليها ومد له في خطوه قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة ايام فقد قيل
لمجاهد هل كان ادم يركب قال واي شي كان يحمله فوالله ان خطوته
لمسيرة ثلاثة ايام وفيه ان هذا يقتضي ان ادم لم يكن يركب البراق فقول
بعضهم ان الانبيا كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقيض الله له ما كان
له في الارض من مخاض او بحر فلم يضع قدمه في شي من الارض الا صار عمرانا وما
بين خطوه مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا خيمة في موضع الكعبة اي الموضع الذي به
الكعبة الان وتلك الخيمة ياقوتة حمرا من يواقيت الجنة مجوفة اي ولها اربعة اركان

بيض

بيض وفيها ثلاثة قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها
ما بين السما والارض كذا في بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر
لا ينافي ما تقدم انه يجوز ان يكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف
بانه ياقوتة حمرا لان سقفه كان ياقوتة حمرا لان التعدد بعيد فليتامل
ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضا من ارض الجنة
وكان كرسيا لادم يجلس عليه اي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة اقول وهذا
السياق يدل على ان ادم اهبط من الجنة الى ارض الهند ابتدا وذكر في
مثير الغرام عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله اهبط ادم الى موضع الكعبة
وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا ادم تخط فتخطا فاذا هو بارض الهند
فمكث هنالك ما شا الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا ادم فاقبل يتخطا
فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث
السياق المذكور ايضا يدل على ان الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج ادم
من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل عليه ما في مثير الغرام وانزل عليه الحجر
الاسود وهو يتلالا كانه لولوة بيضا فاخذه ادم فضمه اليه استيناسا
به هذا كلامه وفي روايه عنه انزل الركن والمقام مع ادم ليلة نزل ادم من
الجنة فلما اصبح راى الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وانس بهما فليتامل
الجمع وفي رواية ان ادم نزل بتلك الياقوتة اي فعن كعب انزل الله من السما ياقوتة
مجوفة مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول
عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي اي ما تقدم ونزل معه الملايكة فرفعوا
قواعده من الحجارة ثم وضعوا البيت اي تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع
بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال في الجمع يجوز ان تكون المعية
ليست حقيقية والمراد انه نزل بعده قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية
ولا ينافي ما تقدم من قوله يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجا
ان ادم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متابطه اي تحت ابطه وهو ياقوتة من
يواقيت الجنة ولولا ان الله تعالى طمس ضوءه ما استطاع احد ان ينظر اليه وكون ادم

نزل بالحجر الاسود دينا بطالة يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التي هي
البا قوتة بعد نزوله وحينيذ يحتاج للجمع بين هاتين الروايتين علي تقدير صحتهما
وايضا يحتاج الي الجمع بين ذلك وبين ما روي عن وهب بن منبه ان ادم لما امره
الله تعالي بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة اي التي هي الحجر الاسود مسح بها
دموعه فلما نزل الي الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة
حتي اسودت من دموعه ثم لما بني البيت امره جبريل ان يجعل تلك الجوهرة
في الركن ففعل وفي بهجة الانوار ان الحجر الاسود كان في الابتدا ملكا صالحا
ولما خلق الله تعالي ادم واباح له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها جعل
ذلك الملك الموكل موكلا علي ادم ان لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالي
ان ادم ياكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالي الي ذلك
الملك بالهيبة فصار جوهرة الاترى انه جا في الاحاديث الحجر الاسود ياتي
يوم القيامة وله يد ولسان واذن وعين لانه كان في الابتدا ملكا اقول
ورايت في ترجمة الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما جا وزعكة راي الحجر الاسود
وقد خرج من مكانه فصار له يدان ورجلان ووجه ومشي ساعة ثم رجع الي مكانه
وقد جا اكثروا استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس
يطوفون به ذات ليلة اذا اصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا ينزل شيا من
الجنة في الارض الا اعاده فيها قبل يوم القيامة اي فقد جا ليس في الارض من الجنة
الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة
الا شفاه الله وجا استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم
مرتين ويرفع في الثالثة والله اعلم وجا ان ادم اتي ذلك اي تلك الخيمة التي هي
البيت المعمور علي ما تقدم الف مرة من الهند ماشيا من ذلك ثلثماية حجة وسبعماية
عمرة واول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا ادم بر نسكك
اما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين الف سنة وفي رواية
لما حج ادم استقبلته الملايكة بالردم اي ردم بني جمح الذي هو محل المدعى فقالوا
بر حجك يا ادم فقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام اقول وفي تاريخ مكة للازرقي

ان

ان ادم عليه السلام حج علي رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملايكة لقيته بالمازمين
فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام والمازمان موضع بين عرفة ومزدلفة
ودون مني ايضا مازمان والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه قال الطبري
وجا انه وجد الملايكة بذي طوي وقالوا له يا ادم ما زلنا ننتظرك ها هنا منذ الفي
سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الي المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملايكة
استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمازمين وكونه وجدهم بذي طوي وبين كونهم
حجوا البيت قبله بالفي عام وكونهم حجوا قبله بالفي عام وبخمسين الف عام وهل الملايكة
خلقوا دفعة واحدة ام خلقوا جيلا بعد جيل ومما يدل علي انهم خلقوا جيلا بعد
جيل ما جا من نحو من قال سبحان الله وبحمده خلق الله تعالي منها ملكا له عينان وجناحان
وشفتان ولسان يطير مع الملايكة ويستغفر لقايلها الي يوم القيامة وما جا ان جبريل
في كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن في سفر السعادة الحديث المنسوب
الي ابي هريرة انه صلي الله عليه وسلم قال يا مر الله جبريل كل غداة ان يدخل بحر النور فينغمس
فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله عز وجل
من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شي ولم يثبت هذا المعني حديث
لنظه والله اعلم وعند ذلك قال للملايكة فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ادم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان
ادم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار اي
ولما فرغ من الطواف صلي ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتي الملتزم اي محله فقال اللهم
انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي
وتعلم حاجتي فاعطني سولي الحديث اقول قول الملايكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يعنوا
به تلك الخيمة المذكورة المعينة بقوله تعالي لادم قد اهبطت بيتا الي اخر ما تقدم
او كونها اهبطت مع ادم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو الخيمة قبل ان تنزل ويجوز
ان يكون المراد بتلك الخيمة بنا علي انها البيت المعمور وان الملايكة طافوا بها قبل نزولها
الي الارض وعن وهب بن منبه قرات في كتاب من الكتب الاول ليس من ملك بعثه الله
الي الارض الا امره الله بزيارة البيت فينقض من عند العرش محرما ملبيا حتي يستلم الحجر

سبعا بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد اقول يجوز ان يكون المراد بالاحرام به
نية الطواف بالبيت لا احرام بالعمرة بدليل قوله ثم يطوفون سبعا بالبيت الى اخره
ويجوز ان يكون المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك الخيمة او نفس تلك الخيمة ومن بعث
من الملائكة بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله حتى يستلم الحجر وعلى الثاني يكون فيه
دلالة على ان الحجر الاسود كان في تلك الخيمة يبتدا الطواف منه وجا عن عطا وسعيد
ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل اوحى الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا ثم احفف
به كما رايت الملائكة تحف ببيتي الذي في السما وفي رواية وطف به واذكرني عنده كما رايت
الملائكة تصنع حول عرشي اي على ما تقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ما تقدم عن ابن
عباس ان هبوط ادم كان من الجنة الى موضع الكعبة ابتدا والله اعلم قال وجا ان جبريل
بعثه الله تعالى الى ادم وحوى فقال لهما ابنيا اي قال لهما ان الله يقول لكما ابنيا
لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر وحوى تنقل التراب حتى اجابه الما ونودي
من تحته حسبك يا ادم وفي رواية حتى اذا بلغ الارض السابعة فقذفت فيها الملائكة
الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا انتهى فيه انه كان امر ادم ببنا البيت بعد مجيه
الى تلك الخيمة من الهند ماشيا خالف ظاهر ما تقدم عن عطا وسعيد بن المسيب ان وحي
الله الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا اذ ظاهره انه اوحي اليه بذلك وهو في الجنة
الا ان يقال المراد بالارض في قوله اهبط الى الارض ارض الحرم اي اذهب الى ارض الحرم
ابن لي بيتا ثم لا يخفى ان قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضي ان القا الملائكة للصخر
كان بعد حفر ادم وهو لا ينافي ما تقدم عن كعب انزل الله من السما ياقوتة
مجوفة مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتي انزلته معك ونزل معه الملائكة
ثم رفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القا الملائكة للصخر بعد حفر
ادم فلما تم ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق تلك الصخور فيكون المراد بقوله ونزل معه
الملائكة اي صحبوه من ارض الهند الى ارض الحرم وجا في بعض الروايات ان ادم وحوى لما
اسساه نزل البيت من السما من ذهب احمر وكل به من الملائكة سبعون الف ملك
فوضعوه على اس ادم ونزل الركن فوضع موضعه من البيت فطاف اي كما كان يطوف
به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات وحينيذ لا مانع ان ينسب بنا هذا الاس الذي وضعت

عليه

عليه تلك الخيمة لادم وان ينسب للملائكة اما نسبته للملائكة فواضح واما نسبته لادم
فلانه السبب فيه او لانه كان اذا القت الملائكة الصخر يضع ادم بعضه على بعض
على هيئة بنا ذلك الاس للملائكة ولادم يحمل القول بان اول من بنى الكعبة الملائكة والقول
بان من بنى الكعبة ادم فليتامل وقد جا ان ادم بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور
زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا وفي كلام بعضهم
انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه موسى ومن الجودي وهو جبل بالجزيرة وربض
حتى استوى على وجه الارض اقول وفي رواية بناه من ستة اجبل من ابي قبيس ومن رضوى
ومن احد فالمتحصل من الروايتين انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك
البيت الذي هو الخيمة الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله سبعين
الف ملك رفعوه الى السما اي الرابعة فهو البيت المعمور كما في الكشاف وكان رفعه لئلا
يصيبه الما النجس وبقيت قواعده التي هي الاس وفي العرايس ثم طافت السفينة باهلها
الارض كلها في ستة اشهر لا تستقر على شي حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا
وقد رفع الله تعالى البيت الذي كان بجده ادم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور اي
وكون حوى اسست البيت مع ادم يخالف ما جا ان حوى اهبطت بجده وحرم الله تعالى
عليها دخول الحرم والنظر الى خيمة ادم والى شي من مكة لاجل خطيتها وانها ارادت ان
تدخل مع ادم الى مكة فقال لها اليك عني قد خرجت من الجنة بسببك فتريدين ان تحرم
هذا المكان ادم اذا اراد يلقاها اليكم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر
محمد بن جرير ان الله اهبط ادم على جبل سرنديب بالهند اي وتقدم ما فيه وحوى بجده
بالحا المهمله وقيل بالجيم فجا ادم في طلبها فتعارفا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك عرفة
فاجتمعا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع وازدلفت اليه في المحل الذي قيل له
بسبب ذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع
هو مزدلفة الا ان يقال كل من المحلين من جملة البقعة واطلق كل من الاسمين على جميع
تلك البقعة وقيل سمي المحل عرفة لان جبريل لما علم ابراهيم المناسك وانتهى الى عرفة قال
له اعرفت مناسكك قال نعم فسمي عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتامل اي والمراد
مناسكه التي قبل عرفة وفي الخصايص الصغرى عن رزين انه روي ان ادم قال ان الله عز وجل

اعطي امة محمد صلى الله عليه وسلم اربع كرامات لم يعطيها كانت توبتي بمكة واحدهم
يتوب في كل مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بسبب طوافه بالبيت وتذكر
ان حوى عاشت بعد ادم سنة وجا ان ادم لما فرغ من بنا البيت امره الله
تعالى بالمسير الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينيذ لا اشكال
بقوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي مسجد وضع في الارض اولا المسجد الحرام قيل
ثم اي قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينيذ لا حاجة
لجواب الامام البلقيني ان المراد ان المدة المذكورة بين ارضيهما في الدحو اي
دحيت ارض المسجد الحرام ثم بعد مضي مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس
وقيه ان الامام البلقيني انما اجاب بذلك بنا على ان سيدنا ابراهيم هو الباني
للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس سيدنا سليمان فان بينهما كما قيل اكثر
الف عام وكذا لا اشكال اذا كان الباني للمسجد الحرام ادم والباني لمسجد
بيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان سليمان انما كان
مجددا لبنا بيت المقدس واما المؤسس له فسيدنا يعقوب ابن اسحاق بعد
بنا جده ابراهيم عليهما الصلاة والسلام للمسجد الحرام بالمدة المذكوره واما
على ان الباني لها ادم فلا اشكال وفي رواية ان اول من بنى الكعبة اي كلها بعد
ان رفعت تلك الخيمة بعد موت ادم شيت ولد ادم بناها بالطين والحجارة
اي فهي اولية اضافية ثم لما جا الطوفان انهدم وبقي محله وقيل انه استمر
ولم يبنه احد الى زمن ابراهيم ففي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد
بنا الكعبة جا جبريل فضرب بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة
ثم بناها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد
اي كما تقدم وهذا الاس كما علمت لادم وللملايكة وانما قيل له اساس ابراهيم
ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقصه ويدل للقيل المذكور ما جا في بعض الروايات
عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت اي بسبب الطوفان
بدليل ما جا في رواية قد درس مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام
وكان موضعه اكمة حمرا وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما
دعي

دعي عنده احد الا استجيب له وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يحجه هود
ولا صالح لتشاغل هود بقومه عاد وتشاغل صالح بقومه ثمود وجا ان بين المقام
والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجا ان حول الكعبة لقبور ثلثماية
نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي
من الانبيا اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله عز وجل
بها حتى يموت وجا ما بين الركن اليماني والركن الاسود روضة من رياض
الجنة وان قبر هود وشعيب وصالح واسماعيل في تلك البقعة اقول
ويوافق ذلك قول بعضهم ان اسماعيل دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر
الاسود لكن جا ان قبر اسماعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة
الخضرا التي بالحجر قبر اسماعيل وقد يقال لا منافاة بين كون هود وصالح لم
يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان يكونا ماتا قبل
وصولهما الى البيت فجي بهما ودفنا في تلك البقعة على ان بعضهم ضعف
كونهما لم يحجا ويدل له انه قد جا حجه هود وصالح ومن امن معهما وفي بعض
الروايات لم يحجه بين نوح وابراهيم احد من الانبيا ويحتاج الى الجمع بينه
ما تقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه الى اخره على تقدير صحتها وقد يقال لا احتياج
الى الجمع الا ان ثبت بين نوح وابراهيم لاحد من الانبيا كذبه قومه على انه لم يكن
بين نوح وابراهيم لاحد من الانبيا كذبه قومه الا هود وصالح وهو يؤيد القول
بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجا في حديث راويه متروك ان نوحا حجت به السفينة
فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت به اي بالحرم كما تقدم ان السفينة
لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت لان السعي بين الصفا والمروة
الا ان يراد بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير وفي انس الجليل ورد
حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودي
اي وجا ان نوحا قال لاهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله
وحول بيته لا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النسا حاجزا وفيه ان ولده
حام تعدى ووطى زوجته فدعا عليه بان يسود الله لون بنيه فاجاب الله

بنيه

دعاه نجا ولده كوش اسود وهو ابو السود ان وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم
غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضايل الحبوش
والله اعلم وقبر ادم وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس
اي بعد ان نقل يوسف من بحر النيل كما سنذكره قال وقد جا ان الله سبحانه وتعالى اوحى الي
ابراهيم عليه الصلاه والسلام ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم اي رب اين ابنيه
فاوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينه اي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان
اي وقيل كوجه الهر وجناحان ولها لسان تتكلم به اي وفي الكشاف في تفسير
السكينه التي كانت في التابوت الذي هو صندوق التوراة قيل هو صورة
من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وعن علي رضي الله
عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف وفي رواية بعث الله عز
وجل ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة حية فكشفت لابراهيم
واسماعيل ما حول البيت من اساس البيت الاول وفي رواية ارسل الله سبحانه وتعالى
فيها راس فقال الراس يا ابراهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدرها السحابة فجعل
ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الراس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل
الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل ضرب بجناحه الارض فابرز
عن اس الحاضره جا ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطاير المعروف
اي وهو طاير فوق العصفور يصيد العصافير وغيرها لان له صفير مختلف
يصفر لكل طاير يريد صيده بلغته فيدعوه الي القرب منه فاذا قرب منه قصمه
من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه ورد انه اول طير صام عاشورا فعن بعض
الصحابة رضي الله تعالى عنهم راي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يده صرد
فقال هذا اول طير صام عاشورا لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال
الحاكم حديث باطل ويذكر ان خالد ابن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذي ادع
النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته قال خالد لبعض
اصحابه ممن كان اسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقال كان يقول
والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وقد سمع نبي الله
سليمان

سليمان عليه الصلاه والسلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين
وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك صياحهما وسمع طاووسا
يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول من لا يرحم لا يرحم
وقد جمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان الهدهد تارة يقول استغفروا الله
يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا
تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله يا غافلين وسمع بلبلا يصوت
فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها
تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى على
سمايه وارضه وقال الحدا تقول كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم
والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شيت اخرك الموت
والعقاب يقول في البعد عن الناس انس وعن سيدنا سليمان صلوات الله وسلامه عليه
ليس من الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البومة تقول اذا وقعت عند
خربة اين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني ادم كيف ينامون
وامامهم الشدايد تزودوا يا غافلين وتهيوا لسفركم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى
عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراينا طيرا اعمى يضرب بمنقاره
على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول فقلت الله ورسوله اعلم
قال انه يقول اللهم انت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت جرادة
فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره الشجرة فقال عليه الصلاة والسلام اتدري ما يقول
قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك
يدي ج عذابا شديدا قال له الهدهد اذكر يا نبي الله وقوفك بين الله تعالى فلما
سمع سليمان ذلك ارتعد فرقا وعفي عنه اي ان الهدهد كان دليلا له على الما
كان الهدهد يرى الما تحت الارض كما ترى الما في الزجاجة فلما فقد سليمان
الما تفقد الهدهد فلم يجده فارسل خلفه العقاب فراه مقبلا من جهة اليمن فلما
راه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من اقدرك علي الا رحمتني قيل لابن عباس
يا سبحان الله الهدهد يرى الما تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضا

عن البعض قيل عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بالعذاب الشديد الذي يعذب
به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل بالزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد
وقد قيل اضيق السجون عشرة الاضداد وقيل بعضهم عبر عن اصواتها بالمنطق لما
يتحصل منها المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه فهم مما
سمع من صوت طاير علم بقوته القدسية الغرض الذي اراد ذلك الطاير وهذا
في طاير لم يفصح بالعبارة والا فقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة كنوع من
الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدته غرابا يقرا سورة السجدة
واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وامن بك فوادي والدرة تنطق
بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم ارها
فاذا هي تقول لي مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها وكان
عليه السلام يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جا ان سليمان سمع النملة وقد احست
بصوت جنود سليمان تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
لا يشعرون فعند ذلك امر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنها ثم جاء
سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون
على اني لم ارد حطم النفوس اي اهلاكها انما اردت حطم القلوب خشية ان
يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي فيمتن فقد جا مرفوعا اجال البهايم
كلها وخشاش الارض في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها ويروى
ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث
الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت له انما خشيت
ان تنظروا الى ما انعم الله به عليك فتكفر نعم الله عليها فقال لها عظيني قالت هل تدري لم
جعل ملكك في فص خاتمك قال لا قالت ليعلمك ان الدنيا لا تساوي قطعة من حجر
ومن عجيب صنع الله ان النملة تعتني بشم الطعام لانه لا جوف لها يكون به الطعام بدركه و
ان هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان اهدت له نبقة وضعتها في كفه وحكي
عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوي الجلال السيوطي قال الثعالبي في زهرة
الرياض لما تولى سليمان عليه الصلاة والسلام الملك جاءه جميع الحيوانات يهنونه

الا نملة

[illegible]

الا نملة واحدة فجات تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت كيف اهنيه وقد
علمت ان الله تعالى اذا احب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الاخرة وقد شغل
سليمان بامر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاء في بعض
الاثار ان شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه
الا القنفذ فانه قال لا تشربه فان الموت في عز خير من البقا في سجن الدنيا قال
صدقت فاراق الشراب في البحر قال وصار ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام
يتبعان الصرد حتى وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت ابراهيم خذ
قدر ظلي فابن عليه اي وفي لفظ لما امر ابراهيم ببنا البيت ضاق به ذرعا فارسل
اليه السكينة وهي ريح خجوج ملتوية في هبوبها لها راس كراس الحية فحفر ابراهيم واسماعيل
عليهما الصلاة والسلام فابرزا عن اس ثابت في الارض فبنى ابراهيم واسماعيل
يناول الحجارة اي التي تاتي بها الملايكة كما سياتي حتى ارتفع البنا انتهى اقول يحتمل ان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لما اوحى الله عز وجل اليه بذلك كان في مكة عند اسماعيل وانهما كانا
بمحل بعيد عن محل البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جا وقد قيل في قوله تعالى ان
ابراهيم كان امة قانتا اي كان قايما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى في ارضه
لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله تعالى سواه والله اعلم قال ثم لما ارتفع البنا جا
بالمقام اي وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم وصار كلما ارتفع البنا ارتفع به المقام في الهوى فاثر قدم ابراهيم في ذلك الحجر وقيل
انما اثر في صخرة اعتمد عليها وهو قايم حين غسلت زوجة اسماعيل راسه لان سارة كانت اخذت
عليه عهدا حين استاذنها في الذهاب الى مكة لينظر كيف حال اسماعيل وهاجر فحلف لها ان لا ينزل
عن دابته التي هي البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر
فحين اعتمد على الصخرة ابقى الله تعالى فيها اثر قدمه اي وفيه كيف يغسله بقدمه على الصخرة
وهو راكب دابته الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها باحدى رجليه مع ركوبه وقد يدل
على ان الموجود في المقام اثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه في حال البنا يدل على ان الموجود
فيه اثر قدميه فلينظر وجعل ارتفاع البيت تسعة اذرع قيل وعرضه ثلاثين ذراعا
قال بعضهم وهو خلاف المعروف ولم يجعل له سقفا والبناه بمدر واغاصه رضما

وجعل له بابا اي منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولم ينصب له بابا اي يقفل
وانما جعله تبع الحميري بعد ذلك وحفر له بيرا داخله عند بابه اي على يمين الداخل منه
يلقي فيها ما يهدي اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما اراد ان يجعل
حجرا يجعله علما للناس اي يبتدؤن الطواف منه ويختمون به ذهب اسماعيل الى
الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل بالحجر الاسود يتلالا نورا اي فكان نوره يضي
الى منتهي انصاب الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه اسود لما مسته الحيض في الجاهلية
وتقدم انه اسود من مسح ادم به دموعه وجا ان خطايا بني ادم سودته واما شدة سواده
فبسبب اصابة الحريق له اولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير وقد كان
رفع الى السما حين غرقت الارض زمن نوح بنا على انه كان موجودا في تلك الجنة كما تقدم
وفي رواية ان ابراهيم لما قال لاسماعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه هاهنا قال
يا ابت اني كسلان تعب اي تعب قال علي بذلك فانطلق وجا جبريل بالحجر من الهند
وهو الحجر الذي خرج به ادم من الجنة اي كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه وقيل وضعه
جبريل او بني عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجا اسماعيل بحجر من الوادي فوجد
ابراهيم قد وضع ذلك الحجر اي او بني عليه فقال من اين هذا الحجر من جاك به قال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام من لا يكلني اليك ولا الى حجرك اي وفي لفظ جاني به من هو انشط منك
وفي لفظ ان اسماعيل جاه بحجر من الجبل قال غير هذا فرده مرارا لا يرضي ما ياتيه به
وجا ان الله تعالى استودع الحجر ابا قبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه الصلاة
والسلام وقال اذا رايت خليلي يبني بيتي فاخرجه له اي فلما انتهى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام لمحل الحجر نادى ابو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجا فحفر عنه
فجعله في البيت وقيل حجره ابو قبيس فانشق عنه اقول وفي لفظ قال لابراهيم
يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت
الجنة ومن ثم كان ابو قبيس يسمي في الجاهلية الامين لحفظه ما استودع وسمي
ابا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بني فيه
يقال له ابو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الى الجمع بين
ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر في ترجمة الياس احد اجداده صلى الله عليه وسلم انه اول

من وضع

من وضع الركن اي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح فكان اول
من سقط عليه اي اول من علم به فوضعه في زاوية البيت فليتامل ذلك والله اعلم
اي وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما انه قال عند المقام اشهد بالله
يكررها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان
من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضا ما بين المشرق والمغرب
من نورهما ولعل طمس نور الحجر كان سببه ما تقدم فلا مخالفة وجا انهما ياتيان يوم
القيامة وهما في العظم مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفا وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لولا ما مسهما من اهل الشرك ما مسهما ذو عاهة
الا شفاه الله تعالى وعن جعفر الصادق لما خلق الله الخلق قال لبني ادم الست
بربكم قالوا بلى فكتب القلم اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام
انما هو تبعة على اقرارهم الذي كانوا اقروا به قال علي رضي الله تعالى عنه وكان ابي
يقول اذا استلم الحجر اللهم امانتي اديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفا
وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذه الله على ذرية ادم حين مسح ظهره ان لا يشركوا
به شيا كتبه في صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفا
بعهدك وقد جا الحجر الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك
لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك سالت فقيها كنت اختلف اليه عن معناه
فلم يجد جوابا فقيل لي سل عن ذلك فلانا من المتكلمين فسالته فاجاب بجواب
شاف فقلت لابد لي من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا الذي قاله السهيلي
يروى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وعن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه
انه لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله تعالى عنه بلى
يا امير المومنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذاك قال بكتاب الله قلت بكتاب الله
قال واين ذلك من كتاب الله قلت قال الله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الاية وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان
ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن

واياك بالموافاة يوم القيامة فقال عمر اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا
الحسن وعن قتادة قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بني البيت من خمسة جبل
من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحرا وذكر لنا ان قواعده من حرا التي
وضعها ادم مع الملائكة اقول تقدم ان تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن
طور سينا ومن طور زيتا ومن الجودي ومن حرا الا ان يقال يجوز ان يكون معظم ذلك
كان من حرا وذكر لنا فليتامل وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان اي
لم يجعل له ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلته له قريش حين
بنته اربعة اركان وذكر الحافظ ابن حجر ان ذا القرنين الاول وهو المذكور في القران
في قصة موسي عليه الصلاة والسلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابراهيم
واسماعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مامورين
فقال لهما من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش شهدت اي فلن نشهد ان ابراهيم
واسماعيل عبدان مامورين باليناء فقال رضيت وسلمت وقال الهاصفي
وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة
ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في بلدة فيها ابراهيم
خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشي الي ابراهيم فسلم عليه ابراهيم واعتنقه
فكان هو اول من عانق عند السلام قال الفاكهي واظن الاكبش المذكورة
اي التي شهدت احجارا ويحتمل ان تكون غنما ووصفه ذو القرنين بالاكبر احترازا
من ذي القرنين الاصغر وهو اسكندر اليوناني فانه قريبا من زمن عيسي عليه السلام
وبين عيسي وابراهيم عليهما الصلاة والسلام اكثر من الفي سنة وكان كافرا والله
اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ ابراهيم صلي الله عليه وسلم من بنا البيت
الحرام قال يا رب قد فرغت فقال اذن في الناس بالحج قال اي رب كيف اقول قال قل يا ايها
الناس كتب عليكم الحج الي البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل فوقف علي المقام
وارتفع به حتي كان اطول الجبال فنادي وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه
شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات اي وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها
وبرها وبحرها وانسها وجنها حتي اسمعهم جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدا بشق

اليمن

اليمن وحينئذ يكون اول من اجاب اهل اليمن اكثر اجابة للتصريح بذلك في بعض
الروايات وعن ابن عباس كان اهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم جاء في الحديث الايمان يمان
وقال صلي الله عليه وسلم في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويابي الله الا ان يرفعهم
وروى الطبري باسناده عن علي رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من احب اهل اليمن فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومما يؤثر عن ابراهيم
صلوات الله وسلامه عليه من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد
ذكر في تفسير قوله تعالي فيه ايات بينات مقام ابراهيم هو اثر ابراهيم علي المقام
بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه اعتق من الجبابرة لم يدعه اي بحيث ينسب
اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة من العمالقة وجرهم قال القاضي تبعا للكشاف
لانه اعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالي
قال واما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير عنه لما تحصن به دون التسلط
عليه كذا قال قال بعضهم وعن عبد الله بن عمر انه قال انما سميت بكة اي بالموحدة
لانها كانت تبك اعناق الجبابرة وليتنظر من قصده ليهدمه من الجبابرة
ابرهة وانتبه في الحبشة قال ثلاثة غيره قصد واهدمه اثنان فاهلكهما الله
ومنعهما والثالث كان في اول زمان قريش اراد هدمه حسدا علي شرف الذكر
لقريش به وان يبقي عنده بيتا يصرف حاج العرب اليه فلما قارب مكة
اظلمت الارض وايقن بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوي ان يكسو البيت وينحر عنده
فانجلت الظلمة ففعل ذلك ونبه ان هذا الذي حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول
فانه لما عمد الي البيت يريد تخريبه ارسلت عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه واصابته
وقومه ظلمة شديدة وفي رواية اصابه داء تمخض منه راسه قيحا وصديدا اي نتن نتنا
حتي لا يستطيع احد ان يدنو منه قدعي بالاطبا فسالهم عن دائه فما لهم ما راوا منه
ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك هممت بشي في حق هذا البيت فقال نعم
اردت هدمه فقال له تب الي الله تعالي مما نويت فانه بيت الله وحرمه وامره بتعظيم حرمته
ففعل فبرا من دائه وقيل لانه اول بيت وضع في الارض وقيل لانه اعتق من الغرق بسبب الطوفان

في زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا في الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم
من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتاتيه
بخبر الارض فوقفت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا
فاختضبت رجلاها الا ان يقال ان معنى اعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره وفي
الخميس عن ابن هشام ان ما الطوفان لم يتصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هي في
هوا السما اي بنا على ان الكعبة هي الخيمة التي كانت على زمن ادم وتقدم عن الكشاف
انها رفعت الى السما الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت على ان المراد بالكعبة
الخيمة التي كانت لادم وقوله قام حولها يريد انه لم يتصل محل تلك الخيمة ولعله الاناسب
ما تقدم في قصة نوح فليتامل ود في رواية ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام نادي يا ايها
الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه فاجيبوا
ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النسا فاجابه من كان
سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى ان تقوم الساعة
الا ممن كان اجاب ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن لبى تلبية واحدة حج حجة
واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا ود في لفظ لما نادى ابراهيم فاخلق الله من
جبل ولا شجر ولا شي من المطيعين له الا اجاب لبيك اللهم لبيك اقول لا يخفى انه يحتاج
الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم وسياتي ومعلوم ان اجابة غير
العقلا اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب
لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة وقيل التاسعة
وقيل العاشرة كما سياتي واما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم اقف على وجوب الحج عليها
ود وقد ذكر بعض المتاخرين من اصحابنا ان الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة ...
... على الانبيا والرسل وهو الوضو والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا
على الانبيا والرسل ود وفيه ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في حق امته الا ان يقوم
الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضو سياتي ما في الوضو والله اعلم
اي ثم امر بالمقام فوضعه قبله اي ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلي اليه مستقبل
الباب اي جهته واول من اخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى

عنه اي قدم ذلك عن ابن كثير اقول وقيل ان اول من وضعه موضعه الان النبي صلى الله عليه
وسلم في فتح مكة وسياتي الجمع بين هذين القولين وياتي ما فيه وذكر الطبري ان محله
اولا المنخفض اي الذي تسميه العامة المعجنة اي محل عجن طين الكعبة وذلك المنخفض
هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليومين كما سياتي ونازع
في ذلك العز ابن جماعة وقال لو كان ذلك لاشتهر عليه بالكتابة في الحجرة ورد بان ذلك
ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية
اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس
وقيل صعد ثبيرا واذن وان اول من اجابه اهل اليمن اي لما تقدم انه نادى بالشق اليمين
ولا مانع من تعدد ذلك اي وقوفه على تلك الاماكن التي هي المقام وابو قبيس وثبير
ويجوز ان يكون قال في بعض تلك الاماكن ما لم يقله في غيره مما تقدم فلا مخالفة
بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم وجا انه لما فرغ من دعائه ذهب به جبريل فاراه
الصفا والمروة وحدود الحرم وامره ان ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك اي مع
اسماعيل ففي العرايس خرج جبريل بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب
والعشا الاخيرة ثم باتا بها حتى اصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما
هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة
فوقف بهما على الموقف الذي يقف عليه الناس الان فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة فجمع بين
الصلاتين المغرب والعشا الاخيرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة ثم وقف
بهما على قزح حتى اذا اسفر فاض بهما الى منى فاراهما كيف رمي الجمار ثم امرهما بالذبح
واراهما المنحر من منى وامرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فليتامل ذلك فان فيه التصريح
بان ابراهيم واسماعيل صليا مع جبريل عليه السلام جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما
بين الظهر والعصر وتاخيرا بين المغرب والعشا للنسك وهو مخالف لقول ائمتنا لم تجمع
الصلوات الخمس الا لنبينا عليه الصلاة والسلام ففي الخصايص الصغرى وجمع له الصلوات
الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشا ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلاة الا ان يدعى ان المراد الجمع
على جهة المداومة على ذلك لجواز ان يكون المراد ابراهيم واسماعيل لم يداوما على ذلك فليتامل وفي
الوفا عن وهب قال اوحى الله الى ادم انا الله ذو بكة اهلها خيرتي وزوارها وفدي وفي كنفي

اعمره باهل السما واهل الارض ياتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية
ترجيجا وينجون بالبكا نجا من اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد الي ونزل
بي وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناه لنبي من ولدك
يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وانبط له سقايته واريه حله
وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهي الى نبي من ولدك يقال له محمد وهو خاتم
النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته فمن سال عني يومئذ فانا مع الشعث
الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعى ابراهيم عليه الصلاة والسلام
بقوله تعالى وارزقهم من الثمرات اي وهي بذلك وهو على ثنية كدا بالمد نقل ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك
نقل له الطايف من فلسطين من ارض الشام اي وبركة دعايه بوجود الفواكه
المختلفة الالوان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ذكره في الكشاف
ثم لما فرغ اي من بنا البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملايكة في الطواف فسلموا عليه
فقال لهم ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك ادم سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا ولا حول ولا قوة الا بالله فقال
ابراهيم زيدوا فيها العلي العظيم فقالت الملايكة ذلك وكان بنا ابراهيم البيت بعد
ما مضى من عمره مايه سنة ثم بناه العمالق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف
في بنا العمالق له اما في الاول فلان اول من نزل بمكة مع هاجر وولدها اسماعيل جرهم
والمهم بعد اسماعيل وبعض ولده كانوا ولاة البيت واما في الثاني فلان ولاية البيت
كانت لخزاعة بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الا ان يقال
لا مانع ان يكونوا حينئذ اهل ثروة بخلاف جرهم وخزاعة ثم رايت عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان العمالق كانوا في عز وكانت لهم اموال كثيرة وان الله سلبهم ذلك
لما تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر
في المثل كالزنبور في النحل وفي تاريخ مكة للفاكهي ان العمالق ترموا مكة لما قدم وفد
عاد للاستسقا بالبيت وقيل كانوا بجدة ولما اخرج الله تعالى زمزم لاسماعيل بواسطة جبريل

ففي

ففي ربيع الابرار ان جبريل اخرج ماء زمزم مرتين مرة لادم ومرة لاسماعيل وعند ذلك
تحولوا الى مكة لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم قال المقريزي ولا يصح ذلك ثم رايت
المقريزي قال وفي كتاب اخبار مكة للفاكهي ما يدل على تقدم بنا جرهم على بنا العمالقة
ولا يصح ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه
لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان هذا صريح في ان العمالقة تقدموا
وان بناهم له كان قبل بنا جرهم له والعمالق من ولد عملاق او عمليق بن لاوذ بن سام
ابن نوح عليه الصلاة والسلام قيل وهو اول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص
ابن اسحاق ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم
وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله
ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما اي ويكنى ابا خبيب بضم المعجمة وفتح البا الموحدة وكني بابي
خبيب لان خبيبا كان رجلا بالمدينة من النساك طويل الصلاة قليل الكلام اي وعبد الله
كان مشابها له في ذلك فكني به هذا وفي كلام ابن الجوزي انه كان لعبد الله بن الزبير ولد
يقال له خبيب حيث قال خبيب بن عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بامر
الوليد مايه سوط فمات لانه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص
اربعين رجلا وفي رواية ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا
بلغ بنو امية اربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا اي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا
وفي رواية يبدلون دين الله كتاب الله قال ابن كثير وهذا الحديث اي ذكر بني امية وذكر الاربعين
منقطع ولما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو وال المدينة ان يضرب
خبيبا هذا مايه سوط ففعل ثم برد ماء في جره وصبه اي في يوم شات عليه وحبسه
فلما اشتد وجعه اخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض
واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال
كيف البشرى وخبيب على الطريق اي عايق لي وفي الدلايل النبوة للبيهقي عن بعضهم
قد كنت عند معاوية ابن ابي سفيان ومعه ابن عباس على السرير فدخل عليه مروان
ابن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا امير المومنين فوالله ان مونتي لعظيمة

فاني ابو عشرة وعم عشرة واخو عشرة فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس
انشدك بالله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم
ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة
وسبعين واربعمائة كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس اللهم نعم ثم ذكر مروان
حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية فكلمه فيها فلما ادبر عبد الملك قال معاوية
انشدك الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو
الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة
فليتامل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده
فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفي كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة
شديدة هذا وقد رايت عن بعض حواشي الكشاف ان اعدا عبد الله بن الزبير هم الذين
كانوا يكنونه بابي خبيب لان خبيبا كان من احسن اولاده ويرده قول بعضهم بغلب
المشرق كالخبيبين لخبيب بن عبد الله بن الزبير واخيه مصعب وذكر ابن الجوزي
ايضا فيمن ضرب بالسياط من العلما سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان مائة
سوط لانه بعثه ببيعة الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط
ويصب عليه جرة ما في يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك اي كما فعل بخبيب
ثم رايت في تاريخ الحافظ ابن كثير لما عهد عبد الملك لولده الوليد في حياته
وانتهت البيعة الى المدينة امتنع سعيد ابن المسيب ان يبايع فضربه نايب
المدينة ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به المدينة
ثم اودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك ارسل يعنف والي المدينة على ذلك ويامره
باخراجه من الحبس هذا كلامه وفي كلام البلاذري وكان جابر بن الاسود عاملا
لابن الزبير على المدينة وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطا اذ لم
يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا ان يقال لا مانع ان يكون سعيد فعل به
الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد
ثم رايت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد بن المسيب ضرب
السياط المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به
ذلك

ذلك ايضا لما امتنع من البيعة للوليد وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني في ترجمة
سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حيث امتنع من مبايعته
والبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجا لسني
فانهم قد جلدوني ومنعوا الناس عن مجالستي هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع
من قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد بن
المسيب من المبايعة للوليد لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون
في هذه الامة رجل يقال له الوليد لهو شر لامتي من فرعون لقومه وفي رواية
رواية هو اضر على امتي من فرعون على قومه زاد في رواية يسد به ركن من اركان
جهنم وفي لفظ رواية من زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد بن
عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد ابن يزيد بن عبد الملك لا الوليد ابن عبد الملك
الذي هو عمه وكان سعيد بن المسيب اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رايت
كاني ابول في يدي فقال تحتك ذات محرم فنظر فاذا بينه وبين امراته
رضاعة واخذ سعيد تعبير الرؤيا عن اسماء بنت ابي بكر وهي اخذت ذلك
من والدها ابي بكر وعن سعيد اخذ ابن سيرين ذلك كان ابو بكر اعبر هذه الامة ابوا
بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله عليه وسلم
وفي حضرته وعن الزهري راى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها
على ابي بكر فقال رايت فقال رايت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك
بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة واعيش
بعدك سنتين ونصف فكان كما عبر فقد عاش بعده سنتين وسبعة اشهر
وقال له رايتني اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود
فيها فقال ابو بكر يا رسول اما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون هم
والغنم البيض الاعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك سحرا وسبب بنا عبد الملك بن الزبير الله
للكعبة ان يزيد ابن معاوية لما وجه الجيش عشرين الف فارس وسبعة الف راجل
واميرهم مسلم بن قتيبة لقتال اهل المدينة لما علم انهم خرجوا عن طاعته اي واظهروا

شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب
الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب اي فقد ذكر بعض ثقاة المورخين
انه كان له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه
واتخذ له اتانا وحشية قد ريضت له وصنع لها سرجا من ذهب يركب عليها
ويسابق بها الخيل في بعض الايام وكان يلبس عليه قبا وقلنسوة من الحرير الاحمر
وقد استفتي الكيا الهراسي من اكابر ائمة الشافعية كان من رؤس
تلامذة امام الحرمين نظير الغزالي عن يزيد هل هو من الصحابة وهل يجوز
لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في ايام عمر بن الخطاب وللامام
قولان في لعنه تلويح وتصريح وكذا للامام مالك وكذا للامام ابي حنيفة ولنا
قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد
والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا كلامه وسيل
الغزالي هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب
بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهايم
فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى
عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله ومالم
يصح عنه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم
يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر
بل هو معصية واما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المؤمنين في
قولنا في كل اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان على ما افتى به الكيا
الهراسي من جواز التصريح بلعنه استاذنا الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكري
تبعا لوالده الاستاذ الاعظم الشيخ ابي الحسن وقد رايت في كلام بعض اتباع استاذنا
المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعة وفي اسفل سجين وضعه
وفي كلام ابن الجوزي اجاز العلماء الورعون لعنه وصنف في اباحة لعنه مصنفا وقال
السعد التفتازاني انا لا نشك في اسلامه بل في ايمانه فلعنة الله عليه وعلى
انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص
ولما

ولما خلعوا اي اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل
الملائكة واخرجوا والي يزيد من المدينة وهو مروان ابن الحكم وبني امية حتى قال
بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السما فكانت وقعة الحرة المشهورة
التي كادت ان تبيد اهل المدينة عن اخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين
وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة
وافتض فيها الف عذرا اي ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوي مدة
المقاتلة وهي ثلاثة ايام وفي كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه
يزيد للمدينة من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش ومن
الانصار ثلثماية وستة رجال ومن قرا القرآن نحو سبعماية نفس وفي التنوير لابن دحية
وقتل من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعماية ومن حملة القران سبعماية وجالت
الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر واختفت
اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير
ذلك الجيش من اهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول اي عبيد له ان شا
باع وان شا اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم فضرب عنقه وروى البخاري ان عبد الله بن عمر لما خلع اهل المدينة يزيد
دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله صلى الله
عليه وسلم واني والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان الفيصل بيني
وبينه ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدري بيته ايضا فدخل عليه جمع من الجيش بيته
فقالوا له من انت ايها الشيخ فقال ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال
فقال قد اخذه الذين دخلوا قبلكم علي وما عندي شي فقالوا كذبت ونتفوا لحيته
واما جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه خرج في يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشي في
بعض ازقة المدينة وصار يعثر في القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له قايل من الجيش من اخاف رسول الله فقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبي فحمل عليه جماعة
من الجيش يقتلونه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلي وتعلق في ذلك

اليوم من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعماية وقتل من اخلاط الناس
عشرة الاف سوي النسا والصبيان فقد ذكر ان امراة من الانصار دخل
عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيها وقد اخذ ما وجد عندها ثم قال لها
هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ الصبي من حجرها وثديها في فيه وضرب به الحايط حتي انتثر دماغه في الارض
فما خرج من البيت حتي اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس قال السهيلي واحسب هذه
المراة حاضنة للصبي لا اما له اذ يبعد في العادة ان تبايع امراة وتكون يوم الحرة في سن
من يرضع اي ولدا صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار امتي
بعد اصحابي وعن عبد الله بن سلام انه قال لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذ
ابن يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة
وسلاحهم علي عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال ان
كان يزيد اعفر اهل المدينة قبل هذه الواقعة فيما ذكروه وبذل لهم العطا اضعاف
ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم الي الطاعة وتحذيرهم الخلاف ولكن ابي الله
الا ما اراد وفي التنوير ان الله ابتلي امير هذا الجيش الذي هو مسلم بن عقبة
بعد ثلاثة ايام من اخذ البيعة بمرض صار ينبح منه كالكلب الي ان مات
وولي امر الجيش بعده الحصين ابن نمير بامر يزيد فانه وصاه مسلم بن عقبة
لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا اشرفت اي لانه كان مريضا بالاستسقا
فول امر الجيش الحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله
عليه وسلم لا يزال امر امتي قايما بالقسط حتي يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد
وقد جا عن سعيد بن المسيب لقد رايتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم غيري وما ياتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف
وما يوثر عن سعيد ابن المسيب الدنيا نذلة تميل الي الانذال ومن استغني بالله افتقر
اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة في تلك الوقعة معقل
ابن سنان الاشجعي وروي علقمة عن ابن مسعود انه سيل عن رجل تزوج امراة

ولم يسم

ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتي مات فقال ابن مسعود لها مثل مهر نسايها
لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان قال قضي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود
وسبب مقاتلة عبد الله بن الزبير لانه امتنع من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين
لما ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفر من المدينة الي مكة
ثم لما قتل الحسين اي لان الحسين رضي الله تعالي عنه ارسل اليه اهل الكوفة ان
ياتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم
لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن ونهاه ابن عمر وابن الزبير فابي الا ان يذهب فبكي
ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن
قال له اياك وسفها الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين
مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم علي اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن علي
مسيره وقدم امامه الي الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثني عشر
الفا وقتل الكثير من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبيد الله
ابن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له لاجل السحت العاجل علي الخير الاجل
فلما وصلوا اليه وراي كثرة الجيوش طلب منهم احد ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء او
يذهب الي بعض الثغور او يذهب الي يزيد فيفعل فيه ما اراد فابوا وطلبوا منه نزوله
علي حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابي فقاتلوه الي ان اثخنته الجراحة فسقط الي الارض
فحزوا راسه وذلك يوم عاشورا عام احد وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبيد الله
ابن زياد ولما جا خبر الحسين قام ابن الزبير في الناس يعظم قتل الحسين وجعل يظاهر
بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوي
بني امية ويطنب في ذلك ولما بلغ يزيد ذلك اقسم ان لا يوتي به الا مغلولا فارسل اليه
رجلا من اهل الشام في خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم علي ابن الزبير الفتنة
وقال لا تستحل الامر المحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوي عليه وقد اقسم ان يوتي
بك مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم امير المومنين فالصلح
خير عاقبة واجمل بك وبه فقال له انظرني في امري ثم دخل علي امه اسما واستشارها فقالت

يا بني عشر كرما وتكرما ولا تمكن بني امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس
سرا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جا الجيش
الي مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق نصبه علي ابي قبيس قيل علي الاحمر وهما اخشبا مكة
فاصاب الكعبة من ناره فاحرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية
مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة كما تقدم وذكر في المشرق ان الله تعالى بعث
عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من اهل الشام
ثم عملوا منجنيقا اخر فنصبوه علي ابي قبيس ويذكر ان النار لما اصابت الكعبة انت حتى يسمع
انينها كانين المريض اه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جا انذاره
صلى الله عليه وسلم بتحريق الكعبة فعن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة وحرق البيت
العتيق وفي العرايس ان اول يوم تكلم الناس في القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة
من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والمتكلم بذلك حينيذ قيل ابو معبد الجهني وقيل
ابو الاسود الدولي وقيل غير ذلك وقوله اول يوم تكلم الناس في القدر لعل المراد يوم
اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس في القدر فلا ينافي ما حكي ان شخصا قال
لعلي رضي الله تعالى عنه وهو بصفين يا امير المومنين اخبرنا عن مسيرنا هذا كان
بقضا الله وقدره فقال نعم والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا موطيا ولا
قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضايه وقدره والتكلم في القدر ليس من خصايص
هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففي الحديث ما بعث الله نبيا الا في امته قدرية
يشوشون عليه امر امته الا وان الله تعالى قد لعن القدرية علي لسان سبعين
نبيا وقد جا في ذم القدرية زيادة علي ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان
مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجا اتقوا القدر فانه شعبة
من النصرانية وجا اخاف علي امتي التكذيب بالقدر وانما كانت القدرية مجوس
هذه الامة لان طايفة من القدرية تقول بان الخير من الله والشر من العبد
وهو الطايفة اشبه بالمجوس القايلين بالاصلين النور والظلمة وان الخير من النور
والشر من الظلمة وهم المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية لان القدرية

علي انه ليس

علي انه ليس من افعال العبد من خير او شر ناشيا عن اقدار الله تعالى له علي ذلك بل هو ناشي
عن قدرة العبد واختياره فقد اثبتوا لله شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك لله
عز وجل فهذه الفرقة من القدرية اشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية
لهذا الاعتبار وقد اوضحت ذلك في تعليقي المسمي بالمصباح المنير علي الجامع الصغير
وفيه اخر الكلام في القدر لشرار امتي في اخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى
ايجادا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بنا عبد الله بن الزبير الكعبة ان امراة جمرتها فطارت
شرارة فتعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد وقع ايضا احتراقها بتجمير
المراه في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما تقدم وعد بعضهم ان من البدع
تجمير المسجد وان مالكا كرهه وقد روي ان مولى عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يجمر المسجد
النبوي اذا جلس عمر علي المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي فدي به اسماعيل
عليه السلام فانهما كانا معلقين بالسقف اقول ولعل تعليقهما في السقف كان
بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم جا الاسلام وراس الكبش معلق بقرنيه في
في ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ما جا عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان
ابن طلحة لم دعاك النبي صلي الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني رايت قرني الكبش في البيت فنسيت ان امرك بتخميرهما فخمرهما
فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل مصليا وذكر الجلال المحلي في قطعة التفسير
ان الكبش المذكور هو الذي قربه هابيل جا به جبريل فذبحه السيد ابراهيم مكبرا اه
وحينيذ تكون النار التي نزلت في زمن هابيل لم تاكله بل رفعته الي السما وحينيذ
يكون قول بعضهم فنزلت النار فاكلته علي التسمح ويدل لما ذكره الجلال ما جا انه صلى
الله عليه وسلم قال لجبريل ما كان ذبح ابراهيم اي مذبوحه قال الذي قرب ابن ادم قال
بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه عظيم لانه رعا في الجنة اربعين عاما
وقيل كان الكبش اختراعا اخترعه الله تعالى هناك في ذلك الوقت قال بعضهم وهذا
الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه عظيم لانه رعا في الجنة اربعين عاما وقيل كان
الكبش اختراعا اخترعه الله تعالى هناك في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدي من
الموت بصورة الموت وهذا كله بنا علي ان الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا

سميناه وعليه اقتصر القاضي فليتنظر الجمع على تقدير صحة كل وانصرف الجيش من تلك النار من
ثلاثة اماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله جاء الخبر بموت يزيد وقيل ان ابن الزبير
علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل الشام فناداهم يا اهل الشام
قد اهلك الله طاغيتكم يعني يزيد فمن احب منكم ان يدخل فيما دخل فيه الناس فعل
ومن احب ان يرجع الى شانه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة
بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا وقيل ان امير الجيش طلب من ابن الزبير ان يجتمع به
فخرجا من الصفين حتى اختلفت رؤوس فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها
فقال له ابن الزبير ما لك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا حمام
الحرم فقال تفعل هذا وانت تقتل المسلمين فقال له تاذن لنا ان نطوف
بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل
قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر يعني الخلافة فارحل معي الى الشام
فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير واغلظ عليه
القول فكر راجعا وهو يقول اعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم قيل
كان في ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف
ودخل في طاعة ابن الزبير جميع اهل البلد الا اهل الشام ومصر فان
مروان بن الحكم تغلب عليها بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية فان معاوية
هذا مكث في الخلافة اربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم
على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن الزبير لما ولي الخلافة ثانيا عند
بالمدينة امر باجلاء بني امية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الى الشام فلما
اراد مروان ان يبايع ابن الزبير ثنى عزمه من ذلك جماعة وقالوا انت شيخ
قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل فانت احق بهذا الامر
فوافقهم ومكث تسعة اشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفا بني امية وقام
بالامر بعده ولده عبد الملك وهو اول من سمي عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد
الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى
عمرو بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك بذلك ذرعا واستعجل

امر

امر عمرو بن سعيد بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله وفي كلام ابن ظفر ان عبد
الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله بن الزبير خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى
على دغلية وفساد طوية وطاعة في نيل الخلافة فلما سار وراء دمشق اياما
تمارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد الملك في العود الى دمشق فاذن له فلما
عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس
الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن سورها وبذل
الرغايب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه ~~الى ابن وبلغ ذلك عبد الملك~~ الى
ابن الزبير فاشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق ويترك ابن الزبير لان
ابن الزبير لم يطعه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو في صورة ظالم له وقصده لعمرو
ابن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته فرجع
الى دمشق وظفر بعمرو بن سعيد وقيل ان سبب بنا عبد الله بن الزبير للكعبة
انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله يطوف سباحة اي ولا مانع من وجود الامرين
الحرق والسيل فلما راى عبد الله ما وقع في الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله
ابن عباس في هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى ان تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو
ان بيت احدكم احرق لم يرض له الا باكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها
وقد حدثتني خالتي عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لها الم ترى قومك يعني قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم
عليه الصلاة والسلام حتى عجزت بهم النفقة لولا حدثان قومك بالجاهلية وفي
لفظ لولا قومك حديث عهد بالجاهلية اي قرب عهدهم بها وفي لفظ الناس
حديثو عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنيانها لهدمتها وجعلت
لها خلفا اي بابا من خلفها اي وفي لفظ لجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله
يخرج منه وفي لفظ الناس لجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت
بابها بالارض اي كما كان عليه ابراهيم ولادخلت الحجر فيها اي وفي رواية
لادخلت نحو ستة اذرع وفي رواية ستة اذرع وشيئا وفي رواية وشبرا وفي
رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطربت الروايات في القدر الذي اخرجته

قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها على اساس ابراهيم وازيد
اي بان ازيد في الكعبة من الحجر اي وذلك ما اخرجته قريش خشي صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم
هدم بنائهم الذي يعدونه من اكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام
وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها
الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة اي الحلال الحديث وهذا يعطي
ان من بعد ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو
ترميمها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها
على ذلك قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لعبد الله دع بناء واحجارا
اسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم اي فانه يوشك اذا اتى بعدك
من يهدمها فلا يزال تهدم ويبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها اي رممها
فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امري فلما مضى الثلاث اجمع امره على
ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل باول الناس يصعدها امر من السماء حتى
صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم يروا اي الناس اصابه شيء تابعوه انتهى وقيل ان اول
فاعل لذلك عبد الله بن الزبير نفسه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس
فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وامر ابن الزبير
جماعة من الحبشة يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها
وفيه ان الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكره بصفة حيث قال كاني انظر اليه
افحج ينقضها حجرا حجرا وجاء في وصفه بانه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير
البطن ووصف ايضا بانه اسلع وفي لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم راسه ووصف
بانه اصعل اي صغير الراس وبانه اصمع اي صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها
حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اي وقوله ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر
لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد موت عيسى
عليه الصلاة والسلام وبرفع القران من الصدور والمصاحف اي وورد ان اول ما يرفع
رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام والقران واول نعمة ترفع من الارض العسل وقيل يكون هدمها
في زمن عيسى فاذا جاء الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها فهدمها عبد الله

الى ان انتهى

الى ان انتهى الهدم الى القواعد اي التي هي الاساس قال وفي رواية كشف له عن اساس
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا في الحجر ستة اذرع وشيئا واحجار ذلك الاساس
كانها اعناق الابل حجارة حمرا اخذ بعضها في بعض مشبكة كتشبيك الاصابع واصاب
فيه قبر ام اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه قبر اسماعيل
وهو يؤيد القول بانه قبره في حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكر الطبري
وانه تحت البلاطة الخضراء التي في الحجر كما تقدم فدعا عبد الله بن الزبير خمسين رجلا من
وجوه الناس واشرافهم واشهدهم على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوي
عتلة كانت بيده في ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جوانب البيت
ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور مكة الا
دخلت فيها ففزعوا انتهى اقول تقدم في بناء قريش انهم انتهوا الى حجارة خضر
كالاسنمة اخذ بعضها ببعض وان رجلا ادخل عتلته بين حجرين منها فحصل نحو
ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضرا وبين كونها حمرا لانه
يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هي قريبة من السواد ومن ثم
وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما ان الاخضر غير الصافي يقال
له اسود والصافي يقال له ازرق والله اعلم وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا
فطاف الناس بتلك الستور حتى بنى عليها وارتفع البناء وزاد في ارتفاعها على ما كانت
عليه في بناء قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا زاد بعضهم وربع ذراع
وبناها على مقتضى على ما حدثته به خالته عائشة رضي الله تعالى عنها فادخل فيه الحجر
اي لانه يجوز ان يكون ادخال الحجر هو الذي سمعه من عائشة فعمل به دون غير ذلك من
الروايات المتقدمة الدالة على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع او وشيء
او قريبا من سبعة اذرع وفيه ان هذا اي قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم
من ان قريشا اخرجت منها الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر
واما اذا لم يكن خارجا عن جميع الحجر كيف ينفذه ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته
به خالته عائشة على انه سيأتي عن نص حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لها
فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوا فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة

اذرع فلبنا مل وجعل لها خلفا اي بابا من خلفها والصقه بالارض كالمقابل لها
قال ولما ارتفع البنا الي مكان الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد مصدعا لسبب
الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في تابوت واقفل عليه وادخله
دار الندوة حتي وصل البنا الي محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر ان يحملاه ويضعاه بمحله
وقال لهما اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتي اسمعكما فاخفف صلاتي فانه صلى بالناس
بالمسجد اغتناما لتشاغلهم عن وضعه لما احس منهم بالتنافس في ذلك اي ان كل واحد
يود ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش
حيث لم يحضرهم وكون الحجر وجد مصدوعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير شده لذلك
بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة
ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومايتين يزعمون ان لا غسل من الجنابة
وحل الخمر وانه لا صوم في السنة الا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في اذانهم
وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الي بيت المقدس وافتتن بهم
جماعة من الجهال واهل البوادي وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد
بسببه وسبب ولده ابي طاهر فان ولده ابا طاهر بني دارا بالكوفة وسماها
دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه علي البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته
من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من
خلفا بني العباس غير ما مرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر مع ركب الحاج الي مكة فوافاهم
ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلا ذريعا
والقي القتلى في بير زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه واخذه معه
وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشققها بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل
عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقي عند القرامطة اكثر
من عشرين سنة اي والناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون الف
دينار حتي اعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفا بني العباس فاعيد
الحجر الي موضعه وجعل له طوق فضة شد به وزنته ثلاثة الاف وسبعماية وسبعون
درهما ونصف قال بعضهم تاملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في راسه فقط وسايره

ابيض

ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة واربعماية قام
رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك
الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره اسمر يضرب الي الصفرة
محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه
في تلك الشقوق وطلوه بطلا من ذلك وجعل طول الباب احد عشر ذراعا والباب
الاخر بازايه كذلك فلما فرغ من بنايها خلقها من داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب
والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ من مصر وفي كلام
بعضهم اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير انتهى وبنا عبد الله الكعبة
من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات فمقتضى حديث عايشة فان بدا
لقومك من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من
ستة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير ادخل في بنايها جميع الحجر
قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده
عند القدرة عليه والتمكن منه وقد قال المحب الطبري وهذا الحديث يعني حديث عايشة
يدل تصريحا وتلويحا علي جواز التغيير في البيت اذا كانت لمصلحة ضرورية او حاجية
او مستحسنة قال الامام الحافظ ابن حجر الهيتمي ومن الواضح البين ان ما وهي وتشقق
منها في حكم المنهدم او المشرف علي الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه
وفي شعبان سنة تسع وثلاثين والف جا سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس
لعشرين من الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط الجدار الشامي من جهتيه وانحدر
معه من الجدار الشرقي الي حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم
الكثير من بيوت مكة واغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال لان الما ارتفع الي
ان سد الابواب وعند مجي الخبر بذلك الي مصر جمع متوليها الوزير محمد باشا وهو الوزير
الاعظم الان اي في سنة ثلاث واربعين والف جمعا من العلما كنت من جملتهم ووقعت
الاشارة بالمبادرة بالعمارة وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة ووقعت
منه موقعا كبيرا واعجب بها كثيرا حتي انه دفعها لمن عربها باللغة التركية
وارسلها لحضرة مولانا السلطان مراد اعز الله انصاره وذكرت فيها ان الحق

الكعبة لم تبني جميعها الا ثلاث مرات المره الاولي بنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام
والثانية بنا قريش وكان بينهما الفاسنة وسبعماية ستة وخمس وسبعون سنة
والثالثة بنا عبد الله بن الزبير اي وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة واما
بنا الملايكة وبنا آدم وبنا شيث لم يصح واما بنا جرهم والعمالقة وقصي فانه
كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعا الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن
عبد الله بن الزبير وحينيذ يكون ما جا في الحديث استكثروا من الطواف
بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد
هدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث فلا يعاد ووذكر الامام البلقيني
ان كون ابن الزبير اول من كسا الكعبة الديباج اشهر من القول
بان اول من كساها الديباج ام العباس بن عبد المطلب كما سيأتي وجاز ان يكون
عبد الله بن الزبير كساها اولا القباطي ثم كساها الديباج والله اعلم وكان كسوتها
اي في زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان اول من كساها تبع الحميري كساها
الانطاع ثم كساها الثياب الحبرة اي وفي رواية كساها الوصايل وهي برود حمر
فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفي كلام الامام البلقيني ويروي ان تبعا اليماني
لما كساها الخسف انتفضت فزال عنها فكساها المسوح والانطاع
فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصايل فقبلتها قال والوصايل ثياب
موصولة من ثياب اليمن وفي الكشاف كان تبع الحميري مومنا وكان قومه كافرين
ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان
قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي هذا وقد
نقل الشمس الحموي في كتابه المناهي الزهيه والمباهي المرضيه عن ابن عباس انه كان نبيا
وقيل اول من كساها عدنان ابن ادد وكانت قريش تشترك في كسوة الكعبة
حتى نشا ابو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش انا اكسو الكعبة سنة وحدي وجميع
قريش سنة اي وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة ففعل ذلك الى ان مات
فسمته قريش العدل لانه عدل قريش وحده في كسوة الكعبة وقال البلقيني ولعل
كسوتها لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله
عليه وسلم

ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفي كلام بعضهم اول من كسا
الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان القباطي وكساها
معاوية الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسي الديباج يوم عاشورا والقباطي
في اخر رمضان والاقتصار على ذلك دعا بنيه ان عطف الحبرات على القباطي من عطف
التفسير قليلا مل وكساها المامون الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي
فكانت تكسي الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض
يوم سبع وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسي في زمن المتوكل العباسي
ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر في ذلك الى الان في كل سنة
وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك
الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلوون في سنة نيف وخمسين وسبعماية
اي والان زادت القرى على هاتين القريتين والحاصل ان اول من كساها على الاطلاق
تبع الحميري كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعماية سنة قيل وسبب كسوة
ام عمه صلى الله عليه وسلم لها الديباج ان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته
لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اي وكانت من بيت مملكة وقيل
اول من كساها الديباج عبد الملك بن مروان اي وهو المراد بقول ابن اسحاق اول
من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امرا عبد الملك وقد سيل الامام
البلقيني هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها في دوران
المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي
ترجي بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والاخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل
الشريف فان في ذلك المناسب للحال المنيف هذا كلامه اي واول من حلى بابها بالذهب
جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بير زمزم وجد فيها الاسياف
والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا لها وجعل في ذلك الباب الغزالتين
فكان اول ذهب حليته الكعبة على ما تقدم واول من ذهب الكعبة في الاسلام
عبد الملك بن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على اساطينها صفايح الذهب
وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب يقال انه

ارسل لعامله على مكة ستة وثلاثين الف دينار ويضرب منها على باب الكعبة
وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل وذكر الامين
ابن هارون الرشيد ارسل الى عامله بمكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفائح
الذهب على باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها وجعل ذلك
مساميرها وحلقتي الباب والعتبة من الذهب وان ام المقتدر الخليفة العباسي
امرت غلاما لها لؤلؤا ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل وقال
عبد الله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج فليعتمر من
التنعيم ومن قدر ان ينحر بدنة فليفعل وان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر
فليتصدق بما تيسر واخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة
جميعا فلم تزل الكعبة على بنا عبد الله بن الزبير لتستلم اركانها الاربع اي لانها
على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب
حتى قتل اي قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو
بالمسجد لان الحجاج كان اميرا على الجيش الذي ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله
وكتب عبد الملك ابن مروان الى الحجاج ان اهدم ما زاده ابن الزبير فيها اي يهدم البنا
الذي جعله على اخر الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت قريش اخرجتها بدليل
قوله وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح اي وان يرفع الباب الاصلي
الى ما كان عليه زمن قريش واترك سايرها اي لانه اعتقد ان ابن الزبير فعل ذلك
من تلقا نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بان عبد الله بن الزبير وضع البنا
على اس قد نظر اليه العدول من اهل مكة اي وهم خمسون رجلا من وجوه الناس
واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير في شيء فنقض
الحجاج ما ادخل من الحجر وسد الباب الثاني اي الذي في ظهر الكعبة عند الركن اليماني
ونقص من الباب الاول خمسة اذرع اي ورفعه الى ما كان عليه في زمن قريش فيما
تحته اربعة اذرع وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة اليوم وفي لفظ ان الحجاج
لما ظفر بابن الزبير كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبة
ما ليس منها واحدث فيها بابا اخر واستاذن في رد ذلك على ما كانت عليه في الجاهلية

فكتب

فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج
فشا مرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل الواقع سنة تسع وثلاثين بعد الالف على بنيان
ابن الزبير الا الجانب الذي يلي الحجر فانه من بنيان الحجاج اي والبنا الذي تحت العتبة
وهو اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان في عهد العمالقة وجرهم وابراهيم
عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب
الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل ارض الكعبة اي التي وضعها عبد الله بن الزبير
اي ولعل انما وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبنا فلا ينافي ما اخبرني به بعض
الثقاة ان بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي اخرجت من الكعبة زمن عبد
الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت الذي كان فيه تلك الحجارة كان بالبنا لعبد الله
ابن الزبير وبنا الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير وهي سنة ثلاثة
وسبعين وقيل ولما دخل عبد الله بن الزبير وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر
وقيل سبعة اشهر وسبعة عشر ليلة على امه اسما قبل قتله بعشرة ايام وهي شاكية
اي مريضة فقال لها كيف تجدك يا امه قالت ما اجدني الا شاكية فقال لها ان
في الموت لراحة فقالت لعلك تتمناه لي ما احب ان اموت حتى ياتي على احد طرفيك
اما قتلت واما ظفرت بعدوك فقرت عيني ولما كان اليوم الذي قتل فيه دخل
عليها في المسجد فقالت له يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذي تخاف
القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة سوط في ذل ويقال ان الناس لا زالوا
ينتقلون عن ابن الزبير الى الحجاج لطلب الامان وهو يؤمنهم حتى خرج اليه قريب
من عشرة الاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير
واخذا لانفسهما امانا من الحجاج فامنهما ودخل عبد الله على امه فشكى اليها خذلان
الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى اولاده واهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم
يعطونني ما شئت من الدنيا فما رايك فقالت يا بني انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم
انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك
تلعب بها غلمان بني امية وان كنت اردت الدنيا فلبيس العبد انت اهلكت نفسك
واهلكت من قتل معك كم خلودك في الدنيا فدنى منها وقبل راسها وقال والله

ما ركنت الي الدنيا ولا احببت الحياة فيها وما دعاني الي الخروج الا الغضب بان
تستحل حرمته وبعد ان قتل وصلب علي الجذع فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام
جات امه اسما رضي الله تعالي عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتي وقفت
عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينيها دمعة وقالت للحجاج اما آن لهذا
الراكب ان ينزل فقال لها الحجاج المنافق رايت كيف نصر الله الحق واظهره انك
الحد في هذا البيت وقد قال الله تعالي ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد
اذاقه الله ذلك العذاب الاليم وفي كلام سبط ابن الجوزي ان ابن الزبير لما قال
لعثمان رضي الله تعالي عنه وهو محاصر ان عندي نجايب اعددتها لك فهل
لك ان تنجو الي مكة فانهم لا يستحلونك بها فقال له عثمان سمعت رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش او بمكة يكون عليه نصف عذاب
العالم فلن اكن انا وفي رواية قال له لا اني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس هذا كلامه
وعندي ان المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من قريش
علي ان الذي في الصواعق لابن حجر الهيتمي ان القايل لعثمان ذلك المغيرة ابن
شعبة ولما سمعت سيدتنا اسما الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت له كذبت
والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما برا اول مولود ولد في الاسلام
بالمدينة وسر به رسول الله صلي الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون
يوميذ حتي ارتجت المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله
يبغض ان يعصي الله عز وجل قال اخرجي فانك عجوز قد خرفت قالت والله
ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب
ومبير اما الكذاب فقد رايناه يعني المختار ابن ابي عبيد الثقفي والي العراق
فانه لما قتل الحسين اتفق مع طايفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين
ولما قتل ندموا علي ذلك فوافقوا المختار علي مقاتلة من قتل الحسين من اهل الكوفة
فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملك الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك
ثم قالت واما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسما كتب اليه
يلومه علي ذلك اي ومن ثم ارسل اليها الحجاج فابت ان تاتيه فاعاد عليها الرسول

اما

اما ان تاتيني او لابعثن اليك من يسحبك بقرونك فابت وقالت والله لا اتيك
حتي تبعث الي من يسحبني بقروني فعند ذلك اخذ نعليه ومشي حتي دخل عليها
فقال يا امه ان امير المومنين اوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك
بام ولكني ام المصلوب علي راس الثنية وما لي من حاجة ولكن انتظر حتي احدثك
ما سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد رايناه يعني المختار
واما المبير فانت فقال الحجاج مبير للمنافقين ومن كذب المختار انه ادعي
النبوة وان ياتيه الوحي ويسره لك لا احيا به وفي دلايل النبوة للبيهقي عن بعضهم
قال كنت اقوم بالسيف علي راس المختار بن ابي عبيد فسمعته يوما يقول قام
جبريل عن هذه النمرقة وفي رواية من علي هذا الكرسي فاردت ان اضرب
عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا امن الرجل
الرجل علي دمه ثم قتله رفع له لوا الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل هذا
مستند ما نقل عن كتاب الاملا لامامنا الشافعي رضي الله تعالي عنه من القول
بان المسلم يقتل بالمستامن وقد كتب للاحنف بن قيس وجماعة وقد بلغني
انكم تسموني الكذاب وقد كذب الانبيا من قبلي ولست بخير منهم وقد
كان يقع منه امور تشبه الكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبيد الله بن زياد
المجهز للجيش لمقاتلة الحسين رضي الله تعالي عنه كما تقدم قال لاصحابه
في غد ياتيكم خبر النصر وقتل بن زياد فكان كما اخبر وجي براس بن زياد
والغيث بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين
ثم قتل المختار وكان قتل المختار علي يد مصعب بن الزبير جي براس المختار بين
يدي مصعب لما ولي العراق من جانب اخيه لابيه عبد الله بن الزبير ومما يوثر
عن مصعب العجب من ابن ادم كيف يتكبر وقد جري في مجري البول مرتين
ثم قتل مصعب وقطعت راسه ووضعت بين يدي عبد الملك ابن مروان
وعن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال له يا امير المومنين دخلت القصر
قصر الامارة بالكوفة فاذا راس الحسين علي ترس بين يدي عبيد الله ابن زياد

وعبيد الله بن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله
ابن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرايت راس
المختار بين يدي مصعب بن الزبير ومصعب على السرير ثم دخلت بعد ذلك بحين فرايت راس
مصعب بن الزبير بين يديك وانت على السرير فقال لا اراك الله الخامسة ثم امر
بهدم ذلك القصر **وعن** امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان ابا الحجاج لما دخل بام
الحجاج واقعها فنام فراى قايلا يقول له في المنام ما اسرع ما اتيت بالمبير
وفي كلام سبط بن الجوزي ان ام الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها
بسبب انه دخل عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها
ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك
لنهمة كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا وما هو شي مما
ظننت ولكني استكت فاردت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها
فخرج فلقي يوسف بن ابي عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شي ادعوك اليه
قال وما ذاك قال اني نزلت عن سيدة نسا ثقيف وهي الفارعة فتزوجها تنجب
لك فتزوجها فولدت له الحجاج **وفي** حياة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج عند
امية ابن ابي الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان
تزوجها لابيه كان قبل المغيرة وكونها سيدة نسا ثقيف يبعد القول بانها
المتمنية التي منها سيدنا عمر وهي تنشد هل الى سبيل الى خمر فاشربها الابيات
وانه كان يعيرها فيقال له ابن المتمنية **وفي** مدة صلب عبد الله بن الزبير
صارت امه تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته وذهب اخوه عروة
ابن الزبير الى عبد الملك بن مروان يسال له في انزاله عن الخشبة فاجابه وانزله
قال غاسله كنا لا نتناول عضوا من اعضايه الا جا معنا فكنا نغسل العضو
ونضعه في اكفانه وقالت فصلت عليه امه وماتت بعده بجمعة ذكر
ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بماية يوم قال الحافظ بن كثير وهو المشهور
وبلغت من العمر ماية سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير
ماتيان وارىعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من جملة من قتل عبد الله

ابن صفوان ابن امية الجمحي قتل يوم قتل ابن الزبير وقطع راسه وبعث الى الحجاج
براسه وراس ابن الزبير الى المدينة فنصبوهما وصاروا يقربون راس عبد الله ابن
صفوان الى راس ابن الزبير كانه يساره ويلعبون بذلك ثم بعثوا بهما الى عبد الملك
ابن مروان ولما وضعت راس عبد الله بن الزبير بين يدي عبد الملك سجد وقال
والله كان احب الناس الي واشدهم الي الفا ومودة ولكن الملك عقيم اي فان
الرجل يقتل ابنه واخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم وستاتي
مدحة عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ امير الجيش الذي ارسله يزيد لمقاتلته
وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان اني قد اقلتك بيعتي فاذهب حيث
شئت فقال انما اقاتل عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل
وهو متعلق باستار الكعبة وحينئذ يشكل كونه حرما امنا ومما يدل لما تقدم
من ان عبد الله ابن الزبير كان عنده سوء خلق ما حكي انه جا اليه شخص
فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس يطلبون العلم وان الناس على باب اخيه
عبيد الله يطلبون الطعام فاحدهما يفقه الناس والاخر يطعم الناس فما
ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له انطلق الى ابني العباس وقل لهما يقول
لكما امير المومنين اخرجا عني والا فعلت وفعلت فخرجا الى الطايف اي وقيل انما
خرج عبد الله بن عباس من مكة الى الطايف الا لان الله تعالى يقول ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم **وقد قال** الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم ان الله تعالى
قد عفى عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله
يواخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس رضي الله
تعالى عنهما بالطايف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان يدفع عن
قلبه الخواطر **قال** بعضهم كان يقال من اراد الفقه والجمال والسخا فليات
دار العباس الجمال للفضل والسخا لعبيد الله والفقه لعبد الله **قيل** ولما حج عبد الملك
اي وذلك في سنة خمس وسبعين قال له الحارث انا اشهد لابن الزبير بالحديث الذي
سمعه من خالته عايشة رضي الله تعالى عنها قال انت سمعته منها قال نعم فجعل
ينكت بالمنارة فوق بقضيبه كان في يده الارض ساعة ثم قال وددت اني كنت

تركته يعني بن الزبير وما تحمل وفي رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج وددت انك
تركت ابن الزبير وما تحمل وهو الموافق لما في تاريخ الازرقي ان الحارث وفد على عبد الملك
ابن مروان في خلافته فقال له عبد الملك ما اظن ان ابا خبيب يعني ابن الزبير سمع من عايشة
رضي الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع منها في بنا الكعبة قال الحارث انا سمعته منها
قال عبد الملك انت سمعتها منها الحديث وكون عايشة رضي الله تعالى عنها حدثت ابن الزبير
ما ذكر لا ينافي ما في تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت ابن الزبير يقول حدثتني
امي اسما بنت ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة لولا قرب عهد
قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحديث
وفي رواية ان عايشة رضي الله تعالى عنها نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصلي في البيت ركعتين فلما فتحت مكة اي وحجة الوداع سالت النبي صلى الله
عليه وسلم ان تفتحها باب الكعبة ليلا فجا عثمان بن طلحة بالمفتاح الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيدها وادخلها الحجر وقال صلي هاهنا فان الحطيم اي الحجر من البيت الا ان قومك
قصرت بهم النفقة اي الحلال فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية
لنقضت بنا الكعبة واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم في البيت والصقت العتبة
على الارض ولين عشت الى قابل لافعلن ذلك ولم يعش ولم يتفرغ الخلفا لذلك
ومما ذكر يعلم ما في قول الاصل فهدمها اي عبد الملك وبناها على ما كانت عليه في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الحجاج لم يبن الا الجانب الذي يليه الحجر والبنا
الذي تحت العتبة والدرجة التي في باطنها واما التراب الذي جعل في باطنها فيحتمل انه يكون
هو التراب الذي اخرجه عبد الله بن الزبير استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره
ولم اقف على بيان ذلك في كلام احد والشاذروان الذي اخرجه عبد الله بن الزبير
من عرض الاساس الذي بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البنا وثباته ومن العجب
ما حدث به بعضهم قال كنت اميرا على الجيش الذي بعث به يزيد بن معاوية لعبد الله
ابن الزبير بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست لجانب عبد الملك ابن مروان فقال لي عبد الملك
انت امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك امك اتدري الى من تسير تسير الى اول مولود ولد في الاسلام

اي بالمدينة من اولاد المهاجرين والى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى ابن ذات النطاقين يعني اسما والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جيته
نهارا وجدته صايما وان جيته ليلا لتجدنه قايما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله
لاكبهم الله في النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج
حتى قتلناه وذكر بعضهم ان عبد الملك ابن مروان لما راى جيش يزيد بن معاوية متوجها
الى مكة قال اعوذ بالله ايبعث الجيش الى حرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا
واسلم وكان يقرا الكتب وقال له جيشك اليه اعظم ويقال ان هذا اليهودي مر على
دار مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد من اهل هذه الدار اي لان
مروان كان سببا لقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل
عبد الله ابن الزبير ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة اي وسبب
ولاية الحجاج على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رايت في منامي اني اخذت عبد الله
ابن الزبير فسلخته فولني قتاله فولاه فارسله في جيش كثيف من اهل الشام فحصر
ابن الزبير ورما الكعبة بالمنجنيق ولما رمي به ارعدت السما وابرقت فخاف اهل
الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وانا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه
فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا فخاف اهل
الشام زيادة قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم على الرمي بالمنجنيق ولم تزل الكعبة
ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالحمم اي وفيه انه لو كانت
هدمت او حرقت لاعيد بناوها واصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر
الدواعي على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذي وقع من جيش يزيد
واقع من الحجاج فان قيل هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك ابرهة
قلنا لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة كما تقدم وفيه انه قد
يشكل كونه حرما امنا وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال حين
وقع بينه وبين ابن الزبير اي وامره بان يخرج الى الطايف وبهدده على ما تقدم
قلت ابوه الزبير وامه اسما وخالته عايشة وجده ابو بكر وجدته صفية وفي رواية
عنه انه قال اما ابوه فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير واما جده

فصاحب الغار يريد ابا بكر واما امه فذات النطاقين يريد اسما واما خالته فام المومنين يريد عايشة واما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة واما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية ثم عفيف في الاسلام وقاري القران ثم قتل عبد الله ابن الزبير ارتجت مكة بالبكا فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال في خطبته الا ان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة الا انه نازع الحق اهله ان الله خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطا اخرجه من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم اي ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما روي ان عبد الله بن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك امه امسكت عن ارضاعه فقال لها صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت او ليقتلن دونه وفي حياة الحيوان ان العرب اذا ارادوا مدح الانسان قالوا الكبش واذا ارادوا ذمه قالوا التيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في المحلل التيس المستعار وقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى المدينة وعلى وجهه لثام فراى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة فقال شر حال قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعاين الله ورسوله من قليل المراقبة لله فتغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رايته قال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج اللثام عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون في كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفا الله الا بعد من جنونه ولا عافاه وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه امر لم ينقل مثله عن احد وكان يخبر عن نفسه ويقول ان اكبر لذاته سفك الدما قال بعضهم والاصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحارث بن كلدة طبيب العرب وقال اذبحوا له تيسا اسود والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدي امه ذكر انه اتي اليه بامراة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما

فقال

فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة فقالت اني استحيي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه فامر بها فقتلت وقد احصي الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ مائة الف وعشرين الفا ولما عزى سيدتنا اسما عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه وامرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدي راس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرايل وقد جا ان هذا البغي اول من يدخل النار وقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه يوم قتل يا امه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله فان ابنك لم يتعمد لاتيان منكر ولا عمل بفاحشة وفي كون عبد الله بن عمر تاخر موته عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج حربته ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك في الطواف فمرض من ذلك اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل ليعوده فسأله عمن فعل به ذلك فقال له قتلني الله ان لم اقتلك فقال له عبد الله لست بقاتلي قال ولم قال لانك الذي امرته وقول عبد الله بن عمر للحجاج انك سفيه مسلط يشير الى قول ابيه عمر رضي الله تعالى عنهما فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اي رجموه بالحجارة خرج غضبان فصلى فسهى في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم لبسوا على فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل ان يولد الحجاج ثم رايت في تاريخ ابن كثير لما مات ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك ابن مروان بايعه عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ويوافقه ما في الدلايل للبيهقي ان ابن عمر وقف على ابن الزبير وهو مصلوب وقال السلام عليك ابا خبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله ابن الزبير مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه غيره فيها وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفا بني العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه يعرف اربعين لغة ويباري فيها

وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير يوما في كلام جرى بينهما لا ام لك فقال
الي تقول هذا وانا ابن عجايز الجنة يعني جدته صفية وعمته خديجة
وخالته عايشة وامه اسما وقال الحجاج يوما لشخص ما تقول في عبد الملك
ابن مروان فقال الرجل ما اقول في رجل انت سية من سياته وقد اطلق سليمان
ابن عبد الملك لما ولي الخلافة من سجن الحجاج سبعين الفا قد سجنهم للقتل ليس
لواحد منهم ذنب يستوجب به السجن فضلا عن القتل وذكر انه كان يسجن الرجال
مع النسا ولم يكن لحبسه بيوت لظلية فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة
تبول بجانب الرجل فتبدوا العورات وكان عشرة في سلسلة ويطعمهم خبز
الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل
له اهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم اخسيوا فيها ولا تكلمون فما
عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة واخر من قتله الحجاج من الناس سعد بن جبير ولم
يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا وقال عمر ابن عبد العزيز لو جات كل امة بفرعونها
وجينا بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك لرجل من اعدا الحجاج بعد
موته الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا امير المومنين يجي الحجاج يوم القيامه
بين ابيك عبد الملك وبين اخيك هشام بن عبد الملك قطعه من النار حيث
شيت ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله
استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى بيديه الي عينيه هم
الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بامعايهما ثم عاد ميتا كما كان هو
والحجاج مثل في الظلم فقد رايت بعضهم حكى انه يقال في المثل
اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا واستحلف
واستحلف الحجاج رجلا في امر فقال لا والذي انت بين يديه غدا اذل
مني بين يديك اليوم فقال والله في يومئذ لذليل واول من ضرب الدراهم
في الاسلام الحجاج بامر عبد الملك بن مروان وكتب عليها قل هو الله احد
الله الصمد اي على احد وجهي الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك

فلا هو الله احد وعلى وجه
الثاني الله الصمد ولم يوجد الدراهم

ابن مروان وكانت الدراهم قبل ذلك رومية وكسروية وفي زمن الخليفة المنتصر
المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفا بني العباس ضرب الدراهم
وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة اربع وعشرين وستماية
ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سال هل بالمدينة احد ادرك احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابو حازم فارسل اليه فلما
دخل عليه ساله فقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخربتم اخرتكم
وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من عمران الي خراب فقال له وكيف القدوم
على الله قال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسي فكالابق يقدم على
الاهوال فبكى سليمان وقال يا ليت شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك
على كتاب الله تعالى فقال في اي مكان اجده فقال في قوله تعالى ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قريب من المحسنين قال فاي
عباد الله اكرم قال اولوا المروة وجا اعرابي الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال
يا امير المومنين اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراه ان قبلته ما تحب فقال
سليمان هاته يا اعرابي فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما خرست عنه الالسن
تاديه لحق الله تعالى انه قد اكتنفك رجال قد اساوا الاختيار لانفسهم
وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فهم حرب للاخرة وسلم للدنيا فلا تامنهم على ما استحفظك الله
عليه فانهم لن يالوا بالامانة وانت مسيول عما اجترحوا فلا تصلح دنياهم
بفساد اخرتك فان اعظم الناس عند الله عيبا من باع اخرته بدنيا غيره
فقال له سليمان اما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو
سيفك قال اجل يا امير المومنين لك لا عليك وحج بالناس قال الوليد عمه
وولي عهده عمر بن عبد العزيز الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا
الله ولا يسع رزقهم غيره فقال يا امير المومنين هولا رعيتك اليوم وهم غدا
خصماوك عند الله فبكى سليمان بكا شديدا ثم قال بالله استعين وقال
يوما لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى

ما نحن فيه فقال يا امير المومنين هذا امر ولولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك وفرح لولم يعقبه ترح ولذات لولم تقرن بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان حتى اخضلت دموعه لحيته

ولاية عمر بن عبد العزيز بنو امية جد لامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقيم رضي الله تعالى عنه انه قال ان من ولدي بوجهه شين ولي رواية علامة يملا الارض عدلا فكان ولده عبد الله يقول كثيرا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة يملا الارض عدلا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر قال فنظر فاذا هو عمر بن عبد العزيز لان امه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب ومما يؤثر عن سليمان بن عبد الملك انه لما ولي الخلافة وقام خطيبا قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء اعطى ومن شاء منع ان الدنيا غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال في خطبة من خطبه ايضا ايها الناس ابن الوليد وابو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واستفزهم العوادي واضمحل ما كان كان لم يكن ذهب عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور واستندوا بلين الوطا خشن التراب فهم رهنا فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ولما ولي الخلافة ابو جعفر المنصور اراد ان يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك بن انس انشدك الله اي بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة اي اسالك بالله يا امير المومنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشا احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رايه فيه قال وذكر الطبري في مناسكه ان الذي اراد ذلك ونهاه مالك هو الرشيد انتهى اقول وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر عليه لان المنصور مات محرما ببير معونة لستة ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز ان يكون دخل المدينة قبل مسيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام مالك رضي الله

عنه

عنه ما تقدم وان الرشيد ايضا اراد ذلك واستشار الامام مالكا فاشار عليه بما ذكر ثم رايت في تاريخ ابن كثير لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالكا في ردها الى الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له اني اخشى ان يتخذها الملوك ملعبة ورايت في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما حج وهو خليفة اربع حجات غير الحجة التي مات فيها وكذا في القرى لقاصد ام القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة قبل يوم التروية بيومين وانه امر في بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ المصفوي ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل جماعة امامه وقال لهم حيثما وجدتم سفيان فخذوه واصلبوه فنصبوا الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام راسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له قد خوفنا عليك بالله لا تشمت بنا الاعداء ثم اختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببير ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وصوله حبله وركبه فليتامل ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان المنصور لما خرج للحج وجاوز الكوفة بمراحل اخذه وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فنزل بها وتوفي ولعل هذا لا يخالف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل القريب منها وان مع انطلاق بطنه زلقت به فرسه قيل واخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقايك ومما يوثر عنه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه والله اعلم وتقدم ان قصيا لما امر قريشا ان تبني حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلما ولي عمر راى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها

ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه ابوابا ثم وسعه عثمان
ثم عبد الله بن الزبير ثم ان عبد الملك بن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج
ثم ان الوليد بن عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج
المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي
اولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد اذ خلت
دار الندوة في المسجد وتسمى مكة قادس وتسمى قرية النمل لكثرة نملها الا ان الله سلط
فيها النمل على العماليق لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من الحرم كما تقدم ولها
اسما كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمؤلف اقول وسيأتي عن الامام النووي
انه ليس في البلاد اكثر اسما من مكة والمدينة والله اعلم قال وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه خلقت الكعبة اي موضعها قبل الارض بالفي عام كانت خشفة على الما
عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله عز وجل ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها
في وسط الارض انتهى وسئل الجلال السيوطي عن قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام هل كانت ايام موجودة قبل خلق السموات
والارض فاجاب بان خلق السموات والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة
من غير تقديم لاحدها على الاخر واستند في ذلك لماثور التفسير وفي الحديث ان الله
حرم مكة قبل ان يخلق السموات والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حرم مكة معناه اظهر حرمتها

باب الثامن عشر

ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن احبار الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ورد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما

قال ابن اسحاق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان
من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه
اما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة

زمانه

زمانه واما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين فيما يسترق من
السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن
والكاهنة لا تزال تقع منهما ذكر بعض اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا
حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه
تصريح بان الملائكة كانت تصرح بذكره صلى الله عليه وسلم في السما قبل وجوده فاما
اخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جا عن سلمة بن سلامة
وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر اي عند
قوم اصحاب اوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار
فقالوا له ويحك يا فلان اوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار
فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ولود اي لتمنى ان له
حظه من تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجوا
من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد
واشار بيده الى مكة واليمن فقالوا ومن يراه فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال
ان يستنفذ اي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب
الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اي ذلك اليهودي بين
اظهرنا فامنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا
فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به ومن ذلك ما جا عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله
تعالى عنه قال رغبت عن الهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها فلقيت
رجلا من اهل الكتاب من اهل تيما اي وهي قرية بين المدينة والشام فقلت
اني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة
احجار فينصب ثلاثة لقدره اي يستنجيها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله
يجد ما هو احسن منه شكلا قبل ان يرتحل فيتركه وياخذ غيره واذا نزل منزلا سواه
وراى ما هو احسن منه تركه واخذ ذلك الاحسن فرايت انه اله باطل لا ينفع
ولا يضر فدلني على خير من هذا قال يخرج من مكة رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى
غيرها فاذا رايت ذلك فاتبعه فانه ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك

الامكة اتي فاسال هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمته مرة فسالت فقيل لي
حدث رجل يرغب عن الهة قومه و يدعوا الي غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت
منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه اشد نبي
فتلطفت له حتي دخلت عليه فسالته اي شي انت قال نبي قلت من نباك قال
الله قلت وبم ارسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدما وبكسر الاوثان
وصلة الرحم وامان السبيل فقلت نعم ما ارسلك به قد امنت بك وصدقتك اتامرني
ان امكث معك او انصرف فقال الا تري كراهة الناس ما جيت به فلا تستطيع
ان تمكث كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى
خرج صلي الله عليه وسلم الي المدينة سرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم
انت السلمي اتيتني بمكة. ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال
من قومه قالوا انما دعانا الي الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع
من احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس
لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا
قد تقارب زمان نبي يبعث الان نقتلكم قتل عاد وارم اي يستاصلكم بالقتل فكان
كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا
الي الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروا ففي
ذلك نزلت هذه الايات في البقرة ولما جاهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين. ومن ذلك ما حدث به شيخ من قريظة قال ان رجلا من يهود من اهل الشام
يقال له ابن الهيبان اي الحيان قدم الينا قبل الاسلام بسنتين فحل بين اظهرنا والله
ما راينا رجلا قط لا يصلي الخمس افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين لان المسلمين
يصلون الخمس ولا اصليه لا زايده فاقام عندنا فكنا اذا قحط المطر اي احتبس قلنا له
اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتي تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة
فنقول له كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الي ظاهر
حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي قد فعل ذلك غير مرة اي

لا مرة

لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت
قال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر بالتحريك وباسكان الميم الشجر
الملتف والخمير الي ارض البوس والجوع فقلنا انت اعلم قال فانما قدمت هذه الارض
اتوكف اي اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اي اقبل وقرب كانه لقربه اظلهم اي القي
عليهم ظله وهذه البلد مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه
فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدما وبسبي الذراري والنسا
ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر
بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الها وفتح الدال المهملة وقيل باسكانها اخوة
بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية وقال اسيد بالتصغير واسد
ابن عبيد وكانوا شبانا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا
فاحرزوا دماهم واموالهم واهليهم كما سيا تي. قال ومن ذلك خبر العباس رضي الله تعالى
عنه قال خرجت في تجارة الي اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة
ابن ابي سفيان ان محمدا قايم في ابطح يقول انا رسول الله ادعوكم الي الله ففشا
ذلك في مجالس اهل اليمن فجانا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي
قال ما قال فقال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة
قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده
فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابي سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب
فوثب الحبر وترك رداه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما
رجعنا الي منزلنا قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك
فقلت قد رايت لعلك ان تومن به قال لا او من به حتى ارى الخيل في كدا اي بالمد
قلت ما تقول قال كلمة جات على فمي الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع على
كدا قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الي الخيل
قد طلعت من كدا قلت يا ابا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي والله اني لاذكرها
انتهى. ومن ذلك ما جا عن امية بن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب
صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف

فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف بأخلاقه الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز
الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان رضي الله تعالى عنه فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال امية اما انه حق فاتبعه فقلت
له فانت ما يمنعك قال الحيا من نسا ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير
تبعا لفتى من بني عبد مناف وسياتي ذلك بابسط مما هنا واما اخبار الرهبان من
النصارى فمنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه
قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل فيكم
احد من اهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد المطلب
ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اي الذي يبعث فيه وهو اخر الانبيا مخرجه
من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع
في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر بذلك فخرج ابو بكر حتى دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية
ابا بكر وطلحة رضي الله تعالى عنهما فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين انتهى
اقول يحتمل ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان
ببصرى كما تقدم في سفره صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهما وهو اولى لما تقدم
ان كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله اعلم اي ومنها ما حدث به سعيد بن العاص
ابن سعيد قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي ابان ابن سعيد وكان يكثر
السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شي سال
عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه
فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اي اشرافهم
فقال لهم اني كنت بقرية فرايت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ اربعين
سنة اي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجيت فقلت ان لي حاجة
فقال من الرجل فقلت اني من قريش وان رجلا هنا كخرج يزعم ان الله ارسله
قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج فقلت عشرين سنة قال الا اصفه لك قال
بلى فوصفه لي فما اخطا في صفته شيا ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل

صومعته

صومعته وقال لي اقرا عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية اي والحديبية سياتي
انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب اي ومنها ما حدث به حكيم بن حزام بالزاي رضي الله
تعالى عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل
الينا ملك الروم فجيناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم
ابن حزام يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقي فيما اسالكم عنه فقلنا نعم فقال
انتم ممن اتبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسالنا عن اشيا مما جابهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فاتى محلا في قصره وامر بفتحه
وجا الى سفط فامر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال
هذه صورة ادم ثم تتبع ابوابها فيفتحها ويكشف عن صور الانبيا ويقول لنا هذا
صاحبكم فيقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال اتعرفون
هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبكم قال اتدرون متى صورت هذه الصورة
قلنا لا قال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عبده
فاشرب ما يغسل من قدميه ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه وانه راى
صورة ابي بكر اخذ بعقبه تلك الصورة واذا صورة عمر اخذة بعقب صورة ابي بكر فقال
من ذا الذي اخذ بعقبه قلنا هو ابن ابي قحافة قال فهل تعرف الذي اخذ بعقبه قلت نعم
هو عمر بن الخطاب قال اشهد ان هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة بعده وان هذا
الخليفة من بعد هذا ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال كنت رجلا
فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد اليا اي وفي لفظ
من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشات
واما ابي فمن اصبهان وكان ابي دهقان قريته اي كبير اهل قريته اي وفي لفظ كنت من ابنا
اساورة فارس وكنت احب خلق الله الى ابي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيته كما تحبس
الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطا المهملة ويروى
بفتحها يعني قاطن خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو اي تطفا ساعة وكانت لابي ضيعة
عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم فاذهب اليها
وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي لا تحتبس عني انك ان احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني

عن كل شيء من امري فخرجت اريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنايس
النصاري فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا ادري ما امر الناس لحبس
ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون فلما رايتهم
اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن عليه فوالله
ما برحتهم حتي غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم اتها ثم قلت لهم اين اصل هذا
الدين قالوا بالشام فرجعت الي ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جيته
قال اي بني اين كنت الم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت مررت بالناس
يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رايته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتي غربت
الشمس قال اي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين ابائك خير منه فقلت مه
كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا
ثم حبسني في بيته وبعثت الي النصاري فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام
فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصاري فاخبروني فقلت لهم اذا قضوا حوايجهم
وارادوا الرجعة اخبروني بهم فاخبروني بهم فالقيت الحديد من رجلي ثم قدمت
معهم الي الشام فلما قدمتها قلت من افضل اهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في
الكنيسة والاسقف بتخفيف الفا وتشديدها هو عالم النصاري ورئيسهم في الدين
فجيته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك
في كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء
يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه اشيا اكتنزها لنفسه ولم يعطه
المساكين حتي جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رايته
يصنع ثم مات فاجتمعت النصاري ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم
بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جيتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها
شيا فقالوا لي وما علمك بذلك قلت انا ادلكم علي كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا
سبع قلال مملوة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نحو نصف اردب
فضة فلما راوها قالوا والله لا ندفنه ابدا فصلبوه ورموه بالحجارة اي ولم يصلوا
عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر ولا ياكل شيا من الشهوات

ومن ثم قال

ومن ثم قال في الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة علي ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا
ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا علي نفسه من الفتنة التي حذرنا الله تعالي منها
بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني ومن
فوايد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورايت
شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب اي الملوك فلم يرض وقال
النظر الي الدنيا منهي عنه عندنا قال ورايت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا
ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا
راوا علي عمامته نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدراهم مذموم فقالوا عندنا
وعند نبيكم هذا كلامه وعند ذلك جاؤا برجل اخر فجعلوه مكانه فما رايت رجلا لا يصلي
الخمس اري انه افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد
في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا اداب ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا لم احبه
شيا قبله فاقمت معه زمانا حتي حضرته الوفاه فقلت له يا فلان اني كنت معك
واحببتك حبا شديدا لم احبه شيا قبلك وقد حضرك من امر الله ما تري فالي
من توصني قال اي بني والله ما اعلم احدا علي ما كنت عليه ولقد هلك الناس
وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو علي ما كنت عليه
فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما امرني
به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته علي امر صاحبه فاقمت مع خير رجل
فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصي بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك
من امر الله ما تري فالي من توصي بي وبم تامرني قال يا بني والله ما اعلم رجلا علي
مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت
بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده
فوجدته علي ما امر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما احتضر
اي حضرته الملايكة لقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصي بي الي فلان ثم فلان
اوصي بي اليك فالي من توصي بي والي من تامرني قال يا بني والله ما اعلم بقي احد
علي امرنا امرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه علي مثل ما نحن عليه

فان احببت فانه فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته
خبري فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على اصحابه وامرهم فاكتسبت
حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما احتضر قلت
له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى فلان
ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبما تامرني قال اي بني والله
ما اعلم اصبح على ما كنا عليه احد من الناس امرك ان تاتيه ولكنه قد
اظل اي اقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب
مهاجره الى ارض بين حرتين بينهما نخل به علامات ياكل الهدية ولا ياكل
الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد
فافعل ثم مات وغيب اقول وهذا السياق يدل على ان الذين من اجتمع
من النصارى على دين عيسى عليه السلام اربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون
وفي النور انهم بضعة عشر وان هذا اظهر والله اعلم قال سلمان رضي
الله عنه ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم
بقراتي هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فاعطيتموها اي اعطيتهم اياها وحملوني
معهم حتى بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني
فباعوني من رجل يهودي فكنت عنده فرايت النخل فرجوت ان تكون البلدة
التي وصف لي صاحبي ولم تحقق عندي اي لم اتحقق ذلك فبينما انا عنده
اذ قدم عليه ابن عم له من قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة
فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها اي تحققتها بصفة صاحبي فاقمت بها
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر
مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي عرق نخلة
لسيدي اعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذا اقبل ابن عم له حتى
وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني القيلة وهما الاوس والخزرج
لان قيلة امهما تنبيه جاء ان الله امد نبي باشد العرب السنا واذرعا بابني
قيلة الاوس والخزرج والله انهم الآن ليجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل

قباة

قباة بتا التانيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما
اسمعتها لخذتني الحا النافض اي الرعدة والبرحا الحا الغالب حتى ظننت اني   العرواء
ساقط على سيدي فنزلت عن النخل فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول هو
فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك
فقلت لا شي انما اردت ان اثبته فيما قال وقد كان عندي شي جمعته
اي وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما امسيت اخذته ثم ذهبت
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت فقلت له اني قد
بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غربا ذو حاجة وهذا شي كان
عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم ياكل فقلت في نفسي هذه
واحدة اي ومن ثم لما اخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة
ووضعها في فيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ اما تعرف انا لا
ناكل الصدقة رواه مسلم وروى ايضا انه صلى الله عليه وسلم اني لانقلب
الى اهلي واجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون
صدقة فالقيها ووجد صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا ان تكون من
الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا ينبغي لال محمد انما هي اوساخ الناس
وفي رواية ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد
والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض
دون النفل على اله وقال النووي لا تحل الصدقة لال محمد لا فرضها ولا نفلها ولا
لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك جا الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيا
هو ايضا يحتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ثم جيته فقلت اني رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فاكل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه فاكلوا معه فقلت في نفسي هاتان اثنتان
اي ومن ثم روى مسلم كان اذا اوتي بطعام سال عنه فان قيل هدية اكل منها وان قيل
صدقة لم ياكل منها قال سلمان جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد

وقد تبع جنازة رجل من اصحابه اي وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم نقيبا لما قدم المدينة قبل وهو اول من دفن به وقيل اول من دفن به اسعد بن زرارة
وقيل اول من دفن به عثمان بن مظعون وجمع بان اول من دفن به من المهاجرين
عثمان اي وقد مات في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به من
الانصار كلثوم او اسعد اي وفي الرقيات لابن زبر مات كلثوم ثم بعده ابو امامة
اسعد بن زرارة في شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم
يذكر الوقت الذي مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري انه مات بعد قدومه صلى الله عليه
وسلم المدينة بايام قليلة واول من مات من الانصار البراء بن معرور مات قبل
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضرته الموت اوصى ان يدفن
ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة صلى على قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم
ان اول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الان يراد الاولية
بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على القبر
قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان وهو جالس في اصحابه فسلمت عليه
ثم استدرت انظر الى ظهره فقال اري الخاتم الذي وصف لي فالقى رداه عن ظهره فنظرت
الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت
بين يديه فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع ذلك
اصحابه اي وفي شواهد النبوة لما جا سلمان الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله
عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتي بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية
فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف
الترجمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جا ليوذينا فنزل جبريل وترجم
كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي الذي ترجمه له جبريل لليهودي
فقال اليهودي يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الي فقال صلى الله عليه وسلم
ما كنت اعلمها قبل والان علمني جبريل او كما قال فقال اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا
اتهمك والان تحقق عندي انك رسول الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله

ثم قال

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال له ليغمض عينيه ويفتح فاه
ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق
يدل على ان ذلك كان عند مجيئه في هذه المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه اولا
وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذلك لعله سهل عليه ان يعبر عنه
بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرة ذلك لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية قال
وقد اختلفت الروايات عن سلمان في الشي الذي جا به الى النبي صلى الله عليه وسلم
اولا وثانيا فالرواية الاولى المتقدمة ظاهرها يقتضي انه تمر انتهى اي وفيه
من اين ان ظاهرها ذلك بل هي محتملة في جا المقرر بكونه تمرا في الاولى والثانية
في بعض الروايات فسالت سيدي ان يهب لي يوما فعمل فعملت في ذلك اليوم على
صاع او صاعين من تمر وجيت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رايته لا ياكل الصدقة
سالت سيدي ان يهب لي يوما اخر فعملت فيه على ذلك اي على صاع او صاعين من تمر
ثم جيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله واكل منه اي والذي في كلام السهيلي قال
سلمان كنت عبد الامراة فسالت سيدتي ان تهب لي يوما الحديث
وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عني سيدته زوجة سيده
لانه يقال لها سيدة في التعارف بين الناس او ان المراة هي التي اشترته
ويوبده ما ياتي وزوج تلك المراة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال
وقيل ان الذي جا به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته
واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية جيت بمايدة عليها رطب وفي
رواية عليها رطب وجمع بانه اولا قدم الخبز واللحم الذي هو المايدة والتمر ثم
الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم
فيها متحد انتهى اقول تقديم الرطب في المرة الثانية يخالفه ما تقدم انه
في المرة الثانية كان تمرا والله اعلم ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد فكان اول مشاهده الخندق كما سياتي وكان يعد ذلك
يقال له سلمان الخير وكان معدودا من اخصايه صلى الله عليه وسلم قال سلمان
ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلثماية نخلة

اي وديّة على وزن فعيلة وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الفسيلة اجيبها له
بالتفقير بالفا ثم القاف اي الحفر اي ومن ثم قيل المبير الفقير اي احفر لها واغرسها
بتلك الحفرة وتصير حية بتلك الحفرة اي وانعهدها الى ان تثمر ٥ والودية و الفسيلة
هي النخلة الصغيرة التي جرت العادة بان تنقل من المحل الذي نبتت به الى محل اخر لكن في
كلام بعضهم اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غراسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة
ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغت عمان وفي الحديث
ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان يقوم فليغرسها
وعلى اربعين اوقية اي من الذهب كما سياتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعينوا اخاكم فاعانوني بالنخل الرجل بثلاثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر
والرجل بعشر يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثماية ودية قال وفي رواية انه
كوتب على ان يغرس لهم خمسماية فسيلة اي يحفر لها ويغرسها اي ويتعهدها الى
ان تثمر وعلى اربعين اوقية قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب
يا سلمان ففقر اي بالفا وفي رواية فنقر اي بالنون اي احفر لها فاذا فرغت
فائتني اكن انا اضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها واعانني اصحابي حتى اذا
فرغت جيته صلى الله عليه وسلم فاخبرته فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ما مات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي
المال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة
الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين بيضة
الدجاجة وبيضة الحمامة اي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة
فاختلف فيها التشبيه فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له
فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك وحينئذ
قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي
لان التي يودي بعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك
البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة للكل وقد اشار صلى الله عليه وسلم للرد على
سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك

جميع

جميع ما عليك حيث قال خذها فان الله سيودي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم
منها والذي نفس سلمان بيده اربعين اوقية فوفيتهم حقهم اي وبقي عندي مثل
ما اعطيتهم قال وهذا اي سوال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في انه
الاواق التي كاتب عليها كانت ذهبا لا فضة وقد جا اي مما يدل على ذلك في بعض
الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم واين تقع هذه مما علي فقلبها
على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها وايضا اي مما يدل على ذلك ايضا ان من المعلوم ان
قدر بيضة الدجاجة من الذهب تعدل اكثر من اربعين اوقية من الفضة انتهى اي فلا
يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك اي بكونها ذهبا البلادري
والقاضي عياض في الشفا فقال على اربعين اوقية من ذهب والى الفضة اشار صاحب الهمزية بقوله

دين سلمان حين حان الوفاء	وفي قدر بيضة من نضار
ايبعتني من نخيله الاقناء	كان يدعى قنا فاعتق لما
ان عرته من ذكره العرواء	افلا تعذرون سلمان لما

اي وفي قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون اوقية
من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفي دينه منها وبقي عنده منها قدر ما اعطاهم
وسبب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اي رقيقا باليا طلا كما تقدم على ذلك و كوتب
على ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها الى ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين ايبعت العراجين
من نخيله التي غرسها اي غرست افلا تعذرون لسلمان عذرا يمنعكم من ابدا يحيين غشيته
قوة الحمى من اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشترى سلمان اي كان سببا لشرايه اي مكاتبته من قوم اليهود بكذا وكذا درهما
على ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله
صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وذكر البخاري ان سلمان غرس بيده ودية واحدة
وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سايرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال ويجوز ان يكون

كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما قبل الاخر انتهى اقول وهذا الحايط الذي غرس
فيه سلمان من حوايط بني النضير كان يقال لها المثبت وقد آل اليه صلى الله عليه وسلم
كما سياتي ولا يخفى اني اقول صاحب الهمزية كان يدعي قنا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم
ذلك وفيه انه لو لم يرق حقيقة لما اقره على الرق وامره صلى الله عليه وسلم بالمكاتبة وادى
عنه وكونه فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتامل فان قيل اذا رق حقيقة
كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يامر اصحابه ان ياكلوا مما جا به صدقة وياكل هو وهم
مما جا به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح عندنا معاشر الشافعية وعند
باقي الايمة قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ
ذلك على ان بعض اصحابنا ذهب الى صحته وفي كلام السهيلي وذكر ابو عبيد ان حديث سلمان
حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه وانه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حيث ان
الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجي مكاتبته على قواعد ايمتنا لم
يستدلوا على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه
قبول الهدية وترك سوال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فلياكل
ولا يسال والله اعلم وعن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره بالقصة
المتقدمة زاد ان صاحب عمورية قال له ايت كذا وكذا من ارض الشام فان بها رجلا
بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة الى هذه مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام الغيضه
فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاساله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان فخرجت
حتى جيت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج
لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم
لا يدعو لمريض الا شفي وغلبوني عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها
الا منكبيه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية
دين ابراهيم فقال انك لتسال عن شي ما يسال عنه الناس اليوم قد اظلك نبي يبعث
بهذا الدين من اهل الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لين كنت صدقتني لقد لقيت عيسى بن مريم والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي
هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف

باجماع

باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري ان المسيح
ذكر الطبري ان المسيح عليه الصلاة والسلام نزل بعد ما رفع وامه وامراة
اخرى اي كانت مجنونة فابراها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيانه
فاهبط اليهما فكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالتا عليك فقال اني لم اقتل ولم اصلب
ولكن الله رفعني واكرمني واخبرهما ان الله اوقع شبهه على الذي صلب وارسل الى
الحواريين اي قال لامه ولتلك المراة ابلغا الحواريين امري ان يلقوني في موضع كذا
ليلا فجا الحواريون ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم امرهم ان يدعوا
الناس الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز الكرة الا انا نعلم
انه هو اي حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جا في
الصحيح هذا كلامه وروي انه اذا نزل تزوج امراة من جذام قبيلة باليمن ويولد
له ولدان يسمي احدهما محمدا والاخر موسى ويمكث اربعين سنة وقيل خمسة واربعين
سنة وقيل سبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان وقيل تسع وقيل خمس اي وجمع بانه يكون
مدة مكثه اربعين سنة او خمسة واربعين سنة وبين كونها سبع سنين اي وما بعدها
يمكن بان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة اي وما بعدها
من الاقوال يكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم قال
وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم اي عند قبره وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل يدفن
معه صلى الله عليه وسلم في قبره ثاني ويويده ما ورد ويدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى من قبر
واحد بين ابي بكر وعمر اقول وكما يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الخنزير يقتل الدجال
فقد جا ينزل عيسى حكما مقسطا يحكم بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر
فيكون خلف المهدي بعد ان يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد اقيمت
لك وفي رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع المهدي القهقرى ليتقدم
عيسى فيضع يده بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة اخذ حربته وخرج خلف
الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي وورد ان المهدي يخرج مع عيسى فيساعده على قتل
الدجال وورد ان المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين
وقيل من ولد الحسن وقيل من ولد عمه العباس فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

ان امه ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه
فائتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه
اي اسقاه اللبا من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفا فاخبرت
العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفا حتى
يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي اي الخليفة وهو ابو الرشيد
بدليل قوله حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم وهو المهدي الذي ياتي
اخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا وفي رواية
الا ليلة واحدة يطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد ان ينكسف القمر
في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فان مثل ذلك لم يوجد
منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وقيل اربعون سنة ووجهه
كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في زمان الدجال وينزل في زمانه
عيسى ومن ثم واما ما ورد لا مهدي الا عيسى بن مريم فلا ينافي ذلك لجواز ان
يكون المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى عليه الصلاة والسلام فقد جا
لن تهلك امة انا اولها وعيسى بن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها
وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر
هل ترى في السما من شي قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه
الامة بعددها من صلبك انتهى اي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل
سبعة انجم وقيل تسعة وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس
ولو غير حديد البصر منهم واما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد
عشر نجما وقيل اثني عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر
الثاني على ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان يكون الخلفا من بني العباس
اثني عشر وعن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس يقول يكون منا ثلاثة اهل
البيت السفاح والمنصور والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا
المهدي في هذه الرواية يحتمل ان المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر ويحتمل
ان يكون المنتظر وروى ابو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه

العباس

العباس فقال الا اسرك يا ابا الفضل قال بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا
الامر وبذريتك يختمه وفي رواية ويختمه بولدك وقد افردت ترجمة المهدي المنتظر
بالتاليف في مجلد حافل سماه مؤلفه العواصم عن الفتن القواصم وقد ورد في قصة
سلمان رضي الله تعالى عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم نحن قال كان لي اخ اكبر
مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل ذلك غير ما مرة متنكرا فقلت له اما
انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك قال انت غلام واخاف ان يظهر
منك شي قلت لا تخف قال ان في هذا الجبل قوم لهم عبادة وصلاح يذكرون الله
تعالى ويذكرون الاخرة ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى
استامرهم فاستامرهم فقالوا جي به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا هم ستة
او سبعة وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل
ياكلون الشجر وما وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل
والانبيا حتى خلصوا الى عيسى بن مريم قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر
له ما كان يفعل من احيا الموتى وخلق الطير وابرا الاعمى والابرص فكفر به قوم وتبعه
قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين يديك جنة ونارا اليها تصير
وان هولا القوم الذين يعبدون النيران اهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون
وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن ثم اطلع عليهم الملك
فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا
بهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس فحفوا فقال لهم اين كنتم فاخبروه
قال ما هذا الغلام معكم فاثنوا علي خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل
اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من رسله وانبيائه وما لقوا
وما صنع بهم حتى ذكر عيسى بن مريم ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جا به عيسى
ولا تخالفوا فتخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما انا بمفارقك فقال يا غلام انك
لا تستطيع ان تكون معي اني لا اخرج من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بمفارقك
فتبعته حتى دخل الكهف فما رايته نايما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما
اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت فلبثت ما شا الله

ان يخرج في كل يوم احد ويخرجون اليه ليعظهم ويوصيهم فخرج في احد فقال
مثل ما كان يقول ثم قال يا هولا اني قد كبر سني ورق عظمي وقرب اجلي واني لا عهد
لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي من اتيانه فقلت ما انا
بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى اتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان
فيما يقول لي يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة
علامته ان ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه
الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ كبير ولا احسبني ادركه فاذا ادركته
انت فصدقه واتبعه فقلت وان امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك
ثم خرج من بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله يده فقال
له قم باسم الله فقام كانه انشط من عقال فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي
حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت في اثره اطلبه كلما سالت
عنه قالوا امامك حتى لقيني ركب من كلب فسالتهم فلما سمعوا اللغة اناخ رجل بعيره
وحملني عليه فجعلني خلفه حتى اتوا بي بلادهم فباعوني فاشترتني امراة من الانصار
فجعلتني في حايط لها اي بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرت به
فاخذت شيا من تمر حايطي ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه
فقال ما هذا قلت صدقة فقال للقوم كلوا ولم ياكل هو ثم لبثت ما شا الله ثم اخذت
مثل ذلك ثم اتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين يديه فقال ما هذا
فقلت هدية قال بسم الله واكل واكل القوم فقلت في نفسي هذه من اياته
ويحتاج الجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما وفي الدر المنثور
ان امراة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها بينا هو يوما يرعى اذ اتاه
صاحب له فقال اشعرت انه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبي فقال
له سلمان اقم في الغنم حتى اتيك فهبط سلمان الى المدينة فاشترى بدينار بعضه
شاة فشواها وبعضه خبزا ثم اتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه
صدقة قال لي بها فاخرجها فاكلها اصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار اخر
خبزا ولحما فاتا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال

فاقعد

فاقعد فكل فقعدوا فاكلوا جميعا منها منها فدرت خلفه ففطن بي فارخى ثوبه
فاذا الخاتم في ناحية كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه
فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم
فلينظر ما ينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مايتين
وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال
في كل سنة خمسة الاف وكان يتصدق بها ولا ياكل الا من عمل يده وكان له عباة
يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو امير على المداين
وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت امير وهو يجري عليك رزق
فقال اني احب ان اكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين
فاكلوا معه واول مشاهده الخندق كما تقدم وقيل وشهد بدرا واحدا
قبل ان يعتق اي وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق بعد عتقه والله اعلم
واما اخبار الكهان لا عن السنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي
رضاعه ومنها ايضا خبر عمرو بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه قال والله
لقد علمنا ان محمدا رسول الله قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا
الى كاهن لنا في امر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسما ذات الابراج والارض
ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر لجاج لعله من اجيج العارد هو
النهار بها ولقاح ذي نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهور نبي صادق بكتاب
ناطق وحسام فالق قالوا واين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح
ويدعو الى فلاح ويبطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن كل امر قباح
قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد
انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو اول من قال البينة على من ادعى
واليمين على من انكر واول من اتكى على عصا او سيف عند الخطبة وقيل ان اول من تكلم
بان البينة على من ادعى واليمين على من انكر داود وان ذلك فصل الخطاب ورديانه
لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم وفد
عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس بن ساعدة الايادي

قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما انساه بعكاظ
على جمل احمر وهو يقول ايها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات
ومن مات فات وكلما هو آت آت ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اقسم قس قسما حتما لئن كان في الامر
رضى ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه مالي اري
الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا
ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشد

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها * يسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي * ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة * حيث صار القوم صائر

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قدم الجارود ابن عبد الله
وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر بن وايل فجردهم
اي اخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وايل

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود
هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول
الله قال الجارود وانا بين يدي القوم كنت اقفوا اي اتبع اثره كان من
اسباط العرب اي من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة اي وقيل ستمائة
سنة ادرك من الحواريين سمعان فهو اول من تأله اي تعبد من العرب
اي ترك عبادة الاصنام واول من قال اما بعد وقيل اول من قال ذلك
كعب بن لوي كما تقدم وقيل سحبان بن وايل وقيل يعقوب وقيل يعرب
ابن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورديانه لم يثبت عنه انه تكلم
بغير لغته اي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب التي اوتيه هو فصل الخصومة

اي وهذا يؤيد ما تقدم عنه انه اول من قال البينة على المدعي واليمين
على من انكر وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية
فلكعب بن لوي بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس اول من كتب
من فلان الى فلان قال الجارود كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له
ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشا يقول

هاج للقلب من جواه ادكار * وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات * وبحار مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل * نراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله * نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود الرسل بكسر الرا التؤدة
فلست انساه بسوق عكاظ وهو سوق بين بطن نخلة والطائف كان سوقا
لثقيف وقيس عيلان كما تقدم على جمل اورق اي يضرب لونه الى السواد وهو
يتكلم بكلام ما اظن اني احفظه وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة ولا احفظه الان فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله فاني احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق
عكاظ فقال في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من
عاش مات ومن مات فات وكلما هو آت آت مطر ونبات وارزاق واقوات
وآبا وامهات واحيا واموات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان في السما لخبرا
وان في الارض لعبرا ليل داج اي مظلم وسما ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج
مالي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم
قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احب من دينكم الذي انتم عليه
ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه
ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد قبيلة
من اليمن اين الآبا والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد
اين من بنى وشيد وزخرف ونجد اي زين وطول وغره المال والولد اين
من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول

منكرا حالا وابعد منكرا مالا لجنهم التراب بكلكله اي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم باليه وبيوتهم خاوية عمرتها الذياب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشا يقول الابيات المتقدمة اي وفي رواية لما قدم وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك يا رسول الله قال لقد شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدني احفظه الان فقام اعرابي من اقاصي القوم فقال انا احفظه يا رسول الله فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان يقول يا معشر الناس اجتمعوا فكل من مات فات وكل ما هو ات ات ليل داج وسما ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهو وجبال مرسية وانهار مجرية الحديث وفي رواية ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان ذلك كلمحة عين قال وفي رواية اخري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قسا بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سياتيكم حق من هذا الوجه واشار بيده نحو مكة قالوا وما هو الحق قال رجل ابلج احور من ولد لوي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزي في موضوعاته حديث قس من جميع جهاته باطل انتهى اقول ذكر في النور ان في قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ عليه الصلاة والسلام كلامه وكان قس على جمل احمر والثانية التي لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل اورق قال لكن لا ادري اي المرتين كانت اولا هذا كلامه وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انسى كلام قس بعد الاخبار به ولا دليل لذلك قوله لا اظن اني احفظه الان وقبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متاخرا عن خبر ابي بكر فلا دلالة في ذلك على انه التعدد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه اورق لا يدل على التعدد لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة

تميل

تميل الى السواد وهو الاورق فاخبر عنه مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على تعدد مجي وفد عبد القيس مرة جاوا وحدهم ومرة جاوا مع سيدهم الجارود وقد جا رحمه الله فيما انه كان على دين ابي اسماعيل بن ابراهيم والله اعلم ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الرا وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في اسفل الجبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قايما متكيا على قوس فرفع راسه الى السما طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس قليل واما اخبار الكهان على السنة الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا امير المومنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا المار قالوا سواد بن قارب الذي اتاه رئيه اي تابعه من الجن الذي يتراى له اتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ان قال عمر على المنبر اي منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس افيكم سواد ابن قارب فلم يجبه احد فلما كان السنة المقبلة ولعل ذلك كان في زمن المجي للزيارة من الافاق قال ايها الناس افيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا امير المومنين ما سواد ابن قارب قال ان سواد بن قارب كان بدو اسلامه شيا عجيبا قال الراوي فبينا نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فارسل اليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال له انت سواد ابن قارب قال نعم قال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا احد منذ اسلمت يا امير المومنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك اي من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اي وفي رواية ان عمر قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى اكرمنا الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام اقول وفيه ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة بعد الاسلام لا قبلها بدليل قوله ما استقبلني بهذا

احد منذ اسلمت وجواب سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد
بسبب لنسبته لكهانته قبل الاسلام فلذلك قال سبحان الله متعجبا منه وفي
كلام السهيلي ان عمر رضي الله تعالى عنه مازح سواد رضي الله تعالى عنه فقال له
ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا
من عبادة الاصنام واكل الميتات افتعيرني با مر قد تبت منه فقال عمر رضي الله
تعالى عنه اللهم غفرا ملينا مل والله اعلم ثم قال لسواد اخبرني ما انبا رئيك بظهور
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان
قال نعم يا امير المومنين بينا انا ذات ليلة بين النايم واليقظان اذ اتاني رئيي
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل
انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كاذنابها

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كان الليلة الثانية اتاني فضربني برجله
وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
من لوي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مومن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله
وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
من لوي بن غالب يدعوا الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فقمت

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة وفي رواية حتى اتيت مكة وهي
اي كما قال البيهقي اقرب الى الصحة من الاولى اي لان الجن انما جاءته صلى الله عليه وسلم
للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله
وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما راني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا
ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يا رسول الله
فقال هات فانشات اي ابتدات اقول

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
وفي لفظ اتاني رئي بعد ليل وهجعة
ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك رسول من لوي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت * بي الدعلب الوجناء بين السباسب
وفي لفظ عن ساقي الازار
فاشهد ان الله لارب غيره * وانك مامون على كل غايب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوايب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب
وفي رواية وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

قال ففرح النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رئي الفرح في وجوههم اي وضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد فرايت عمر رضي الله
تعالى عنه التزمه وقال لقد كنت اشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك رئيك
اليوم قال منذ قرات القران قال ونعم كتاب الله تعالى من الجن اي وهذا السياق يدل
على ان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره
سواد ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا
فقال يا معشر دوس سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقايهم ان لا يتعظوا
الا بانفسهم وانه من لم ينفعه التجارب ضربه ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل
وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلاء الا ان يكونوا اذكر من
اهل العافية للعافية ولست ادري ما يكون للناس حوله فان تكن فالسلامة منها

الاناة وادرنجهما فاجبها فاجابه القوم بالسمع والطاعة **اي من ذلك** ان امراة كانت
كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها
فقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت
بذلك فكان اول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **واما ما سمع من**
جوف الاصنام فكثير ايضا فمنها اي غير ما تقدم في ليلة ولادته خبر عباس
ابن مرداس قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم
مخففة بعدها الف ثم را مهملة فلما حضرت مرداس الوفاة قال للعباس ولده
اي بني اعبد ضمار فانه ينفعك ويضرك فبينما عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبايل من سليم كلها ✽ اودى ضمار وعاش اهل المسجد
ان الذي ورث النبوة والهدى ✽ بعد ابن مريم من قريش مهتدي
اودى ضمار وكان يعبد مدة ✽ قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم **وفي** لفظ ان عباس ابن مرداس كان في لقاح
له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضا وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس
الم تر الى السما قد كفت احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل
وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى
فقال عباس فراعني ذلك فجيت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه
فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صايح يصيح من جوفه

قل للقبايل من قريش كلها ✽ هلك الضمار وفاز اهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة ✽ قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى ✽ بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فدخلت المسجد فلما راني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك
فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت انا وقومي **ومن ذلك خبر مازن**
ابن العضوبة قال كنت اسدن اي اخدم صنما بقرية بعمان اي بالتخفيف تدعى
سمايل وسمال يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحا المهملة فعترنا ذات يوم عنده

عتيرة

عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول

يا مازن اسمع تسر ✽ ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضر ✽ بدين الله الكبر
فدع نحيتا من حجر ✽ تسلم من حر سقر

قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد ايام عتيرة اي
ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا من الصنم يقول

اقبل الي اقبل ✽ تسمع ما لا تجهل
هذا نبي مرسل ✽ جا بحق منزل
فامن به كي تعدل ✽ عن حر نار تشعل
وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي **اقول** ورايت في بعض السير تقديم هذه الابيات
على ما قبلها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع
الخ والله اعلم **قال** مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز قلنا ما الخبر
وراك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا
نبا ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام واسلمت وقلت كسرت بادر وفي لفظ باحر

كسرت باحر جذاذا وكان لنا ✽ ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ✽ ولم يكن دينه شيا على بالي
يا راكبا بلغا عمرا واخوتها ✽ اني لما قال ربي بادر قالي

يعني عمرا واخوتها بني خطامة وهي بطن من طي وهذه الابيات ساقطة في اسد
الغابة **قال** مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به وبشرب الخمر
وبالهلوك اي الفاجرة من النسا التي تتمايل وتنثني عند جماعها وقيل الساقطة
على الرجال اي لشدة شبقها والحت اي دامت علينا سنون اي اعوام القحط والجدب
فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب
عني ما اجد وياتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بدله

بالطرب قراة القران وبالحرام الحلال وبالخمر بالاثم فيه وبالعهر اي الزنا عفة الفرج
وانه بالحيا اي المطر ووهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت
شطر القران وحججت حججا واحصيت عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت
اربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولدا وانشا اقول

اليك رسول الله حنت مطيتي ✤ تجوب الفيا في من عمان الي العرج
لتشفع لي يا خير من وطي الحصا ✤ فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج
اي بالفوز والظفر بالمطلوب
الي معشر خالفت في الله دينهم ✤ ولا رايهم رايي ولا شرجهم شرجي
اي بالشين والجيم اي لا شكلهم شكلي ولا طريقهم طريقي
وكنت امرا بالعهر والخمر مولعا ✤ شبابي حتي اذن الجسم بالنهج اي البلا
فبدلني بالخمر خوفا وخشية ✤ وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي
فاصبحت همي في الجهاد ونيتي ✤ فلله ما صومي ولله ما حجي

قال مازن فلما رجعت الي قومي انبوني اي عنفوني ولاموني وشتموني وامروا شاعرهم
فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسي وتنحيت عنهم واتيت مسجدا اتعبد فيه
فكان لا ياتي هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو علي من ظلمه الا استجيب له
ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع
اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث واما ما سمع من اجواف الذبايح فمنه ما جا
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كنا يوما في حي من قريش يقال لهم ال ذريح
بالحا المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل
ولا نرى شيا يا ال ذريح امر نجيح صايح يصيح بلسان فصيح يشهد ان لا اله الا الله
اي والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر لقولهم احمر ذريحي
اي شديد الحمرة وفي البخاري يقول يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله
والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح اي كشف عنه جلده واما ما سمع
من الهواتف ولم يتجح علي السنة الكهان ولا سمع من جوف الذبايح ✤ فكثير
ماحدث به بعضهم وذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رايت

من قس عجبا خرجت اطلب بعيرا لي حتي اذا عسعس الليل اي ادبر وكاد الصبح ان يتنفس
هتف بي هاتف يقول يا ايها الراقد في الليل الاحم اي بالحا المهملة الاسود قد بعث
الله نبيا بالحرم من هاشم اهل الوفا والكرم يجلوا دجنات الليل البهم اي الظلمات
والامور المشكلة فادرت طرفي فما رايت شخصا فانشات اقول

يا ايها الهاتف في داج الظلم ✤ اهلا وسهلا بك من طيف الم
بين هداك الله في لحن الكلم ✤ من ذا الذي تدعو اليه يغتنم
فاذا انا بنحنحة وقايل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم بالحبور اي السرور صاحب النجيب الاحمر اي الكريم من الابل والتاج والمغفر
والوجه الازهر اي الابيض المشرب بالحمرة والحاجب اي الجبين الاقمر اي الابيض
والطرف الاحور اي شديد سواده صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك
محمد المبعوث الي الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اي العرب والعجم ثم انشا يقول

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ✤ ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث ✤ والي ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله
وتغنت بمدحه الجن حتي ✤ اطرب الانس منه ذاك الغنا ✤

اي اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغنا الذي تالفه النفس
ولا تصبر عنه عند سماعه فتسمع لغيره حتي اطرب الانس ذاك الغنا الذي سمعوه من الجن
فلاح الصياح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح الفا وكسر النون وسكون
المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويشقشق يشنشن محمحم ثم قافين
اي يهدر الي النوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتي اذا لغب بالغين
المعجمة والموحدة اي تعب فنزل في روضة خضرا فاذا انا بقس بن ساعدة في ظل
شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به الارض النكت بالمثناة فوق وهو يقول

يا ناعي الموت والملحود في جدث ✤ اي قبر عليهم من بقايا بزهم خرق اي البز الثياب
دعهم فان لهم يوما يصاح به ✤ فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا ✤ اي خافوا
حتي يعودوا بحال غير حالهم ✤ خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم ✤ منها الجديد ومنها المنهج الخلق

من الثياب الذي اخذ في البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام والمنهج
فادا يعين خوارة اي لما بها خبر اي صوت في الارض خوارة اي ضعيف ومسجد
بين قبرين واسد بن عظيمين يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الاخر الي الما فتبعه الاخر
يطلب الماحض به بالقضيب الذي في يده وقال ارجع ثكلتك امك اي فقدتك حتى
يشرب الذي قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا
اخوين كانا يعبدان الله عز وجل معي في هذا المكان لا يشركان بالله شيا اي ثم احدهما
شمعون والاخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما
ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني ارجوا
ان يبعثه الله امة وحده اي واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد اشار الى ذلك صاحب الامراض

وعند اخبر قس قومه فلقد ... حلي مسامعهم من ذكره شنعا

وبالساحات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من اعمال حلب
وعليها بنا والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام ومن ذلك ما ذكره الواقدي
باسناده قال كان ابو هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث قوما من خثعم كانوا عند
صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الي اصنامهم فبينا الخثعميون عند صنمهم اذ سمعوا
هاتفا يهتف ويقول

يايها الناس ذوو الاجسام ... ومسندو الحكم الي الاصنام
اما ترون ما اري امامي ... من ساطع يجلو دجي الظلام
ذاك نبي سيد الانام ... من هاشم في ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام ... جا يهدم الكفر بالاسلام

اكرمه الرحمن من امام قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا
فلم يمض بهم ثلاث حتى فجاهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اي
جاهم ذلك بغتة فما اسلم الخثعميون حتى استاخر اسلامهم وراوا عند اصنامهم
واما خبر زمل بن عمرو العذري قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال
له خمام بالخا المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام
بالحا المهملة المفتوحة والرا وكان سادنه اي خادمه رجلا يقال له طارق قال فلما

النور لا اعلم له ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون اي يذبحون الذبايح عنده فلما ظهر
النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا ابن هند بن حرام ظهر الحق واودي خمام اي
هلك ودفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا اي افزعنا فمكثنا اياما
ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق بوحي صادق صدع صدعه
بارض تهامة لناصريه السلامة ولخاذليه الندامة هذا الوداع مني الي يوم القيامة
ثم وقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا
الوداع مني الي يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع
قال زمل فابتعت اي اشتريت راحلة ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وانشدته

اليك رسول الله اعملت نصها ... اكلفها حزنا وقوزا من الرمل
لانصر خير الناس نصرا مؤزرا ... اي قويا
واعقد حبلا من حبالك في حبلي ... والحبل العهد والميثاق
واشهد ان الله لا شي غيره ... ادين له اي اخضع والعيس ما اثقلت قدمي نعلي

والنص هو الغاية في السير، والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاي التل الصغير

ومن هذا النوع خبر تميم الداري اي ويكني ابا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها
روي عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثني تميم الداري
وذكر القصة قال بعضهم وهذا اولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار وقد
يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه مر يوما على ابنته عايشة رضي الله تعالى
عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا كان يعلمناه وذكر ان عيسى
ابن مريم عليهما الصلاة كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان على احدكم جبل دين ذهبا
قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطر
رحمان الدنيا والاخرة ورحيمهما ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك
وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه كان علي دين وكنت له كارها فقلته فلم البث الا يسيرا
حتى قضيته قال تميم كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الي بعض
حاجتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذ مناد
ينادي لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا على الله فقلت ايم تقوله وايم تشريد

البيا وباسكا نها دفنتم الصنم فيهما اي ابائي تقول فقال قد خرج رسول الاميين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اي وهو مقبرة مكة التي يقال الصلاة
كما تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الي محمد
صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما اصبحت ذهبت الي دير الولب فسالت راهبه واخبرته
فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة وهو خير الانبيا
فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص اي الذهاب حتى جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتشتق
فاسلمت اقول وهذا يدل ظاهرا على ان تميم الداري اسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما
الكلام فيه بل رايت في تتمة الخبر فسرت الي مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا
فامنت به ورايت بعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميم الداري انما اسلم سنة تسع
من الهجرة والله اعلم قال ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه
ان رجلا من بني تميم حدث عن بدو اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة
اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت
اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرايت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها
في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم ثم عدت
فتعوذت فرايت مثل ذلك واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت
فرايت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذي رايته في منامي بيده
حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان
اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحوش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شيت فدا الناقة
جاري الانسي فقام الفتى فاخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا فتى
اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقلت اعوذ بالله رب محمد من هول هذا
الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل امرها فقلت له ومن محمد فقال نبي عربي
لا شرقي ولا غربي قلت اين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير
حتى اتيت المدينة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له منها شيا ودعاني
الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث
الذي الكلام فيه ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة قال خرجت في طلب ابل لي وكنا

اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقة وقلت
اعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال * منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ يذكر الله على الاحوال * وفي سهول الارض والجبال
وصار كيد الجن في سفال * الا التقي وصالح الاعمال

فقلت يا ايها القائل ما تقول ارشد عندك ام تضليل فقال

هذا رسول الله ذو الخيرات * جا بيس وحاميمات
وسور بعد مفصلات * يامر بالصلاة والزكاة
ويزجر الاقوام عن هنات * قد كن في الاسلام منكرات

فقلت اما لو كان لي من يودي ابلي هذه الي اهلي لاتيته حتى اسلم فقال انا اوديها فركبت
بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس يوم الجمعة
وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادخل فدخلت فلما راني قال ما فعل الرجل وفي لفظ ما فعل الشيخ الذي ضمن لك ان يودي
ابلك اما انه قد اداها سالمة وقد نص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس
فقيل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهايه
بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن اي يستعيذون
برجال من الجن اي حين ينزلون في اسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا
المكان من شر سفهايه فزاد وهم رهقا اي زادوا الجن اي سادتهم باستعاذتهم بهم
طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن اي ومن ذلك ما جاء وايل بن حجر
الحضرمي ويكنى ابو هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم
قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال يا تيكم وايل
ابن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابنا
الملوك قال وايل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل قدومك بثلاثة فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وادناني

من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداه فاجلسني عليه وقال اللهم بارك في وايل بن حجر
وولده وولد ولده ثم صعد المنبر واقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وايل بن حجر
اتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك
وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم
بارك في وايل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان لي صنم من العقيق فبينا انا نايم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي
به الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قايل يقول

واعجبا لوايل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجي من نحيت صخر * ليس بذي نفع ولا بضر
لو كان ذا حجر اطاع امري

قال فقلت اسمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تامرني فقال
ارحل الي يثرب ذات النخل * تدين دين الصايم المصلي * محمد النبي خير الرسل * ثم خر الصنم
لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت المدينة فدخلت
المسجد الحديث وفيه انه ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع
ولوايل هذا حديث معاوية تركناه لطوله واما ما سمع من بعض الوحوش
فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال بينا راع يرعى بالحرة
اذ عرض الذيب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذيب وبين الشاة فاقعى الذيب على ذنبه
فقال الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي اعجب من ذيب
يكلمني بكلام الانس فقال الذيب الا اخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي لفظ بما كان
بما مضى وما هو كاين بعد فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فحدث الرسول
الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذيب للراعي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم
الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله اي وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها
كما تقدم وعذبة سوطه اي طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اي وفي
لفظ فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي

اخبرهم

اخبرهم فاخبرهم وفي رواية ان راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذيب قال له
انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له
ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتاله وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذيب انا ارعاها حتى ترجع
فاسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب شاة منها وفيه ان هذا وما تقدم من خبر
سعيد بن جبير كما علمت بعد الهجرة لا عند البعث الذي الكلام فيه قال في النور هذا الراعي
لا اعرف اسمه قال وكلم الذيب غير واحد فانظرهم في تعليقي على البخاري اقول
ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذيب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان ابن اوس واما ما سمع من بعض
الاشجار فقد روي عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قيل له هل رايت قبل الاسلام
شيا من دلايل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا قاعد في ظل شجرة في
الجاهلية اذ تدلى لي غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر اليه
واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن
انت من اسعد الناس به والله اعلم واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق
السمع فقد قال ابن اسحاق لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه
حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها
فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك الامر حدث من الله تعالى في العباد يقول
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا
لمسنا السما اي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا
اي ملايكة اقويا يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع صالحة
لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى
به اي دون يخطف الخطفة منهم خفية حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله اي
يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشي
من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضايه وموته صلى الله عليه وسلم

قليلا لا تدخل الشبهة على ضعف العقول فربما توهموا عود الكهانة التي
سببها استراق السمع وان امر رسالته صلى الله عليه وسلم ثم فاقتضت
الحكمة حراسة السما في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم
قال عليه الصلاة والسلام لا كهانة بعد اليوم حدث بعضهم قال
ان اول العرب فزعا للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاوا الى
رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان ادهى العرب واكثرها رايا اي ادهاها
رايا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر اي تعلم
ما حدث في السما من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت من
معالم النجوم اي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف
بها الانوا من الصيف والشتا هي التي يرمى بها فهو والله على هذه الدنيا
وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها
فهو لامر اراد الله بهذا الخلق والنوا بالنون والهمزة هنا ما يحصل عند
سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه في المشرق يقابله من ساعته في كل
ثلاثة عشر يوما وحقيقة النو سقوط النجوم وطلوع رقيبه في المده
المذكورة وكان العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى
الساقط منها والى الطالع منها تقول العرب مطرنا بنو كذا وسياتي الكلام
على ذلك في غزوة الحديبية وفي لفظ فامر اراد الله وبني يبعث في العرب
فقد تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك
عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول المراد برجمت الان باكثر ما كان قبل
ذلك او صارت تصيب ولا تخطي ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبي صلى
الله عليه وسلم اي قرب زمن بعثته رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها
قبل فاتوا عبد ياليل بن عمير وهو بمثناة تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي
وكان اعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم
فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف اي وهي التي يهتدى
بها في البر والبحر وتعرف بها الانوا فهي عند فنا الناس وان كانت لا تعرف

فهي

فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث اي وقد
روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة السما فاذا ذهبت
النجوم اتى السما ما توعدون وانا امنة لاصحابي واذا ذهبت اتى اصحابي
ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما
يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما
مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطايف ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن
عبد الله يدعي انه نبي مرسل وهذا قد يخالف ما ياتي عن ابن عمر رضي الله
عنهما لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت
الشياطين من خبر السما بالشهب ولا مانع من تكرر سوال ثقيف مرة عمرو بن
امية ومرة لعبد ياليل بن عمرو وان كان كل منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد
الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سالوه فسماه بعضهم عمرو بن امية
وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا اي قوله انما كان عند البعث وبه
تعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عنه شيخ بعض شيوخنا النجم الغيطي
في معراجه واقره رسيه اي رمي النجوم ان الله تعالى لما اراد
بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع
اكثر العرب وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسالوه
عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب
الدنيا وان لم ينقض منها شي فسيحدث في الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم فانه يقتضي ان المراد بعثته
ولادته وكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا اي كثرة
تساقط النجوم انما كان عند بعثته ونبوته لا عند ولادته صلى الله عليه
وسلم ومنه خبر ابي لهب او لهيب بن مالك اي من بني لهب فان بني لهب فزعوا
لفزع ثقيف فاني حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده
الكهانة فقلت بابي وامي نحن اول من عرف حراسة السما ومنع الجن من استراق
السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخا المعجمة والطا المهملة والرا

ابن مالك قال في النور لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد اتت عليه مايتا
سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه
النجوم التي ترمي بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ايتوني بسحر اي قبيل
الفجر اخبركم الخبر ام ضر او لا من او حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد
في وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم على قدميه شاخص في السما بعينيه فناديناه يا خطر
يا خطر فاومى الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السما وصرخ الكاهن
رافعا صوته اصابه اصابه جمع وصب كجمل وجمال فالهمزة بدل من الواو خامره عقابه
عاجله عذابه احرقه شهابه زايلة جوابه اي زال عنه جوابه يا ويله ما حاله
بلبله بلباله البلبال الغم عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت احواله ثم
امسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسم بالكعبة
والاركان والبلد المؤتمن السدان اي الخوام قد منع السمع عتاة الجان
بثاقب يكون ذا سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل
والفرقان وبالهدي وفاصل القران تبطل به عباده الاوثان قال فقلنا له
ويلك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال ارى لقومي
ما ارى لنفسي ان يتبعوا خير بني الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في
مكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير اللبس والحمس بضم الحا المهملة واسكان الميم
والسين المهملة هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم
لاحد من اشراف العرب الا على شرط ان يتحمس اولادهم فان قريشا من بين
قبايل العرب واتوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو ولما في ذلك من استحلال
الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك
لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن هو فقال
والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق من قولهم
طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اي لبس في طبيعته
وسجيته قول قبيح يكون في جيش اي جيش من ال قحطان وال ايش وال قحطان
هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دايرة في ولد قحطان وال ايش قبيلة

من الجن المومنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص من كبار الجن وقيل ارادبهم المهاجرين
اي ومن المهاجرين الذين يقال فيهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى
اي شي عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته ويروى بدل ايش ريش فقلنا له بين لنا
من اي قريش فقال والبيت ذي الدعايم يعني الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاحايم
يعني بير زمزم لان الاحايم جمع احام والاحوم جمع احوم وهو الما في البير واراد
بير زمزم او ان الاصل الحوايم فغيه قلبه مكاني الاصل فواعل فصار افاعل والحوايم
هي الطير التي تحوم على الما والمراد حمام مكة انه لمن نجل اي نسل هاشم من معشر اكارم
يبعث بالملاحم يعني الحروب وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان اخبرني به رييس
الجان ثم قال الله اكبر جا الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فما
افاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اي وحي وانه ليبعث يوم القيامة امة وحده
اي مقام جماعة كما تقدم في نظيره قال مولانا وما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
عن نفر من الانصار قالوا بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم فاستنار
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية
اي قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رايناه يرمى بها مات ملك وولد مولود
مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى
كان اذا قضى في خلقه امرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فسبح من تحت
ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السما الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم
سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي كان اي يكون في الارض
فيهبط به من سما الى سما اي تقول اهل كل سما لمن يليهم حتى ينتهي الى السما الدنيا
فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم ياتون به الى الكهان فيخطيون
بعضا ويصيبون بعضا اي وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة
باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقوا
السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم

قال الحق اي ثم يذكرونه لما تقدم من قضي قولهم قضي الله في خلقه كذا وكذا ولما بايي وقوله صلي الله عليه وسلم يرمي بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمي بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلي الله عليه وسلم وبين عيسي عليه الصلاة والسلام قبل مولده صلي الله عليه وسلم ويخالفه ما ياتي عن ابي بن كعب وقد سيل صلي الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشي فقالوا يا رسول الله انهم يحدثونا احيانا بالشي يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني يقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة ثم ان الله تعالي حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اي وفي البخاري انه صلي الله عليه وسلم قال ان الملائكة تتحدث في العنان اي الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيدون فيها مائة كذبة وعن ابي بن كعب رضي الله تعالي عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسي عليه السلام حتي تنبا رسول الله صلي الله عليه وسلم فرمي بها فلما رات قريش امرا لم تكن تراه فزعوا لعبد يا ليل الحديث اقول وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه اي قبل قربه الشامل لزمن الولادة ولا يخالف ما تقدم وان النجوم كان يرمي بها قبل ان يرفع عيسي عليه السلام وذلك صادق بزمن ادم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهري الجيب ولتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان اي في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاخبار يدل علي ان رجم الشياطين بالشهب كان في زمن غيره صلي الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي علي الرسل واما الزمن الذي ليس فيه رسول وهو زمن الفترات بين الرسل فكانوا يسترقون السمع في مقاعد لهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي ان الله تعالي ذكر فايدتين في خلق النجوم فقال تعالي ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالي انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلي الله عليه وسلم خاصة دون بعثة الرسل من ابعد البعيد وحيث كان الغرض الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضي ذلك انه لم يرم بها

قال

قبل مبعثه ومنه زمن ولادته ويوافق ذلك قول ابن اسحاق في المقاتب امر رسول الله صلي الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله تعالي عنهما لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السما رموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال لعل بعث نبي عليكم بالارض المقدسة اي لانها محل الانبيا ولهذا يدل علي ان عند ابليس ان الرمي بالنجوم علامة علي مبعث الانبيا فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة لانها مظنة ذلك بعد محل الانبيا فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم بحرا منحدرا معه جبريل فرجع الي اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السما ان هذا الحدث حدث في الارض فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من هاهنا الحدث فنصوا فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم قد بعث اقول قد يقال لا منافاة بين الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلي الله عليه وسلم لما وجدوه بل ذهب او ذهب بعد اخبارهم له بذلك بالاستيقان وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه اي عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذي منه زمن ولادته وحينئذ يشكل حصول مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلي الله عليه وسلم ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل علي ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجوم علي الشياطين علامة علي مبعث النبي صلي الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل علي ذلك كما علمت وكلا الروايتين يدل علي انه لم يعلم عين محله والله اعلم والي ذلك اشار صاحب الهمزية الي حجب الشياطين كان عند مبعثه صلي الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب ... حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع ... كما يطرد الذياب الرعاء

فمحت اية الكهانة ايا ... ت من الوحي ما لهن امحاء

اي ارسل الله عز وجل زمن ارساله صلي الله عليه وسلم الشعل من النار علي الجن لاجل حراسة السما منهم ولكثرة ذلك الشعل ضاق عنها الفلوات الواسعة حال كون تلك الشهب تطرد الجن من اماكن قريبة يقعدون فيها لاجل ان

بسمعوا اشيا من الملايكه المكلفين بما سيقع في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب
لاوليك الشياطين في الشدة كطرد الرعا للذياب عن الغنم اذا ارادت تعه واعليها
وبسبب ذلك الطرد المانع للجن عن خبر السما محت ايات من الوحي اية الكهانة التي هي
الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الايات من الوحي انمحا اي ذهاب بل هي باقية
الي يوم القيامة ونبه انه لزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم عند الوحي ان ذلك لا يكون
الا عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته وايضا لو كان ذلك
موجودا قبل مبعثه واستمر الي مبعثه لم يفزع العرب منه عند مبعثه واجيب عن الاول
بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي وثانيا في وجود ذلك قبل ذلك
عند ولادته ارهاصا وتحويفا وكان هذا السوال الثاني هو الحامل لابي ابن كعب
على دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمي ومن ثم قال فلما رات قريش امرا لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل واجاب بانه
يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالف للرمي بها قبله اما القرط لتربها
واما لان الرمي بها بعد المبعث كان من كل جانب وقيل كان من جانب واحد واما لان
الرمي بها صار لا يخطي ابدا وقبل وقبل ذلك كان يخطي تارة ويصيب اخرى فمنهم من تقتله
ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من تخبله اي يصيره غولا يضل الناس في البراري وكان
ذلك سببا لفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكن يخطي فتعود
الشياطين الي مكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الي كاهنه اي فلم تنقطع الكهانة
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الي زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت
بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا كله على تسليم صحة رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان النجوم رمي بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحي الشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان
عن سعيد بن جبير ما جا جبريل بالقران الي النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملايكة
حفظة وسيا في عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملايكة
حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحي اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا
ما يبلغه جبريل الي ذلك النبي من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الي اوليايهم وعن
بعضهم قال سافرت عن زوجتي فخلفني عليها شيطان على صورتي وكلامي وسائر حالاتي

التى

التي تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيا لي وكانت اذا قدمت
من سفر تتهيا لي كما تتهيا العروس فقلت لها في ذلك فقالت انك لم تغب عنا انا
لذلك وقد ظهر لي ذلك الشيطان وقال انا رجل من الجن عشقت امراتك وكنت اتيها
في صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان يكون لك الليل ولي النهار او لك النهار ولي الليل
فراعني ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض الليالي جاني وقال بت الليلة عندنا هلك
فقد حضرت نوبتي في استراق السمع من السما فقلت انت تسترق السمع فقال نعم
هل لك ان تكون معي فقلت نعم فلما جا الليل اتاني وقال حول وجهك فحولت وجهي فاذا
هو في صوره خنزير له جنا حان فحملني على ظهره فاذا له معرفة كعرفة الخنزير
فقال لي استمسك بها فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقني فتهلك ثم صعد حتى
لصق بالسما فسمعت قايلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله ما شا الله كان وما لم يشا
لم يكن فهوى بي ووقع من ورا العمران فحفظت الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلي فلما كان
الليل جا فقلتهن فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحمل وقوع ذلك في
زمن الجاهلية والا كان كذبا لانهم احالوا عن ابرادان القول بقدرة الجني على التطور يلزمه
رفع الثقة بشي فان من راي نحو ولده وزوجته احتمل انه جني فيشكل بانا لله تكفل لهذه
الامة بعصمتها عن ان يقع فيها ما يودي الي ما يترتب عليه ريبة في الدين فليتامل
جا في فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله والذي نفسي بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله شفا من سبعين دا ادناها
الهم والغم بان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم وحكمه ان الدا ود العافيه
مكث خفي وهم ساعة هرم سنة وقال الاطبا الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما
ان في الحزن ذهاب البصر وفي الحديث من كثر همه سقم بدنه نعلم ان النجوم على تسليم انه
كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الي البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث فتصيب تارة
ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هي سبب
الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لانه لا يطلع
لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة وانها قبل البعثة
كانت ترمى من جانب دون اخر وبعد البعثة رميت من جميع الجوانب والي ذلك اشار بقوله تعالى

ويتقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع والمراد وجود ذلك مع دوام
الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون
سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في
السما فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة
حتي اسرعوا في اموالهم اي في اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس
امسكوا عن اموالكم فانه لم يمت من في السما الستم ترون معالمكم من النجوم كما هي
والشمس والقمر كذا في كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان اول العرب فزع
للرمي بالنجوم ثقيف وانهم جاوا الي رجل منهم يقال له عمرو بن امية ولرجل اخر يقال له
عبد يا ليل لجواز ان يكون ما ذكر هنا صدر من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا علي عمرو وعبد
يا ليل والله اعلم وظاهر القران والاخبار ان الذي يرمي به الشياطين المسترقون
نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة
عن شعلة نار تنفصل من النجم اي كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ
الكوكب ويكون معني جعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومعني كونها
حفظا باعتبار ما ينشا عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هي
اجزا نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون
الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت باجرامه تخرج نار لطيفة حد يدة لا تمر بشي الا اتت
عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكي انها سقطت علي نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفيت قاله في الكشاف ومما يؤيد ان الشعل منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي
رضي الله تعالي عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السما الدنيا كتعليق القناديل بالمساجد
مخلوق من نور وقيل انها معلقة بايدي ملايكة ويصرح هذا القول قوله تعالي اذا السما
انفطرت واذا الكواكب انتثرت ان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملايكة وقيل
ان هذه لقي في السما وقد وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس ان النجوم ماجت
وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الي الفجر وانزعج الخلق فلجوا الي الله تعالي بالدعا قال
بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلي الله عليه وسلم اقول قد وقع نظير ذلك في سنة
احدي واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السما وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان

امرا من عجا

امرا من عجا لم ير مثله وقد وقع في سنة ثلثماية تناثر النجوم تناثرا عجيبا الي ناحية المشرق والشمال
واما ما جا من ذكره صلي الله عليه وسلم اي ذكر اسمه وصفته وصفة امته في الكتب القديمة اي
كالتوراة المنزلة علي موسي لست ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل علي عيسي
لثنتي عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة والزبور المنزل
علي داود لثنتي عشرة وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل في ست خلت من رمضان
وصحف شعيا ويقال له اشعيا اي ومزامير داود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون
صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة
من رمضان اتفاقا وفي كتاب شعيب ولم يذكر صحف ادريس وقد انزلت عليه ثلاثون
صحيفة وذكر بعضهم ان موسي انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحايف
وهذا كما لا يخفي يزيد علي ما اشتهر ان الكتب المنزلة ماية واربعة كتب وفي كلام بعضهم اتفقوا
علي ان القران انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن ابي قلابة انزلت الكتب
كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينيذ يكون من حكي الاتفاق في التوراة وصحف
ابراهيم لم يطلع علي هذا او لم يعتد به وقد اشار الي ذلك صلي الله عليه وسلم في جميع الكتب
المنزلة الامام السبكي رحمه الله تعالي في تائيته بقوله

وفي كل كتب الله تعلن قد اتي ۞ بفضل علينا ملة بعد ملة
وهذا كما لا يخفي ۞ ابلغ من قولهم
ومن قبل مبعثه جات مبشرة ۞ به زبور وتوراة وانجيل ۞ والانجيل

وقد اعترض علي هذا القايل بعض الاغبيا بان التوراة والانجيل
قد صحت بشارتهما به صلي الله عليه وسلم واما الزبور فلا ندري ولا نقول الا ما نعلم ورده
ما ذكره الامام السبكي وسنده قوله تعالي وانه لفي زبر الاولين اي كتبهم فقد حمل بعض المفسرين
ان الضمير عايد الي النبي صلي الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد تحمل علي العموم وسياتي
ايضا التصريح بوجود اسمه صلي الله عليه وسلم في الزبور وقد جا ان اسمه في التوراة احمد
يحمده اهل السما والارض كما تقدم وقيل في سبب نزول قوله تعالي ومن يرغب عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضي الله تعالي عنه دعا ابني اخيه
سلمة ومهاجر الي الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل قال في التوراة
اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد من امن به فقد اهتدي ورشد ومن لم

يومن به فهو ملعون فاسلم سلمه وابو هما جرفا نزل الله تعالى الايه وفيها ايضا مجد
واسمه فيها ايضا خيبا طا وقيل حمطايا اي يحمي الحرم من الحرم واسمه في التوراة ايضا
قدصايا اي الاول السابق واسمه فيها ايضا نبيه نبيذ واسمه فيها ايضا احيد
وقيل احيد اي يحيد نار جهنم عن امته واسمه فيها ايضا طاب طاب اي طيب
واسمه فيها ايضا كما في الشفا محمد حبيب الرحمن ووصف فيها ايضا بالفتوك
اي طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام
والتوراة اي على فرض ان تكون اسما عربيا ماخوذة من التوراة وهي كتمان السر
بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح واسمه صلى الله عليه وسلم في الانجيل
المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اي وما جا عن سهل مولى خيثمة قال كنت
يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرأته حتى مرت لي ورقة ملصقة بغرا ففتقتها
فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجا عمي فلما راى الورقة ضربني وقال مالك
وفتح هذه الورقة وقراتها فلقيت فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يات
بعد اي الان اي وفي الانجيل ايضا اسمه حيمنطا اي يفرق بين الحق والباطل
ووصفه بانه صاحب المدرعة وهي الدرع وفيه ايضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير
وسياتي ان راكب الحمار عيسى وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي الجواب وفي الانجيل
ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم بارقليط والبار
قليط لا يجيئكم ما لم اذهب فاذا جا وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقا
نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب
اي وما جا بذلك واخبر بالحوادث والغيوب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبارقليط الحكيم والرسول اي على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذا من النجل
وهو الخروج ومن ثم سمي الولد نجلا لخروجه او مشتق من النجل وهو الاصل
يقال لعن الله ناجليه اي اصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل
المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من النخلة وهي سعة العين لانه انزل وسعة
لهم اي لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم وفي ذكر ما جا عن عطا بن يسار قال
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما فقلت اخبرني عن صفة

رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف
في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ اي سيء الخلق ولا غليظ اي شديد القول ولا سخاب بالسين وبالصاد
في الاسواق اي لا يصيح فيها وفي حديث اشد الناس عذابا كل جعظري جواظ سخاب
في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجا اي ملة ابراهيم التي غيرتها العرب واخرجتها عن
استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
اي لا تعي كانها في غلاف وفي لفظ ثم لقيت كعب الاحبار فسالته فما اخطا في حرف
الا في قوله لكن في رواية كعب واعطا المفاتيح ليبصر به اعينا عورا وليسمع
به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف
وفيها وعن بعض وصفه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما
احبار اليهود انه وال على جميع ما وصف به في التوراة وقف الا هذين الوصفين
وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه
ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها
له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا فعل فجبته قبل الاجل بيومين او ثلاثة
فاخذت بمجامع قميصه ورداه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت الا تقضيني
يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر اي عدو الله تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهو له فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان
تامرني بحسن الادا وتامره بحسن التباعة اي المطالبة اذهب واوفه حقه
وزده عشرين صاعا مكان ما رعته اي اخفته فاسلم اليهودي وذكر القصة
وفي التوراة لا ازال الملك في يهودا الى ان يجي الذي اياه تنتظر الامم اي لان
ماذا امره ظاهر الى ان يجي الذي تنتظره الامم اي المرسل اليهم وهو محمد
صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود بانه يوشع ورد

بنص التوراة في محل اخوان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال
لي انه سوف اقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وايما انسان لم يطع
كلامه انتقم منه لان قوله مثلي اي رسولا لم يكن له كتاب مشتمل على الاحكام
والشرايع وذكر المبدا والمعاد ولان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة
موسى في بني اسرايل خاصة وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال
منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها ان الله
يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود
وفي زبور داود سيولد لك ولد ادعى له ابا ويدعى لي ابنا واخوة من بني
اسرايل انما هم اولاد اسماعيل الذي اخو اسحاق وبنو اسرايل منه وايضا لو كان
المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جا الله من طور سينا
وظهر بساعير وعلن بفاران اي عرفه برسالة موسى وعيسى ومحمد صلى
الله عليه وسلم عليهم لان ظهور نبوة موسى كان في طور سينا وتقدم انه جبل
بالشام قيل هو الذي بين مصر وايليا وانزلت التوراة عليه فيه وظهور
نبوة عيسى كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه السلام كان
يسكن بقرية بارض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه وانزل
عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي
مكة وانزل عليه القران بها وفي التوراة ان اسماعيل اقام ببرية فاران وانما عبر في
جانب موسى بالجي لانه اول المشرعين لان كتابه الذي هو التوراة اول كتاب
اشتمل على الاحكام والشرايع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك
وانما كانت مشتملة على الايمان بالله وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق
الكتب عليها مجازا حصل بعيسى وبكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور وعبر في
جانبه بالظهور الذي هو اقوى من الجي لما زاد الظهور بمجي محمد صلى الله عليه وسلم
عبر عنه بالاعلان الذي هو اقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير قوله
تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون
نعته يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم
عن

عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات والشحوم التي حرمت على بني اسرايل
والبحيرة والسايبة والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبايث
التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم
من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما اصابهم
من البول والله اعلم ومن ذلك ما جا عن النعمان السبايي رضي الله تعالى عنه وكان
من احبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه فسالته
عن اشيا ثم قلت له ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقراه على يهود حتى تسمع
بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت
السفر فاذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه
انك خير الانبيا وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليك وسلم وامتك
الحامدون اي يحمدون الله في السرا والضرا قربانهم دماوهم اي يتقربون
الى الله تعالى باراقة دمايهم في الجهاد واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم
لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على افراخه
ثم قال لي يعني اباه اذا سمعت به فاخرج اليه وامن به وصدقه فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا نعمان حدثنا فابتدى النعمان الحديث من اوله فرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله اقول والنعمان هذا قتله الاسود العنسي
الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك
كذاب مفتر على الله حرقه بالنار اي ولم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي حرقه
الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذويب بن كليب او ابن وهب ولما بلغه صلى
الله عليه وسلم ذلك قال لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم
الخليل وهذا السفر يحتمل ان يكون ملخصا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل
على ان خيبر بل بعض كل قتال صدر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم للكفار بل ظاهره كل
قتال صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة لا يلقون
اي امته عدوا الا وبين ايديهم ملايكة معهم رماح وفي التوراة في صفته امته صلى الله

عليه وسلم زيادة علي ما سبق يوضئون اطرافهم ويتبازرون في اوساطهم يصفون
في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وفيها ايتزروا كما رايت الملايكة اي ليلة الاسرا
تتزر اي مو تتزرون عند ربها الى انصاف سوقها وفيها عليكم بالعمايم وارخوها
خلف ظهوركم فانها سيما الملايكة وكلاهما اي الاتزار وارخا العذبة من خصايص
هذه الامة وفيها ان العمايم تيجان المسلمين وفي رواية من سيما المسلمين اي
علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم ويوخذ من وصفهم بانهم يوضئون اطرافهم
ان الامم السابقة كانوا لا يتوضئون ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضو
من خصايص الانبيا دون اممهم الا هذه الامة ويوافقه ما رواه ابن مسعود
مرفوعا يقول الله تعالي فرضت عليهم ان يتطهروا في كل صلاة كما افترضت
علي الانبيا ان يكونوا طاهرين وان هذا اي وجوب التطهير لكل صلاة
كان في صدر الاسلام ولم ينسخ الا في فتح مكة كما سياتي ويخالف كون الوضو
من خصايص هذه الامة ما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه ابن لهيعة
عن بريدة قال دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم بوضو فتوضا واحدة
واحدة فقال هذا الوضو الذي لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضا ثنتين ثنتين
فقال هذا وضو الامم قبلكم ثم توضا ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوي ووضو
الانبيا من قبلي فان هذا يفيد ان الوضو كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبيايهم
كان ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضوء الانبيا اي كما اختصت
هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلي هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي
ان الوضو من خصايص هذه الامة بالنسبة لبقية الامم لا لانبيايهم وفي
كلام ابن عبد البر قيل ان ساير الامم كانوا يتوضئون ولا اعرفه من وجه صحيح
وفي كلام ابن حجر والذي من خصايصنا اما الكيفية المخصوصة او الغرة والتحجيل
هذا كلامه وهو يفيد ان كون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصايصنا
غير مقطوع به بل الامر فيه علي الاحتمال ولا يخفي ان الاشارة في قوله صلي الله عليه وسلم
هذا وضو الامم يدل علي الترتيب فقد استدل ايمتنا علي وجوب الترتيب
بانه صلي الله عليه وسلم لم يتوضا الا مرتبا باتفاق اصحابه ولو كان جايزا لتركه

في

في بعض الاحايين وما اعترض به علي دعوي الاتفاق بانه جا عن ابن عباس رضي
الله تعالي عنهما انه وصف وضوءه صلي الله عليه وسلم فتوضا فغسل وجهه ثم يديه
ثم رجليه ثم مسح راسه اجيب عنه بضعف هذه الرواية وعلي تقدير صحتها يجوز ان
يكون ابن عباس نسي مسح الراس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم اعاد غسل رجليه
والراوي عن ابن عباس لم يقف علي اعادة ابن عباس غسل رجليه وفي التوراة في صفة
امته صلي الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل في جو
السما كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتب
له حسنة واحدة وان عملها كتب له عشر حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون
بالكتاب الاول اي وهو التوراة او جنس الكتب السابقة والكتاب الاخير وهو القران
وروي الامام احمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالي لعيسي يا عيسي اني باعث
من بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا
واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا
حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالي يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ما ذكر
بعضهم ان هذه الامة اخر الامم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الامم كما شهد به حديث
ان الله قد قسم بينكم اخلاقكم قد دق جدا فلم يدرك هذه الامة منه الا اليسير من ذلك
مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وفيها انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن
وفي الانجيل حلما علما ابرارا اتقيا كانهم من الفقه انبيا وفي الطبراني ان عمر قال
لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد امير شديد
لا تخاف في الله لومة لايم وزاد عن جواب سواله قوله ثم الخليفة من بعدك تقتله
امة ظالمين له ثم يقع البلا بعده وفي صحف شعيا اسمه صلي الله عليه وسلم وكن المتواضعين
وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره
بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمومنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة
لو يمر الي جنب السراج لم يطفه من سكينته ولو يمشي علي القضيب الرعراع يعني اليابس
لم يسمع من تحت قدميه الي اخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي

في الخصائص الكبرى وشعيا هذا كان بعد داود وسليمان وقيل زكريا ويحيى
عليهم الصلاة والسلام ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه
فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها وادركه الشيطان فاخذ
هدبة ثوبه فابرزها فلما راوا ذلك جاوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها
ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا
من بعده اي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثاني تلك الرسل السبعة
اي وهو المبشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم تعالى يخاطب بيت المقدس لما اسكن
له الخراب والقا الجيف فيه ابشري باتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب
الجمل يعني محمد وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم انه يركب الحمار والبعير وقد
يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص بركوب الحمار بخلاف محمد
صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة وهذا اخرى فليتامل ومن علمه
ارميا قيل وهو الخضر والله اعلم واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاطي حاطي والفارق
الذي يمحق الله به الباطل وفارق وفاروق اي يفرق بين الحق والباطل وهو
كما تقدم معنى فارقليط او بارقليط بالفا في الاول والموحدة في الثاني
وقيل معناه الذي يعلم الاشيا الخفية وفي الينبوع من الالفاظ التي وضعوها
لا نفهم يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه السلام
قال اني اسال الله ان يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم
كل شي ويفسر لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين
ولم تشهد له بالبراة والصدق في النبوة بعد الا محمد صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر صاحب الدر المنظم باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله
تعالى عنه يا عمر اتدري من انا انا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل
لعيسى وفي الزبور لداود ولا فخر اي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل
التحدث بالنعمة يا عمر اتدري من انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل
البارقليط وفي الزبور حمياطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر
وذكر صاحب كتاب شفا الصدور في مختصره ان من فضايله صلى الله عليه وسلم

ما رواه مقاتل

ما رواه مقاتل ابن سليمان قال وجدت مكتوبا في زبور داود اني انا الله لا اله
الا انا ومحمد رسولي ووصف في مزامير داود بانه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له
ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار
ففيها تقلد ايها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما انت عليهم
بجبار اجيب بان الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر
وفيها يا داود سياتي من بعدك نبي اسمه احمد ومحمد صادقا لا اغضب
عليه ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه
وما تاخر اي على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات
الابرار سيئات المقربين اي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار وقد يعد
سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شانهم وامته مرحومة
ياتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبيا وفي مزامير داود ان الله اظهر
من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرييس وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث احو ناخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل
على ان مزامير داود ونسخه مختلفة بالزيادة والنقص وفي صحف ابراهيم
يوط موذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجوده فيها وتقدم
انه في صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين في تلك
الصحف وفي كتاب شعيب عبدي الذي يثبت شانه انزل عليه وحيي فيظهر في الامم
عدلي لا يضحك اي مع رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته في الاصوات لان
ضحكه التبسم يفتح العيون العور والاذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما
اعطيته لا اعطيه لاحد وفيه ايضا مشفح بالشين المعجمة والفاء والحا المهملة
اي زائي يحمد الله حمدا جديدا اي بخشوع لم يسبقه اليه احد ياتي من اقصى الارض
لعل المراد به مكة يفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الله
الذي لا يطفى سلطانه على كتفه وذكر البرية وسكانها اشارة لدولة العرب
والمراد سلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته صلى الله عليه وسلم
اي وذكر ابن ظفوان في بعض كتب الله المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده

بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به
من الوضيعة واهدي به من الضلالة والف به بين قلوب متفرقة واهوا مختلفة
واجعل امته خير الامم واما ما جا مما يدل علي وجود اسمه الشريف اعني
لفظ محمد مكتوبا في الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير
من ذلك ما جا عن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول الله
قال المراد فص خاتمه وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالي عنه مرفوعا ان فص خاتم
سليمان بن داود كان سماويا اي من السما القي اليه فوضعه في خاتمه اي وكان به
انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وحينيذ يكون
ما تقدم عن جابر وما ياتي يجوز ان يكون روي بالمعني وكان ينزعه اذا دخل الخلا
واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه امر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده
قبل نزعه وفي انس الجليل كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك
له محمد عبده ورسوله ووجد علي بعض الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح سيد امين
وفي جامع مدينة قرطبة بالمغرب عامود احمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب
اسالك بحق محمد الا غفرت لي قال وكيف عرفت محمدا وفي لفظ كما في الوفا وما محمد من محمد
قال لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت علي قوايم العرش
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الي اسمك الا احب الخلق اليك
قال صدقت يا ادم ولولا محمد لما خلقتك اي وفي لفظ كما في الشفا قال ادم لما
خلقتني رفعت راسي الي عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحي الله
اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفي الوفا عن
ميسرة قلت يا رسول الله متي كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوي الي السما
فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب علي ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبيا

وخلق

وخلق الله الجنة التي اسكنها ادم وحوي وكتب اسمي اي موصوفا بالنبوة او بما هو
اخص منها وهو الرسالة علي ما هو المشهور علي الابواب والاوراق والقباب والخيام
وادم بين الروح والجسد اي قبل ان يدخل الروح جسده فلما احياه الله تعالي نظر الي
العرش فراي اسمي فاخبره الله تعالي انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا
باسمي اليه اي فهو وصف بالنبوة قبل وجود ادم وفيه ايضا عن سعيد بن جبير اختصم
ولد ادم اي الخلق اكرم علي الله تعالي فقال بعضهم ادم خلقه الله بيده واسجد له ملايكته
وقال اخرون بل الملايكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لادم فقال لما نفخ
في الروح لم تبلغ قدمي حتي استويت جالسا فبرق لي العرش فنظرت فيه محمد رسول الله
فذاك اكرم الخلق علي الله عز وجل قيل وكان يكني ادم بابي محمد وبابي البشر وظاهره
انه كان يكني بذلك في الدنيا وتقدم انه يكني بابي محمد في الجنة ومن ذلك ما جا عن عمر بن الخطاب
ايضا رضي الله تعالي عنه قال لكعب الاحبار اخبرنا عن فضايل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مولده قال نعم يا امير المومنين قرات ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه
اربعة اسطر الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدني والثاني اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي
طوبي لمن امن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل
بيتي امن من عذابي ولم يذكر الرابع اي وذكر بعضهم ان في سنة اربع وخمسين واربعماية
عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد تقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش
فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الي الله تعالي بالدعا فنظروا فاذا نور
عظيم قد نزل من السما علي جبل من تلك الجبال ثم تاملوا الوحوش فاذا هي منصرفة
الي ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فصاروا معها اليه فوجدوا به صخرة طولها
ذراع في عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدوني
وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا وقعة العرب فانها
تكون من سبعة او تسعة والقيامة قد ازفت اي قربت وجا ان ادم عليه الصلاة والسلام
قال طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبا عليه ولم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسمه
صلى الله عليه وسلم علي نحور الحور العين وورق اجام اي ورق قصب اجام الجنة وشجرة طوبي

وسدرة المنتهي والحجب وبين اعين الملايكة وهذا الحديث ذكره بعض الحفاظ بوضعه
اي وقد قيل ان اول شي كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله
الا انا محمد رسولي من استسلم لقضايي وصبر علي بلايي وشكر نعمايي ورضي بحكمي كتبته
صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ
لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن امن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية
لما امر القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب علي سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله
يتامل هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما امر ان يكتب ما ذكر كان اول شي كتبه علي
سرادق العرش ما ذكر ثم كتابة ما امر به علي ذلك كما كتب اولا ذكر البسملة في اللوح المحفوظ
ثم تمم كتابة ما امر به يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما يكون في اللوح وعلي ساق العرش
ومن ذلك ما جا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام
قال وجدت اسم محمد علي ورق شجرة طوبي وعلي ورق سدرة المنتهي اي وعلي قصب اجام الجنة
ومن ثم قال السيوطي في الخصايص الكبري من خصايصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه
الشريف مع اسم الله تعالي علي العرش وفيها ولما خلقت العرش علي الما فاضطرب
فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم
علي ساير ما في الملكوت اي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصايص الصغري
له ايضا ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف علي العرش وكل سما والجنان
وما فيها وساير ما في الملكوت اقول ولا يخالف هذا اي ما تقدم عن ادم ما جا علي تقدير
صحته ان ادم لما نزل الي الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادي بالاذان
الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين
قال ادم من محمد قال جبريل هو اخر ولدك من الانبيا لجواز ان يكون ادم عليه السلام
اراد ان يستثبت هل هو محمد الذي راي اسمه مكتوبا واخبر بانه اخر الانبيا من ذريته
وانه لولاه ما خلقه واستشفع به او غيره فليتامل وانما قلنا علي تقدير صحته لانه
سياتي في بدء الاذان ان في سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفا الصدور
في مختصره عن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل
انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضي ولا سمايي ولا رفعت هذه الخضرا

ولا بسطت هذه الغبرا وفي رواية عنه ولا خلقت سما ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا
وبهذا يرد علي من رد علي القايل في مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاه ما كان لا فلك ولا فلك كلا ولا بان تحليل وتحريم

بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الي دليل ولم يرد في الكتاب
ولا في السنة ما يدل علي ذلك فيقال له بل جا في السنة ما يدل علي ذلك والله اعلم ومن ذلك
ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعنا في غيضة فاذا فيها شجرة عليها ورق مكتوب
عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رايت في جزيرة شجرة عظيمة
لها ورق كبير طيب الرايحة مكتوب بالحمرة عليه والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة
خلقة ابدعها الله تعالي بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني
محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض اخر قال دخلت
بلاد الهند فرايت في بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سودا طيبة
الرايحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر
الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الي وردة لم تفتح فرايت فيها
كما رايت في ساير الورد وفي البلد منها شي كثير واهل تلك البلد يعبدون الحجارة
ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند
فرسينا في جزيرة فراينا فيها وردا احمر زكي الرايحة مكتوب عليه بالاصفر براة من الرحمن
الرحيم الي جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله اي ومن ذلك ما حكاه بعضهم
قال رايت في بلاد الهند شجرة تثمر يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة
خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم
يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث وهذا وفي مزيل الخفا
الاقتصار علي لا اله الا الله اي وحينيذ لا يكون شاهدا علي ما ذكرنا ومن ذلك
ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها ورق خضر
علي كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان اهل تلك البلاد اهل اوثان وكانوا يقطعونها ويعفون اثارها فترجع
الي ما كانت عليه في اقرب وقت فاذابوا الرصاص وجعلوه في اصلها فخرج من حول

المرصاص اربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصادوها
يتبركون ويستشفون بها من الامراض اذا اشتد وبخلقونها بالزعفران واجل
الطيب ومن ذلك انه وجد في سنة سبع او تسع وتسعمائة حبة عنب فيها بخط
بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها
الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رايتها القيتها
في النهر احتراما لها وعن بعض اخر قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه
سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضا فنظرنا فاذا مكتوب
بالاسود علي اذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى محمد
رسول الله فقذفناها في البحر وعن بعضهم انه طرحت له سمكة بيضا واذا
علي قفاها مكتوب بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطاير في فمه لوزة
خضرا فالقاها فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضرا
مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ومن ذلك ما حكاه بعضهم
انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقولون
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان فتي يوم رشيد بد الجو ظهرت
سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشا حتى احترقت ما بين الخافقين وحالت
ما بين السما والجهتين البلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة بخط واضح
لا اله الا الله محمد رسول ولم تزل كذلك الي وقت العصر فتاب كل من كان
افتتن واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى ومن ذلك ما جا عن عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بلغني في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال كان لوحا من ذهب اي وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالموت
اي انه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب اي انه يحاسب كيف يضحك عجبا
لمن ايقن بالقضا اي ان الامور بالقضا والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول وروى البيهقي عن
علي رضي الله تعالى عنه ان الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه لوح من ذهب

فيه

فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالقدرة ينصب اي يتعب عجبت لمن
ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي لفظ لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي عجبت
لمن يومن بالرزق اي ان الله رازقه كيف ينصب اي يتعب وعجبت لمن يومن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله اقول قد يجوز ان
يكون ما ذكروا ولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكرنا ثانيا في الوجه الثاني
او ان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روي بالمعنى حفظ ذلك الكنز
لاجل صلاح ابيهما وكان تاسع اب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل
الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون
في حفظ الله وستره ويذكر ان بعض العلوية تهم هارون الرشيد بقتله فلما
دخل عليه اكرمه وخلي سبيله فقيل له بما دعوت حتى نجاك الله تعالى فقال
قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح ابيهما احفظني لصلاح اباي
كذا في العرايس والله اعلم ومن ذلك ما جا عن جابر رضي الله تعالى عنه قال مكتوب
بين كتفي ادم محمد رسول الله خاتم النبيين ويذكر بعضهم انه شاهد في بعض
بلاد خراسان مولودا علي احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول
الله اي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام اربعة وسبعين وثمانماية
جدي اسود غرته بيضا علي شكل الدايرة وفيها مكتوب محمد بخط في غاية الحسن
والبيان ومما حكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية رجلا ببياض
عينه اليمنى من اسفل مكتوب بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ
عبد الوهاب الشعراوي نفعنا الله تعالى ببركاته في كتابه لواقح الانوار القدسية
في قواعد السادة الصوفية وفي كتابي لهذا الموضع رايت علما من اعلام
النبوة وذلك ان شخصا اتاني براس خروف شواها واكلها واراني فيها مكتوبا
بخط الهي علي الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره
به من يشا قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك حكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه

وقد يقال لعل الحكمة التاكيد لعلو مقام الهداية كيف المجانبة لمقام الضلالة
والغواية وعن الزهري قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقا رايت حجرا
مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقراه فلما قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب
عليه باسمك اللهم جا الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه
موسى بن عمران

باب تاسع عشر في سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

قبل مبعثه عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قال وجا في بعض الروايات انه هذا الحجر هو
الحجر الاسود اي وقيل غيره وانه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر اي ولعله غير
الحجر الذي به اثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه وهو الذي يقال له
زقاق المرفق وغير الحجر الذي به اثر الاصابع وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله
عز وجل كرامته بالنبوة وكان اذا خرج لحاجته اي لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى بيتا
ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام
عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا انتهى والى ذلك
يشير صاحب الاصل بقوله

لم يبق من حجر صلب ولا شجر ۞ الا وسلم بل هناه ما وهبا

والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

والجمادات افصحت بالذي ۞ اخرس عنه لاحمد الفصحاء

اي والجمادات التي لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اي بالشهادة له صلى الله
عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به اهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وعن علي
رضي الله تعالى عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اي والى
تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

وما جزت بالاحجار الا وسلمت ۞ عليك بنطق شاهد قبل بعثة

واما حديث عايشه رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وما ذكره بعضهم

ان

ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله قال تلك
الشجرة ثم قال لها من انا فقالت رسول الله فليس من المترجم له وفي الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتهما له بالنبوة
واجابتها دعوته وفي كلام السهيلي يحتمل ان يكون نطق الحجر كلاما مقرونا بحياة
وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلى كل هو علم من اعلام
النبوة وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اكثر العقلا بل كلهم يقولون
عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم
عن نبي او ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت
والامر عندنا ليس كذلك بل من الحياة سار في جميع العالم وقد ورد كل شي سمع صوت
المؤذن من رطب او يابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال في ذلك وقال
فما اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شا الله تعالى كنحن
واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها
عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها ولذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك
منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك والله اعلم

باب عشرون في بيان حين البعث وعموم بعثه صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله رحمة
للعالمين وكافة للناس اجمعين وكان الله عز وجل قد اخذ له الميثاق على كل
نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا
ذلك الى كل من امن بهم وصدقهم اي فهم وامهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم
كما سياتي ذلك عن السبكي وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث على راس الاربعين قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من اهل السير والعلم
بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل
بزيادة سنتين وهو شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين
وما قيل انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعين هي من الكمال ونهاية بعث
الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث نبي الا

على راس اربعين سنة هذا كلام الكشاف **واما من يذكر** عن المسيح انه رفع الى السما
وهو ابن ثلاث او اربع وثلاثين سنة اي ومعلوم انه دعي الى الله عز وجل قبل
ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى انتهى **اي** وعليه جرى غير
واحد من المتاخرين بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغني ان احدا من المفسرين ذكر في
مبلغ سنه اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه **وفي الهدي** واما ما يذكر
عن المسيح انه رفع الى السما وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به اثر متصل يجب
المصير اليه هذا كلامه ويوافق ما تقدم عن المفسرين وما في العرايس ولما اتت له
يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ثلاثون سنة اوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم
ويضرب الامثال لهم ويداوي المرضى والزمنا والعميان والمجانين ويقمع الشياطين
ويذلهم ويدحرهم ففعل ما امر به واظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عازر بعد
ثلاثة ايام من موته **وعبارة الجلال المحلي** في قطعة التفسير احيا عيسى عليه السلام
اربعة عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا كلامه
وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع
ويوافق ذلك ايضا قول ابن الجوزي واما حديث ما من نبي الا نبي بعد الاربعين
موضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام نبي ورفع الى السما وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة اي نبي وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل
نبي وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليس بشي
هذا كلامه **اي وفيه** ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا
قول القاضي البيضاوي وبعث نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل اربعين ويوافقه
ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة
سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بناء على ان الحكم في قوله تعالى واتيناه
الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك بل احكم الله عقله في صباه
واستنباه **وقيل** كان ابن سنتين او ثلاث **وللاوي في الخلافة العقد** لرجل وهو غير
بالغ صنف الامام الصولي له كتابا بايمن ولي الامر وهو غير بالغ واستدل على جوازه بذلك
بان الله بعث يحيى بن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم

من الصبيان

من الصبيان قال بعضهم وهو كتاب حسن فيه فوايد كثيرة **وكان** ذبح يحيى عليه الصلاة
والسلام قبل رفع عيسى عليه السلام بسنة ونصف سنة **ومما يدل** على ما تقدم عن الهدي
اي من انكار ان عيسى رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة
تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم
في مرض موته لابنته فاطمة اخبرني جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله
واخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين
وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله وفي كون كل نبي عاش
نصف ما عاش الذي قبله يشكل ان نوحا كان اطول الانبيا عمرا ومن ثم قيل له اكبر الانبيا
وشيخ المرسلين وهو اول من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم **ثم رايت** ان الحافظ
الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله **وقال العماد ابن**
كثير انه غريب جدا **وعن** عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اي ينتظرون
فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف
اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي **زاد في رواية** لا اقولهن
فخرا **اما اولهن** فارسلت الى الناس كلهم عامة اي في زمنه وغيرهم ممن تقدم
او تاخر اي وللشعوب والجن الى اخر ما ياتي وكان من قبلي وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل
الى قومه اي جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح فانه كان مرسلا لجميع كان
في زمنه من اهل الارض ولما اخبر بانه لا يؤمن منهم الا من امن معه وهم اهل السفينة
وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امراة **وفي عوارف المعارف** اصحاب السفينة
كانوا اربعماية وقد يقال من الادميين وغيرهم فلا مخالفة **دعا** على من عدا من ذكر
باستيصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع اهل الارض الا من امن
ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعى عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى
وما كنا معذبين اي في الدنيا حتى نبعث رسولا **وقد ثبت** ان نوحا اول الرسل الى من يعبد
الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك و
لا يخالفه كون اول الرسل ادم ارسله الله تعالى الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرايعه

وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حوى في الجنة لان الله تعالى امره ان يامرها
وينهاها في ضمن اخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شيتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك على الارسال كما ادعاه بعضهم
فعلم ان عموم رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لجميع اهل الارض في زمنه لا يساوي عموم
رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينيذ
يسقط السوال وهو لم يبق بعد الطوفان الا من صادت رساله نوح عامة و يسقط
جواب الحافظ بن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل
بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين
الدعوة والطوفان مابة عام وقد حققنا في ما سابق ان ادم ومن بعده دعا الى الايمان
بالله وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع
الا من نوح ومن بعده واما قول اليهود او بعضهم وهو العيسوية طائفة من اليهود
اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل
وانه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم
التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله لكل الناس
اقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه كما بلغتهم ليفهموا عنه ثم
يبلغ الشاهد الغايب ويحصل الافهام لغير اهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم
الذي ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين
كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني
اي وهي التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية
ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية والله اعلم واشار الى الثانية
من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر اي
امامه وخلفه بلا مني رعبا اي يقذف الرعب في قلوب اعدايه وجعل الغاية شهر لانه
لم يكن بين بلده وبين احد من اعدايه اي المحاربين له اكثر من شهر اي ان سيدنا
سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنوده من الانس والجن وغيرها الى الحرم
وكان يذبح كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة والمسافة بينهما كانت

ماية فرسخ قال لمن حضر من اشراف قومه هذا مكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع
من ناواه ويبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله
لومة لايم ثم قالوا فباي دين يا نبي الله يدين قال بدين الحنيفية فطوبى لمن امن به قالوا كم بين
خروجه وزماننا قال مقدار الف عام واشار الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنايم كلها وكان
من قبلي اي من امر بالجهاد منهم يعطونها ويحرمونها اي لانهم كانوا يجمعونها اي والمراد
ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا للغانمين
دون الانبيا ولا يجوز للانبيا اخذ شي من ذلك بسبب الغنيمة كذا في الوفا وجا في بعض
الروايات واطعمت امتك الفي ولم احله لامة قبلها اي والمراد بالفي ما يعم الغنيمة كما انه
قد يراد بالغنيمة ما يعم الفي وفي بعض الروايات وكانت الانبيا يعزلون الخمس فتجي النار
فتاكله اي فتنزل نار بيضا من السما فتاكله اي حيث لا غلول وامرت ان اقسمه في فقرا امتي وفي تكملة تفسير
الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد في زمن عيسى عليه السلام ولعله لم يكن
ممن امر بالجهاد فلا ينافي ما سبق واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا ايما ادركتني الصلاة تمسحت اي تيممت حيث لا ما وصليت فلا يختص
السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي يعظمون ذلك اي الصلاة في اي محل ادركتهم
انما كانوا يصلون في كنايسهم وبيعهم اي ولم يكن احدهم يتيمم لان التيمم من خصايصنا
وفي روايه وجا في تفسير قوله
تعالى واختار موسى قومه الايات من الماثور ان الله تعالى قال لموسى اجعل لكم الارض
مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا لا نريد ان نصلي الا
في كنايسنا فعند ذلك قال الله تعالى سأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة الى قوله المفلحون
اي وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويصلي حيث
ادركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبيا
يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلي مع امته الا في محرابه واما عيسى فخص بانه يصلي
حيث ادركته الصلاة وسياتي في الخصايص الكلام على ذلك واشار الى الخامسة
بقوله قيل لي سل فان كل نبي قد سال فاخرت مسالتي الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد
ان لا اله الا الله وفي لفظ لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد اي اخراج

من ذكر من النار لان شفاعة غيره صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه اكثر من ذلك
قال القاضي عياض وقد جا في بيان من يشفع ويأذن الله له في الشفاعة ملك او نبي
نبي او شهيد الاشفع وفي رواية ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهدا والصالحون والمؤمنون
فيشفعهم الله عز وجل وقد جا ان اول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم
رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه وفي الحديث اني تحت العرش فاخر ساجدا فيقال
يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير من الايمان وفي لفظ حبة من خردل
وفي لفظ ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه اي من النار فانطلق
فافعل اي اخرجه من النار وادخله الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه
في ادخال اهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا دخلت الجنة
فنظرت الى ربي خررت ساجدا فيأذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقال ارفع
راسك يا محمد واشفع تشفع واسال تعطه فاقول يا رب شفعني في اهل الجنة
ان يدخلوا الجنة فيأذن الله تعالى لي في الشفاعة الى اخر ما تقدم ومن هذا يعلم ان
الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة لما
تقدم من قوله اني تحت العرش فاخر ساجدا الى اخره انما ذلك في الشفاعة في
فصل القضا فهذا خلط في بعض الروايات اي خلط الشفاعة في الموقف
التي هي الشفاعة في فصل القضا بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول
اهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة وفي اخراج اهل التوحيد من النار
والشفاعة في فصل القضا هي التي دل بها في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة
ثم قال ابن دقيق العيد الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد الشفاعة
العظمى في اراحة الناس من هول الموقف اي وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده
ويغبطه فيه الاولون والاخرون المعني بقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه يجمع الناس في صعيد واحد فاول مدعو
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من
هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت

وتعاليت

وتعاليت سبحانك رب البيت وقد هاجت فتنة كبيرة ببغداد بسبب هذه الاية اعني
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه
وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضا فدام الخصام الى ان اقتتلوا
فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى
الله عليه وسلم لي عند ربي ثلاث شفاعات وعدني بهن وفي كلام بعضهم له صلى
الله عليه وسلم تسع شفاعات اخر غير فصل القضا حكي في اختصاصه ببعضها
خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال النووي
وجماعة هو مختص به والشفاعة في اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال
القاضي عياض وغيره ويشركه فيها من يشا الله والشفاعة في اخراج من ادخل النار
من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة
في اخراج من ادخل منهم النار وفي قلبه ازيد من ذرة من ايمان ويشاركه فيها
الانبيا والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد من في قلبه مثقال
ذرة من ايمان الى اخره عام في امته وغيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم
جاء في الصحيح فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله ومات على ذلك قال ليس
ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل
على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف
امتي وفي رواية ثلثي امتي الجنة اي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا فاخترت الشفاعة وعلمت انها اوسع لهم لانا نقول
المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيئا خصوص
امته واما من قبلها فيه ليبين ذلك لكن فيهم الموحدون من الامم السابقة فليتامل
مع ما سبق من شفاعة الانبيا والملائكة والمؤمنين والشفاعة في زيادة الدرجات
في الجنة لاهلها وجوز النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف
العذاب عن بعض الكفار كابي طالب وابي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب
والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب وقد وصل ابن القيم
شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى اكثر من عشرين شفاعة وفي رواية اعطيته ما لم يعطه

احد من الانبيا نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض اي وفي لفظ وبينا انا نايم
رايتني اتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت بين يدي ولا منافاة لانه يجوز ان اعطي
ذلك بيقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت احمد اي ومحمد اي لانه لا احد من الانبيا سمي
بذلك فهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبيا كذا في الخصايص الصغرى
وتقدم ان التسمية باحمد من خصايصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وفي وصفه
صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام اني عبد الله الاية
وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي الاية
هو الاصل في ذكر العلما مننا فيهم في كتبهم وهذا ماخوذ من قوله تعالى واما
بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه
كفر قال الله تعالى لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان عذابي لشديد صعد
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي احد ثم
نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان الثوري
رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق في ذلك التفصيل
وهو ان من خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الريا فعدم التحدث بها وعدم
اظهارها اولى ومن لم يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها اولى اي وفي الشفا
انه احمد المحمودين واحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الاولون والاخرون
لشفاعته لهم فتحقق انه سمي محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم
عن الهدي ان احمد ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول وقد جا انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت امتي خير الامم قال القاضي البيضاوي
وفي التسمية بالاسما العربية تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه وفي رواية
لما اسري بي الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى
قبلني ثم جعلت امتك اخر الامم لافضح الامم عندهم بل توقفهم على اخبارهم
ولا افضحهم عندهم الامم اي لما اخرها عنهم وعليه فالضمير في ادنى يعود اليه
صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنى فتدلى الاية عبارة عن تقريبه

تعالى

تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان دنى فتدلى الاية عبارة عن تقريبه تعالى
النبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في دنى الى اخره يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفي رواية
نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق وفي رواية
نحن اخر الامم واول من يحاسب تنفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين
من اثر الطهور وفي رواية من اثار الوضو فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون
انبيا كلها هذا وفي رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر الوضو وفي رواية
فضلت على الانبيا بست اي ولا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست هنا
لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي هذا على اعتبار
مفهوم العدد ثم اشار الى بيان الست بقوله صلى الله عليه وسلم اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة
والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي
وهذا القول اي ارساله للملايكة رجحته في كتاب الخصايص وقد رجحه قبلي
الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبيا والامم السابقة عليه من لدن
ادم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات
والجمادات وازيد على ذلك انه ارسل الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملايكة منهم
الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في
شرح التقريب وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع
هذا كلامه وبهذا الثاني افتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم
ارسلت الى الخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص والذي اريد
به الخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في ارض واقام الصلاة صلى
خلفه من الملايكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز
ان لا يكون ذلك صادرا عن بعثته اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود
لما تقدم ان المراد بذلك العرب والعجم وفي الشفا وقيل الحمر الانس والسود الجان والاسود
القول الاول القايل بانه ارسل للملايكة يقول له تعالى ومن يقل منهم اي من الملايكة
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملايكة على لسانه صلى الله عليه وسلم

في القران الذي انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع فيها فهي دعوى غير
مسموعة ثم رايت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة ادلة
ايضا وكاني لا تثبت المدعي الذي هو ان الملايكة يكلفون بشرعة كما لا يخفي علي من رزق نوع
فهم بالوقوف عليها تعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبيا واممهم فنبوته
ورسالته اعم واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الي اوليك الامم
ما جات به انبياوهم لان الاحكام والشرايع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات
قاله السبكي اي فجميع الانبيا واممهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقد كان
صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه
السلام كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني واخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت
قال جا عمر رضي الله تعالى عنه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني مررت باخ لي من قريظة فاثبت لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد
بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من
النبيين وفي النهر لابي حيان ان عبد الله بن سلام استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقيم علي السبت وان يقرا من التوراة في صلاته من الليل فلم ياذن له وكون
جميع الانبيا واممهم من امته صلى الله عليه وسلم فالمراد امة الدعوة لا امة الاجابة
لانها مخصوصة بمن امن به بعد البعثة علي ما تقدم وياتي وبعثته صلى الله عليه وسلم
رحمة حتى للكفار بتاخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كساير الامم المكذبة وحتى
للملايكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد ذكر في الشفا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشي العاقبة
فامنت لثنا الله تعالى علي في القران بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين
قال الجلال السيوطي ان هذا الحديث لم نقف له علي اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل من ساير
المرسلين وجميع الملايكة المقربين وفي لفظ اخر فضلت علي الانبيا بست لم يعطهن
احد كان قبلي غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واحلت لي الغنايم وجعلت
امتي خير الامم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واعطيت الكوثر ونصرت بالرعب

والذي

والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن دونه
معي لوا الحمد انا امشي ويمشي الناس معي حتى اتي باب الجنة الحديث اقول قد سلك
مما حكاه الجلال السيوطي انه ورد الي مصر نصراني من الفرنج وقال لي شهد ان
الزمتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث الكاملية وراس العلما اذ ذاك
الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال له النصراني والناس يسمعون اي افضل
عندكم المتفق عليه او المختلف فيه فقال له الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له
النصراني قد اتفقنا نحن وانتم علي نبوة عيسى واختلفنا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فيلزم ان يكون عيسى افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين ساكتا من اول النهار
الي الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ راسه وقال عيسى قال لبني
اسرايل ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال
وتومن باحمد الذي بشر به فاقام الحجة علي النصراني واسلم بانه كيف اقام الحجة علي كون
محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى دعا به ما ذكر ان محمدا رسول الله فاجيب بانه حيث
ثبت ان محمدا رسول وجب الايمان به وبما جا به واخبر به انه افضل من جميع الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقد سيل ابو الحسن الحاذ بالحا المهملة من فقها بنا معاشر
الشافعية محمد وموسى ايهما افضل فقال محمد فقيل له ما الدليل علي ذلك فقال انه تعالى
ادخل بينه وبين موسى لام الملك فقال واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق بين من اقام بوصفه وبين من اقامه
مقام نفسه والله اعلم وفي رواية اذا كان يوم القيامة كان لي لوا الحمد وكنت امام المرسلين
وصاحب شفاعتهم وفي لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين علي الله ولا فخر وانا اول شافع وانا اول مشفع
يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة اي حلق بابها فيفتح الله لي فادخلها
ومعي فقرا المومنين ولا فخر اي وفي رواية اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اي احرك حلقة
الباب او اقرعه بها لا بصوت فيقول له الخازن اي وهو رضوان من انت فاقول محمد
وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت لا افتح وفي رواية ان لا افتح لاحد قبلك زاد في رواية
ولا اقوم لاحد بعدك فلا افتح له من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يقوم الا له

ولا يفتح لغيره من الانبيا وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الجنة الخزنة وهي خصوصية
عظيمة نبه عليها الحضرمي وكون الفاتح له الخازن لا ينافي ما قبله من كون الفاتح
له الحق سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي وفي رواية
انا اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلق الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار جل جلاله فاخر له ساجدا اي في الكلام يوم القيامة
ولا يرد ان نبينا على ان دخول الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل
يوم القيامة وفي القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع الله للحساب ولا ينافيه ما جا اول
من يقرع باب الجنة بلال بن حمامة على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع
الباب الاصلي لا الحلقة والاول من الامة والله اعلم وفي الاوسط للطبراني باسناد
حسن حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وسياتي
ان هذا من جملة ما اوحي اليه ليلة المعراج الذي اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى ولعل هذا هو المراد مما جا في المرفوع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
حرمت الجنة على جميع الامم حتى ادخلها انا وامتي وان ظاهرها من انه لا يدخلها
احد من الانبيا الا بعد دخول هذه الامة ليس مرادا وفي هاتين الروايتين منقبة
عظيمة لهذه الامة المحمدية وهي انه لا يدخل احد من الامم السابقة ولو من صلحايها
وعلمايها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار من عصاة هذه الامة
بنا على انه لا بد من تعذيب طايفة من هذه الامة في النار ولا بعد في ذلك لانه
تقدم ان اول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم
ولا ياتون الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة في النار ودخل الجنة
وجا انه يدخلها قبله من امته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا لا حساب
عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من يدخل الجنة الا ان يقال
اول من يدخل الجنة من الباب وهولا السبعون الفا ورد انهم يدخلون من اعلى
حايط في الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك ما جا اول من يدخل الجنة ابو بكر
لان المراد اول من يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالي ولا يعارض ذكر ما تقدم
عن بلال لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية عن الدخول

فالمراد

فالمراد من الموالي ولا يعارض ذلك ايضا ما جا اول من يدخل الجنة بنتي فاطمة
كما لا يخفى لان المراد اول من يدخلها من نسا هذه الامة فالاولية اضافية وجا
لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وعن انس رضي الله عنه فضلت على
الناس باربع بالسخا والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع اي وعن سلمى مولاته صلى
الله عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسايه التسع ليلة وتطهر من
كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب ومما يدل على قوة بطشه صلى الله
عليه وسلم ما وقع له مع ركانة كما سياتي وفي الخصايص الصغرى وكان افرس العالمين فهو صلى
الله عليه وسلم اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم واكملهم في جميع
الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام من خصايصه صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى اخبره بالمغفرة اي لما تقدم وتاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل
ذلك اي ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به وقوع
غفران نفس الذنب المتقدم والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص
به عن الانبيا وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا ينافي ذلك قوله تعالى في حق
داود فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم
اي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي الا الى اخره وعن ابي موسى رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل
النار اي لانه يجب عليه ان يؤمن به اقول والذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع
بي من هذه الامة يهودي او نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب
النار اي من سمع نبينا محمد وهو موجود في زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات
غير مؤمن بما ارسل به كان من اصحاب النار اي ومن جملة ما ارسل به انه ارسل الى الخلق
كافة لا لخصوص العرب تامل وانما خص اليهود والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا
كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوس اولى لان اليهود كتابهم
التوراة والنصارى كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية
اخذا من قول موسى انا هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن كان على دين موسى يسمى يهوديا وشريعة
الانجيل يقال لها النصرانية اخذا من قول عيسى من انصاري الى الله فمن كان على دين عيسى يسمى نصرانيا

وكان القياس ان يقال له انصاري وقيل النصراني نسبة الي ناصرة قرية من قري الشام
نزل بها عيسي عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين في ذلك وجا في رواية
وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة اي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل
واحد علي حدته وان امته حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا تطيقه الذي اشارت
اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه اسلم وفي الخصايص الصغري واسلم قرينه ومجموع
تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن
النظر وذكر ابو سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفي انه عدد الذي اختص به نبينا
صلي الله عليه وسلم عن الانبيا فاذا هي ستون خصلة اي ومن ذلك اي مما اختص به صلي
الله عليه وسلم في امته ان وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به احد من الامم السابقة
سوي الانبيا فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت بالوصف الذي
كان يوصف به الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام علي القول الراجح نقلا
ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطي رحمه الله

باب [illegible] بدء الوحي له صلي الله عليه وسلم

عن عايشة رضي الله تعالي عنها اول ما بدي به رسول الله صلي الله عليه وسلم من النبوة
حين اراد الله تعالي به كرامته ورحمة العباد به الرويا الصالحة لا يري رويا الا
جاءت كفلق اي وفي لفظ كفرق الصبح اي كضيا به وانارته فلا يشك فيها احد
كما لا يشك احد في وضوح ضيا الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يري شيا في المنام
الا كان اي وجد في اليقظة كما راي فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جات في رواية
البخاري في التعبير ولا يخفي ان رويا النبي صلي الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت
شاقة كما في رويا يوم احد قال قال القاضي وغيره وانما ابتدي رسول الله صلي الله
عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه الملك الذي هو جبريل بالنبوة اي الرسالة فلا تحتملها
القوي البشرية اي لان القوي البشرية لا تحتمل روية الملك وان لم يكن علي صورته
التي خلقه الله عليها ولا علي سماع صوته ولا علي ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرويا
تانيسا له صلي الله عليه وسلم والمراد بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالي
بنا عدم رويتنا للملايكة اي علي الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا علي احسن صورة فلو

كنا

كنا نراهم لطارت اعيننا وارواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس اول ما يوتي
به الانبيا في المنام اي ما يكون في المنام حتي تهدي قلوبهم ثم ينزل الوحي انتهي اي
في اليقظة لان رويا الانبيا وحي وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل للشيطان
اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية كما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع
في عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جا نحن معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا
اقول وحينئذ يكون القول بان من خصوصياته صلي الله عليه وسلم اجتماع انواع
الوحي الثلاثة له وعد منها الرويا في المنام وعد منها الكلام من غير واسطة
وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون في الرويا
وموسي عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل وذكر بعضهم
ان مدة الرويا ستة اشهر قال فيكون ابتدا الروية حصل في شهر ربيع الاول وهو مولده
ثم اوحي اليه في اليقظة اي في رمضان ذكره البيهقي وغيره وجا في الحديث الرويا الصادقة
وفي البخاري الرويا الحسنة اي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلي الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة سنة
وبالمدينة عشر سنين يوحي اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاثة وعشرين سنة ومدة
الوحي في المنام اي التي هي الرويا ستة اشهر فالمراد خصوص روياه وخصوص
نبوته صلي الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدي واقره حيث قال قيل كانت الرويا
ستة اشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة فهذه الرويا جزء من ستة واربعين
جزءا هذا كلامه وحينئذ يكون المعني ورويتي جزء من ستة واربعين جزءا
من نبوتي ولا يخفي ان هذا لا يناسب الرويا الصالحة من الرجل الصالح اذ هو يقتضي ان
مطلق الرويا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته صلي الله عليه وسلم ونبوة
غيره فليتامل ولم اقف في كلام احد علي ان مشاركة احد من الانبيا له صلي الله عليه وسلم
في هاتين المدتين وحينئذ تخالف الخصوصية التي ادعاها بعضهم علي هذا ومما يدل
علي ان المراد مطلق الرويا ومطلق النبوة لا خصوص روياه ونبوته صلي الله عليه وسلم ما جا
في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزءا
وفي رواية من اربعة واربعين وفي اخري انها جزء من خمسين جزءا من النبوة وفي رواية
من تسعة واربعين وفي اخري انها جزء من ستة وسبعين وفي اخري من خمسة وعشرين جزءا

وفي اخرى من ستة وعشرين جزءا وفي اخرى من اربعة وعشرين فان ذلك باعتبار الاشخاص
لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا رواية
ستة واربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا نعلم ان الرواية المذكورة جزء
من مطلق النبوة اي جزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب ولاينافي انقطاع
النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة اي لا توجد بعدي وبقيت المبشرات
اي المراي اي التي كانت مبشرات للانبيا بالنبوة بدليل ما في رواية لم يبق بعدي من المبشرات
اي مبشرات النبوة الا الرؤيا لتجرد الرؤيا الخالية عن شي من مبشرات النبوة بدليل ما في لفظ لم
يبق الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له لا ينافي الرؤيا الصادقة تكون من الكافر وله
وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا وفيها وانها
وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤية مبشرة بخبر عاجل او اجل تكون منذرة بشر
كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر
الضار بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يقود الى الخبر لان النذارة ربما قادت الى الخير
ذوي الانظار ومن المجاز تسمية الشي باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم وهي وهذه الاية
للتهكم وجاء رجل اي وهو ابو قتادة الانصاري الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني ارى في المنام الرؤيا تمرضني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة
من الشيطان فاذا رايت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث
مرات فانها لا تضرك اي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا راى احدكم
ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن الشيطان كان يقول اعوذ بالله من شر ما رايت من شر
الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره زاد في رواية وان يتحول عن
جنبه الذي كان عليه زاد في اخرى وليقم فليصل اي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من
المكروه الذي راه وفي البخاري اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها
وليتحدث بها اي ولا يخبر بها الا من يحب واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
اي لا حقيقة لها وانما هي تخيل يقصد به تخويف الانسان والتهويل عليه فليستعذ
بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار ثم ليقل اللهم اني اعوذ بك
من عمل الشيطان وسيئات الاحلام وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان
في معناه لان صاحب الرؤيا يرى الشي على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه
على خلاف ما هو عليه فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها امثلة يدركها

الراي

الراي جزء لم تستول عليه افة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرؤيا
اصح وذكر الحكيم الرازي ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها اي اثرها عن قريب والرؤية
الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل
الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل واما الاعلام
بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى يكون البهجة الحاصلة بسبب
توقع حصول ذكر الخير اكثر وهذا اجري على ما هو الغالب والاصل قال جعفر الصادق
قد تتاخر الرؤيا فقد راى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه كان كلبا ابقع يلغ في دمه
فكان اي ذلك الكلب الابقع شمر قاتل الحسين وكان ابرص فكان تاخر الرؤيا
بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء ان يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورا
اي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا امر وفي رواية
والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان فاني لاخشى ان اكون كاهنا
اي يكون الذي يناديني تابع من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب
سدنتها والكاهن ياتيه الجني بخبر السما وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون
اي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي
الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك الكريم اي فلا يكون
للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله تعالى عنها بما فيه من الصفات العلية
السنية والاخلاق الهنية على ان من كان كذلك لا يخزى الا خيرا ونقل الماوردي عن الشعبي
ان الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشي بعد الشي ولا ينزل له القران فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهله فيه
المدة ليتاهب لوحيه وفيه انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالوحي ما قال لخديجة
ما تقدم الا ان يقال ما تقدم انما قاله لخديجة في اول الامر ويدل لذلك ما قيل
انه صلى الله عليه وسلم مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا
وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت
ستة اشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون وهذا الشي الذي كان يعلمه اسرافيل
لم اقف عليه ما هو والله اعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي تكون

بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام
ذكر الله تعالى فيصفو ويشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو
وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط
عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب وكان صلى الله عليه وسلم يتحنث اي
يتعبد بغار حرا الليالي ذوات العدد ويروى اولات العدد اي مع
ايامها وانما غلب الليالي لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد
لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة
شهر رمضان او غيره وفي كلام بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل صلى الله عليه وسلم
اقل من شهر وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد محمولا على المدد
الذي كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى انتهى
اشهر ولذا قول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليالي وتارة
شهرا او لم يصح انه صلى الله عليه وسلم اختلى اكثر من شهر قال السراج البلقيني
في شرح البخاري لم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة
والسلام هذا كلامه وسياتي بيان ذلك قريبا ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك
الليالي اي وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة رضي الله تعالى عنها فيتزود لمثلها
اي وقيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت
يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذي يختلي فيه ثم رايت عن الحافظ ابن حجر
مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا نفد ذلك الزاد
رجع الى اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش وكان
غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد
اليه ولاسيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه
وهو يشير فيه الى ثلاثة اوجه الاول انه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا
من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا
الثالث انه على فرض ان يدخر ما يكفيه شهرا اي من الكعك والزيت الا انه صلى الله عليه وسلم
كان يطعم فربما نفد ما ادخره وانما اختار الزيت للادم لان دسومته لا يتغير منها الطبع

بخلاف

بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة
مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة اي من عصارة ثمرة هذه الشجرة
المباركة التي هي الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا
في شريف البقاع التي بورك فيها كالارض بيت المقدس حتى في اه الخ وهو غار
حراء في اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد بن عمير رضي الله تعالى عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة شهرا وكان ذلك مما يتحنث
فيه قريش في الجاهلية اي الجاهليين منهم اي وكان اول من تحنث فيه من قريش
جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الزبير اول من تحنث بحراء عبد المطلب
كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتاله
اي يتعبد كورقة بن نوفل وابو امية بن المغيرة وقد اشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم
صاحب الهمزية بقوله

الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الاعضاء

اي الف صلى الله عليه وسلم العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشان العلي شان
الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس البدن والمعول
عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية مطلق اعتزال الناس واراد
بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله تعالى عنها انها قالت
لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله
الناس في غار حراء فلا ينافي قوله طفلا ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم بغار حراء
كانت في زمن تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله تعالى عنها فكان صلى الله عليه وسلم يجاور
ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين اي لانه كان من نسك قريش في الجاهلية اي في ذلك
المحل ان يطعم الرجل ممن جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده في غار حراء اي مع
الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل
صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر
مع الانقطاع عن الناس اي لاسيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يجتمع القلب وينسى
المالوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة

وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر اي مع الانقطاع كما ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص
بذلك المحل الا ان يدعي ان التفكر فيه اتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به وقيل
تعبده صلي الله عليه وسلم كان بالذكر وصححه في سفر السعادة وقيل بغير ذلك ومن ذلك الغير
انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسي وقيل عيسي غير ما نسخ منها في
شرعنا وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ
محيي الدين بن العربي تعبده صلي الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم حتي فجاه
الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة
حتي يفتح الله في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القران ويكون من المحدثين
بفتح الدال ثم يصير الي ارشاد الخلق وكان صلي الله عليه وسلم اذا قضي جواره من شهره
ذلك كان اول ما يبدا به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا
او ما شا الله تعالي به ما اراد من كرامته صلي الله عليه وسلم وذلك شهر رمضان وقيل
شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم الي حرا كما كان
يخرج لجواره ومعه اهله اي عياله التي هي خديجة ام المؤمنين واولادها ويدنو منهم حتي
اذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالي فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة
ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشرينه وقيل كان ذلك ليلة ثامن
ربيع الاول اي وقيل لليلة ثالثة قال بعضهم القول بانه في ربيع الاول
يوافق القول بانه بعث علي راس الاربعين لان مولده صلي الله عليه وسلم كان في ربيع
الاول علي الصحيح اي وهو قول الاكثر وقيل كان ذلك ليلة او يوم السابع والعشرين
من رجب فقد ورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه
قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي
نزل فيه جبريل علي النبي صلي الله عليه وسلم بالرسالة واول يوم هبط فيه جبريل هذا
كلامه اي اول يوم هبط فيه علي النبي صلي الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وسياتي
في بعض الروايات ان جبريل عليه السلام نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين
ويجوز ان يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال لبلال لا يفوتك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه وبعثت فيه فلا
مخالفة بين كونه نبي في الليل وبين كونه نبي في اليوم اذ وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم

ابتدا نزول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القران

اتاه صلي الله عليه وسلم جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين
لسبع عشرة خلت من رمضان في حرا فجاه بامر الله تعالي وهذا القول اي ان البعث كان
في رمضان قال به جماعة منهم الامام الصرصري حيث قال
وأتت عليه أربعون فأشرقت ** شمس النبوة منه في رمضان ** واعترض
واجيب بان المراد بنزول القران في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر
الي بيت العزة في سما الدنيا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فجاني وانا نائم بنمط من
ديباج فيه كتاب اي كتابة فقال اقرا فقلت ما اقرا اي انا امي لا احسن القراة اي
قراة المكتوب او مطلقا فغطني به اي غمني بذلك النمط بان جعله علي فمي وانفي قال
حتي ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا اي من غير هذا المكتوب فقلت ماذا
اقرا ما اقول ذلك الا اقتداء منه اي تخلصا منه ان يعود لي بمثل ما صنع اي انما
استفهمت عما اقراه ولم انف خوفا ان يعود لي بمثل ما صنع عند النفي اي وفي رواية
فقلت والله ما قرات شيا قط وما ادري شيا اقراه اي لاني ما قرات شيا فهو
من عطف السبب علي المسبب قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقراتها فانصرف عني وهببت
اي استيقظت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا اقول اي استقر ذلك في قلبي وحفظته
ثم لا يخفي ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر
له يوم الاثنين يحتمل لان يكون اتاه بذلك النمط في ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم
الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله ثم هببت من نومي ولا ينافي ذلك قوله ثم ظهر له
بالرسالة اي اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو اقرا الحاصل في اليقظة وحينئذ
يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه صلي الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعده
قوله في الليلة الثانية ما قرات شيا لان المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك الي ولا
ولا يبعده ايضا قوله ما ادري ما اقرا لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت ان سبب
الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه صلي الله عليه وسلم في الليلة الاولي وفي سيرة
الشامي ان مجي جبريل له صلي الله عليه وسلم بالنمط لم يتكرر وانه كان قبل دخوله غار حرا وهذا
السياق يدل علي انه كان بعده وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه بالنمط

يتعبد في حرا ونصفه فبينا هو في بعض الايام قايم علي جبل حرا اذ ظهر له شخص وقال
البشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله لهذه الامة ثم اخرج له قطعة نمط
من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرا قال والله ما انا بقاري
ولا اري في هذه الرسالة كتابة اي لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمني
اليه وغطني حتي بلغ مني الجهد فعل ذلك بي ثلاثا وهو يامرني بالقراة ثم قال
لي اقرا باسم ربك هذا الكلام وليتامل والله اعلم قال فخرجت اي من الغار اي وذلك
قبل مجي جبريل اليه صلي الله عليه وسلم باقرا خلافا لما يقتضيه السياق حتي اذا كنت
في شط من الجبل اي في جانب منه سمعت صوتا من السما يقول يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل علي صورة رجل صاف قدميه اي جاعل احدي
واضعا احدي رجليه علي الاخري في افق السما اي نواحيها يقول يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في افاق
السما فلا انظر في ناحية فيها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع
ورايي حتي بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني
ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الي اهلي حتي اتيت خديجه اي في الغار فجلست الي
فخذها مضيفا اليها اي مستندا اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت
رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا الي انتهي اقول وهذا يدل علي ان خديجة رضي
الله تعالي عنها كانت معه بغار حرا وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه اهله
اي خديجة رضي الله تعالي عنها علي ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روي ان خديجة
صنعت طعاما ثم ارسلته الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم تجده بحرا
فارسلت في طلبه الي بيت اعمامه واخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينا هي
كذلك اذ اتاها فحدثها بما راي وسمع فان هذا يدل علي انها لم تكن معه صلي الله
عليه وسلم بحرا وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا وارسلت رسلها
اليه صلي الله عليه وسلم وهي بحرا فلم تجده وان الرسل اخطاوا محل وقوفه
صلي الله عليه وسلم بالجبل الذي هو حرا ثم رجعت الي مكة وارسلت رسلها اليه
صلي الله عليه وسلم بحرا لاحتمال عوده اليه ثم ارسلت الي بيت اعمامه واخواله فلم تجده

صلي الله عليه وسلم بحرا فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون قوله وانصرفت
راجعا الي اهلي اي بمكة لا بحرا لانه يجوز ان يكون بلغه رجوع خديجة رضي الله تعالي
عنها الي مكة هذا علي مقتضي الجمع واما علي ظاهر الرواية الاولي يكون رجوعه الي اهله
بحرا كما ذكرنا وهو يدل علي ان خروجه صلي الله عليه وسلم الي شط الجبل كان من غار حرا كما
ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي فخرج مرة اخري الي حرا فانجحر
حتي اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا الي اخره فليتامل والله اعلم قال ثم حدثتها
بالذي رايت اي من سماع الصوت ورويته جبريل وقوله له يا محمد انت رسول الله
فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة
ثم قامت فجمعت عليها ثيابها اي التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الي ورقة ابن نوفل
فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلي الله عليه وسلم انه راي وسمع اي راي جبريل وسمع
منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح والذي نفسي
بيده لين كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي ياتي موسي الذي هو جبريل
وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا
يقال للتعجب اي وما يدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي
تعبد فيها الاوثان جبريل امين الله بينه وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا
بمكة ولا غيرها من بلاد العرب فرجعت خديجة الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبرته
بقول ورقه بن نوفل فلما قضي رسول الله صلي الله عليه وسلم جواره وانصرف اي لما فرغ
ما تزود وليس المراد انقضا جواره بانقضا الشهر لان ذلك كان قبل ان يجي اليه
جبريل باقرا باسم ربك كما تقدم اي وذلك كان في الشهر الذي اكرمه الله فيه برسالته
فعند ذلك صنع كما كان يصنع بدا بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو
يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رايت وسمعت فاخبره رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك
الناموس الاكبر الذي جا موسي ولتكذبنه ولتوذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكت
ولا يكون الا ساكنه ولين انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادني ورقة
راسه صلي الله عليه وسلم منه وقبل يافوخه اي وسط راسه لان اليافوخ بالهمز وسط الراس

اذا اشتد وقيل اشتداده كما في راس الطفل يقال له الفادية بالغاء المعجمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله اي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة وتارة
قال قدوس وتارة قال سبوح سبوح او جمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الرواة
اقتصر على احد اللفظين وقد جاء ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه دخل على خديجة اي وليس
عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد صلى الله عليه وسلم
الى ورقة اي بعد ان اخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسيرا
فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة
وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت
نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك
فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ايتني اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به ويجي اليه بالقران
وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولى على يد ابي بكر رضي الله تعالى
عنه وذلك قبل ان يرى جبريل والثانية التي راى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع
به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف والثالثة التي بعد مجي
جبرايل له يقظة بالقران اي باقرا باسم ربك على المشهور من انه اول ما نزل
وذلك على يد خديجة ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سياتي ان القصة واحدة
لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده قصة مجي جبريل له يقظة باقرا باسم ربك
وسياتي ما فيه وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي قيل لانه يجتمع مع
عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله بمثابة الاخ له وانه
قال ذلك توقيرا له وانما ذكر ورقة موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام
مع ان عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين موسى ثم صار على دين
عيسى عليهما الصلاة والسلام اي كان يهوديا ثم صار نصرانيا لان نبوة موسى
عليه الصلاة والسلام مجمع عليها اي على انها ناسخة لما قبلها ولان شريعة عيسى عليه
الصلاة والسلام قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام
لا ناسخة لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر اي كما علمت والنصارى لا يقولون
بنزول جبريل على عيسى عليه الصلاة والسلام اي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه

احدا

احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم
حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد اقول
وفيه ان في رواية وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اي ففي
بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسى وفي الاقتصار على موسى دون الاقتصار
على عيسى ما علمت ثم رايت انه جاء في غير الصحيح الاقتصار على عيسى فقال هذا
الناموس الذي نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما ولا ينافي
ذلك اي مجي جبريل لعيسى ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل على
عيسى لجواز ان يكون المراد لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحي بل في بعض الاحيان وفي
بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رايت في فتح الباري ان عند اخبار خديجة لورقة
بالقصة قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم له بالقصة قال له هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى
ارسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم على فرعون
هذه الامة الذي هو ابو جهل هذا كلامه فليتامل وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال في حق ابي جهل في يوم بدر هذا فرعون هذه الامة والله اعلم وعن عايشة
رضي الله تعالى عنها جاءه الملك سحرا اي يوم الاثنين يقظة لا مناما اي بغير غط
فقال له اقرا قال ما انا بقارئ اي لا اجيد القراءة قال فاخذني فغطني اي
ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت
ما انا بقارئ اي لا احسن القراءة اي لا احفظ شيئا اقراه فاخذني فغطني الثانية
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ اي بشي اقراه وفيه انه
لو كان ذلك لقال بما اقرا او ماذا اقرا الا ان يقال المطلق ولكن فيه ان ما لا زمه
الذي هو الاستفهام خصوصا وقد قدمه قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اقول فقولنا اي بغير
غط هو ظاهر الروايات ويجوز ان يكون لفظ الغط سقط في هذه الرواية
كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالنمط

وايضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك فكانما كتب في قلبي كتابا
وما بال العهود من قدم الا ان يقال يجوز ان يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذي
قراه وكتب في قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرا امر بالقراءة وفيه
انه من التكليف بما لا يطاق اي في الحال ومن ثم ادعى بعضهم انه لمجرد التنبيه
واليقظة لما يلقى اليه وفيه انه لو كان كذلك لم يحسن ان يقال في جوابه ما
انا بقاري الذي معناه لا اوجد القراءة الا ان يقال جبريل اراد التنبيه
لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناه على مقتضى ظاهر اللفظ وعلم ان قوله
صلى الله عليه وسلم ما انا بقاري في المواضع الثلاثة معناه مختلف ففي الاول معناه
الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بانه لا يحسن شيا يقراه
وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن اي شي
يقروه وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرا لا احسن القراءة
بدليل انه جا في بعض الروايات ما احسن ان اقرا وحينئذ يكون بمعنى الثاني
فيكون تاكيدا له اي الغرض منهما شي واحد قال بعضهم وجه المناسبة
بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة
واعلاها كونه عالما فالله سبحانه وتعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب
وهي العلقة الى اعلاها وهي تعلم العلم وقد اشتملت هذه الايات على براعة
الاستهلال وهو ان يشتمل اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير
الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم
الله وغير ذلك مما ذكره في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى
عنوان القران لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في اوله
وكرر جبريل اللفظ ثلاثا للمبالغة واخذ منه بعض ائمتنا بعينه وهو القاضي
شريح ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القران اكثر من ثلاث ضربات واورد
الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يضرب المودب فوق ثلاث ضربات وذكر
السهيلي ان في تكرر اللفظ ثلاثا اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يحصل له شدايد

ثلاث

ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له صلى الله عليه وسلم
الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله صلى الله عليه وسلم
والثالثة خروجه من احب البلاد اليه وجاه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكايل
اي فقول جبريل له اقرا فشق بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم في الكلام على الرضاع
ثم قال له جبريل اقرا الحديث فعلم ان اقرا باسم ربك نزلت من غير البسملة
وقد صرح بذلك الامام البخاري وما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اول
ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك قال
الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب في اسناده ضعف وانقطاع اي فلا يدل
للقول بان اول ما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره
وبه يرد على الجلال السيوطي حيث قال وفيه ان هذا لا يعد قولا براسه فان من
ضرورة نزول السورة اي سورة اقرا نزول البسملة معها فهي اول اية نزلت على
الاطلاق هذا كلامه والله اعلم قال الحافظ ابن حجر هذا الذي وقع له
صلى الله عليه وسلم في ابتدا الوحي من خصايصه اذ لم ينقل عن احد من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام انه جرى له عند ابتدا الوحي مثل ذلك ولما قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الاية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب
والعنق تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرايص وفي رواية فواده
اي قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البادرة ينشا عن فزع القلب
حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني اي غطوني بالثياب
فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء اي الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد
خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي كما في الامتاع قالت له خديجة كلا
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا اي لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق
الحديث وتحمل الكل اي الشي الذي يحصل منه التعب والاعيا لغيرك وتكسب
المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم
اي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وبها يعلم سقوط قول الخطابي

الصواب المعدم بلا واو ولان المعدوم اي الشخص المعدوم لا يكسب اي لا يعطي الكسب
وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق اي على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة
ابن نوفل فقالت له اي عم اسمع من ابن اخيك اي وقولها اي عم صوابه ابن عم لانه ابن
عمها لا عمها كما وقع في مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير
لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد اي فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد نزول الاية
مرتين قالت في مرة اي عم وفي مرة اي ابن عم قال ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى اي صاحب
سر الوحي وهو جبريل يا ليتني فيها جذعا اي يا ليتني حينئذ اكون في زمن الدعوى الى اس اي
اظهارها الذي جا به وانظر واصل وجودها بنا على تاخر الدعوة التي هي الرسالة عن النبوة
جذعا اي شابا حتى ابالغ في نصرتها يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم بتشديد اليا المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل او مخرجون
حذفت النون للاضافة فصار مخرجوي قلبت الواو يا وادغمت قال ورقة نعم لم يات رجل
بما جيت به الا عودي اي فتكون المعاداة سببا لاخراجك وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم
من الانبيا اخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا تقتضي الاخراج
فلا يحسن ان يكون علامة عليه وقد يويد ذلك ما تقدم عند الكلام على بنا الكعبة ان النبي
اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم
ما فيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيا في جواب قول ورقة انه يكذب ويوذى ويقاتل
وقال في جواب قوله انه مخرج او مخرجي هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن
وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط راسه قال ورقة
وان ادركني يومك انصرك نصرا موزرا اي شديدا قويا من الازر وهو الشد
والذي في الحديث الصحيح وان يدركني يومك وسياتي في بعض الروايات وان يدركني ذلك
قال السهيلي وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركه ما ياتي
بعده كما جا اشقى الناس من ادركته الساعة وهو حي هذا كلامه اي وفي بعض
الروايات انه قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وفي لفظ
انه لنبي هذه الامة اي وفي الشفا ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي

ليس

ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشي انه لا يحتمل قوته
صلى الله عليه وسلم مقاومة الملك واعبا الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقا الملك وارساله
اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وفي كلام
الحافظ ابن حجر اختلف العلما في هذه الخشية على اثنى عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها
من الارتياب ان المراد بها الموت او المرض او دوام المرض هذا كلامه فليتامل مع رواية
خشيت على عقلي قال وفي بعض الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به
الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له
يا عداس اذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبريل اي فان هذا الاسم لم يكن معروفا
بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس ما شان جبريل يذكر
بهذه الارض التي اهلها اهل اوثان اي والقدوس المنزه عن العيوب وانه هنا يقال للتعجب
كما تقدم فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى
وعيسى عليهما الصلاة والسلام انتهى وفيه انه سياتي عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم
للطايف بعد موت ابي طالب يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن في
تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد انه المذكور هنا فليتامل ثم رايت ان عداس المذكور
هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة
قالت له انعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نسا قريش
قالت اجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح في انه
غير عداس الاتي ذكره وانهما اشتركا في الاسم والبلد والدين وكونهما غلامين لعتبة
ابن ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من اهل نينوى عنده علم
من الكتاب فارسلت اليه خديجة تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى
ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك وفي رواية ان عداسا هذا قال لها
يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه امورا فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك
فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلم يضره ثم انطلقت بالكتاب معها
فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الايات ن والقلم
وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم

فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي امض معي إلى عداس فلما رآه عداس كشف
عن ظهره فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس إليه خر ساجدا يقول قدوس
قدوس أنت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه إن كان هذا قوله
قبل أن تذهب به إلى ورقة اقتضى أن نزول ن قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع
قوله لجبريل ما أنا بقارئ إذ هو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قبل ذلك ومن ثم كان
المشهور أن أول ما نزل اقرأ وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر
في أسباب النزول أنها نزلت لما وصف المشركون بأنه مجنون إلا أنه يقال
لا مانع من تعدد النزول وذكر ابن دحية أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها
بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت إلى عبد الراهب تسأله عن جبريل فقال
لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي أخبرني
بأنه يأتيه فقال إنه السفير بين الله وبين أنبيائه وإن الشيطان لا
ليجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وهذه العبارة أي كون جبريل هو
السفير بين الله وبين أنبيائه صدرت من الحافظ السيوطي وزاد ولا يعرف ذلك
لغيره من الملائكة واعترض عليه بعضهم بأن إسرافيل كان سفيرا بين الله وبين نبيه
صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي أنه جاءته صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين
سنة وقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل
وفي لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه إسرافيل وقرن به جبريل أي وقد
تقدم أن إسرافيل قرن به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ثلاثا يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشيء بعد الشيء إلى آخره وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين
أيضا وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ أنها مدة فترة الوحي فليتأمل وأجاب الحافظ
السيوطي عن ذلك بأن السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك
مجيء غيره من الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأحيان لكن أن تقول إن كان
المراد بالمجيء إليه بوحي من الله كما هو المتبادر فليس في هذه الرواية أن إسرافيل كان يأتيه
بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ يقتضي أن إسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي

السيوطي

سن

من الوحي قبل مجيء جبريل له صلى الله عليه وسلم بوحي غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص
باسم السفير وبأن إسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء صلوات الله
وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث فلم يكن السفير بين الله وجميع أنبيائه قيل وإنما خص
بذلك لأنه أول من سجد من الملائكة لآدم ورأيته سئل هل عيسى بعد نزوله يوحى إليه فأجاب
بنعم وأورد حديث النواس بن سمعان الذي أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي
وغيرهم وفيه التصريح بأنه يوحى إليه قال والظاهر أن الجائي إليه بالوحي جبريل قال بل هو
الذي يقطع به ولا يتردد فيه لأن ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وبين أنبيائه
لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على ألسنة
الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا أصل له
وزعم زاعم أن عيسى إنما يوحى إليه وحي إلهام ساقط قال وحديث لا وحي بعدي باطل
أي ويدل له ما رأيته في كلام بعضهم جبريل ملك عليم ورسول كريم مقرب عند الله
أمين الله على وحيه وهو سفيره إلى أنبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الأمين
واختصه من بين الملائكة المقربين قال ورأيت في بعض التواريخ أن جبريل نزل
عليه صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ أحد من الأنبياء هذا العدد والله أعلم
وفي أسباب التنزيل للواحدي عن علي رضي الله تعالى عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك
قال لبيك قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله
رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة أي فبلغ ولا
الضالين فقال قل آمين كما في رواية وكيع وابن أبي شيبة وجاء في حديث قال بعضهم
إسناده ليس بالقائم إذا دعا أحدكم فليختم بآمين فإن آمين في الدعاء مثل الطابع على
الصحيفة وفي الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين
أي خاتم دعاء رب العالمين أي يمنع من أن يتطرق إليه رد وعدم قبول ومن
ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد وجب إن ختم بآمين وأتى صلى الله عليه وسلم
ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فإني أشهد أنك الذي بشر بك ابن
مريم فإنك على مثل ناموس موسى وإنك نبي مرسل وإنك ستؤمر بالجهاد بعد
يومك ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك أقول هذا لا يدل على القول بأن الفاتحة

اول ما نزل وعليه كما قال في الكشاف اكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد ان تكون
هذه الرواية قبل نزول اقرأ باسم ربك ثم رايت عن البيهقي انه قال فيما تقدم عن
اسباب النزول هذا مرسل ورجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون
خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر اي والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل
ثم رايت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذي ذهب اليه اكثر الائمة هو
الاول ان القول بانه اقرأ واما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد اقل من القليل
بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم رايت الامام النووي قال القول بان
الفاتحة اول ما نزل باطل لانه اظهر من ان يذكر اي ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن
مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففي تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية
وفيه انه جاء عن قتادة انها نزلت بمكة وعن علي كما في اسباب التنزيل للواحدي
انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رض
الله فاك وفي الكشاف فان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي مكية مدنية
هذا كلامه وتبعه على ترجيح انها مكية القاضي البيضاوي حيث قال وقد صح انها
مكية وفي الاتقان وذكر قوم منه اي مما تكرر نزوله الفاتحة قلت ما قاله
لا ينافي ذلك الا بناء على انها نزلت بها اي نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة
في شرفها وقد اشار القاضي البيضاوي الى ان يكون نزولها ليس مجزوما به
وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال في الاتقان والظاهر ان النصف
الذي نزل بالمدينة النصف الثاني قال ولا دليل لهذا القول هذا كلامه
واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف ان سورة الحجر مكية وفيها
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهي الفاتحة فعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ
عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله تعالى في التوراة ولا في الانجيل
ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها انها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثاني

في آية

في آية الحجر هي الفاتحة ويؤيد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي وقد صح
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تفسير السبع المثاني في آية الحجر بالسبع الطوال
ومما يدل على ان المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو ان عير ابي جهل
قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ينظرون اليها واكثر الصحابة بهم عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شيء
لحاجة اصحابه فنزلت انا اعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا
تنظر الى ما اعطينا لابي جهل وهو متاع الدنيا الدنيئة ولا تحزن عليهم اي على
اصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم اطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يحب
من اسباب الدنيا وفي زوائد الجامع الصغير لو ان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان
والقرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات وفي لفظ
فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن فليتامل
ولها اثنان وعشرون اسما وذكر الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري في تفسيره الوسط
ان لها ثلاثين اسما وذكرها قال السهيلي ويكره ان يقال لها ام الكتاب اي لما ورد
لا يقولن احدكم ام الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطي رحمه الله
ولا اصل له في شيء من كتب الحديث وانما اخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين
وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه ولا يخفى انه جاء في تسمية
الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه اخرى وتارة جوزوا
الامرين معا وهو يشكل على تسمية السورة توقيفي ثم رايت في الاتقان قال
قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي
او لما يظهر من المناسبات فان كان الثاني فيمكن الفطن ان يستخرج من كل
سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزم
القول بانها انما نزلت في المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم
بمكة كان يصلي بغير الفاتحة قال في اسباب النزول وهذا مما لا تقبله
العقول اي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة اي
ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وفي رواية لا تجزئ

صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء
صلاته إذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأم القرآن ثم اقرأ بما شئت إلى أن قال ثم
اصنع ذلك أي القراءة بأم القرآن في كل ركعة وبما على شرط الشيخين أم القرآن عوض من
غيرها وليس غيرها منها عوضا ويدل لذلك أيضا ضعف القول بأنها إنما نزلت بالمدينة
بأنه هفوة من قائله لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه أي لأن نزولها
كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا أيها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد
المدثر أنه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي لأن المدثر نزلت بعد
فترة الوحي على ما سيأتي وقد يقال لا يأتي ثم ما تقدم من أنه لم يحفظ أنه لم يكن
في الإسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز أن يراد صلاة من الصلوات الخمس
فما تقدم مما يدل على تعيين الفاتحة في الصلاة يجوز أن يكون صدر منه
صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات الخمس وفي الإمتاع أنزل الملك يبشره بالفاتحة
وبالآيتين من سورة البقرة يدل على أنها نزلت بالمدينة فقد أخرج مسلم عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا
أي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم
فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال
أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
هذا كلامه فليتأمل وجه الدلالة من هذا على أنه سيأتي عن الكامل الهذلي
ما يصرح بأن خواتيم البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بقاب
قوسين ومما يدل على أن البسملة آية منها نزولها معها أي كما في بعض الروايات
وإلا فالرواية المتقدمة تدل على أنها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة
آية من الفاتحة أيضا ما أخرجه الدارقطني وصححه والبيهقي عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأتم الحمد لله فاقرؤوا
بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم
إحدى آياتها وقد أخرج الدارقطني عن علي رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن السبع
المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له إنما هي ست آيات فقال
بسم الله الرحمن الرحيم آية وقيل لها السبع المثاني لأنها سبع آيات وتثنى

في الصلاة

في الصلاة وقيل المثاني كل القرآن لأنه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار
والمنافقين وقصص الأنبياء والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه أن يقال
المراد بالسبع المثاني السبع الطوال أي كما أنها المرادة في قوله تعالى ولقد
آتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
والأنعام والأعراف والسابعة يونس وقيل براءة وقيل الكهف وعن أم سلمة
رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من الفاتحة وبهذا
يعلم ما في تفسير البيضاوي عن أم سلمة من أنه صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية فقد ذكر بعض الحفاظ أن هذا اللفظ لم يرد عن أم سلمة
والذي رواه جماعة من الحفاظ عن أم سلمة بألفاظ يدل على أن البسملة بسم الله الرحمن الرحيم
آية وحدها منها أنها ذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في بيتها فيقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلوات
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي الاستدلال أن البسملة آية من الفاتحة
نزلت معها يقتضي أن البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ
الدمياطي نزول اقرأ بدون بسملة يدل على أن البسملة ليست آية من كل سورة واستدل به
أي بعدم نزولها في أول سورة اقرأ أيضا كما قال الإمام النووي من يقول
أن البسملة ليست بقرآن في أوائل السور أي وإنما نزلت وكتبت للفصل والتبرك
بالابتداء بها وهذا القول نسب لقول إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في القديم
وهو قول قدماء الحنفية قال وجواب المثبتين لقرآنيتها في ذلك أنها نزلت في وقت
آخر كما نزل باقي السورة أي سورة اقرأ وجوابهم أيضا بأن الإجماع من الصحابة
والسلف على إثباتها في مصاحفهم مع مبالغتهم في تجريدها عن كتابة غير القرآن
فيها حتى أنهم لم يكتبوا آمين فيها واستدل أيضا لعدم قرآنيتها في أوائل السور
بعدم تواترها في محلها ورد بأن عدم تواترها في محلها لا يقتضي سلب القرآنية
عنها ورد هذا الرد بأن الإمام الكافيجي قال المختار عند المحققين من علماء السنة
وجوب التواتر أي في القرآن في محله ووضعه وترتيبه أيضا كما يجب تواتره
في أصله انتهى وفي الفتوحات البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكررها
في السور لتكرر ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وهو نظائره يؤيد ما ذهب إليه

امامنا من انها اية من اول كل سورة ويحتمل ما قاله السهيلي حيث قال نقول انها
اية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفي كلام ابي بكر بن العربي وزعم الشافعي
انها اية من كل سورة وما سبقه الي هذا القول احد فانه لم يعدها احد
اية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انها اية
من اول الفاتحة دون بقية السور وعن الربيع قال سمعت الشافعي يقول
اول الحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم قال بعضهم وهو
يدل على ان البسملة اية من اول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست
اية من اولها بل هي اية في اولها اعادة لها وتكريرا لها بل ربما يوافق ذلك قول
الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وخص بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه
خص بالبسملة يخالف قوله في الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض
اصحابه لاعلمنك اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سياتي
ما فيه قيل وانما تركت البسملة اول براءة لعدم المناسبة بين الرحمة التي تدل
عليها البسملة والتبري الذي يدل عليه اول براءة ورده في الفتوحات بانها جاءت في
اول السور المبدوءة بويل قال واين الرحمة من الويل وذكر بعضهم ان الانفال
وبراءة سورة واحدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سالت عثمان بن عفان
لم لم تكتبوا بين براءة والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال
من اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها
شبيهة بالاخرى فظننت انهما سورة واحدة وفي كلام بعض المفسرين عن
طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان في الضحى والم نشرح سورة
واحدة فكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
وذلك لانهما رايا اولها مشبه لقوله تعالى الم يجدك يتيما وليس كذلك لان
تلك حال اغتمامه صلى الله عليه وسلم باذى الكفار فهي حال محنة وضيق وهذه
حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان هذا كلامه وذكر
ائمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان بالبسملة في الفاتحة في الصلاة الظن المفيد
له خبر الاحاد ولعدم التواتر بذلك لا يكفر من نفى كونها اية من الفاتحة باجماع
المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة قال ابن عبد البر

بلغت

بلغت عدتهم احدى وعشرين صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرا
بسم الله الرحمن الرحيم اجيب عنه بانه لم ينف الا السماع ويجوز انهم تركوا
الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون
البسملة واما ما رواه البخاري وابو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه
بسورة الحمد لا بغيرها من القران ولا يبعد هذا الحمل ما في رواية عبد الله بن
مغفل انه قال سمعني ابي وانا اقرا بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك
والحدث فاني صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر فلم اسمع احدا
منهم يقول فاذا قرات فقل الحمد لله رب العالمين لانه لما لم يسمع فهم انهم لم ياتوا
بها راسا فقال ذلك وكذا يقال فيما روي كانوا لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم
على تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها يجوز ان يكون الراوي فهم مما تقدم
ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطا ومما استدل به على ان البسملة ليست من الفاتحة
ما جاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال الله تعالى قسمت الصلاة اي الفاتحة
بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال
فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم
قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا قال اياك
نعبد واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فيقول عبدي اهدنا
الصراط المستقيم الي اخرها قال ابو بكر بن العربي المالكي فانتفى بذلك ان تكون
بسم الله الرحمن الرحيم اية منها من وجهين احدهما انه لم يذكرها في القسمة والثاني
انها ان كانت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله فيها اكثر مما للعبد لان
بسم الله الرحمن الرحيم ثناء على الله تعالى لا شيء للعبد فيها ثم ذكر ان التعبير بالصلاة
عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها واطال في ذلك وسياتي في الحديبية
انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قبل كتب ذلك
في اربع كتب واول من كتبها امية بن ابي الصلت فلما نزلت بسم الله مجراها ومرساها

كتب بسم الله ثم لما نزلت ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزلت
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم
كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شي من اوايل السور ويويده
قول السهيلي ثم كان بعد ذلك اي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم
ينزل جبريل عليه السلام ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اي غير الها عن غيرها وقد ثبتت
في سواد المصحف لاجماع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك هذا كلامه وقلبنا هل ما فيه
فانه يدل للقول ان البسملة ثبتت بين اوايل السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة
نزلت اول الفاتحة على ما في بعض الروايات ونقل ابو بكر التونسي اجماع علما كل امة
على ان الله سبحانه افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم في الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبعض الصحابة لاعلمنك اية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم
ولهذا يعلم ما في الخصايص الصغرى ان البسملة من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفي قوله
صلى الله عليه وسلم لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري يشكل عليه ان عيسى بين سليمان وبينه
صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزلة وعن النقاش ان البسملة
لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكره فانما
سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على ال داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود
والله اعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفي قال سبط ابن الجوزي وهو اخر من مات في الفترة
ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويويده ما جا في رواية في سندها ضعف عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل على ان من ادرك النبوة وصدق بنبوته
صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة بنا على انهما لا يكون مسلما بل يكون من اهل الفترة
فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت القس يعني ورقة في الجنة وعليه
ثياب الحرير اي والقس بكسر القاف رييس النصارى وبفتحها تتبع الشي هذا وفي القاموس
القس مثلث القاف تتبع الشي وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل الذي لا يفارقها
ورييس النصارى في العلم وفي رواية ابصرته في بطنان الجنة وعليه السندس وفي رواية
قد رايته فرايت عليه ثياب بيض واحسبه اي اظنه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض

نترجم الرواية الثالثة انه لم يره في الجنة فقد تعددت الرؤية واما الرواية الثانية فلا تخالف
الرواية الاولى لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة في ذلك على التعدد وفي رواية
لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة او جنتين لانه امن بي وصدقني اي قبل الدعوة التي هي
الرسالة وحينيذ يكون معنى كون له جنة او جنتين هيبت له جنة او جنتان ولا مانع
ان يكون لبعض اهل الفترة من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوى
وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض
وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الايمة اي بنا على انه ادرك
الدعوى الى الله تعالى التي هي الرسالة في الامتاع ان ورقة مات في السنة الرابعة من المبعث
ويوافقه ما ياتي عن سيرة ابن اسحاق وعن كتاب الخميس وحينيذ يكون قوله صلى الله
عليه وسلم لانه امن بي وصدقني واضح لكن ينازع في ذلك قوله واحسبه لو كان من اهل النار
لم يكن عليه ثياب بيض وسياتي عن الذهبي ما يخالفه ويخالفه ايضا ما تقدم عن سبط
ابن الجوزي انه من اهل الفترة وعن يحيى بن بكير قال سالت جابر بن عبد الله يعني
عن ابتدا الوحي فقال لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت
بحرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيا فنظرت عن يساري
فلم ار شيا فنظرت من خلفي فلم ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا بين السما والارض اي وفي رواية
فاذا الملك الذي جاني بحرا جالس على كرسي زاد في رواية متربعا عليه وفي لفظ على عرش
بين السما والارض فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني اي وفي رواية زملوني زملوني
وصبوا علي ما باردا فدثروني وصبوا علي ما باردا فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر اي
الملتف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد فانذر وبشر لانه كما بعث بالنذارة
بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن امن ولم يكن احد امن قبل وهذا يدل على ان
هذه الاية اول ما نزل اي قبل اقرا وان النبوة والرسالة مقترنان قال الامام النووي
والقول بان اول ما نزل يا ايها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي اي
ومما يدل على ذلك ايضا ما في البخاري انه في رواية جابر انه صلى الله عليه وسلم حدث عن
فترة الوحي لا عن ابتدا الوحي فما تقدم من قول بعضهم يعني عن ابتدا فيه نظر وكذا
في قول الراوي عن جابر جاورت بحرا فلما قضيت جواري هبطت لان جواره بحرا كان قبل

فترة الوحي الا ان يقال جابر جآ عن روايتان واحدة في ابتدا الوحي واخرى في فترة الوحي
وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتدا الوحي وعجزها يدل على ان
ذلك كان في فترة الوحي هذا ويجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم جاور بحرا في مدة فترة الوحي
ويويد ذلك ما في البيهقي عن مرسل عبيد بن عمير انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور بحرا في كل سنة شهر
وهو رمضان وكان ذلك في مدة فترة الوحي وسياتي الجمع بين الروايات في اول ما نزل قال
اسماعيل عن ابي حكيم مولى الزبير انه حدث عن خديجة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك اذا جاك قال نعم اي وذلك قبل ان ياتيه
بالقران اي بشي منه وهو اقرا باسم كذا بنا على انه اول ما نزل وما بنا في ذلك قولها هذا الذي
ياتيك اذا جاك لان المعنى الذي يتراالك اذا رايته فجاه جبريل عليه السلام فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاني اي قد راتيه لكن سياتي عن ابن حجر
الهيتمي ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عمي فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجلس قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في
حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

واتاها في بيتها جبريل ** ولذي اللب في الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدرى ** اهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس ** جبريل فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز ** الذي حاولته والكيمياء

اي واتاها قال ابن حجر اي بعد البعثة اي النبوة واجتماعه صلى الله عليه وسلم به في
بيتها حامل الوحي جبريل عليه السلام ولصاحب العقل الكامل في الاحوال
التي قد تشتبه استبصار فبسبب كمال استبصارها ازالت عن راسها ما يغطى به الراس
لتعلم عن اليقين ان هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان ياتي الانبيا
عليهم الصلاة والسلام قبله ام هو الاغما الذي هو بعض الامراض الجايزة عليهم عليهم الصلاة والسلام ويحتمل انه ينبغي

ان يكون المراد به الاغما الناشي عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام الذي قال بسببه لخديجه لقد خشيت على نفسي وسياتي انه
كان يعتريه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران ما كان يعتريه
نزول الوحي عليه اي من الاغما الى اخره فبسبب ازالتها ما تغطي به راسها عنها اختفى
فلم يعد الى ان عادت غطا راسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى
الله عليه وسلم هو الوحي اي لا الجني لان الملك لا يرى الراس المكشوف من المراة بخلاف الجني
وشبه الناظم ذلك بالشي المتعب والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيميا لا يظفر به الا
القليل من الناس لعزتهما اقول في الخصايص الكبرى ما يدل لما قلناه من ان ما تعلق بخديجه
كان عند تراييه له وقبل اجتماعه به ومجيه له بالقران وقول بعضهم اذ ذلك من خديجة
كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى المكان الذي راى فيه ما راى فاذا راه
فتحسري فان لم يكن من عند الله لا يراه اي تتزاي له وهو في بيت خديجة فعلت
قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال انه ليانيه الناموس
الاكبر وفي فتح الباري ان في سيرة ابن اسحاق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب
وذلك يقتضي انه تاخر الى زمن الدعوة والى ان دخل بعض الناس في الاسلام اي وفي كلام
صاحب كتاب الخميس في الصحيحين ان الوحي تتابع في حياة ورقة وانه امن به وتقدم
انه الموافق لما في الامتاع من انه مات في السنة الرابعة من البعثة وتقدم انه يخالف
لما تقدم عن سبط ابن الجوزي ويخالف ايضا لقول الذهبي الاظهر انه مات بعد
النبوة وقبل الرسالة اي بنا على تاخرها ويدل لذلك التاخر ما تقدم من قول ورقة باليتني
فيها جذعا وقد تقدم ان المراد باليتني اكون في زمن الدعوى اي ومن ادرك النبوة
ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله
تعالى الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود اي بما ارسل به
في النار التصديق بالقلب عاعلم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وانه لم يقر
بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وقيل لا بد مع ذلك من
الاقرار بالشهادتين للمتمكن منه وحيث ادرك الرسالة فهو مسلم وحينئذ يكون
صحابيا ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر انه في الاصابة تردد في ثبوت الصحبة لورقة

ابن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا
بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف بحيرا وهو الظاهر والتعريف السابق
يشملهما كلامه وتعريفه السابق للصحابي هو من اجتمع بالنبي مؤمنا وعبارة شرح
النخبة هل يخرج اي من تعريف الصحابي من لقي النبي مؤمنا به قبل ان يبعث مؤمنا بانه سيبعث
ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك ان ما في شرح النخبة لا يدل لهذا البعض
على انه تقدم ان ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا ولا يخفى
عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة فانه يقتضي
ان البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وان الرسالة هي الدعوة للبعثة وروى
ابن اسحاق عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه
القران فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك هذا يدل على انه كان يصيبه
قبل نزول القران ما يشبه الاغما بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه
وبغطه لغطيط البكر فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا ولم
اقف على من كان يرقيه ولا على ما كان يرقى به واشتهر على بعض الالسنة ان امنة يعني امه
صلى الله عليه وسلم رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم عن امه انها
لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها قولي اي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل
حاسد والظاهر انها قالت ذلك وعن اسما بنت عميس رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول
الله ان بني جعفر اي ولدها من جعفر بن ابي طالب تصيبهما العين افنسترقي لهما قال
نعم لو كان شي سابق القدر لسبقته العين فان قيل بهذه الامور علم صلى الله عليه وسلم
ان جبريل ملك لا جني ومن اين علم انه يتكلم عن الله تعالى اجيب بانه على التسليم ان قول
ورقة المذكور وما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم
علما ضروريا بعد ذلك علم به انه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق في جبريل علما
ضروريا بان الموحي اليه هو الله تعالى وقد ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له
عدو من شياطين الجن يقال له الابيض كان ياتيه في صورة جبريل واعترض بانه يلزم
عليه عدم الوثوق بالوحي واجيب عنه بمثل ما هنا وهو ان الله تعالى جعل في النبي صلى الله عليه وسلم
علما ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير قرينه

الذي اسلم وفي كلام ابن العماد وشيطان الانبيا يسمى الابيض والانبيا معصومون منه
ولعل هذا الشيطان هو الذي اغوى برصيصا الراهب العابد بعد عبادته خمسمائة سنة
وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك هذا كلامه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان من الانبيا من يسمع الصوت ولا يرى شخصا فيكون بذلك نبيا قال
بعضهم يحتمل ان يكون صوتا خلقه الله تعالى في الهوا ليس من جنس الكلام وخلق
لذلك النبي فهم المراد منه عند سماعه ويحتمل ان يكون من جنس الكلام المعهود
يتضمن كون ذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل يا تيني
فيكلمني كما ياتي احدكم صاحبه فيتقرب فيكلمه اي ويسمعه من غير حجاب وفي
رواية كنت اراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من ورا الغربال ولا يخفى ان هاتين
الحالتين كل منهما حالة من حالات الوحي وحينئذ اما ان يكون جبريل عليه السلام
على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها او على صورة
غيره ومنه ما وقع في حديث عمر رضي الله تعالى عنه بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر
ولا يعرفه منا احد الحديث ورواية البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه
الا في اخر الامر وورد ما جاني يعني جبريل في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي
صحيح ابن حبان والذي نفسي بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه وما عرفته
حتى ولى ولهذا يعلم ما في كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة اقسام حيث قال في
ولا زمك الناموس اما يشكله واما بنعت او بحلية دحية
ملبيا قيل وكان اذا اتاه على صورة الادمي ياتيه بالوعد والبشارة قال
قيل اذا جا جبريل عليه السلام على صورة الادمي دحية او غيره هل هي الروح
تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح او يصير ميتا
اجيب بان الجاي يجوز ان يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل
في الملايكة قدرة على التطور والتشكل باي شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا
ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه

الله ظهر بتلك الصوره تانيسا لمن خاطبه والظاهر ان القدر الزايد لا يزول ولا يفني الا في
علم الراي فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق سبحانه
وتعالي يظهر وجهه في صورة علي رضي الله تعالي عنه واولاده اي الايمة الاثني عشر
وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد الباقر جعفر
الصادق وابن جعفر الصادق موسي الكاظم وابن موسي الكاظم علي الرضي وابن علي الرضي
محمد الجواد وابن محمد الجواد علي التقي وابن علي التقي
والحادي عشر حسن العسكري والثاني عشر ولد حسن العسكري وهو المهدي صاحب الزمان
وهو حي باق الي ان يجتمع بسيدنا عيسي عليه السلام علي ما فيه ثم قال عبد الله بن سبا يوما
لعلي رضي الله تعالي عنه انت انت يعني انت الاله فنفاه علي الي المداين وقال
لا يساكني في بلد ابدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من اهل صنعا وامه
يهودية سودا ومن ثم كان يقال له ابن السودا وكان اول من اظهر سب الشيخين
وتنقيصهما للافتيات علي سيدنا علي ولما قيل لسيدنا علي لولا انك تضمر ما اعلن
به هذا ما اجترا علي ذلك فقال علي معاذ الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما
الا الحسن الجميل فارسل الي ابن سبا فاظهر الاسلام في اول خلافة سيدنا عثمان
وقيل في خلافة سيدنا عمر وكان قصده باظهار الاسلام بدار الاسلام خذلان
اهله وكان يقول قبل اظهار الاسلام في يوشع بن نون مثل ما قال في علي وكان يقول
في علي انه حي لم يقتل وان فيه الجزء الالهي وانه يجي في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه
وانه ينزل بعد ذلك الي الارض فيملاها عدلا كما ملييت جورا وظلما وعبد الله هذا
كان يظهر الرجعة اي انه صلي الله عليه وسلم يرجع الي الدنيا كما يرجع عيسي وكان
يقول العجب ممن يزعم ان عيسي يرجع الي الدنيا ويكذب برجعة محمد صلي الله عليه وسلم
وقد قال الله تعالي ان الذي فرض عليك القران لرادك الي معاد لمحمد احق بالرجوع
من عيسي واظهار الوصية اي ان عليا رضي الله عنه اوصي له صلي الله عليه وسلم
بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالي عنه
كما سياتي ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية اصحاب الكسا الخمسة محمد صلي الله
عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ومنهم من قال بالوهية جعفر الصادق

والوهيه

والوهية ابايه وهم الحسين وابنه زين العابدين وابن زين العابدين محمد الباقر وهو لا
الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية اصحاب حسين بن منصور
الحلاج كانوا اذا راوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم حل فيها ومن زعم الحلول حتي
ادعي الالوهية المقنع عطا الخراساني وذلك في سنة ثلاث وستين ومايه ادعي ان الله
حل في صورة ادم ثم في صورة نوح ثم الي ان حل في صورته هو وافتتن به خلق كثير
بسبب التمويهات التي اظهرها لهم فانه كان يعرف اشيا من السحر والنيرنجيات
فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ثم تغيب ولما اشتهر
امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاوا الي القلعة التي كان متحصنا بها
فلما علم ذلك اسقي اهله سما فماتوا ومات ودخل الناس تلك القلعة فقتلوا
من بقي حيا بها من اتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال العز بن عبد السلام
من زعم ان الاله يحل في شي من اجسام الناس او غيرهم فهو كافر واشار الي انه كافر
اجماعا من غير خلاف وانه لا يجري فيه الخلاف الذي جري في تكفير المجسمة ومن ثم
ذكر القاضي عياض في الشفا ان من ادعي حلول الباري في احد الاشخاص كان كافرا
باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو ابو يزيد البسطامي سبحاني ما اعظم شاني
وقوله اني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني وانا ربي الاعلي وقوله انا الحق وهو انا وانا هو
ليس من دعوي الحلول في شي وانما قوله سبحاني واني انا الله محمول علي الحكاية اي قال
ذلك علي لسان الحق من باب حدثنا ان الله تعالي قال علي لسان عبده سمع الله لمن حمده
وقوله انا ربي الاعلي وانا الحق الي اخره انما قال ذلك لانه انتهي سلوكه الي الله تعالي بحيث
استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يري في الوجود
غيره تعالي الذي هو مقام الفنا ومحو النفس وتسليم الامر كله له تعالي وترك الارادة
منه والاختيار فالعارف اذا وصل الي هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك
الحال الذي نازله فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة الحلول وقد اصطلحوا
علي تسمية هذا المقام الذي هو مقام الفنا بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح
لانه اصطلح مراده بمراد محبوبه فصار المراد ان واحد الفنا ارادة المحب في مراد
المحبوب فتفني عن هوي نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يرجوا

الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي كلام سيدي
علي وفا رضي الله تعالى عنه حيث اطلق القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم
ثنا مرادهم في مراد الحق جل وعلا كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على
وفق مراد الاخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضي الله تعالى عنه ورضي عنا به وهذا
المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجية عن دايرة العقل التي ذكر السعد والسيد ان
القول بها باطل وضلال اي لانه يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين فقد قال بعض
العلما حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع الرب والعبد في حالة ثنا العبد فيكون العبد
معدوما موجودا في ان واحد ولا يدرك ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين
ومن لم يشهد ذلك انكره ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن
ان يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف في جسد اخر غير جسدها
المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد كما هو شان الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون
في مكانهم شبحا اخر مشبها لشبحهم الاصلي بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكي في طبقاته
ان كرامات الاوليا انواع وعد منها ان يكون له اجساد متعددة قال

وهذا الذي نسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اي
كواقعة الشيخ عبد القادر الطحطوطي نفعنا الله ببركاته فقد ذكر الجلال السيوطي
رحمه الله انه رفع اليه سوال في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ عبد القادر
الطحطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف اخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة
بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما قال فارسلت قاصدي الى الشيخ عبد القادر
فسالته عن ذلك فقال لو قال اربعة اني بت عندهم لصدقوا فافتيت انه لا حنث
على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان
وقد قيل في الابدال انما سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في
مكانهم الاول شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه ويقال له عالم المثال
كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو الطف
من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في
صور مختلفة من عالم الامثال قال وهذا الجواب اولى مما تكلفه بعضهم

يرى

في الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه في بعض اي الذي اجاب به الحافظ
ابن حجر ومما يدل على وجود المثال رويته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار في عرض الحايط
وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه
بانه مثل له يعقوب عض وهو بالشام وكذلك ما اشتهر ان الكعبة شوهدت
تطوف ببعض الاوليا في غير مكانها وممن وقع له ذلك ابو يزيد البسطامي
والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ ابراهيم المتبولي نفعنا الله ببركاتهم ولعل
مجي جبريل على صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه
كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها ان يبعد مجيئه على صورة
دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه دحية الكلبي كان اجمل اهل
زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
في صورته اعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن
والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له ولاسيما اذا اتى بصورة الوعيد
والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه صلى الله عليه وسلم ما يحركه ذلك الوعيد
والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا ياتيه الا على تلك الصورة الان يدعي
ان من حين اتاه على صورة دحية لم ياته على صورة ادمي غيره وتكون واقعة
سيدنا عمر سابقة على ذلك وتقدم انه كان اذا اتاه على صورة الادمي يا تيه بالوعد
والبشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتامل وفي البرهان للزركشي في التنزيل اي
تلقي القران طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية
الى الصورة الملكية واخذه من جبريل اي لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يحصل لهم
الانسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيها هو
اقرب من لمح البصر والثاني ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه هذا كلامه والواضح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله
تعالى تلقفا روحانيا او ان الله تعالى خلق تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها
في الجو واسمعها جبريل وخلق فيه علما ضروريا انها دالة على ذلك المعنى القديم القائم
بذاته تعالى واوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك او حفظه جبريل من اللوح المحفوظ

ونزل به وعلم ان من حالات الوحي النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام
نفثا قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس اي المخلوق من الطهارة يعني جبريل
نفث اي القى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذي لا ريق معه في روعي بضم الراي
اي قلبي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
عاملوا بالجميل في طلبكم وتحصيله ولا يحملنكم استبطا الرزق على ان تطلبوه بمعصية
الله فان ما عند الله لن ينال الا بطاعته ٥ وفي كلام ابن عطا الله الاجمال في الطلب
يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا تطلبه و متكلا عليه مشتغلا عن الله به ومنها
ان يطلب من الله ولا يعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين قدرا او وقتا
فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلبه و هو شاكر ان اعطي
وشاهد احسن اختياره اذا منع ومنها ان يطلب ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ
دنياه ٥ ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة و في حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة
النفس فان الامور تجري بالمقادير ومن حالات الوحي انه كان ياتيه صلى الله عليه وسلم
في مثل صلصلة الجرس وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اي لما قيل انه كان ياتيه
في هذه الحالة بالوعيد والنذارة اقول روي الشيخان عن عايشة رضي الله تعالى
عنها ان الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه وهو اخو ابي جهل بن هشام لابويه

و كان يضرب به المثل في السودد حتى قال الشاعر
احسبت ان اباك حين تسبني ۞ في المجد كان الحارث بن هشام
اولى قريش بالمكارم والندا ۞ في الجاهلية كان والاسلام

اسلم يوم الفتح وسياتي انه استجار في ذلك اليوم بام هاني اخت علي بن ابي طالب
واراد علي قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت
يا ام هاني وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المولفة كما سياتي سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل قال احيانا ياتيني مثل
صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم بالفا اي يقلع عني وقد وعيت ما قال وفي رواية
ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك اي الذي حامل الوحي
رجلا اي يتصور بصورة الرجل وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فاعي ما يقول وروي انه

في الحالة الثانية ينفلت منه ما يعيه بخلاف الحالة الاولي ونص هذه الرواية
كان الوحي ياتيني على نحوين ياتيني جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك
ينفلت مني وياتيني في شي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك الذي لا ينفلت مني
قيل وانما كان ينفلت منه في الحالة الاولي لشدة تانسه بحامله لانه ياتي اليه
في صوره يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة
الثانيه لان سماع مثل هذا الصوت الذي يفزع منه القلب مع عدم روية احد يخاطبه
اذا علم انه وحي اضطر اليه التثبت في ذلك وقولنا اي حامله يحاكي قول الحافظ ابن حجر حيث
ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس يبين بها صفة الوحي لا صفة حامله وفيه ان ذلك لا يناسب
قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي وقوله
ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك رجلا وكان صلى الله عليه وسلم
يجد ثقلا عند نزول الوحي و يتحدر جبينه عرقا في البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط
البكر محمرة عيناه ٥ وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه كان اذا نزل الوحي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك ومرة وقع فخذه صلى الله عليه وسلم على فخذي فوالله ما وجدت شيا
اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي اليه وهو على راحلته فترغو حتى
يظن ان ذراعها ينقصم وربما بركت اي وجا انه لما نزلت سوره المايدة عليه صلى الله عليه
وسلم كان على ناقته فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفي رواية فاندق كتف راحلته العضبا
من ثقل السوره ولا ينافي ما قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله
ثم رايت في رواية ما يصرح بذلك وجاء ما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض منه وعن
اسما بنت عميس رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يكاد يغشي
عليه وفي رواية يصير كهيئة السكران اقول اي يقرب من حال المغشي عليه لتغيره صلى الله عليه
وسلم عن حالته المعهودة تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اي مع بقا
عقله وتمييزه ولا ينافي ذلك قول بعضهم ذكر العلما انه صلى الله عليه وسلم كان يوخذ
عن الدنيا لانه يجوز ان تكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العاده وهذا هو
اللايق بمقامه صلى الله عليه وسلم و حينيذ لا ينتقض وضوه ٥ ثم رايت صاحب الوفا قال فان
قال قايل ما كان يجري عليه من البرحا حين نزول الوحي هل ينتقض وضوه

والجواب لا لانه صلي الله عليه وسلم كان محفوظا في منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه
فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكا لا ينتقض وضوءه فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة
والقا الهدي الي قلبه اولي ان يكون طياعة فيها معصومة من الاذي هذا كلامه وما ذكرناه
اولي لما تقرر ان الاغما ابلغ من النوم فليتامل وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل علي انه صلي الله عليه
وسلم وجميع من ياتيه الوحي من الانبيا كان اذا جاءه الوحي يستلقي علي ظهره حيث قال
سبب اضطجاع الانبيا علي ظهورهم عند نزول الوحي اليهم لان الوارد الالهي الذي هو
صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ
عليه قيامه ولا قعوده فرجع الي اصله وهو لصوقه بالارض وعن ابي هريرة رضي الله تعالي
عنه كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي صدع فيغلف راسه بالحنا قيل
وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلي الله عليه وسلم كان يخضب بالحنا والا فهو صلي الله عليه وسلم
لم يخضب لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه انه امر بالخضاب للشباب فعنه اختضبوا
بالحنا فانه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه كان
رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتي ينقضي الوحي
وفي لفظ كان صلي الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد
له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالي عنه
كان اذا نزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم السورة الشديدة اخذه من الشدة والكرب
علي قدر شدة السورة واذا انزلت عليه السورة اللينة اصابه من ذلك علي قدر لينها
وعن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالي عنه كان اذا انزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم الوحي يسمع
عند وجهه كدوي النحل وذكر الحافظ ابن حجر ان دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس
اي المتقدم ذكرها لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين والصلصلة للنبي صلي الله عليه وسلم
والراوي شبه بدوي النحل والنبي صلي الله عليه وسلم شبه بصلصلة الجرس اي فالمراد بها شي
واحد والله اعلم ومن حالاته اي حالات الوحي اي حامله انه كان ياتيه علي صورته
التي خلقه الله عليها له ستماية جناح اقول فيوحي اليه في تلك الحالة كما هو المتبادر
وفيه انه جا عن عايشة وابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم لم ير جبريل علي صورته التي
خلقه الله عليها الا مرتين حين ساله ان يريه نفسه فقال وددت اني رايتك في صورتك اي وذلك

بحرا واول

بحرا اوايل البعثة بعد فترة الوحي بالافق الاعلي من الارض وهذه المرة هي المعنية
بقوله تعالي ولقد راه بالافق المبين وبقوله تعالي فاستوي وهو بالافق الاعلي طلع
جبريل من المشرق فسد الافق اي فخر النبي صلي الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة
الادميين وضمه الي نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخري ليلة الاسرا المعنية
بقوله تعالي ولقد راه نزلة اخري عند سدرة المنتهي وسياتي الكلام علي ذلك وفي الخصايص
الصغري خص صلي الله عليه وسلم برويته جبريل في صورته التي خلق عليها اي لم
يره احد من الانبيا علي تلك الصورة الا نبينا صلي الله عليه وسلم وذكر السهيلي
ان المراد بالاجنحة في صفة الملايكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة
الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا
كلامه فليتامل ولعله لا ينافيه ما تقدم عن الحافظ ابن حجر في ان تمثل الملك رجلا ليس
معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تانيسا لمن خاطبه
والظاهر ان القدر الزايد لا يزول ولا يفني بل يخفي علي الرايي والله اعلم ومن حالات
الوحي اي نفسه اي الموحي به لا حامله الذي هو جبريل ان الله تعالي اوحي اليه صلي
الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من ورا حجاب يقظة او من غير حجاب بل كفاحا
وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل ان يكون للنوعين وقع كل منهما ليلة الاسرا
ويحتمل ان يكون نوعا واحدا وان الاول بنا علي القول بعدم الروية والثاني بنا علي
القول بالروية وحينيذ لا يناسب عد ذلك نوعين كما فعل الشامي ومن ثم نسب
ابن القيم هذا النوع الثاني لبعضهم كالمتبري منه حيث قال وقد زاد بعضهم مرتبة
ثامنة وهي تكليم الله تعالي له صلي الله عليه وسلم كفاحا بغير حجاب هذا كلامه
لان ابن القيم ممن لا يقول بوجود الروية فاراده بعضهم بناه علي القول
بوجود الروية كما علمت وحينيذ يكون هذا ليلة المعراج وعلي هذا جا
قوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا وقول ابن القيم السادسة اي من حالات الوحي ما اوحاه الله تعالي
اليه صلي الله عليه وسلم وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك
انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لان يكون من غير حجاب وان يكون

من ورا حجاب فهي لم تخرج عما تقدم وكذا قوله السابعة اي من حالات الوحي كلام الله
تعالى منه اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك كما كلم موسى اي من ورا حجاب فهي
لم تخرج عما تقدم وحينيذ يكون كلمه في ليلة المعراج بواسطة الملك وكلمه بغير
واسطة الملك من ورا حجاب ومشافهه من غير حجاب وصاحب المواهب نقل
عن المولى العراقي كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ماذكروا الجواب عنه واقره
مع ما في ذلك الكلام من النظر الظاهر الذي لا يكاد يخفى والله اعلم قال قال الحافظ
السيوطي وليس في القران من هذا النوع اي مما شافهه به الحق من غير حجاب شي فيما
اعلم نعم يمكن ان يعد منه اخر سورة البقرة اي امن الرسول الى اخر الايات لانها
نزلت كما في الكامل للهذلي بقاب قوسين وروى الديلمي قيل يا رسول الله اي اية
في كتاب الله تحب ان تصيبك وامتك قال اخر سورة البقرة فانها من كنز الرحمة
من تحت عرش الله ولم يترك خيرا في الدنيا والاخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض
ما جا في فضل اية الكرسي من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله اي اية في
كتاب الله اعظم قال اية الكرسي اعظم اية وما جا عن الحسن مرسلا افضل القران
سورة البقرة وافضل اية فيها اية الكرسي ونزل في ذلك الموطن الذي قاب قوسين
بعض سورة الضحى وبعض سورة الم نشرح قال صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسئلة
وددت اني لم اكن سالته قلت ربي اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال
يا محمد الم اجدك يتيما فاويت وضالا فهديت وعايلا فاغنيت وشرحت لك
صدرك وحططت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر معي
اقول فقد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين ان يكون مشافهة من
غير حجاب وقوله فقال يا محمد الم اجدك الى اخره ليس هذا نص التلاوة وان
هذا ظاهر في ان المتلو الدال على ما ذكر نزل قبل ذلك وان هذا تذكير به
والله اعلم ومن حالات الوحي انه اوحي اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك
مناما كما في حديث معاذ اتاني ربي وفي لفظ رايت ربي في احسن صورة اي خلقة
فقال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي رب فوضع كفه بين كتفي
فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السما والارض اي وفي كلام الشيخ محيي الدين

ابن العربي رضي الله عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية او المعنوية
وهذا لا يبعد ان يقع مثله للاوليا بطريق الارث اي تجلى له تعالى بالتجلي الخالص
الذي ماذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين والاخرين ومن حالات
الوحي رويا النوم قال صلى الله عليه وسلم رويا الانبيا وحي كما تقدم ومن حالاته
العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بنا على ثبوته لا بواسطة
ملك وبذلك فارق النفث في الروع وبذكر هذه الانواع للوحي يعلم ان ما تقدم
من حصره في الحالتين المذكورتين عند سوال الحارث له صلى الله عليه وسلم اغلبي او ان
ما عداهما وقع بعد سوال الحارث له صلى الله عليه وسلم وفي ينبوع الحياة عن ابن
جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ويتنزل معه من الملايكة حفظة يحيطون به وبالنبي
الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما ليلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه
وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى اوليايهم ثم رايته في الاتقان ذكر ان
القران ما نزل معه ملايكة مع جبريل تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها
سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون الف ملك واية الكرسي
شيعها ثمانون الف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون الف ملك واسال من
ارسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون الف ملك ولعل هذا لا ينافي ما
تقدم من الغرض من تساقط النجوم عند البعث حراسة السما من استراق سمع الشياطين
لما يوحى لجواز ان يكون هذا الحفظ مما يوحى من استراقه في الارض وبين السما
والارض وعن النخعي ان اول سورة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك قال
الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه
ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القران اي اول ايات انزلت
فلا ينافي ما تقدم عن رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة انزلت
فاتحة الكتاب لان المراد اول سورة كاملة نزلت لا في شان الانذار فلا ينافي
ما تقدم عن رواية جابر مما يقتضي ان اول ما نزل يا ايها المدثر لان المراد
بذلك اول سورة كاملة نزلت في شان الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام
نزول سورة اقرا وهذا الجمع لتقدم الوعد به اي لكن يشكل عليه ما في الكشاف

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القران الا اية اية وحرفا حرفا خلا سورة براءة
وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فان هذا السياق
يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براءة وقل هو الله احد وخالفه
ما في الاتقان اي مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة
لم يكن وسورة النصر وسورة المرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روي بسند
فيه ضعيف قال ولم ار له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان
مما نزل جملة سورة براءة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة واحدة الا اية اية وحرفا
حرفا اي كلمة كلمة والمراد بها ما قابل السورة والا فقد انزل عليه ثلاث ايات واربع
ايات وعشر ايات كما نزل عليه اية وبعض اية تقدم نزول غير اولي الضرر منفردة وهي
بعض اية وفي الاتقان عن جابر بن زيد قال اول ما انزل الله من القران بمكة اقرا
باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة الى اخر ما ذكره ثم
قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين
هذا كلامه وذكر بعض المفسرين ان سورة والتين اول ما نزل من القران والله اعلم
ومما تقدم من ان نزول يا ايها المدثر كان بعد ثلاث سنين بعد فترة الوحي لانه بعد
نزول جبريل عليه السلام باقرا باسم ربك مكث مدة لا يرى جبريل اي وانما كان كذلك
ليذهب ما كان يجده من الرعب ويحصل له التشوف الى العود وحزن صلى
الله عليه وسلم لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق
الجبال فكلما اوفى بذروة كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال
يا محمد انك رسول الله صلى الله عليك حقا فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وتقر
نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة
جبل تبدى له مثل ذلك قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فتر الوحي
عنه حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء اخرى يريد
ان يلقي نفسه منه فكلما وافى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدى له جبريل
فقال يا محمد انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع
فاذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك وكانت المدة اربعين يوما

وقيل

وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثني عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم والاشبه
بحاله صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى انتهى اقول ويبعد هذا الاشبه قوله فاذا
طالت عليه فترة الوحي والله اعلم وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن اسحاق
مدة معينة اقول في فتح الباري ان ابن اسحاق جزم بانها ثلاث سنين والله اعلم
قال ابو القاسم السهيلي وقد جاء في بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة
كانت سنتين ونصف سنة اي وفي كلام الحافظ ابن حجر هذا الذي اعتمده السهيلي
لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس ان مدة الفترة كانت اياما اي واقلها ثلاثة
ايام وتقدم ما فيه قال بعض الحفاظ والظاهر والله اعلم انها اي مدة الفترة
كانت بين اقرا ويا ايها المدثر هي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل كما قال الشعبي
انتهى اقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان الشعبي قال انزلت عليه
النبوة وهو ابن اربعين وقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين
وقد تقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل
فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القران اي شيء منه على
لسانه ثم وكل به جبريل فجاءه بالوحي والقران وهو موافق في ذلك لما في سيرة شيخه
الحافظ الدمياطي حيث قال قال بعض العلماء وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل
وهو ظاهر في ان اقتران اسرافيل به صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة ويؤيده قوله
ويأتيه بالكلمة من الوحي ويحتمل ان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردي
لكن تقدم انه كان يسمع حسه ولا يرى شخصه الا ان يقال لا يلزم من كونه يتراءى
له ان يراه وقوله يأتيه بالكلمة من الوحي هو معنى قوله يأتيه بالشيء بعد الشيء
ثم رايت الواقدي انكر على الشعبي كون اسرافيل قرن به اولا وقال لم يقترن به
من الملائكة الا جبريل اي بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ما قاله الشعبي
هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت في الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبي مرسل
او معضل فلا يعارض ما في الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رايت الحافظ ابن حجر نظر
في كلام الواقدي بان المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه فيقدم
هذا كلامه اي بان قد وجد الدليل فقد جاء تبينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس عند جبريل

جالس اذ سمع نقيضا اي هزة من السما فرفع جبريل بصره الي السما فقال يا محمد هذا ملك
قد نزل لم ينزل الي الارض قط قال جماعة من العلما ان هذا الملك اسرافيل لان هذا مجرد دعوي
لا دليل عليها ولا يحسن ان يكون مستندهم في ذلك ما في الطبراني عن ابن عمر سمعت رسول الله
يقول لقد هبط علي ملك من السما ما هبط علي نبي قبلي ولا يهبط علي احد بعدي وهو
اسرافيل فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطي من خصايصه صلي الله عليه
وسلم هبوط اسرافيل عليه اذ ليس في ذلك دليل علي ان اسرافيل لم يكن نزل اليه صلي الله
عليه وسلم قبل ذلك حتي يكون دليلا علي ان اقتران جبريل به صلي الله عليه وسلم
سابق علي اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجي اسرافيل كان
بعد ابتدا الوحي بسنتين قال كما يعرف ذلك من ساير طرق الاحاديث وهو
يظاهره يرده ما في سفر السعادة ان النبي صلي الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله
اسرافيل ان يقوم بملازمته ولما بلغ احد عشر سنة امر جبريل بملازمته فلازمه
تسعا وعشرين سنة تلقيا مل وعن يحيي بن كثير قال ما خلق الله خلقا في السموات
احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرا في السما يقطع علي اهل السما ذكرهم وتسبيحهم
ثم رايت في فتح الباري ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين اي علي ما تقدم
ما بين نزول اقرا ويا ايها المدثر عدم مجي جبريل اليه صلي الله عليه وسلم بل تاخر نزول
القران عليه فقط هذا كلامه اي فكان جبريل ياتي اليه بغير قران بعد مجيه اليه
باقرا ولم يجي اليه بالقران الذي هو يا ايها المدثر الا بعد الثلاث سنين علي ما تقدم
ثم في تلك المدة مكث اياما لا ياتيه اصلا ثم جاه بيا ايها المدثر فكان قبل تلك الايام
يختلف اليه هو واسرافيل وهذا السياق كما لا يخفي يوخذ منه عدم المنافاة بين
مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحاق وسنتين ونصف كما يقول
السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها
اربعون كما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما لان تلك الايام هي التي كانت
لا يري فيها جبريل اصلا علي ما تقدم اي ولا يري فيها اسرافيل ايضا وفي غير تلك الايام
كان ياتيه بغير القران وحينيذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق علي السهيلي وينبغي ان يكون
تلك الايام التي لا يري فيها جبريل واسرافيل هي التي يريد ان يلقي نفسه من رووس شواهق الجبال

وهذا السياق

وهذا السياق ايضا يدل علي ان النبوة سابقة علي الرسالة بنا علي ان الرسالة كانت بيا ايها المدثر
ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نباه بقوله اقرا باسم ربك وارسله بقوله يا ايها
المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه اكثر الروايات
وقيل النبوة والرسالة مقترنان ولعل من يقول بذلك يقول يا ايها المدثر دلت
علي طلب الجهر بالدعوي الي الله تعالي وهذا غير اظهار الدعوي والمفاجاة بها الذي دل عليه
قوله تعالي فاصدع بما تومر وذكر السهيلي ان من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي
المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق سبحانه وتعالي بقوله يا ايها
المدثر ليعلم ان الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدايد ومن هذه
الملاطفة قوله صلي الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه وقد نام وترب
جنبه قم يا ابا تراب وقوله صلي الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام في غزاة احد الي الاسفار
قم يا نومان وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي في قوله تعالي يا ايها المدثر قم فانذر اعلم ان
التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد علي النبي صلي
الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقي ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية
فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الي سطح البدن لاستيلا الحرارة فيكون من ذلك العرق
فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل
الجسم الهوا من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتاخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب
ليسخن هذا الشخص كلامه وذكر بعضهم في تفسير قوله تعالي وثيابك فطهر ان الشيخ
ابا الحسن الشاذلي قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم فقال يا ابا الحسن
طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالي في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي
فقال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت حينيذ
قوله تعالي وثيابك فطهر وجا في وصف اسرافيل في بعض الاحاديث لا تفكروا في عظمة
ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله فان خلقا من الملايكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا
العرش علي كاهله وقدماه بالارض السفلي وقد مرق راسه من سبع سموات وانه
ليتضاءل من عظمة الله حتي يصير كانه الوضع فهو عند نزوله يكون
حاملا لزاوية العرش او تخلفه غيره من الملايكة في ذلك

باب ثاني وعشرون في ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة

اي اول الارشاد اليه باقرا **اقول** في المواهب انه روي ان جبريل بدا له صلى الله عليه
وسلم في احسن صورة واطيب رايحة فقال له يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول
لك انت رسول الله الي الجن والانس فادعهم الي قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض
فنبعت عين ما فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا وقام جبريل يصلي وامره ان
يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله فعلمه الوضو يحتمل ان يكون
بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه بقوله افعل كذا في وضوك وصلاتك ويدل للاول
ما يساتي **وفيه** ان قول جبريل المذكور انما كان عند امره باظهار الدعوة الي الله
تعالي والمفاجاة بها بعد فترة الوحي كما سياتي فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب
برجله الارض الي اخره لا يحسن لانه سياتي ان ذلك كان في يوم نزوله له
باقرا باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة والله اعلم **وعن** ابن اسحاق حدثني
بعض اهل العلم ان الصلاة حين افترضت علي النبي صلى الله عليه وسلم اي قبل الاسرا
اتاه جبريل وهو باعلا مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه
عين فتوضا جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر كيفية كيف الطهور
اي الوضو للصلاة اي فغسل وجهه ويديه الي المرفقين ومسح براسه وغسل
رجليه الي الكعبين كما في بعض الروايات اي وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا
ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الي المرفقين ثم مسح راسه
ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضا مثل وضوئه
اقول وبهذه الرواية يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء
التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الراس والتخليل
ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض انما ذكر زيادة علي ما في
الاية **وفي كلام** بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة
ويداومون علي المضمضة والاستنشاق والسواك والله اعلم ثم قام جبريل
فصلي به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة قبل
طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اي قبل غروب الشمس **وفي الامتاع** وانما كانت الصلاة

قبل الاسرا

قبل الاسرا صلاة بالعشي اي قبل غروب الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي
ركعتين اي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والعشي هو العصر ففي كلام بعض اهل اللغة العصر
العشا والعصران الغداة والعشي وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر
الاسود اي جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل علي انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت
المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا ان صلي بين الركنين الاسود واليماني كما كان
يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة كما سياتي انه كان يصلي بين الركنين الركن اليماني
والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام ٥ اي بينه وبين بيت المقدس اي صخرته
الا ان يقال لا يجوز ان يكون عند صلاته الي الكعبة كان بينهما الا انه كان الي الحجر الاسود
اقرب منه الي اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود فلا مخالفة لكن سياتي ما قد يفيد انه لم
يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات الخمس اي بعد الاسرا وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة
الي اي جهة من جهاتها ولما صلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا
الصلاة يا محمد ثم انصرف جبريل فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فاخبرها فغشي عليها
من الفرح فتوضا لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل فتوضات كما توضا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلي به جبريل عليه السلام
وفي سيرة الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان في يوم نزول جبريل عليه السلام له صلى الله عليه
وسلم باقرا باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلي فيه وصلت خديجة
اخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما جا اتاني جبريل في اول ما وحي الي فعلمني الوضوء والصلاة
فلما فرغ من الوضو اخذ غرفة من الما فنضح بها فرجه اي رش بها فرجه اي محل الفرج من الانسان
بناء علي انه لا فرج له لكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه
ليس ذكرا ولا انثي وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له الة ليست كالة الذكر ولا كالة الانثي كما
قيل بذلك في الخنثي يقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج علي ما يقابل الفرج
من الازار وبذلك استدل ايمتنا علي انه يستحب لمن استنجي بالما ان ياخذ بعد الاستنجا
كفا من ما ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه حتي اذا خيل اليه ان شيا خرج ووجد بللا
قدر انه من ذلك الما ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وامرني
اذا انضح تحت ثوبي بما يخرج من البول بعد الوضو اي دفعا لتوهم خروج شي من البول بعد الوضوء وجد

بدلا بالجملة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ينضح سراويله حتى يبلها وما جا انه لما
اقراه اقرا باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل فنزل معه الى قرار الارض فقال له اجلس
على دِرْنوك بالدال المهملة والراء والنون اي وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب برجله
الارض فنبعت عين ما فتوضا منها جبريل الحديث فمشروعية الوضو كانت مع مشروعية
الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول ابن حزم
لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير على
انه لم يصل صلى الله عليه وسلم قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان
يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة وهو الموافق لقول بعض الحنابلة انه
كان قبل الهجرة مندوبا وانما وجب بالمدينة باية المائدة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم الاية ويرده ما في الاتقان ان هذه الاية مما تاخر نزوله عن حكمه يعني قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله لعلكم تشكرون فالاية مدنية اجماعا وفرض
الوضو كان بمكة مع فرض الصلاة اي فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة
في ذلك اي في نزول الاية بعد تقدم العمل المايل عليه ان تكون قرانيته متلوة هذا كلامه
وقوله مع فرض الصلاة يحتمل ان المراد صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا واجبتين عليه وهو
الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس الرملي حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة
بسنة هذا كلامه وحينئذ يكون قبل ذلك مندوبا حتى في صلاة الليل ويقول صاحب المواهب
ما ذكر من ان جبريل علمه الوضوء وامره به يدل على ان فريضة الوضوء كانت قبل الاسرا فيه نظر
ظاهر اذ لا دلالة في ذلك على الفرضية اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له
امرتك ان تفعل كفعلي وصيغة امر مشتركة بين الوجوب والندب وذكر بعضهم
ان الغرض من نزول اية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض او لعدم
الماء يباح له التيمم اي ففرضية الوضوء والغسل سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة
رضي الله تعالى عنها في الاية فانزل الله تعالى اية التيمم ولم تقل اية الوضوء وهي لان الوضوء
كان مفروضا قبل ان توجد تلك الاية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق اهل السير
على ان الغسل من الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
ما يقتضي ان فرض الغسل كان مع فرض الصلاة ليلة الاسرا فقد جاء عنه كانت الصلاة خمسين والغسل

من الجنابة

من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعل الصلاة خمسا
والغسل من الجنابة مرة قال بعض فقهائنا رواه ابو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح
او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان يكون المراد بها اي الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين
في قراءة من قرا وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما وهو ان جبريل اول
ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي توضا فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح راسه
ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين اي ركعتين مواجهة البيت ففعل النبي صلى الله عليه
وسلم كما يرى جبريل يفعله هذا كلامه وفيه نظر لان اكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم
فرجليه في هذه الروايات معطوفة على وجهه كما ان ارجلكم في الاية على قراءة الجر معطوفة على الوجوه
وانما جر للمجاورة وان كان الجر بالمجاورة في غير النعت قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفي كلام
الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل
العدول عن الظاهر بناء على ان المسح فيه يقال للغسل فيكون من الالفاظ المترادفة وفتح ارجلكم لا يخرجها
عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون واو المعية وجا انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلاة اي عملا
بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الاية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد
فقال له سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر اي للاشارة
الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء عليه
لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضو لكل صلاة واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
ثم نسخ هذا كلامه اي ويؤيد ذلك ظاهر ما جا انه امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان او غير طاهر
فلما شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث اي ويكون وقت المشقة يوم
فتح مكة لما علمت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا السياق يدل على
ان وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روي عن انس
رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون انتم اي كنتم
تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث اي فوجوب الوضوء لكل
صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا لكل
صلاة فنسخ بالنسبة للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة وظاهر
سياقهم يقتضي ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان عاما في حقه صلى الله عليه وسلم وحق امته

ويحتاج الي بيان وقت نسخ وجوب الغسل لكل صلاة في حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب
الوضو لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلي الله عليه وسلم وحينيذ لا يشكل قول
فقها بان الاية تقتضي وجوب الطهر بالما والتراب لكل صلاة حتي جا الوضو بالسنة اي ما تقدم
من فعله صلي الله عليه وسلم يوم الفتح وبتجويزه صلي الله عليه وسلم للامة ان يصلي الواحد منهم الصلوات
بوضو واحد وبقي التيمم علي مقتضي الاية فقد وقع النسخ اولا بالنسبة للامة ثم ثانيا
بالنسبة اليه صلي الله عليه وسلم ولعل وجوب الغسل لكل صلاة كان بوحي غير قران او باجتهاد
ولا يخفي ان كون ظاهر الاية يقتضي وجوب الوضو والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر
عن ما نقله امامنا رضي الله تعالي عنه عن زيد ابن اسلم ان الاية فيها تقديم وحذف وان
التقدير اذا قمتم الي الصلاة من النوم او جا احد منكم من الغايط او لامستم النسا
فاغسلوا وجوهكم الاية والله اعلم وعن مقاتل بن سليمان فرض الله تعالي في اول الاسلام
الصلاة ركعتين بالغداة اي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشي اي قبل غروب الشمس
اقول ان كان المراد باول الاسلام نزول جبريل عليه صلي الله عليه وسلم باقرا بدليل ما تقدم
عن الامتاع ان اول ما وجب ركعتان بالعشي ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي
ركعتين الا ان يراد الاولية الاضافية وفي بعض الاحاديث ما يدل علي ان وجوب
الركعتين كان خاصا به صلي الله عليه وسلم دون امته منها قوله صلي الله عليه وسلم اول ما افترض
الله علي امتي الصلوات الخمس وفيه انه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات
الخمس وفي الامتاع كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخرج الي الكعبة اول النهار فيصلي صلاة
الضحي وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان صلي الله عليه وسلم واصحابه اذا جا وقت العصر تفرقوا
في الشعاب فرادي ومثني اي فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون الضحي والعصر ثم نزلت
الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحي لا قبل
الشمس فليتامل والله اعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الي انه لم يكن قبل الاسرا
صلاة مفروضة اي عليه صلي الله عليه وسلم ولا علي امته الا ما وقع الامر به من صلاة الليل من غير
تحديد اي بقوله تعالي فاقروا ما تيسر اي صلوا اقول وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد
في اول السورة الحاصل بقوله تعالي قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وقد نسخ
قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسرا ولم يذكر ابقا وجوب صلاة الركعتين عليه صلي الله عليه و

بل قالوا اول ما فرض عليه صلي الله عليه وسلم الانذار والدعا الي التوحيد ثم فرض عليه صلي الله عليه وسلم
قيام الليل المذكور في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف
لما تقدم عن ابن اسحاق من وجوب صلاة الركعتين عليه صلي الله عليه وسلم ويوافقه قول ابن كثير في قولهم
ماتت خديجة رضي الله تعالي عنها قبل ان تفرض الصلاة مرادهم قبل ان تفرض الصلوات الخمس
ليلة الاسرا قال بعضهم وانما قالوا ذلك لان اصل الصلاة قد فرض في حياة خديجة الركعتين
بالغداة والركعتين بالعشي وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد
فقط ثم استمر علي ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ
ذلك كله بالصلوات الخمس ثم لم تكثر الفرايض وتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن في
القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرايض وتتابعت هذا كلامه ولم اقف علي
ما كان يقرا في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقيل نزول الفاتحة بنا علي تاخر نزولها
عن ذلك كما هو الراجح ثم رايته في الاتقان ذكر ان جبريل عليه السلام حين حولت القبلة
اخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي
حمله علي الصلوات الخمس وحينيذ يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كان في الاسلام
صلاة بغير الفاتحة محمول علي ذلك ايضا وقد تقدم ذلك والله اعلم

ثالث وعشرون

باب ذكر اول الناس ايمانا به صلي الله عليه وسلم

اي بعد البعثة اي الرسالة وهي
المرادة عند الاطلاق بنا علي انها مقارنة للنبوة لا يخفي انه صلي الله عليه وسلم لما بعث اخفي امره
وجعل يدعو الي الله عز وجل سرا واتبعه الناس عامتهم ضعفا من الرجال والنسا و
والي هذا الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا
فطوبي للغربا ولا يخفي ان اهل الاثر وعلما السير علي ان اول الناس ايمانا به صلي الله عليه
وسلم علي الاطلاق خديجة رضي الله تعالي عنها اقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلما عليه
وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين فقال ابن الاثير خديجة رضي الله
تعالي عنها اول خلق الله تعالي اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امراة وفيه ان زوجاته
صلي الله عليه وسلم رضي الله تعالي عنهن كن موجودات عند البعثة وبعد تاخر ايمانهن الا ان
يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن اخرا ما ياتي وعن ابن اسحاق ان خديجة كانت
اول من امن بالله ورسوله وصدقت ما جا به صلي الله عليه وسلم عن الله تعالي وكان لا يسمع

شيا يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به ثم علي ابن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه في المرفوع عن سلمان رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول
هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما علي بن ابي طالب وجا انه صلى الله عليه وسلم
لما زوجه فاطمة رضي الله تعالى عنها قال لها زوجتك سيدا في الدنيا والاخرة وانه لاول
اصحابي اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتي في حكاية الاجماع عليه
كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه يطعمه ويقوم بامره
لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمه العباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه
فلنخفف من عياله فاخذ واحدا وانا واحدا فجاءا اليه وقالا نريد ان نخفف عنك من عيالك
حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لي عقيلا قيل وطالبا
فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه واخذ العباس جعفر
فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خصايص
العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتغذيته ايام من ريقه
المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى عنهما قالت لما ولدته
سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما
كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم
فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا كلامه فليتأمل وعنها رضي الله
تعالى عنها انها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتقوس في بطنها
فمنعها من ذلك وكان علي رضي الله تعالى عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه
جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل ذلك وبين عقيل واخيه طالب ذلك
ايضا فكل اكبر من الذي بعده بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي
اي وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه
وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك
مني وحبا لما كنت اعلم لحب عمي اياك وكان عقيل اسرع الناس جوابا وابلغهم في ذلك
قال له معاوية رضي الله تعالى عنه يوما ابن ترى عمك ابا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية

يامعاوية

يا معاوية فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما
وفد على معاوية وقد غضب من اخيه علي رضي الله تعالى عنه لما طلب منه عطاه وقال
له اصبر حتى يخرج عطاوك مع المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل
لي منك فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة الف درهم ثم قال له معاوية
اصعد المنبر فاذكر ما اولاك علي وما اوليتك فصعد فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم
قال ايها الناس اني اخبركم اني اردت عليا على دينه فاختار دينه واني اردت معاوية
على دينه فاختارني على دينه وفي رواية ان معاوية قال لجماعته يوما حضر عقيل
هذا ابو يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير من اخيه لما قام عندنا وتركه فقال
عقيل اخي خير لي في ديني وانت خير لي في دنياي وقد اثرت دنياي واسال الله خاتمة خير
الخبر توفي عقيل في خلافة معاوية قال وسبب اسلام علي كرم الله وجهه انه دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله
وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال علي هذا امر لم اسمع
به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث
ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسلم انتهى وذلك اقول اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضي الله
تعالى عنها وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي اي لانه تقدم ان صلاته صلى الله عليه
وسلم مع خديجة كان اخر يوم الاثنين وهذا انما ياتي على القول بان النبوة والرسالة
تقارنتا لا على ان الرسالة تاخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحي على ما تقدم وفي
اسد الغابة ان ابا طالب راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلي على يمينه فقال
لجعفر رضي الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام
اخيه علي بقليل والله اعلم قال بعضهم وانما صح اسلام علي اي مع انهم اجمعوا على انه لم يكن
بلغ الحلم اي ومن ثم نقل عنه انه قال

سبقتكم الى الاسلام طرا ** صغيرا ما بلغت اوان حلمي

اي كان عمره ثمان سنين علي ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق وفي لفظ في عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز هذا وقد ذكر انه لم يحفظ عن علي رضي الله تعالى انه قال شعرا وقيل لم يقل الا بيتين اي ولعل احدهما ما تقدم ثم رايت عن القاموس ان البيتين هما قوله رضي الله تعالى عنه

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات ودقين لا تبقي ولا تذر

وذات ودقين هي الداهية وقد ذكر ان الزبير بن العوام اسلم وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن خمسة عشر سنة وقيل ابن اثنتي عشرة سنة وقيل ابن ستة عشر سنة ومما يدل للاول ما جاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد ابن ابي وقاص ولدوا في عام واحد ومن العجب ان الزمخشري في خصايص العشرة اقتصر علي ان سن الزبير حين اسلم ستة عشر سنة وذكر بعد ذلك باسطر انه اول من سل سيفا في سبيل الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة مقتصرا علي ذلك ومما يدل للاول ايضا ما في كلام بعض اخر اسلم علي ابن ابي طالب والزبير ابن العوام وهما ابنا ثمان سنين واجماعهم علي ان عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره كان اذ ذاك عشر سنين اي بناء علي ان سن امكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به ايمتنا ويوافقه ما حكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادي والثلاثون من خلفا بني العباس لما كان عمره تسع سنين وطي جارية حبشية فحملت منه وولدت ولدا حسنا ويرد القول بان سنه اذ ذاك كان ثلاثة عشر او خمسة عشر او ستة عشر اقول قال بعض متاخري اصحابنا وانما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به وعلي هذا مع ما تقدم يشكل ما في الامتاع واما علي بن ابي طالب فلم يكن مشركا بالله ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد اولاده يتبعه في جميع اموره فلم يحتج ان يدعي الاسلام فيقال اسلم هذا كلامه فليتامل فان عليا كان تابعا لابيه في دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله فلم يحتج ان يدعي للاسلام يرده ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم له ادعوك الى الله وحده الى اخره ثم رايت في الحديث

ما يدل لما في الامتاع وهو علي ثلاثة ما كفروا بالله قط مومن آل يس وعلي ابن ابي طالب واسية امراة فرعون والذي في العرايس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مومن ال فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وهو افضلهم الا ان يراد نفي كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم وفيه انه قد يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له وادعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قد قيل ايضا ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزي من رفض عبادة الاصنام في الجاهلية اي لم يات بها ابا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البرا واسعد ابو كريب الحميري وقس بن ساعدة الايادي وابا قيس بن صرمة والحق ان عدم السجود للاصنام لا ينافي الحكم بالكفر علي من لم يسجد لها لكن في كلام السبكي الصواب ان يقال الصديق رضي الله تعالى عنه لم يثبت عنه حال كفر بالله تعالى فلعل حاله قبل البعث كان كحال زيد ابن عمرو ابن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة هذا كلامه وهو واضح اذا لم يكن احد من جميع من ذكر اسلم وفي كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم امنوا قبل كل احد خديجة وزيد وزوجته زيد ام ايمن وعلي رضي الله تعالى عنه فليتامل قوله امنوا قبل كل احد وكذا يتامل قول ابن اسحاق اما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن والله اعلم وعن ابن اسحاق ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا امسيا رجعا لذلك ثم ان ابا طالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان اي بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به قال هذا دين الله ودين ملايكته ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني الى الله تعالى واعانني عليه فقال ابو طالب اني لا استطيع افارق دين ابائي وما كان عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من باس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا

وهذا احتمالا يخفي ينبغي ان يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر
صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما راي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا
علي يمينه ولكن يروي ان عليا رضي الله تعالي عنه ضحك يوما وهو على المنبر
فسئل عن ذلك فقال تذكرت ابا طالب حين فرضت الصلاة وراني اصلي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال له ما هذا الفعل الذي اري فلما اخبرناه
قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا الاني لا احب ان تعلوني في استي فلما
تذكرت الان قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة
والركعتين بالعشي وهذا يويد القول بان ذلك كان واجبا وذكر ان ابا
طالب قال لعلي اي بني ما هذا الذي انت عليه فقال يا ابت امنت بالله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك
الا الي خير فالزمه اي ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق
ولولا اني اخاف ان تعيرني نسا قريش لاتبعته وعن عفيف الكندي رضي الله تعالى
٢ عنه انه قال كنت امرأ تاجرا فقدمت للحج واتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع
منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان يختلف الي اليمن يشتري العطر
ويبيعه ايام الموسم فبينما انا عند العباس بمني اي وفي لفظ بمكة في المسجد
اذا رجل مجتمع اي بلغ اشده خرج من خبا قريب منه فنظر الي الشمس فلما راها
مالت توضا فاسبغ الوضوء اي اكمله ثم قام يصلي اي الي الكعبة كما في بعض
الروايات ثم خرج غلام مراهق اي قارب البلوغ فتوضا ثم قام الي جنبه
يصلي ثم جاءت امراة من ذلك الخبا فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام
وركعت المراة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام وخرت المراة فقلت يحك
يا عباس ما هذا الدين قال هذا دين محمد بن عبد الله اخي يزعم ان الله بعثه
رسولا وهذا ابن اخي علي ابن ابي طالب وهذه امراته خديجة قال عفيف بعد اذ
اسلم يا ليتني كنت رابعا اي ولعل زيد ابن حارثة لم يكن موجودا عندهم
في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي معهم او ان ذلك كان قبل اسلامه
لانه سياتي قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام علي وكذا ابو بكر لم يكن موجودا

ذلك الوقت

ذلك الوقت عندهم بنا على ان اسلامه كان قبل اسلام علي ويويده ما قيل اول
من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر لكن في الاستيعاب لابن عبد البر ان العباس
قال لعفيف الكندي لما قال له ما هذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم
يتبعه علي امره الا امراته وابن عمه هذا الغلام وفيه ان عليا رضي الله تعالي
عنه قال لقد عبدت الله عز وجل قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين
اي ولعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله في هذا الحديث فنظر الي الشمس
فلما راها مالت توضا وصلى قد يخالف ما تقدم من انه فرض الصلاة كانت ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط اقول قد يقال لا مخالفة
لانه يجوز ان تكون صلاته في الوقت ليست مما فرض عليه والجماعة في ذلك جائزة
وقد فعلها صلى الله عليه وسلم في النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة
بمكة حتي في صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس وفي كلام بعض فقهائنا
انها لم تشرع الا في المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضي الله تعالي عنهم الا ان يقال
المراد بمشروعيتها طلبها فكانت في المدينة مطلوبة استحبابا او وجوبا كفاية
او عينا على الخلاف عندنا في ذلك وفي مكة كانت مباحة لكن في كلام بعض فقهائنا
ان الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة وفيه ان القهر انما ينافي اظهار الجماعة لا فعلها
الا ان يقال تركت حسما للباب وفيه انه يبعد تركها وهم مستخفون في دار
الارقم والله اعلم ثم بعد اسلام علي رضي الله تعالي عنه اسلم من الصحابة رضي
الله تعالي عنه اسلم من الصحابة رضي الله تعالي عنهم زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال
ابن هشام شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله تعالى
عنها لما تزوجها اي وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام ممن سباه من
الجاهلية اي فان عمته خديجة امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم
سوق عكاظ وجد زيدا يباع اي وعمره ثمان سنين فاندار من عند اخواله
طي وعليه اقتصر السهيلي فان امه لما خرجت به لتزيره اهلها فاصابته
خيل فباعوه فاشتراه اي وقيل اشتراه من سوق حباشة بالعمالة درهم
ويقال ستمائة درهم فلما راته خديجة اعجبها فاخذته اي ولعل هذا

مرادمن قال فباعه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم
وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتبناه قبل الوحي وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال رايت غلاما
بالبطحاء قد اوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم
قالت خذ سبعمائة درهم قالت فاذهب فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي
لاعتقته قالت هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة
حيث توجه مع ميسرة فوهبته له وقيل غير ذلك وزعم ابو عبيد ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه
زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصي حين تبناه ثم انه خرج في ابل لابي طالب
الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة قال
من انفسهم قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال اعربي انت ام عجمي قال بل عربي قال
ممن اهلك قال من كلب قال من اي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من انت قال
ابن حارثة ابن شراحيل قال واين اصبت قال في اخوالي قال ومن اخوالك قال طي قال
ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك
فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على اهله وولده
ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه ابوه وعمه واخوه وفي رواية ان ناسا
من قومه حجوا فراوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا واعلموا اباه ووصفوا له مكانه
فجاء ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وابيه كان بعد اخبار اولئك
الناس فلما جاء اهله في طلبه ليفدوه خيره النبي صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله
فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر انهم لما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فدائه سالا عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد
قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك
فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد ابن حارثة
فقال او غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء
وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على الذي اختارني فداء فقالوا زدتنا على النصف وفي

لفظ

لفظ رددتنا على النصف واحسنت فدعاه فقال تعرف هولاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته
عن اخيه استصغاره بالنسبة لابيه وعمه على ان اكثر الروايات على اقتصار مجيء ابيه وعمه وفي
كلام السهيلي ان زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان فقال هذا ابي حارثة ابن شراحيل
وهذا كعب بن شراحيل عمي فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم له انا من علمت وقد رايت صحبتي
لك فاخترني او اخترهما فقال زيد رضي الله تعالى عنه ما انا بالذي اختار عليك احدا انت
مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل
بيتك قال نعم وما انا بالذي اختار عليه احدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما راى
اخرجه الى الحجر اي الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت انفسهما
وانصرفا اي وفي كلام ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه ثمان
سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك
وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي
حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف
السدس من ميراث الحليف اي من حالفه فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من انه صلى الله عليه وسلم
حين تبناه كان عمره ثمان سنين يدل على ان ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي
وان ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه وحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه اظهارا لما تقدم
فليتامل وفي اسد الغابة ان حارثة اسلم وفي كلام بعضهم لم يثبت اسلام حارثة الا المنذري
ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر احد من الصحابة في القران
احد باسمه الا هو كما سياتي قال ابن الجوزي الا ما يروى في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله
تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وقد يدعى
السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القران وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار
يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى
بذكر اسمه في القران دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب ولا يخفى انه ياتي في
زيد ما تقدم في علي ولم يذكر في القران امراة باسمها الا مريم ولزيد اخ اسمه جبلة اسن منه
سئل جبلة من اكبر انت ام زيد فقال زيد اكبر مني وانا ولدت قبله اي لان زيدا افضل منه
لسبقه للاسلام ثم اسلم من الصحابة ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال بعضهم في سبب اسلامه

انه كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان سمع
قول ورقة له لما ذهب معه اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم ابن حزام في
بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها
نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته
المتضمنة لمجيء الوحي له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقال صدقت بابي انت وامي واهل الصدق
انت انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فيقال سماه يومئذ الصديق وهذا
السياق ربما يدل على ان اسلام ابي بكر تأخر الى نزول يا ايها المدثر لبعد فترة الوحي بناء على
ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي في ذلك ما سياتي انه سمي بذلك صبيحة الاسرا
لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز انه لم يشتهر بذلك الا حينئذ وقد جاء في تفسير قوله
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي صدق به ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال ولما سمعت خديجة مقالة ابي بكر
خرجت وعليها خمار احمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة واسمه عبد الله
اي سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر اول
من غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه ولقبه عتيق لحسن وجهه او لانه عتيق من الذم والعيب و
اي او نظر صلى الله عليه وسلم اليه فقال هذا عتيق من النار فهو اول لقب وجد في الاسلام
وقيل سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت
اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش فتأمل ويدل له ما ذكره بعضهم ان امه
كانت اذا هزته تقول عتيق عتيق ذو المنظر الانيق وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح
ان الملقب له به صلى الله عليه وسلم لما دخل عليه في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها وانه غلب
عليه من يومئذ قال وبه يندفع ان الملقب له به ابوه رضي الله تعالى عنه وزعم انها امه
رضي الله تعالى عنها هذا كلامه ولينظر مع قوله في بيت عائشة مع ما تقدم وما في
كلام السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت
عتيق من النار وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال
وكرم الاخلاق من رؤسا قريش ومحط مشهورتهم وكان من اعف الناس كان رئيسا
مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان اعلم الناس بتعبير الرؤيا ومن ثم قال

ابن سيرين

ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا كان ابو بكر اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وكان اعلم الناس بانساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ النهاية في ذلك انه قال
اخذت النسب من ابي بكر لا سيما انساب قريش فانه كان اعلم قريش بانسابها وبما كان
فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم ومن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل ابن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه فانه كان بعد ابي بكر اعلم قريش بانسابها وبايامها وما فيها من خير
وشر لكن مبغضا اليهم لانه كان يعد مساويهم وكان عقيل رضي الله تعالى عنه يجلس اليه
في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وايام العرب ووقايعهم وفي كلام بعضهم كان
ابو بكر رضي الله تعالى عنه عند اهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما نابهم وكانت له
بمكة ضيافات لا يفعلها احد قال الزمخشري ولعله كني بابي بكر لابتكاره الخصال الحميدة
وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وكان نقش خاتم عمر رضي الله تعالى عنه كفى بالموت واعظا
يا عمر وكان نقش خاتم عثمان امنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم علي الملك لله وكان نقش خاتم
ابي عبيدة ابن الجراح الحمد لله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا الى الاسلام
الا كانت عنده اي وقفة وتاخر وتردد الا ما كان من ابي بكر وفي رواية ما كلمت احدا في الاسلام
الا ابى علي وراجعني في الكلام الا ابن ابي قحافة فاني لم اكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه
اي ومن ثم كان اشد الصحابة رايا واكملهم عقلا الخبر تمام رضي الله تعالى عنه اتاني
جبريل ان الله امرك ان تستشير ابا بكر ونزل فيه وفي عمر وشاورهم في الامر وكان
ابو بكر رضي الله تعالى عنه بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره
في اموره كلها وجاء ان الله ايدني باربعة من وزراء اثنين من اهل السماء جبريل
وميكائيل واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر وفي حديث رواية تعالى ان الله يكره
ان يخطئ ابو بكر وفي رواية ان الله يكره في السماء ان يخطئ ابو بكر الصديق في الارض
وجاء الحسن ابن علي رضي الله تعالى عنهما وهو صغير الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه وهو
يخطب على المنبر فقال له انزل عن مجلس ابي فقال مجلس ابيك والله لا مجلس ابي واجلسه
في حجره وبكى فقال علي والله ما هذا عن رايي فقال والله ما اتهمتك ووقع نظير ذلك
لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه مع سيدنا الحسين فانه قال له وهو يخطب انزل عن منبر ابي
فقال منبر ابيك لا منبر ابي من امرك بهذا فقام علي فقال ما امره بهذا احد ثم قال

وسبب للحسين لا وجعنك باعذر فقال لا توجع ابن اخي صدق ومنبر ابيه قال
مبادرته للتصديق ما علمه من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته
قبل دعوته ولرويا راها قبل ذلك راي القمر نزل الي مكة فدخل في كل بيت منه شعبة
ثم كان جميعه في حجره فقصها علي بعض اهل الكتاب فعبروها له بانه يتبع النبي
المنتظر الذي قد ظل زمانه وانه يكون اسعد الناس به ولعل هذا الذي من اهل
الكتاب هو بحيرا فقد رايت ان ابا بكر راي رويا فقصها علي بحيرا فقال ان
صدقت رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك تكون انت وزيره في حياته وخليفته
بعد مماته اي واخرج ابو نعيم عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ان ابا بكر امن بالنبي
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة اي علم انه النبي المنتظر لما مر بحبيرا الراهب ولما سمعه من
شيخ عالم من الازد قد قرا الكتب نزل به في اليمن فقال له احسبك حرميا فقال
ابو بكر نعم فقال له احسبك قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم قال
نعم قال له بقيت لي فيك واحدة قال وما هي قال تكشف لي عن بطنك فقال له
لا افعل او تخبرني لماذا ذلك فقال اجد في العلم النجيح الصادق ان نبيا يبعث في الحرم
يعاون علي امره فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما
الكهل فابيض نحيف علي بطنه شامة وعلي فخذه اليسرى علامة اي مع كونه حرميا
قرشيا تيميا بدليل قوله احسبك حرميا احسبك قرشيا احسبك تيميا
وما عليك ان تريني ما سالتك فقد تكاملت فيك الصفة اي كونه حرميا
قرشيا تيميا ابيض نحيف الا ما خفي علي فقال ابو بكر فكشفت له عن بطني
فراي شامة سودا فوق سرتي اي وراي العلامة علي الفخذ الايسر فقال انه
هو ورب الكعبة قال ابو بكر فلما قضيت اربي من اليمن اتيته لاودعه
فقال احفظ عني ابياتا من الشعر قلتها في ذلك النبي قلت نعم فذكر ابياته
قال ابو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش
كعقبة بن ابي معيط وشيبة وربيعة وابو جهل وابو البختري فقالوا يا ابا بكر
يتيم ابي طالب يزعم انه نبي ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذا قد جيت فانت
الغاية والكفاية اي لان ابا بكر لما تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر

فمن جملتهم

فمن جملتهم علي احسن شي ثم جيته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج لي فقال لي
يا ابا بكر اني رسول الله اليك والي الناس كلهم فامن بالله فقلت وما دليلك علي
ذلك قال الشيخ الذي افادك الابيات ومن اخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك العظيم
الذي ياتي الانبيا قبلي قلت مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وفي لفظ اشد سرورا مني باسلامي ولا مانع من صدور
الامرين منه رضي الله تعالى عنه ويحتاج للجمع بين هذا وما تقدم من انه كان مع حكيم
ابن حزام يوما الي اخره علي تقدير صحة الروايتين وما جا من شعر حسان رضي
الله تعالى عنه من ان ابا بكر اول الناس اسلاما حيث يقول فيه واول الناس
منهم صدق الرسلا وانه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك منه ولم ينكره بل قال صدقت
يا حسان كما سياتي عند الكلام علي الهجرة وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر رضي الله
تعالى عنه اول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور من اهل السنة لا ينافي ما تقدم
ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول
رجل بالغ ليس من الموالي اسلم ابو بكر اي وعبارة ابن الصلاح والاورع ان يقال
اول من اسلم من الرجال الاحرار اي غير الموالي ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النسا
خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة وهذا وما قبله يدل علي ان اسلام زيد بن حارثة
كان بعد البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالي تاملا وان مرادمن قال ان
ابا بكر سبق عليا في الاسلام اي في اظهار الاسلام لانه حين اسلم اظهر اسلامه
بخلاف علي فقد جا عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه
سبقني الي اربع عد منها اظهار الاسلام وقال وانا اخفيته ولعل الاتيان في
ذلك ما جا بسند حسن ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب لان ذلك
كان عند اختفايه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه في دار الارقم كما سياتي واوليه
اظهار الاسلام ايضا في قال ابن كثير وورد عن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روي في هذا المعنى
احاديث اوردها ابن عساكر كثيرة منكرة كلها لا يصح شي منها هذا كلامه وعلي تقدير

صحتها يراد اول من اسلم من الصبيان فالاولية اضافية وما يوثر عن علي
رضي الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويوخر التوبة لطول
الامل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر العيوب
والغالب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعو ويستبطي الاجابة وقد سد طرقها
بالمعاصي واول من اسلم من النسا بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسما
بنت ابي بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم
وينبغي ان تكون ام ايمن سابقة في الاسلام على ام الفضل على ما تقدم وقول الشرح
البلقيني موافقة للزين العراقي ان اول رجل اسلم ورقة ابن نوفل لقول النبي صلى الله
عليه وسلم انا اشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم وانك على مثل ناموس موسى
وانك نبي مرسل فقد علمت ما فيه وانه انما كان من اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبي
وهو يرد القول المتقدم بان وفاة ورقة تاخرت عن البعثة فورقة ونحوه كبحيرا
ونسطورا من اهل الفترة لا من اهل الاسلام ويؤيده ما تقدم ان باجماع
المسلمين لم يتقدم خديجة في الاسلام رجل ولا امراة نعم هولا من الفترة الذين
تمسكوا بدين قبل نسخه وامن وصدق بانه صلى الله عليه وسلم الرسول المنتظر
وذلك نافع له في الاخرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لما توفي ورقة لقد رايت
القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير لانه امن بي وصدقني اي اخبر بما تقدم
على تسليم انه لا يشترط في المسلم ان يومن ويصدق برسالته صلى الله عليه وسلم
بعد وجودها بل يكفي ولو قبل ذلك فليس ورقة بصحابي لان الصحابي من اجتمع
به صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة مومنا بما جا به عن الله تعالى اي معلوما
ايمانه ومن ثم رد الحافظ الذهبي على ابن منده اي ومن وافقه كالزين العراقي
في عده له من الصحابة اي كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الاظهر ان من
مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من اهل الفترة هذا كلام الحافظ
الذهبي والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا اظهارها ونزول قوله تعالى
فاصدع بما تومر بنا على تاخر الرسالة على النبوة وممن اسلم ابو بكر رضي الله
تعالى عنه دعي الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من وثق به من قومه

فاسلم

فاسلم بدعايته عثمان ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس اي ولما اسلم عثمان رضي
الله تعالى عنه اخذه عمه الحكم ابن ابي العاص بن امية والد مروان فاوثقه
كتافا وقال ترغب عن ملة ابائك الى دين محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع
ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ابدا ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته
في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وفي كلام ابن الجوزي ان المعذب
بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام هذا كلامه ولا مانع من تعدد
ذلك وجا لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان واسلم بدعا ابي بكر
ايضا الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم وعبد الرحمن
ابن عوف رضي الله تعالى عنه اي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة
وقيل عبد الحارث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف
لي صديقا فقال لي يوما ارغبت عن اسم سماكه ابواك فقلت نعم فقال لي انا لا اعرف
الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك انتهى وسبب اسلام عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله تعالى عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت
نزلت على عسكلان بن عواكف الحميري فكان يسالني هل ظهر فيكم رجل له نبا له
ذكر هل خالف احد منكم عليكم في دينكم فاقول لا حتى كان السنة التي بعث فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى اخر القصة وعن علي رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت امين في
اهل الارض امين في اهل السما وجا انه وصفه بالصادق الصالح البار واسلم
بدعاية ابي بكر رضي الله تعالى عنه ايضا سعد بن ابي وقاص اي فان ابا بكر لما دعاه
الى الاسلام لم يبعد واتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن امره فاخبره فاسلم
وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
وقد اقبل عليه سعد خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي انه عم امنة
بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت امه اسلامه وكان بارا بها فقالت
له الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت
والله لا اكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جا به محمد وتمس اسافا ونايلة

فكانوا يغتبطون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الاية وفي رواية
انها مكثت يوما وليلة لا تاكل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا تشرب
قال سعد فلما رايت ذلك قلت لها تعلمين والله يا اماه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا
نفسا ما تركت ديني هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت او لا تاكلي فلما رات ذلك اكلت
وفي الانساب للبلاذري عن سعد قال اخبرت امي اني كنت اصلي العصر الى الركعتين
اللتين كانوا يصلونها بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح الا اعوان يعينوني عليه
من عشيرتي او عشيرته فاحبسه في بيت واطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث
فرجعت من حيث جئت وقلت لا اعود اليك ولا اقرب منزلك فهجرتها حينا ثم ارسلت الي
ان عد الي منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر
ومرة تلقاني بالشر وتعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما
اسلم عامر لقي منها ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما
والناس مجتمعون على امي وعلى اخي عامر فقلت ما شان الناس فقالوا هذه امك قد اخذت
اخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا لا يظلها نخل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع
صباته فقلت والله يا امه لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك
من النار وروي انه صلى الله عليه وسلم امر سعد ابن ابي وقاص ان ياتي الحارث بن كلدة طبيب العرب
ليستوصفه في مرض نزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعود عبد الرحمن بن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحارث فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن لاني لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك اخرون ثم قال
للحارث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لارجو شفاءه
فيما ينفعه في رحله هل معك من هذه التمرة العجوة شي قال نعم فخلط ذلك التمر بحلبة
ثم اوسعها سمنا ثم احساه اياها فكانما انشط من عقال وهذا استدل به على اسلام
الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وانكر بعضهم
اسلامه وجعله دليلا على جواز استشارة اهل الكفر في الطب اذا كانوا من اهله وممن اسلم
بدعاية ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ايضا طلحة بن عبيد الله التيمي فجاء الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فاسلم اي ولما تظاهر ابو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام
اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك
سمي ابو بكر وطلحة بالقرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية اقول سبب اسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه
ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا
الموسم هل فيهم من اهل الحرم احد فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد قال ابن
عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره
الى ارض ذات نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت
سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو
الى الله وقد تبعه ابن ابي قحافة فخرجت حتى دخلت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فاخبرته
بما قال الراهب فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وسر بذلك
واسلم طلحة وطلحة احد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل اخر في اسمه واسم ابيه
ونسبته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله الاية لانه قال لئن مات محمد رسول الله لاتزوجن عائشة وفي لفظ يتزوج
محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الاية قال
الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة في صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة اجل
مقاما من ان يصدر عنه ذلك حتى رايت انه رجل اخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه هذا
كلامه والحاصل ان ابا بكر اسلم على يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم عثمان وطلحة
ابن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن
ابن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو ابو عبيدة بن الجراح وكان كل من ابي بكر وعثمان
ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابي وقاص
يصنع النبل والله اعلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر
في الاصل جماعة من السابقين للاسلام منهم عبد الله بن مسعود وان سبب اسلامه ما حدث
به قال كنت في غنم لعقبة بن ابي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر ابن ابي قحافة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة

لم ينز عليها الفحل قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لا ضرع لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم
مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملو لبنا كذا في الاصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص
التي ذهب لبنها وحينئذ يكون قول الاصل لا ضرع لها اي لا لبن لها ويدل لذلك
قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين فمسح ضرعها وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع
اي محل اللبن فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم
فسقا ابا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان اي لا وجود له
على ظاهر ما في الاصل او لا لبن فيه على ما في النهاية كالصحاح والي ذلك اشار الامام
السبكي في تائيته بقوله

وربّ عناق ما نزي الفحل فوقها ۞ مسحت عليها باليمين فدرت

قال ابن مسعود فلما رايت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله
علمني فمسح براسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم اقول كان قبل قول ابن مسعود
ولكني موتمن وعد وله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الي غيرها يخالف ما سياتي في
حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك اللبن لابن السبيل
اذا احتاج الي ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك واذا كان ذلك امرا متعارفا مشهورا
ببعد خفاه قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز ان يكون النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله تعالى عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان تكون تلك
الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد قاصدها
مسافرا ولعله لا ينافي ذلك ما سياتي ان من خصايصه انه صلى الله عليه وسلم ابيح له
اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج صلى الله عليه وسلم اليهما وانه
يجب على مالكهما بذل ذلك له وكان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه يعرف بامه
وهي ام عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضي الله
تعالى عنهم من دقة رجليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل
من احد وقال صلى الله عليه وسلم في حقه لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال في حقه
صلى الله عليه وسلم رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد
وقوله لرجل عبد الله في الميزان يدل للقول بان الموزون الانسان نفسه لا عمله

وكان

وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله
عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام
ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين
الصحابة رضي الله تعالى عنهم بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم اقف على انه اسلم حين احتلبت الشاة لكن قول العلامة ابن حجر
الهيتمي في شرح الاربعين اسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الي اخره
يدل على انه اسلم حينئذ والله اعلم ومما يوثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور فهو
ربح وذكر في الاصل ان من السابقين ابا ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه واسمه جندب
ابن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث وجهني ربي فبلغنا ان رجلا خرج بمكة
يزعم انه نبي فقلت لاخي انيس انطلق الي هذا الرجل فكلمه واتني بخبره فلما جاء انيس
قلت له ما عندك فقال والله رايته يامر بخير وينهى عن الشر وفي رواية رايتك على دينه
يزعم ان الله ارسله ورايته يامر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى اذهب فانظر
قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فحملت جرابا وعصا ثم اقبلت حتى اتيت مكة فجعلت لا اعرفه
واكره ان اسال عنه فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم
فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ما وجدت على بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك
قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت احد واذا برسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جاءا فطافا بالبيت ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فرايت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار
بكسر المعجمة قال متى كنت قلت كنت من ثلاثين ليلة ويوم هاهنا قال فمن كان يطعمك
قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على بطني
سخفة جوع قال مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم وجاء ماء زمزم لما شرب له
ان شربته لتستشفي شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته ليقطع ظماك قطعه

الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته ليقطع ظماك قطعه الله وهي همزة
جبريل وسقيا الله اسماعيل وجا التضلع من ماء زمزم براة من النفاق وجا آية
ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وذكر ان ابا ذر اول
من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك التي هي تحية الاسلام فهو اول من حيى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع صلى الله عليه وسلم على ان لا باخذه في الله
لومة لايم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اظلت
الخضرا اي السما ولا اقلت الغبرا اي الارض اصدق من ابي ذر وقال صلى الله عليه
وسلم في حقه ابو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم وفي الحديث ابو ذر ازهد
امتي واصدقها وقد هاجر ابو ذر الى الشام بعد وفاة ابي بكر واستمر بها الى ولي
عثمان رضي الله تعالى عنه فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية رضي الله تعالى عنه
منه واسكنه الربذة فكان بها حتى مات فان ابا ذر صار يغلظ القول لمعاوية
ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لقيا ابي ذر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة علي رضي الله تعالى عنه وانه قال له ما اقدمك
هذه البلد فقال له ابو ذر ان كتمت علي اخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا
وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل قال ابو ذر فاخبرته فارشدني فاوصلني الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وفي الامتاع ان عليا استضافه ابو ذر ثلاثة
ايام لا يسأله عن شي وهو لا يخبره ثم في الثالثة قال له ما امرك وما اقدمك هذه
البلدة قال له ان كتمت اخبرتك قال فاني افعل قال له بلغنا انه قد خرج ها هنا
رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال
اما انك قد رشدت هذا وجهي اي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فاذا رايت
احدا اخافه عليك قمت الى الحائط كاني اصلح اصلي وفي لفظ كاني اريق الما فامض انت
قال ابو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث وما تقدم من قوله صلى الله
عليه وسلم من كان يطعمك وجواب ابي ذر له صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لي طعام الا
ماء زمزم يبعد ان يكون علي رضي الله تعالى عنه اضاف ابا ذر ولم ياكل عنده ولذا يبعد

ماجا

ماجا ان ابا بكر قال يا رسول الله ايذن لي في اطعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر فانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطايف فكان
ذلك اول طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب ويمكن التوفيق بين الروايتين
اي رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم ورواية اجتماعه به في الطريق فاسلم
بان يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع علي ثم لقيه في الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه
الثاني الثبات عليه بتكرر براءته دينه وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوما
عدم خلو المطاف كما يشعر لذلك قوله في ليلة لم يطف بالبيت احد الى اخره والا فيبعد
ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف مدة ثلاثين يوما ويبعد هذا الجمع قوله
صلى الله عليه وسلم له من الرجل الى اخره ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر اكتم هذا الامر وارجع
الى قومك فاخبرهم فاتوني فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن
بهذا بين ظهرانيهم قال وكنت في الاسلام خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب
فلا ينافي ما ياتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلا صوت
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت
لاموت وفي لفظ فمال علي اهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي فاكب علي العباس
ثم قال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاراتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم
فغسلت عني الدما فلما اصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع وادركني العباس
وكان منه كالامس فخرجت واتيت انيسا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال
ما بي رغبة عن دينك فاني قد اسلمت وصدقت ثم اتينا امنا فقالت ما بي رغبة
عن دينكما فاني اسلمت وصدقت ثم اتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال نصفهم اذا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جا المدينة اسلم نصفهم الثاني اي لانه صلى الله عليه وسلم
قال لابي ذر اني قد وجهت الى ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك
عسى الله ان ينفعهم بك ويوجرك عليهم وجات اسلم المعروفة فقالوا يا رسول
الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله
لها واسلم سالمها الله اي وقد ذكر ان ابا ذر وقف يوما عند الكعبة اي في حجة حجها
او عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو ان احدكم اراد سفرا اليس يتخذ زادا فقالوا

بلي فقال سفر القيامة ابعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال صحوا
مخبة لعظايم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور

ومن اسلم خالد بن سعيد بن العاص قيل كان لمن اسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا
وهو اول من اسلم من اخوته ويمكن ان يكون ذلك محل قول ابنته ام خالد اول من
اسلم اي من اخوته وسبب اسلامه انه راي في النوم النار وراي من فظاعتها
واهوالها امرا مهولا وراي انه علي شفيرها وان اباه يريد ان يلقيه فيها وراي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم
انها تدمن النار تكون علي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتا ابا بكر فذكر له ذلك
فقال له اريد بك خيرا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال
يا محمد ما تدعو قال ادعوا الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع
ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وذ كروا عن ام خالد
بنت خالد ابن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نايما قبل مبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كانه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه
فبينا هو كذلك اذ خرج نور اي من زمزم ثم علا في السما فاضا في البيت ثم اضاء
مكة كلها ثم تحول الي يثرب فاضاءها حتى اني لانظر الي البسر في النخل فاستيقظت
فقصصتها علي اخي عمرو بن سعيد وكان جزل الراي فقال يا اخي ان هذا الامر يكون
في بني عبد المطلب الا تري انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي بعد مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وانا رسول الله
وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم ابوه وهو سعيد ابو احيحة وكان من عظما
قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له ومن ثم قال فيه القايل
ابا احيحة من يعتم عمته يضرب وان كان ذا مال وذا عدد
وعند اسلام ولده خالد ارسل في طلبه فانتهره وضربه اي بمقرعة كانت في يده
حتى كسرها علي راسه ثم قال اتبعت محمدا وانت تري خلافه لقومه وما جابه
من عيب الهتهم وعيبه من مضي من ابايهم فقال والله لقد تبعته علي ما جابه فغضب
ابوه وقال اذهب يا لكع حيث شيت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتني

فان الله يرزقني ما اعيش به فاخرجه وقال لبنيه لم يكلموا احد منكم الا صنعت به فانصرف خالد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه
ويتغيب عن ابيه في نواحي مكة حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ارض الحبشة
في الهجرة الثانية فكان خالد اول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال
ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد اله ابن ابي كبشة بمكة ابدا فقال خالد عند ذلك
اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هو اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم
واسلم اخوه عمرو ابن سعيد بن العاص قبل وسبب اسلامه انه راي نورا
خرج من زمزم اضاءت له منه نخل المدينة حتى راي البسر فيها فقص رؤياه فقيل له
هذه بير بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا
ان هذه الرؤيا وقعت لخالد وكانت سببا لاسلامه وانه قصها علي اخيه عمرو المذكور
فهو خلط من بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه
عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما واسلم من بني سعيد ايضا ابان والحكم الذي سماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اي وكان الثاني يعني للاسلام صهيب رضي الله
تعالي عنه كان ابوه عاملا لكسري اغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام
صغير فنشا في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاوا به الي سوق
عكاظ فابتاعه منهم بعض اهل مكة لي وهو عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب علي دار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراي عمار بن ياسر فقال له عمار بن ياسر اين تريد يا صهيب قال اريد ان ادخل
الي محمد صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وما يدعوا اليه قال عمار وانا اريد
ذلك فدخلا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض
عليهما الاسلام وتلا عليهما القران فشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى امسيا
خرجا مستخفيين فدخل عمار علي امه وابيه فسالاه اين كان فاخبرهما باسلامه
وعرض عليهما الاسلام وقرا عليهما ما حفظ من القران في يومه ذلك
فاعجبهما فاسلما علي يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب
المطيب وكان اسلام صهيب وعمار بعد بضع وثلاثين رجلا واسلم

ايضا حصين والد عمران بن حصين بعد اسلام ولده عمران وسبب اسلامه ان قريشا
جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر الهتنا ويسبها
فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما راه
النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وعمران ولده في الصحابة فقال حصين
ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم الهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد
من اله قال سبعة في الارض وواحد في السما قال اذا اصابك الضر من تدعو قال
الذي في السما قال فاذا هلك المال من تدعو قال الذي في السما قال فيستجيب لك وحده
وتشركهم معه ارضيته في الشكر يا حصين اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل
راسه ويديه ورجليه فبكى صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنيع عمران دخل حصين وهو
كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة
فلما اراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله
فلما خرج من سدة الباب اي عتبته راته قريش فقالوا صبا وتفرقوا عنه

باب رابع وعشرون في استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه

في دار الارقم بن ابي الارقم رضي الله تعالى عنهما ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
جهرة وكلام قريش لابي طالب في ان يخلي بينهم وبينه وما لقي هو واصحابه من الاذى
واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه عن ابن اسحاق ان مدة ما اخفى صلى الله عليه وسلم
امره الى المدة التي صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث
سنين اي فكان من اسلم اذا اراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته
من المشركين اي كما تقدم فبينما سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه في نفر
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم
نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم
فضرب سعد بن ابي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو اول دم اهريق
في الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم واصحابه مستخفين في دار الارقم اي بعد
هذه الوقعة فان جماعة اسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ودار
الارقم الان هي المعروفة بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور
واعطاها ولده المهدي ثم اعطاها المهدي الخيزران ام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد

ولا يعرف

ولا يعرف امراة ولدت خليفتين الا هذه وولادة جارية عبد الملك بن مروان فانها
ام الوليد وسليمان ه وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن ابيه عن جده عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شيء
فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى فيها الى ان
امره الله تعالى بالاظهار والدين اي وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم استمر
مستخفيا هو واصحابه في دار الارقم الى ان اظهر الدعوة واعلن صلى الله عليه وسلم
في السنة الرابعة اي وقيل مدة استخفائه اربع سنين واعلن في الخامسة وقيل
اقاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وقد يقال الاقامة شهرا المخصوصة
بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم كان في الرابعة او الخامسة
بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وبقوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي اظهر بما تؤمر به من الشرائع
وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين
وهم بنو هاشم وبنو المطلب اي وبنو عبد شمس وبنو نوفل اولاد عبد مناف بدليل
ما ياتي قال بعضهم اية فاصدع بما تؤمر اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها
واحكامها وحلالها وحرامها قال بعضهم انما امر بالصدع لغلبة الرحمة عليه
صلى الله عليه وسلم قال ذكر بعضهم انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اي عجز
عن احتماله ه فمكث صلى الله عليه وسلم شهرا او نحوه جالسا في بيته حتى ظن عماته انه
شاك اي مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيئا لكن الله امرني بقوله
وانذر عشيرتك الاقربين فاريد ان اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى
قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنين عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى
ما تدعوه اليه وخرجن من عنده اي وكني عبد العزى بابي لهب لجمال وجهه ونضارة
لونه كان وجهه ووجنتيه كلهب النار اي خلافا لما زعمه بعضهم ان ولده عتيبة
الاسد او ولد اخر غيره كان اسمه لهب قال في الاتقان ليس في القران من الكنى غير ابي لهب
ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اي الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه ورده ان الحرام

وضع ذلك لا استعماله وفي كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الان يشتهر
بذلك كما في الاوصاف المنقصة كالاعمش وفي كلام القاضي وانما كناه والكنية تكرمة
اي بالعدول عن الاسم اليها لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزي الذي هو الصنم
فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله في الاخرة
فهي كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا ينافي قولهم ولا يكني كافر ولا فاسق ولا مبتدع
الا لخوف فتنة او تعريف لان ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر
بها صاحبها قال فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد المطلب فحضروا
وكان فيهم ابو لهب فلما اخبرهم بما انزل الله عليه اسمعه ما يكره فقال تبا لك
الهذا جمعتنا اي واخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رايت احدا قط جا بني ابيه
وقومه باشر ما جيتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس وفي
الامتاع ان ابا لهب ظن انه صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى ما يحبون
فقال له هولا عمومتك وبنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس
لقومك بالعرب طاقة وان احق من اخذك وحبسك اسرتك وبنو ابيك انا قمت على
امرك فهو ايسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رايت يا ابن
اخي احدا قط جا بني ابيه وقومه بشر ما جيتهم به وعند ذلك انزل الله تعالى تبت اي
خسرت وهلكت يدا ابي لهب وتب اي خسر وهلك بجملته اي والمراد بالاول جملته عبر عنها
باليدين مجازا والمراد به الدعا وبالثاني الخبر على حد قولهم اهلكه الله وقد هلك اي ولما
قال ابو لهب عند نزول تبت يدا ابي لهب وتب ان كان ما يقول له محمد حقا افتديت
منه بمالي وولدي نزل ما اغني عنه ماله وما كسب اي واولاده لان الولد من كسب ابيه
اي وفي رواية وهو في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال
يا بني كعب ابن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني مرة ابن كعب انقذوا انفسكم
من النار اي وفيه انه انما امر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال يا بني هاشم انقذوا
انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا
انفسكم من النار يا بني زهرة انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا
انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار

فاني لا املك لكم من الله شيا وفي لفظ فاني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الاخرة
نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله اي لا تتكلوا على كونكم اقاربي فانكم مني فهو
حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي اصلها بالدعا
اي والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الما واللبن وبل رحمه اذا وصلها وبلوا
ارحامكم ندوها بالصلة وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها وقد ذكر
ائمتنا ضابط الصلة وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها اصغرهن
وقيل اصغر بناته رقية وتخصيصه صلى الله عليه وسلم صفية من بين عماته حكمة لا تخفى ومن
الغريب ما في الكشاف من زيادة يا عايشة بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر وعندي
ان ذكره عايشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط بعض الرواة وان هذا ذكره صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم الا ان تقولوا لا اله الا الله مع انه تقدم ان بناته صلى الله عليه وسلم لم يكن كفارا
فليتامل ثم مكث صلى الله عليه وسلم اياما ونزل عليه جبريل وامره بامضا امر الله تعالى فجمعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرايد لا يكذب اهله والله لو كذبت
الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني
لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما
تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها
لجنة ابدا او لنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما اعلم شابا جا قومه بافضل مما جيتكم به
اني قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير ابي لهب فانه قال يا بني
عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل ان ياخذ على يديه غيركم فان
اسلمتموه حينيذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم رضي الله تعالى عنها اي اخي ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله ما زال
العلما يخبرون انه يخرج من ضيضي اي اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال هذا والله الباطل
والاماني وكلام النسا في الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم
فوالله ما نحن عندهم الا اكلة راس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم
جميع قريش وهو قايم على الصفا وقال اذا اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح بالنون والحا المهملة

اي اصلد في لفظ سفح بالفا والحا المهملة هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني
قالوا ما جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم
من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد وفي لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل
راي العدو فانطلق يربا اهله فخشي ان يسبقوه الي اهله فجعل يهتف يا صباحاه
يا صباحاه يا صباحاه اتيتم اتيتم ومن امثاله صلي الله عليه وسلم انا النذير العريان الذي
ظهر صدقه من قولهم عري الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار اي ظاهر وقيل الذي جرده
العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالي عنهما انه حفظ
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم الف مثل واختلف الروايات في محل وقوفه صلي الله عليه وسلم
ففي رواية وقف علي الصفا كما تقدم وفي رواية وقف علي اضمة من جبل فعلي اعلاها
حجرا يهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل
اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث وفي رواية صاح علي ابي قبيس يا ال عبد مناف
اني نذير وروي انه لما نزل قوله تعالي وانذر عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب
في دار ابي طالب وهم اربعون وفي الامتاع خمسة واربعون رجلا وامراتان فصنع لهم
طعاما اي رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا بسم الله
فاكلوا حتي شبعوا وشربوا حتي نهلوا وفي رواية حتي رووا وفي رواية ادنوا عشرة عشرة
فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل
منهم ياكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب في مقعد واحد فقهرهم ذلك فلما
اراد رسول الله صلي الله عليه وسلم يتكلم بدره ابو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا
عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما رويناه بالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول
الله صلي الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام
والشراب قال علي ففعلت ثم جمعتهم له فاكلوا حتي شبعوا وشربوا حتي نهلوا ثم قال
لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الي الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك
الاقربين وانا ادعوكم الي كلمتين خفيفتين علي اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا اله
الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الي هذا الامر ويوازرني اي يعاونني علي القيام قال علي
رضي الله تعالي عنه انا يا رسول الله وانا احدثهم سنا وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية

يكن

يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه احد منهم فقام علي وقال انا
يا رسول الله قال اجلس ثم اعاد القول علي القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا
يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول علي القوم ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام علي
فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فانت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي
قال الامام ابو العباس بن تيمية اي في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له
ادني معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه اي الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي
باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع علي تركه وقال احمد انه ليس بثقة عامة
احاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث وفي رواية عن علي ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم امر خديجة رضي الله تعالي عنها فصنعت له طعاما ثم قال لي
ادع لي بني عبد المطلب فدعوت اربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل
ذلك ويجوز ان يكون علي فعل ذلك عند خديجة وجاء به الي بيت ابي طالب ولعل جمعهم
هذا كان متاخرا عن جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل ذلك صلي
الله عليه وسلم حرصا علي اسلام اهل بيته فلما دعي قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه اي
وفي رواية صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون
اليه ان غلام بني عبد المطلب يتكلم من السما وكان ذلك دابهم حتي عاب الهتهم اي وسفه
عقولهم وضلل اباءهم اي حتي مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال
يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم فقالوا انا نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا
الي الله فانزل الله تعالي عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتناكروه صلي
الله عليه وسلم واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم وجاءوا الي ابي طالب وقالوا
يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اي عقولنا
ونسبنا الي قلة العقل وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه
فانك علي مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا
فانصرفوا عنه ومضي رسول الله صلي الله عليه وسلم يظهر دين الله عز وجل ويدعو اليه
لا يرده عن ذلك شي والي ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الي الله وفي الكفر شدة واباء

امما اشربت قلوبهم الكفر ❊ فدا الضلال فيهم عياء ❊

ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعوهم جماعاتهم الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله حسبما امر
ان جبريل نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة وقال يا محمد
ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول
لا اله الا الله فدعاهم والحال ان في اهل الكفر قوة تامة وامتناعا عن اتباعه اختلط
الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار
داء الضلال له اي داء هو الضلال فيهم عضال تعيي الاطبا مداواته
وحصول شفائه ثم سري الامر بالشين المعجمة وكسر الراء وفتح المثناة تحت
كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا
اي امروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما
وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض اي حث بعضهم بعضا عليه اي على حربه
صلى الله عليه وسلم وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى فقالوا
يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان اخيك
فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه احلامنا
اي عقولنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك
احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوته ولم يطب
نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي ان قومك قد جاؤني
فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال
له يا عمي والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر
حتى يظهره الله تعالى او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال
اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك وانشد ابياتا منها

❊ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❊ حتى اوسد في التراب دفينا ❊

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار

لا يخفى

لا يخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير الممحق واليسار اليق به وخص
النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به صلى الله عليه وسلم نور قال تعالى يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن غريب التعبير ان رجلا
كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فقال لسيدنا عمر اني رايت في المنام كان
الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع ايهما كنت قال
مع القمر قال كنت مع الاية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا فاتفق ان هذا الرجل كان
مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان ابا طالب قد ابى خذلان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب
هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة انهد اي اشد واقوى فتى في قريش واجمله فخذه لك ولدا
اي بان تتبناه واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين ابائك وفرق جماعة
قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس
ما تسومونني اتعطونني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا
اي وقال ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها قال المطعم ابن عدي والله يا ابا طالب لقد
انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيا فقال
له ابو طالب والله ما انصفوني ولكن قد اجمعت اي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم اي
معاونتهم علي فاصنع ما بدا اي وقد مات عمارة ابن الوليد هذا على كفره بارض الحبشة
بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سياتي ومات المطعم بن عدي المذكور
على كفره ايضا فعند عدم قبول ابي طالب ما ارادوه اشتد الامر ولما راى ابو طالب من قريش
ما راى دعى بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكل من امن به ونوالي الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
من اسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى بالفعل
ما حدث به عمه العباس رضي الله تعالى عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل ابو جهل فقال لله علي
ان رايت محمدا ساجدا ان اطا عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول
ابي جهل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم

من الحايط وقرا اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شان ابي جهل كلا
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى ان بلغ اخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل
يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل
الا ترون ما ارى لقد سد افق السما علي وفي رواية رايت بيني وبينه خندقا من نار
وسياتي ان قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى اخر سورة نزلت في ابي جهل
ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر ان ابا جهل ابن هاشم قال يوما لقريش
يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم الهتكم وتسفيه
احلامكم وسب اباءكم اني اعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر
لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني
قالوا والله لا نسلمك لشي ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف
ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما كان يغدوا الى الصلاة اي وكانت قبلته الى الشام الى صخرة بيت المقدس فكان يصلي
بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش
جلوس في انديتهم وهم ينظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنى منه رجع منهزما منتقعا
لونه اي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه
من يده اي بعد ان عالجوا فكه من يده كما سياتي وقامت اليه رجال من قريش
وقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه
عرض لي فحل من الابل ما رايت مثله قط هم بي ان ياكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنى لاخذه والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وابو جهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء

اي وابو جهل الذي هو اشد الاعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ادهم ان
يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل وقد بدرت اليه كانه الداهية
العظيمة اي فرجع عن ذلك الذي بذلك الحجر اي في رواية ان ابا جهل قال رايت بيني وبينه
لخندقا من نار ولا مانع ان يكون وجد الامرين معا وذكر في سبب نزول قوله تعالى

انا جعلنا

انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون اي انا جعلنا ايديهم
متصلة باعناقهم واصلة الى اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤسهم لا يستطيعون
خفضها من اقمح البعير راسه وجعلنا من بين ايديهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون ان الاية الاولى نزلت في ابي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم
لم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والاية الثانية نزلت في اخر لما راى ما وقع
لابي جهل قال انا القي هذا الحجر عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره
فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم ابن ابي العاص ابي مروان
ابن الحكم ان ابنته قالت له ما رايت قوما كانوا اسوا رايا واعجز في امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا احدثك الا ما رايت لقد اجتمعنا
ليلة على اغتياله فلما رايناه يصلي ليلا جينا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي
بتهامة جبل الا تفتت علينا اي ظننا انه يتفتت وانه يقع علينا فما عقلنا حتى قضى
صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جا نهضنا اليه فرايت الصفا والمروة
التصقتا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه وتامل هذا فان صلاته انما تكون
عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء
ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
الى اخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زجره ابو جهل
اي انتهره وقال انك لتعلم ما بها ناد اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع
الزبانية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اي
وقال يوما ولقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني امنع
اهل البطحا وانا العزيز الكريم فانزل الله فيه ذق انك انت العزيز الكريم كذا قاله
الواحدي اي تقول له الزبانية عند العذاب في النار ما ذكر توبيخا له ومن ذلك
ما حدث به بعضهم قال لما انزل الله تعالى سورة تبت يدا ابي لهب جاءت امراة
ابي لهب وهي ام جميل واسمها العورا وقيل اسمها اروى بنت حرب اخت ابي سفيان
ابن حرب ولها ولولة وفي يدها فهر اي بكسر الفا وسكون الها حجر يملا الكف فيه طول

تدق به في الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فلما راها
قال يا رسول الله انها امراة بذية اي تاتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال
انها لم تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر صاحبك هجاني اي وفي لفظ ما شان صاحبك
ينشد في الشعر قال لا وما يقول الشعر اي ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت
ما هجاك والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر اي لا يحسن انشاءه قالت
انت عندي لمصدق وانصرفت اي وهي تقول لقد علمت قريش اني بنت سيدها
اي تعني عبد مناف جد ابيها ومن كان عبد مناف اباه لا ينبغي لاحد ان يجاسر
على ذمه قلت يا رسول الله لم لم تراك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه
اي فقد جاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترى عندي
احدا فسالها ابو بكر فقالت اتهزا بي والله ما ارى عندك احدا اقول في
الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه ابو بكر وعمر رضي الله
تعالى عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله على بصرها
فلم تره ورايت ابا بكر وعمر فاقبلت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقالت اين صاحبك
قال وما تصنعين قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فمه فقال عمر رضي الله تعالى عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني
لا اكلمك يا ابن الخطاب اي لما تعلمه من شدته ثم اقبلت على ابي بكر لما تعلمه
من لينه وتواضعه فقالت والثواقب اي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة
اي وكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انها لم تراك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اي لانه قرا
قرانا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا وفي رواية اقبلت ومعها فهران وهي تقول
مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فقالت اين الذي هجاني وهجا
زوجي والله لئن رايته لاضربن انثييه بهذين الفهرين قال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه فقلت لها يا ام جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك
قالت والله ما انت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت

يا رسول

يا رسول الله انها لم تراك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل
ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين ما ذكر وكذا ما ياتي وكما يقال في المحمد يقال
في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمد لا يقال الا
لمن حمد مرة بعد اخرى كما تقدم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف
يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد
وفي الدر المنثور اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد
علام تهجوني قال والله اني ما هجوتك ما هجاك الا الله فقالت رايتني احمل حطبا او
رايت في جيدي حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة
عن النميمة يقال فلان يحطب على فلان اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري
زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث لتحثهم بها
على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار
سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله اعلم والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

واعدت حمالة الحطب الفهر ... وجاءت كانها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول افي مثلي ... من احمد يقال الهجاء
وتولت وما راته ومن اين ... ترى الشمس مقلة عمياء

اي وهيات حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب اي تجمع الحطب
وتحمله لبخلها ودناءة نفسها او كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه
صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف الثلاثة لكن استبعدها
يبعد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذي يملا الكف كما تقدم لتضرب به
النبي صلى الله عليه وسلم والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كانها في شدة سرعة
الحمامة الشديدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها
في سورة تبت يدا ابي لهب تقول في مثلي وانا بنت سيد بني مخزوم يقال الهجا
والسب حال كونه من احمد وتولت والحال انها ما راته صلى الله عليه وسلم وكيف ترى
الشمس عين عمياء اقول في ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابي لهب
جاءت الى اخيها ابي سفيان في بيته وهي مطرقة اي محرقة غضبا فقالت له ويحك

219

يا احمس اي يا شجاع اما تغضب اذ هجا ني محمد فقال سا كفيك اياه ثم اخذ سيفه وخرج
ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته قال لها يا اخته ايسرك ان راس اخيك في فم ثعبان
قالت لا والله قال فقد كان ذلك يكون الساعة اي فانه راي ثعبانا لو قرب منه
صلى الله عليه وسلم لالتقم راسه ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب
لابنه عتبة اي بالتكبير رضي الله تعالى عنه فانه اسلم يوم الفتح كما سياتي راسي من راسك
حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله تعالى عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل
بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما اسلم فليتامل وكان اخوه عتيبة بالتصغير
متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها فقال اي وقد اراد الذهاب الى الشام
لاتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اي وفي لفظ برب
النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا
فوجم لها ابو طالب وكان ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة ورجع
الى ابيه ابي لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف
عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم
سني وحقي فقالوا اجل يا ابا لهب فقال اعينوني يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني دعوة محمد فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا
حوله ففعلوا اي جمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجا الاسد يتشمم
وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فضم راسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب
وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت اياها
فقال وهو باخر رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه
قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد اقول وحلفه بالنجم الي اخره يدل على
ان ذلك كان بعد الاسرا والمعراج ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق رضي الله تعالى عنه
قيل له هذا فلان ينشد الناس هجا كم يعني اهل البيت بالكوفة فقال
لذلك القايل هل علقت من قولك شيئا قال نعم قال فانشده
صلبنا لكم زيدا على راس نخلة ولم ار مهديا على الجذع يصلب

وقتهم

ونسختم وقستم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير من علي واطيب
فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من كلابك فخرج
ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا بال رفع
رجله ومن ثم قيل ان كلب اهل الكهف كان اسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند الباب
طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة ووصف ببسط الذراعين لان ذلك من
صفة الكلب الذي هو الحيوان وقد جا انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب اهل الكهف
وحمار العزير وناقة صالح والله اعلم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذى
ما حدث به عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد وهو يصلي وقد نحر جزور وبقي فرثه اي روثه في كرشه فقال ابو جهل الا رجل
يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد اي وفي رواية قال قايل الا تنظرون الى هذا المرائي
ايكم يقوم الى جزور ابي فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجي به ثم يمهله حتى اذا سجد
وضعه بين كتفيه وفي رواية ايكم ياخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين
او ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ اشقى القوم
وهو عقبة بن ابي معيط وجا بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد اي
فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض اي من شدة الضحك قال بن مسعود فهبنا
اي خفنا ان نلقيه عنه وفي لفظ وانا قايم انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها اي بعد ان ذهب اليها انسان واخبرها
بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واستمراره في الصلاة عند فعلها بنا
لعدم علمه بنجاسة ما القي عليه ولما القته اقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم
فسمعته يقول وهو قايم يصلي اللهم اشدد وطاتك اي عقابك الشديد على مضر
سنين كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة
وعقبة ابن ابي معيط وامية ابن خلف زاد بعضهم وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
بالمثناة فوق بالقاف كما وقع في رواية في مسلم فقد اتفق العلما على انه غلط لانه لم
يكن ذلك الوقت موجودا او كان صغيرا جدا او عماره ابن الوليد اي وهو المتقدم ذكره
الذي ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه صلى الله عليه وسلم اقول والذي في المواهب فلما قضى رسول

الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام
الى اخر ما تقدم ذكره وفي الامتاع فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته
ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعى ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش
فلما سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابي جهل
ابن هشام الحديث وان ابن مسعود قال والله لقد رايتهم وفي رواية رايت الذي سمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بان عمارة ابن الوليد
مات بالحبشة كما تقدم وبان عقبة بن ابي معيط لم يقتل ببدر وانما اخذ اسيرا
منها وقتل بعرق الظبية كما سياتي وبان امية ابن خلف لم يطرح بالقليب واجيب
بان قول ابن مسعود رايتهم اي رايت اكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم
اتى بهذا الدعاء وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله اعلم والمراد
بسني يوسف بتخفيف الياء ويروى بسنين باثبات النون مع الاضافة القحط والجدب
اي فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز
وهو الوبر والدم اي يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى
ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان
وقال يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر
فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون اي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا اي وفيه ان هذا انما كان
بعد الهجرة فسياتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع راسه من ركوع الركعة الثانية
من صلاة الصبح بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من صلاة العشاء
وسياتي ما فيه وقد يقال لا مانع ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة مرة اخرى
سياتي الكلام عليها ثم رايت في الخصائص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال قال البيهقي
قد روي في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين اي وسياتي

في السرايا ان ثمامة لما منع عن قريش الميرة ان تاتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا
في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله
عليه وسلم دعى عليهم بسنين كسني يوسف فقحطت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية
فيه ايضا لما ابطؤوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع كسبع
يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شيء الحديث وفي رواية اللهم اعني عليهم بسبع كسبع
يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه
وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين
يغشى الناس هذا عذاب اليم فاتى ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول
الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى فسقوا فلما اصابتهم الرفاهية عادوا
الى حالهم فانزل الله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن
ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطوف بالبيت ويده في يد ابي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن ابي معيط وابو جهل
ابن هشام وامية ابن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم اسمعوه بعض ما يكره
فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه حتى وسطته اي جعلته وسطا فكان
بيني وبين ابي بكر وادخل اصابعه في اصابعي وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال ابو جهل
والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وانت تنهى ان نعبد ما كان يعبد اباونا فقال صلى
الله عليه وسلم انا ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان
الشوط الرابع ناهضوه اي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل يريد ان ياخذ بمجامع
ثوبه فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عقبة ابن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال
اما والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه اي ينزل عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم رجل
الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيس القوم انتم لنبيكم
ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم اقبل علينا بوجهه فقال ابشروا
فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولاء الذين ترون مما يذبح الله
على ايديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر اقول ولا يخالف

ذلك كون عقبة بن ابي معيط حمل اسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم راجعون من بدر
ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله اعلم وفي رواية ان عقبة بن ابي معيط وطي على رقبته
صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان اي وفي رواية دخل عقبة ابن ابي
معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا
شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه حتى اخذ بمنكبيه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم اي وفي البخاري عن
عروة ابن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما اخبرني باشد
ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى
ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاخذ بمنكبيه
ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ولعل اشدية ذلك باعتبار ما بلغ
عبد الله بن عمرو وما رواه عنه رضي الله تعالى عنه قال ما رايت قريشا اصابت
من عداوة احد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد
اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا على امر
كصبرنا على امر هذا الرجل قط ولقد سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر غمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك
في وجهه ثم مر بهم الثانية فغمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه
فوقف عليهم وقال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح
فارتعبوا الكلمة تلك وما بقي رجل منهم الا كانما على راسه طائر واقع فصاروا يقولون
يا ابا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا
معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا اتاكم بما تكرهون
تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة
رجل واحد واحاطوا به وهم يقولون انت الذي تقول كذا وكذا يعني عيب الهتهم ودينهم
فقال نعم انا الذي اقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه عليه الصلاة والسلام فقام ابو بكر

رضي الله

رضي الله تعالى عنه دونه وهو يبكي ويقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فاطلقه
الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا عنه فذلك اشد ما رايتهم نالوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية الست تقول في الهتنا كذا وكذا قال نعم بلى فتشبثوا به صلى الله
عليه وسلم باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج ابو بكر حتى دخل المسجد
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا
على ابي بكر يضربونه قالت ابنته اسماء فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو
يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وجاء انهم جبذوا راسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى
سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي
وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا ابا بكر فوالذي نفس محمد بيده اني بعثت
اليهم بالذبح ففرجوا عنه وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها قالت اجتمعت مشركو قريش
في الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة فسمعت فدخلت على ابي فذكرت
ذلك له اي قالت له وهي تبكي تركت الملا من قريش قد تعاقدوا في الحجر حلفوا باللات
والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم راوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم
فيقتلونك فقال يا بنية اسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج اي بعد ان توضا فدخل
عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم قال
شاهت الوجوه فما اصاب رجلا منهم الا قتل ببدر اي وكان بجواره صلى الله عليه وسلم
جماعة منهم ابو لهب والحكم ابن ابي العاص ابن امية والد مروان وعقبة بن ابي معيط
فكانوا يطرحون عليه الاذى فاذا طرحوه عليه اخذه وخرج به ووقف على بابه ويقول
يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان في
اسلامه شيء وتقدم انه نفاه الى وج الطائف وانه سياتي السبب في نفيه واشار
صاحب الهمزية الى ان هذه الاذية له صلى الله عليه وسلم لا يظن انها منقصة له
صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة ودليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته
عند ربه لكثرة صبره وحلمه واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى
وقد قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين
عليهم الصلاة والسلام بقوله

لا تحل جانب النبي مضاما ❊ حين مسته منهم الاسواء

كل امر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النار ❊ لما اختير للنضار الصلاء

لا تظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حالة كونها صادرة منهم لان كل امر من الامور العظيمة اصاب النبيين فالشدة التي تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع الدرجات والمشقة التي تحصل لهم ايضا محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار والانبيا عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدايد التي تصيبهم كالنار يعرض عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدايد لا تزيد الانبيا الا رفعة قال ومما وقع لابي بكر رضي الله تعالى عنه من الاذية ما ذكره بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله عز وجل ومن معه من اصحابه فيها سرا اي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور اي الخروج الي المسجد فقال يا ابا بكر انا قليل فلم يزل به حتي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه فقام ابو بكر رضي الله تعالى عنه في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو اول خطيب دعا الى الله عز وجل وثار المشركون على ابي بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ ابو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب ابا بكر بنعلين مخصوفتين اي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف انفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركون عن ابي بكر وحملوه في ثوبه الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون في موته اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات ابو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابي بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان اخر النهار تكلم فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت امه والله ما لي علم بصاحبك فقال اذهبي الى ام جميل بنت الخطاب اخت عمر ابن الخطاب اي فانها كانت اسلمت

كما تقدم

كما تقدم وهي تخفي اسلامها فاسئليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان ابا بكر يسالك عن محمد بن عبد الله فقالت لا اعرف محمدا ولا ابا بكر ثم قالت لها تريدين ان اخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى ان جاءت ابا بكر فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لارجوا ان ينتقم الله منهم فقال لها ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها اي لا تفشي سرك قالت سالم فقال اين هو قالت في دار الارقم فقال والله لا اذوق طعاما ولا اشرب شرابا او اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت امه فامهلناه حتى اذا هدات الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكي علينا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة واكب عليه يقبله واكب عليه المسلمون كذلك فقال بابي وامي انت يا رسول الله ما بي من باس الا ما نال الناس من وجهي وهذه امي برة بولدها فعسى الله ان يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت انتهى هذا وذكر الزمخشري في كتابه الخصايص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لابي بكر رضي الله تعالى عنه لما اسلم واخبر قريشا باسلامه فليتامل فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لابن مسعود رضي الله تعالى عنه من الاذية ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القران جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رجل يسمعهم القران جهرا فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال ادعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت الضحى وقريش في انديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القران واستمر فيها فتاملته قريش وقالوا ما بال ابن ام عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرا غالب السورة ثم انصرف الى اصحابه وقد دميت قريش وجهه فقال له اصحابه هذا الذي خشينا عليك منهم فقال والله ما رايت اعداء الله اهون علي مثل اليوم ولو شئتم لاتينهم مثلها غدا قالوا لا قد اسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية

انه كان اذا قرا القران تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه حتى كان من اراد منهم سماع القران اتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وهو ما حدث به ابن اسحاق قال حدثني به رجل ممن اسلم ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا اي وقيل عند الحجون فاذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه اي وقيل انه صب التراب على راسه اي وقيل القا عليه فرثا ووطي برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف ابو جهل الى نادي قريش اي محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة ان اقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه اي من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى اهله الا بعد ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر اي فقالت له يا ابا عمارة لو رايت ما لقي ابن اخيك محمد انفا من ابي الحكم بن هشام تعني ابا جهل وجده ها هنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد اي وقيل التي اخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على راسه والقى عليه فرثا ووطي برجله على عاتقه وعلى القا الفرث عليه اقتصر ابو حيان في النهر فقال لها حمزة انت رايت الذي تقولين قالت نعم وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده اذا امراتان يمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع ابو جهل بابن اخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال وما ذاك قالت ابو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المولاتين والمولاتين فاحتمل حمزة رضي الله تعالى عنه الغضب ودخل المسجد فراى ابا جهل جالسا في القوم فاقبل نحوه حتى قام على راسه ورفع القوس فضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول ما يقوله فرد علي ذلك ان استطعت اي وفي لفظ ان حمزة لما قام على راس ابي جهل بالقوس صار ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقام رجال من بني مخزوم اي من عشيرة ابي جهل الى حمزة لينصروا ابا جهل فقالوا

ما نراك الا قد صبات فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه انا اشهد انه رسول الله وان الذي يقوله حق والله لا انزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم ابو جهل دعوا ابا عمارة اي ويكنى ايضا بابي يعلى اسم ولده ايضا فاني والله قد اسمعت ابن اخيه شيئا قبيحا وتم حمزة على اسلامه اي استمر اي بعد ان وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته انت سيد قريش اتتبع هذا الصابي وتترك دين ابائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي اني قد وقعت في امر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلي على ما لا ادري ارشد هو ام غي شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله عز وجل في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر يا ابن اخي دينك وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كبيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة اي اعظمهم في عزة النفس وشدة منها ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واقبلوا على بعض اصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اي لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت على من اسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك اي حتى ان الواحد منهم ما يقدر ان يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به وكان ابو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم له شرف ومنعة جا اليه ووبخه وقال له ليغلبن رايك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك وتهلكن مالك وان كان ضعيفا

اعرابه ٥ حتي ان منهم من فتن عن دينه ورجع الي الشرك كالحارث بن ربيعة
ابن الاسود وابي قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي ابن امية بن خلف والعاص ابن منبه
ابن حجاج وكل هولا قتلوا علي كفرهم يوم بدر وممن فتن عن دينه وثبت عليه
ولم يرجع للكفر بلال رضي الله تعالى عنه وكان مملوكا لامية بن خلف نعم بعضهم
ان بلالا كان يجعل في عنقه حبل يدفع الي الصبيان يلعبون به ويطوفون به في
شعاب مكة وهو يقول احد احد بالرفع والتنوين اي بغير تنوين اي الله احد
فهو اشارة لعدم الاشراك وقد اثر الحبل في عنقه وعن ابن اسحاق ان امية
ابن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه ليلة
ويوما فيطرحه علي ظهره في الرمضا اي الرمل اذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه
قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع علي صدره ثم يقول له لا تزال
هكذا حتي تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزي فيقول احد احد اي انا
لا اشرك بالله شيا انا كافر باللات والعزي اي وقيل وكان بلال مولد
من مولدي مكة وكان لعبد الله ابن جدعان التيمي وكان من جملة مائة مملوك
مولده له فلما بعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم امر بهم فاخرجوا من مكة
اي خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه فاسلم بلال
وكتم اسلامه فسلح بلال يوما علي الاصنام التي حول الكعبة ويقال انه
صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدكن فشعرت به قريش فشكوه
الي عبد الله وقالوا له اصبوت قال ومثلي يقال له هذا فقالوا له ان اسودك
صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب
بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم اي ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه
لامية بن خلف فلا يخالف ما تقدم من ان امية بن خلف كان يتولى تعذيبه
وما ياتي من ان ابا بكر اشتراه منه ويقال انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب
فقال سينجيك احد احد اي وقيل ومر عليه ورقة ابن نوفل وهو يقول احد احد
فقال نعم احد احد والله يا بلال ثم اتى الي امية وقال والله لئن قتلتموه
علي هذا لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من اهل

الجنة وتقدم ان هذا يدل علي ان ورقة ادرك البعثة التي هي الرسالة وتقدم
ما فيه فكان بلال رضي الله تعالى عنه يقول احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة
الايمان وقد وقع له انه لما احتضر سمع امراته تقول واحزناه صار يقول
واطرباه غدا القي الاحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة
اللقا وقد ذكر بعضهم ان هذا قاله ابو موسي الاشعري ومن معه لما وفدوا
عليه صلى الله عليه وسلم وهو في خيبر اي صاروا يقولون غدا نلقي الاحبة محمدا
وحزبه ومر به ابو بكر رضي الله تعالى عنه يوما وهو ملقى علي ظهره في الرمضا
وعلي صدره تلك الصخرة فقال لامية ابن خلف الا تتقي الله تعالى في هذا
المسكين حتي متي تعذبه قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر
عندي غلام اسود اجلد منه واقوى اي علي دينك اعطيكه به قال قبلت
قال هو لك فاعطاه ابو بكر غلامه ذلك واخذ بلالا فاعتقه وفي تفسير
البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية ابن خلف قال لابي بكر الصديق
في بلال حين قال اتبيعنيه قال نعم ابيعه بقسطاس يعني عبد لابي بكر رضي الله
تعالى عنه كان صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا
يابي الاسلام فاشتراه ابو بكر به هذا كلامه وفي الامتاع لما ساوم ابو بكر امية ابن
خلف في بلال قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد
ثم تضاحك وقال له اعطني عبدك قسطاس فقال ابو بكر ان فعلت تفعل قال
نعم قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتي تعطيني معه امراته قال ان فعلت
تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتي تعطيني ابنته معه
مع امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله
حتي تزيدني معه مائتي دينار فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انت رجل لا تستحي
من الكذب قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لا فعلن فقال هو لك فاخذه هذا
كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس اواق اي ذهبا اي وقيل ببرده وعشرة
اواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب ويروى ان سيده قال لابي بكر لو ابيت
الا اوقية اي لو قلت لا اشتريه الا باوقية لبعناكه فقال لو طلبت مائة اوقية لاخذته بها

ولما قال المشركون انما اعتق ابو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيكافئه بها
انزل الله تعالى والليل اذا يغشى السورة فالاتقى ابو بكر والاشقى امية ابن خلف
قال الامام فخر الدين رحمه الله اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر وذهبت
الشيعة الى ان المراد به علي رضي الله تعالى عنه ويرده وصف الاتقى بقوله تعالى وما لاحد
عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لان هذا الوصف لا يصدق على علي رضي
الله تعالى عنه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم اي كما تقدم فكان صلى الله عليه وسلم
منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها اي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف
ابي بكر فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية وهي نعمة لا يجازى
عليها قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فتعين حمل الاية على ابي بكر رضي الله تعالى عنه
فيلزم ذلك ان يكون ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبيا عليهم الصلاة
والسلام افضل الخلق لان الله تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو
الافضل وبين ذلك الفخر الرازي بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم
اما ابو بكر واما علي ولا يمكن حمل الاية على علي لما تقدم فتعين حملها على ابي بكر
وذكر بعض علما اهل المعاني المبينين لمعاني القران كالزجاج والفرا والاخفش الى ان
المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فاوقع افعل التفضيل موضع فعيل فهو عام في امية
ابن خلف وابي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي بخل واستغنى المراد به ابو سفيان
لانه كان عاتب ابا بكر في ابتياعه واعتاقه وقال له اضعت مالك والله لا تصيبه ابدا
وقيل المراد به امية ابن خلف ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر اشترى بلالا قال له
الشركة يا ابا بكر فقال قد اعتقته يا رسول الله اي لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه
ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله فاعتقه
هذا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال لو كان عندنا مال
اشترينا بلالا فانطلق العباس رضي الله تعالى عنه فاشتراه فبعث به الى ابي بكر اي سلمه
له فاعتقه فليتامل الجمع بين هذا وما تقدم وقد اشترى ابو بكر رضي الله تعالى عنه
جماعة اخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال وسهم عامر بن فهيرة فانه
كان يعذب في الله تعالى حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة ابي بكر رضي الله

تعالى

تعالى عنه ومنهم ابو فكيهة كان عبدا لصفوان ابن امية اسلم حين اسلم بلال فمر به ابو بكر
رضي الله تعالى عنه وقد اخذه امية بن صفوان واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى
الرمضا فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه واخو امية يقول له زده عذابا حتى ياتي محمد
فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر رضي الله تعالى عنه ومنهم امراة وهي زنيرة بزاي فنون
مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله
تعالى حتى عميت قال لها يوما ابو جهل ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا
والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا امر من السما وربي قادر على ان يرد علي بصري
فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها
ابو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقها اي وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية ام عبيس بالنون او
البا الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث
يعذبها ولم يصفها بانها بنت زنيرة فاشتراها ابو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقها
وكذا النهدية وابنتها كانت للوليد ابن المغيرة وكذا امراة يقال لها لبيبة وليدة
٢ اخت عامر ابن فهيرة او امه كانت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قبل ان يسلم فقد
جا ان ابا بكر مر على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وهو يعذب جارية اسلمت اسمر
يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم اتركك حتى مللت فقالت
له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفي السيرة الشامية
وصفها بانها جارية بني المؤمل بن حبيب وكان يقال لها لبينة نحله هو لا نسعه
وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب ابن الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية
فاشترته ام انمار اي وكان قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه ويأتيه فلما اسلم
واخبرت بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد احمتها بالنار فتضعها على راسه
فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته
راسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب ياخذ الحديدة قد
احماها فيكوي راسها وفي البخاري عن خباب قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة
فقلت يا رسول الله الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم

ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه
ويوضع المنشار على فرق راس احدهم فيشق بنصفين ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه
قال وعن خباب رضي الله تعالى عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رايتني يوما وقد
اوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما اطفاها الا ودك ظهري اي دهنه وممن فتن
عن دينه فثبت عمار ابن ياسر رضي الله تعالى عنه كان يعذب بالنار وفي كلام
ابن الجوزي كان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على راسه ويقول
يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره
فاذا هو قد برص اي صار اثر النار ابيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعايه
صلى الله عليه وسلم له بان النار تكون بردا وسلاما عليه وعن ام هاني رضي الله تعالى عنها
ان عمار ابن ياسر واباه ياسر واخاه عبد الله وسمية ام عمار رضي الله تعالى عنهم كانوا
يعذبون في الله تعالى فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا ال ياسر صبرا ال ياسر فان
موعدكم الجنة اي وفي رواية صبرا ال ياسر اللهم اغفر لال ياسر وقد فعلت
فمات ياسر في العذاب واعطيت سمية لابي جهل اي اعطاها له عمه ابو حذيفة
ابن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها في قبلها فماتت يعني بعد ان قال لها انما امنت
بمحمد لانك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها فهي اول شهيد
في الاسلام انتهى اي وعن بعضهم كان ابو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه ويجعل
لعمار درعا من حديد في اليوم الصايف فنزل احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون وجا ان عمار قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ
منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال
له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب احدا من ال عمار
بالنار قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من ابواه مومنان الا هو اي
من المهاجرين فلا ينافي ان بشر ابن البرا ابن معرور الانصاري حضر بدرا وابواه
مومنين وممّا اوذي به ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ما روي عن عايشة
رضي الله تعالى عنها قالت لما ابتلي المسلمون باذى المشركين اي وحصروا بني هاشم والمطلب

في شعب

في شعب ابي طالب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وهي الهجرة
الثانية خرج ابو بكر رضي الله تعالى عنه مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ
برك الغماد بالغين المعجمة موضع باقصى هجر وقيل موضع وراء مكة بخمس ليال
اي وفي رواية حتى اذا سار يوما او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال وكسر الغين
المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة اي واسمه الحارث قبيلة مشهورة كان
يضرب بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة
اكمة سودا نزلوا عندها فسموا بها قال له اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر رضي الله
تعالى عنه اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي قال له ابن الدغنة فان
مثلك يا ابا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق وانا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن
الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف قريش وقال لهم ان ابا بكر لا يخرج
مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوايب الحق وهو في جواري فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة اي لم ترد جواره
وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرا
فيها ما شا ولا يوذنا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نسانا وابنانا
فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر فمكث ابو بكر رضي الله تعالى عنه يعبد ربه
في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم ابتنى مسجدا بفنا داره
فكان يصلي فيه ويقرا القران وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران
فكانت نسا قريش يزدحمن عليه فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش اي
من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا اجرنا ابا بكر بجوارك
على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفنا داره فاعلن بالصلاة
والقراة وانا قد خشينا ان يفتن نسانا وابنانا بهذا فان احب ان يقتصر
على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فاساله ان يرد اليك
ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك اي نزيل خفارتك اي تنقض جوارك ونبطل
عهدك فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي تعاقدت لك عليه

فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت
اي ازيلت خفارتي في رجل عقدت له فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاني ارد
عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض
سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على راسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش
من المشركين فقال له ابو بكر الا ترى ما صنع هذا السفيه فقال له انت فعلت
بنفسك ذلك فصار ابو بكر رضي الله تعالى عنه يقول رب ما احلمك قال ذلك ثلاثا
انتهى اي وفي كلام بعضهم وينبغي لك ان تتامل فيما وصف به ابن الدغنة
ابا بكر بين اشراف قريش تلك الاوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به
خديجة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيها مع ما هم متلبسون به من عظيم
بغضه ومعاداته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف اي اعتراف بان ابا
بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن احدا ان ينازع
فيها ولا ان يجحد شيئا منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق امكنهم لما علموا
به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له ومما يوثر عنه رضي الله تعالى عنه صنائع المعروف
تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر

باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم اشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات

وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة ليسالوهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ما جاء به وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم وكل حديثهم
حديث الاراشي ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا حدث محمد بن كعب
القرظي قال حدثت ان عتبة ابن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو
جالس في نادي قريش اي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر
قريش الا اقوم لمحمد واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها
ويكف عنا قالوا يا ابا الوليد قم اليه فكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا
وفي اخرى اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا
فيه فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فلياته هذا الرجل الذي فرق

جماعتنا

جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم احدا
غير عتبة ابن ربيعة انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب
اي من الوسط اي الخيار حسبا ونسبا وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت
به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من
اباءهم قال زاد بعضهم انه قال له ايضا انت خير ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب
اي فسكت اي فان كنت تزعم ان هولاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت
تزعم انك خير منهم فقل يسمع لقولك فقد افضحتنا في العرب حتى طار فيهم ان في
قريش ساحرا وان في قريش كاهنا ما تريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى
نتفانى انتهى اسمع مني اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد
بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت
تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا
ملكناك علينا اي فيصير لك الامر والنهي فهو اخص مما قبله وان كان الذي ياتيك
رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه
اموالنا حتى نبريك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع
مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقراها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف
ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان
اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى
الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال
قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم
لبعض نحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له

ماوراءك يا ابا الوليد قال وراي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه
نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم
وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا
ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم
فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه فانطلقوا
بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما جيناك الا انك قد صبوت الى محمد واعجبك
امره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيا مما
قال غير انه انذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته
الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب
فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال قال والله ما سمعت مثله والله
ما هو بالشعر الى اخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا ابا الوليد قال هذا رايي
فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا
اي اشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن زمعة والوليد
ابن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وايل وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة
وابو سفيان والنضر ابن الحارث وابو جهل وفي الينبوع اتى الوليد بن المغيرة
في اربعين رجلا من الملا اي من السادات منزل ابي طالب وسالوه ان يحضر لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامرهم ياشكايهم ما يشكون منه اي ان يزيل شكواهم
منه ويجيبهم الى امر فيه الالفة والاصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هولا الملا
من قومك فاسعهم وتالفهم فعاتبوا النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم
واحلام ابايهم وعيب الهتهم الحديث اي قالوا له يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك
فانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلته على قومك لقد شتمت
الابا وعبت الدين وسببت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة
ولم يبق امر قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جيت بهذا الحديث
تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب

الشرف

الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا الذي ياتيك تابعا من الجن
قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طبك وفي رواية انهم لما اجتمعوا ودعوه صلى الله
عليه وسلم فجاهم مسرعا طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه الاموال
والشرف والملك فقال له صلى الله عليه وسلم ما جيت بما جيتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف
فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرني ان اكون
لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جيتكم
به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله تعالى
بيني وبينكم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دعت قريش
النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة ويزوجوه ما اراد
من النسا ويكف عن شتم الهتهم ولا يذكرها بسوء وقد ذكر ان عتبة ابن
ربيعة قال له ان كان انما بك الباه فاختر اي نسا قريش فنزوجك عشرا وقالوا
له ارجع الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج
اليه في دنياك واخرتك وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان لم تفعل فانا نعرض عليك
خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قال تعبد الهتنا اللات والعزى
سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي نعبده
خيرا مما تعبد كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد
كنا قد اخذنا بحظنا فقال لهم حتى انظر ما ياتيني من ربي فجا الوحي بقوله تعالى
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد
ما عبدتم السورة وعن جعفر الصادق ان المشركين قالوا له صلى الله عليه وسلم
اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا الهتنا شهرا نعبد
معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم عابدون ما اعبد
عشرة ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة روي ذلك الثعلبي
جعفر ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا له طعننا في القران لو قال امرو القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكرر ذلك اربع مرات في نسق
اما كان عيبا فكيف وقع في القران قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل ذلك

وقوله تعالى لكم دينكم ولي دين نسخ باية القتال وبقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل لما كرهتموه القران
قالوا ايت بقران غير هذا مما انزل الله تعالى ولم تقول علينا بعض الاقاويل وقد يقال المناسب
للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي الاية ثم رايت في الكشاف
ما يوافق ذلك وهو لما غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد
الشديد قالوا ايت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله
بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها انزل
قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله الاية قال وجلس اي صلى الله عليه وسلم مجلسا
فيه ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة اي
وشيبة بن ربيعة وامية ابن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم عليه الصلاة
والسلام اليس حسنا ما جيت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون بما
اقول باسا فيقولون لا فجا عبد الله بن ام مكتوم رضي الله تعالى عنه وهو ابن
خال خديجة ام المومنين وهو ممن اسلم بمكة قديما والنبي صلى الله عليه وسلم
مشتغلا باوليك القوم وقد راى منهم موانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول
يا رسول الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض
عن ابن ام مكتوم ولم يجبه انتهى اي في رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قايد ابن ام
مكتوم بان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القايد فدفعه ابن ام مكتوم
فعبس صلى الله عليه وسلم واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في
ذلك بقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى السورة اي والمجي مع العمى يقتضي عدم مزيد
الرغبة وتجشم الكلفة والمشقة في المجي ومن كان هذا شانه تحقق الاقبال عليه
لا الاعراض عنه فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط
له رداه قال وهذا يسقط ما للقاضي ابي بكر ابن العربي هنا انتهى اقول حينيذ
لعل الذي له ما ذكره تلميذه السهيلي وهو ان ابن ام مكتوم لم يكن اسلم
ولهذا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان لو كان
دخل في الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الاية ويدل على ذلك قوله

للنبي

للنبي صلى الله عليه وسلم استدنيني يا محمد ولم يقل استدنيني يا رسول الله
ولعل في قوله تعالى لعله يزكى للترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل
هذا لخرج عن حد الترجي والانتظار للتزكي هذا كلامه وعن الشعبي قال دخل
رجل على عايشة رضي الله تعالى عنها وعندها ابن ام مكتوم وهي تقطع له الاترج
وتجعله في العسل وتطعمه فقيل لها في ذلك فقالت ما زال هذا له من ال محمد صلى الله
عليه وسلم منذ عاتب الله عز وجل فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفي فتاوى
الجلال السيوطي رحمه الله تعالى من جملة اسيلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة
ان ابا جهل قال يا محمد ان اخرجت لنا طاووسا من صخرة في داري امنت بك فدعا ربه
فصارت الصخرة تين كما تين المراة الحبلى ثم انشقت عن طاووس صدره من ذهب
وراسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما راى ذلك ابو جهل
اعرض ولم يومن ومما سالوه صلى الله عليه وسلم الايات غير المعينات
على ما رواه الشيخان اذ ومعينة كما في رواية عن ابن عباس وسياتي ما يعلم منه انهم سالوه
صلى الله عليه وسلم اولا اية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان قريشا سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية اي وفي رواية عن ابن عباس اجتمع المشركون
اي منهم الوليد ابن المغيرة وابو جهل ابن هشام والعاص بن وايل والعاص بن هشام
والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة ابن الاسود والنضر بن الحارث
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا
على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصفه
بالمغرب وكانت ليلة اربعة عشر اي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فعلت تومنوا قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوا
فانشق القمر نصفا على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التي كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق
والتي كانت دون الجبل كانت جهة المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين ولا بينهما وبين ما جا في رواية فانشق القمر
نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب

اي ثم ان كان الانشقاق قبيل الفجر فواضح والا فمعجزة اخرى لان القمر ليلة اربعة عشر يستمر جميع الليل وسياتي عن رواية ابن المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادتان بالمرتين في بعض الروايات التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي فقال انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان الاصل وضعها للافعال فقد قال ابن القيم كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين من له خبرة باحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة اي وهو اي ابو كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل امه لان وهب ابن عبد مناف بن زهرة جد ابو امه يكنى ابا كبشة او هو من قبل مرضعته حليمة لان والدها او جدها كان يسمى بذلك او كان لها بنت تسمى كبشة فكان زوجها الذي هو ابوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم في الرضاع وقد روي صلى الله عليه وسلم عنه فقد حدثني حافظ ابو كبشة انهم لما ارادوا دفن سلول وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلق ففتحوه فاذا سرير وعليه رجل عليه حلل عدة وعند راسه كتاب انا ابو شمر ذو النون ماوي المساكين ومستفاد الغارمين اخذني الموت غصبا وقد اعيى الجبابرة قبل قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هذا هو سيف بن ذي يزن الحميري وقيل ابو كبشة جده لابيه لان ابا ام جده عبد المطلب كان يدعى ابا كبشة وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون بذلك الى ان له صلى الله عليه وسلم في مخالفته سلفا وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما يؤيد هذا الاخير ما في الاتقان حيث مثل بهذه الاية للنوع المسمى بالتنكيت وهو ان يخص المتكلم شيئا من بين الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعى خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية هذا كلامه وكبشه لبس يوتث كبش لانه نون

الكبس

الكبشي ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع اهل الارض وفي رواية لان كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم فاسالوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال هذا سحر فاسالوا اهل الافاق وفي لفظ انظروا ما ياتيكم من السفار حتى تنظروا هل راوا ذلك ام لا فاخبروا اهل الافاق وفي لفظ في السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروهم انهم راوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اي مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ما قبله من الايات وفي لفظ قالوا هذا سحر سحر السحرة فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي مطرد كما تقدم او محكم او قوي شديد او مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل جميع اهل الافاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة فاختصت رؤيته بمن اقترح وتوعد ولا بانه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر انه لبليتة جرى مع طايفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام وفي فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث اقول والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البدر ✻ ومن شرط كل شرط جزاء

اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره صلى الله عليه وسلم اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة اربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق عن صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك باعظم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القران وقد اشار الى ذلك ايضا الامام السبكي في تائيته بقوله

وبدر الدياجي انشق نصفين عندما ✻ ارادت قريش منك اظهار اية

اي فانهم ايتمروا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع اي نقد سالوه
صلى الله عليه وسلم اولا اية غير معينة ثم عينوها وفي الاصابة عن بعضهم قال وانا
ابن سبع عشرة سنة سافرت مع ابي وعمي من خراسان الى الهند في تجارة فلما بلغنا
اوايل بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فخرج اهل القافلة نحوها فسالناهم
عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة
تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع عظيم من اهل تلك الضيعة فلما راونا رحبوا بنا
فراينا زنبيلا معلقا في بعض اغصان تلك الشجرة فسالناهم فقالوا في هذا الزنبيل
الشيخ زين الدين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بطول العمر ست مرات
اي فبلغ ستمائة سنة بكل دعوة مائة سنة فسالناهم ان ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه
وحديثه فتقدم شيخ منهم فانزل الزنبيل فاذا هو مملوا بالقطن والشيخ في وسط
القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على اذنه وقال يا جداه هولا قوم قد قدموا من خراسان
وقد سالوا ان تحدثهم كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك
تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت
مع ابي وانا شاب من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض اودية مكة
وكان المطر قد ملا الاودية فرايت غلاما حسن الشمايل يرعى ابلا في تلك الاودية
وقد حالت السيل بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الما لقوة السيل فعلمت
حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما
فلما وضعته عند ابله نظر الي فدعا لي ثم عدنا الى بلادنا وتطاولت المدة ففي ليلة
ونحن جلوس في ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر في كبد السما اذ نظرنا
اليه قد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب واظلم الليل ساعة
ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب الى ان التقيا في وسط السما كما كان اول مرة
فعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسالنا الركبان عن سببه فاخبرونا
ان رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى انه رسول الله الى كافة العالم وان اهل مكة سالوه
معجزة واقترحوا عليه ان يامر القمر فينشق في السما ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في
المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رويته فذهبت الى مكة وسالت

عنه

عنه فدلوني على موضعه واتيت الى منزله فاستاذنت فاذن لي في الدخول فدخلت عليه
فلما سلمت عليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت
وجلست واكلت من الرطب وصار يناولني الى ان ناولني ست رطبات ثم نظر الي وتبسم
وقال لي الم تعرفني قلت لا قال الم تحملني في عام كذا في السيل فقلت نعم ثم قال
امدد يدك فصافحني وقال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقلت ذلك فسر وقال لي عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك قال ذلك ست مرات
فبارك الله لي في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم ستمائة سنة اي في المائة
السادسة مشرف على تمامها انتهى وسئل الحافظ السيوطي عن مثل هذا الحديث وعن الحديث
الذي رواه معمر الذي يزعم انه صحابي وانه يوم الخندق صار ينقل التراب بغلقين وبقية
الصحابة بغلق واحد فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات
وقال له عمرك يا معمر فعاش بعد ذلك اربعمائة سنة ببركة الضربات التي ضربها بين
كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد ان صافحه من صافحك الى ست او سبع لم تمسه
النار هل هو صحيح ام كذب وافترا لا تجوز روايته فاجاب بانه باطل وان معمر
هذا كذاب دجال لانه ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر ارايتكم
ليلتكم هذه فانه على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد وقد
قال اهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم
فهو كذاب ومعلوم ان اخر الصحابة مطلقا موتا ابو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة
ثبت ذلك في صحيح مسلم واتفق عليه العلما فمن ادعى الصحبة بعد ابي الطفيل فهو كذاب
ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الايات المعينات ما حدث به بعضهم قال
ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت
علينا ويبسط لنا بلادنا وليخرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى
من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنساله عما تقول احق
هو ام باطل فان زاد في رواية فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا
منزلتك من الله تعالى وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بهذا بعثت لكم انما جيتكم من الله بما بعثني به انتهى ثم قالوا واسال ربك يبعث معك ملكا

ملكا يصدقك فيما تقول ويدا جعنا عنك اي دني لفظ قالوا له صلى الله عليه وسلم لولا انزل
علينا الملايكة فيخبرنا بان الله ارسلك او نري ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنومن حينيذ
بك وقال اخر يا محمد لن نومن لك حتي تاتينا بالله والملايكة قبيلا واساله ان
يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي
فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه اي فلا بد ان تتميز علينا حتي نعرف
فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا اي دني لفظ قالوا ان محمدا ياكل الطعام
كما ناكل نحن ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمس نحن فلا يجوز ان يمتاز
علينا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا بالذي يسال ربه
هذا ه وانزل الله تعالى وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في
ولما قالوا الله اعظم ان يكون رسوله بشرا منا انزل الله تعالى اكان للناس
عجبا ان اوحينا الي رجل منهم ان انذر الناس ثم قالوا واسقط علينا كسفا اي قطعا
كما زعمت ان ربك ان شا فعل وقد بلغنا انك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن
وانا والله لن نومن بالرحمن ابدا اي وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا
كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله
تعالى بقوله قل هو اي الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب اي توبتي
ورجوعي ه وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا على ما فاته من هدايتهم
التي طمع فيها وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب
قبل ان يسلم رضي الله تعالى عنه يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم
سالوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك فلم تفعل ثم
سالوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نومن بك ابدا
حتي تتخذ الي السما سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتي تاتيها ثم تاتي لنا بصك
اي كتاب معه اربعة من الملايكة يشهدون انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت
ذلك ما ظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الايات التي فيها شرح هذه
المقالات في سورة الاسرا وفيه الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان
يعطيه جميع ما سالوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استاصلهم بالعذاب كالامم

السابقة

السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون
فاختار صلى الله عليه وسلم الثاني لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم
لا يومنون وان حصل ما سالوا فيستاصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن محمد بن كعب ما حاصله ان الملا من قريش
اقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يومنون به اذا صار الصفا ذهبا
فقام يدعو الله تعالى ان يعطيهم ما سالوه فاتاه جبريل فقال له ان شيت كان ذلك
ولكني لم ات قوما باية اقترحوها فلم يومنوا بها الا امرت بتعذيبهم وفيه انه
حينيذ يشكل رواية سوالهم انشقاق القمر وفي رواية اتاه جبريل فقال يا محمد
ان ربك يقرئك السلام ويقول ان شيت ان تصبح لهم الصفا ذهبا فان لم يومنوا
انزلت عليهم العذاب عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وان شيت ان لا نصير
الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة فقال لا بل ان تفتح لهم باب التوبة
والرحمة وفي رواية وان شيت تركتهم حتي يتوب تايبهم فقال بل حتي يتوب تايبهم
وايضا وافق على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سوالهم لذلك
جهل لانه خفي عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق
الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحل العقاب
لمن اعرض عنه اذ مع كشف الغطا يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الي ارسال الرسل ويفوت
الايمان بالغيب وايضا لربما سالوا ما سالوا من تلك الايات الا تعنتا واستهزا
لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك والي سوالهم تلك الايات وارتيابهم في القران
وقولهم فيه انه سحر وافترا اي سحر ياثره اي يحكيه عن مثله وعن اهل بابل يفرق به
بين المرء واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ان هو الا قول البشر
من قول اليسر وهو عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه والي قول ابي جهل
ايضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتي صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحي اليه والله
لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزل قوله تعالى واذا جاتهم
اية قالوا لن نومن حتي نوتي مثل ما اوتي رسل الله

والى هذا اشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا ... بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسالون عنه كتاب ... منزل قد اتاهم وارتقاء

اي اعجب عجبا من حال الكفار حالة كونهم زادوا ضلالا بالقران الذي فيه اهتدا العقول واعجب عجبا ايضا من الامر الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كتاب من السما منزل عليهم من السما وهو القران .

اولم يكفهم من الله ذكر ... فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس اية منه والجن ... فهلا ياتي به البلغاء
كل يوم يهدي الي سامعيه ... معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه ... فهو الحلي والحلاء
رق لفظا وراق معنا فجات ... في حلاها وحليها الخنساء
وارتنا فيه غوامض فضل ... رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلي الوجوه اذا ما ... جليت عن مراتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منا ... ومثل النظاير النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل ... فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت اياته من علوم ... من حروف ابان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوي اعجب الزراع ... منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريب ... وقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيا ... فالتماس الهدي بهن عناء
واذا ضلت العقول علي علم ... فماذا تقوله الفصحاء

اي اولم يكفهم عما سالوه عنادا ذكر واصل اليهم حالة كونه من الله تعالي رحمة وشفا للناس والجن والملايكة اعجز الانس والجن اية منه فهلا ياتي بمثل اية اهل البلاغة كل وقت يهدي قراوه الي سامعيه معجزات من لفظه ولذلك يسمعه السامع من التحلية التي هي لبس الحلي وتتحلي بالفاظه فواه من الحلوا فهو الحلي والحلو لي حسن من جهة اللفظ وتصفي من شوايب النقص من جهة المعني فارتنا فيه من زلاله وصفا من ذلك الزلال خبايا فضل فيه وهي العلوم

المستنبطة

المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لا اختفا معه يوجد اذا قوبلت بمراة وقد جلا الاصدا عن تلك المراة سور اشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل سورة منها علي عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القران كالصور التي يصورها المصورون فانها لا وجود لها في الحقيقة فما قالوه في القران باطل قطعي البطلان فاحذر الخطبا اذ توقع في وهمك ان ما ياتي به يشبه يقارب القران كم اوضحت اياته علوما حالة كونها متولدة من حروف قليلة تكشف عنها التهجي كالحب الذي يلقيه الزراع والنوي الذي يلقيه الغارس اعجب الزراع والغراس فيها اي من تلك الحبوب والنوي سنابل وثمار دنا فاق الجم فاطالوا في تلك السور الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا مرة اخري اساطير الاولين واذا كانت الحجج والبراهين لم تفدهم شيا من الهدي فطلب الهدي منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيا واذا ضلت العقول عن طرق الخير علم منها بتلك الطرق فاي قول يقوله الفصحا اي وقال الوليد بن المغيرة يوما اينزل القران علي محمد واترك انا وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين اي مكة والطايف فانزل الله تعالي وقالوا اي هلا نزل هذا القران علي رجل من القريتين عظيم اي اعظم واشرف من محمد صلي الله عليه وسلم فرد الله تعالي عليهم اهم يقسمون رحمة ربك الاية وفي لفظ قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد ابن المغيرة من اهل مكة او عروة ابن مسعود الثقفي من اهل الطايف ثم لا يخفي ان كفار قريش بعثوا مع النضر بن الحارث عتبة ابن ابي معيط الي احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما اسالاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتي قدما المدينة وسالا احبار يهود اي قالوا لهم اتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفي لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفته فوصفوا قالوا فمن تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه اشد الناس له عداوة قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل

سئول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول اي وهم اهل الكهف ما كان من امرهم
فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها
اي وهو ذو القرنين ما كان نباه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك اي بحقيقته
الاولين ويعارض من عوارض الثالث وهو كونها من امر الله فاتبعوه فانه نبي فرجع
النضر وعقبة الي قريش وقالا لهم قد جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم
الخبر فجاووا الي محمد صلى الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام
اخبركم غدا ولم يستثن اي ولم يقل ان شا الله وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر
يوما وقيل ثلاثة عشر وقيل اربعة ايام لا ياتيه الوحي وتكلمت في ذلك بما اخبر به
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اي ومن جملة من قال ذلك ام جميل
امراة عمه ابو لهب قالت له صلى الله عليه وسلم ما اري صاحبك الا وقد ودعك وقلاك
اي تركك وبغضك وفي رواية قالت امراة من قريش ابطا عليه شيطانه و
عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية
الذين ذهبوا وهم اهل الكهف ويروي انهم يكونون مع عيسى ابن مريم اذا نزل
ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين اي وهو اسكندر الرومي
كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان له شبه القرنين
في راسه وقيل عدبرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها
اي بلغ قطري المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن راسه فمات ثم احيي ثم ضرب
على قرنه الاخر فمات ثم احيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض
في زمنه قرنان من الناس والقرن زمانا ماية سنة وكان ذو القرنين
رجلا صالحا من اهل مصر من ولد يونن وفي لفظ يونان بن يافث ابن نوح وكان
من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوايه الاكبر وقيل كان نبيا قاله
الضحاك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن الروح المذكور ذلك
في سورة الاسرا وهو ان الروح من امر ربه اي قل لهم الروح من امر
ربي اي من علمه لا يعلمه الا هو اي وكان في كتبهم ان الروح من امر ربه
اي مما استاثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه ومن ثم جا

في بعض

في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بان اجابكم
عنها بانها من امر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد كما جا في بعض الروايات يسلوه
عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي **اقول** اذا كان في كتبهم
ان حقيقة الروح مما استاثر الله تعالى بعلمه كيف يسالونه فيخبرهم بذلك الا ان
يقال المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي فانه يحاول ان يخبركم عن
حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما في تنوير التفسير من ذكر
من علم ربي لا علم لي به وفي بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سلوه عن الروح
التي نفخ الله تعالى في ادم فان قال لكم من الله تعالى فقولوا له كيف يعذب الله في النار شيا هو
منه **وحاصل** الجواب الذي اشارت اليه الاية ان الروح امر بمعني ما مور اي ما مور من
ما مور انه عز وجل وخلق من خلقه لا انها جزء منه والله اعلم **اي** وهذا يدل علي ان
المسوول عنه روح الانسان التي هي سبب الحياة في افادة الحياة للجسد **وفي كلام** الامام
الغزالي رحمه الله ان الروح روحان حيواني وهو التي تسميه الاطبا المزاج وهو جسم لطيف
بخاري معتدل ساري في البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوي الجسمانية
وهذه الروح تفني بفنا البدن وتنعدم بالموت وروح روحاني وهي التي يقال لها
النفس الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال
لها القلب من الالفاظ الدالة علي معني واحد لها تعلق بقوي النفس الحيواني وهذه
الروح لا تفني بفنا البدن وتبقي بعد الموت هذا كلامه **وفي كلام** بعضهم والروح
عند اكثر اهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال
فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا فارق البدن مات **وذهب** جمع
منهم الغزالي والامام الرازي وفاقا للحكما والصوفية الي انه مجرد غير حال بالبدن يتعلق
به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر امره علي وجه لا يعلمه الا الله تعالى انتهي **ورايت** في كلام
الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمايها
ليناظر المسلمين فسال عن العلما فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندي فقال له الهندي
ما تعبدون قالوا نعبد الله بالغيب قال من انبياكم قالوا محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذي
قال في الروح قال هو من امر ربي فقال صدقتم فاسلم وليس المراد بالروح خلق من الملايكة على صورة

بني ادم او ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسمائة عام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم قلت
كذا في هذه الرواية انهم سالوه صلى الله عليه وسلم اي مشركوا مكة عن الروح وحديث
مسعود يدل على ان السوال عن الروح ونزول الاية كان بالمدينة اي من اليهود هذا
كلامه وفيه انه سياتي جواز تكرار السوال وتكرر نزول الاية الى اخر ما ياتي وبه يعلم ما في
الاتقان حيث نقضه قول بعضهم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم سالته عن الروح وعن ذي
القرنين بقوله قلت السايل عن الروح وذي القرنين مشركوا مكة واليهود كما في اسباب
النزول لا الصحابة وفي الاتقان فقد يعدل عن الجواب اصلا اذا كان السايل قصده التعنت
نحو ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال صاحب الافصاح انما سال اليهود
تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان والقران وعيسى وملك اخر
وصنف من الملائكة فقصد اليهود ان يسالوه صلى الله عليه وسلم فباي مسمى اجابهم قالوا ليس
هو فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم وفي سورة الكهف ايضا اية ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت اي اذا اردت ان تقول
سافعل شيا مما يستقبل من الزمان فقل ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت
تاتي بها فتذكرها بعد النسيان لذكرها بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس اي
وظاهره وان طال الفصل وفي الخصايص الكبرى ان هذا اي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من
خصايصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثني اي ياتي بالمشيئة الا في صلة يمينه
اقول كان ينبغي ان يقول في صلة اخباره لان مساق الاية في الاخبار لا في الحلف فان قيل
هي عامة في الخبر والحلف قلنا كان ينبغي حينئذ ان يقول في صلة كلامه وحينئذ يقتضي
كلامه انا نشاركه صلى الله عليه وسلم في الخبر دون الحلف والله اعلم ثم لا يخفى انه قيل في سبب
احتباس الوحي ما ذكر وهو انه لم يقل صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وهو المشهور وقيل لانه
كان في بيته صلى الله عليه وسلم كلب وفي لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
لما عاتب جبريل في احتباسه قال اما علمت ان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب اي فانه صلى الله عليه وسلم
قال لخادمه خولة يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا ياتيني قالت فقلت
في نفسي لو كنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا اقول قال
ابن كثير قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملايكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب
وقد اورد بعض الزنادقة سوالا وهو اذا كانت الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب او صورة اي
صورة التماثيل التي فيها الارواح يلزم ان لا يموت من عنده كلب او صورة وان لا يكتب عمله
واجيب عنه بان المراد لا تدخل ذلك البيت دخول اكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافي
دخولهم لكتابة الاعمال وقبض الارواح والله اعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سايلا ملحا
وقد كان قبل ذلك يرد السايل بقوله اتاكم الله من فضله اي وربما سكت فقد روي انه
ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد انه لا ينطق بالرد
بل ان كان عنده اعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جاء انه صلى الله عليه وسلم ما رد سايلا اي
بتا فهو بالرد وقد حكي بعضهم قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
استغفر لي فسكت فقلت يا رسول الله ان ابن عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيا قط
فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم واستغفر لي اي فكان ياتي بالاول حيث لا يكون المقام
يقتضي الاقتصار على السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه البزار عن انس
رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان اطلق كل اسير
واعطى كل سايل وبين الشيخ الجزري في النشر سبب الحاح هذا السايل ان النبي صلى الله
عليه وسلم اهدي اليه قطف عنب قبل اوانه فهم ان ياكل منه فجاءه سايل فقال اطعموني مما
رزقكم الله فسلم اليه ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم
فعاد السايل للنبي صلى الله عليه وسلم فساله فاعطاه اياه فلقيه رجل اخر من الصحابة فاشتراه منه
واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السايل فساله فانتهره وقال انك ملح قال وهذا
سياق غريب جدا وهو معضل وقيل بسبب ذلك غيره كله من ذلك الخبر ان جبريل عليه السلام
لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف ناتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون
براجمكم ولا تاخذون شعوركم ولا تستاكون اقول واختلاف هذه الاسباب ظاهره
ان الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت اية سورة الضحى ردا عليهم في قولهم ان محمدا قلاه
ربه وتركه وهي ما ودعك ربك وما قلى اي ما قطعك قطع المودع وما ابغضك لانه يجوز ان
يكون مما تكرر نزوله لاختلاف سببه ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الواقعة واحدة وتعددت
اسبابها ولا ينافيه اخبار جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظفار

وماذكر معه وتارة بان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر
ربك كما سياتي في قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر قصة ابطا جبريل بسبب الجرو
مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية اي ما ودعك ربك وما قلي غريب فالمعتمد ما في
الصحيح هذا كلامه اقول ومما يدل علي ان واقعة الجرو كانت بالمدينة ما في التفاسير
ان هذا الجرو كان للحسن والحسين وما رواه مسلم عن عايشة رضي الله تعالي عنها قالت
واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة ان ياتيه فجات تلك الساعة ولم ياته
قالت وكان بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا
كلب تحت السرير فقال متي دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجا
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني فجلست لك ولم
تات فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي
زيادة الجامع الصغير اتاني جبريل فقال لي اني كنت اتيتك البارحة فلم يمنعني ان اكون دخلت
عليك البيت الذي كنت فيه الا انه كان علي الباب تماثيل وكان في البيت ستر فيه تماثيل وكان
في البيت كلب فامر براس التمثال الذي في البيت فليقطع فيصير كهيية الشجرة وامر بالستر
فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطان وامر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجي
جبريل له اكرام وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم فليتامل ولما نزلت
السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر صلى الله عليه وسلم لا يجاهر
قومه بالدعوة حتي نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم ايضا وكان
ذلك سببا للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها في ختمها الي اخر القران وعن ابي بن كعب
رضي الله تعالي عنه انه قرا كذلك علي النبي صلى الله عليه وسلم بعد امره له بذلك وانه كان
كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ابتدا التكبير من اول الم نشرح
لا من اول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لاخر السور وابتداوه من اخر سورة الضحى الي اخر
قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير في الاول والاخر جمع بين الروايتين الرواية التي
جات بانه كبر في اول السورة المذكورة والرواية الاخري انه كبر في اخرها ومما يدل علي ان
التكبير اول سورة الضحى ما جا عن عكرمة بن سليمان قال قرات علي اسماعيل ابن عبد ربه
فلما بلغت الضحى قال لي كبر حتى تختم فاني قرات علي عبد الله ابن كثير احد الايمة السبعة فلما بلغت

والضحى

والضحى قال لي كبر حتي تختم واخبرني ابن كثير انه قرا علي مجاهد فامره بذلك واخبره ان ابن عباس
رضي الله تعالي عنهما امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي ابن كعب امره بذلك واخبره ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال بعضهم حديث غريب ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله
تعالي عنه انه قال لابي الحسن ان تركت التكبير من الضحى الي الحمد في الصلاة وخارجها فقد تركت سنة
من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اي التكبير
عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وقد ذكر الشيخ ابو المواهب
الشاذلي عن شيخه ابي عثمان انه قال انما نزلت سورة الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك
فحدث اشارة الي ان من حدث بنعمة الله فقد شرح الله صدره قال كانه تعالي يقول اذا
حدثت بنعمتي ونشرتها بين عبادي فقد شرحت صدرك وعن ابن اسحاق ذكر لي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتي سوت ظننا وفي لفظ ما يمنعك
ان تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا اي لا تنتقل من مكان الي مكان ولا ننزل
في زمان دون زمان الا بامره ومشيته علي مقتضي حكمته وما كان ربك تاركك كما
تزعم الكفار بل كان ذلك لحكمة راها واما حديث الزبيري فقد حدث بعضهم قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد
يطوف علي حلق قريش حلقة بعد اخري وهو يقول يا معشر قريش كيف يدخل
عليكم المارة او يجلب اليكم جلب او يحل بفنايكم اي ينزل بساحتكم تاجر وانتم تظلمون
من دخل عليكم في حرمكم حتي انتهي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر انه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله اي احسنها فسامه
ابو جهل ثلث اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سايم قال فاكسد علي سلعتي فظلمني فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم واين اجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقام اصحابه فنظروا الي الجمال فراي جمالا احسانا فساوم ذلك الرجل
حتي الحقه برضاه واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وافضل
بعيرا باعه واعطي ارامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية
من السوق ولا يتكلم ثم اقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك ان تعود لمثلها

صنعت بهذا الرجل تتوي مني ما تكره فجعل يقول لا اعود يا محمد لا اعود يا محمد
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل علي ابي جهل امية ابن خلف ومن معه من القوم
فقالوا له ذلت على يد محمد فاما ان تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك منه فقال
لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رايتم مني لما رايته رايت معه رجالا عن يمينه وشماله معهم رماح
يشرعونها الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا علي نفسي ونظير ذلك ان ابا جهل كان وصيا
علي يتيم فاكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم علي ابي جهل فمشى معه
اليه ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله
لو امتنعت ان لطعنني واما حديث المستهزئين فما استهزي به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم ان ابا جهل بن هشام ابتاع من شخص
يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها
فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لا قدرة له على ابي جهل اي بعد
ان وقف على ناديهم فقال يا معشر قريش من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام
فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك الرجل يعنون رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه يعينك عليه فجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
له حاله مع ابي جهل اي قال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم بن هشام
~~وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى~~
~~الله عليه وسلم اذهب اليه يعينك عليه فجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله~~
~~مع ابي جهل اي قال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم بن هشام~~ قد غلبني على حق لي قبله وانا
غريب وابن السبيل وقد سالت هولا عن رجل ياخذ لي بحقي منه فاشاروا اليك فخذ
حقي منه يرحمك الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل وضرب عليه
بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون
النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا
حقه قال نعم لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى
وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله
اخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم

وقالوا

وقالوا انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رايت قال رايت عجبا من العجب
والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال اعط هذا
حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اليه
ثم بعد ذلك قالوا لابي جهل ما راينا مثل ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب
علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي فحلا من الابل
ما رايت مثله قط لو ابيت او تاخرت لاكلني والى هذه القصة اشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي	وقد سا بيعه والشراء
وراى المصطفى اتاه بما لم	ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد راه من قبل لكن	ما على مثله يعد الخطاء

اي وطلب صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يودي دين الاراشي وقد ساء بيعه وشراوه
مع ذلك الرجل وراى المصطفى وقد اتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفا لذلك
الدين كثير النجا وذلك الذي اتاه به هو الفحل الذي قد راه من قبل اي لما اراد ان يلقي
عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه يعد الخطا لان
خطاه لا ينحصر اي ومن استهزا ابو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه في بعض الاوقات سار
خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال
له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات ٥ قال ابن عبد البر كان المستهزئين الذين
قال الله تعالى فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل وابو لهب وعقبة ابن ابي معيط
والحكم بن العاص ابن امية والد مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان والعاص ابن وايل
فمن استهزا ابي جهل ما تقدم ومن استهزا ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح
القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي يوم من الايام راه اخوه حمزة
رضي الله تعالى عنه قد فعل ذلك فاخذه وطرحه على راسه فجعل ابو لهب ينفض
راسه ويقول صابي احمق ومن استهزا عقبة بن ابي معيط به صلى الله عليه وسلم
انه كان يلقي القذر ايضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم
كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة ابن ابي معيط ان كانا ليا تيان بالفروث
فيطرحانها على بابي ومن استهزا به انه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه و

وصار برصا اي فانه صلى الله عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة ابن ابي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعى الناس من اشراف قريش ودعي النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يا كل فقال ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي ابن خلف فاخبر الناس ابيًّا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فالشهادة ليست في نفسي فقال له ابي وجهي ووجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب من نار فاحترق مكانها وكان اثر الحرق في وجهه الى الموت وجنيد يكون المراد بقوله فيما تقدم تعادى صا فيه برصا في وجهه اي صار كالبرص وانزل الله تعالى في حقه ويوم يعض الظالم على يديه اي في النار ياكل احدى يديه الى المرفق ثم ياكل الاخرى فتنبت الاولى فياكلها وهكذا ومن استهزا الحكم ابن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بانفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك اي كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واسم الحكم ابن العاص يخلج بانفه وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات واسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شي اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة اي وقيل بمدري في يده والمدري كالمسلة يفرق به شعر الراس وقال من عذيري من هذه الوزغة لو ادركته لفقات عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطايف فلم يزل حتى ولي ابن اخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد ان سال عثمان ابا بكر في ذلك فقال لا احل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سال عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولما ادخله عثمان انكر عليه الصحابة بسبب ذلك فقال

اذا كنت

اذا كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده اي اني اردده ولاينا في ذلك سؤال عثمان لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم في ذلك كما لا يخفي لانه يحتمل ان برده عثمان اما بقسمه او بسواله وسياتي ذلك في جملة امور انتقمتها الصحابة وعن هند ابن خديجة ام المومنين رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بابي الحكم فجعل يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فراه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدي استاذن الحكم ابن ابي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المومنين منهم وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الاخرة من نصيب خلاق وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فاتى اليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي اذ تثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم راه يحتمل انه اوتي به اليه صلى الله عليه وسلم فلم ياذن بادخاله عليه وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ الى اخره وفي كلام بعضهم ان مروان ولد بمكة وفي كلام بعض اخر انه ولد بالطايف بعد ان نفي ابوه الى الطايف اي ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخاري مروان ابن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان نزل في ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اي الذي هو العاص ابن امية انهم الشجرة الملعونة في القران وولي مروان الخلافة تسعة اشهر وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان ابن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن ابي بكر لما بايع معاوية لولده قال مروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة هرقل وقيصر امتنع من البيعة ليزيد ابن معاوية فقال له مروان انت الذي انزل الله فيك والذي قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك عايشة فقالت كذب والله ما هو به ثم قالت له انت يا مروان فاشهد ان رسول الله لعن اباك وانت في صلبه وعن جبير ابن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم ابن ابي العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا قال بعضهم وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضا على ما يكره فعل بالحكم ذلك يدل على امر عظيم ظهر له في الحكم واولاده وعن حمران ابن جابر الحنفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني امية ثلاث مرات اي ويتولى الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية بن ابي سفيان واخرهم مروان

ابن محمد وكانت مدة ولايتهم ثلثين وثمانين سنة وهي الف شهر قال بعضهم لا يزيد يوما ولا ينقص يوما قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان ذلك سنة اربعين او احد واربعين واستمر الامر في بني امية الى ان انتقل الى بني العباس سنة ثنتين وثلاثين ومائة ومجموع ذلك ثنتان وتسعون سنة والف شهر يعدل ثلاثة وثمانين سنة واربعة اشهر هذا كلامه ومن استهزا العاص بن وايل انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه ان وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث

اي ومن استهزا به ان خباب ابن الارت رضي الله تعالى عنه كان قينا يعمل اي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاء يتقاضا ثمنها فقال له يا خباب اليس يزعم محمد هذا الذي انت على دينه ما يبتغي اهلها من ذهب او فضة او ثياب او خدم او ولد قال خباب بلى قال فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هنالك حقك والله لا تكون انت وصاحبك اثر عند الله مني ولا اعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال له لا اعطيك حتى تكفر بمحمد قال والله لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى اموت ثم ابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول وياتينا فردا اه وفي كلام ابن حجر الهيتمي في البخاري عن عدة طرق ان خبابا رضي الله تعالى عنه طلب من العاص ابن وايل السهمي دينا له عليه فقال لا اعطيك كذا حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه اذ هذا تعليق للكفر بممكن اي وتعليق الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعي او عقلي على احتمال له كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام واجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا وانما اراد تكذيب ذلك اللعين في انكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لانها تاتي بمعنى الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بان ما بعدها كلام مستانف وعليه خرج ابن هشام الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه اي لكن ابواه وعد بعضهم من المستهزئين الحارث ابن عيطلة ينسب الى امه وكان من استهزا به ما تقدم عن العاص ابن وايل وابي جهل من الاختلاج خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد منهم الاسود ابن عبد يغوث وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم

١٧ المبعث

كان

كان اذا راى المسلمين قال لاصحابه استهزا بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر اي لان الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السما يا محمد وما اشبه هذا القول وعد منهم الاسود ابن عبد المطلب ومن استهزا به انه كان هو واصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا راوهم وعد منهم النضر بن الحارث فهلك غالبهم قبل الهجرة بضروب من البلا

اقول والذي ينبغي ان يكون المراد بالمستهزئين في الاية وهو انا كفيناك المستهزئين الوليد ابن المغيرة والد خالد وعم ابي جهل فانه كان من عظما قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس ايام منى حيسا وينهى ان توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة الى الطايف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم اصابته الجوايح والافات في امواله حتى ذهبت باسرها ولم يبق له في ايام الحج ذكر وكان المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد اي في الشرف والسودد والجاه والرياسة قال بعضهم بل هو وحيد في الكفر والخبث والعناد والعاص بن وايل والد عمرو والاسود بن عبد المطلب والاسود عبد يغوث والحارث ابن عيطلة وفي لفظ ابن الطلاطلة والطلاطلة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث والحارث ابن العيطلة كان احد اشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي تجعل للالهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة قال في اسد الغابة لم ار احدا ذكره في الصحابة الا ابا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح انه كان من المستهزئين وهؤلا الخمسة هم الذين اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما يروى ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد اي يطوف بالبيت وقال امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد ابن المغيرة قال له يا محمد كيف تجد هذا فقال بيس عبد الله فاوما الى ساق الوليد ومر العاص ابن وايل فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سو فاشار الى اخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود ابن عبد المطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سو فاوما الى عينيه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سو فاوما الى راسه وقال كفيته ثم مر الحارث ابن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سو فاوما الى بطنه وقال كفيته وحينيذ يكون معنى كفايته هذا له صلى الله عليه وسلم انه لم يبح

ولم يتكلف في تحصيل ذلك والى هذا اشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وجبريل للاستهزاءات فرقة الردي ✿ اشار الي كل بأقبح ميتة

والله اعلم قال وروي الزهري ان الاسود ابن عبد يغوث خرج من عند اهله فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلازال يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سياتي عن الهمزية ولا يناسب ان جبريل اشار الي راسه وفي كلام البلادري عن عكرمه ان جبريل اخذ بعنق الاسود ابن عبد يغوث فحني ظهره حتى احقوقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي اي لانه كما تقدم ابن خاله فهو اما على حذف المضاف او لاجل مراعاة ابيه اي يراعي لاجل ابيه الذي هو خالي فقال جبريل يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل خدعتك ثم حناه حتى قتله وهذا لا يناسب كون جبريل اشار الي راسه والمناسب لذلك ما ذكره بعضهم انه امتخض راسه قيحا ثم لم يزل يضرب براسه اصل شجرة حتى مات واما الحارث ابن عيطلة اي وفي كلام القاضي وحارث ابن القيس وفي تكملة الجلول للسيوطي عدي بن قيس فقد اكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكر هنا ان جبريل اشار الي بطنه لكن لا يناسب ما قاله القاضي البيضاوي انه اشار الي انفه فامتخض قيحا واما الاسود ابن عبد المطلب فقد عمي بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيا اي وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول لها هو الا الطعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيا وقيل اتى شجرة فجعل ينطح راسه بها حتى خرجت عيناه اي ولعل ذلك لا ينافي ما ورد فاشار اي جبريل الى وجهه فعمي بصره في الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب وفي رواية انه كان يقول دعا علي محمد بالعمي فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فاستجيب لي وسياتي عن بعضهم في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود ابن المطلب بالعمي وفقد اولاده فجعل الله العما وفقد اولاده يوم بدر واما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم يتفطن لينحيه فعند ذلك اصاب السهم عرقا

في ساقه فقطعه فمات واما العاص ابن وايل فدخلت شوكة في اخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات والى الخمسة الذين ذكرنا انهم المرادون بقوله انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا ✿ ء نبيا من قومه استهزاء

خمسة كلهم اصيبوا بداء ✿ والردي من جنوده الادواء

فدهي الاسود ابن مطلب ✿ اي عمي ميت به الاحياء

ودهي الاسود بن عبد يغوث ✿ ان سقاه كاس الردا استسقاء

واصاب الوليد خدشة سهم ✿ قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا ✿ ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى مهجة الحارث القيوح وقد ✿ سال بها راسه وساء الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الارض ✿ فكف الاذى بهم شلاء

اي وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ومرات كثيرة احزن نبينا صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبيا استهزا قومهم به وهولا المستهزؤن به خمسة كلهم اصيبوا بدا عظيم والهلاك من جملة الامراض فاهلك الاسود بن المطلب عمي عظيم الاحيا بدل اموات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الي عينيه وهلك ايضا الاسود بن عبد يغوث استسقا سقاه كاس الموت وهذا لا يناسب كون جبريل اشار الي راسه واصاب الوليد اثر سهم في ساقه قصرت عنه الحية الرقطا اي سمها وقضت شوكة على مهجة العاص دخلت في رجله فلله هذه النقيعة الخشنة اللمس وقضت على الحارث القيوح والحال انه قد سال راسه وفسد ذلك الوعا لذلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل اشار الي انفه لا لقول بعضهم انه اشار الي بطنه خمسة طهرت بهلاكهم الارض فكف الاذي بهم شلا فاقدة الحركة وذكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هولا الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم ان هولا هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافي عد منبه ونبيه ابني الحجاج منهم فقد قيل فانا ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ها هنا من هو اسن

منك وايسر فان كنت صادقا فائتنا بملك يشهد لك وتكون معك واذا ذكر لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالا معكم مجنون يعلمه اهل الكتاب ما ياتي به ولا نبيا في عهد ابي جهل
وغيره منهم كما تقدم وفي سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرا سورة
الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه ومن استهزا ابي جهل
ايضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود
الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا افيعجز
كل مائة رجل منكم عن واحد منهم اي وفي رواية ان بعض قريش وكان شديد القوي
الناس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه
من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح قال انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين
وبلغ ان هذا دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه
النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن اي وفي رواية ان ابا جهل قال اكفيكم
عشرة فاكفوني تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي
اي لا يطاقون كما يتوهمون وما جعلنا عدتهم الا فتنة ضلالا للذين كفروا
المزيا اي بان يقولوا لم اذكر ويقولوا لم كانوا التسعة عشر وماذا اراد الله بهذا
العدد اي وذلك العدد لحكمة استاثر الله تعالى بعلمها وقد ابدي بعض المفسرين لذلك
حكما تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
اي القرون ما بين منكب احدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق
والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم واخرج الغيبي في عيون
الاخبار عن طاوس ان الله خلق مالكا وخلق له اصابع على عدد اهل النار فما من احد
معذب الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من اصابعه
على السما لاذابها وهولا التسعة عشر هم الروسا ولكل واحد اتباع لا يعلم عددهم
الا الله تعالى قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اي وهولا اتباع منهم واخرج
هناد عن كعب قال يومر بالرجل الى النار فيبتدره مائة الف ملك اي والمتبادر
ان هولا من خزنتها وفي كلام لبعضهم لم يثبت لملايكة النار عدد معين سوى ما في قوله
تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك لسقر التي هي احدى دركات النار لقوله تعالى قبل ذلك

ساصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد او اكثر قيل وبسم الله الرحمن الرحيم
عدد حروفها تسعة عشر على عدد هولا الزبانية التسعة عشر فمن قراها وهو مومن
دفع الله تعالى عنه عذاب بكل حرف منها واحدا منهم اقول ومن استهزا ابي جهل
ايضا انه قال لقريش وهو يهزا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جا به من الحق يا معشر
قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار يقال لها شجرة الزقوم والنار
تاكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تشرب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا تزقموا
فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل جهنم ولا تتسلط
جهنم عليها اما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على
خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيي باللهب كما يحيي
شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة واخرج الترمذي وصححه النساي والبيهقي
وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف
بمن تكون طعامه اي وقال يا محمد لتتركن سب الهتنا او لنسبن الهك الذي تعبده
فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
فكف عن سب الهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رايت في الدر المنثور في تفسير
انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون
في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل عليه السلام فغمز جبريل باصبعه
في اجسادهم فصارت جروحا وانتنت فلم يستطع احد يدنوا منهم حتى ماتوا فلينظر
الجمع على تقدير الصحة وقد يدعي انهم طايفة اخرين غير من ذكر لانهم المستهزوون
ذلك الوقت اي فقد تكرر نزول الاية والله اعلم قال ومن استهزا النضر بن الحارث
انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه يحذرهم ما اصاب
من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله
يا معشر قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك
فارس [illegible] انه كان يعلم حادثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال ان الذي
قال سانزل مثل ما انزل الله انتهى اي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم

ثم قدم بها الى مكة فكان يجد ث بها ويقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم
ويقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال
في الينبوع والمشهور انها نزلت في شرا المغنيات قال ولا بدع ان تكون الاية نزلت فيهما
معا ليتحقق العطف في قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا
الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتامل ولما تلى عليهم صلى الله عليه وسلم
نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
فانزل الله تعالى تكذيبا له لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا له وجا ان جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل
والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم
قايما يصلي سمعوا قراته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى اتى المكان الذي يصلي
فيه فجعل يسمع قراته ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراته قصدوا
الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من خلفهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا
خايبين فانزل الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعي انها نزلت لوجود
الامرين فليتامل وجا ان النضر بن الحارث راى ان النبي صلى الله عليه وسلم منفردا
اسفل ثنية الحجون فقال لا اجده ابدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليغتاله فراى اسادا تضرب بانيابها على راسه فاتحة افواهها فرجع على عقبه
مرعوبا فلقي ابا جهل فقال من اين فاخبره النضر بن الحارث الخبر فقال ابو جهل هذا
بعض سحره ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم اي وقودها وحصب بالزنجية حطب جهنم وقد قراها عايشة رضي الله عنها كذلك انتم
لها واردون لو كان هولا الهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش
وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد انا وما نعبد من الهتنا حصب جهنم فقال
بن الزبعرى انا اخصم لكم محمد ادعوه لي فدعوه له فقال له يا محمد هذا الشي لالهتنا
خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال بن الزبعرى
اخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة الست تزعم يا محمد ان عيسى عبد من دون

الله

الله وكذا عزير والملايكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وعبدوا مليح
الملايكة فضج الكفار وفرحوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملايكة باب سادس وعشرون في الهجرة
الاولى الى الحبشة وسبب رجوع من هاجر من المسلمين واسلام عمر رضي الله تعالى عنه
لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار
قريش مع عدم قدرته على انقادهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا في الارض فان الله
تعالى سيجمعكم قالوا الى اين نذهب قال هاهنا واشار بيده الى جهة ارض الحبشة
قال وفي رواية قال لهم اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد
وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه انتهى اي ويجوز ان يكون
قال ذلك عقب استفسارهم صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته وقد جا في الحديث من
فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة
وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر
اليها ناس ذو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر
باهله ومنهم من هاجر بنفسه فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان اول خارج
وقيل اول من هاجر الى الحبشة حاطب ابن ابي عمرو وقيل سليط بن عمرو ويدل لما قبله
قوله صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط اي حيث قال
اني مهاجر الى ربي فهاجرا الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجر عليهما الصلاة والسلام
حتى اتيا حران ثم هاجرا الى ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل
لوط عليه الصلاة والسلام الموتفكة ووجه عدم المنافاة ان كلا من حاطب
او سليط يجوز ان يكون هاجر بغير اهله وكان مع رقية ام ايمن حاضنته صلى الله
عليه وسلم وكانت رقية ذات جمال بارع ولذا كان عثمان رضي الله تعالى عنهما
ومن ثم كان النسا يتغنين بما يقولهن
احسن شي يرى انسان رقية وبعلها عثمان
ومن ثم ذكر انه صلى الله عليه بعث رجلا الى عثمان ورقية فاحتبس على الرسول

فلما جاء اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرتك ما حبسك قال
نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما اي وفي تتمة ان ذلك كان قبل ابنة الحا
ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليهما فتاذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا
جميعا وقدحا في وصف حسن عثمان قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان اردت
ان تنظر من اهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان وسياتي
ذلك مع زيادة وابو سلمة هاجر باهله ومعه زوجته ام سلمة اي وقيل هو اول من هاجر باهله
ويمكن ان تكون الاولية فيه اضافية فلا ينافي ما سبق عن عثمان وعامر بن ربيعة
هاجر ومعه امراته ليلى اي وعنها رضي الله عنها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
من اشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري اريد ان اتوجه الى ارض الحبشة
اذا انا بعمر بن الخطاب وقال الى اين يا ام عبد الله فقلت فقد اذيتمونا في
ديننا نذهب في ارض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء
زوجي عامر فاخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم
حتى يسلم حمار الخطاب اي استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على
اهل الاسلام وهذا دليل على ان اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو
كذلك خلافا لمن قال انه قال تمام الاربعين من المسلمين اي ممن اسلم ورده
ان المهاجرين الى ارض الحبشة كانوا فوق عشرين كما قال بعضهم قال اللهم
الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج المهاجرين الى ارض الحبشة فربما
يدل لذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الصديق في ضرب قومه
له رضي الله تعالى عنه لما قام خطيبا في المسجد الحرام وقد تقدم حيث
قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في رواية انهم اقاموا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا
وقد كان حمزة بن عبد المطلب اسلم يوم ضرب ابو بكر بلدنا مل وفي لفظ
عن ام عبد الله زوج عامر قالت انا لنرحل الى ارض الحبشة وقد ذهب
عامر يعني زوجها الى بعض حاجته اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي
وكنا نلقى منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه الخروج يا ام عبد الله

فقلت

فقلت نعم والله لنخرجن الى ارض الله فقد اذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله تعالى
لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورايت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف وقد رايت
فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا ابا عبد الله لو رايت ما وقع من عمر وذكر ما تقدم
وممن هاجر ابو سبرة وهو اخو ابي سلمة لامه امهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امراته ام كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن ابن
عوف وعثمان بن مظعون اي وكان اميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته
وقال الزهري لم يكن لهم امير وسهيل بن البيضاء اي والزبير بن العوام وعبد الله
ابن مسعود وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا سرا متسللين
منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم
فيهما بنصف دينار اي وفي المواهب وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف
دينار هذا كلامه فليتامل وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت
قريش في آثارهم حتى جاؤوا الى البحر فلم يجدوا احدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ما تقدم
عن ليلى امراة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها له بانها تريد ارض الحبشة فلما وصلوا
الى ارض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فلبثوا في ارض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان
فلما كان شهر رمضان قرا رسول الله على المشركين سورة والنجم اذا هوى اي وقد
انزلت عليه في ذلك الوقت وفي كلام بعضهم جلس يوما مع المشركين وانزل الله تعالى سورة والنجم
اذا هوى فقراها عليهم حتى اذا بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه
الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما اوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى اي الاصنام
وان شفاعتهن لترتجى وفي لفظ لهي التي ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التي هي طير الماء جمع
غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة او غرنوق بضم الغين والنون
ايضا او غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي او يشبهه ووجه الشبه
بين الاصنام وبين تلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام مشبهة لها
في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرا السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا اي
المسلمون والمشركون اقول قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان
وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا للتعظيم لالهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير

ايمان قال بعضهم والنجم هي اول سورة نزلت فيها سجدة اي اول سورة نزلت جملة
كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرا باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها
اوايلها كما علمت وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قرا يوما اقرا باسم ربك فسجد في اخرها وسجد
معه المومنون فقام المشركون على روسهم يصفقون لو قد روي ابو هريرة رضي الله تعالى
عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم اي غير سجدته المتقدمة التي سجد معه فيها المشركون
وبمجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شي
من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند ايمتنا ان اول
المفصل الحجرات على الراجح من اقوال العشرة لا يقال لعل ابن عباس ممن يري ان النجم ليس من
المفصل لانا نقول اقرا باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال ايمتنا يكون في
المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرا باسم ربك وهي اي النجم اول سورة
اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان راي من قومه كفا عنه اي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لا ينزل
علي شي ينفرهم عني وفي رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم
وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في
نادٍ من تلك الاندية حول الكعبة فقرا عليهم والنجم اذا هوى الى اخر ما تقدم والله اعلم
ومن جملة من كان من المشركين الوليد ابن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه
لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص وقيل كلاهما
فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك امية بن خلف وصحح وقيل عتبة ابن ربيعة وقيل ابو لهب وقيل
المطلب وقد يقال لا مانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل
ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابو لهب فقد جا وفيها سجد وسجد معه المومنون والمشركون
والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف
ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رايت الرجل اي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون
المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله تعالى يحيي
ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا نحن معك
فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت وفيه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يكبر عليه ذلك مع انه

موافق لما تمناه من الله ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم
ذلك عن سيرة الدمياطي الا ان يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له
ما جيتك بهاتين الكلمتين المذكورتين في قولنا قال فلما امسى اتاه جبريل فعرض عليه السورة
وذكر الكلمتين فيها فقال جبريل ما جيتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت على الله ما لم يقل اي فكبر عليه ذلك فاوحي الله تعالى اليه ما في سورة الاسرا
وان كادوا اي قاربوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره بموافقتك
لهم على مدح الهتهم بما لم ننزل به اليك واذا لو فعلت اي ذلك لاتخذوك خليلا الى قوله
ثم لا تجد لك علينا نصيرا مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم انه تكلم بذلك ظانا
انه من جملة ما اوحي اليه وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له على اقامته بالمدينة لين
كنت نبيا فالحق بالشام لانها ارض الانبيا حتى نومن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت
فرجع اي ليلا او ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في اهل مكة وقيل انها وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا
نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا
علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى
تلم بالهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى ان هذا مما تعددت اسباب نزوله والقاضي البيضاوي
اقتصر على ما عدا الاول والله اعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم
فظنها النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن سمعه انها من قوله صلى الله عليه وسلم اي حتى
قال فقلت على الله ما لم يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا اي دين
قومه حتى ذكر ان الهتنا لتشفع لنا وعند ذلك انزل الله تعالى قوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى قرا القى الشيطان في امنيته اي قراته مما يلبس من القران اي ما يرضاه
المرسل اليهم وفي البخاري اذا حدث القى الشيطان في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله
ثم يحكم الله اياته يثبتها والله عليم بالقاء ما ذكر حكيم في تمكينه منه ذلك يفعل ما يشا ليميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه ولم اقف على بيان احد من الانبيا والمرسلين وقع له مثل هذه وفيه كيف

يجتري الشيطان على التكلم بشي من الوحي ومن ثم هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا انها باطلة
وضعها الزنادقة ومن ثم اسقطها القاضي البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض
فقد قال هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما
اولع به المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب اي وقال البيهقي رواة هذه القصة
كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون
ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على الهتهم
فباطل لا يصح منه شي لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح الهة غير الله كفر ولا يصح
نسبة ذلك الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك اي والا لزم عدم الوثوق بالوحي وقال الفخر الرازي هذه
القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى اي والشيطان لا يجتري ان ينطق بشي من الوحي وقال بصحتها جمع منهم خاتمة
الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال رد عياض لا فايدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشى امر
تلك السجدة في الناس حتى بلغ ارض الحبشة ان اهل مكة اي عظماهم قد سجدوا واسلموا حتى الوليد
ابن المغيرة وسعيد ابن العاص وفي كلام بعضهم والناقل لما راى المشركين قد سجدوا متابعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم اسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر
بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقي بمكة
اذا اسلم هولا عشايرنا احب الينا فخرجوا اي خرج جماعة منهم من ارض الحبشة راجعين الى مكة
اي وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان ابن عفان والزبير بن العوام وعثمان ابن مظعون
وذلك في شوال حتى اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسالوهم عن قريش فقال
الركب ذكر محمد الهتهم بخير فتابعه الملا ثم عاد لشتم الهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم
على ذلك فائتمر القوم في الرجوع الى ارض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه
قريش ويحدث عهدا من اراد باهله ثم نرجع فدخلوا مكة اي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا
قال في الامتاع ويقال ان رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج
من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التعبير لانهم مكثوا في الشعب ثلاث
سنين او سنتين ومكث هولا عند النجاشي حينيذ كان دون ثلاثة اشهر كما علمت وايضا الهجرة الثانية

للحبشة

للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب كما سياتي قال في الاصل ولم يدخل احد منهم الا بجوار
الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى ارض الحبشة اي وهذا من صاحب الاصل
تصريح بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه الحافظ الدمياطي
لكن الحافظ الدمياطي جزم بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب
الاصل حكى خلافا انه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحاق حيث قال ابن مسعود انما كان في
الهجرة الثانية فكان ينبغي للاصل ان يقول على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل
احد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى ارض
الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن به انه لم يدخلها فلا ينافي
ما سبق ويجوز ان يكون اكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلق على الاصل انهم دخلوا مستخفين
فلا يخالف ما سبق ايضا ولما رجعوا لقوا من المشركين اشد ما عهدوه قال وممن دخل بجوار
عثمان ابن مظعون دخل في جوار الوليد ابن المغيرة ولما راى ما يفعل بالمسلمين من الاذى
قال والله لمن غدوي ورواحي امنا بجوار رجل من اهل الشرك واصحابي واهل ديني
يلقون من البلا والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا ابا عبد شمس
وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن اخي لعله اذاك احد من قومي
وانت في ذمتي فاكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي احد ولا اذاني ولكن ارضى بجوار
الله عز وجل واريد ان لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الي جواري اي
علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جا
يرد علي جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا استجير بغير الله
عز وجل فقد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم اني بري من جواره الا ان يشا
ثم انصرف عثمان ولبيد ابن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه
فجلس عثمان معهم فقال لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل فقال عثمان صدقت فقال
لبيد وكل نعيم لا محالة زايل فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد
يا معشر قريش ما كان يوذي جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا
سفيه من سفهاء قد فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان
فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال له اما والله

يا ابن اخي كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن
الذي لقيت غنيا فقال عثمان بل كنت الي الذي لقيت فقيرا والله ان عيني الصحيحة
التي لم تلطم لفقيرة الي مثل ما اصاب اختها في الله عز وجل ولي فيمن هو احب الي منكم
اسوة واني لفي جوار من هو اعز منك انتهى فعثمان فهم ان لبيدا اراد بالنعيم
ما هو شامل لنعيم الاخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول فلا يتاول لولا ان لبيدا
يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم الاخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز ان يكون
تشوشه من مشافهة عثمان له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا
الشعر قبل اسلامه يؤيده ما قاله اكثر اهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ اسلم
ويؤيده ما في الاستيعاب ان هذا اي قوله الا كل شي الى اخره شعر حسن فيه ما يدل
على اسلامه على انه قاله في الاسلام وكذلك قوله

وكل امرء يوما سيعلم سعيه * اذا كشفت عند الاله المحاصل *

وقد قال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يصدر غالبا الا عن مسلم ان يكون قاله في
حال اسلامه كما وقع لامية ابن ابي الصلت حيث قال في شعره ما لا يقوله الا مسلم
مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيها امن شعر امية وكفر قلبه وفي رواية كاد يسلم
وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته العرب
اي وفي رواية اشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل اعلم ان
الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا
غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته
فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل لان العالم قايم بالله
لا بنفسه فهو من هذه الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بداية عرفانه
ربما بلا تثبت هذه الكاينات وحجب عن شهودها بشهود الحق لانها زالت عن الوجود
بالكلية ثم اذا كمل عرفانه شهد الحق تعالى والخلق معا في ان واحد وما كل احد يصل
الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق
كما تقدم عند الكلام على الوحدة لانه لا بد ربها الا من ادرك اجتماع الضدين ولعل
من المشهد الاول قول الاستاذ الشيخ ابي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه استغفروا الله مما

سوى الله ان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته ويوافق قول اكثر اهل الاخبار
قول السهيلي واسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها
بيت شعر فساله عمر رضي الله تعالى عنه اي في خلافته عن تركه الشعر فقال
ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله تعالى البقرة وال عمران فزاده عمر في عطايه
خمسماية من اجل هذا القول فكان عطاوه الفين وخمسماية وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام

الحمد لله الذي لم ياتني اجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا *

قال وممن دخل بجوار ابو سلمة ابن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في
جوار خاله ابي طالب ولما اجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا ابا طالب
منعت منا ابن اختك محمدا فلك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن اختي
وانا ان لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب على اولئك الرجال وقال لهم
يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن
او لنقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما اراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا ابا
عتبة اي لانه كان لهم موليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي وطمع
ابو طالب في ابي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شانه صلى الله عليه
وسلم وانشد ابياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن اوذي في الله بعد اسلامه
ووقع له نظير ما وقع لعثمان ابن مظعون عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وسبب
اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدو اسلامي اي ابتداوه والسبب فيه قلنا نعم قال
كنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة
في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش اي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل
له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمة اي صوته وحسه وكان يخفي
اسلامه خوفا من قومه واخبرني ان اختي يعني ام جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل
زينب وقيل امنة قد صبيت اي اسلمت وكذا زوجها وهو سعيد ابن زيد ابن عمرو ابن
نفيل احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت اخت سعيد رضي الله
تعالى عنهما عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه
وقد ضم الى زوج اختي رجلين ممن اسلم اي احدهما خبابا بن الارت بالمثناة فوق
والاخر لم اقف على اسمه وفي السيرة الشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف
اليهما ليعلمهما القران فجيت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان
القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا اي واستخفوا
ونسوا الصحيفة فقامت المراة يعني اختي ففتحت لي فقلت لها يا عدوة نفسها
قد بلغني انك قد صبوت وضربتها بشي كان في يدي فسال الدم فلما رات الدم بكت
وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير
فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه اي وكان عمر
كاتبا فقالت لا اعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر
وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم ازل بها حتى اعطتنيه اي بعد ان اغتسل كما في
بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له يا اخي انك نجس على شركك فانه
لا يمسه الا المطهرون ولا تغتسل من الجنابة وهذا يخالف قول بعضهم ان اهل الجاهلية
كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان نجسا لفهم في ذلك من ابعد البعيد وكون هذا منها
بناء على انه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل
دفعت له تلك الرقعة وفي لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بالهته
ليردها اذا قراها فدفعتها له اي وطمعت في اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم
قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت اي نزعت ورميت بالصحيفة من يدي
ثم رجعت الى نفسي واخذتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
فكلما مررت باسم من اسماء الله عز وجل ذعرت اي فالقيتها ثم ترجع الي نفسي فاخذها
حتى بلغت امنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما
سمعوا مني وحمدوا الله ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا فقال اللهم اعز الاسلام وفي لفظ ايد الاسلام باحد الرجلين اما بابي جهل
ابن هشام واما بعمر ابن الخطاب اي في لفظ باحب هذين الرجلين اليك ابي الحكم

عمرو بن هشام

عمرو بن هشام يعني ابا جهل وعمر ابن الخطاب اي وفي غير ما رواية بعمر ابن الخطاب
من غير ذكر ابي جهل وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز اي ولعل قول عايشة ما ذكر نشا
عن اجتهاد منها واستبعاد ان يعز الاسلام بعمرو [illegible] وكان دعاوه يوم
الاربعا فاسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضي الله تعالى عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم
اخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في بيت باسفل الصفا ووصفوه
اي وهي دار الارقم فخرجت وفي رواية ان عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت
ابن الخطاب فما اجترى احد ان يفتح لي الباب لما علموا من شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يعلموا باسلامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده
وفي لفظ يهديه ياتيك الباب وفي لفظ ففتحوا لي اي والذي اذن في دخوله حمزة ابن
عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد اسلام حمزة بثلاثة ايام وقيل
بثلاثة اشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ستة وعشرين سنة قال واخذ رجلان بعضدي
حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم
فاخذ بمجامع قميصي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة اي وفي الاوسط
للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرب صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله
ايمانا اي ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لبشرا باسلام عمر وفي رواية لما ضرب
الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فراه متوشحا بسيفه اي ولم ير معه
خبابا وسعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر ابن
الخطاب متوشحا بسيفه ولم نر معه خبابا وسعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
نعوذ بالله من شره فقال حمزة ابن عبد المطلب فاذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له
وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء خيرا قبلناه وان
جاء بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى لقيه في صحن الدار فاخذ بحجزته وجبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب
فوالله ما ادري ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة وفي لفظ اخذ بمجامع ثوبه وحمائل
سيفه وقال ما انت منته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل الله
بالوليد بن المغيرة اي احد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله
جئتك لاؤمن بالله وبرسوله اشهد انك رسول الله وفي رواية اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبيرة عرفت وفي رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا
فقال عمر ابن الخطاب فقال حتى استاذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا
ادخله في الدين فقال لبلال افتح له واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه
وفي رواية اخذ بساعده وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس
وفي لفظ اخذ بمجامع ثيابه ثم نتره نترة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم هذا عمر ابن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر ابن الخطاب ما الذي تريد
وما الذي جئت له فقال عمر اعرض علي الذي تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاسلم عمر مكانه اقول
ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلامه واتيانه بالشهادتين في بيت اخته قبل خروجه
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامي لانه يجوز ان يكون مراده
بقوله جئت لاؤمن جئت لاظهر ايماني عندك وعند اصحابك اي وعند ذلك
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم يا ابن الخطاب اي اجدده وقوله للنبي صلى
الله عليه وسلم اعرض علي الذي تدعو اليه يجوز ان يكون عمر جوز ان الذي يدعو
اليه ويصير به المسلم مسلما اخص مما نطق به من الشهادتين والله تعالى اعلم
عمر واحببت ان يظهر اسلامي وان يصيبني ما يصيب من اسلم من الضرر
والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش واعلمته اني صبوت
اي وهو ابو جهل وقد جاء في بعض الروايات قال عمر لما اسلمت تذكرت

اي

اي اهل مكة اشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى اتيه فاخبره اني
قد اسلمت فذكرت ابا جهل فجئت له فدققت عليه الباب فقال من
بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الي فقال مرحبا واهلا يا ابن اختي ما جاء بك
قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة قال ابو جهل وما هي
يا ابن اختي فقلت اني قد امنت بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقت
ما جاء به فضرب الباب في وجهي اي اغلقه وهو يعني اجاف الباب كما في
بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به اي وانما كان ابو جهل
خال عمر قيل لان ام عمر اخت ابي جهل وقيل لان ام عمر بنت هشام بن
المغيرة والد ابي جهل خال لام عمر وقيل ان ام عمر بنت عم ابي جهل ومحمد
بن عبد السلام وعصبة الام اخوال الابن قال عمر وجئت رجلا
اخر من عظماء قريش واعلمته اني صبوت فلم يصبني منه شيء فقال لي رجل
تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعني قريشا في
الحجر واجتمعوا فات فلانا لشخص كان لا يكتم السر اي وهو جميل بن معمر رضي الله
عنه اسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى
ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في
خلافة عمر رضي الله عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه
اني قد صبوت قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت
منه واخبرته فرفع صوته باعلاه فقال الا ان عمر ابن الخطاب قد صبا
فما زال الناس يضربوني واضربهم فقال خالي يعني ابا جهل على الحجر واشار
بكمه وقال الا اني قد اجرت ابن اختي فانكشف الناس فصرت لا ارى
بعد ذلك احدا من المسلمين يضرب وانا لا اضرب فقلت ما هذا بشيء حتى
يصيبني ما يصيب المسلمين حتى جلس في الحجر وصلت الى خالي وقلت له
جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اختي فقلت بل هو ذاك فما زلت
اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام اي وفي السيرة الهشامية
بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة

وقميص موشي حتى دعد وقف عليهم اي وهو العاص بن وايل فقال ما شانكم قالوا صبا عمر
قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي ابن كعب مسلمين لكم
صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كانهم ثوب كشط عنه اي وفي البخاري
لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر في داره خايفا اذ جاءه
العاص بن وايل فقال له ما لك قال زعم قومك انهم سيقتلونني ان اسلمت اي اذا اسلمت
قال لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين تريدون
قالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه انا له جار فكر الناس وتصدعوا
عنه اي وذكر ان عتبة بن ربيعة وثب عليه فالقاه عمر الى الارض وبرك عليه
وجعل يضربه وادخل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه
احد الا اخذ بشراسيفه وهي اطراف اضلاعه وعن عمر رضي الله تعالى عنه
في سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته
قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف
القران فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرا ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع اي ومن ذلك ما في
السيرة الشامية عن عمر رضي الله تعالى عنه قال جيت المسجد اريد ان اطوف بالكعبة فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام اي صخرة
بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه بين الركن الاسود
والركن اليماني اي لانه يجوز لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينيذ كما تقدم
قال فقلت حين رايته لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول قال فقلت
لين دنوت منه استمع لاروعنه فجيت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني
الكعبة فجعلت امشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي فقرا الرحمن
حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القران
رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم ازل قايما في مكاني وذلك حتى قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

حسي عرفني ظن اني انما تبعته لاوذيه فنهمني اي زجرني ثم قال ما جابك يا ابن
الخطاب هذه الساعة قلت جيت لاومن بالله وبرسوله وبما جا من عند الله وفي رواية
ضرب اختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت في استار الكعبة فجا النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شا الله ثم انصرف فسمعت شيا لم اسمع مثله فخرج فاتبعته
فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعني لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو علي فقلت
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر اتسره قلت لا والذي بعثك بالحق
لا علننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي
بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته اي ويحتاج للجمع بين هذه
الروايات على تقدير صحتها ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمي قال ويمكن الجمع بتعدد الواقعة
قبل اسلامه هذا كلامه فليتامل ما فيه قال ومن ذلك اي مما كان سببا لاسلام عمر
ان ابا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم الهتكم وسفه احلامكم وزعم
ان من مضى من اسلافكم يتهافتون في النار الا ومن قتل محمدا فله علي مائة ناقة حمرا وسودا
والف اوقية من الفضة ولك كذا وكذا نافجة من المسك ولك كذا وكذا ثوب وغير ذلك فقال عمر لها
فقال لو انت لها يا عمرو وتعاهدوا معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي اي
جعلتها في منكبي اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت صوتا من جوفه
يقول يا ال ذريح صايح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فقلت في نفسي ان هذا الامر لا يراد به الا انا وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك من
اجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال احمر ذريحي اي شديد الحمرة ثم مر بي رجل اسلم وكان يكتم
اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم اي ابن عبد الله النحام كما تقدم فقال له اين تذهب
يا ابن الخطاب فقال اريد هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وسب الهتها
فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض
وقد قتلت محمدا فلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك اي زوج
اختك وابن عمك سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل واختك فقد اسلما فعليك وانا فعلة لك نعلمهم فيه
عن اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي لقيه سعد بن ابي وقاص فقال له اين تريد يا عمر
فقال اريد ان اقتل محمدا قال له انت اصغر واحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا ودعك بنو عبد مناف

ان تمشي على الارض فقال له عمر ما اراك الا وقد صبات قال وان يك فاتلك فقال سعد
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل
منهما على الاخر حتى كادا ان يختلطا ثم قال سعد لعمر مالك يا عمر لا تصنع هذا بختنك واختك
فقال اصبيا قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل اخته اي ولا مانع ان يكون لقي كلا من نعيم وسعد ابن
ابي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر وفي هذه الرواية وجد عندهم خباب ابن الارت معه
صحيفة فيها سورة طه يقراها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب
اي وترك الصحيفة فلما دخل قال لاخته ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا
غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت انكما يخاطب اخته وزوجها تابعتما
محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس على صدره واخذ بلحيته فقامت
اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها اي فلما رات الدم قالت له يا عدو الله اتضربني
على ان اوحد الله تعالى لقد اسلمت على رغم انفك فاصنع ما انت صانع فلما راى ما باخته
وما صنع بزوجها ندم وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة انظر هذا الذي جاء به محمد وكان
عمر كاتبا قالت اخشاك عليها فحلف ليردنها اذا قراها اليها فقالت له يا اخي انت نجس
ولا يمسه الا الطاهر فقام واغتسل اي وفي لفظ تذهب تغتسل فخرج اليها خباب وقال
لها اتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر قالت نعم اني ارجو ان يهدي الله اخي ورجع
خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قراها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يومن
بها واتبع هواه فتردى قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله انتهى اي وفي
رواية انه لما قرا الصحيفة قال ما احسن هذا الكلام واكرمه اي وقيل انه لما انتهى الى قوله
تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول هذا
ان لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو ان يكون الله
تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد
الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر ابن الخطاب فالله الله ادعوك يا عمر فقال له عند
ذلك دلني يا خباب على محمد حتى اتيه فاسلم اي عنده وعند اصحابه فلا ينافي ما في الرواية
الاولى انه اسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فمضى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث اقول ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة

ولم

ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته استخفى ولا منع خباب ورفيقه ثم ظهر
فاوقع به وباخته ما ذكر وانه في الرواية الاولى اقتصر على ذكر اخته والصحيفة تعددت
واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض والثانية فيها طه اقتصر في الرواية الاولى
على احداها وهي التي فيها سبح لله وفي الرواية الثانية على الاخرى وهي التي فيها طه وانه
في الرواية الاولى اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما لما اسلم عمر رضي الله تعالى عنه نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر اهل السما باسلام عمر قال وروى البخاري عن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر انتهى زاد بعضهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
والله لقد رايتنا وما نستطيع ان نصلي بالكعبة اي عندها ظاهرين امنين حتى اسلم عمر فقاتلهم
حتى تركونا فصلينا اي وجهروا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يجهرون الا سرا كما تقدم وعن صهيب
لما اسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم
ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين بعمر ابن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في الدر ومما
يوثر عن عمر رضي الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل على الله كفاه السيد هو الجواد
حين يسأل الحليم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعقل الناس اعذرهم
للناس وفي مختصر تاريخ الخلفا لابن حجر الهيتمي ان عمرا اول من قال اطال الله بقاك وايدك الله
قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ويروى ان الارقم
هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب ليصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال ما يخرجك اي من المدينة حاجة ام تجارة قال لا يا رسول
الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في
مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب
لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة اوصى ان يصلي عليه سعد بن ابي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق
فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غايب واراد الصلاة عليه فابى ولده
ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جا سعد وصلى على الارقم اي قيل لعمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه
ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مختفون قلت

يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على
الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفا والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت اجلس
فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هايب ولا خايف والذي بعثك بالحق لنخرجن
فخرجنا في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر له اي لذلك الجمع كديد ككديد الطحين اي كذلك
الجمع غبار ثاير من الارض لشدة وطي الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطي
ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابهم كابة لم يصبهم
مثلها اي فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه
الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوميذ الفاروق فرق الله تعالى بي بين
الحق والباطل اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الاخر
لهم كديد ككديد الطحين وفي رواية ان عمر قال له يا رسول الله لا ينبغي ان تكتم هذا
الدين اظهر دينك وفي رواية والله لا يعبد الله تعالى سرا بعد اليوم فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيفه ينادي لا اله الا
الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن
سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا
حول الكعبة وقروا القران جهرا وكانوا قبل ذلك لا يقدرون على الصلاة عند
الكعبة ولا يجهرون بالقراة وفي المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما حتى طاف
بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه
ان صلاة الظهر لم تكن فرضت حينيذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي
وقعت في ذلك الوقت اي ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداه
صلاها في وقت الظهر وعن عمر رضي الله تعالى عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول
لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول
الله انا شاكي يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع على
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساوه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن فنزلت اي وقد قال له بعض نسايه صلى الله عليه وسلم يا عمر اما في

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساه حتى تعظهن انت ومنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يصلي على عبد الله بن ابي بن سلول ففي البخاري لما توفي عبد الله بن ابي
جا ولده عبد الله رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه
قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان
ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
لانه يجوز ان يكون ارساله للقميص بسوال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه
قال في الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله
قميصه اي ولان الضنة بعدم ارسال القميص سيما وقد سيل فيه مخل بالكرم
وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن ناذن لك فقال لا ان
لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
له ذلك واكراما لابنه وفي هذا التصريح ان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية
ثم سال ابنه صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه اي فقال له اسالك ان تقوم على قبره لا تشمت
بي الاعدا اي وذكره بعد سوال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خيرني فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم وسازيد على السبعين وفي رواية اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا
اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت
عليه قال اني خيرت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر الله له لزدت عليه وصلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الاية وما الجمع بين قوله سازيد
على السبعين وقوله لو اعلم اني اذا زدت على السبعين يغفر الله له لزدت عليها ثم رايت

القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سبعين على السبعين انه صلى الله عليه وسلم
فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون ذلك حد الاجابة فخفي
حكم ما وراءه فبين له الحق سبحانه ان المراد التكثير بقوله في الآية الاخرى سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ
يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر الله له لزدت عليها فان هذا مقتضى
لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتأمل وفقه قال علي رضي الله تعالى عنه ان في القرآن
لقرآنا من رأي عمر وجاء ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر
وقد اوصل بعضهم موافقاته لربه التي نزل القرآن على وفق ما قال وما أراد الى اكثر من
عشرين اي وقد افردها بعضهم بالتأليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فاجاب عنها نظما
قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما نزل بالناس امر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو
ما قال عمر وعن مجاهد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل
الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته ما سيأتي في أسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت كذلك
ومنها ان بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم
في العمرة فاذن له وقال يا اخي لا تنسانا من دعائك اي وفي رواية يا اخي اشركنا في صالح
دعائك ولا تنسانا قال عمر ما احب لي بقوله يا اخي ما طلعت عليه الشمس وجاء لو كان بعدي نبي
لكان عمر ابن الخطاب وجاء اول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه وجاء ان الله تعالى
وضع الحق على لسان عمر يقول به ومن ذلك نزل القرآن على وفق ما قال مصعب بن عمير رضي
الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم أحد سمع الصوت ان محمدا قد قتل صار يقول وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت باب [illegible] وعشرون في اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب
ابني عبد مناف وكتابة الصحيفة لما اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
قد افسد ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش
وتريحونا وتريحوا انفسكم فابى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني
المطلب واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فيه تصريح بان شعب ابي طالب كان خارجا عن مكة
والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا ينكحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا ولا تأخذهم

بهم رأفة

بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اي وفي لفظ لا تنكحوهم
ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تبتاعوا منهم شيئا ولا تقبلوا لهم
صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة اي توكيدا على
انفسهم وقيل كانت عند خالة ابي جهل وقد يجمع بانه يجوز ان يكون كانت
عندها قبل ان تعلق في الكعبة على انه سيأتي انه يجوز ان الصحيفة تعددت وكان
اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة عند المقابر
فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا ابا لهب فانه ظاهر
عليهم قريشا وكان سنه حين دخل الشعب ستة واربعين سنة وفي الصحيح انهم في
الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت
العير مكة يأتي احدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته فيقوم ابو لهب
فيقول يا معشر التجار غالوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد
علمتم وفادتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا حتى يرجع الى اطفاله
وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يطعمهم به فيغدو التجار على ابي لهب فيربحهم
هذا كلامه ولعله لا منافاة بين خروج احدهم للسوق اذا جاءت العير بالميرة
الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم وكان دخولهم الشعب هلال
المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة
من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة اقول وفي رواية ان خروج بني هاشم وبني
المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم
عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وردت معه هديتهم وفقد صاحبه
الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين اي كما
سيأتي وظهور الاسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم على المسلمين واجمع
رأيهم على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى ابو طالب ذلك جمع بني هاشم
والمطلب مؤمنهم وكافرهم وامرهم ان يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب
ويمنعوه ففعلوا اي بنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئا واحدا لم يفترقوا حتى
دخلوا معهم في الشعب واعتزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول

ابو طالب في قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ۞ عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة اخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ۞ وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على ما مر لسوءهم الحديث وفيه انه سياتي ان خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية والذي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب والله اعلم

باب الهجرة الثانية الى ارض الحبشة

[illegible] رضي الله لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله اي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امراة وهذا بناء على ان عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك وكان من الرجال جعفر ابن ابي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد ابن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امراته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اي وبقيت ام حبيبة رضي الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سياتي عن ام حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت رايت في المنام كان عبيد الله بن جحش زوجي باسوء حاله وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين اصبح يا ام حبيبة اني نظرت في هذا الدين فلم ار دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك فاخبرته بما رايت له فلم يحفل بذلك واكب على الخمر [illegible] حتى مات فرايت في المنام كان آتيا يقول لي يا ام المؤمنين ففزعت واولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك اي وذكر ابن اسحاق ان ابا موسى الاشعري هاجر الى الحبشة ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدي فاعترض عليه في ذلك فعن ابي موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفرا واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة واستمروا الى ان قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سياتي وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحاق من ان ابا موسى الاشعري

هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فاقاموا بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة ابن الوليد ابن المغيرة التي ارادت قريش دفعه لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية للنجاشي والهدية فرس وجبة ديباج اي واهدوا لعظماء الحبشة هدايا لبرود من جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن يساره الدرر كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا اي ولم يدخلوا في دينكم بل جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردهم اليهم قال واين هم قالوا بارضك فارسل في طلبهم اي وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى اعلم على اي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك اي وفي لفظ لا يحيون لك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاءوا قال لهم جعفر رضي الله تعالى عنه انا خطيبكم اليوم اي فانه لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون في الرجل اذا جئتموه قال جعفر ما ذكروا قالوا انما نقول ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر بالباب وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه وسلم فقال له الملك ما لك لا تسجد وفي لفظ ان عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما اجابهم به اعظم قالوا للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان لا تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي احيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذاك قال لان الله تعالى ارسل فينا رسولا وامرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا اي وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل اي وامرنا بالصلاة اي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي اي وركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكاة اي مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة اي في السنة الثانية او مراده بالزكاة الطهارة قال عمرو ابن العاص

للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله قال فما تقولون في ابن الله وامه
قالوا نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته القاها الى مريم العذرا اي البكر البتول اي
المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفرضها اي يشقها ويخرج منها ولد اي غير
عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان
ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل اي
ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة
الله تعالى انه قال كن فيكون اي حصل في حال القول وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده
من القسيسين والرهبان انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين
عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا اي صفته ما ذكر هؤلاء فقالوا اللهم
نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر
بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما انا فيه من الملك لاتبعته فاكون انا الذي
احمل نعله واوضيه اي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم اي امنون بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط
نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ قال اذهبوا فانتم امنون من سبكم غرم
قالها ثلاثا اي اربع دراهم واضعفها كما جا في بعض الروايات وامر بهدية
عمرو ورفيقه فردت عليهما وفي لفظ ان النجاشي قال ما احب ان يكون لي دبرا من
ذهب اي جبلا من ذهب وانا اوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة
لي بها فوالله ما اخذ الله تعالى مني الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة
وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي اعلم النصارى بما انزل على عيسى
وكان قيصر يرسل اليه علما النصارى لياخذوا عنه العلم اي وتدلت عايشة
رضي الله تعالى عنها السبب في قول النجاشي ما اخذ الله تعالى مني الرشوة حين
رد علي ملكي وهو ان والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا اخاه الذي
هو عم النجاشي فنشا النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثني عشر ولدا لا يصلح
واحد منهم للملك فلما رات الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم
لقتلهم لابيه فمشوا الى العم في قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان عشا تلك الليلة

موت عليه عمه صاعقة فمات فلما رات الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي ذهبوا
وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة
حسنة وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى
بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا
في طلبه واتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سياتي عنه ان عنده وقعة بدر ارسل
خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب
والرماد فقالوا له ما هذا ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى
اذا احدث لعبده نعمة وجب على العبد ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى
قد احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداوه
بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة
وان الله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي ان نجاه عندما تليت
عليه سورة مريم اي كما سياتي حتى اخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب
حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة قال عن جعفر بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنه لما نزلت ارض الحبشة جاورنا خير جوار امنا على ديننا وعبدنا
الله تعالى لا نوذي ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ايتمروا ان يبعثوا رجلين
جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما ياتيه
منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا
اهدوا له هدية اي هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت
فرس وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية
الادم فرق على اتباعه لبطارقته وتوهما على ما جا بصدده والاقتصار على الجبة والفرس
في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص وقالا لهما
من النجاشي ان يسلمنا لهما اي قبل ان يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما اوصلا
هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا قبل ان
يكلمهم اي موافقة لما وصت عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته
قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسالاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فقدما

الي الملك قالا له ايها الملك انه قد صبا الي بلدك منا غلمان سفها فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا ابدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت اي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفها وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابايهم واعمامهم وعشايرهم لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقالوا بطارقته صدقوا ايها الملك قومهم اعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الي بلادهم وقومهم فغضب النجاشي فقال لاها الله ايم الله لا اسلمهم ولا يكاد قوم جاوروني وتركوا بلادي واختاروني على من سواي حتي ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من امرهم فان كانا يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهما منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم لا تسجدون للملك فقلنا ما نسجد الا لله عز وجل فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسي الجوار وياكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتي بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الي من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الي الله تعالي لنوحده ونعبده ونخلع اي نترك ما كان نعبد اباونا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد الله تعالي وحده وامرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة اي مطلق الصدقة والصيام اي ثلاثة ايام من كل شهر اي وهي البيض او ثلاثة اي على الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدما اي ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وامنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الي عبادة الاصنام واستحلال الخبايث فهربنا فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا جينا الي بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شي قلت نعم قال فاقراه علي فقرات عليه صدرا من كهيعص فبكي والله النجاشي حتي اخضل لحيته وبكت اساقفته وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شي فقال جعفر نعم قال فاقراه على قال البغوي فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه و[illegible] به بالدمع

وقالوا

وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسي اي وفي رواية ان هذا والذي جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة اي وهذا كما قيل يدل على ان عيسي كان مقررا لما جاء به موسي وفي رواية بدل موسي عيسي ويويده ما في لفظ انه قال ما زاد هذا على ما في الانجيل الا هذا العود لعود كان في يده اخذه من الارض وفي لفظ ان جعفرا قال للنجاشي سلهما اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاوه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا زاد في رواية ولو اعطيتموني دبرا من ذهب اي جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الي النجاشي اي في اليوم بعد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسي قولا عظيما اي يقولون انه عبد اي وانه ليس ابن الله اي وفي لفظ ان عمروا قال للنجاشي ايها الملك انهم يشتمون عيسي وامه في كتابهم فاسالهم فذكر له جعفر ما تقدم في الرواية الاولي هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتامل وروي الطبراني عن ابي موسي الاشعري بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينه وبينه في سفرها اي من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فتن امراة عمرو وهويته فقال هو وايا ها في السفينة فقال له عمارة مر امراتك فتقبلني فقال له عمرو الا تستحي فاخذ عمارة عمروا ورمي به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي اصحاب السفينة ويناشد عمارة حتي ادخله السفينة واضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامراته قبلي ابن عمك عمارة ليطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انت رجل جميل والنسا يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتي اهدت اليه من عطرها اي ودخل عندها يوما فلما راي عمرو ذلك اتي النجاشي واخبره بذلك اي فقال له ان صاحبي هذا صاحب نسا وانه يريد اهلك فهو عندها الان فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امراته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعي بساحر فنفخ في احليله نفخة طار منها هايما على وجهه مسلوب العقل يلحق بالوحوش في الجبال الي ان مات على تلك الحال اي وفي شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة ابن الوليد

ان المرء لم يترك طعاما يحبه ۞ ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة ۞ اذا ذكرت امثالها يملا الفما

ولازال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وانه
بعض الصحابة وهو ابن عم عبد الله بن ابي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وقد استاذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله تعالى عنه فسار عبد الله الى
ارض الحبشة واكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتى اخبر انه في جبل يرد مع الوحوش
اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجا اليه ومسكه فجعل يقول ارسلني والا
اموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسياتي بعد غزوة بدر انهم ارسلوا
للنجاشي عمرو بن العاص ايضا وعبد الله بن ابي ربيعة هذا كان اسمه قبل ان يسلم بحيرا
فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة الذي هو ابو عبد الله كان
يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هي ام ابي جهل ابن هشام فهو اخو ابي جهل
لامه ارسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل في بدر
ومن العجب ان صاحب المواهب ذكر ان ارسال قريش لعمرو ابن العاص وعبد الله ابن ابي
ربيعة ومعهما عمارة ابن الوليد في الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة في الهجرة
الثانية وابن ابي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله
ابن ابي ربيعة ارسلته قريش مرتين الا انه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا ارسلت
في امر من هاجر الى الحبشة مرتين الاولى ارسلت عمرو ابن العاص وعمارة والثانية ارسلت
عمرو ابن العاص وعبد الله ابن ابي سفيان فليتامل ومكث بنوهاشم في الشعب
ثلاث سنين وقيل سنتين في اشد ما يكون من البلا وضيق العيش وولد عبد الله ابن عباس
في الشعب فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما اصاب كاتب الصحيفة
اي من شلل يده كما تقدم وصار لا يقدر احد ان يوصل اليهم طعاما ولا ادما حتى ان ابا جهل
لقي حكيم ابن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي معه
في الشعب فتعلق به وقال اتذهب بالطعام الى بني هاشم والله لا تذهب انت وطعامك
حتى افضحك بمكة فقال له ابو البختري بن هشام مالك وماله فقال ابو جهل انما يحمل
الطعام لبني هاشم فقال ابو البختري طعام كان لعمته عنده افتمنعه ان ياتيها خل سبيل الرجل

فابا ابو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البختري لحي بعير اي العظم الذي
تنبت عليه الاسنان فضربه فشجه ووطيه وطيا شديدا وابو البختري بالحا المهملة وفي
مختصر اسد الغابة بالخا المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وحتى ان هاشم بن عمرو بن الحارث
العامري رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم في ليلة ثلاثة احمال
طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه في ذلك فقال اني غير عائد لشي
خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا حملا وقيل حملين فعلمت به قريش فغالظته اي اغلظت له
القول وهمت به فقال ابو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل رحمه اما اني احلف بالله
لو فعلنا مثل ما فعل كان احسن بنا وكان ابو طالب في ليلة يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتي فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس امر احد بنيه او غيرهم اي
من اخوانه او بني عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه ان يغتاله احد ممن يريد به
السو اي في الشعب وولد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم اطلع الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم على ان الارضة وهي سوسة تاكل الخشب اذا مضى عليها سنة نبت لها جناحان
تطير بهما وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام اكلت
ما في الصحيفة من ميثاق وعهد اي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع
فيها اسما لله تعالى الا اثبتته فيها وفي رواية ولم تترك الارضة في الصحيفة
اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم اي والرواية
الاولى اثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين فانهم كتبوا نسخا فاكلت
الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى واكلت من بعض ما عدا اسم الله تعالى
لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهى اي والتي علقت في الكعبة هي التي لحست تلك
الدابة ما فيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما ياتي فذكر ذلك لعمه ابو طالب فقال
له عمه والثواقب اي النجوم لانها تثقب الشياطين وقيل التي تضي لانها تثقب
الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها اشد النجوم ضوءا ما كذبتني قط اي
ما حدثتني كذبا وفي رواية انه قال له اربك اخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق
في عصابة اي جماعة من قومه اي من بني هاشم وبني المطلب اي وفي رواية
ان ابا طالب لما ذكر لاهله قالوا له فما ترى قال ارى ان تلبسوا احسن ثيابكم وتخرجوا

الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر فخرجوا حتى اتوا المسجد على خوف من قريش
فلما راتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلا ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتل فتكلم معهم ابو طالب وقال قد جرت امور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم التي فيها
مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلحا اي مخرجا يكون سببا للصلح وانما قال
ابو طالب ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بها اي فلا ياتون بها فاتوا
بصحيفتهم لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم اي لانه الذي وقعت عليه
العهود والمواثيق ووضعوها بينهم وقالوا لابي طالب اي توبيخا له ولمن معه قد آن لكم
ان ترجعوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما اتيتكم في امر نصف بيننا
وبينكم اي امر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم ان ابن اخي اخبرني ان هذه الصحيفة التي في
ايديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك اسما من اسماء الله سبحانه الا لحسته وتركت فيها
غدركم وتظاهركم علينا بالظلم **اقول** هذا على الرواية الثانية واما على الرواية الاولى التي هي
اثبت فيكون قوله لم تترك اسما الا اثبتته ولحستغدوا بنقكم وعهدكم **ثم رايت ابن الجوزي**
ذكر ذلك فقال ان ابا طالب قال ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على
صحيفتكم التي كتبتم الارضة فلحست كل ما كان فيها من جور او ظلم او قطيعة رحم وبقي فيها
كلما ذكر به الله تعالى **وفي الينبوع** ان ابا طالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم
هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن اخي اخبرني ان الله تعالى سلط عليها الارضة
فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله اعلم قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول
فانتبهوا **اي** وفي رواية نزعتم اي رجعتم عن سوء رايكم اي وان لم ترجعوا فوالله
لا نسلمه حتى نموت من عند اخرنا وان كان الذي يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم
او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي تقوله **اي** وفي رواية انصفتنا ففتحوا
الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما رات
قريش صدق ما جاء به ابو طالب قالوا اي اكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا
وعدوانا وبعضهم نكس وقال هذا بغي منا على اخواننا وظلم لهم اي وقد جاء ان ابا طالب
قال لهم اي بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش علام نحصر ونحبس
وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا

اللهم

اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند
ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة في نقض الصحيفة اي ما تضمنته وهم هشام بن عمرو
ابن الحارث وزهير ابن امية بن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم بعد ذلك
كالذي قبله كما تقدم والمطعم بن عدي مات كافرا كما تقدم وابو البختري بن هشام قتل ببدر
كافرا كما تقدم وزمعة ابن الاسود قتل ببدر كافرا **واختلف** في كاتب الصحيفة فعند ابن سعد
انه بغيض بن عامر فشلت يده ولا يعرف له اسلام وعند ابن اسحاق ان الكاتب لها هشام
ابن عمرو المتقدم ذكره **قال** وقيل ان الكاتب لها منصور ابن عكرمة اي فشلت
يده نبا بن عمون كذا في النور نقلا عن سيرة ابن هشام وقيل النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه اي وهو ممن قتل على كفره فنص قد صلى الله عليه وسلم
من بدر وقيل الكاتب لها طلحة بن ابي طلحة العبدري **قال** ابن كثير والمشهور انه منصور وجمع
بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ اي فعل كتب نسخة انتهى **اي** وينبغي
ان يكون الذي شلت يده هو كاتب الصحيفة التي علقت في الكعبة ولعلها هي التي كتبت اولا
والى اكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ ✻ ـسة اذا كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير ✻ حمد الصباح امره والمساء
يا لامر اتاه بعد هشام ✻ زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدي ✻ وابو البختري من حيث ساؤوا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ ✻ اشتدت عليه من العدا الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منسا ✻ ة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم ✻ اخرج خبأ له الغيوب خباء

اي فديت خمسة الصحيفة اي الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا
وتراودوا واستوروا بالجحون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم
ذلك الفعل يا لامر عظيم وهو نقض الصحيفة اتاه بعد هشام زمعة بن الاسود وانه
الكريم في قومه الاتاء اي المبالغ في ابناء الخير واتاه زهير واتاه المطعم ابن عدي واتاه
ابو البختري من المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة اي الامر الذي ابرمته اذكرتنا

الارضة الحرسا باكلها تلك الصحيفة منساة عصاة سليمان وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ومرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم شيا مخبا المعيوب له سائرة والمراد ان كل واحد من هولا الخمسة
الذين نقضوا الصحيفة فدي باوليك الخمسة المستهزيين من الاذي الذي اصابهم المتقدم ذكره
ولا ينافي ان بعض هولا الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا **قال** جا هشام بن عمرو بن الحارث
رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن امية بن عاتكة بنت عبد المطلب
رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم فقال له يا زهير ارضيت ان تاكل الطعام
ونلبس الثياب واخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فما ذا
اصنع انما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل اخر لقمت لانقضها يعني الصحيفة قال وجدت
رجلا قال من هو قال انا فقال له زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال يا مطعم
ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني عبد المطلب وانت شاهد
على ذلك فقال له ويحك ماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت
انا قال ابغنا ثالثا قلت قد فعلت قال من هو قلت زهير بن امية قال ابغنا رابعا فذهبت
الى ابي البختري بن هشام فقلت له نحوا مما قلت للمطعم فقال وهل معين على هذا الامر
قلت نعم قال من قلت زهير بن امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا
فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من احد يعين على ذلك فسميت له القوم
ثم ان هولا اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة
حتى ينقضوها وقال زهير انا ابدوكم فاكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم
وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام
ونلبس الثياب وبنو هاشم اي والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد
حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق قال
زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البختري
صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى الله منها ومما كتب
بها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بالليل فقام المطعم ابن
عدي الى الصحيفة يشقها انتهى **اي وهذا** يدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست
اسم الله تعالى وابقت ما فيها من العهود والمواثيق والا فعرفوا ذلك منها لا معنى لشقها **وفي**

كلام

كلام بعضهم يحتمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي ويبعد
ان الاخبار بذلك حينيذ ليس له كبير جدوى وقام هولا الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح
ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

باب تاسع عشر في

ذكر خبر وفد نجران ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة
بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحو عشرين رجلا
حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وسالوه
وكلموه ورجال من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلى عليهم
القران فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وامنوا به وعرفوا منه ما هو
موصوف به في كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم
الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون اي تنظرون الاخبار لهم لتاتوهم
بخبر الرجل فلم تطمين مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا احمق
اي اقل عقلا منكم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه **ويقال** نزل فيهم
قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق **وذكر** في الوفا وفود
ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ضمادا
قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من الريح اي ولعل المراد به الالمة من الجن فسمع سفهاء
من اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رايت هذا الرجل لعل الله ان يشفيه
على يدي قال فاتيته فقلت يا محمد اني ارقي من الريح فان الله يشفي على يدي من شا فهل لك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن
يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
فقال له ضماد اعد علي كلماتك هولا فاعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعرا فما سمعت مثل كلماتك هولا
هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك
فقال وعلى قومي

باب ثلاثون في وفاة عمه ابي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم

خديجة رضي الله تعالى عنها ليعلم انهما ماتا في عام واحد اي بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوما او الي موتهما في عام واحد اشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه ابو طالب والدهر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العام ونالت من احمد الاعداء

وذلك قبل الهجرة الي المدينة بثلاثة سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم اي من مجي جبريل له بالوحي وهو يرد قول ابن اسحاق ومن تبعه ان خديجة ماتت بعد الاسرا واراده كلام صاحب الهمزية ان موت خديجة كان بعد ابي طالب وقيل كانت وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ابي طالب بخمس وثلاثين ليلة ويويد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها بثلاثة ايام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت ه وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة من خصايص هذه الامة لكنه ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال روي ان ادم عليه السلام لما توفي اتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملايكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلي عليه وصلت الملايكة خلفه ثم اقبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه السلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا اصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه اي ويبعد انه لم يعلم ذلك بعد القول المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعا لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما في العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم لما مات قال لولده شيث يا جبريل صل عليه فقال له جبريل بل انت تقدم فصل عليه وكبر ثلاثين تكبيرة وذكر اخرج الحاكم نحوه موقوفا وقال صحيح الاسناد ومنه يعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرايع القديمة بنا على ان المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعا وحينيذ لا يحسن القول بان صلاة الجنازة من خصايص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من كونها من الشرايع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كانت لذلك لفعلوا ذلك وسياتي عنهم انهم لم يفعلوا ذلك وايضا لو كانت معروفة لهم نصلي صلى الله عليه وسلم على خديجه ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة ام المومنين

رضي الله تعالى عنها الذي هو زوجها وسياتي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البرا بن معرور قد مات فذهب هو واصحابه فصلي على قبره وانها اول صلاة صليت على الميت في الاسلام ومعرور معناه في الاصل مقصود لا يقال لا يجوز ان يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعا لانا نقول قد جا انه كبر في صلاته اربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلي وسياتي عن الامتاع لم احد في شي من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلي على اسعد بن زرارة وقد مات في السنة الاولي ولا على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية وفي كلام بعضهم صلاة الجنازة فرضت في السنة الاولي من الهجرة واول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة فليتامل وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم ولي الميت بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن اي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن ولزم بيته واقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه خمسة وعشرين سنة على الصحيح ويذكر انه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي مريضة فقال لها يا خديجة اتكرهين ما اري منك وقد يجعل الله في الكره خيرا شعرت ان الله تعالى قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية اما علمت ان الله تعالى قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسي وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيميا واسية امراة فرعون قالت الله اعلمك بهذا يا رسول الله وفي رواية الله فعل ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفا والبنين زاد في رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفا والبنين هو دعا كان يدعي به في الجاهلية عند التزوج المراد منه الموافقة والملايمة ماخوذ من قولهم رفات الثوب ضممت بعضه الي بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهي عن ذلك وفي الامتاع ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه جا الي مجلس المهاجرين الاولين في الروضة فقال رفيوني فقالوا ماذا يا امير المومنين قال تزوجت ام كلثوم بنت علي هذا كلامه ولعل النهي لم يبلغ هولا الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وفي الشهر الذي ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الي ارض الحبشة

الهجرة الثانية ثم رجع بها الي مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصدقها اربعمائة درهم وقد كانت رات في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطي عنقها فاخبرت
زوجها فقال لئن صدقت روياك اموت ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رات
في ليلة اخري ان قمرا انقض عليها من السما وهي مضجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث
حتي اموت فمات من يومه ذلك ٥ وعقد علي عايشة رضي الله تعالي عنها وهي بنت ست
اوسبع سنين في شوال بعرض خولة بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت
خديجة يارسول الله الا تتزوج قال من قلت ان شيت بكرا وان شيت ثيبا قال فمن البكر قلت
أحبّ خلق الله اليك بنت ابي بكر رضي الله تعالي عنها قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة
قد امنت بك واتبعتك علي ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت علي سودة
بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي علي ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا
كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شانك
قلت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفو كريم قال ما تقول صاحبتك
قلت تحب ذلك قال ادعها لي فدعوتها قال اي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفو كريم اتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال
ادعه لي فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم اخوها عبد الله بن زمعة
وقد بلغه ذلك صار يحثي علي راسه التراب ولما اسلم قال لعمرك اني لسفيه يوم احثي علي
راسي التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني اخته وذهبت خولة الي ام
رومان ام عايشة فقالت لها ما ادا ادخل عليكم من البركة والخير قد ارسلني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة قالت انتظري ابا بكر حتي ياتي فجا ابو بكر فقلت يا ابا بكر
ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذا قلت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخطب عليه عايشة قال وهل تصلح اي تحل له انما هي بنت اخيه فرجعت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي
تحل فرجعت فذكرت ذلك له فقالت ام رومان ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها علي ابنه جبير
ووعده والله ما وعد وعدا قط فاخلفه يعني ابا بكر فدخل ابو بكر علي مطعم وعنده امراته ام ابنه

الذكور

المذكور فكلمت ابا بكر عما اوجب ذهاب ما كان في نفسه من عدته للمطعم اي قال المطعم لما قال
له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم علي امراته وقال لها ما تقولين يا هذه
فاقبلت علي ابي بكر وقالت له لعلنا ان انكحنا هذا الفتي اليكم تصبيه وتدخله في دينك الذي انت
عليه فاقبل ابو بكر علي المطعم وقال له ماذا تقول انت فقال انها تقول ما تسمع فقام ابو بكر
وليس في نفسه من الموعد شي فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه
اياها وعايشة حينيذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم ان العقد
علي سودة تقدم علي العقد علي عايشة لان العقد علي سودة كان في رمضان الشهر الذي
ماتت فيه خديجة وعلي عايشة كان في شوال ثم رايت بعضهم ذكر ان خولة ذهبت الي طلب عايشة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل دخوله بها لسودة وعقد عليها ولا يخفي المخالفة ان يراد
بالعقد علي سودة الدخول بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل دخوله بها لسودة
ولما اشتكي ابو طالب اي مرض وبلغ قريش ثقله اي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض
ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا امر محمد في قبايل العرب وقريش كلها فانطلقوا بنا
الي ابي طالب فلياخذ لنا علي ابن اخيه وليعطه منا فانا والله ما نامن ان يبتزونا
امرنا اي يسلبونه ومنه قولهم من عز بز اي من غلب اخذ السلب اي وهو الثياب
التي هي البز وفي لفظ انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شي اي قتل محمد كما
في بعض الروايات فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتي اذا مات عمه تناولوه فمشي اليه
منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان رضي الله تعالي عنه
فانه اسلم ليلة الفتح كما سياتي وارسلوا رجلا يدعي المطلب فاستاذن لهم علي ابي طالب فقال
هولا شيخة قومك وسرواتهم يستاذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب
انت منا حيث قد علمت وفي لفظ قالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما تري وتخوفنا
عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا
ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه ابو طالب فجاء قال ولما دخل على
ابي طالب وكان بين ابي وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشي ابو جهل ان يجلس النبي صلى الله
عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب ابو جهل فجلس فيها فلم يجد صلى الله عليه وسلم
مجلسا قرب ابي طالب فجلس عند الباب انتهي وفي الوفا انه قال خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن

بفا علينا وما انت باحق به منا فان لنا قرابة مثل قرابتك فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هولا اشراف قومك وفي لفظ هولا شيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ سالوك النصفة وفي لفظ اعط سادات قومك ما سالوك فقد انصفوك ان تكف عن شتم الهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ان اعطيتكم ما سالتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم اي تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وابيك عشر كلمات وفي لفظ لنعطيكها وعشرا معها فما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا يا محمد اتريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق الى اخر الايات

وفي لفظ قالوا نسمع بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق وفي لفظ قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان ابا طالب قال يا ابن اخي هل من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها فقال يا عم ما انا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جيتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سالتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفي لفظ قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يامرك بهذا اي وفي لفظ لتكفن عن سب الهتنا او لنسبن الذي امرك بهذا قال في الينبوع وهذه احسن من الاولى لانهم كانوا يعرفون الله ويحبونه وما كانوا ليسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون ان الله امره بذلك وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان تنهى محمدا عن سب الهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الاية باق في هذه الامة فاذا كان الكافر في منعة وخيف ان يسب الاسلام او النبي او الله والرسول فلا يحل للمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخي ما رايتك سالتهم شططا اي بالحا والطا المهملتين امرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله

اسر

صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة اي لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما راى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السبة اي العار عليك وعلى بني ابيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا اي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخا المعجمة والراي اي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما ارى من شدة وجدك لكني اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية اي وعن مقاتل ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عم يا امرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخي قد علمت انك صادق لكني اكره ان يقال الحديث قال في الهدي وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تاملها اي وكذا اقرباوه وبنو عمه تاخر اسلام من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباوه وبنو عمه الى الايمان به لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته يقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفيه لم يثبت ان العباس ذكر ذلك بعد الاسلام وايضا نزول الاية حيث ثبت ان نزولها في حق ابي طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما في الصحيح عن العباس انه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحيط ويتعصب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته اي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من النار فاخرجته ضحضاح اي وفي لفظ اخر قال نعم هو اي يوم القيامة في ضحضاح من النار لولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند العباس ما سال هذا السوال ولا داها بعد الاسلام اذ لو اداها لما انتفت وقد يقال انما سال هذا السوال ولم يجد الشهادة بعد الاسلام لانه لما قال له صلى الله عليه وسلم اولا لم اسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لا يعتد بها سال هذا السوال

وفهم ان اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيا ويرده ايضا ماجا في رواية انه صلى
الله عليه وسلم لما اكرر على ابي طالب ان يقول كلمة الشهادة وهو يابي الى ان قال هو على دين
عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم انا والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك اي عن
الاستغفار لك فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا معه ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين انهم اصحاب الجحيم اي وتقدم ان سبب نزول
هذه الاية طلب استغفاره لامه عند زيارة قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب
النزول لجواز انه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين امه وعمه لان امه لم تدع الاسلام
خلاف عمه وفي منع استغفاره لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله يوم احد اللهم
اغفر لقومي لان ذلك اي غفران الذنوب مشروطا بالتوبة اي الاسلام فكانه يدعو لهم
بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي اي للاسلام قال وايضا ما في
صحيح ابن حبان عن علي رضي الله تعالى عنه قال لما مات ابو طالب اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الضال قد مات قال اذهب فواره قال علي رضي
الله تعالى عنه فلما واريته جيت اليه فقال لي اغتسل اقول اي لانه غسله ويدل له قوله
صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل ايمتنا على ان من غسل ميتا مسلما او
كافرا استحب له ان يغتسل وروى البيهقي خبر عليا رضي الله تعالى عنه غسله يامر النبي صلى
الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى عنه لما اخبرت النبي صلى
الله عليه وسلم بموت ابي طالب بكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له
ورحمه واما ما روى انه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه ابي طالب فقال وصلتك رحم وجزيت
خيرا يا عم فقال الذهبي هو خبر منكر والله اعلم وجا ايضا انه ذكر عنده صلى الله عليه وسلم
عمه ابو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة
فيجعل في ضحضاح من النار اي مقدار ما يغطي بطن قدميه وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ
كعبيه يغلي منهما دماغه وفي لفظ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيامة شفعت لابي وامي وعمي ابي طالب واخ لي كان في الجاهلية يعني اخاه
من الرضاعة من حليمة كما في رواية تاتي اقول يجوز ان يكون ذكر شفاعته لابويه
كان قبل احيايهما وايمانهما به كما قدمناه جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله اعلم وفي

لفظ

لفظ اخر شفعت في ابي وعمي ابي طالب واخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث
هبا وهما يستانس لايمان ابيه ما جا انه صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة وقد عزت
الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدا بالدال المهملة او الكرا بالرا يعني القبور
فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدا ما رايت الجنة حتى يراها احد ابيك يعني عبد المطلب
ولم يقل جدك يعني الذي هو عبد الله وتقدم القول بان حليمة واولادها اسلموا وعليه
فيجوز ان يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم اخوه من الرضاعة كما تقدم
مثله في ابيه وامه وفي الحديث الاول من هو منكر الحديث وفي الثاني من هو ضعيف
وقال فيه ابن الجوزي انه موضوع بلا شك اي وهذا اي قبول شفاعته في عمه ابي طالب
عد من خصايصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي
تنفعهم شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية اي وفي هذا الثاني انه لا يناسب
ان شفاعته لهم ان يكونوا من بعد البعث هبا الا ان يقال انه لم يستجب له في ذلك اي في
صيرورتهم هبا قال وجا ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اهون اهل النار اي وهم الكفار عذابا ابو طالب وهو ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه
اي وفي رواية كما يغلي المرجل اي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه وفي رواية كما
يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه
يفعل ذلك اهل الحاجة وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة
الرافضة ان ابا طالب اسلم واستدل له باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اي
وقد قال وقفت على جز جمعه بعض اهل الرفض اكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة
على اسلام ابي طالب ولم يثبت من ذلك شي وروى ابو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثني
محمد ان الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن اخي الامين
يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهي وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي ان ابا طالب ممن امن
بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول اني لاعلم انما يقوله ابن اخي
لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نسا قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان
غير انه لم يذعن للاحكام وفيه ان الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك
منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا

من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكين من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وابو طالب طلب منه ذلك وامتنع وقد روى الطبراني عن ام سلمة ان الحارث بن هشام اي اخا ابي جهل ابن هشام اتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وايواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المساكين وكل هذا مما يفعله هشام يعني والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه ان لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي ابا طالب في طمطام من النار فاخرجه الله لمكانه مني واحسانه الي فجعله في ضحضاح من النار وذكر ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجها قريش فاوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه وشرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة اوصيكم بتعظيم هذه البنية اي الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش اي والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن اي البغض والمولعة في الشنآن وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤسا قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد وفي لفظ اخر انه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا ولما مات ابو طالب

نالت

نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على راس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن راسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيئا اكرهه اي اشد الكراهة حتى مات ابو طالب وتقدم في بنيان بعض ما اوذي به قال ولما راى قريشا تهجموا قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ ابو لهب ذلك قام ابو لهب لنصرته اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى اموت واتفق ان ابن العيطلة وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت ولكن في لفظ قالوا له اصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة ابن ابي معيط الى ابي لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اي المحل الذي يكون فيه بعد موته في النار فقال له ابو لهب يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت لك عدوا وانت تزعم ان عبد المطلب في النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى اي وفي لفظ قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل وعقبة فقال قد سالته فقال مع قومه فقالا انه يزعم انه في النار فقال يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل الفترة وتقدم الكلام عليهم

باب في ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف

سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزل بها فقال لاهلها الا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه في حياته كما تقدم خرج الى الطائف اي وهو

مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش من قرابته وعترته خصوصا من ابي لهب وزوجته
ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن رضي الله تعالى عنه انه قال بعد
موت ابي طالب لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه وهم
يقولون له انت الذي جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر يضرب
هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وخروجه صلى الله عليه وسلم
الى الطايف كان في شوال سنة عشرة من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة
يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من
خالفه من قومه قال في الامتاع لانهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم اي من انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى الطايف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله تعالى الطايف
مستانسا لاهل مكة من ضاق صدره من اهل مكة كذا قال وفي كلام غيره ولا جرم جعل الله
تعالى الطايف مستانسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهي راحة الامة
ومتنفس كل ذي ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
فليتامل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا
اخوة ثلاثة عبد يا ليل اي واسمه كنانة لم يعرف له اسلام واخوه مسعود اي عبد كلال
بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام ايضا وحبيب قال الذهبي في صحبته نظر اي
وهم اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وجلس اليهم وكلمهم فيما جاءهم به اي من نصرته
على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اي يشقها
ويقطعها اي وقيل يسرق فيها ان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال له الثالث
والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا اي قدرا من ان ارد عليك الكلام
ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خير ثقيف
وقال لهم اكتموا علي وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له صلى الله عليه وسلم اخرج من بلدنا
والحق بمنجاتك من الارض واغروا به اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به
سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين
على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما اي
دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه وفي لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان اذا اذلقته الحجارة اي

وجد

وجد لمسها قعد الى الارض فياخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم
يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه اي بناء على انه كان معه يقيه
بنفسه حتى لقد شج راسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد
الى حايط من حوايطهم اي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة اي بفتح الباء
الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب
وقد نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة بيع العنب قبل ان يطيب
قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه احد في تاويل الحديث فجاء صلى الله عليه وسلم
الى ظل الحبلة وهو مكروب موجع اي وقد جاء النهي عن ان يقال لشجر العنب
الكرم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم قلب المومن
ولكن قولوا حدايق العنب قيل وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمر
تتخذ من ثمرتها وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي لفظ ثم
ان هولاء الثلاثة اي عبد يا ليل واخويه اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا
يسبونه صلى الله عليه وسلم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجاوه لحايط
لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحايط رجعوا عنه وذكر انه دعا يومئذ
اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين
انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي انتهى
واذا في الحايط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة اي وقد رايا ما لقي من سفهاء
اهل الطايف فلما راهما كره صلى الله عليه وسلم مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله
فلما راياه صلى الله عليه وسلم وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا
يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا
من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يا كل
منه اي وهذا لا ينافي في كون زيد بن حارثة كان معه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى
ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ثم قال له كل فلما وضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم اكل اي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع
يده في الطعام قال بسم الله ويامر الاكل بالتسمية ويامر من نسي التسمية اوله ان يقول

ابسم الله اوله واخره فنظر عداس في وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله
اهل هذه البلاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك
يا عداس قال نصراني وانا من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل
بضمها قرية على شاطي دجلة في ارض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل قرية اي وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم ابيه اي كما في
حديث ابن عباس وفي تاريخ حماه انه اسم امه قال ولم يشتهر باسم امه غير عيسى ويونس
عليهما الصلاة والسلام اي وفي مزيل الخفا فان قيل قد ورد في الصحيح لا تفضلوني على
يونس بن متى ونسبه الى ابيه وهو يقتضي ان متى ابوه لا امه اجيب بان متى مدرج في
الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان
ذلك موهما ان الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله
ونسبه الى ابيه لا الى امه ملغا كلامه وعند ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس بن متى
فاني والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت انت متى
وانت امي وفي امة امية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي وفي رواية
انا رسول الله والله اخبرني خبره وما وقع له مع قومه اي حيث وعدهم العذاب بعد اربعين ليلة
لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبيا اذا اوعدت قومها العذاب
خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة اي الايمان بما دعاهم اليه يونس
وقيل كما في الكشاف انه قال لهم يونس انا اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السما غيما اسود يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح واخرجوا المواشي وفرقوا بين
النسا واولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما اقبل عليهم العذاب جاروا الى الله تعالى
وبكى الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم
وسخالها وقالوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت وعن الفضيل انهم
قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله
ولا تفعل بنا ما نحن اهله وفي الكشاف انهم عجوا اربعين ليلة وعلم الله منهم الصدق فتاب عليهم
وصرف عنهم العذاب بعد ان صار بينه وبينهم قدر ميل ثم دخل على يونس عليه السلام فقال له ما فعل

قوم

قوم يونس فحدثته بما صنعوا فقال لا ارجع لقوم قد كذبتهم قيل وكان في شرعهم ان من
كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن ان لن يقضي عليه بما قضي به عليه اي من الغم وضيق
الصدر قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه
وكانت التوبة عليهم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة اي وفي كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم
يونس يوم عاشورا واخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بانه نبذ من يومه
وهو قول الشعبي التقمه ضحوة ونبذه عشية اي بعد العصر وقاربت الشمس الغروب وذكر
ان الحوت لم ياكل ولم يشرب مدة بقا يونس في بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدي مكث اربعين
يوما وقال جعفر الصادق سبعة ايام وقال قتادة ثلاثة ايام وذلك بعد ان نزل السفينة
فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا ابقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر واشار الى نفسه
فقالوا لا نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات
فالقوه فالتقمه الحوت وقيل قايل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا القى
نفسه في البحر وهذا السياق يدل على ان رسالته كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل انما ارسل بعد
نبذ الحوت له وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم وعن وهب بن منبه
وقد سيل عن يونس عليه السلام فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال
النبوة تفسخ تحتها فالقاها عنه وخرج هاربا اي فقد تقدم ان النبوة اثقالا لا يستطيع
حملها الا اولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم وشعيب وصالح ولوط ومحمد صلى الله تعالى
عليهم وسلم اما نوح فلقوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله الاية واما
هود فلقوله اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون من دونه الاية واما ابراهيم فلقوله
هو والذين امنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية واما محمد صلى الله عليه وسلم
فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فصبر فعند ذلك اكب عداس على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما اي عتبة وشيبة للاخر اما غلامك
فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له احدهما ويلك ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه
وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شي خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قال ويحك
يا عداس لا يصرفنك عن دينك اقول وفي رواية قالا له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه
ولم نرك فعلته باحد منا قال هذا رجل صالح اخبرني بشي عرفته من شان رسول بعثه الله الينا

يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه
وقد تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم
لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام
وتقدم انه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي قد اجتمعت
بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست اثر رجل واحد
منهم في الارض فرايت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثي شبر والله اعلم وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من احد قال لقد لقيت من قومك
وكان اشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن يا ليل بن كلال اي والمناسب لما سبق
اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف موضع الثانية اي فيقال عبد يا ليل وكلال
اي وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر دون اخيهما حبيب لانهما كانا اشرف واعظم منه او لانهما
كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان يثبت ان في اباء هؤلاء الثلاثة شخصا
يقال له عبد يا ليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رايته
في النور ذكر ما يفيد ان لفظ ابن ثابتة في الصحيح والذي في كلام ابن اسحاق وابي عبيد وغيرهما
اسقاطه ثم رايت الشمس الشامي قال الذي ذكره اهل المغازي ان الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد يا ليل نفسه لا ابنه وعند اهل النسب ان عبد كلال اخوه لا ابوه اي ابو ابيه كما لا يخفى
فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اي
اي ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز او اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة
وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراء قرن بسكون الراء ووهم الجوهري في تحريكها وفي قوله
ان اويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت
راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع قول
قومك لك اي اهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال
فتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين فعلت اي وهما جبلان بمكة تارة الى مكة وتارة الى منى عن الاولى
قوله وهما ابو قبيس وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان
وعن الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وفيه ان تقييدهما ليسوا ابيهما بل الجبلان

خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض او دمدمت عليهم
الجبال اي التي تلك الناحية ثم رايت الحافظ ابن حجر قال المراد بقوم عائشة رضي الله تعالى عنها
في قوله صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك قريش اي لا اهل الطائف الذين هم ثقيف لانهم
كانوا هم السبب الحامل على ذهابه لثقيف ولان ثقيفا ليسوا قوم عائشة رضي الله تعالى عنها
وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدي فارسل ربه تبارك وتعالى اليه ملك الجبال يستامره
ان يطبق على اهل مكة وهما جبلاها التي هي بينهما وعبارة الهدي في محل اخر وفي طريقه ارسل الله
تعالى اليه ملك الجبال يستامره ان يطبق على اهل مكة وهما جبلاها التي هي بينهما وعبارة الهدي
في محل اخر وفي طريقه ارسل الله تعالى اليه ملك الجبال يامره بطاعته وان يطبق على قومه اخشبي
مكة وهما جبلاها ان اراد هذا كلامه ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي الى اخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وما
ردوا عليك به ظاهر فان المراد بهم ثقيف لا قريش ويوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنة في
منظومته بعد ان ساق دعاء المتقدم بعضه فارسل الله تعالى جبريل ومعه الجبال فقال
ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما
الى محل ثقيف الذي بعد الطائف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ما ذكر قال النبي
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى وفي رواية استاني بهم لعل الله ان يخرج من اصلابهم
من يعبد الله لا يشرك به شيئا وعند ذلك قال له ملك الجبال انت كما سماك ربك رؤف رحيم
قال ابن حجر لم اقف على اسم ملك الجبال والى حلمه والعفو منه صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فاغضى ✻ واخو الحلم دابه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما ✻ فهو بحر لم تعيه الاعباء

اي جهلت قومه عليه فاذوه اذية لا تطاق فاغضى منهم حلما واخو الحلم اي وصاحب عدم
الانتقام شانه التغافل فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع الحلم والعلم
لم تعيه الاعباء اي لم تتعبه الاثقال لكن تقييده السياق بقومه يدل على ان المراد به
ثقيف وقد علمت ما فيه فليتامل وعند منصرفه المذكور من الطائف نزل نخلة وهي محل بين مكة
والطائف نحو يوم او سبعة وقيل تسعة ممن جن نصيبين اي وهي مدينة بالشام وقيل باليمن اثنى
عليها صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رايتها فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل اي وسطه يصلي وفي رواية يصلي صلاة
الفجر وفي رواية هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلعله كان يقرا في
الصلاة هو المراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله
صلاها عقب الفجر وذلك ملحق بالليل في قوله جوف تجوز عن الراوي او صلى صلاتين
صلاة في جوف الليل وصلاة بعد الفجر وترا فيهما او جمع بين القراة والصلاة وان الجن
استمعوا للقراتين والطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سابغ وبهذا يندفع قول
بعضهم صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان يقرا سورة الجن وقيل ان في الصحيح ان سورة الجن انما
نزلت بعد استماعهم وقد يقال سياتي ما يعلم منه انه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور
هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور في رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الاتية
ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفجر والافالروايات التي وقفت عليها فيها الاقتصار
على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت في ابتدا البعث في بطن نخلة عند ذهابه واصحابه الى سوق
عكاظ كما سياتي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فامنوا به وكانوا يهودا لقولهم
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الان يكون ذلك بناء على ان
شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها ولا يخفى انهم غلبوا ما نزل من الكتاب
على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا قال وانكر ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم بالجن اي باحد منهم ففي الصحيحين عنه قال
ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة
من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ اي وكان بين الطايف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان
كما تقدم وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين
الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما
ذاك الا من شي قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جماعة اخذوا
نحو تهامة فاذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلي
بالصحابة صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين
خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فانزل
الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي اي قل اخبرت بالوحي من الله تعالى انه استمع

لقراتي

لقراتي نفر من الجن اي جن نصيبين اقول تقدم ان اطلاق صلاة الفجر على الركعتين اللتين
كان يصليهما قبل طلوع الشمس سابغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفروضة
ليلة الاسرا وقوله باصحابه يجوز ان تكون البا بمعنى مع ويجوز ان يكون صلى بهم اماما لان
الجماعة في ذلك جايزة ولا يخفى ان هذه القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس غير قصة انصرافه
من الطايف يدل لذلك قوله انطلق في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ لان ذلك لا ينافي
القصة التي هي قصة الطايف كان وحده او معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيئه
من الطايف قاصدا مكة وفي هذه كان ذهابه من مكة قاصدا الى سوق عكاظ وانه قرا في تلك
اي مجيئه من الطايف سورة الجن وفي هذه قرا غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه
القصة التي تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت في ابتدا
الوحي لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السما بالشهب كانت في ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك
بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل على انه لم يجتمع الجن به ولا قرا عليهم
وانما استمعوا قراته من غير ان يشعر بهم وقد صرح به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه
وصرح به الحافظ الدمياطي في تلك حيث قال في سيرته فلما انصرف من الطايف راجعا الى مكة
ونزل نخلة قام يصلي من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من اهل نصيبين فاستمعوا له
وهو يقرا سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القران نصا كلامه ونزول ما ذكر كان بعد انصرافهم فقد قال ابن
اسحاق فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد امنوا واجابوا الى ما سمعوا فقص الله
تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم ما في سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه وسلم في
رجوعه الى نخلة جاء الجن وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما في المواهب من قوله ولما انصرف
عن اهل الطايف ونزل نخلة صرف اليه صلى الله عليه وسلم سبعة من جن نصيبين الى ان قال وفي
الصحيح ان الذي اذنه بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم الى اخره لان
سوالهم له الزاد فرع اجتماعهم وقد ذكروا انهم لم يدر بهم الا الشجرة هناك وعلى جواز ان
الشجرة اذنته بهم قبل انصرافهم اي اعلمته بوجودهم وذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم
وان دعوى ذلك لا ينافي انه لم يشعر باستماعهم القران الا مما نزل عليه من القران وسوالهم له
صلى الله عليه وسلم الزاد كان في قصة اخرى غيرها اي القصتين كانت بمكة كما سياتي الكلام عليها

ثم رايت عن ابن جرير انه تبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة
واسلموا فارسلهم الي قومهم منذرين اذ لا يجاوز ان يكون ذلك في اول البعث لمخالفته لما تقدم
عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما وحينئذ يبعد الاحتمال الذي ذكرناه من انه يجوز انهم اجتمعوا
به صلى الله عليه وسلم بعد ان اذنته الشجرة بهم وقوله فارسلهم الي قومهم منذرين لم اقف
في شيء من الروايات علي ما هو صريح في ذلك اي ان ارساله لهم كان من نخلة عند رجوعه من الطايف
ولعل قايله فهم ذلك من قوله تعالي ولوا الي قومهم وغاية ما رايت ان ابن جرير والطبراني
رويا عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ان الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم
ببطن نخلة كانوا السبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الي قومهم وهذا ليس صريحا في انه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه من الطايف
لا يقال يعين ذلك انكار ابن عباس رضي الله تعالي عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم
بالجن المرة الاولي التي كانت عند البعث لاحتمال انه صلى الله عليه وسلم كان في بطن نخلة
في مرة اخري ثالثة ثم رايت في النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس من قوله انه لم
يجتمع بالجن حين خروجه الي سوق عكاظ حيث قال الذي في الصحيح وغيره انه اجتمع
وهو خارج من مكة الي سوق عكاظ ومعه اصحابه فليتامل قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم
اقام بنخلة اياما بعد ان اقام بالطايف عشرة ايام وشهر الا يدعوا احدا من اشرافهم اي زيادة
علي عبد يا ليل واخويه الا جا اليه وكلمه فلم يجبه احد فلما اراد الدخول الي مكة قال له زيد
ابن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم قد اخرجوك اي كانوا سببا لخروجك وخرجت
لتستنصر فلم تنصر فقال يا زيد ان الله جاعل لما تري فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه
ومظهر نبيه فصار الي حرا ثم بعث الي الاخنس ابن شريق رضي الله تعالي عنه فانه
اسلم بعد ذلك ليجيره اي ليدخل مكة في جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير
اي في قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم فبعث الي سهيل بن عمرو رضي الله تعالي
عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا فقال لا ان بني عامر لا تجير علي بني كعب وفيه انه
لو كان كذلك لما سالهما صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف هذا
الاصطلاح بعيد الا ان يقال يجوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة فبعث الي المطعم
ابن عدي اي وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة اشهر يقول له اني داخل مكة في جوارك

فاجابه

فاجابه الي ذلك وقال قل له فليات فرجع اليه فاخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي واهل بيته وخرجوا حتي اتوا المسجد اي فقام مطعم بن عدي
علي راحلته فنادي يا معشر قريش اني قد اجرت محمدا فلا يوذه احد منكم ثم بعث الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت
وصلي عنده ثم انصرف الي منزله اي ومطعم ابن عدي وولده مطيفون به قال وذكر انه صلى
الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج المطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه
وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمايل سيوفهم
في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم واقبل ابو سفيان فقال للمطعم امجير ام تابع فقال
بل مجير فقال اذن لا تخفر اي لا تزال خفارتك اي جوارك فقعد حينا من اجرته يجلس
معه حتي قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه انتهي اي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه
وسلم في امان كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفي وهذا السياق يدل علي ان قريشا
كانوا اجمعوا علي عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الي الطايف وذهابه
اي ولهذا المعروف الذي فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في اساري بدر لو كان المطعم
ابن عدي حيا ثم كلمني في هولا النتني لتركتهم له ورايت في اسد الغابة ان جبير ولد
المطعم رضي الله تعالي عنه فانه اسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جا الي النبي صلى الله عليه
وسلم وهو كافر فسأله في اساري بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم
لشفعناه كلمسا في اي لانه فعل معه هذا الجميل وكان من جملة من سعي في نقض
الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار لما انصرف النفر السبعة من اهل نصيبين
من بطن نخلة جاوا قومهم منذرين ثم جاوا مع قومهم وافدين الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الي الحجون فجا واحد من اوليك النفر الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساعة من الليل بالحجون انتهي وعن ابن مسعود قال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
امرت ان اقرا علي اخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل
من كبر فقمت معه اي بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه احد منهم ولعلهم فهموا ان الكبر ما ليس
منه وهو محبة الترفع في نحو الملبس الذي لا يكاد يخلو منه احد وقد بين الكبر في الحديث ببطر الحق

وغمط الناس استصغارهم وعدم رويتهم شيا بعد ان قالوا له يا رسول الله
ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر
من بطر الحق وغمط الناس بالطا المهملة كما في رواية ابي داود وحجا لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان
قال الخطابي المراد بالكبر هنا اي في هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان
قال ابن مسعود وذهب صلي الله عليه وسلم في بعض نواحي مكة اي باعلاها
بالحجون فلما برز خط لي خطا اي برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترني ولم اركن
الي يوم القيامة وفي رواية لا تحدثن شيا حتي اتيك لا يروعنك اي لا يخوفنك ولا يغرنك
ولا يهولنك اي يعظم عليك شي تراه ثم جلس فاذا رجال سود كانهم رجال الزط
وهم طايفة من السودان الواحد منهم زطي وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون
عليه لبدا اي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا علي سماع القران منه فاردت
ان اقوم فاذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم تفرقوا
عنه فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا اي ارضنا التي نذهب اليها
بعيدة ونحن منطلقون فزودنا اي لانفسنا ودوابنا ولعله كان نفد زادهم
وزاد دوابهم فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما كان لحما
رواه مسلم وفي رواية الا وجد عليه لحمه الذي كان عليه يوم اكل وكل بعرة علف دوابكم
وعن ابن مسعود انهم لما سالوه الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة
خضرا والعراق بضم العين وفتح الرا جمع عرق بفتح العين وسكون الرا العظم الذي
اخذ عنه اللحم وقيل الذي اخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم اي
عن انفسهم وعن دوابهم بدليل قوله فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم
اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت وفي رواية وجدوها اي الروث
والبعر شعيرا فهذه الرواية تدل علي ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جا
ان الشعير يعود خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبا
يوم اكل وبين كونه يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا وفي رواية لابي
نعيم ان الروث يعود لهم تمرا وهو يدل علي ان الروث من مطعومهم ويحتاج الي

الجم

الجمع وجمع بين ذلك الهيثمي بان الروث يكون تارة علفا لدوابهم وتارة طعاما لهم انفسهم
هذا وفي لفظ سالوني المتاع فمتعتهم كل عظم حايل وكل روثة وبعرة والحايل البالي
بمرور الزمن وانه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما لهم لو حرق وصار فحما ولعل
الغرض من ذكر الحايل الاشارة الي ان زادهم العظم ولو كان حايلا لا انه لم يبق لهم
الا الحايل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبعليه
ذكر اسم الله تعالى عليه فلا يا كلون ما لم يذكر اسم الله عليه من عظم وكذا من طعام الانس
سرقة كما جا في بعض الاخبار هذا ولكن في ابي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه قال
السهيلي واكثر الاحاديث تدل علي معني رواية ابي داود وقال بعض العلما رواية
ذكر اسم الله عليه في الجن المومنين ورواية لم يذكر اسم الله عليه في حق الشياطين منهم وهذا
قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه اي التي من تلك الاحاديث ان ابليس قال يا رب
ليس احد من خلقك الا جعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه اسمي
ومعلوم ان ابليس ابو الجن وانما لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين
بالمومنين يدل علي ان المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لان في كون الكفار من الجن اجتمعوا
به صلى الله عليه وسلم مع المومنين وان كلا من الفريقين سال الزاد وانه خاطبه كلا
بما يليق به فيه بعد لا سيما مع ما تقدم عن ابن مسعود وما ياتي من قوله صلى الله عليه وسلم
اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم انا لسا يلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين
قلبا مل ولما ذكر لهم العظم والروث قالوا يا رسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى
النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجي بالعظم او بروثة بقوله فلا يستنجين احدكم اذا خرج من
الخلا بعظم ولا بعره ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم
انها متلذذ عن الاستنجا بهما فان الله تعالى قد جعل لنا فيهما رزقا فنهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الاستنجا بالعظم والبعر اي وحرمة نحو البول او التغوط عليهما تعلم من ذلك
بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتقذير التنجيس لا ما يشمل التقذير بالطاهر كالبصاق
والمخاط وعن جابر بن عبد الله قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي اذ جاءت حية
فقامت الي جنبه صلى الله عليه وسلم وادنت فاها من اذنه وكانها تناجيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم فانصرفت قال جابر فسالته فاخبرني انه رجل من الجن وانه قال له مر امتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة

اي العظم لان الله جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهي عن ذلك ولا يخفي ان سوال الزاد يقتضي ان ذلك لم يكن زاد لهم وزادهم وزاد دوابهم قبل ذلك وحينئذ يسال ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام الادميين وحينئذ يكون ما توزم في جعل ابليس المراد ما لم يذكر اسم الله عليه غير العظم فليتأمل والنهي عن الاستنجا يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السوزيل هو زاد لهم بعد ذلك دايما وابدا او قصة جابر هذه سيأتي في غزوة تبوك تظيرها وهو ان حية عظيمة الخلقة عارضتهم في الطريق فانحاز الناس عنها فاقبلت حتي وقفت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علي راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتي اعتزلت الطريق فامت قايمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا احد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يستمعون القران **قال في المواهب** وفي هذا رد علي من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب اي وانما يتغذون بالشم **اقول** ذكرت في كتابي عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان في اكل الجن ثلاثة اقوال قيل ياكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثاني لا ياكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف ياكل ويشرب وصنف لا ياكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله اعلم **قال** ابن مسعود قلما ولوا قلت من هولا قال هولا جن نصيبين وفي رواية فتواري حتي لم اراه فلما سطع الفجر اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اراك قايما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت اي قعدت قلت خشيت ان اخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم تزني ولم اركا الي يوم القيامة وفي رواية لم امن عليك ان يخطفك بعضهم وفيه ان الخروج لا ينشأ عن القعود حتي يخشي منه الخروج وفي رواية قال لي انمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس اي لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتي جئت عليك الي ان سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وسالته عن سبب اللغط الشديد الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فحكمت بينهم بالحق **وفي** رواية عن سعيد ابن جبير انه اي ابن مسعود قال له اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك اي ولا ينافي في ذلك ما جا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه افتتح القران لان المراد بالقران القراءة زاد ابن مسعود علي ما في بعض الروايات

ثم شبك

ثم شبك اصابعه في اصابعي وقال اني وعدت ان تومن بي الجن والانس اما الانس فقد امنت واما الجن فقد رايت **اقول** وفي هذا ان ابن مسعود لم يخرج من الدايرة التي اختطها له رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي** السيرة الشامية ما يقتضي انه خرج منها حيث قال ابن مسعود فجنبتهم فرايت الرجال ينحدرون عليه من الجبال فازدحموا عليه الي اخره فليتأمل ثم اعلم ان هذه القصة تعدد كل من قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطايف فان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت في اول البعث وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطايف بعدها بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدها بمكة والله اعلم **ثم قال** صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء اي ما تتوضي به قلت لا فقال ما هذه الاداوة اي وهي انا من جلد قلت فيها نبيذ قال تمرة طيبة وماء طهور صب علي فصببت عليه فتوضا واقام الصلاة وصلي **اقول** وهو محمول عند ايمتنا معاشر الشافعية على ان الما لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الما ومن ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود فيها نبيذ اي منبوذ الذي هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول علي حد قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين **وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي** رضي الله تعالى عنه الذي اقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو ان الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور اي قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الما الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهير وقد خلقه من تراب وامره بالتطهر ايضا به تشريفا له **وعند** احمد ومسلم والترمذي عن علقمة قلت لابن مسعود رضي الله تعالى عنه هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير او اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جا من قبل الجبل وفي لفظ من قبل حرا فقلنا يا رسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال انه اتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرات عليهم القران فانطلق فارانا اثارهم واثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان تكون المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهي سابقة عن القصة التي كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها وهي المرادة بقول عكرمة انهم كانوا اثني عشر الفا جاوا من جزيرة الموصل لان المتقدم في تلك عن كعب الاحبار

انهم كانوا ثلثماية من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة سابقة على القصة التي كان
بها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متاخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم
في مكة ثلاث مرات مرة كان معه ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما **قال**
في الاصل ويكفي في امر الجن في سورة الرحمن وسورة قل اوحي الي وسورة الاحقاف **اقول**
فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم المرة الاولى وهو ذاهب من مكة
الى سوق عكاظ في ابتدا البعث المتقدمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما تقدم وكذا في المرة
الثانية عند منصرفه من الطايف بنخلة على ما قدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم
لقراءته صلى الله عليه وسلم في المرتين وبه يعلم ما في المواهب عن الحافظ ابن كثير ان كون الجن استمعوا
له صلى الله عليه وسلم في نخلة عند منصرفه من الطايف فيه نظر وانما استماعهم له كان في ابتدا البعث
كما يدل عليه حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ان ذلك كان عند ذهابه الى سوق عكاظ وعلم
انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم وامنوا به في مكة مرتين او ثلاثة بعد ذلك والله اعلم
وقد اخرج البيهقي في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما هبط ابليس قال اي رب قد لعنته فما علمه قال
السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله
عليه اي من طعام الانس ياخذه سرقة قال فما شرابه قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام قال
فاين مجلسه قال في الاسواق قال فما صوته قال المزمار قال فما مصايده قال النسا فالحمام
اكثر اقامته والسوق محل تردده في بعض الاوقات والظاهر ان مثل ابليس فيما ذكر كل من لم يومن من الجن

باب في ذكر خبر الطفيل ابن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه (الثاني والثلاثين)

كان الطفيل ابن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشي اليه رجال من قريش فقالوا يا
الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا
قد اعضل امره بنا اي اشتد وفرق جماعتنا وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وابيه
وبين الرجل واخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشي عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه
ولا تسمع منه ٥ قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت اي قصدت وعزمت على ان لا اسمع
منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون
الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فا اي قطنا فرقا اي خوفا من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت
الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان اسمع

بعض

بعض قوله اي فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني
ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي ياتي به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته فمكثت
حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا حتى سددت اذني بكرسف
حتى لا اسمع قولك فاعرض علي امرك فعرض عليه الاسلام وتلى عليه القران اي قرا عليه قل هو الله احد
الله الصمد الى اخرها وقل اعوذ برب الفلق الى اخرها وقل اعوذ برب الناس الى اخرها كان
بالمدينة عند ما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الان فيقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر
نزوله ٥ فقال والله ما سمعت قط قولا احسن من هذا ولا امرا اعدل منه فاسلمت فقلت
يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان
يكون لي عونا عليهم قال اللهم اجعل له اية فخرجت حتى كنت بثنية تطلعني على الحاضر اي
وهم النازلون المقيمون على الما لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة ٥ وقع نور بين
عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول في راس
سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق ومن ثم عرف بذي النور والى ذلك
اشار الامام السبكي في تائيته بقوله
وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه ... جعلت ضيا مثل شمس منيرة
قال فاتاني ابي فقلت له اليك عني يا ابت فلست مني ولست منك فقال له يا بني قال قد اسلمت
وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي يا بني ديني دينك فاسلم اي بعد ان قال له اغتسل
وطهر ثيابك ففعل ثم جا وعرض عليه الاسلام ثم جاءتني صاحبتي فذكرت مثل ذلك اي قلت لها
اليك عني فلست منك ولست مني قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني
دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام اي الى الاسلام فابطوا علي فجيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبني دوس اي وفي رواية قد غلبني على دوس الزنا فادع الله
عليهم فقال اللهم اهد دوسا **قال** زاد في رواية وايت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم ازل
بارض قومي ادعوهم حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق ثم
اسلموا قال فقدمت بمن اسلم من قومي عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بسبعين او ثمانين بيتا
من دوس اي ومنهم ابو هريرة رضي الله تعالى عنه فاسهم لنا مع المسلمين اي مع عدم حضورهم
القتال انتهي **اقول** قال في النور وفي الصحيح ما ينفي هذا وانه صلى الله عليه وسلم لم يعط احدا

لم يشهد القتال الا اهل السفينة الجائيين من ارض الحبشة جعفر ومن معه رضي الله تعالى عنهم
اي ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعري وقومه رضي الله تعالى عنهم فقد تقدم انهم هاجروا
من اليمن الى الحبشة ثم جاوا الى المدينة وفيه انه سياتي انه سال صلى الله عليه وسلم اصحابه ان
يشركوهم في الغنيمة ففعلوا وسياتي انه انما اعطى اهل السفينة اي والدوسيين على ما علم
من الحصنين اللذين فتحا صلحا فلعل اعطاهما مما افاء الله عليه لا من الغنيمة وسوال الصحابة
في اعطايهم من المشورة العامة المامور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر لا لاستنزالهم
عن شي من حقهم والله اعلم

باب الثالث والثلاثين في الاسرا والمعراج وفرض الصلوات الخمس

قال اعلم انه لا خلاف في الاسرا به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران على سبيل الاجمال وجاءت
بتفصيله وشرح عجايبه احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء والملائكة
اي ومن ثم ذهب الحافظ الصوفي الى ان الاسرا وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل رؤية
اسرا واتفق العلما على ان الاسرا كان بعد البعثة انتهى اي الاسرا الذي كان في اليقظة بجسده
صلى الله عليه وسلم فلا ينافي حديث البخاري عن انس بن مالك ان الاسرا كان قبل ان يوحى اليه اذ ذاك
كان في نومه بروحه فكان هذا الاسرا توطية وتمهيدا له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته
الرويا الصادقة وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه ان اسرا آته صلى الله عليه وسلم
كانت اربعة وثلاثين واحد بجسمه والباقي بروحه وتلك الليلة اي التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم
كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة سبع عشرة
خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين خلت من ربيع الاخر وقيل من رجب واختار
هذا الاخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل في شوال وقيل في ذي الحجة وفي
كلام الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسرا آته كلها كانت في تلك الليلة التي وقع فيها هذا الاختلاف
فليتامل وذلك قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث
سنين وكل من الاسرا والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطايف كما دل عليه السياق
وعن ابن اسحاق ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطايف وفيه نظر ظاهر واختلف
في اليوم الذي يسفر عن ليلتها قيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين
ان شا الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة اي لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم
الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين

ومات

ومات يوم الاثنين فليتامل عن ام هاني بنت ابي طالب رضي الله تعالى عنها اي واسمها
على الاشهر فاختة وسياتي في فتح مكة انها اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران
ومات بها على كفره قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس اي في الظلام بعد العتمة
وانا على فراشي فقال اشعرت اي علمت اني نمت الليلة في المسجد الحرام اي عند البيت او في الحجر
وهو المراد بالحطيم الذي وقع في بعض الروايات وفي رواية فرج سقف بيتي قال الحافظ
ابن حجر يحتمل ان يكون السر في ذلك اي في انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى
الله عليه وسلم فكان الملك اراه بانفراج السقف والتيامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا
وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم اي في زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم
تقدم له غير مرة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نام في بيت ام هاني قالت ففقدته في الليل فامتنع
مني النوم مخافة ان يكون عرض له بعض قريش اي وحكى ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم
فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس الى ذي طوى وجعل
يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن اخي عنيت قومك منذ الليلة فاين كنت قال اتيت
الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل اصابك الا خير قال ما اصابني الا خير
ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق في ذلك المحل وعن ام هاني رضي الله تعالى عنها قالت
ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نايم عندي تلك الليلة فصلى العشا
الاخيرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ايقظنا
من نومنا وتقدم ما في رواية بينهما فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد صليت
معكم العشا الاخيرة كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت
صلاة الغداة معكم الان كما ترى الحديث والمراد انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاته التي كان
يصليها وهي الركعتان في الوقتين المذكورين والا فصلاة العشا وصلاة الصبح التي هي صلاة
الغداة لم يكونا فرضا وفي قولها صلينا معه نظر لما تقدم وياتي انها لم تسلم الا يوم الفتح ثم رايت
في مزيل الخفا واما قولها يعني ام هاني وصلينا فارادت به وهيانا له ما يحتاج اليه في الصلاة
كذا اجاب واقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها او انها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح
فليتامل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني وفي رواية اسري بي من شعب ابي طالب
قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام في بيت ام هاني وبيتها

عند شعب ابي طالب فعرج عن سقف بيته الذي هو بيت ام هاني لانه صلى الله عليه وسلم
كان نايما به فنزل الملك واخرجه الى المسجد وكان به اثر النعاس اي فاضطجع به عند الحجر
قوله صلى الله عليه وسلم بت الليلة في المسجد الحرام الى اخره وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل
وميكاييل ومعه ملك اخر اي وهو مضطجع في المسجد في الحجر بين عمه حمزة وبين ابن عمه جعفر
رضي الله تعالى عنهما فقال احدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين ٥ فاحتملوه
حتى جاوا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغره نحره
وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه اي وفي رواية الى مراق بطنه
وفي رواية الى شعرته اي اشار الى ذلك فالشق فلم يكن الشق في المرات كلها بالة
ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك الما كما تقدم التصريح به في بعض الروايات لانه من خرق
العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكاييل ايتني بطست من ما زمزم كيما اطهر
قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه اي فشقه فغسله ثلاث مرات ونازع ما كان فيه
من اذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السودا التي نزعت منه
صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع في بني سعد بنا على تجزيتها كما تقدم في المرة الثانية
وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعثة فلا يخالف ان العلقة السودا نزعت منه صلى الله
عليه وسلم في المرة الاولى وهو مسترضع في بني سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقايها الذي
ينبغي ان يكون نزع تلك العلقة انما هو في المرة الاولى والواقع في غيرها انما هو اخراج الاذى
وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون في الجبليات البشرية وتكرار اخراج ذلك الاذى
استيصاله ومبالغة فيه وذكر العلقة في غير المرة الاولى وقول الملك هذا حظ
الشيطان وهم من بعض الرواة واختلف الينا ميكاييل بثلاث طساس من ما زمزم
ثم اتى بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا اي نفس الحكمة والايمان لان المعاني قد
تمثل بالاجسام او فيه ما هو سبب لحصول ذلك والمراد كمالهما فلا ينافي ما تقدم
في قصة الرضاع انه ملي حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه
بخاتم النبوة وتقدم في قصة الرضاع ان في رواية ان الختم كان في قلبه وفي اخرى انه
كان في صدره وفي اخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك اي وانكر
القاضي عياض شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبي في بني

سعد وهو يتضمن انكار شقه عند البعثة ايضا اي والتي قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم
عشر سنين ورده الحافظ ابن حجر بان الروايات تواترت بشق صدره صلى الله عليه وسلم
في تلك الليلة وعند البعثة اي زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم في بني سعد والذي في كلام من
الثلاثة حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلى الله عليه وسلم
شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه اقول ويمكن ان يكون انكار القاضي عياض
بشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذي جا في بعض الروايات انه اخرج
من قلبه علقة سودا وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو
صلى الله عليه وسلم مسترضع في بني سعد ويستحيل تكرار القا تلك العلقة وحمل ذلك على
بعض بقايا تلك العلقة السودا كما قدمنا بنا في قول الملك هذا حظ الشيطان منك
الا ان يقال المراد انه من حظ الشيطان اي بعض حظ الشيطان فليتأمل ذلك والاولى
ما قدمناه في ذلك ثم لا يخفى انه ورد غسل صدره وفي رواية قلبه وقد يقال الغسل وقع
لهما معا كما وقع الشق لهما معا فاخبر باحدهما مرة وبالاخرى اخرى اي وتقدم في
مبحث الرضاع في رواية شق بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفي اخرى الاقتصار على شق بطنه
وفي اخرى الاقتصار على شق صدره وفي اخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد
بالبطن الصدر وليس المراد باحدهما القلب وفي كلام غير واحد ما يقتضي ان المراد بالصدر القلب
ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره من الانبيا واجيب
بانه جا في قصة تابوت بني اسرايل الذي انزله الله تعالى على ادم حين اهبطه الى الارض
فيه صور الانبيا من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل واخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم
وهو من ياقوتة حمرا ثلاثة اذرع في ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب يتخذ منه
الامشاط مموها بالذهب فكان عند ادم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد ادم
الى ان وصل الى ابراهيم ثم كان عند اسماعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحاق ثم امر
من السما ان يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحكمه الى ان وصل لهم ثم وصل الى
موسى فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هارون ورضاض الالواح التي تكسرت
لما القاها وانه كان فيه الطست طست من ذهب من الجنة الذي يغسل
فيه قلوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذلك يقتضي لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت

اذا اختلفوا في شي سمعوا منه ما يفصل بينهم وما قدموه امامهم في حرب الا انتصروا
وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد ان يقتل او ينهزم الجيش وفي الخصايص للسيوطي
رحمه الله ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبيا ولم يوتها نبي قبله شق صدره
الشريف في احد القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان
تكرر شق صدره الشريف ثبت في الاحاديث وشق صدر غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انما اخذ من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك
وشق القلب واخراج العلقة السودا مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب
في قصة التابوت الصدر وبالصدر في كلام الخصايص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس في قصة
التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السودا اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم اقف على شريد لعلي ذلك وغسل قلب الانبيا ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون
غسله من خارج وقد احلنا على هذا الجمع في مبحث الرضاع وبهذا يرد ما قدمناه عن
الشمس الشامي الراجح المشاركة ولم ار لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص التام
فليتامل ثم رايته ذكر انه جمع جزا سماه نور البدر فيما جا في شق الصدر ولم اقف
والله اعلم قال فاتاني جبريل عليه السلام فذهب بي الى باب المسجد اي وعن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر جاني جبريل عليه السلام فحركني
بقدمه فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي فجاني الثالثة فهزني بقدمه فجلست فلم ار شيا
فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج بي الى باب المسجد وفيه انه اذا لم يجد شيا من اخذ
بعضده الان يقال ثم راه عند اخذه بعضده فاذا دابة ابيض اي وكان ثم قيل له
البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته اي فهو كالبرق
وقيل انه كان ذا لونين ابيض واسود اي يقال شاة برقا اذا كان خلال
صوفها الابيض طاقات سودا اي وهي العفرا ومن ثم جا في الحديث ابرقوا
فان دم عفرا عند الله ازكى من دم سوداوين اي ضحوا بالبرقا اي وهي العفرا
لكن في الصحاح الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفرا يعلو بياضها
حمرة ولغلبة بياض شعره على سواده او حمرته قيل ابيض ولعل سواد شعره
لم يكن حالكا بل كان قريبا من الحمرة توصف بانه احمر وهذا لا ينافي لو كان البراق كذلك

اي شعره

اي شعره ابيض داخله طاقات سودا او حمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم
انه ذو لونين اي بياض وسواد والسواد كما علمت اذا اصفي يشبه بالاحمر وهذه الرواية
طوي فيها ذكر انه كان بين حمرة وصفرة وانه جاه جبريل وميكاييل وملك اخر
وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى اخر ما تقدم وذلك البراق
فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين اي طويلهما اي وكان مسرجا
ملجما كما في بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره مد بصره اي حيث ينتهي بصره
اي وفي رواية ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها اذا اخذ في هبوط طالت يداه وقصرت
رجلاه واذا اخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اي وقد ذكر هذا الوصف
في فرس فرعون موسى فقد قيل كان لفرعون اربع عجايب تذكر منها اللحية كانت خضرا
ثمانية اشبار وقامته سبعة اشبار فكانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس
وقيل برذون اذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون على ضد ذلك
وفي رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السما
في خطوة واحدة لان البصر الذي في الارض يقع على السما فبلغ اعلا السموات في سبع خطوات
انتهى اي لان بصر من يكون في سما الدنيا يقع على السما فوقها وهكذا وهذا بنا على انه
عرج به صلى الله عليه وسلم راكبا للبراق وسياتي ما فيه قال فلما دنوت منه اشمأز اي
نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره ان يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد
اكرم على الله من محمد وفي رواية فحرنت اي تلك الدابة التي هي البراق حتى جاثت
يحفز بهما اي يدفع بهما رجليها ففي اللغة الحفز الحث والاعجال فلما دنوت منه لاركبها شمست
اي نفرت ومنعته ظهرها وفي رواية شمس وفي رواية صرت اذنيها اي جمعتهما وذلك
شان الدابة اذا نفرت فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال الا تستحيين يا براق مما
تصنعين والله ما ركب عليك احد وفي رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم اكرم على
الله منه فاستحييت حتى ارفضت عرقا اي كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبتها اي وفي رواية
فقال جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبيا اي لان الانبيا كانت تركبها
قبله في البيهقي وكانت الانبيا تركبها قبلي وعند النسائي وكانت تسخر للانبيا قبلي
وبعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت في الفترة بين عيسى عليه الصلاة والسلام

ومحمد صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابن بطال وهو يقتضي انه لم يركبه احد ممن كان بين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجا التصريح بذلك في بعض
الروايات اي والمتبادر منها انها التي بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام فيكون
عيسى ممن ركبها دون من بعده من الانبيا عليهم الصلاة والسلام على تقدير
تقدير ثبوت وجود انبيا بعد عيسى وتقدم عن النهر انه كان بينهما الف نبي وقوله
لان الانبيا ظاهره يدل على جميع الانبيا اي عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووي
رضي الله تعالى عنه القول باشتراك جميع الانبيا في ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه
ومما يدل على ان الانبيا كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما ياتي في بعض
الروايات تربطه بالحلقة التي كانت توثق بها الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم ٢
وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبيا كانت تربط غير
البراق من دوابهم بها ثم رايته في رواية البيهقي فاوثقت دابتي يعني البراق التي كانت
الانبيا تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما من رسول
الا وقد اسرى به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم ان ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدهما يعني اسماعيل على البراق الى مكة وفي تاريخ الازرقي
وكان ابراهيم عليه السلام يحج كل سنة على البراق فعن سعيد ابن المسيب وغيره ان البراق
هو دابة ابراهيم التي كانت يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق احد
قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام النووي فقول جبريل ما ركبك
ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصايص الصغرى
وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق في احد القولين اي وقيل ان الذي خص به ركوبه
مسرجا ملجما وفي المنتقى ان البراق وان كان يركبه الانبيا الا انه لم يكن يضع حافره
عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم وجا في غريب التفسير ان البراق
لما شمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفرا اليوم وهو صنم كان بعضه
من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم
ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله تعالى فقال جبريل
وما شمس الا لذلك اي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام احمد

وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي ان يذكر
ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال فرس شموس اي صعب ولا يقال
شموسة وذكر لاستصحاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره قال ونقل الثعلبي
بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما له خد كخد الانسان
وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر والاظلاف وذنب
كالبقر اي وحينيذ يكون اطلاق الخف على ذلك في الرواية السابقة ينتهي خفها حيث
ينتهي طرفها مجازا لان مع كون ان لها قوايم كقوايم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر
وفي كلام بعضهم في صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوايمه
كقوايم الثور وذنب كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى انتهى اي ومن ثم وصف بوصف
المذكر تارة وبوصف المونث اخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى
ومن كل شي خلقنا زوجين اثنين كما خرجت من ذلك الملايكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا
وذكر بعضهم ان اذنيها كاذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كانه
من ياقوت احمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوايمها كقوايم الفرس وذنبها
كذنب البعير ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم
ثم سرت وجبريل عليه السلام لا يفارقني اي وفي رواية انه ركب محمد البراق فما زايلا
ظهر البراق حتى رجعا وفي رواية ركبت البراق خلف جبريل اي وفي صحيح ابن حبان وحمله
جبريل على البراق رديفا له قال وفي الشرف فكان الاخذ بركابه جبريل وبزمام البراق
ميكاييل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكاييل عن يساره انتهى اقول ولا منافاة لجواز
ان يكون جبريل تارة ركب مردفا له صلى الله عليه وسلم وتارة اخذ بركابه من جهة اليمين وميكاييل
تارة اخذ بالزمام وتارة لم يا خذه وكانت جهة يساره او كان اخذ بالزمام من جهة اليسار
ولا يخالف هذا الجمع قول الشفا ما زايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفي وفي الشفا م
حياة الحيوان الظاهر عندي ان جبريل لم يركب مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسرا
لانه المخصوص بشرف الاسرا هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهينا الى
بيت المقدس فاوثقته بالحلقة اي التي بالباب اي باب المسجد التي كانت الانبيا عليهم الصلاة
والسلام توثق اي تربط بها اي تربطه بها على ما تقدم عن رواية البيهقي وفي رواية ان جبريل خرق

باصبعه الحجر الذي هو الصخرة وفي كلام بعضهم فادخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد به البراق
اقول ولا منافاة لجواز ان يكون المراد وسع الخرق باصبعه او فتحه لعروض انسداده
وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق
حلقة لاستدارته وفي الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابته
والناس يلمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه ورجح بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم
ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبيا عليهم الصلاة والسلام تادبا
فاخذه جبريل فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه وجعله
داخلا عن باب المسجد فكانه يقول له انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا
وفي حديث ابي سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر يحط من قدره صلى الله عليه وسلم الا
اخبرك ايها الملك عنه خبرا تعلم منه انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج من
ارض الحرم فجا مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف تلك الليلة
فقال له قيصر ما علمك بها قال اني كنت لا ابيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك
الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد وهو الباب الفلاني غلبني فاستعنت عليه
بعمالي ومن يحضرني فلم يعد فقالوا ان البنا نزل عليه فاتركوه الى غد حتى ياتي بعض النجارين
فيصلحه فتركته مفتوحا فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذي في زاوية الباب مثقوب اي
زيادة على ما كان عليه اي ما تقدم واذا فيه اثر مربط الدابة اي التي هي البراق اي ولم اجد بالباب
ما يمنعه من الانغلاق فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت اجده في العلم القديم ان نبيا يصعد
من بيت المقدس الى السما وعند ذلك قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر وسياتي
ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى ان المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب
لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات وهي فاتي جبريل الصخرة التي في بيت المقدس
فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذي في بابه يقال انها فيه ولا يخفى
ان عدم انغلاق الباب انما كان ليكون ايه والا فجبريل عليه السلام لا يمنعه باب مغلق ولا
غيره وفي رواية عن شداد بن اوس انه قال ثم انطلق بي اي جبريل حتى دخلنا المدينة
يعني مدينة بيت المقدس من بابها اليماني فاتي قبلة المسجد فربط فيه دابته فقد يقال
لا مخالفة لانه يجوز ان يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد واو اهذا الباب هو الباب اليماني

الرعلم

الذي فيه صورة الشمس والقمر وفي رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثل الشمس والقمر اي مثالهما
فيه والله اعلم وانكر حذيفة رواية ربط البراق وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب
والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل وعن وهب بن منبه الايمان
بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين من كتب الله
عز وجل القديمة اي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم
يتزود في اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة احد
قال وفي رواية فلما استوى النبي صلى الله عليه وسلم في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك
ان يريك الحور العين قال نعم قال جبريل فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن فسلم صلى
الله عليه وسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار
نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا اقول في كلام بعضهم انه لم
يختلف احد انه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج من عند الصخرة
وقد جاء صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وفي لفظ سيدة الصخور صخرة بيت المقدس وجاء صخرة
بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة اسية امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران ينظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبي اسناده
مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام ابو بكر بن العربي في شرحه لموطأ مالك صخرة بيت المقدس
من عجايب الله تعالى فانها صخرة قايمة في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة
لا يمسكها الا الذي يمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب
قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم
وفي الجهة الاخرى اصابع الملايكة التي امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت
من كل جهة اي فهي معلقة بين السما والارض وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني
كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب العجاب تمشي في
جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شي ولا بعض شي
وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدمه صلى الله عليه وسلم
اثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملايكة امسكتها لما مالت قال به الحافظ
ناصر الدين الدمشقي حيث قال في معراجه السبع ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها

فصعد من جهة المشرق اعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها
الملايكة لما تحركت ومالت وقول ابن العربي حين ركب البراق يقتضي انه عرج به على
البراق وسياتي الكلام فيه وتقدم ان الجلال السيوطي سيل عن غوص قدمه صلى الله عليه وسلم
في الحجر هل له اصل في كتب الحديث فاجاب بانه لم يقف لذلك على اصل ولا راي من خرجه في شي من كتب
الحديث وتقدم ما فيه وفي العرايس قال ابي ابن كعب ما من ما عذب الا وينبع من تحت الصخرة
ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله سبحانه وتعالى اعلم قال صلى الله عليه وسلم فنشر لي رهط
وكسر الشين المعجمة اي احيي لي بعد الموت رهط من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
لان نشر الميت احياوه والرهط ما دون العشرة من الرجال فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم
الصلاة والسلام اي وحكمة تخصيص هولا بالذكر لا تخفى فصليت بهم وكلمتهم اي فالمراد نشروا
عند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وصلى بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه
الصلاة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالاحيا بعد الموت
سياتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب ما يعلم منه ان المراد باحيا الانبيا بعد
الموت شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى انهم في البرزخ بسبب ذلك احيا كحياتهم في
الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفي رواية ثم صلى هو
وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير اي مع اوليك الرهط فلا
مخالفة بين الروايتين نعرف النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اذن موذن واقيمت
الصلاة قال ذكر ابن حبيب ان اية واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية
نزلت ببيت المقدس ليلة الاسرا ويجوز ان يكون قوله واقيمت الصلاة من عطف التفسير
فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة الان لما سيذكر في الكلام
على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى انه من عطف المغاير ويدل له ما في بعض الروايات
فلما استوينا في المسجد اذن موذن ثم اقام الصلاة فليس من لازم ذلك ان يكون كل من التاذين
والاقامة باللفظين المعروفين الان لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة اي في السنة الاولى
من الهجرة وقيل في الثانية كما سياتي وحديث لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما اوحى الله اليه
بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاذان ليلة اسري به في اسناده متهم وفي الخصايص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة

ليلة الاسرا فقد جا لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان اي والاقامة
عرج به الى ان انتهى الى الحجاب الذي يلي الرحمن اي يلي عرشه خرج ملك من الحجاب فقال
الله اكبر الله اكبر فقيل من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك
اشهد ان لا اله الا الله فقيل من ورا الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا فقال الملك
اشهد ان محمدا رسول الله فقيل من ورا الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا
فقال الملك حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر
لا اله الا الله واخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السموات قال
في الشفا والحجاب انما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون قال وان صح القول
بان محمدا صلى الله عليه وسلم راي ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره
حتى راه وجا انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رايته
قبل ساعتي هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا يقتضي ان جبريل عليه السلام كان معه صلى الله عليه وسلم
في هذا المكان وسياتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتامل والله اعلم ولما اقيمت الصلاة
ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يومهم فاخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه
فصلى بهم ركعتين اي واما حديث لما اسري بي اذن جبريل فظنت الملايكة انه يصلي بهم
فقدمني فصليت بالملايكة قال الذهبي منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلاة الاعلام
بتقدمه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما في الامامة وفي رواية ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا
اي دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه
بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم وفي رواية فاذن جبريل اي اقام الصلاة ونزلت الملايكة
من السما وحشر الله له المرسلين وقد نزلت الملايكة وحشر الله له الانبيا اي جميعهم بدليل ما في
بعض الروايات بعث له ادم ومن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بنا على ان الرسول اخص من النبي
لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصايص الصغرى ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم احيا الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم وبالملايكة لان الانبيا احيا وفيه اذا كان الانبيا
احيا فما معنى احياهم له ليصلي بهم وقد علمت معنى احيايهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد
اتدري من صلى خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى اي والنبي غير الرسول بعثه الله الى نفسه

اقول ولا يخالف ما سبق من انه عرف النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام من بين قايم وراكع وساجد لجواز ان يكون المراد عرف معظمهم او انه عرفهم بعد هذا القول

وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع له الانبيا ادم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبيا المرسلين واربعة من ساير الانبيا وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسماعيل وعن يساره اسحاق صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والله اعلم

وفي رواية ثم دخل صلى الله عليه وسلم اي مسجد بيت المقدس فصلى مع الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه اي المعراج بنا على انه كان في ليلة الاسرا قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية تحقيقا لا تخالف ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم صلى بالملايكة مع الانبيا والمرسلين لانه يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسوالهم وفيه ان سوالهم يدل على ان نزولهم من السما لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه قال القاضي عياض والاظهر ان صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعني بالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم في بيت المقدس كانت قبل العروج اي كما يدل على ذلك سياق القصة وقال الحافظ بن كثير صلى بهم في بيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه امامهم في السما اي لا في بيت المقدس اي وهذا الزاعم هو حذيفة رضي الله عنه فانه انكر صلاته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس قال بعضهم والذي تظافرت به الروايات صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليهم اي لم يصل بهم في بيت المقدس الا مرة واحدة وانها بعد نزوله لانه صلى الله عليه وسلم لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم اي ولو كان صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه عرف النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ومرايا لعهد من قدم وهذا هو اللايق لانه صلى الله عليه وسلم اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي اي بنا على ان المعراج كان في ليلة الاسرا وحيث كان مطلوبا لذلك فاللايق ان لا يشتغل بشي عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم فقدمه في الامامة

هذا

هذا كلامه اقول بحث ان صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ولم تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسواله عن الانبيا واحدا واحدا في السموات ذكر هو اللايق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل خلافه ومجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ بن كثير انه ثبت في الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سال عن الانبيا في السما لا ينافي صلاته بهم وانه عرفهم بنا على تسليم ان معرفته لهم كانت عند صلاته بهم اولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على ما قدمناه لانه يجوز ان يكونوا في السما على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما في قول بعضهم ورويته صلى الله عليه وسلم للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم محمولة على روية ارواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام وروبته صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل الا الارواح ارواحهم ويحتمل اجسادهم ويدل للثاني ويحتمل لادم فمن دونه من الانبيا ورواية ونشر لي الانبيا من سمى ومن لم يسم فصليت بهم والاشتغال عن الجناب العلوي المدعو له بما فيه تانيس له صلى الله عليه وسلم وهو اجتماعه بالانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم مناسب لايق بالحال والله اعلم

واختلف في هذه الصلاة فقيل العشا اي الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشي بنا على انه صلى تلك قبل العروج وفيه انه صلى الله عليه وسلم صلى تلك الصلاة بمكة على كل تكون معادة وقيل الصبح اي الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اي وهذا يدل على ان الفجر طلع وهو ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسياتي انه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذي يظهر والله اعلم انها كانت من النفل المطلق انتهى اي ولا يضر وقوع الجماعة فيها ويقولنا اي الركعتان اي اخره يسقط ما قيل القول بانها العشا او الصبح ليس بشي لان اول صلاة صلاها من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل اي دليل يدل على ان تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفي بعض القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل اربع ساعات اي بقيت من تلك الليلة لكن في كلام السبكي ان ذلك كان في قدر لحظة حيث قال في تائيته وعدت وكل الامر في قدر لحظة اي ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير لبعض

اوليا امته ما يستغرق الازمنة الكثيرة وفي ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم
أُوتيت بانائين احمر وابيض فشربت الابيض فقال لي جبريل اشربت اللبن وتركت الخمر
لو شربت الخمر لارتدت امتك اي غوت وانهمكت في الشرب وفي الرواية الاخرى
وفي رواية البخاري اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايليا بقدحين
من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة
اي الاستقامة لو اخذت الخمرة غوت امتك ولم يتبعك منهم الا القليل اي
يكونوا على ما اتفق عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب
واتيانه بذلك وهو في المسجد ببيت المقدس وسياتي ما يدل على انه اتي له بذلك ايضا
بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم واستويت
على ظهر البراق فما كان باسرع من ان اشرفت على مكة ومعي جبريل فصليت به الغداة
ثم قال لام هاني بعد ان اخبرها بذلك انا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما
رايت قالت ام هاني فتعلقت بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت انشدك الله اي بفتح
الهمزة اسالك بالله يا ابن عم اي يا ابن عمران تحدث اي لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك
من صدقك اي وفي رواية اني اذكرك الله انك تاتي قوما يكذبونك وينكرون
مقالتك فاخاف ان يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدي فارتفع
عن بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه
صلى الله عليه وسلم وكانه طي القراطيس اي الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد
يخطف بفتح الطا وربما كسرت بصري فخررت ساجدة فلما رفعت راسي فاذا هو قد
خرج فقلت لجاريتي نبعة وكانت حبشية معدودة في الصحابة رضي الله تعالى عنها
اتبعيه وانظري ماذا يقول لهم فلما رجعت خبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى الى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وفي كلام بعضهم
بين الركن والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام
لانه من مواطن اجابة الدعا قيل ومن حلف فيه اثما عجلت عقوبته وربما اطلق
كما تقدم على الحجر بكسر الحا واولئك النفر الذين انتهى صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدي
وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال اني صليت الليلة العشا اي اوقعت صلاة في ذلك

الوقت في هذا المسجد وصليت به الغداة اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت والا فصلاة العشا
لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم واتيت فيما بين
ذلك بيت المقدس قال وجا انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه
اي وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه
صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه اي لا يقال كان المناسب لذلك ان يقول واتيت
في لحظة او ساعات على ما تقدم فيما بين ذلك بيت المقدس لم يوسع لهم الزمن لانا نقول
وسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه تنفرها من ذلك فليتامل فقعد حزينا
فمر به عدو الله ابو جهل فجاءه حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان
من شي قال نعم قال اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت
بين ظهرانينا قال نعم قال فلم يرد انه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعا قومه اليه قال
ارايت ان دعوت قومك اتحدثهم ما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لوي
فانفضت اليه المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسري بي قالوا الى اين قال الى بيت المقدس الحديث انتهى
فنشر لي رهط من الانبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت
بهم وكلمتهم فقال ابو جهل كالمستهزئ صفهم لي قال اما عيسى عليه السلام ففوق الربعة
ودون الطويل اي لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم اي لونه احمر اي وفي
رواية يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كانه خرج من ديماس
اي حمام واصله الكن الذي يخرج منه الانسان وهو عرقان واصله الظلمة يقال
ليل داميس والحمام لفظ عربي واول واضع له الجن وصنعته لسيدنا سليمان على
نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط
استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ما حار في جب فسكن فصار
يستعمله حتى برئ وجا من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضا ان
سليمان عليه السلام لما دخله ووجد حره وغمه قال اواه من عذاب الله اواه قبل دخول
الحمام يذكر النار لان الحمام اشبه شي بجهنم لان النار اسفله والسواد والظلمة اعلاه
وقد قيل خير الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم وقديما بصير

بعد سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفه
الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحوا بلاد العجم وفيه انه في البخاري عن قول
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون بيتا
يقال له الحمام قالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا
وفي رواية انه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله
انه يذهب الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو
صريح في ان الصحابة رضي الله عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا ان يقال جاز
ان يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفي في كلام هذا البعض معرفتهم
له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه وسلم
ستفتح عليكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ولما جا عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا بد انه على تقدير
صحته فالمراد به انه محل للاغتسال فيه لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما في
معجم الطبراني الكبير عن ابي رافع انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال
نعم موضع الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز ان يكون بني ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم
فهو من اعلام نبوته قال بعضهم ولعله قال ذلك لنتن الموضع اي فقول بعضهم
ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه ان هذا البعض لم يعول في الفضيلة على
هذا فقط بل عليه وعلى ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
الذي فيه انه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد ايضا ما في مسند احمد عن ام
الدردا رضي الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لها من اين يا ام الدردا قالت من الحمام لان في سنده ضعيفا ومتروكا
ولانه يجوز ان يكون المراد انه محل الاغتسال لا انه المبني على الهيئة المخصوصة
كما تقدم وبه يجاب ايضا عما في الفردوس ان صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر وقد خرجا من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم
يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما راه بعينه هذا كلامه وعن
زفر السبكي انه ما دخل الحمام نبي قط ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام

واعترض

واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما راى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم
دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما راها نعم لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
دخل شيا منها وفيه انه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصرى
وجاز ان لا يكون بها حمام حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها وفي الطبراني عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما مرفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات
فمن دخله لا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه مقال وما احسن
قول الامام الغزالي ورد نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر
النار وبئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا تعرض لآفته وذاك
تعرض لفايدته ولا باس بطلب الفايدة مع التحرز عن الآفة والحاصل ان الحمام
تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل
فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر
العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جا من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من نسايكم
فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جا الحمام حرام على نسا
امتي واول من اتخذ الحمام في القاهرة العزيز بن المعز العبيدي احد الفواطم قال
بعضهم ليس في بنيان الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في صفة
عيسى عليه السلام كانما خرج من ديماس فقال خيره اصح حديث في هذا الباب
وحديث اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر في وصف
عيسى عليه السلام انما هو آدم واحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يقل في عيسى انه احمر وانما قال آدم وانما اشتبه على الراوي واجاب
الامام النووي بان الراوي لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها اي و الحمرة
المقاربة لها اي اللازمة يقال لها ادمة اي كما يقال لها حمرة فلا
منافاة قال صلى الله عليه وسلم جعد الشعر اي في شعره تثن وتكسر اقول ينبغي
حمل جعد الذي جا في بعض الروايات واذا هو بعيسى عليه السلام جعد على هذا
ثم رايت النووي قال قال العلما المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه
واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتامل والله اعلم بطلوه صهبة اي بعلو

شعره شعرة كانه عروة بن مسعود الثقفي اي رضي الله تعالى عنه فانه بعد انصرافه
صلى الله عليه وسلم عن الطايف لحق به قبل ان يدخل المدينة واسلم ثم جا الى قومه ثقيف
يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ان مثله في قومه كمثل صاحب
يس كما سياتي ذلك واما موسى عليه السلام فضخم ادم اي اسمر ومن ثم كان خرج
يده بيضا مخالف لونها السابر لون جسده اية طويل كانه من رجال شنوءه طايفة
من اليمن اي ينسبون الى شنوءه وهو عبد الله بن كعب من اولاد الازد لقب بذلك
لشنان كان بينه وبين اهله وقيل لانه كان فيه شنوءه وهو التباعد من الادناس
وفي رواية كانه من رجال ازد عمان هو ابو حي من اليمن وعمان هذه بضم العين
المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان ابن سنان من ولد
ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة بالشام سميت
بذلك لان عمان بن لوط كان سكنها وكما يقال ازد عمان يقال ازد شنوءه ورجال
الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غاير العينين متراكم
الاسنان مقلص الشفتين خارج اللثة اي وهو اللحم الذي حول الاسنان عابس
واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي
رواية لم ار رجلا اشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه يعني نفسه فضجوا واعظموا
ذلك اي وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على راسه تعجبا فقال المطعم بن عدي
ان امرك قبل اليوم كان امرا يسيرا غير قولك اليوم وانا اشهد انك كاذب نحن نضرب
اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة
واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذي تقول قط وقال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه يا مطعم بيس ما قلت لابن اخيك جبهته اي استقبلته بالمكروه
وكذبته انا اشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا اسلموا
اي وحينيذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من امن بالله فيه نظر الا ان يراد
من ثبت على الايمان وفي رواية سعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك
يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لين قال ذلك
لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا قبل ان يصبح قال نعم اني اصدقه

فبينا

فبينا هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السما في غدوة اي وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس
وروحة اي وهي اسم للوقت من الزوال الى الليل اي وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والا
فالمراد انه ليخبرني ان الخبر ليا تيه من السما الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه
فهذا اي مجي الخبر له من السما بواسطة الملك ابعد مما تعجبون منه اي وحينيذ يجوز ان
يكون قول ابي بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اي قاله بعد ان اجتمع به وقد
بلغته مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والى اسرا به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وتحديثه قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

خص بالمسجد الحرام ممشاه ... ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا ... اذ اتته من ربه النعماء

اي جمع حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه فتفضل سابر البقاع
ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه ايضا
فتفضل على ما عدا المسجدين اي مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث
الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا له تعالى وقت او لاجل اذ اتته من
ربه النعما في تلك الليلة ثم قال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس اراد بذلك اظهار كذبه وقيل
القايل له ذلك ابو بكر رضي الله تعالى عنه قال له صلى الله عليه وسلم صفه لي فاني قد جيته
اراد بذلك اظهار صدقه فلعقه فقال عليه الصلاة والسلام دخلته ليلا وخرجت منه
ليلا فاتاه جبريل عليه السلام فصوره في جناحه اي جا بصورته ومثاله في جناحه فجعل
يقول باب منه كذا فيه موضع كذا وباب منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله تعالى عنه
يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى على اوصافه اي ومعلوم ان من ذهب الى بيت المقدس
من قريش يصدقه على ذلك ايضا وفي رواية لما كذبتني قريش وسالتني عن اشيا تتعلق ببيت
المقدس لم اثبتها اي قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربة شديدا لم اكرب مثله
قط فقمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس اي وجلا بتشديد اللام وربما خففت كشفه
لي اي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية فجي بالمسجد اي بصورته وانا انظر
اليه حتى وضع اي يوضع محله الذي هو جناح جبريل ولا مخالفة بين الروايات وهذا من باب
التمثيل ومنه روية الجنة والنار في عرض الحايط لا من باب طي المسافة وزوي الارض ورفع الحجب

الماتعه من الاستطراق الذي ادعي الجلال السيوطي انه احسن ما يحمل عليه حديث رفع بيت المقدس
حتي راه النبي صلي الله عليه وسلم بمكه حال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسرا اذ ذلك الايجاب
مجي صورته في جناح جبريل وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم ان اهل بيت
المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم ثم فقده انما هو برفع محله الذي هو جناح جبريل
ثم رايت ابن حجر الهيتمي قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جي بعرش بلقيس الي سليمان عليه السلام
في طرفة عين ولك ان تتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد بخلاف بيت المقدس وكان ذلك
التجلي عند دار عقيل تقدم انها عند الصفا وانها استمرت في يد اولاد عقيل الي ان ذلك
الي يوسف اخي الحجاج وان زبيدة او الخيزران جعلتها مسجد الما تحت كما تقدم ونقدم
ما فيه قال صلي الله عليه وسلم فطفقت اي جعلت اخبرهم عن اياته اي علاماته وانا انظر
اليه اي وذلك قبل ان تحول الابنية بين الحجر وتلك الدار اي لقوله صلي الله عليه وسلم قمت
بالحجر وهم يصدقونه صلي الله عليه وسلم علي ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسرا الي المسجد
الاقصي لان قريشا تعرفه فيسالونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلي الله عليه وسلم
لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع واما قول المواهب ولهذا لم يسالوه
صلي الله عليه وسلم عما راي اي في السما لانه لا عهد لهم بذلك فيقتضي سياقه انه اخبرهم بالمعراج
عند اخباره لهم بالاسرا وسياتي ما يخالفه علي انه سياتي انه قيل ان المعراج كان بعد
الاسرا في ليلة اخري وقيل في حكمة ايضا ان باب السما الذي يقال له مصعد الملايكة يقابل
بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود
ان في كل سما بيتا معمورا وان الذي في السما الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب ان يصعد
من مكة ليصل الي البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لكن
لم يكن الباب في تلك الجهة فان ثبت ان في السما بابا يقابل الكعبة اتجه سواله قالت
نبعة جارية ام هاني فسمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يوميذ يا ابا بكر ان الله
قد سماك الصديق اي ومن ثم كان علي رضي الله تعالي عنه يحلف بالله ان الله تعالي انزل اسم
ابي بكر من السما الصديق واما ما رواه اسحاق بن بشر بسنده الي ابي ليلي الغفاري قال
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا
علي ابن ابي طالب فانه اول من يراني واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر

وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المومنين والمال يعسوب
المنافقين قال في الاستيعاب اسحاق ابن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة
احاديثه هذا كلامه وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلي الله عليه وسلم قال لعلي ابن ابي طالب
انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وفي رواية ان نفرا من قريش
لما اخبرهم بالاسرا الي بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما اية ذلك يا محمد اي ما العلامة
الدالة علي هذا الذي اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اي هل رايته في مسيرك وطريقك
ما يستدل بوجوده علي صدقك اي لان في وصفك لبيت المقدس يحتمل ان تكون حفظته عن من
ذهب اليه قال اية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم اي انفر عيرهم حس
الدابة يعني البراق فند لهم بعير اي شرد فدللتهم عليه وانا متوجه الي الشام ثم اقبلت
حتي اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم انا فيه ما قد غطوا
عليه بشي فكشفت غطاه وشربت ما فيه ثم غطيته عليه كما كان وفي كلام بعضهم نفرت
الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الما الذي كان يتوضا به صاحبه في القافلة
وشرب الما الذي للغير جايز لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من ابنا السبيل
علي ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم ان له ان ياخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب
علي مالكه حينيذ بذله واما الجواب عن ذلك بانه مال حربي فغير صحيح لان هذا كان قبل
مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتلهم لان الواجب
حينيذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر في شرح الهمزية
لكن في قطعة التفسير للجلال المحلي في تفسير قوله تعالي فرددناه الي امه كي تقر عينها ان امه
ارضعته باجرة وساغ لها اخذها لانها مال حربي اي من مال فرعون الا ان يقال ذاك
اي اخذها للكافر كان جايزا في شريعتهم قال واية ذلك اي اي علامته المصدقة لما
اخبر به صلي الله عليه وسلم ان عيرهم الان يصوب من الثنية يقدمها جمل اورق هو ما بياضه
الي سواد وهو اطيب الابل لحما عند العرب واحسنها عملا عندهم اي ليس بمحمود عندهم في عمله
عليه غرارتان احداهما سودا والاخري برقا اي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم
الثنية فاول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسالوهم عن الانا وعن نفار العير وعن ند البعير
وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله اقول قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير

ودلهم عليه مر عليها صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الاناء التي كان
بها الما الذي شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهي التي صويت من التنية
وحينئذ لا يحسن سوال اهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فيما
اخبر الا ان يقال يجوز ان تكون هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم في العود اجتمعت
في عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام واخبروهم بما ذكر والله اعلم وفي رواية قال يا مطعم
وعدنا نسالة عما هو اغني لنا من بيت المقدس اي فقولهم ذلك كان بعد ان اخبرهم ببيت
المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا اي عيراتنا الذاهبة والايبة هل لقيت منها شيا
فقال صلى الله عليه وسلم نعم اتيت على عير بني فلان بالروحا اي وهو محل قريب من المدينة
اي وبينه وبين المدينة ليلتان قد اضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس
بها منهم احد واذا قدح ما فشربت منه فاسالوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى
اية وعلامة **اقول** وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم عليها في العود وهي قادمة
الى مكة وفي هذه الرواية زيادة انهم اضلوا ناقة وتقدم في تلك الرواية انه صلى الله عليه
وسلم وجدهم نياما وفي هذه الرواية انه ليس بها منهم احد وقد يقال لا مخالفة بين
الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوي اسقط من تلك هذه الزيادة وهي اضلال الناقة
وان قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم احد اي مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك
الناقة وبعضهم كان نايما لكن في هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحا
وهو لا يناسب قوله في تلك انها الان تصوب من التنية لان كونها تاتي من الروحا
الى مكة في ليلة واحدة من ابعد البعيد الا ان يقال ان الروحا مشترك بين المحل المعروف
المتقدم ذكره ومحل اخر قريب من مكة ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بني فلان فنفرت مني
اي من الدابة التي هي البراق الابل اي التي هي العير وبرك منها جمل احمر عليه جوالق مخطط
ببياض لا ادري اكسر البعير ام لا وهذه الرواية يحتمل انها غير تلك ويمكن ان تكون هي الاولى
اسقط منها قوله في هذه وبرك منها جمل الى اخره كما اسقط من هذه قوله في تلك فوجدتهم
نياما وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارة سوداء وغرارة
بيضاء فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اي واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان
اي بيده التي لهم عليه فقالوا هذه واللات والعزى اية **قال** ثم انتهيت الى عير بني فلان بالابوا

اي وهو كما تقدم غير مرة انه محل بين مكة والمدينة بقدمها جمل اورق اي بياضه الى سواد
كما تقدم ها هي تطلع عليكم من التنية فانطلقوا الى التنية فوجدوا الامر كما قال فقالوا صدق
الوليد فيما قال اي في قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة
للناس وهذا يدل على ان المراد روية الاسرا وانها رويا العين وانه يقال في مصدرها رويا بالالف
كما يقال روية بالتا خلافا لمن انكر ذلك اذ لو كان رويا الاسرا مناما لما انكر عليه في ذلك اي وقيل
نزلت وقد راى النبي صلى الله عليه وسلم ولد الحكم بن ابي العاص ابو مروان وهم بنو امية على منبره
كانهم القردة اي وقد ورد رايت بني مروان يتعاورون منبري وفي لفظ ينزون على منبري
نزو القردة زاد في رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى مات وانزل الله تعالى
في ذلك وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا انزلناه في ليلة القدر
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال بعضهم اي خير من الف شهر يملكها
بعدك بنو امية فان مدة ملك بني امية كانت اثنين وثمانين سنة وهي الف شهر وكان جميع
من ولي الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية واخرهم مروان ابن محمد وقد قيل لبعضهم
ما سبب زوال ملك بني امية مع كثرة العدد والعدد والاموال فقال والموالي نقالاً ابعدوا
اصدقاهم ثقة بهم وقربوا اعداهم جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا
بالتقريب له وحديث رايت بني مروان قال الترمذي هو حديث غريب وقال غيره منكر
قال صلى الله عليه وسلم ورايت بني العباس يتعاورون منبري فسرني ذلك وقيل ان هذه الاية
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس انما نزلت في رويا الحديبية حيث راى صلى
الله عليه وسلم انه واصحابه يدخلون المسجد محلقين روسهم ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم
المشركون وقال بعض الصحابة له الم تقل انك تدخل مكة امنا قال بلى افقلت لكم من عامي
هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل كما سياتي ذلك في قصة الحديبية وقيل انما نزلت هذه
الاية في رويا وقعة بدر حيث اراه جبريل مصارع القوم ببدر فاري النبي صلى الله عليه وسلم
الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اي ولا مانع من تعدد نزول الاية
لهذه الامور فقد يتعدد نزول الاية لتعدد اسبابها **قال** ابن حجر الهيتمي على ان تعدد
النزول لا ينافي تعدد اسبابه اي وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروى انه عن لهم اليوم
الذي تقدم فيه العير اي وقالوا له متى تجي قال لهم يا بوكم يوم كذا وكذا ابقدمهم جمل ادم

عليه مسح ادم وغوا ريان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولي
النهار ولم يجي حتي كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب فدعي الله تعالي فحبس الشمس عن
الغروب حتي قدم العير اي كما وصف صلي الله عليه وسلم **اقول** يجوز ان يكون هذا بالنسبة لبعض
العيرات اي مر عليها فلا ينافي ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض العيرات انها الان
تصوب من الثنية والي حبس الشمس عن المغيب اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وشمس الضحي طاعتك وقت مغيبها ٭ فما غربت بل وافقتك بوقفة ٭

وجا في بعض الروايات انها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففي رواية ان بعضهم
قال له اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها
فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثل له ذلك فاخبر عن عدتها وعدة احمالها وعدة
من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله الشمس عن الطلوع حتي قدمت
تلك فلما خرجوا لينظروا فاذا قايل يقول هذه الشمس قد طلعت وقال اخر وهذه
العير قد اقبلت فيها فلان وفلان كما اخبر محمد وعلي تقدير صحة هذه الرواية يجاب عنها
بمثل ما تقدم والله اعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير اي عن الحركة بالكلية وقيل
بطو حركتها وقيل ردها الي ورايها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا في ذلك اليوم
وما قيل انها حبست له صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن الغروب ايضا حتي صلي العصر
معارض انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد الغروب وقال اشغلونا عن الصلاة
الوسطي كما سياتي ثم رايت في كلام بعضهم ما يوخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق
كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام الي الاحمرار والاصفرار وصلي حينيذ وفي
بعضها لم تحبس بل صلي بعد الغروب قال ذلك البعض ويويده ان راوي التاخير
الي الغروب غير راوي التاخير الي الحمرة والصفرة وجا في رواية ضعيفة ان الشمس
حبست عن الغروب لداود وذكر البغوي انها حبست لذلك لسليمان عليه السلام **اي**
اي وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه ان الله امر الملايكة الموكلين بالشمس
حتي ردوها علي سليمان حتي صلي العصر في وقتها وهذا رد لها لا حبس لها عن غروبها
الذي الكلام فيه والذي في كلام بعضهم انما ضرب سيدنا سليمان سوق خيله واعناقها
حيث الهاه عرضها عن صلاة العصر حتي كادت الشمس ان تغرب ولم يتصدق بها

مبادره

مبادرة لتعظيم امر الله تعالي بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الي مرور زمن
في دفعها واخذها **وحبست** كذلك ليوشع ابن اخت موسي عليه السلام وهو ابن
نون بن يوسف الصديق عليه السلام اي وهو الذي قام بالامر بعد موسي لان موسي
عليه السلام لما وعدهم الحق سبحانه وتعالي ان يورثه وقومه بني اسرايل الارض المقدسة
التي هي ارض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون وامر بمقاتلة اوليك الجبارين
وهم العمالقة سار بمن معه وهم ستماية الف مقاتل حتي نزل قريبا من مدينتهم
وهي ريحا فبعث اليهم اثني عشر رجلا من كل سبط واحد لياتوه بخبر القوم فلما دخلوا
المدينة فراوا امرا هايلا من عظم اجسامهم **فقد** ذكر بعضهم انه روي في
اي نقرة عين رجل منهم ضبعة رابضة اي جالسة هي واولادها والحجاج في الامر
الطريق الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسي في قحف رجل اي في عظم
اعلا راسه **وفي العرايس** وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل
في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة وان رجلا من العمالقة اخذ
الاثني عشر ووضعهم في كمه مع فاكهة كانت بيده وجا بهم الي ملكهم فقالوا
نحن عيون موسي فقال ارجعوا واخبروه **وفي العرايس** انه عوج ابن عناق احدي بنات
ادم من صلبه وقيل انه اول بغي في الارض **وفي العرايس** انه لما لقيهم كان علي راسه حزمة
حطب واخذ الاثني عشر في حجزه وانطلق بهم لامراته وقال انظري الي هولا القوم الذين
يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته
لا ولكن خل عنهم حتي يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسي فقال
اكتموا خوفا ان بني اسرايل يفشلوا ويرتدوا عن موسي فلم يفعلوا واخبر كل واحد
سبطه بشدة ما راه من امرهم الهايل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا
سبطهما وهما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب ابن يوقنا من سبط يهوذا مبين
وقالوا لموسي اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فدعي عليهم وقال رب اني لا املك
الا نفسي واخي اي فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هارون وكالب ويوشع
وهما المذكوران بقوله تعالي قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا
عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله تعالي منجز وعده وانا قد خبرناهم

توجدنا اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مومنين وحينئذ يكون مراد موسى بقوله واخي من واخاه ووافقه لا خصوص هارون
ثم دعى بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي باعد بيننا وبينهم فضرب عليهم
التيه فتاهوا اي تحيروا في ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله ثم يمسون
حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وانزل الله تعالى عليهم المن والسلوى
لانهم شغلوا عن المعاش والقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول
مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس ولما راى موسى عليه السلام
ما بهم من التعب ندم على دعائه عليهم وفي حياة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل
العجل اربعين يوما عوقبوا بالتيه اربعين سنة لكل يوم سنة فاوحى الله
تعالى اليه فلا تاس تحزن على القوم الفاسقين اي الذين فسقوا اي خرجوا عن امري
قال في اس الخليل ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت في زمن بني اسرائيل منزل
الجبارين وفي زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الان قرية من قرى بيت المقدس
ثم مات موسى وهارون بالتيه مات هارون اولا ثم موسى بعده بسنتين وفي ذلك رد على من
قال ان قبر هارون اخي موسى باحد كما سياتي وفيه رد ايضا على من يقول ان موسى
مات قبل هارون وانه دفنه وقيل ان هارون وجد سريرا في بعض الكهوف فقام
عليه فمات وان بني اسرائيل قالوا قتل موسى هارون حسدا له على محبة بني اسرائيل
له فقال لهم موسى ويحكم كان اخي ووزيري اترون اني اقتله فلما اكثروا عليه قام يصلي
ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء والارض
فصدقوه وعلى الاول ان موسى انطلق ببني اسرائيل الى قبره ودعا الله ان يحييه
فاحياه الله تعالى واخبرهم انه مات ولم يقتله موسى وعند ذلك قام بالامر
يوشع ابن نون المذكور اي فان موسى عليه السلام لما احتضر اخبرهم بان يوشع
بعده نبي وان الله تعالى امره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين
وكان يوم الجمعة ولما كاد ان يفتحها كادت الشمس ان تغرب فقال للشمس
ايتها الشمس انك مامورة وانا مامور بحرمتي عليك الا ركدت اي مكثت
ساعة من النهار وفي رواية قال اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى افتتح

المدينة قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة وقد عبر الامام السبكي عن حبسها ليوشع بردها في قوله
ﻫ وردت عليك الشمس بعد مغيبها ﻫ كما انها قدما ليوشع ردت ﻫ
ولولا قوله بعد مغيبها لما اشكل وامكن ان يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر
ابن كثير في تاريخه ان في حديث رواه احمد وهو على شرط البخاري ان الشمس لم تحبس لبشر الا
ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على ان الذي فتح بيت المقدس هو يوشع
ابن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا في فتح اريحا هذا كلامه
وهو خلاف السياق وفي العرائس ان موسى عليه السلام لم يمت في التيه بل سار ببني
اسرائيل الى اريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم دخلها موسى
ببني اسرائيل فاقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق احد قال وهذا
اولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق وذكر بعد ذلك ان موسى عليه السلام لما حضرته
الوفاة قال يارب ادنني الى الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وقال ابن كثير وقوله
صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على ان هذا من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على
ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت اي بعد مغيبها اي في خيبر كما سنذكره
هناك حتى صلى علي بن ابي طالب العصر بعدما فاتته بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه وهو حديث منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان وهو مما يتوفر الدواعي
على نقله وتفردت بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسياتي
قريبا ما فيه على ان قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر اي غيره صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان
الحبس لها يكون مع الها عن مغيبها والرد لها يكون بعد مغيبها قلت ما ذكر كلام ابن الجوزي
ان قيل حبسها ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت او ردت لاختلفت الافلاك ولفسد النظام
قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات وذكر انه وقع
لبعض الوعاظ ببغداد قعد ليعظ بعد العصر ثم اخذ في ذكر فضائل ال البيت فجاءت سحابة
غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده ان الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار
اليهم ان لا يتحركوا ثم ادار وجهه الى ناحية المغرب وقال
ﻫ لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ﻫ مدحي لآل المصطفى ولنجله ﻫ

ان كان للمولي وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله
فطلعت الشمس فلا يحصي ما رمي عليه من الحلي والثياب هذا كلامه ولما افتتحوا المدينة
التي لاي اريحا اصابوا بها اموالا عظيمة وكانوا اي الامم السابقة اذا اصابوا الغنائم
قربوها فتجي النار فتاكلها اي اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فجي النار فاكلها دليل علي قبولها
ولم تحل الا لنبينا صلي الله عليه وسلم كما سياتي ولما اصابوا تلك الغنائم قربوها فلم تجي اليها
النار فقالوا لوالده يا نبي الله ما لها لا تقبل قربانا قال فيكم الغلول فدعا راس كل سبط
وصافحه فلصق كف واحد منهم في كف يوشع فقال الغلول في سبطك فقال كيف اعلم
ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال نعم
رايت راس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت واسنانها من لولو فاعجبتني فغللتها
فجاء بها ووضعها في الغنيمة فجات النار فاكلتها وذكر البغوي ان الشمس حبست عن الطلوع
لموسي عليه السلام كما حبست كذلك لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم وكذا القمر حبس لموسي عليه السلام
عن الطلوع له فعن عروة بن الزبير قال ان الله تعالي حين امر موسي عليه السلام بالسير
ببني اسرائيل الي بيت المقدس امره ان يحمل معه عظام يوسف عليه وان لا يخلفها بارض مصر
وان يسير بها حتي يضعها بالارض المقدسة اي وفاء بما اوصي به يوسف فقد ذكر ان
يوسف لما ادركته الوفاة اوصي ان يحمل الي مقابر ابايه فمنع اهل مصر اولياءه من ذلك
فسال موسي عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد احدا يعرفه الا عجوزا من بني اسرائيل
فقالت له يا نبي الله انا اعرف مكانه وادلك عليه ان انت اخرجتني معك ولم تخلفني بارض مصر
قال افعل وفي لفظ انها قالت اكون معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل له اعطها
طلبتها فاعطاها وقد كان موسي عليه السلام وعد بني اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع القمر
فدعا ربه ان يوخر طلوعه حتي يفرغ من امر يوسف عليه السلام ففعل فخرجت به
العجوز حتي ارته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ما اي وتلك المستنقعة
من ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الما اي ازيلوه عنها ففعلوا قالت
احفروا فحفروا واخرجوه وفي لفظ انها انتهت به الي عمود علي شاطي النيل اي في ناحية
منه فلا تخالفه ما سبق في اصله سكة من حديد فيها سلسلة اي يجوز ان يكون
حفرهم الواقع في تلك الرواية كان في اظهار تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه

في صندوق

في صندوق من حديد في وسط النيل في الما فاستخرجه موسي عليه السلام وقيل وهو في صندوق
من مرمر اي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله وفي انس الجليل ان موسي عليه
السلام جاءه شيخ له ثلثماية سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال
له موسي قم معي الي والدتك فقام الرجل ودخل منزله واتي بقفة فيها والدته فقال لها
الك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا ادلك علي قبره الا ان دعوت الله تعالي ان يرد علي
شبابي الي سبعة عشر سنة ويزيد في عمري مثل ما مضي فدعا موسي لها وقال لها كم
عمرك قالت له تسعماية سنة فعاشت الفا وثمانماية سنة فارته قبر يوسف وكان في وسط
نيل مصر ليجري النيل عليه فيصل الي جميع مصر فيكونون شركا في بركته واما عود الشمس
بعد غروبها فقد وقع له صلي الله عليه وسلم فعن اسما بنت عميس انها قالت كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يوحي اليه وراسه في حجر علي رضي الله تعالي عنه ولم يسر عن النبي صلي الله
عليه وسلم حتي غربت الشمس وعلي لم يصل العصر اي فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اصليت
العصر اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما رضي الله تعالي
عنها فرايتها طلعت بعد ما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ
هذا الحديث لانه من اجل اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع انه جاء
عن اسما من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بانه تفردت بنقله
امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد علي ابن الجوزي حيث قال انه
هذا حديث موضوع بلا شك لكن في الامتاع ذكر في خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم في قسمة الغنايم يوم خيبر حتي غابت الشمس فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضي رسول الله صلي الله عليه وسلم وجلس
في المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس لهيئتها في العصر
فقام علي فتوضي وصلي العصر ثم تكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك
فرجعت الي مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشب وذلك مخالف لساير الطرق الا ان
يدعي ان هذه الطرق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي صلي الله عليه وسلم في قسمة غنايم خيبر
ثم وضع راسه في حجر علي ونام فاستيقظ حتي غابت الشمس فلا مخالفة قال وحبس له صلي الله
عليه وسلم قبل وصوله الي بيت المقدس ساروا حتي بلغوا ارضا ذات نخل فقال له جبريل

انزل فصل هاهنا ففعل ثم ركب فقال اتدري اين صليت قال لا قال صليت بطيبة
واليها المهاجرة وسياتي ما فيه في الكلام علي الهجرة فانطلق البراق يهوي يضع حافره حيث
ادرك طرفه حتي بلغ ارضا فقال له جبريل انزل فصل ها هنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل
اتدري اين صليت قال لا قال صليت بمدين اي وهي قرية تلقا غزة عند شجرة موسي سميت
باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال انزل فصل ففعل
ثم ركب فقال له اتدري اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم اي وهي قرية تلقا
بيت المقدس حيث ولد عيسي عليه السلام اي و في الهدي وقيل انه نزل ببيت لحم وصلي فيه ولا
يصح عنه ذلك البتة وبينا هو يسير علي البراق اذ راي عفريتا من الجن يطلبه بشعلة
من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت
شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بلي فقال جبريل قل اعوذ بوجه الله
الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما ومن
شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار
ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن اي فقال ذلك فانكب لفيه وطفيت
وراي حال المجاهدين في سبيل الله اي كشف له عن حالهم في دار الجزا بضرب مثال فراي
قوما يزرعون في يوم اي في وقت ويحصدونه في يوم اي في ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال
كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هولا المجاهدون في سبيل الله تضاعف
لهم الحسنة لسبعماية ضعف وما انفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثاني هو المناسب
لحالهم دون الاول فالاولي الاقتصار عليه الا ان يدعي انه صلي الله عليه وسلم شاهد الحصاد
والعود العدد المذكور الذي هو سبعماية مرة علي ان المضاعفة المذكورة لا تختص بالمجاهدين
فقد جا كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة لعشرة امثالها الي سبعماية ضعف الي ان قال
المراد تكرار الجزا العدد المذكور للمجاهدين امر موكد لا يكاد يتخلف وفي غيرهم بخلافه
ووجد صلي الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعي اليهود وداعي النصاري
فاما الاول فلقد راي عن يمينه داعي يقول يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا
يا جبريل فقال داعي اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك اي لتمسكوا بالتوراه
والمراد غالب الامة واما الثاني فقد راي عن يساره داع يقول يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه

فقال

فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصاري اما انك لو اجبته لتنصرت امتك اي
لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعي اليهود علي اليمين وداعي النصاري علي اليسار لا تخفي
وراي صلي الله عليه وسلم حال الدنيا اي كشف له عن حالها بضرب مثال فراي امراة حاسرة
عن ذراعيها لان ذلك شان المقتنص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالي اي
ومعلوم ان النوع واحد من الزينة يجلب القلوب اليه فكيف بوجود سائر انواع الزينة
فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا
اما انك لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا علي الاخرة وراي عجوزا علي جانب الطريق فقالت
يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا
ما بقي من عمر تلك العجوز اي فمن ثم لا ينبغي الالتفات اليها لانها عجوز رثة لم يبق
من عمرها الا القليل وليتنظر لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الي اخره وفي كلام بعضهم
الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعني يتعلق بذاتها وبمعني يتعلق بغيرها الاول وهو
حقيقتها انها من اول وجود هذا النوع الانساني الي ايام ابراهيم صلوات الله وسلامه
علي نبينا وعليه وبعدها تسمي الدنيا شابة ومنها بعد ذلك الي مبعث نبينا صلي الله عليه وسلم
كهلة ومن بعد ذلك الي يوم القيامة تسمي عجوزا واعترض بان الائمة صرحوا بان الشباب
وما يقابله انما يكون في الحيوان واجيب بان الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلي الله عليه وسلم
عن حال من يتحمل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فاتي علي رجل جمع حزمة حطب
عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال صلي الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل من امتك تكون عنده امانات الناس لا يقدر علي ادايها وهو يريد ان يحمل عليها وكشف
له صلي الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة في دار الجزا فاتي علي قوم ترضخ روسهم
كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شي فقال يا جبريل ما هولا قال هولا الذين
تتثاقل روسهم عن الصلاة المكتوبة اي المفروضة عليهم وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يترك
الزكاة الواجبة عليه ثم اتي علي قوم علي اقبالهم رقاع وعلي ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم
وياكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجرة مرة قيل انه لا يعرف في شجر الدنيا وانما هي شجرة
في النار وهي المذكورة في قوله تعالي انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل الجحيم وتقدم الكلام عليها
عند الكلام علي المستهزئين وياكلون رضف جهنم اي حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد

المحمية الحجارة المحماة التي يكوي بها فقال من هولا يا جبريل قال هولا الذين لا يودون
صدقات اموالهم المفروضة عليهم وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب
مثال ثم اتي علي قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم ني ايضا في قدور خبيث فجعلوا
ياكلون من ذلك النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت عندها
حتي يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتي
تصبح وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم اتي علي خشبة
لا يمر بها ثوب ولا شي الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال هذا مثل اقوام من امتك
يقعدون علي الطريق فيقطعونه وتلا قوله تعالي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف
له صلي الله عليه وسلم عن حال من ياكل الربا اي حالته التي يكون عليها في دار الجزا اذ راي رجلا
يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال اكل الربا وقد شهد الله تعالي في
القران بقوله الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
اي اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا اكلة الربا فانهم
لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذي يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا علي وجوههم
وجنوبهم وظهورهم كحال المصروع حاله ذلك اي فهذه حالهم في الذهاب الي المحشر زيادة
علي حالهم المتقدمة التي تكون في دار الجزا وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يعظ
ولا يتعظ ثم اتي علي قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت
عادت لا يفتر عنهم من ذلك شي فقال من هولا يا جبريل فقال هولا خطبا الفتنة
خطبا امتك يقولون ما لا يفعلون وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس
مر علي قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هولا يا جبريل
فقال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وكشف له صلي الله عليه وسلم
عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فاتي علي جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور
يريد ان يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل من امتك
يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال
من احوال الجنة فاتي علي واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل

من هذا قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ايتني بما وعدتني اي لانه موعود ان يكون محل
الجنة من السما السابعة مقابل لذلك الوادي وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من احوال
النار فاتي علي واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا
صوت جهنم تقول يا رب ايتني بما وعدتني اي وليست جهنم بذلك الوادي كما سياتي
ان الوادي الذي هي به بيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي
ان لا يكون هذا هو المراد بما في الخصايص الصغري للسيوطي وخص صلي الله عليه وسلم بالاطلاع
علي الجنة والنار بل المراد بذلك رويته ذلك في المعراج وعند وصوله صلي الله عليه وسلم
الي الوادي الذي ببيت المقدس بالنسبة الي النار اي وراي صلي الله عليه وسلم الدجال شبيه
بعبد العزي بن قطن وهو ممن هلك في الجاهلية اي قبل البعث ومر صلي الله عليه وسلم
علي شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال جبريل سر يا محمد قال من هذا
قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه وفي رواية لما وصلت الي بيت المقدس وصليت
فيه ركعتين اي اماما بالانبيا والملايكة اخذني العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين
في احدهما لبن وفي الاخري عسل فهداني الله تعالي فاخذت اللبن فشربت وبين
يدي شيخ متكي علي منبر له فقال اي مخاطبا لجبريل اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي
فلما خرجت منه جاني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة اي الاستقامة التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد علي الفطرة
اي علي الاسلام وفي رواية اخري فاتي بانية ثلاثة مغطاة افواهها فاتي باناء منها فيه
ما فشرب منه قليلا وفي رواية انه لم يشرب منه شيا وانه قيل له لو شربت الما اي جميعه
او بعضه لغرقت امتك اي وفي رواية انه سمع قايلا يقول ان اخذ الما غرق وغرقت
امته ثم رفع اليه اناء اخر فيه لبن فشرب منه حتي روي اي وفي رواية انه سمع قايلا
يقول ان اخذ اللبن هدي وهديت امته ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب
فقال لا اريده قد رويت قال له جبريل انها ستحرم علي امتك اي بعدا
لهم وفي رواية انه قيل له لو شربت الخمر لغوت امتك ولم يتبعك اي لا يكون علي طريقتك
منهم الا القليل اي وفي رواية انه سمع قايلا يقول ان اخذ الخمر غوي وغويت امته وفي رواية
وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه من هذا كله

نعم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض
انيتي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا
تعارض بين الاخبار بان احداهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بان احداهما
كان فيه خمر مع اللبن ولا بين الاخبار بانا بين والاخبار باواني ثلاثة لانه يجوز ان يكون
بعض الرواة اقتصر على انابين ولا بين كون الانا الثالث كان فيه عسلا او ما لانه يجوز ان
يكون احدي الاواني الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل الما بدل العسل او مزج العسل
به وغلب الما على العسل او تكون الاواني اربعة او بعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير
مجموع الاواني اربعة فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى
ولكن لم يسقط اللبن في رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل
فقط وتارة ذكر معه الما والخمر وعلى الاحتمال الاول فيسال عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام
حكمة عدم الشرب من العسل والله اعلم قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي
في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول ويرفع صوته اكرمته فضلته انتهى وفي رواية
سمعت صوتا وتذمرا فهو بالذال المعجمة الجرة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل
من هذا قال هذا موسى ابن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال او يرفع
صوته على ربه العتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذي سمعه
كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه وفي رواية على من كان تذمره اي حدته
قال على ربه قلت أعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا
كما علمت كان الذي بعده قبل وصوله الى بيت المقدس والله اعلم وجا ليلة اسري بي
مر بي جبريل على قبر ابي ابراهيم فقال انزل فصل هنا ركعتين قال ومر على شجرة تحتها
شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا ابوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذي معك يا جبريل فقال هذا ابنك
احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي موسى عرفه فلم يسال عنه
وابراهيم لم يعرفه فسال عنه لكن في السيرة الشامية موسى سال عنه ايضا فقال
من هذا يا جبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذي نصح امته
ودعا له بالبركة وقال اسال لامتك اليسر والظاهر ان قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم

كان

كان تحت تلك الشجرة او قريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين وسار حتى اتى الوادي
الذي في بيت المقدس واذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي اي وهي النمارق اي الوسايد
فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة اي الحمية انتهى قال صلى الله عليه وسلم
ثم عرج بنا الى السما اي من الصخرة كما تقدم اي على المعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج
ارواح بني ادم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب
اي عشر مراقي وهو المراد بقول بعضهم كانت المعارج ليلة الاسرا عشرة سبع الى السموات
والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف
اي فاطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلايق احسن منه اما رايت
الميت حين شق بصره طامحا الى السما اي بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج
الذي نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمومن والكافر الا ان المومن يفتح لروحه
باب السما دون الكافر فترد بعد عروجها تحقيرا له وندامة وتبكيتا له وذلك
المعراج اتي به من جنة الفردوس وانه منضد باللولو اي جعل فيه اللولو
بعضه على بعض عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة فصعد هو وجبريل عليه السلام
قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس اي ومنهم
صاحب الهمزية كما سياتي عنه حتى انتهى الى باب من ابواب سما الدنيا اي ويقال
له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسماعيل اي وهذا يسكن الهوى لم يصعد السما
قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم
وتحت يده اثني عشر الف ملك ه اي وفي رواية ان تحت يده سبعين الف ملك تحت
يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من انت وفي رواية فضرب
بابا من ابوابها فناداه اهل سما الدنيا اي حفظتها من هذا فقال جبريل فقيل
ومن معك اي فانهم راوها ولم يعرفوها ولعل جبريل لم يكن على الصورة التي يعرفونه
بها قال محمد وفي رواية قال معك احد يجوز ان يكون هذا القايل لم يرها ويكون
الرائي له معظم الحفظة قال معي محمد قيل وقد بعث اليه اي للاسرا والعروج لانه
كان عندهم علم بانه سيعرج به الى السموات بعد الاسرا به الى بيت المقدس واما
بعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق فيبعد ان تخفى على اولئك الملايكة

الي هذه المدة وايضا لو كان هذا مرادهم لقالوا او قد بعث ولم يقولوا اليه فان
قيل قد جا في حديث انس ان ملايكة سما الدنيا قالت لجبريل او قد بعث قلنا تقدم
ان حديث انس كان قبل ان يوحي اليه وانه كان مناما لا يقظة قال السهيلي ولم نجد
في رواية من الروايات ان الملايكة قالوا او قد بعث الا في هذا الحديث وفي رواية بدل بعث
اليه ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا انا بادم فرحب
بي ودعا لي بخير واختلف في لفظ ادم فقيل عجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي وانه مشتق
من الادمة التي هي السمرة والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى انها في كونه احسن الناس
اي وبلو مشتق من اديم الارض اي وجهها لانه مخلوق منه وعلى انه عربي يكون منع صرفه
للعلمية ووزن الفعل وفي رواية تعرض عليه ارواح بنيه فيسر بمومنها اي عند رويته
ويعبس بوجهه عند روية كافرها قال وفي رواية فاذا فيها ادم كيوم خلقه الله تعالى
على صورته اي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه ارواح ذريته المومنين فيقول
روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه ارواح ذريته
الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين اقول
وهذا وان اقتضى كون ارواح العصاة من المومنين في عليين كارواح الطايعين
منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى وفي رواية تعرض عليه اعمال ذريته ولعلها
على حذف المضاف اي صحف اعمالهم التي رفعت عنهم وهي التي في صحف الحفظة
او والتي تقع عليه منهم وهي ما في صحف الملايكة غير الحفظة او تعرض نفس اعمال تجسمت
لما سيا في ان المعاني تجسم ففي كل من الروايتين اقتصار والله اعلم وفي رواية سندها ضعيف
كما قال الحافظ ابن حجر وعن يمينه اسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله
اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه اي الي تلك الاسودة
ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اي الي تلك الاسودة حزن وبكي فسلم عليه صلى الله عليه
وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا
فقال هذا ابوك ادم اي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم اي ارواح بنيه
فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا
نظر عن شماله حزن وبكي وزاد في الجواب ايضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة

اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب
جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكي وحزن انتهى اي اذا نظر الي ارواح
من يدخلها وفيه ان الجنة فوق السما السابعة والنار في الارض السابعة
وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون بابهما في السما الدنيا وان ارواح الكفار
لا تفتح لها ابواب السما كما تقدم ويجيب عن الثاني بان عرضها اي ارواح ذريته
الكفار عليه تطره اليها وهي دون السما لانها شفافة او من ذلك الباب وكونها
عن يساره الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم اي في جهة يساره ويجاب عن الاول
بان الباب الذي عن يمينه يجوز ان يكون محاذيا لموضع الجنة من السما السابعة
ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تاتي لادنى ملابسة
وعا اجبنا به عن كون ارواح ذرية الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة
في الجواب عن ذلك الي قول الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرييه هي
الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد اي الان ومستقرها عن يمين ادم وشماله
وقد اعلم بما سيصيرون اليه بنا علي ان الارواح مخلوقة قبل اجسادها علي انه
لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الي اخره ولا حاجة
لما نقل عن القرطبي في الجواب عن ذلك من ان الكفار التي لا تفتح لها ابواب السما الكفار
دون الكفار من اهل الكتاب فيجوز ان يكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل الكتاب
اذ هو مقتضي ان المراد بذريته في الروايتين السابقتين الارواح التي خرجت من اجسادها
قال صلي الله عليه وسلم ورايت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل اي كشفار الابل اي وفي
ايديهم قطع من نار كالافهار اي الحجارة التي كل واحد منها على الكف يقذفونها في
افواههم تخرج من ادبارهم قلت من هولا يا جبريل قال هولا اكلة اموال اليتامى
ظلما وهولا لم يتقدم رويته صلي الله عليه وسلم لهم في الارض اي ولعل المراد بالرجال
الاشخاص وخصوا بذلك لانهم اوليا الايتام غالبا قال صلي الله عليه وسلم ثم رايت رجالا
لهم بطون لم ار مثلها قط وفي رواية امثال البيوت زاد في رواية فيها حيات ترى من خارج
البطون بسبيل اي طريق ال فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون
على النار لا يقدرون علي ان يتحولوا من مكانهم ذلك اي قط وهم ال فرعون الموصوفون

بما ذكره المقتضي لشدة وطئهم لهم والمهيومة التي اصابها الهيام وهو داء ياخذ
الابل فتهيم في الارض ولا ترعي وفي كلام السهيلي الابل المهيومة العطاش والهيام
شدة العطش اي وفي رواية كلما نهض احدهم خر اي سقط قال فقلت من هولاء
يا جبريل قال هولاء اكلة الربا وتقدمت رويته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض لا بهذا
الوصف بل ان الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة اي ولا مانع من اجتماع الوصفين
لهم اي فيخرجون من ذلك النهر ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم قال صلى الله عليه وسلم
ثم رايت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب والي جنبه لحم خبيث منتن ياكلون من الغث
اي الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب قال فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء
الذين يتركون ما احل الله لهم من النسا ويذهبون الي ما حرم الله عليهم منهن اي
وتقدمت رويته صلى الله عليه وسلم لهم اي الرجال والنسا في الارض بنحو هذا الوصف وفي
رواية راي اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخري عليها لحم منتن عليها ناس
ياكلون قال يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين يتركون الحلال وياكلون الحرام اي من
الاموال اعم مما قبله اي وهولاء لم يتقدم رويته صلى الله عليه وسلم لهم في الارض قال
ثم رايت نسا معلقات بثديهن فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء اللاتي ادخلن
على الرجال ما ليس من اولادهم اي بسبب زناهن اي وهولاء لم تتقدم رويته
صلى الله عليه وسلم لهن في الارض والذي تقدم رويته صلى الله عليه وسلم لهن الزانيات
لا بهذا القيد وهو ادخالهن علي ازواجهن ما ليس من اولادهم على انه يجوز ان يكون
المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب في حصول ما ذكر غالبا ولا مانع من اجتماع
الوصفين لهن قال ثم مضي هنيهة فاذا هو باقوام تقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه
فيقال له اي لكل واحد منهم كل كما كنت تاكل لحم اخيك قال يا جبريل من هولاء قال هولاء
الهمازون من امتك اللمازون اي المغتابون للناس النمامون لهم انتهي اي وتقدم رويته
صلى الله عليه وسلم للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف اي وروي انه صلى الله عليه وسلم راي في
هذه السما النيل والفرات نطرادان اي يجريان اي وعنصرهما اي اصلهما وهو يخالف ما ياتي
انه صلى الله عليه وسلم راي في اصل سدرة المنتهي اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران
وان الظاهرين النيل والفرات واجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة

المنتهي

المنتهي ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذي هو اصلهما في السما الدنيا اي بعد مرورهما
في الجنة ومن سما الدنيا فقد جا في تفسير قوله تعالى وانزلنا ما بقدر فاسكناه في الارض انهما
النيل والفرات انزلا من الجنة من اسفل درجة منها علي جناح جبريل عليه السلام فاودعهما
بطون الجبال ثم ان الله تعالى يرفعهما ويذهب بهما عند رفع القران وذهاب الايمان
وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون ذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير
ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها قال
صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الي السما الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بابني الخالة عيسي بن مريم ويحيي بن زكريا صلوات الله وسلامه عليهما اي
شبيه احدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا
لي بخير وفي بعض الروايات التي حكم عليها بالشذوذ انهما في السما الثالثة وقد
ذكرها الجلال السيوطي في اوايل الجامع الصغير وذكر بعضهم انها رواية الشيخين
عن انس والشذوذ لا ينافي الصحة المطلقة فقد قال شيخ الاسلام في شرح الفية
العراقي عند قوله من غير ما شذوذ وخرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوي
من هو ارجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم لان التعريف للصحيح المجمع
علي صحته لا مطلقا هذا كلامه وفي كلام البقاعي نقلا عن شيخه الحافظ ابن حجر
ان من تامل الصحيحين وجد فيهما امثلة من ذلك اي من الصحيح الموصوف
بالشذوذ اقول وكونهما ابنا الخالة اي ان ام كل خالة الاخر هو المشهور وعليه قال
ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا
خال لكن في عيون المعارف للقضاعي ان يحيي انما هو ابن خالة مريم ام عيسي
لا ابن خالة عيسي لان ام يحيي اخت ام مريم لا اخت مريم كذا في كلام ابن اسحاق
ان عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليه السلام وانهما تزوجا اختين
فزوجة زكريا ولدت يحيي قبل عيسي بستة اشهر ثم ولدت مريم عيسي وزوجة
عمران ولدت مريم فام يحيي اخت ام مريم فعيسي ابن بنت خالة يحيي وحينئذ يكون
قوله صلى الله عليه وسلم فاذا انا بابني الخالة على التجوز وكذا قول عيسي ليحيي يا ابن خالة

كما في تفسير القشيري على التجوز فيه حكي عن يحيى وعيسى عليهما السلام انهما خرجا يمشيان
فصدم يحيى امراة فقال له عيسى يا ابن خالة لقد اخطيت اليوم خطيئة ما اري الله تعالى
يغفرها لك قال وما هي قال صدمت امراة قال والله ما شعرت بها قال عيسى سبحان الله
بدنك معي فاين قلبك قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمان الى جبريل صلوات الله وسلامه
عليه طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله عز وجل ووجه التجوز انه اطلق على بنت الاخت لفظ
الاخت قال بعضهم وهو كثير شايع في كلامهم ثم رايت المولى ابا السعود ذكر ما يجمع به
بين القولين وهو انه قيل ان ام يحيى اخت ام مريم من الام واخت مريم من الاب وليتامل
تصويره بنا على تحريم نكاح المحارم لان ام مريم حينيذ بنت موطوءة ابيها لانها ربيبة
الا ان يكون في شريعتهم جواز ذلك ثم رايت لبعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد ان عمران
تزوج اولا ام حنة فولدت اشياع اي التي هي ام يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التي
هي ربيبة بنت موطوءته فجامعها بنا على جواز ذلك في شريعتهم ونبه انه تقدم ان
نوحا بعث بتحريم نكاح المحارم الا ان يقال المراد نكاح محارم النسب دون المصاهرة
ولم يسم احد يحيى قبل يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصاري جي به للنبي صلى الله عليه وسلم
يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم من لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى
ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما في الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته
وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعه الى السما وقلنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم
الانبيا اي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها اي وفي الحديث ما من
احد الا ويلقى الله تعالى وقد هم بمعصية عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها
فليتامل ما بينهما في ذلك وقد ذكر ان والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكا فقال له انت
امرتني بذلك يا ابت الست انت القايل ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن
من خشية الله تعالى فقال بلى فجد واجتهد وقد جا في الحديث ان يحيى هو الذي يذبح الموت يوم
القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه اي فان الموت يكون صورة

كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلهما اتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت اي
يلقي الله تعالى معرفته في قلوبهم وتجسيم المعاني جا به الحديث الصحيح على انه جا في تفسير
قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت في صورة كبش لا يمر على احد الا مات وخلق الحياة
في صورة فرس لا يمر على شي الا حيي وهو يدل على ان الموت جسم وان الميت يشاهد حلول
الموت بدنه وقيل الذي يذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل ان في هذه السما الثانية ادريس
وهو قول شاذ وقيل يوسف جات به رواية ذكرها الجلال السيوطي في اوايل الجامع الصغير
وذكر ان ابني الخالة في السما الثالثة كما تقدم وتقدم ان بعضهم ذكر انها رواية البيهقي عن ابن عباس
قال ابو حيان وعيسى لفظ اعجمي والظاهر ان مثله يحيى هذا كلامه وفي كلام غيره ان يحيى عربي في منع صرفه
العلمية ووزن الفعل وقيل في عيسى انه عربي من العيس هو بياض يخالطه صفرة وعلى انه عجمي قيل
عبراني وقيل سرياني ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
عليه وسلم اي ومعه نفر من قومه واذا هو اعطي شطر الحسن اي وفي رواية صورته صورة القمر ليلة
البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذي اعطيه الناس وفي الحديث اعطي يوسف وامه ثلث
حسن الدنيا واعطي الناس الثلثين يحتاج للجمع بينهما وبين ما جا في رواية قسم الله ليوسف
من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق وقسم بين ساير الخلق الثلث وعن وهب بن منبه الحسن
عشرة اجزا تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفي كلام بعضهم كان فضل يوسف
في الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ
وجهه على الجدران كما يرى لا نور الشمس وضو القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلى الله
عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشاركه في شي منه كما اشار الى ذلك صاحب البردة بقوله
فجوهر الحسن فيه غير منقسم خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي
اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكي وعبارته قال الهوى يوسف
اعطي شطر الحسن الذي اعطيه كله النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن
من اسحاق الذي هو جده واسحاق ورث الحسن من سارة التي هي امه وسارة اعطيت سدس
الحسن وورثته ذلك من حوى اي وفي رواية في وصف يوسف وانه احسن ما خلق الله تعالى
قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب اي كفضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب

الليلة والمراد بخلق الله تعالي وبالناس غير نبينا صلي الله عليه وسلم لما علمت انه اعطي شطر الحسن الذي
لغير نبينا صلي الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه علي ما فيه وقد جا ان يوسف اعطي نصف
حسن ادم وفي رواية ثلث حسن ادم وقد جا ان يوسف يشبه ادم يوم خلقه ربه دفي ٢
الخصايص الصغري للسيوطي وخص بانه صلي الله عليه وسلم اوتي كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره
فلينظر الجمع بين هذه الروايات علي تقدير صحتها وقد جا ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا ه قال فرحب بي ودعا لي بخير وفي بعض الروايات
ان في هذه السما الثالثة ابني الخالة يحيي وعيسي عليهما ثم عرج بنا السما الرابعة فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية
قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلي لانه من ولد شيث
بل بينه وبين شيث اربعة ابا ارسل بعد موت ادم بمايتي سنة وهو اول من اعطي الرسالة من ولد ادم
وهو يقتضي ان شيث لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه اثنان فادريس في عمود نسبه
صلي الله عليه وسلم وحينيذ يكون قوله بالاخ الصالح في تلك الرواية محمول علي التواضع منه خلافا
لمن تمسك بذلك علي ان ادريس ليس جدا لنوح ولا هو من ابا النبي صلي الله عليه وسلم قال الله عز
وجل ورفعناه مكانا عليا اي حال حياته لانه رفع الي السما قيل من مصر بعد ان خرج منها ٢
ودار الارض كلها ودعا الخلايق الي الله تعالي باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم
وعلمهم العلوم وهو اول من استخرج علم النجوم اي علم الحوادث التي تكون في الارض باقتران
الكواكب قال الشيخ محيي الدين بن العربي وهو علم صحيح لا يخطي في نفسه وانما الناظر في ذلك
هو الذي يخطي لعدم استيفا به النظر ودعوي ادريس عليه السلام الخلايق يدل علي انه كان
رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي لم يجي نص في القران برسالة ادريس بل قيل فيه صديقا
نبيا واول شخص افتتحت فيه الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كان قبله انما كانوا انبيا
كل واحد علي شريعة من ربه فمن شا دخل معه في شرعه ومن شا لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا
ومما يوثر عنه عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والاخرة لا يجتمعان في قلب ابدا الناس اثنان
طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عار الفضيحة هان عليه لذتها خير الاخوان من نسي ذنبك
ومعروفه عندك وقد قبضت روحه في هذه السما الرابعة وصلت عليه الملايكة ودفنته بها نصلي عليه الاوليه

كلما

كلما هبطت وحينيذ لا يقال من كان في السما الخامسة والسادسة والسابعة ارفع منه علي انه قيل اماته
احياه الله تعالي وادخله الجنة وهو فيها الان اي غالب احواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السما
المذكورة في تلك الليلة لان الجنة ارفع من السموات لانها فوق السما السابعة ولما جا في الحديث انه
في السما الرابعة كعيسي عليه السلام وفي بعض الروايات ان في هذه السما الرابعة هارون ثم عرج بنا
الي السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون صلي الله عليه وسلم اي ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا
تكاد تضرب الي سرته من طولها وحوله قوم من بني اسرايل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير
اي وفي رواية فقلت يا جبريل من هذا الرجل المحبب في قومه قال هارون بن عمران ه اي لانه
كان الين لهم من موسي عليهما السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذا
ثم عرج بنا الي السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسي صلي الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير اي
وفي رواية فجعل يمر بالنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد
عظيم فقال من هذا قيل موسي وقومه المناسب هذا قوم موسي لما لا يخفي ولكن ارفع راسك فاذا
هو سواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هولا امتك وسوي هولا سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب اي منهم يدل لما جا في رواية قيل لي هذه امتك ومعهم
سبعون الفا يدخلون بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلي ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن انا منهم قال نعم ثم قام رجل اخر فقال انا منهم
قال سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلي الله عليه وسلم لست منهم لانه ساتق
بل اجابه بما فيه ستر عليه والقول بان ذلك الرجل هو سعد بن عباده مردود وهذا تمثيل اي مثل
له صلي الله عليه وسلم امته اي وامة موسي ايضا اذ يبعد وجودها حقيقة في السما السادسة
فلما خلصت اي جاوزت ما ذكر من النبي والنبيين في السما السادسة فاذا بموسي بن عمران
رجل ادم طوال كانه من رجال شنوءة كثير الشعر اي مع صلابته لو كان عليه قميصان
لنفذ الشعر منهما اي وكان اذا غضب يخرج شعر راسه من قلنسوته وربما اشتعلت
قلنسوته نارا لشدة غضبه وفي كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته
كسل النخل ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضرب به حتي ضربه ست ضربات او سبع مع

انه لا ادراك له ووجه بانه لما فوصار كالدابة والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب
فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم دعا له ولامته بخير وقال يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله
مني فلما جاوزه بكي فقيل له ما يبكيك فقال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته
اكثر من يدخل الجنة من امتي اي بل ومن ساير الامم فقد ذكر الجلال السيوطي في الخصايص
الصغري ان مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم في امته في الاخرة ان اهل الجنة اي من الامم مائة
وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون وساير الامم اربعون وجا في المرفوع كل امة بعضها
في الجنة وبعضها في النار الا هذه الامة فانها كلها في الجنة وفي العرايس عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه لما كلم الله موسي كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصفا
من مسيرة عشرة فراسخ وفي الحديث ليس احد يدخل الجنة الا جرد مردا الا موسي ابن عمران
فان لحيته الي سرته ثم عرج بنا الي السما السابعة واسمها غريبا واسم الارض السابعة
جريبا روى الخطيب باسناد صحيح الي وهب بن منبه قال من قرا البقرة وال عمران يوم الجمعة
كان له ثواب بملا ما بين غريبا وجريبا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا ابراهيم
صلى الله عليه وسلم اي رجل اشمط وفي لفظ كهل ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم
في وصفه انه اشبه بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة
اي في جهتها لما تقدم ولما ان الجنة فوق السما السابعة على كرسي مسندا ظهره الي البيت المعمور
اي وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الرا وفي اخره مهملة
من ضرح اذا بعد ومنه الضريح اي وفي كلام الحافظ بن حجر يقال الضراح والضريح
وجا انه مسجد حذا الكعبة لو خر لخر عليها اي فهو في تلك السما في محل محاذ الكعبة اي
وقيل في السما الرابعة وبه جزم في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الاولى وتقدم
ان في كل سما بيتا معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم الف
ملك لا يعودون اليه قول عن بعضهم البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
وفي رواية سبعون وجبة كل وجبة سبعون الف ملك والوجبة الدبس ولعله صلى الله عليه وسلم
علم ذلك باعلام جبريل ولا دروبته صلى الله عليه وسلم له في تلك الليلة لا تقتضي ذلك ثم رايت

الشيخ

الشيخ عبد الوهاب الشعراني اشار الي ذلك حيث قال وسال عن البيت المعمور فنظر اليه
وركع فيه ركعتين وعرفه اي جبريل انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد
ويخرجون من الباب الاخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها
والظاهر ان دخوله هولا الملايكة خاص بالذي في السما السابعة وقال السهيلي وقد
ثبت في الصحيح ان اطفال المومنين والكافرين في كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين راهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام
من هولا يا جبريل قال هولا اولاد المومنين الذين يموتون صغارا قال له واولاد الكافرين
خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنايز وخرجه في موضع اخر فقال فيه اولاد
الناس وقد روي في اطفال الكافرين ايضا انهم خدم لاهل الجنة هذا كلامه وجا
في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف ان في السما الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل
كل يوم اي سحرا كما في بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون
الف قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة ملكا وفي لفظ يخلق الله من كل قطرة كذا وكذا
الف ملك يومرون ان ياتوا البيت المعمور يصلون فيه فيهم الذين يصلون في البيت
المعمور ثم لا يعودون اليه ابدا يولي عليهم احدهم يومران يقف بهم من السما موقفا
يسبحون الله تعالى الي ان تقوم الساعة وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي ان جبريل
اخبره صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة والله اعلم وفي رواية واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم
ثياب بيض كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل الذين
عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي
في البيت المعمور اي والظاهر ان لبس المراد بالنظر التصف حتي يكون العصاة من امته معذر
الطايعين منهم وان الصلاة يحتمل للدعا ولذات الركوع والسجود ويناسبه ما تقدم
من قوله ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا بني الله انك لاق ربك الليلة
وان امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل وفي السيرة
الهشامية ان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض
قبل وصوله بيت المقدس وقال له هنا مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها
واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اقرا امتك

مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون غراس
الجنة مجموع ما ذكر وان بعض الرواة اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية
لعساء وقد اعجبتني فقلت لها يا جارية انت لمن قالت لزيد ابن حارثة اي ولعل تلك الجارية
خرجت من الجنة فيكون استقبالها له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة
لكن في رواية فرايت فيها اي في الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز ان يكون
راها مرتين خارج الجنة وداخلها ويكون سؤالها في المرة الاولى واللعس لون الشفة
اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله في الصحاح وفي رواية فلما انتهى الى
السماء السابعة راى فوقه رعدا وبرقا وصواعق اي وهذه الرواية ظاهرة وانه
صلى الله عليه وسلم راى ذلك في السماء السابعة محتملة لان يكون راه قبل دخوله فيها
وحينئذ يكون قوله ثم اتي باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل على الاحتمال المذكور
وعند عرض تلك الاواني عليه اخذ اللبن فقال له جبريل اصبت اي باخذك اللبن
الذي هو في الفطرة اصاب الله بك امتك على الفطرة اي وجدهم على الفطرة ببركتك
وفي رواية هذه الفطرة التي انت عليها وامتك ه اي وتقدم ان المراد بها الاسلام
ووجد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة وموسى في السماء السابعة وهذه بلغ مقابلة
الرواية في البخاري عن انس وتقدم ان ذلك كان في الاسراء بروحه لا بجسده وفيه ان
رؤيا الانبياء حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء نزل من
محله الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم يخرج عن محله
وصعد الى ما فوقه لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فاخبر صلى الله عليه وسلم
عنه تارة بانه في سماء كذا وتارة في سماء كذا والحافظ ابن حجر لا يرى الجمع بل يحكم على ما خالف
اصح الروايات بانه لا يعارضه قال الجمع انما هو مجرد استرواح لا ينبغي المصير اليه هذا كلامه
وعندي فيه نظر لان الجمع اولى من اثبات المعارضة لا سيما بين الاصح والصحيح وان كان شاذا
لانه لا تقدم الاصح او الصحيح على غيره الا حيث تعذر الجمع فليتامل وعلى المشهور من الروايات
الذي صدرنا به ابدا بعضهم اختصاص هؤلاء الانبياء بملاقاته واختصاص كل واحد منهم
بالسماء الذي لقيه فيها بحكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب بي جبريل الى سدرة المنتهى

واذا

واذا اوراقها كاذان الفيلة اي وفي رواية مثل اذان الفيول وفي رواية الورقة منها
تظل الخلق وفي رواية تكاد الورقة تغطي هذه الامة وفي رواية لو ان الورقة الواحدة ظهرت
لغطت هذه الدنيا وحينئذ يكون المراد بكونها كاذان الفيلة في الشكل وهو الاستدارة
لا في السعة ه واذا ثمرها كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة
من قلالها تسع قربتين ونصف من قرب الحجاز والقربة تسع من الماء مائة رطل بغدادي فلما
غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت اي صار لها حالة من الحسن غير تلك الحالة التي كانت
عليها فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها من حسنها اي لان رؤية الحسن تدهش
الراي وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة اي وهو قول الاكثر
اي وفي بعض الروايات ان اغصانها تحت الكرسي وعن وهب ان العرش والكرسي فوق
السماء السابعة قال ويسال هل ثمر سدرة المنتهى كالثمار المأكولة في انه يزول ويعقبه
غيره وهذا الزابل يوكل او يسقط اي فلا يوكل انتهى قال صلى الله عليه وسلم ثم ادخلت
الجنة فاذا فيها جنابذ اي باللجة قباب اللؤلؤ وفي رواية حبايل اللؤلؤ اي العقود والقلائد
واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت ودخوله صلى الله عليه وسلم للجنة كان
قبل ان يعرج في السحابة وفي الحديث ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل
والذي نفس محمد بيده لا يختطف رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها
خيرا منها وهذا القسم يرشد الى ان ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون على صورة ثمرة
الدنيا المرة وفي كلام محيي الدين بن العربي فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اي تؤكل
من غير قطع اي يؤكل منها فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة
غير مقطوعة في شتاء ولا صيف او يخلق مكان قطعها اخرى على الفور كما فهمه بعضهم فذهب
ما ياكل العبد هو عين ما يشهد واطال في ذلك وكانه لم يقف على هذا الحديث او لم يثبت
عنده فليتامل قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان اي يبطنان
ويغيبان في الجنة بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة ونهران ظاهران اي يستمران ظاهرين
بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه اي الانهار يا جبريل قال اما
الباطنان ففي الجنة اي يبطنان ويغيبان في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات اقول
قول جبريل اما الباطنان ففي الجنة لا يجب ان يكون جوابا عن هذا السؤال الذي هو سؤال

عن بيان الحقيقة ويحصل بذكر اسميهما فكان المناسب بحسب الظاهر ان يقول واما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على ان النيل والفرات يجريان في الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بناء على انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين اللذين هما ما عدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان في الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها لوجودهما في الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها وقد جاء في حديث ما من يوم الا وينزل ما من ماء الجنة في الفرات قال بعضهم ومصداقه ان الفرات مد في بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الاحاديث الواهيات وفي حديث موقوف على ابن عباس اذا كان خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض هذه الانهار والقران والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا وفي بعض الروايات ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من اصل شجرة المنتهى فليسا هما المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر اي ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة اصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها وفي السيرة الشامية لم يثبت في سيحان وجيحان انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك واما الباطنان المذكوران اي في الحديث فهما غير سيحان وجيحان ولعل ترك ذكرهما اي سيحان وجيحان في حديث الاسرا كونهما ليسا اصلا براسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد بانهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من اصل السدرة ولا يبطنان في الجنة اصلا قال واذا فيها في تلك الشجرة عين اي في اصلها ايضا يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر انتهى اي فهما يخرجان من اصل شجرة المنتهى لكن لا من المحل الذي يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بانه يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان وفي جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله قسيما له كما تقدم وعن مقاتل فالباطنان

الكوثر

الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التي تخرج من اصل سدرة المنتهى اربعة بناء على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها او ستة بناء على انهما يخرجان منها وعلى الاول لا ينافي قول القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من اصل سدرة المنتهى لان المراد ما خروجه بنفسه او اصله الذي يتفرع عنه بناء على ما تقدم من ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافي ما عند مسلم يخرج من اصلها يعني سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهي النيل والفرات وسيحان وجيحان ولما جاء عند الطبراني في سدرة المنتهى يخرج من اصلها اربعة انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل اي ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول بحر النيل في البحر الملح الذي يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج ويختلط بما وحيتة لما قدر احد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان لان غاية ذلك سكوتها عن النهرين الاخريين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونهما تخرج من اصل سدرة المنتهى من الجنة بانه يحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فصح انها من الجنة هكذا ذكره العارف ابن ابي جمرة ولم اقف على ثبوت ما يدل على ثبوت هذا الاحتمال في تصحيح هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من اصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة ثم لا يخفى ان في كلام القاضي عياض ان سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال له جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم انكر الامام النووي على القاضي عياض حيث قال الثاني اي من وجوه الانكار على القاضي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسما مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتامل قال والذي غشي الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذي يلقي نفسه في السراج ليحرق وملائكة على كل ورقة ملك يسبح الله تعالى وملائكة اي اخرون يغشونها كانهم الغربان بايو والبها متشوقين اليها متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأى صلى الله عليه وسلم

جبريل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه الله عليها له ستماية جناح كل جناح
منها قد سد الافق تتناثر من اجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله
تعالى وغشيت تلك السدرة سحابة فتاخر جبريل ثم عرج به صلى الله عليه وسلم
اي في تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام وفي رواية صريف اي صوت
حركتها حال الكتابة اي ما تكتبه الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان
جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ما تقدم من ان سدرة المنتهى فوق السما السابعة
الى اخر ما تقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها على يمين العرش وفي رواية ثم انطلق بي جبريل
الى ظهر السما السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللولو والزبرجد وعليه طير
خضر نعم الطير رايته قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب
والفضة يجري على رضاض من الياقوت والزمرد بالذال المعجمة كما تقدم ماوه اشد
بياضا من اللبن فاخذت من آنيته واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو احلى من العسل
واشد رايحة من المسك اقول قد تقدم ان هذا النهر من العين التي تخرج من سدرة
المنتهى التي يقال لها السلسبيل اي فهو يخرج من تلك الشجرة وهو على ما ذكر يدخل
الجنة ويستقر بها فلا ينافي كون الكوثر نهرا في الجنة وان السلسبيل عين في الجنة
لان السلسبيل على ما تقدم اصل الكوثر والله اعلم وفي رواية انها اي سدرة المنتهى
في السما السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي
ما يهبط من فوقها فيقبض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتجاوزونها
ومن ثم سميت سدرة المنتهى وعن بشر بن سلام عن بعض السلف قال انما سميت
سدرة المنتهى لان روح المومن ينتهي بها اليها فتصلي عليه هناك الملائكة
المقربون وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى في السادسة وكونها في
السابعة بان اصلها في السادسة واغصانها في السابعة اي فوق السابعة
على ما تقدم وهذا الجمع المقتضي لكون اصلها في السادسة لا يناسب كون
الانهار تخرج من اصلها الى اخر ما تقدم ويروى ان جبريل لما وصل الى مقامه
وهو سدرة المنتهى فوق السما السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها انت وربك هذا
مقامي لا اتعداه فزج بي في النور اي لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف

قال الشيخ

قال الشيخ عبد الوهاب وهو نظير المحفة عندنا وفي تاريخ الشيخ العيني شارح البخاري
عن مقاتل ابن حيان قال انطلق بي جبريل حتى اتى الى الباب الاكبر عند سدرة المنتهى
قال جبريل تقدم يا محمد قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش
من حرير الجنة فنادى جبريل من خلفي يا محمد ان الله يثني عليك فاسمع واطع ولا
يهولنك كلامه فبدات بالثنا على الله تعالى الحديث اي وفي ذلك النور المستوى الذي
يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب وفي رواية
انه لما وقف جبريل قال له صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام يترك الخليل
خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله تعالى لي ان ابسط جناحي على الصراط
لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بي في النور فخرق بي الى سبعين الف حجاب ليس
فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسماية عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني
عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينما انا
اتفكر في ذلك اي في وجود ابي بكر في هذا المحل وفي صلاة ربي اي قولها اسبقني ابو بكر
وكيف يصلي ربي وهو غني عن ان يصلي كما يدل على ذلك ما ياتي فاذا النداء من العلي الاعلى
ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد فادناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفي الخصايص الصغرى وخص بالاسرى
وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطيه
مكانا ما وطيه نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية ككلام الخصايص تدل
على ان فاعل دنا فتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه وسلم وحينيذ يكون معنى تدلى
زاد في القرب وجعل بعض العلما من جملة ما خالف شريك فيه المشهور من الروايات
انه جعل فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى اي الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
من محمد قاب قوسين او ادنى ثم رايت الحافظ ابن حجر ذكر عن البيهقي انه روي بسند
حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معنى الدنو والتدلي الواقعين من الله
سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سما الدنيا كل ليلة حين
يبقى ثلث الليل الاخير وهو اي دنوه عند اهل الحقايق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف بعباده

وتبنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو في حقهم حقيقة
وفي حقه تعالى مجاز وروايته بعضهم ذكر ان فاعل دنا جبريل وفاعل تدلى محمد صلى الله عليه وسلم
اي سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما اعطاه من الزلفى ورايت بعض اخر ذكر ان فاعل تدلى
الرفرف وفاعل دنا محمد صلى الله عليه وسلم اي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه
ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه اي قرب قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان تعالى الله عن
ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد
اي بيد قدرته تعالى لانه سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين
وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه
الى العام والخاص من امتي وهي الانس والجن اي ولذلك المكلف على ما تقدم اقول هذا التفصيل
يدل على ان العلوم الشتى هي هذه الثلاثة الا انه يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على
انواع من العلوم والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا
ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فتعجبت من هاتين هل سبقني
ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول
سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك
موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر
العصا عن عظيم الهيبة وكذلك يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته
ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لا يلحقك من عظيم الهيبة اقول لعل المراد خلقنا
صورة على صورته لانه ليس في الرواية انه راى ذلك الملك على صورة ابي بكر وانما سمع صوته
والله اعلم ثم قال الله عز وجل واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد
قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك اقول لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا
لك في دينك عاملا بسنتك اي وهو مراد جبريل بما منه صلى الله عليه وسلم في قوله ان يبسط جناحي
لامتك على الصراط والله اعلم وروي انه صلى الله عليه وسلم لما راى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا
قال صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الي ما اوحى وقد ذكر الثعلبي والقشيري في تفسير قوله تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى ان من جملة ما اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى

الامم

الامم حتى تدخلها امتك قال القشيري واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك
بالماء واللبن والخمر والعسل ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة اقول تقدم ان من جملة
ما اوحى اليه في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض الم نشرح
وقد تقدم ذلك عند الكلام على انواع الوحي وقدمنا انه يجمع لذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الاية على ما تقدم هذا وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل رويدا
اي قف قليلا فان ربك يصلي قلت اهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ اخر قلت يا جبريل
ايصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت
رحمتي غضبي ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة
وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه تعالى يصلي في المرة الثانية وما بعدها
وورد ان بني اسرائيل سالوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فقال
الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال اخبرهم اني اصلي وان صلاتي تطفي غضبي
قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى اي وفي رواية فانجلت تلك السحابة اي عند وصوله الى سدرة
المنتهى الذي هو المحل الذي وقف فيه جبريل فاخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فاتى على ابراهيم فلم يقل
شيئا ثم اتى على موسى وهذا يدل على ما هو المشهور في الروايات ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كان في السابعة وموسى كان في السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم كان في السادسة وموسى كان
في السابعة كما تقدم ولما اتى الى موسى عليه السلام قال له ما فرض ربك عليك اي وفي لفظ
بما امرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك
فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم اي وفي البخاري ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم
واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة اي فانه فرض عليهم صلاتان
فما قاموا بها اي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض ركعتان عند الزوال اي فما قاموا
بذلك وفي تفسير البيضاوي ان الذي فرض على بني اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وسياتي ذكر
ذلك في بعض الروايات ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف انه استكثر الخمس التي هي المرة الاخيرة
فهو انما يناسب ما تقدم ثم رايت القاضي البيضاوي قال في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الامر الذي كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة في اليوم
والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية ان كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة في اليوم والليلة

بالمراد بسط الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك اي وانما كانت
امته مأمورة بما امر به ومعزوة فيما فرض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على امته
والاسوة صلى الله عليه وسلم امرها الان الاصل ان ما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الى ان يقوم
الدليل على الخصوصية **قال** فرجعت الى ربي اي انتهي الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا
فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا
قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف **قال** فلم ازل ارجع بين ربي تبارك
وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة
لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له
عشرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة فان عملها كتبت له سيئة واحدة **قال** صلى الله عليه وسلم
فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى
ربي حتى استحييت منه **ورجا** في الحديث اكثرهن الصلاة على موسى فما رايت احدا من الانبياء احوط
على امته منه اي وفي رواية انه وضع عنه عشر صلوات الى ان امر بخمس صلوات **اقول** في الوفا ان
رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عشر صلوات اصح لانه قد اتفق
البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه فليتأمل
والمتبادر من قوله الى ان امر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين واثبت تعلقا جديدا
بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين من ابقاء التعلق
بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين **قيل** وفي هذا النسخ قبل
البلاغ وقد اتفق اهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة الى
النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ فقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى
وما قيل ان الخمس في ليلة الاسرا ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا في حق
الامة اي لعدم بلوغهم لهم هذا كلامه واذا نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق امته كما هو
الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله
من ان وجوب الخمسين لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق الامة ولعل مستنده
في ذلك رواية فرض الله على امتي ليلة الاسرا خمسين صلاة فلم ازل اراجعه واسأله التخفيف
حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة اي على الامة كما هو المتبادر وقوله موسى عليه الصلاة والسلام

له صلى الله عليه وسلم ان امتك لا تطيق ذلك وربما يومي فوق ذلك قول الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا ✽ بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فابقيت اجر الكل ما اختل ذرة ✽ وخففت الخمسون عنا بخمسة

ونبه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بانه لا يجوز النسخ قبل التمكن
من الفعل ودخول وقته والظاهر ان الخمسين التي فرضت اولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر
مرات فما زاد على الخمس مساو لها ويحتمل ان تكون صلوات اخر مغايرة لتلك الصلوات الخمس
ولم اقف على بيان تلك الصلوات وعلى ان الخمسين لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم لم اقف على
ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته لها والى عروجه صلى الله عليه وسلم وعروجه
اشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا ✽ ت العلى فوقها له اسراء
وصف الليلة التي كان للمختا ✽ ر فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسين ✽ وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى ✽ دونها ما وراءهن وراء
وتلقى من ربه كلمات ✽ كل علم في شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق في ✽ قطرة منها العالمون والحكماء

اي وطوى الارض حالة كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت
له قبل ذلك السموات العلى لما كان له فوقها اسرا اي ليلة الاسرا الى ان جاوزها جميعها
في اسرع وقت تصف تلك الليلة التي كان المختار فيها على البراق استوا واستقرار وصعود ذلك
البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم هي السعادة الثابتة
الذي لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الاماني حسرة ذات اعيا وتعب
ما قدامهن قدام اي ليس بعدها من رتبة ينالها احد غيره وتلقى من ربه كلمات ما علم
بالنسبة اليها كالهبا وهو ما يرى في ضوء الشمس وبث سبحانه وتعالى اليه علوما لا يدرك العلما
والحكماء قطرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه ما في حياة الحيوان
ان قيل المعرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما على البراق ولم ينزل عنه حتى مضى عليه الجواب انه عرج
به الى دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهارا للقدرة الله تعالى هذا كلامه فليتأمل وتقدم عن الحافظ

ابن كثير انكار صعوده صلي الله عليه وسلم علي البراق وقد جا كان موسي اشدهم علي حين
مررت عليه وخيرهم الي حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم اي فانه صلي الله عليه وسلم
لما جاوزه عند الصعود بكي فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام اي لانه حديث السن
بالنسبة لموسي هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل
الجنة من امتي وفي رواية تزعم بنو اسرايل اي وهو يعقوب بن اسحاق عليهما الصلاة والسلام
ومعني اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله وفي لفظ تزعم الناس اني اكرم علي الله منه ولو كان
هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله تعالي اي انظر الي شرفه وشرف امته علي ساير
الامم اقول والغرض من هذا وما تقدم عنه عند مروره صلي الله عليه وسلم علي قبره عليه الصلاة
والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلي الله عليه وسلم وفضيلة امته بانه
افضل الانبيا وامته افضل الامم وفي رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة
سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل صلي الله عليه وسلم يسال حتي جعلت
الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال وعن انس رضي الله تعالي عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت الليلة اسري بي مكتوبا علي باب الجنة الصدقة
بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال
لان السايل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهي هذا والراجح عند ايمتنا
ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض افضل من درهم الصدقة كما في
بعض الروايات ان درهم الصدقة بعشرة بصيغة الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله
فهو بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر وعرضت عليه صلي الله عليه وسلم النار فاذا هو فيها
غضب الله تعالي اي نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي هذه الرواية زيادة علي
ما تقدم ونبي فاذا قوم ياكلون الجيف فقال من هولا يا جبريل فقال هولا الذين ياكلون
لحوم الناس اي وتقدم انه صلي الله عليه وسلم راي هولا في الارض وان لهم اظفارا من حديد
يخمشون وجوههم وصدورهم ورآهم في السما الدنيا وانهم يقطعون اللحم من جنوبهم
فيلقمونه ولينظر ما الحكمة في روية هولا دون غيرهم من بقية اهل الكباير الذين رآهم
في الارض وفي السما الدنيا ولعل الحكمة في ذلك المبالغة في الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها
وراي فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر الناقة اي لعاد وقوله

الجنة

الجنة وعرض النار عليه كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به في النور ولا مانع من ان تعرض
عليه النار وهو فوق السما السابعة وهي في الارض السابعة اقول ونقل القرطبي في
تفسيره عن الثعلبي عن انس بن مالك رضي الله تعالي عنه انه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم رايت ليلة اسري بي الي السما تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم
هذه سبعين مرة مملوءة من الملايكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون
في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اي صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم
الجمعة اي لصلاتها وهذا يفيد ان هذه التسمية اي تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة
معروفة عند الملايكة وعنده صلي الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمي لها بذلك
كعب بن لوي كما تقدم ويخالف ما سياتي من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله
تعالي للمسلمين بالمدينة وانه لما ارسل اليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يصلوها في ذلك
اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر علي قوله اليوم الذي يليه اليوم الذي تجهر فيه اليهود
بالزبور لسبتهم اي في اكثر الروايات والا فقد رايت السهيلي ذكر حديثا عن ابن عباس
رضي الله تعالي عنهما انه سمي ذلك اليوم بيوم الجمعة ونصه كتب صلي الله عليه وسلم الي مصعب
ابن عمير اما بعد فانظر اليوم الذي يليه اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا
نساكم وابناكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة بل اكثر الروايات
يجوز ان يكون اخباره صلي الله عليه وسلم بذلك هنا اي في قصة المعراج كان بعد التسمية
وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون الذي سمعه من الملايكة
يوم العروبة مثلا والله اعلم قال وراي مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف
الغضب في وجهه فبدا النبي صلي الله عليه وسلم اي بالسلام ثم اغلقت دونه انتهي وفي الاصل
وفي الحديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رايتني اي يخبر انه صلي الله عليه وسلم راي نفسه
في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة اي حضر ارادة الصلاة فاممتهم اي صليت
بهم اماما قال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبداني بالسلام
قال وجا انه صلي الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي لم ات اهل سما الا رحبوا بي وضحكوا
الا غير واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك الي قال ذلك مالك
خازن النار لم يضحك منذ خلق لو ضحك لاحد لضحك اليك انتهي اقول وهذا السياق

يدل علي ان ضحكه من لقيه من الانبيا والملايكة في السموات له صلي الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر في شي منها علي ما علمت ويدل علي ان مالكا خازن النار وجده في السما السابعة وانه مرة بدا النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام ومرة بداه النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون في المرة الاولي هو الذي بدا النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم رايت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بدا خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من انه راي رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلي من انه لم يره علي الصورة التي يراه عليها المعذبون في الاخرة ولو راه عليها لم يستطع ان ينظر اليه وقوله صلي الله عليه وسلم لم اته مما الي اخره قد يعارضه ما جا انه صلي الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم ار ميكاييل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكاييل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها وهذا لا ينافي ان ميكاييل ضحك بعد ذلك فقد جا انه صلي الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسيل عن ذلك فقال رايت ميكاييل راجعا من طلب القوم اي يوم بدر وعلي جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعد ما اخرجه احمد في مسنده عن انس بن مالك رضي الله تعالي عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال لجبريل اني لم ار ميكاييل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكاييل منذ خلقت النار ومما يدل علي ان جبريل عليه السلام خلق قبل النار ايضا ما في مسند احمد عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لجبريل لم تاتني الا رايتك صارا بين عينيك قال اني لم اضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من روية الجنة والنار يرد علي الجبية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وابي هاشم حيث زعموا ان الله تعالي لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا موجودتين الان وانما لم يخلقهما الله سبحانه الا يوم الجزا مستدلين بانه لا يحسن من الحكيم ان يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق اهلهما وبانهما لو كانا مخلوقتين في السما والارض لفنيا بهما واجيب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزا لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد في

اجتناب

اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتنا مل واجيب عن الثاني بان الله تعالي استثناهما من قوله تعالي فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وفيه ان هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذي الروح وبان الجنة كما قيل ليست في السما السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينيذ يكون القول بان الجنة في السما السابعة والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله اعلم قال واختلف في روييته صلي الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالي تلك الليلة فاكثر العلما علي وقوع ذلك اي انه راه بعيني راسه واستدل بحديث رايت ربي في احسن صورة ورد بان هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن ه وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالي القلوب فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلي الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للروية والمكالمة وانكرتها عايشة رضي الله تعالي عنها وقالت من زعم ان محمدا راي ربه بعيني راسه فقد اعظم الفرية علي الله تعالي اي فقد اتي باعظم الافترا والكذب علي الله تعالي ووافقها علي ذلك من الصحابة ابن مسعود وابو هريرة رضي الله تعالي عنهما وجمع من العلما ونقل عن الداري الحافظ انه نقل اجماع الصحابة علي ذلك وتطرق فيه وذهب الي الروية اي المذكورة اكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكي بعض الحفاظ علي وقوع الروية له بعيني راسه الاجماع والي ذلك يشير صاحب الامالي بقوله

وراه وما راه سواه ... روية العين يقظة لا المرايي

واحتجت عايشة رضي الله تعالي عنها علي منع الروية بقوله تعالي لا تدركه الابصار قال وروي ان مسروقا قال لها الم يقل الله ولقد راه نزلة اخري فقالت ان الضمير المستتر له صلي الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالي فقالت انا اول هذه الامة سال رسول الله صلي الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال انما رايت جبريل منهبطا اي فالضمير البارز انما هو لجبريل وفي رواية قال لها ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين اي مرة في الارض ومرة في السما في هذه الليلة كما تقدم وعلي ظاهر الاية اي من جعل الضمير المستتر له صلي الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالي وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت عن عايشة يلزم ان يكون صلي الله عليه وسلم راي الحق سبحانه وتعالي ليلة المعراج مرتين مرة في قاب ومرة عند سدرة المنتهي ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعني لقول الحصا بعض الصغري وخص صلي الله

عليه وسلم برويته للباري تعالى مرتين وفيها وجمع له بين الكلام والروية وكلم عند سدرة المنتهى
وكلم موسى بالجبل قال بعضهم يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم خاطب عايشة كما ذكر اي بقوله
انما رايت جبريل الى اخره على قدر عقلها اي في ذلك الوقت انتهى وايد قولها بما روي عن ابي ذر
رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله هل رايت ربك قال رايت نورا اي حجبني ومنعني عن رويته
تعالى ومن ثم جا في رواية نورا ني اراه اي كيف اراه مع وجود النور لان النور اذا غشي البصر
حجبه عن روية ما وراه اي وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئي له خلافا لمن توهم
ذلك وايده بما روي نوراني اي لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض
لم ارها في اصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض
اي لانه كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك ساير المبصرات
كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى
يتعالى عن ذلك اي تجلى به تعالى النور كما رواه مسلم اي ومن ثم قيل في قوله تعالى الله نور
السموات اي ذو نور او هو على المبالغة اي وجا رايت ربي في صورة شاب امرد عليه حلة
خضرا دونه ستر من لولو وجا رايت ربي في احسن صورة قال الكمال بن الهمام ان كان
المراد به روية اليقظة فهو حجاب الصورة قال وقيل راه بفواده مرتين لا بعيني
راسه نعن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رايت ربك قال لم اره بعيني رايته
بفوادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى الاية وهذا السياق يدل على ان فاعله فاتدلى الحق سبحانه
وتعالى والمراد بالفواد القلب اي خلقت الروية في القلب او خلق الله لفواده بصرا راى
به انتهى اقول وكون الفواد له بصر واضح لقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى واجيب
عما احتجت به عايشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار بانه لا يلزم من
الروية الادراك الذي هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من اصل الروية
وقد قال بعضهم للامام احمد اي معنى تدفع قول عايشة رضي الله تعالى عنها من زعم ان
محمدا راى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية فقال يدفع بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي
وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها هذا وقد قال ابو العباس بن تيمية الامام احمد انما يعني
روية المنام فانه لما سيل عن ذلك قال نعم راه فان رويا الانبيا حق ولم يقل انه راه بعيني
راسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك اقول وفيه

انه

انه يبعد ان يكون الامام احمد يفهم عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها تنكر رويا المنام حتى يرد
عليها وقد ضعف حديث ابي ذر المتقدم وهو قلت يا رسول الله رايت ربك فقال نورا اي اراه
وهو من جملة الاحاديث التي في مسلم التي نظر فيها والله اعلم قال ابو العباس بن تيمية واهل
السنة متفقون على ان الله تعالى لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع
الا في نبينا خاصة مع ان احاديث المعراج المعروفة ليس في شي منها انه راه وانما روي ذلك باسناد
موضوع باتفاق اهل الحديث وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا
ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد ساله موسى الروية فمنعها وقد نقل القرطبي عن جماعة
من المحققين القول في الوقف في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان
ظواهر متعارضة قابلة للتاويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعي هذا كلامه
ونازع فيه السبكي بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وهي التي نكلف
باعتقادها كالحشر والنشر من المعتقدات التي يكتفي فيها بخبر الاحاد الصحيح وهي التي لا نكلف
باعتقادها كما هنا فيه وفي الخصايص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برويته من ايات
ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبرويته للباري مرتين وفي كلام بعضهم قال بعض
العلما في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى راى صورة ذاته المباركة في الملكوت
فاذا هو عروس المملكة وفي كلام ابن دحية خص بالف خصلة منها الروية والقرب والدنو
قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في اثبات الروية
وحينيذ يجب المصير الى اثباتها ولا يستجري احد ان يظن في ابن عباس انه يتكلم في هذه المسئلة
بالظن والاجتهاد قال الامام النووي والراجح عند اكثر العلما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى ربه بعيني راسه اي واما رويته تعالى يوم القيامة في الموقف فعامة لكل احد من الخلق
الانس والجن من الرجال والنسا المومن والكافر والملايكة جبريل وغيره واما رويته تعالى
في الجنة فقيل لا يراه الملايكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس
عدم روية الملايكة عدم روية الجن ورد ذلك واختلف في روية النسا من هذه الامة له تعالى
في الجنة فقيل لا يرونه لانهن مقصورات اي محبوسات في الخيام وقيل يرونه كالرجال وقيل
يرونه في ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه في كل جمعة فقد جا انه تعالى يتجلى
في مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة موسى الحوز على الراجح وجا ان الكرام

كان للمسلمين عيدا في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى
يوم الجمعة في الجنة بيوم المزيد قال بعضهم هذا لعموم اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد
يرونه فيه بكرة وعشيا واما رؤية الله تعالى في النوم ففي الخصايص الصغرى ومن خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل في المنام ولا يجوز لغيره ذكره في احد القولين وهو
اختيار وعليه ابو منصور الماتريدي وفي كلام الامام النووي قال القاضي عياض اتفق العلما
على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها اي وقوعها قالوا وان راه حينيذ انسان على صفة
لا تليق بجلاله من صفة الاجساد لان ذلك المرءي غير ذات الله تعالى والله اعلم ثم لا يخفى
ان اكثر العلما على ان الاسرا الى بيت المقدس ثم المعراج الى السما كان في ليلة واحدة اي وقيل كان
الاسرا وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى قال وقد جا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل
الى سما الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل
قال هذه الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفكرون اي وذلك مانع لهم من التفكر
في ملكوت السموات والارض اي لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لراوا العجايب
اي ادركوها ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا اي بنا على انه لم يعرج على البراق كما
يعبر لغريبتي الى اخر ما تقدم انتهى اقول ذكر بعضهم ان مما انزل عليه بين السما والارض
اي عند نزوله من السما قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الايات الثلاث وقوله تعالى
واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والايتان من اخر سورة البقرة وهما امن الرسول
الى اخر السورة وتقدم انهما نزلتا بقاب قوسين والله اعلم واستدل على ان كلا من الاسرا والمعراج
كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الاية
العبد حقيقة هو الروح والجسد قال الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وقوله تعالى
وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسرا مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التي منها
البراق لا تحمل الارواح انما تحمل الاجساد واستدل على ان الرؤية كانت بعيني راسه يقظة
بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضي ان ذلك يقظة
ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه اقول فيه ان لقايل ان يقول يجوز ان
يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق لقلبه بصرا والله اعلم وقيل كان الاسرا
بجسده والمعراج بروحه الشريفة اي بذاتها عرج بها حقيقة من غير اماتة للجسد

وكان

وكان حالها في ذلك اي في صعودها كحالها بعد مفارقتها لجسدها بموته في صعودها في السموات
حتى تقف بين يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه النايم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال
ذات روحه الصعود الا بعد الموت لجسدها قيل ومن ثم لم يستبشع كفار قريش الا امر الاسرا
دون المعراج اقول الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسرا
تاخر عن اخباره بالاسرا بنا على انهما كانا في ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن
في ليلة الاسرا الذي اخبر به كفار قريش قال اذ لو كان اي في تلك الليلة لاخبر به حين
اخبرهم بالاسرا اي ولم يخبر به حينيذ اذ لو اخبر به حينيذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى
اي مع الاسرا لان المعراج ابلغ في المدح والكرامة وخرق العادة من الاسرا الى المسجد الاقصى
واجيب عنه بانه عليه السلام اذ كان في ليلة الاسرا الذي اخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم
استدرجهم الى الايمان بذكر الاسرا اولا فلما ظهرت لهم امارات صدقه على تلك الاية الخارقة
التي هي الاسرا اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج بعد ذلك اي وحيث اخبرهم بذلكم تكريره
لذلك اي لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسرا وتقدم عن المواهب انهم
لم يسالوه عن علامة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بما في
في السما والحق سبحانه وتعالى ارشده الى ذلك اي الى ان يخبرهم بالاسرا اولا ثم بالمعراج
ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسرا بل انزل ذلك في سورة النجم ومما يؤيد
انهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت الصلاة
ليلة الاسرا لان من المعلوم ان فرض الصلاة اي الصلوات الخمس انما هو في المعراج واما
افراده كلا من الاسرا والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان
كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطي
في سيرته فذكر ان المعراج كان في رمضان والاسرا كان في ربيع الاول والله تعالى اعلم وقيل
كان الاسرا وقع له صلى الله عليه وسلم اي بعد البعثة مرتين مناما اولا ويقظة ثانيا
اي فكانت مرة المنام توطية وتيسيرا لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع
في الاحاديث اي فبعض الرواة خلط الواقع له مناما بالواقع له يقظة وعلى هذا الاشكال
قول شريك فلما استيقظت لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة ففي رواية وذلك
قبل ان يوحى اليه وقد انكر الخطابي ذلك عليه وعده من جملة اوهامه الواقعة في حديث الاسرا والمعراج

ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن
ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جا انه صلى الله عليه وسلم
كان سأل ربه ان يريه الجنة والنار فلما كان نايما ظهرا اتاه جبريل وميكاييل فقالا
انطلق الي ما سالت الله تعالى فانطلقا بي الي ما بين المقام وزمزم فاتيا بالمعراج
فاذا احسن شي منظرا فعرجا بي الي السموات سما سما الحديث ولا يخفي ان سياق هذا
الحديث يدل على ان ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون دليلا على قوله يقظة وقد جا
عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله من ما زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغهما في صدري ثم اخذ بيدي فعرج الي السما
الحديث وقد يدعي ان في رواية ابي ذر اختصارا وليس فيها ان ذلك مناما او يقظة اي
واما ما ادعاه بعضهم ان المعراج تكرر يقظة فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سوال الملك
كل باب من ابواب السما هل بعث اليه وكيف يتكرر سواله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي
وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس واما مناما فلا بعد في تكرر ذلك توطية لوقوعه
بقظة ٥ اي وهذا منشا اختلاف الروايات ادخل بعض الرواة ما وقع في المنام
ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسرا وتعدد روايات الاسرا يقتضي تعدده
في اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت
الاخري مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد ابعد واغرب اي فالحق
انه اسرا واحد بروحه وبجسده يقظة وذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم وذكر
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت اربعة وعشرين مره وقيل ثلاثين
مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رويا راها ومن
ذلك ما وقع له في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عايشة رضي الله تعالى عنها ما فقد
ما فقدت جسده الشريف وفي صبيحة المعراج اي حين زالت الشمس من اليوم الذي يلي
الليلة التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام واما منه بالنبي
صلى الله عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اي وكيفيتها اي لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم
بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا

بان الرباعية منها فرضت ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلاة
جامعة فاجتمعوا فصلى بهم جبريل عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت
تلك الصلاة الظهر لانها فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر او عند بدو نها بدا ارتفاع
الشمس وهذا الحديث ظاهر بان صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع
جبريل ويحتمل الا ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله
عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر اربع ركعات لا يقرا فيهن علانية ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي
الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم يصلي
كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرا
في كل ركعتين علانية وركعة لا يقرا فيها علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي
الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بجبريل وفي كلام الامام النووي قوله ان جبريل نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو بكسر الهمزة ويوضحه قوله في الحديث نزل جبريل فامني واستدل بذلك بعضهم على جواز
الاقتدا بمن هو مقتد بغيره لانا نقول ايمتنا من منع ذلك واجيب عنه من جانب
ايمتنا بان معني كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل انه متابع له في الافعال من غير
نية اقتدا او انه اقتدي به ثم نوى مفارقته على فعل جبريل فلا يشكل على ايمتنا نعم هذا الجواب يشكل
على ايمتنا الفا بلبن بانه لا بد من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفي علمها
بالمشاهدة وقد يجاب بانه يجوز ان يكون جبريل علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول
ثم اتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه لذلك وما تقرر يسقط الاستدلال
بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملايكة
ليسوا مكلفين بذلك على انه اجيب بانها كانت واجبة على جبريل لانه مامور بتعليمها
له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند البيت اي الكعبة مستقبلا بيت المقدس
اي صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس كان باجتهاد منه وقيل كان بامر
من الله تعالى له قبل القران وقيل بغيره وعليه فلا بد ان يكون مما نسخت تلاوته وقد قال

ايضا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الي بيت المقدس كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم
اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بلينه وبينه فيصلي بين الركن اليماني وركن الحجر
الاسود اي كما صلي به جبريل الركعتين اول البعث كما تقدم وحينيذ لا يخالف هذا قول
بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتي خرج منها اي من مكة اي لم يستدبرها
فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس اي محض استقباله له واستدبر
الكعبة وظاهر اطلاقهم ان هذا اي استقباله لبيت المقدس وجعل الكعبة بلينه وبينه
كان شانه صلى الله عليه وسلم غالبا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر انه
صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك عادة لا وجوبا والا فقد جا ان صلاة جبريل به صلى الله عليه
وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في الام وروي
الطحاوي عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المنخفض الذي تسميه العامة المعجنة
كما تقدم وصلاته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون
مستقبلا للكعبة بل يكون على يساره لانه لا يتصور ان يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا
للكعبة ايضا الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وايضا ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم
كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراظهره وهو بمكة اي في بعض الاوقات
حتي لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس ولا
بنا في ذلك ما في زيدة الاعمال اقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان
يصلي الي بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها الا مكان حمل مدة
اقامته على غالبها ومما يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الي بيت
المقدس وهم بمكة ما سياتي عن البراء بن معرور انه لما عدل عن استقباله لبيت المقدس
الي استقبال الكعبة قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك قال له قد كنت على قبلة
لو صبرت عليها وامه به جبريل عليه السلام مرتين مرة اول الوقت ومرة اخر
الوقت لكن الاختياري بالنسبة للعصر والعشا والصبح لا الاخر الحقيقي لفعله
الوقت اي ولما جاه صلى الله عليه وسلم جبريل امر فصيح باصحابه الصلاة جامعة
كما تقدم اي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ما تقدم
وسياتي وقال فقد جا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل جاكم ليعلمكم دينكم

وصلى به

وصلى به في اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اي عقب زوالها وصلى به العصر حين صار
ظل كل شي مثله اي زيادة على ظل الاستوا وعلى الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب
حين افطر الصايم اي دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشا حين غاب الشفق
وصلى به اي في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصايم
اي حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر اي فان قيل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم
حينيذ لم يكن الصوم الذي هو رمضان فرض اجيب بانه على تسليم انه لم يفرض صوم
قبل رمضان وهو صوم عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر على ما سياتي جاز ان يكون
اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به الظهر حين كان
ظل الشي مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشي مثليه وصلى به المغرب حين افطر الصايم
وصلى به العشا ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث واسفر ثم التفت
وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين انتهى
واما رواية صلى في الظهر الي ان قال وصلى في الفجر فلما كان الغد صلى في الظهر المقتضي ذلك
لان يكون الفجر ليس من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله وفيه دليل على ان اليوم من
طلوع الشمس كما يقول الفلكيون اي ولا يخفى ان قوله والوقت ما بين هذين الوقتين
محمول عند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه على الوقت الاختياري بالنسبة
للعصر والعشا والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشا
لا يخرج الا بطلوع الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري حيث
ذهب الي خروج وقت العصر بمصير ظل كل الشي مثليه والعشا بثلث الليل والصبح
بالاسفار تمسكا بظاهر الحديث والبداءة بالظهر هو ما عليه اكثر الروايات
وروي ان البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم تقع البداءة بالصبح
مع انها اول صلاة حضرت بعد ليلة الاسرا لان الاتيان بها يتوقف على بيان علم
كيفيتها المعلق عليه الوجوب كانه قيل اوحيث حيث ما تبين كيفيته في
وقته والصبح لم تتبين كيفيتها في وقتها فلم تجب ولا بقا له هذا من تاخير
البيان عن وقت الحاجة واجاب الامام بانه حصل التصريح بان اول وجوب
الخمس من الظهر كانه قيل اوجبت ما عدا صلاة صبح يوم هذه الليلة تقدم وجوبها

ليس لعدم علم كيفيتها فهي غير واجبة وان فرض علم كيفيتها فيه انه يلزم حينئذ
ان الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم وليلته قال ابو
بكر ابن العربي ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك ان هذه الصلوات
في هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبيا قبله وليس كذلك وانما
معناه ان وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبيا قبلك فانه كان
محدود الطرفين والا فلم ذكر هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه
الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها اي فقد جا عن عايشة
رضي الله تعالى عنها ان ادم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين
فصارت الصبح وفدي اسحاق عند الظهر اي على القول بانه الذبيح
فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال
لبثت يوما اي لما راى الشمس قريبة من الغروب قال او بعض يوم فصلى
اربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب اي الغروب فقام فصلى
اربع ركعات فجهد اي تعب فجلس في الثالثة اي سلم منها فصارت المغرب
ثلاثا اول من صلى العشا نبينا صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسند
امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه للامام الرافعي رحمه الله كانت الصبح صلاة
ادم والظهر صلاة داود اي فقد اشترك داود واسحاق في صلاة الظهر والعصر
صلاة سليمان اي فقد اشترك سليمان وعزير في صلاة العصر والمغرب
صلاة يعقوب اي فقد اشترك يعقوب وداود في صلاة المغرب والعشا
صلاة يونس واورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشا من خصايص نبينا
صلى الله عليه وسلم والاصل ان ما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يقوم
الدليل على الخصوصية فليست من خصايص هذه الامة وذكر بعضهم ان
المغرب كانت صلاة عيسى اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن
امه اي فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب وفي كلام
بعضهم اول من صلى الفجر ادم والظهر ابراهيم اي وعليه فقد اشترك ابراهيم
واسحاق وداود في صلاة الظهر واول من صلى العصر يونس اي وعليه فقد اشترك

سليمان وعزير ويونس في صلاة العصر واول من صلى المغرب عيسى واول من صلى
العتمة التي هي العشا موسى اي وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى
الله عليهم وسلم في صلاة العشا وفي الخصايص الكبرى خص بانه اول من صلى
العشا ولم يصلها نبي قبله ومن لازمه انه لم يصلها احد من الامم وقد جا التصريح
به في بعض الروايات انكم فضلتم بها اي العشا على ساير الامم وعليه فهي من خصايصنا
ومن خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بنا الكعبة ان جبريل صلى
بابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتأمل قال قبل فرض الصلاة
الخمس في المعراج ركعتين اي حتى المغرب ثم زيدت في صلاة الحضر فاكملها اربعا في الظهر
في غير يوم الجمعة واربعا في العصر وثلاثا في المغرب واقرت صلاة السفر على ركعتين اي حتى
في المغرب فعن عايشة رضي الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان اي في الصبح
والظهر والعصر والمغرب والعشا فلما اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اي بعد شهر
وقبل عشرة ايام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لم
يزد عليها لطول القراة اي فانها يطلب فيها تطويل القراة اي على الظهر والعصر المطلوب
فيهما قراة طوال المفصل وصلاة المغرب اي تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان
بل ركعة فصارت ثلاثا لانها وتر النهار اي كما جا في الحديث فتعود عليه بركة الوتر به
اي ان الله تعالى وتر يحب الوتر والمراد انها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة النهار
فلم يزد فيها شي اي في غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عايشة رضي الله تعالى عنها ولو
يفيد ان صلاة السفر استمرت على الركعتين اي في غير المغرب اي وحينئذ يلزم ان يكون القصر
في الظهر والعصر والعشا عزيمة لا رخصة ويجتمع ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاة وفي كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عايشة فاقرت صلاة السفر
باعتبار ما ال اليه الامر من التخفيف اي لانه لما استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر
لانه استقر امرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة شهرا واربعين يوما ثم نزلت
اية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية لانها استمرت منذ فرضت فلا يلزم ذلك ان القصر
عزيمة ه وقيل فرضت اي الصلوات الخمس في المعراج اربعا الا المغرب فرضت
ثلاثا والا الصبح فرضت ركعتين ثم قصرت الاربع في السفر اي وهو المناسب لقوله تعالى

فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القران وكلام جمهور العلما ويمكن ان يكون المراد من كلام عايشة رضي الله تعالى عنها انها فرضت ركعتين بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا ياتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويبعد هذا الحمل ما روي عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اي الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة واقام شهرا او عشرة ايام فرضت الصلاة اربعا وثلاثا وتركت الركعتان تماما اي تامة للمسافر وعن يعلي بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال النبي صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اي فصار سببه مجرد السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان سال قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قايل منهم ان لهم اخرى في اثرها فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر قال ابن جرير هذا تاويل في الاية حسن لو لم يكن في الاية اذا قال ابن الفرس يصح مع اذا على جعل الواو زايدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط واحسن منه ان تجعل اذا زايدة بنا على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتامل وقيل فرضت اي الرباعية اربعا في الحضر وركعتين في السفر فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة الغداة ركعتان غير قصر اي تامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرضت في الحضر

اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اي وفيه صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة اي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان يحرم بالجميع ويسجد معه صف اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الاخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة ولا يقال ان في كلام ابن عباس ما يفيد ان صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم متاخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود كنا نقول قبل ان يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكاييل السلام على فلان اي من الملايكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره ولم اقف على الوقت الذي فرض التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه واعلم ان قولهم السلام على الله الى اخره هل كان واجبا او مندوبا قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت لذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي اي بسبب تلك الحواس وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله ارايتم لو كان بباب احدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات كان ذلك يبقي من درنه شيا قالوا لا قال فذاك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق اجنحة الملايكة كانها جعلت اجنحة للشخص يطير بها الى الله سبحانه وتعالى وسيل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى قال نعم وتلى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اراد بحين تمسون المغرب والعشا وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جا في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي اي من المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح في القران فهو صلاة

باب رابع وثلاثين في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبايل من العرب ان يحموه وينا صروه على ما جا به من الحق

اي لانه صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته ثلاث سنين ثم اعلم بها في الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم اي بمنى والموقف يسال عن القبايل

قبيلة قبيلة ويسال عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذي المجاز
فقد تقدم ان العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه
عشرين يوما ثم تجيء سوق ذي المجاز تقيم فيه الى ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ
رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا رجل يعرض علي قومه فان قريشا منعوني
ان ابلغ كلام ربي وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة
يطوف على الناس في منازلهم اي بمنى يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا
تشركوا به شيا ووراءه رجل يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم
فسالت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه وفي رواية عن ابي طارق رضي الله تعالى
عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على قبايل
العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان
اي ذوابتان يرجمه بالحجارة حتى ادمى كعبيه يقول يا ايها الناس لا تسمعوا منه فانه
كذاب فسالت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذي يرجمه فقيل له عمه
عبد العزى يعني ابا لهب اي وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال اني لغلام شاب مع
ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبايل من العرب فيقول يا بني فلان
اني رسول الله اليكم يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه
من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى ابين عن الله عز وجل ما بعثني به
قال وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات
والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه
فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب
وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب اي الى بطن منهم يقال لهم
بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد احسن اسم ابيكم اي عبد الله اي فقد قال صلى الله عليه وسلم
احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن وعلى بني حنيفة وبني عامر ابن صعصعة
اي فقال له رجل منهم ارايت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظفرك الله على من خالفك

ايكون

ايكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشا قال فقال له افنقاتل العرب
دونك وفي رواية افتهدف نحورنا للعرب دونك اي نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا
اظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما رجعت بنو عامر
الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركته السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فلما قدموا
عليه سالهم عما كان في موسمهم فقالوا جانا فتى من قريش احد بني عبد المطلب يزعم
انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على راسه
ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف اي تدارك هل لها من مطلب والذي نفس فلان
بيده ما يقولها اي ما يدعي النبوة كاذبا احد من بني اسماعيل قط وانها الحق وان
رايكم غاب عنكم وذكر الواقدي انه صلى الله عليه وسلم اتى بني عبس اي وبني سليم وغسان
وبني محارب وفزارة ومرة وبني نضر وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم
اقبح الرد ويقولون اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب
اقبح ردا عليه من بني حنيفة اي وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم
بنو حنيفة لان امهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجليها وثقيف اي يوم من حج
شر قبايل العرب بنو حنيفة وثقيف ودفع هو وابو بكر الى مجلس من مجالس العرب
فتقدم ابو بكر وسلم وقال من القوم قالوا من ربيعة قال واي ربيعة من هامها او
من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من ايها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم
حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا
قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر
فقام اليه شاب حين بقل وجهه اي طلع شعر وجهه فقال له ان على سايلنا ان نساله
يا هذا انك قد سالتنا فاخبرناك فمن الرجل فقال ابو بكر انا من قريش فقال الفتى
بخ بخ اهل الشرف والرياسة قال من اي قريش انت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى
امكنت امنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه
قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السما الذي كان وجهه القمر يضيء في الليلة
الظلما قال لا واجتذب ابو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له علي رضي الله عنه لقد وقعت من الاعرابي على باقعة

اي داهية اي ذو داهيه وهو في الاصل اسم لطاير حدي يطير يمنة ويسره قال اجل
يا ابا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلا موكل بالمنطق اي واستفهام النفي بمعنى
لابي بكر لان من المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان ابا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مرة ومرة جد لقصي فكانه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هولا الاشراف
اي كما ان قبيلتنا لم تجتمع على ولكن الاشراف وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما
وان ابا بكر سالهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي هولا غرر اي سادات في قومهم وفيهم
مفروق بن عمرو وهاني بالهمزة بن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان
ابن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان اي ذوابتان
من شعره وكان ادنى القوم اي اقرب القوم مجلسا من ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له
ابو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة
والذي قال له صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة قاله لما اراد ان يغزو هوازن
وكان جيشه العدد المذكور كما سياتي فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال
مفروق علينا الجهد اي بفتح الجيم وضمها الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم اي حظ وسعادة
اي علينا ان نجهد وليس علينا ان يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشا فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه فكيف الحرب فيكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون
غضبا حين نلقى وانا لاشد ما نكون لقا حين نغضب وانا لنوثر الجياد اي الخيل
على الاولاد والسلاح على اللقاح اي ذوات اللبن من الابل وغيرها قبل النعم والغنم
ايضا والنصر من عند الله يديلنا بضم اوله وكسر الدال المهملة اي ينصرنا مرة ويديل
علينا مرة اي ينصر اخرى لعلك اخو قريش فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه او قد بلغكم
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالى م
تدعو يا اخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعوا الى شهادة ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله والى ان تاووني وتنصروني فان قريشا
قد تظاهرت اي تعاونت على امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق

واللهم

والله هو الغني الحميد قال مفروق والى م تدعوا ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا
اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام
اهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والى م تدعوا ايضا يا اخا قريش فتلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشا
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الاية ذكر العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع
الاحكام الشرعية وبين ذلك في ساير الابواب الفقهية وضمن ذلك كتابا سماه الشجرة فقال
مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق الذي كذبوك
وظاهروا اي عاونوا عليك وكان مفروق اراد ان يشركه اي يشاركه في الكلام هاني بن قبيصة
فقال هذا هاني بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هاني قد سمعنا مقالتك يا اخا
قريش واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول
ولا اخر لزلة في الراي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم
نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكانه احب ان يشركه
في الكلام المثنى ابن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال
المثنى قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش والجواب هو جواب هاني ابن قبيصة
في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر وانا انما
انا نزلنا ... وانا اخشى ان نأويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي انهار كسرى فعلنا فانا
انما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا ناوي محدثا واني ارى
ان هذا الامر الذي تدعونا اليه انت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اساتم اذا افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من
احاط به من جميع جوانبه ارايتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله ارضهم واموالهم
ويفرشكم نساهم اتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان ابن شريك اللهم لك ذا
فتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي وهو لم اقف على اسلام احد منهم الان في الصحابة رجلا يقال له المثنى بن حارثة
الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هاني بن
قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورايت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة
فيكون من الصحابة اي وفي اسد الغابة اي مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل
عن ابي نعيم قال لا اعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر ابن وائل مكة للحج قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ايتهم فاعرضني عليهم فاتاهم فعرض عليهم ثم قال
لهم كيف العدد فيكم قالوا كثيرا مثل الثرى قال فكيف المنعة فيكم قالوا لا منعة
جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال تجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم
حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا ابناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا
وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن انت قال
انا رسول الله ثم مر بهم ابو لهب فقالوا له هل تعرف هذا الرجل قال نعم فاخبروه
بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا بقوله راسا فانه
مجنون يهذي من ام راسه فقالوا لقد راينا ذلك حيث ذكر من امر فارس ما ذكر وفي رواية
انه لما سالهم قالوا له حتى يجي شيخنا حارثة فلما جا قال ان بيننا وبين الفرس حربا
فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم
ما اسم الرجل الذي دعاكم قال الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا
على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اي نصروا بذكرهم اسمي ولا زال
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ويقول لا اكره احدا على
شي من رضي الذي ادعوه اليه فذاك ومن كره لم اكرهه انما اريد منعي من القتل
حتى ابلغ رسالات ربي فلم يقبله احد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل
اعلم به اترون رجلا يصلحنا وقد افسد قومه وعن ابن اسحاق لما اراد الله تعالى
اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الموسم وفي سيرة مغلطاي ومستدرك الحاكم ان ذلك كان
في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينا هو عند
العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة اي وهي عن يسار الطريق

لقاصدي

لقاصد منى من مكة وبها الان مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي رهطا من
الخزرج اي لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب اي الاوس في الاصل في اللغة
العطية ويقال للذيب ويقال للرجل اللهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة قيل الى
الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية اراد الله تعالى بهم خيرا وقد علمت السنة
في الاصل وبين الناس اختلاف في ذكرهم فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج فقال
امن موالي يهود اي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على
التناصر والتعاضد على من سواهم وان يامن بعضهم من بعض وهذا كان في اول امرهم
قبل ان تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا
معه وفي لفظ وجدهم يحلقون روسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام
اي وراوا امارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم
به يهود فلا تسبقنكم اليه لان اليهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شي من الشر قالوا لهم سيبعث
نبي قد اظل اي قرب زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم اي كما تقدم في اخبار الاحبار والمراد
نستاصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام اجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا
قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم اي فان الاوس والخزرج
كانوا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فلبثوا على المحاربة
والمقاتلة اكثر من مائة سنة اي مائة وعشرين كما في الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل
اعز منك اقول وفي رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث اي بضم الموحدة ثم عين مهملة
مخففة وفي اخره ثا مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف
فعن دريد صحف الخليل بن احمد يوم بعاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفي القاموس
بالمهملة والمعجمة عام اول يوم من ايامنا اقتتلنا به ونحن لذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا
حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك
فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة
على ليلتين منها عند بني قريظة ويقال انه حصن للاوس كان فيه القتال قبل قدومه صلى الله
عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد اسيد
وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم اولا للخزرج ثم صار للاوس وسبب القتال انه كان

من قاعدتهم ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس اي وهو سويد بن الصامت
رجلا حليفا للخزرج اي وهو ذياد والد المجذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة
وتخفيف المثناة تحت والمجذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فارادوا يقتلوا سويدا فابى
عليهم الاوس ذلك لان سويدا هذا كان يسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده
كان ابن خالة عبد المطلب لان امه اخت سلمى ام عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا ومعتمرا فتصدى
له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه كان لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف
الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله والى الاسلام فقال له سويد لعل الذي معك
مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال حكمة لقمان فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام
حسن والذي معي افضل من هذا قرآن انزله الله علي هو هدى ونور فتلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم
المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج وفي كلام بعضهم ثم امن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة
الى قومه فشهروا بانه قتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولد ذياد الذي قتله سويد
لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو ممتلي سكرا فبصر به انسان من الخزرج فخرج
حتى اتى المجذر بن ذياد فقال هل لك في الغنيمة الباردة قال ما هي قال سويد اعزل لا سلاح
معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما راه سويد قال له قد امكن الله منك قال ما تريد
مني قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث فلما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم الحارث بن سويد والمجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث
ابن سويد يطلب مجذرا ليقتله بابيه فلا يقدر عليه حتى كان وقعة احد قدر عليه فقتله
غيلة كما سياتي وممن قتل في هذه الحرب التي يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ
قدم مكة هو وشخص يقال له ابو الحيسر انس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف قريش
على قومهم الخزرج فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم خير مما جئتم له
قالوا وما ذاك قال انا رسول الله بعثني للعباد ادعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وانزل
علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلى عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا اي قوم هذا والله
خير مما جئنا له فاخذ ابو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال دعنا
منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فكان في موت اياس

صار يحمد الله

صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله اعلم ثم انصرف اولئك الرهط من الخزرج
اجمعين الى بلادهم قال وفي رواية انهم لما امنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير
عليك ان تمكث على رسلك اي حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شانك وندعوهم
الى الله ورسوله لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي فلم يقع لهولا الستة او الثمانية مبايعة وتسمى هذه ابتدا اسلام الانصار
وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا
اي عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا احد عشر منهم خمسة من الستة او الثمانية
الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة اولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة
ايضا فبايعهم اي عاهدهم صلى الله عليه وسلم اي وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة
المالية وتلى عليهم اية النسا اي الاية التي نزلت بعد ذلك في شان النسا يوم الفتح لما فرغ من مبايعة
الرجال واراد مبايعة النسا فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة النسا اي كما بايعته النسا التي كانت يوم فتح مكة وتلى علينا ان لا نشرك بالله
شيا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا لان قتل الاولاد كان شايعا فيهم وهو وأد البنات
قيل والبنين خوف الاملاق وفي النهر كان جمهور العرب يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة
ومضر يئد وهن ولو دفن احيا فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم
خوف السبي قال ولا ناتي ببهتان اي الكذب الذي يبهت سامعه نفتريه بين ايدينا وارجلنا
اي في الحال والاستقبال وقيل غير ذلك ولا نعصيه في معروف ه اي ما عرف من الشارع حسنه
لنا وامرا قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة
العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحاق وغيره من اهل المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لمن حضر من الانصار ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساكم وابناكم فبايعوه على ذلك
وعلى ان يرحل اليهم هو واصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال فهذه ادلة صريحة في ان هذه البيعة
بعد نزول الاية بعد فتح مكة اقول ليس في كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه ويحتمله فلا
يحسن ان يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلى عليهم اية النسا فلا يحسن التوبيخ المتقدم
بل هو دليل على ان هذه المبايعة متاخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ زاد بعضهم والسمع والطاعة

في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال ومن وفي بالتخفيف والتشديد اي ثبت على العهد فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب به في الدنيا فهو اي العقاب طهرة له او قال كفارة له واستشكل بان ابا هريرة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارات لاهلها ام لا واسلام ابي هريرة تاخر عن بيعة العقبة سبع سنين كما سياتي فانه كان عام خيبر في سنة تسع كما سياتي واجيب بان هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه ابو هريرة رضي الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه اي لان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله عليه فامره الى الله ان شا عفر له وان شا عذبه اي وكون الحدود كفارة او طهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله تعالى لا يغفر ان يشرك به وفي رواية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيا فاصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه فامركم الى الله تعالى ان شا عذب وان شا عفر اي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال بكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي الله تعالى عنها قال الشعبي غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن ام مكتوم على المدينة كان يصلي بهم وليس له رواية ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من اسلم منهم القران ويعلمانهم اي من اراد ان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في اكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعثهما معا ويدل له ما روي عن البرا ابن عازب رضي الله تعالى عنه اول من قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقريان الناس القران اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا حين كتبوا اليه يبعثه اليهم ه وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفرا ورافع بن مالك ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير

وكان

وكان يقال له المقرئ وهو اول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم اقول وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وارسلوا اليه بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا منها راجعين الى المدينة ه والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن ام مكتوم معه ثم رايت ما يبعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعد هم وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من اصحابك يقرينا القران ويفقهنا في الاسلام ويقيمنا لسننه وشرايعه ويومنا في صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يبعد الجمع الثاني وهو ما نقل عن الواقدي ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفي كلام ابن قتيبة وقدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كلا من مصعب بن عمير وابن ام مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيهما مع القوم وان مكاتبتهم بان الاسلام فشا فينا الى اخره كانت وهما بالمدينة في اليوم مصعب وتخلف ابن ام مكتوم طلبا مل ذلك والله اعلم وهذا لما بعد يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابي امامة اسعد بن زرارة اي دون بقية رفقته وكان سالم مولى ابي حذيفة يوم المهاجرين يقيا قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يوم القوم اي الاوس والخزرج كره بعضهم ان يومه بعض وجمع بهم اول جمعة جمعت في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الامرة بها فانها مدنية وقال الشيخ ابو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ بن حجر وهو غريب اي وعلى صحته فلعلهما تقدم حكمه على تلاوته وعن ابن اسحاق ان اول من جمع بهم ابو امامة اسعد بن زرارة وكانوا اربعين رجلا اي فعن كعب بن مالك قال اول من جمع بنا في المدينة اسعد ابن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في نقيع الخضمات والنقيع بالنون قيل او بالبا الموحدة لكن قال الخطابي انه خطا والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم اي تاكل بفيها كله مما في ذلك المحل من الكلا وهو اسم لقرية من قرى المدينة وقال وكنا اربعين رجلا اي ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند ابي امامة اسعد ابن زرارة كما علمت فكان هو المقارن على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب

بلغ مقابلة

ابن عمير فنسب التجميع لكل منهما اي ويكون ما في الرواية الاتية من ان اسعد بن زرارة
هو الذي صلى بهم علي التجوز اي جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من ان الاوس والخزرج
كره بعضهم ان يؤمه بعض وايضا المامور بالتجميع مصعب ابن عمير كما سياتي قال السهيلي
وتسميتهم اي الانصار اياها بهذا الاسم اي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم
فيه هداية من الله تعالى لهم ولا فكانت في الجاهلية العروبة اي يسمى ذلك اليوم بيوم
العروبة اي الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام في حق ذلك اليوم انه اليوم الذي فرض عليهم
اي على اليهود والنصارى اي طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا اضلته
اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له اي ان كلا من اليهود والنصارى امر بذلك
اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل
انفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق سبحانه وتعالى
من خلق السموات والارض وما بينهن من المخلوقات اي بناء على ان اول الاسبوع الاحد
وانه مبدا الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفي كلام بعضهم اول الاسبوع الاحد
لغة واوله السبت عرفا اي في عرف الفقهاء في الايمان ونحوها فيؤيد الاول ان السبت
ماخوذ من السبات وهي الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا اي راحة ظنا
منهم انه اولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل انفسهم بدل يوم
الجمعة يوم الاحد اي بناء على انه اول يوم ابتدا فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه اولى
بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى اضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جا
ان الله عز وجل فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى جعل لنا يوم السبت فجعل عليهم
وهدى الله عز وجل المسلمين ليوم الجمعة اي وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه
وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفي سفر السعادة كان من عوايده الكريمة صلى الله عليه وسلم
ان يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بانواع التشريف والتكريم وجا ان اهل الجنة
يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر اهل الدنيا في الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد
كما تقدم لان الله سبحانه وتعالى يتجلى عليهم في ذلك اليوم ويعطيهم كل ما يتمنوه ويقال
لهم لكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جا
في المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله تعالى فهو في الايام كشهر رمضان

في الشهور

في الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر في رمضان والذي في البخاري ثم هذا
اي يوم الجمعة يومهم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا
الله عز وجل له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه
يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض اهل العلم ان اليهود امروا بيوم
من الاسبوع ليعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل انفسهم
السبت فالزموه في شرعهم وكذلك النصارى امروا على لسان عيسى صلوات الله وسلامه على
نبينا وعليه من الاسبوع فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالزموه شرعا لهم وهو يخالف
ما سبق فليتامل قال بعضهم والراجح ان اول الاسبوع السبت لانه اول يوم ابتدا فيه بايجاد
المخلوقات فقد جا في الصحيح ان الله عز وجل خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر
يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثا والنور يوم الاربعا كذا في مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم
الذي يليه الاحد واجيب بانه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم وقد ذكر السهيلي رحمه الله تعالى
ان تسمية هذه الايام طارية ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها في القران بهذه الاسما
المشتقة من العدد لقلنا هي تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما
مشتقين من العدد هذا كلامه وورد بانه جا ان الله عز وجل خلق يوما فسماه الاحد
ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثا ثم خلق رابعا فسماه الاربعا ثم خلق
خامسا فسماه الخميس واجاب ابن حجر الهيتمي رحمة الله عليه بان هذا اي التسمية المذكورة لم تثبت
وان العرب تسمي خامس الورود اربعا هذا كلامه فيكون اول الاسبوع السبت ثم رايت
السهيلي قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سايرها الا حاكيا
للغة قومه لا مبتديا تسميتها ولعل قومه ان يكونوا اخذوا معاني هذه الاسما
من اهل الكتاب المجاورين لهم فالقوا عليها هذه الاسما اتباعا لهم هذا كلامه فليتامل
وفي السبعيات للهمداني اكرم الله عز وجل موسى بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين
وسليمان بالثلاثا ويعقوب بالاربعا وادم بالخميس ومحمد صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا
يدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند انفسهم فليتامل
الجمع وقد سيل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة اي وقع فيه المكر
والخديعة اي لانه اليوم الذي اجتمعت فيه قريش في دار الندوة للاستشارة في امره

صلى الله عليه وسلم وسيل عن يوم الاحد قال يوم غرس وعمارة لان الله ابتدا فيه خلق الدنيا
وعمارتها وفي رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست وسيل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر
وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح في تجارته وسيل عن يوم الثلاثا فقال يوم دم
لان فيه حاضت حوي وقتل ابن ادم اخاه وذكر الهمداني في السبعيات ايضا انه
قتل فيه سبعة جرجيس عليه السلام وزكريا ويحيي ولده وسحرة فرعون واسية
بنت مزاحم امراة فرعون وبقرة بني اسرايل وهابيل بن ادم وبين قصة كل واحد
اي ومن ثم نهي عن الحجامة يوم الثلاثا اشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقي فيها الدم
وفيه نزل ابليس الي الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت علي ارواح
بني ادم وفيه ابتلي ايوب وفي بعض الروايات ان اليوم الذي ابتلي فيه ايوب يوم الاربعا
وسيل عن يوم الاربعا قال يوم نحس لان فيه اغرق فرعون وقومه واهلك فيه عاد
وثمود وقوم صالح اي ومن ثم كان يسمي في الجاهلية دبار والدبار البلا لكن الذي
في الحديث الموقوف علي ابن عباس لدي لا يقال من قبل الراي اخر اربعا في الشهر
يوم نحس مستمر وجا يوم الاربعا لا اخذ ولا عطا وذكر الزمخشري ان بعضهم قال
لاخيه اخرج معي في حاجة فقال هذا الاربعا قال فيه ولد يونس قال لا جرم
قد بانت له بركته اي حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما
احسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفي صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب قال اجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وورد في بعض الاثار النهي عن قص الاظفار يوم الاربعا وانه يورث البرص
وعن ابن الحاج صاحب المدخل انه هم بقص اظفاره يوم الاربعا فتذكر ذلك فترك
ثم راي ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهي فقصها فلحقه البرص فراي
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له الم تسمع نهيي عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح
ذلك عندي فقال يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة علي بدنه فزال
البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله عز وجل توبة اني لا اخالف ما سمعت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا وجا في حديث خرجه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعا
وخرجه الحاكم من طريقين الحديث لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعا وكره
بعضهم عيادة المريض يوم الاربعا وفي منهاج الحليمي وشعب الايمان للبيهقي

ان الدعا مستجاب يوم الاربعا بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم
استجيب له الدعا علي الاحزاب في ذلك اليوم في ذلك الوقت وكان جابر يتحري ذلك
بالدعا في مهماته وذكر ان ما بدي بشي يوم الاربعا الا وتم فينبغي البداة بنحو التدريس
فيه وسيل عن يوم الخميس فقال يوم قضا الحوايج لان فيه دخل ابراهيم الخليل
علي ملك مصر فقضي حاجته واعطاه هاجر ومن ثم زاد في رواية والدخول علي السلطان
وسيل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه ادم حوي ويوسف زليخا وموسي بنت
شعيب وسليمان اي ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعايشة وعن ابن عباس رضي
الله تعالي عنهما اذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة اي قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم
في اقامة الجمعة اي فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب اليه مصعب بن عمير
اما بعد فانظر الي اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذي يليه يوم السبت
فاجمعوا نساكم وابناكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الي الله بركعتين فجمع مصعب
ابن عمير عند الزوال اي صلي الجمعة حتي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي استمر علي ذلك
حتي قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل علي انه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو
خلاف قوله السابق فهداكم الله له الظاهر في ان هذا اليوم باجتهاد منهم ويدل
له ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان لليهود
يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه
فنذكر الله ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة اي لانه اليوم الذي وقع فيه خلق ادم
الذي هو مبدا هذا الجنس وجمل فيه فنا الخلق وانقضاهم اذ فيه تقوم الساعة
ففيه المبدا والمعاد فهذا المروي عن ابن عباس يقتضي ان الانصار اختاروه
باجتهاد منهم الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون هذا العزم علي ذلك حصل
منهم اولا ثم ارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم يستاذنوه في ذلك فاذن لهم فيه فورد جا
الوحي موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب
ابن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا اليوم الي اخره الا ان يقال يجوز انهم لما استاذنوه
صلى الله عليه وسلم في الاجتماع لم يعينوا له اليوم فعينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن
الشيخ ابي حامد ان الجمعة امر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها

وتقدم عن الحافظ بن حجر انه غريب ويويده انه لو كان امرها صلى الله عليه وسلم لتوكله
وتركها لعدم التمكن من فعلها لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم
يامره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انما لم يامره بها حينئذ لان لاقامتها شروطا
منها العدد وهو عند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه اربعون بشروط ولم يكن ذلك
موجودا عند ارساله ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور ارسل اليه
يامره بذلك في قوله اما بعد فانظر اليوم الى اخره ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات
يدل على ان الذي هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة في هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة
كما تقدم عن السهيلي ان تسميتهم له بذلك لم اقف عليها في رواية على ان السهيلي ذكر
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما ارسل لمصعب
ابن عمير ان يفعلها كما تقدم في الاسرا وذكر ايضا ان كعب بن لوي اول من سمى يوم العروبة
الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون الانصار ومن معهم من المهاجرين
لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن لوي ان ثبت انهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم
وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب
تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة ابيك ادم وقدمنا انه
لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم في الاسرا والله اعلم واسلم اسعد ابن معاذ وابن عمه
اسيد بن حضير على يد مصعب بن عمير وكان اسلام اسيد قبل سعد في يومه فعن
ابن اسحاق ان اسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير الى حائط اي بستان من حوائط
بني ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد
ابن حضير يومئذ سيدا قومهما اي بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه
فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين
يعني اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين اتيا دارينا تثنية دار وهي المحلة
والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفانا فازجرهما وانههما اي وفي لفظ قال
له ايت اسعد بن زرارة فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جا بهذا
الرجل الغريب يسفه سفهانا وضعفانا فانه لولا اسعد بن زرارة مني حيث علمت
لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما فاخذ اسيد ابن حضير حربته ثم اقبل

اليهما

اليهما فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله
فيه ثم قال مصعب ان يجلس هذا الكلمة قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جابكما
الينا تسفهان ضعفانا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة وفي لفظ قال
يا اسعد ما لنا ولك تاتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهانا وضعفانا
وفي رواية تعلم اتيتنا في دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفانا
بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس بفتح الواو استفهام فتسمع
بالنصب في جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره
اي منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام
وقرا عليه القران فقال ما احسن هذا واجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا اردتم
ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق
ثم تصلي فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد بشهادة الحق ثم قام فركع ركعتين اي وهما
صلاة التوبة فقد روى اصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن انه صلى
الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم يصلي ركعتين
ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف
عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان وهو سعد بن معاذ ثم اخذ حربته
وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال
احلف بالله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم
فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت
بهما باسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة
خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك
اي ينقضوا عهدك فقام اسعد مغضبا مبادرا فاخذ الحربة من يده وقال
والله ما اراك اغنيت شيئا ثم خرج اليهما ولما اقبل سعد قال اسعد لمصعب
لمصعب قد جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لم يتخلف عنك
منهم اثنان فلما راهما سعد مطمئنين عرف سعد ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع
منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا امامة والله لولا

مابيني وبينك من القرابة ما رمت هذا هيدا يغشاها في دور دارينا بما نكره
فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته عزلنا
عنك ما تكره قال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه
القران فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل
فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه
ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق
ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اي مع ذلك النادي اسيد
ابن حضير فلما راه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب
من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا
وافضلنا رايا وايمننا اي ابركنا نقيبة اي نفسا وامرا فان كلام رجالكم ونسائكم علي
حرام حتى تومنوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى في داري قبيلة بني عبد الاشهل
رجل ولا امراة الا مسلما ومسلمة فاسلموا في يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى
وقيل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الاشهل
فانه تاخر اسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من
اهل الجنة اي وفي كلام ابن الجوزي اول دار اي قبيلة اسلمت من دور الانصار دار بني عبد الاشهل
ثم رجع مصعب الى دار اسعد بن زرارة فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار
من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالي المدينة اي قراها
من جهة نجد قال وفي كلام بعضهم الا جماعة من الاوس بن حارثة وذلك انه كان فيهم
ابو قيس وهو صيفي بن الاسلت وكان شاعرهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان
قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا
له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم
عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد
والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير انتهى وسبب تاخر اسلامه ما ذكره بعضهم
انه لما اراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه ابي ابن سلول وكلمه بما اغضبه
ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس لا اتبعه الا اخر الناس فلما احتضر ارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها فقال لها وهم ان ينكح امراة ابيه اي على ما هو عادة الجاهلية
اي وكان ذلك في المدينة حتى في اول الاسلام ان اكبر اولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته
فنزل التحريم في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول
هذه الاية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار
الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة اي واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمن اسلم
فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا
وكبيرنا والبراء بالمد لغة اخر ليلة من الشهر سمي بذلك لانه ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود
فلما خرجنا من المدينة قال البراء رضي الله تعالى عنه لنا اني قد رايت رايا ما ادري اتوافقوني
عليه ام لا قال قلنا وما ذاك قال رايت ان لا ادع هذه البنية اي بفتح الموحدة وكسر
النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التانيث على وزن فعيلة يعني الكعبة مني بظهر
وان اصلي اليها قال قلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي الا الى الشام يعنون
بيت المقدس اي صخرته وما نريد ان نخالفه قال فقال اني اصلي اليها قال فقلنا له لكنا
لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعني بيت المقدس اي واستدبرنا
الكعبة وصلى الى الكعبة اي مستدبرا للشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وابى الا الاقامة
على ذلك فلما قدمنا مكة قال لي يا ابن اخي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اساله عما
صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رايت من خلافكم اياي فيه قال
فخرجنا نسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من
اهل مكة فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه فقلنا لا قال فهل تعرفان
العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتم
المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه
وسلم معه فسلمنا حين جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله تعالى عنه هل
تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم هذا البراء ابن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال
كعب فوالله ما انسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا نبي الله اني
خرجت في سفري هذا وقد هداني الله بالاسلام فرايت ان لا اجعل هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة فصليت
اليها وخالفني اصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع

البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بيت المقدس اي ولم يامره بالاعادة لما صلاه مع انه كان
مسلما ويبين له انه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متاولا فليتامل وفي هذا تصريح
بانه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل تحول القبلة
وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة اي ان
يوافوه في الشعب الايمن اذا انحدر وا من منى اسفل العقبة حيث المسجد اليوم اي الذي يقال له
مسجد البيعة كما تقدم وامرهم ان لا ينبهوا نايما ولا ينتظروا غايبا وذلك في ليلة اليوم الذي هو
يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا
نكتم ممن معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام
بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف
من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه
بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا
مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لعهده اي نتسلل الرجل
والرجلان نتسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون
رجلا وامراتان نسيبة بالتصغير وهي ام عمارة من بني النجار اي وكانت تشهد الحرب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي وزوجها وابناها حبيب وعبد الله وحبيب هذا اخذه مسيلمة الكذاب
وصار يعذبه ويقول له اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول له وتشهد اني رسول
الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضايه وهكذا حتى تتبع اعضاءه ومات وسياتي ما وقع
له رضي الله تعالى عنهما في حرب مسيلمة وام منيع اي وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم
خمسة وسبعون نفسا نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين
وامراتان اي منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى جانا اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم **اقول** وقد يقال
لا مخالفة لانه يجوز ان يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم
والله اعلم **ومعه** عمه العباس بن عبد المطلب اي ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب
ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له **اقول** وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه ابو بكر وعلي رضي الله
تعالى عنهما لان العباس رضي الله تعالى عنه اوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق

الاخر

الاخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم **فلما** جلسوا كان العباس اول من تكلم فقال
يا معشر الخزرج اي قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تطلب الخزرج
على الاوس فيقولون الخزرجين ه ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو
على مثل راينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان
كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم
ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الان تدعوه فانه في عز ومنعة من قومه
وبلده فقال البراء ابن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد
الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي والبراء ابن معرور
هو اول من اوصى بثلث ماله وفي رواية ان العباس قال قد ابى محمد الناس كلهم غيركم
فان كنتم اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس
واحدة فارتاوا رايكم واتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملا منكم واجتماع فان احسن الحديث
اصدقه **اقول** قول العباس رضي الله تعالى عنه قد ابى محمد صلى الله عليه وسلم الناس كلهم غيركم
ربما يفيد ان الناس غير الانصار دافعوه على منا صرته فاباهم صلى الله عليه وسلم ولا يساعد عليه ما تقدم
ولولا التاكيد بلفظ كلهم لامكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان ابن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له
صلى الله عليه وسلم ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى فابى ذلك وتحمل الناس
الذين اباهم اهله وعشيرته والله اعلم **وعند** ما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا
مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفي رواية خذ لنفسك ما شئت
واشترط لربك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيا ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة
فاذا فعلنا فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
وفي رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى القران ودعا الى الله عز وجل ورغب
في الاسلام قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم اي وفي رواية
انهم قالوا له يا رسول الله نبايعك على م قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط
والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان تقولوا في الله
لا تخافوا في الله لومة لايم وعلى ان تنصروني وتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم

وازواجكم وابناكم ولكم الجنة فاخذ البرا ابن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم
والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع به ازرنا اي نسانا وانفسنا لان العرب
تكني بالازار عن المراة وعن النفس فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة اي السلاح
ورثناها كابرا عن كابر وبينا البرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو الهيثم
ابن التيهان بتشديد المثناة التحتية وتخفيفها تقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال
العباس اخفوا جرسكم اي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا
وبين الرجال يعني اليهود حبالا اي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا
ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل اي دمي
دمكم اي تطلبون بدمي واطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد وفي لفظ بل اللدم اللدم
وهو بالتحريك الحرم من القرابات اي حرمي حرمكم تقول العرب اذا ارادت
تاكيد المحالفة هدمي وهدمكم واحد اي واذا هدرتم الدما هدرته ودمي
ذمتكم ورحلتي مع رحلتكم انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم
اي وعند ذلك قال لهم العباس عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم
في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن
من ازره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن اخي قد
استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن اخي عليهم شهيدا ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا
تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم
ان موسى اخذ من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجدن احد في نفسه ان يوخذ غيره
فانما يختار لي جبريل اي لانه حضر البيعة اي فلما تخيرهم اي وهم سعد بن عبادة •
واسعد بن زراره • وسعد ابن الربيع • وسعد بن خيثمة • والمنذر بن عمرو • وعبد الله
ابن رواحة • والبرا ابن معرور • وابو الهيثم بن التيهان • واسيد بن حضير • وعبد الله
ابن عمرو بن حرام • وعبادة بن الصامت • ورافع بن مالك • رضي الله تعالى عنهم كل واحد
على قبيلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاولئك النقبا انتم كفلا على غيركم ككفالة الحواريين

لعيسى

لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تولى الكلام من الانصار
وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد ابن زرارة رضي الله تعالى عنه
اي وهو من اصغرهم فانه اخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا اهل يثرب
انا لم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخراجه
اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون
عليها اذا مستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة اي جميعا فخذوه واجركم على الله
تعالى واما انتم تخافون من انفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله تعالى فقال
يا اسعد امط عنا يدك فوالله لا نذر اي نترك هذه البيعة ولا نستقيلها اي نطلب الاقالة
منها وقيل ان الذي تكلم وشد العقد العباس ابن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج
هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس
اي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يوذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد ان هاجر الى
المدينة بمدة كما سياتي وكان قبل ذلك مامورا بالدعا الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح
عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اي ثم تواثقوا على ذلك وقالوا يا رسول الله ما لنا
بذلك ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم
فبايعوه ٥ اي واول من بايعه البرا ابن معرور وقيل اسعد بن زراره وقيل ابو الهيثم
ابن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم اي وبايعه المراتان المذكورتان من غير مصافحة
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النسا انما كان ياخذ عليهن فاذا احرزن قال اذهبن
فقد بايعتكن كما سياتي فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اي العرب والعجم
فهو الثالثة لم يتقدم عليهم احد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية
اي ويقال ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا
من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول الله
على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
وقال اسعد بن زرارة ابايع الله عز وجل يا رسول الله وابايعك على ان اتم عهدي بوفائي
واصدق قولي بفعلي في نصرك وقال النعمان بن حارثة ابايع الله يا رسول الله وابايعك على
الاقدام في امر الله عز وجل لا ارافق فيه القريب ولا البعيد اي لا اعامل بالرافة والرحمة في اعادة

ابن الصامت ابايعك يا رسول الله على ان لا يأخذني في الله لومة لائم وقال
سعد بن الربيع ابايع الله وابايعك يا رسول الله ان لا اعصيكما امرا ولا اكذبكما
حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها البيعة الثانية ولما وقعت
صرخ الشيطان من راس العقبة باشد صوت وانفذه يا اهل الجباجب اي بجيمين الاولى
مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهي منازل منى وفي الهدي
يا اهل الاخاشب هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه
وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة
اصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن اسلم صابي لان الصابي من خرج من دين
الى دين وقد جا الا تعجبون كيف يصرف الله شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما
ويلعنون مذمما وانا محمد فانهم قد اجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن
وازب بكسر الهمزة واسكان الزاي ثم با موحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي
وتشديد الموحدة اي شيطان مسمى بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه
عامرها وازب في الاصل القصير ومن ثم راى عبد الله ابن الزبير رجلا طوله شبران
على برذعة رحلة فقال له ما انت قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه
على راسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا
وفي لفظ انفضوا الى رحالكم اقول وفي رواية لما بايع الانصار رضي الله تعالى عنهم
بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف
على قتالكم ففزعوا اي الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم
هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد ممن تخافون ولا مانع
من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذي هو ابو الجن ويجوز ان يكون
المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وانه اتى باللفظين معا وقد
حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه
لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله لقد رايت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قايما على يمينك
قال وقد رايته قلت نعم قال ذلك جبريل والله اعلم انتهى الحديث ثم سمع المشركون من قريش بذلك اي

وفي

وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو
ابن العاص ما نال ابو جهل قال عمرو ذهبت انا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه
ابن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هل اتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لا فقال لعله
ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وامور مستغربة ولا ينافي سماع عمرو وابي جهل
صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه احد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل
منه خوف لهم عند فشو الخبر جا اجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا
يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج اي بالتغليب بلغنا انكم جئتم الى
صاحبنا هذا تخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي ابغض الينا ان
تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من
هذا شي وما كانوا قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى
يوامروني وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم اي وتقدم نفر الناس من منى وكثف
قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا اثارهم فلم يدركوا الا
سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاما سعد فتمسك وعذب في الله واما المنذر فانفلت
ثم انقذ الله سعدا من ايدي المشركين قال نقل عنه انه قال لما اطفروا بي ربطوا
يدي في عنقي فلا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني بجمتي اي وكان ذا شعر كثير حتى
ادخلوني مكة فاوى الي رجل اي وهو ابو البختري بن هشام مات كافرا ه وقال
ويحك ما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد كنت اجير لجبير بن مطعم
تجارة وامنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن امية اي وهو اخو ابي
سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثاني لا يعلم له اسلام فقال ويحك
فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا
من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال سعد بن عبادة فقالا صدق انه
لجار فخلصاني من ايديهم انتهى اي وعن سعد رضي الله تعالى عنه بينا انا مع القوم
اضرب اذ طلع علي رجل ابيض وضي شعشاع اي طويل زايد الحسن حلو من الرجال
فقلت في نفسي ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنى مني رفع يده ولكمني
لكمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير اي وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضي الله

تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار رضي الله تعالى عنهم المدينة اظهروا الاسلام اي اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدوم هذه البيعة وكان عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه وهو من سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم لم يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو في داره صنم اي من خشب يقال له مناة لان الدما كانت تمنى تصب عنده تقربا اليه كان يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه اي ولعله بعد اخراجه من داره في بعض تلك الحفر التي فيها خرء الناس منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويحكم من عدا على الهنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى ان غسله وطيبه وجاء بسيفه علقه في عنقه ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع بهذا السيف معك فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه في بير من ابار بني سلمة فيها خرء الناس فلما اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى ان وجده في تلك البير فلما راه كذلك رجع الى عقله وكلمه من اسلم من قومه فاسلم وحسن اسلامه وانشد ابياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن ⁂ انت وكلب وسط بير في قرن

اي حبل وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اي لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم اوى اي استند الى قوم اهل حرب وعدد ضيقوا على اصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلا يشتد عليهم وصاروا بين مفتون في دينه وبين معذب في ايديهم وبين هارب في البلاد شكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في الهجرة اي فمكث اياما لا ياذن ثم قال لهم اريت دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين اعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك ه اي وفي رواية رايت في المنام اني هاجرت من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي وهمي اي انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة د في الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي اي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين قال الترمذي هذا حديث

غريب

بلغ مقابلة

غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة اقول فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استيذانهم في الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم في الهجرة لعدم تعين المحل الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا ينافي سبب ما تقدم في حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم نسي قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم وفيه ان هذا لا يحسن بعد ما بعثه صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه وعلمه بان وطنهم المدينة وكونهم بايعوه على مناصرته مع كونه ساكنا في البحرين او قنسرين في غاية البعد على انه سياتي في غزاة بدر انه صلى الله عليه وسلم خشي ان الانصار لا ترى مناصرته الا في المدينة اي في بعض الروايات وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب والله اعلم وقبل الهجرة اخا صلى الله عليه وسلم بين المسلمين اي من المهاجرين على الحق والمواساة فاخا بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واخا بين حمزة وزيد ابن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن ابن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة ابن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد ابن ابي وقاص وبين ابي عبيدة وسالم مولى حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين علي ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فانت اخي في الدنيا والاخرة قال وانكر ابو العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه قال لان المواخاة بين المهاجرين والانصار انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض ولتالف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة مهاجري لمهاجري قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان اقوى من بعض بالمال والعشيرة فاخا بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بامره قبل البعثة وفي الصحيح في عمرة القضا ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت اخي اي بسبب المواخاة انتهى وكان اول من هاجر منهم اليها اي لا معهم ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وهو اخوه من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم اي فانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه اهلها واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار اي الاثني عشر الذين بايعوه البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار

ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود
البعير راه رجال من قوم ام سلمة فقاموا اليه وقالوا يا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك
فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجا
رجال من قوم ابي سلمة وقالوا ان ابننا معها اذا نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا
منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده واخذه قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها
فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكي حتى المسا مدة سنة فمر بها رجل من بني عمها فراى
ما بها فرحمها وقال لقومها اما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بين ولدها وزوجها
فقالوا لها الحقي بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابي سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا
وجعلت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها احد من خلق الله تعالى حتى اذا
كانت بالتنعيم لقيت عثمان ابن طلحة اي الحجبي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ
مشركا ثم اسلم رضي الله تعالى عنه في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص
كما سياتي فتبعها الى المدينة حتى اذا وافا على قبا قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وكانت
اول ظعينة دخلت من المهاجرات المدينة رضي الله تعالى عنها وكانت ام سلمة تقول ما رايت
صاحبا اكرم من عثمان بن طلحة **قال** وقال ابن اسحاق وابن سعد ثم كان اول من قدمها
بعد ابي سلمة عامر ابن ربيعة ومعه امراته ليلى بنت ابي حثمة بالحا المهملة وسكون الثا
المثلثة وهي اول ظعينة قدمت المدينة انتهى **اقول** فام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة
لا مع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفي كلام ابن الجوزي
اول من هاجر الى المدينة من النسا ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط والله اعلم **قال**
بلغني اي ام سلمة رضي الله تعالى عنها ما تقدم في حق عثمان ابن طلحة يقول لها فانه لما
راني قال الى ابن قلت الى زوجي قال او ما معك احد فقلت لا ما معي الا الله وابني هذا فقال
والله لا اتركك ثم اخذ خطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل اناخ بي ثم استاخر
حتى اذا نزلت جا واخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم اتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا
دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت اخذ بخطامه
فقادني انتهى وقد قال فقهاونا من الصحابة بمسافرة المراة بغير زوج ولا محرم ولا امراة
ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة اما في ذلك فيجوز حيث امنت الطريق وقولنا لا معهم لا ينافي

اذ اول

اذ اول من قدم المدينة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه
كان معهم على ما تقدم او يقال ابو سلمة اول من قدم المدينة بدون طلبه واما مصعب
فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رايت في السيرة الشامية اول من هاجر الى المدينة
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم ابو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جا عامر وبلال
وسعد **وفي رواية** ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اي بعد العقبة الثانية
فنزلوا على الانصار في دورهم فاووهم وواسوهم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وعياش بن ابي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ان يهاجر
معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة
وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب
فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته اي رمحا
الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنايها فطاف بالبيت
سبعا ثم اتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله
الا هذه المعاطس يعني الانوف من اراد ان تثكله امه وتفقده او يوتم ولده او يرمل زوجته فليلقني
ورا هذا الوادي **قال** علي رضي الله تعالى عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا جهل واخاه
شقيقه الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي
صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن ابي ربيعة وكان اخاهما لامهما وابن عمهما وكان احب
ولد امه واخبراه ان امه قد نذرت ان لا تغسل راسها **وفي لفظ** ولا يمس راسها مشط
ولا تستظل من شمس حتى تراه **وفي لفظ** انها لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى
يرجع اليها وقالا له وانت احب ولد امك اليك وانت في دين منه بر الوالدين فارجع
الى امك فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما اي واخذ عليهما المواثيق
ان لا يغشياه بسوء اي وقال له عمر انهما يريدا الا فتنتك عن دينك واحذرهما والله
لو اذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر امي
ولي مال هناك اخذه فقال له عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى فانها نجيبة ذلول
فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة
فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التا اي شدا يديه الى خلف بالكتاف في الطريق

وفي السيرة الشامية انه اخذ الينا فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال
له ابو جهل يا اخي والله لقد استغلظت بعيري هذا افلا تعقبني على ناقتك هذه
قال بلى قال فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه واوثقوه
رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما
فعلنا بسفيهنا هذا وفي لفظ بسيفه فحبس بمكة مع هشام بن العاصي فانه كان فتن
منع وحبس عن الهجرة وجعل كل منهما في قيد وفي لفظ انهما لما ذكرا له ان امه
حلفت ان لا يظلها سقف بيت حتى تراه واعطياه موثقا ان لا يمنعاه وان يخليا
سبيله بعد ان تراه امه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه
فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان عليهما اعانهما رجل من بني
كنانة قيل له الحارث بن يزيد القرشي وفي كلام ابن عبد البر انه كان ممن
يعذب بمكة مع ابي جهل وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وانه
لما جيء به الى مكة القي في الشمس وحلفت امه ان لا يخلى عنه حتى يرجع عن دينه
ففتن فقيل وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه
الاية وقد تقدم انها نزلت في سعد بن ابي وقاص الا ان يقال
انه يجوز ان يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن
ذلك الرجل ان قدر عليه فلم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة فخرج عياش فوجد ذلك الرجل الكناني وكان قد اسلم وعياش لا يعلم باسلامه
فقتله واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فقراها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم
فحرر اي اعتق رقبة هذا ان عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم تنبيه
مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سياتي اربعين صباحا يقنت في صلاة
الصبح بعد الركوع اي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم انج الوليد
بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وهشام بن العاصي والمستضعفين من المؤمنين
بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان
هشام بن العاصي وعياش بن ابي ربيعة لم يفتنا ولم يرجعا عن الاسلام

وفي السيرة

وفي السيرة الهشامية ما يفيد انهما فتنا الاول صريحا والثاني ظاهرا وفي السيرة الشامية
التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكروا انهما لو كانا فتنا لما اطلقا من الحبس والقيد ادامة
ذلك الا ان يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على ان
رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما اي
وسيأتي ان الوليد كان سببا لتخليص عياش ابن ابي ربيعة وهشام بن العاص بعد ان
تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان اسر يوم بدر ثم افتكه اخواه خالد
وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه بمكة فقيل
له هلا اسلمت قبل ان تفتدي قال كرهت ان يظن بي اني جزعت عن الاسر ثم تخلص ووصل
الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر صلى الله
عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه تعلم ضعف ما تقدم من ان عياشا لم يزل محبوسا الى
الفتح اي وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة ابن عتبة ابن ربيعة
اي لانه لما اعتقته زوجة ابي حذيفة وكانت انصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين
بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان اكثرهم اخذا للقرآن وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه يثني عليه كثيرا حتى قال لما اوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا ما جعلتها
شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برايه فيمن يوليه الخلافة فانه قتل في يوم
اليمامة وارسل عمر ميراثه لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال ولما اراد صهيب
رضي الله تعالى عنه الهجرة الى المدينة اي بعد ان هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه
كلام الاصل والثاني قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد
ان تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي اتخلون
سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح
صهيب اقول وذكر ان صهيبا تواعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معه
في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل اليه ابا بكر مرتين او ثلاثا فوجده
يصلي فكره ان يقطع عليه صلاته كما سياتي وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد
هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو ما في الخصائص الكبرى عن صهيب اخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه

نصد في فتيان من قريش اي بجد ان اردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا
صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك ابدا فقال فعلت لهم هل
لكم ان اعطيتكم اواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا فقلت
احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبا قبل ان يتحول منها فلما راني قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول
الله ما سبقني اليك احد وما اخبرك الا جبريل عليه السلام اي واخرج ابو نعيم في الحلية
عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد اخذ سيفه
وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال
يا معشر قريش قد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الي حتى ارمي بكل سهم
في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم
على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم اي **وفي رواية** انهم قالوا له دلنا على
مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل **وذكر** بعض المفسرين ان المشركين اخذوه وعذبوه
فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني وتتركو
لي راحلة ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله قال فلما قدمت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر جالسين فلما راني ابو بكر قام الي
فبشرني بالاية التي نزلت في اي **وفي رواية** فتلقاني ابو بكر وعمر ورجال فقال لي ابو بكر
ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك هل تخبرني ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وكذا
وقرا الاية **وفي تفسير** سهل بن عبد الله التستري ان صهيبا كان من المتقين قيل لم يكن له قرار
كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكي ان امراة اشترته فرات منه ذلك فقالت لا ارضى بك حتى
تنام بالليل لانك ضعيف فلا يتهيا لك الاشتغال باعمالي فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار
طار نومه واذا ذكر الجنة جا شوقه واذا ذكر الله طال شوقه اي قليلا ما يهدا مع ما في تاريخ ابن كثير
ان الروم اغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم
بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه واقام بمكة حينا فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسلم وكان اسلامه واسلام عمار في يوم واحد وقد يقال يجوز ان تكون تلك
المراة التي اشترته كانت من بني كلب **وعن صهيب** رضي الله تعالى عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم

قد

قبل ان يوحى اليه وانه قال له عمر رضي الله تعالى عنه يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال
كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي يحيى اي فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا ولد له وكان في لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة راه صلى الله عليه وسلم ياكل قثاء ورطبا
وبه رمد احدى عينيه فقال له اتاكل رطبا وانت ارمد فقال انا اكل من ناحية عيني الصحيحة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم **وفي** المعجم الكبير للطبراني عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت اكل من التمر فقال اتاكل التمر وبك رمد
فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ثم امتنع من
التعود **ولما اذن** صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة وهاجروا امكث صلى الله عليه وسلم بعد اصحابه
ينتظر ان يوذن له في الهجرة ولم يتخلف معه الا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وابو بكر
اي وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا عن الخروج وكان ابو بكر كثير
ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع
ابو بكر رضي الله تعالى عنه ان يكون هو صلى الله عليه وسلم **وفي رواية** تجهز ابو بكر فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يوذن لي فقال ابو بكر هل ترجو ذلك بابي انت وامي
فقال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين
عنده الخبط اي وفي لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري وهو الخبط قال
ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما اربعة اشهر
وكان اشتراهما بثمانمائة درهم **اقول** ظاهر هذا السياق ان علفه للراحلتين كان بعد
قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم ان ذلك بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم
والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا منها لانها كانت في ذي الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت في
ربيع الاول **وفي** السيرة الهشامية ما يصرح بان علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه
وسلم له ما ذكر فيها انه صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر وقد استاذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله
يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره
يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتي عن الحافظ ابن حجر ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم
شهرين ونصفا على التحرير والله اعلم **فلما رات** قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة اي
انصار واصحاب من غيرهم وراوا خروج اصحابه اليهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة

أي سلاح وبأس حذروا أي خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجمع على حربهم فاجتمعوا
في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم
لا يقضون أمرًا إلا فيها أي وهي أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب كما تقدم ثم صارت
لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم أن معاوية
إنما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الإسلام ودار الندوة
بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير
بعت مكرمة قريش فقال حكيم بن حزام ذهبت المكارم إلا التقوى يا ابن أخي إلى آخر ما تقدم وكانت
دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الآن وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة
من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة **وفي كلام** بعضهم ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل
دار الندوة وما استدارت لحيته وقد دخلت في المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندى
وهو الجماعة وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لأنه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل
وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم ممن لا يعد من قريش أي ولم
يتخلف من أهل الرأي والحجى أحد ثم إن إبليس جاءهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز
وقيل من صوف أي وإنما فعل ذلك ليتقبل منه ما يشير به لأن أهل الطيالسة في العادة أهل
الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي
اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا قالوا أجل أي نعم
فادخل فدخل معهم أي وإنما قال لهم من أهل نجد لأن قريشًا قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة
أحد من أهل تهامة لأن هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لما سمعهم يقولون
لا يدخلن معكم اليوم إلا من هو منكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ من
نجد وأنا ابن أختكم فقالوا ابن أخت القوم منهم وقيل إن إبليس لما دخل عليهم أنكروه وقالوا
له من أنت وما دخلك علينا في خلوتنا هذه بغير إذننا فقال إني رجل من أهل نجد رأيتكم
حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن أجلس إليكم وأسمع كلامكم فإن كرهتم ذلك خرجت عنكم
فقال بعضهم لبعض هذا نجدي ولا عين عليكم منه وفي لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم
حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم لبعض إن هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره
ما قد رأيتم وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيًا فتشاوروا فقال

قايل

قايل أي وهو أبو البختري ابن هشام احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا ثم تربصوا به ما أصاب
أشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم
برأي والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه
فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي
فانظروا رأيًا غيره فتشاوروا فقال قايل منهم أي وهو الأسود بن ربيعة بن عمير
نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين يذهب فقال الشيخ
النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب
الرجال بما يأتي الله به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل بفتح وضم الحاء المهملة أي ينزل ويجوز
أن يكون بكسرها أي ينسط على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه
ثم يسير به إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيًا غير هذا فقال
أبو جهل بن هشام والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال الرأي
أن تأخذوا من كل قبيلة شابًا جلدًا قويًا حسيبًا في قومه نسيبًا وسيطًا ثم يعطى كل فتى منهم سيفًا
صارمًا ثم يعمدون عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك
تفرق دمه في القبائل جميعًا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فيرضوا منا بالعقل
أي الدية فعقلناه لهم فقال النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا هو الرأي لا أرى غيره فتفرق
القوم على ذلك فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت الليلة في فراشك الذي كنت
تبيت عليه أي وأخبره بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية
فلما كانت عتمة من الليل أي الثلث الأول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه
حتى ينام فيثبوا عليه أي وكانوا مائة **أقول** في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل
تدري ما ائتمروا بك قال يريدون أن يحبسوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال من حدثك بهذا
قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرًا قال أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي هذا كلامه
ولم يتعقبه بأن هذا كان بعد موت أبي طالب **وكان** ائتمارهم يوم السبت فلهذا سئل صلى الله عليه وسلم
فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال إن قريشًا أرادوا أن يمكروا فيه
أي أرادوا فيه المكر فأنزل الله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا **وفي سيرة** الحافظ الدمياطي فاجتمع

اولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب اي شقه ويرصدونه يريدون تبييته
اي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون ايهم يحمل على المصطفى وفيه ان ايتمارهم في ذلك ابان
ما اجتمع رايهم عليه من انهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه في القبائل ثم رايت بعضهم
قال واحدقوا بابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا
فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم اخذ ثاره وهو
المناسب لما ذكروا الله اعلم فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اي علم ما يكون منهم قال
لعلي بن ابي طالب نم على فراشي واتشح ببردي هذا الحضرمي وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشهد فيه العيدين وكان طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان اخضر او احمر
يدل للثاني قول جابر كان يلبس ردا احمر في العيدين والجمعة ثم رايت في بعض الروايات
انه كان اخضر فليتنظر الجمع وفي سيرة الحافظ الدمياطي وارتد بردي اي هذا الاحمر والحضرمي منسوب
الى حضرموت التي هي البلدة او القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتسجى بذلك
البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شي تكرهه منهم اقول واما ما روي ان الله تعالى اوحى
الى جبريل وميكائيل اني قد اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يوثر
صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن ابي طالب
اخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويوثره بالحياة
اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند
رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب باهى الله تعالى بك الملائكة وانزل
الله عز وجل ومن الناس من يشتري نفسه ابتغا مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية
انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وايضا فقد حصلت له الطمانينة بقول
الصادق له لن يخلص اليك شي تكرهه منهم فلم يكن فيه فدا بالنفس ولا ايثار بالحياة والاية
المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله تعالى
عنه لما هاجر اي كما تقدم لكنه في الامتاع لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ما ذكر وعليه
فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وسلم واضح ولا مانع من تكرر نزول الاية في حق علي وفي صهيب
وحينئذ يكون شراه في حق علي بمعنى باع اي باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم
وفي صهيب بمعنى اشترى اي اشترى نفسه بما له وتكرر نزول هذه الاية بمكة لا يخرج سورة
البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفي السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه

وقال

وقال ايكم يبيت على فراشي وانا اضمن له الجنة فقال علي انا ابيت واجعل نفسي فداك هذا
كلامه ولعله لا يصح ثم رايت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما
بلغني بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا علي وابو بكر الصديق فلينامل والله اعلم وكان
في القوم الحكم بن ابي العاص وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف
وزمعة بن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان محمدا يزعم انكم ان بايعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم
فجعلت لكم جنان كجنان الاردن اي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بارض الشام
بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار
تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم انا اقول ذلك
واخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقران الحكيم الى قوله فاغشيناهم
فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى على ابصارهم عنه صلى الله عليه وسلم فلم يروه وفي مسند
الحارث بن ابي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس انها ان قراها
خائف امن او جائع شبع او عار كسي او عاطش سقي او سقيم شفي وعند خروجه صلى الله
عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا وضع على راسه ترابا ثم انصرف
صلى الله عليه وسلم الى حيث اراد فاتاهم ات فقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمدا
قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على
راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه
تراب قال في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم تكنى ام الرباب
انها طاطات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين وينبغي
ان يوفق بينهما ان صحا والا فليعمل بالصحيح منهما هذا كلامه اقول التوفيق
حاصل وهو انه يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج عليهم من الباب
تسور الحائط التي نزل منها عليهم والله اعلم اي وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة في بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل اي الى الليلة المقبلة ثم خرج
هو وابو بكر مضيا الى جبل ثور كذا في سيرة الدمياطي ثم اي بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم
ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش متسجيا ببرد النبي صلى الله عليه وسلم

فيقولون والله ان هذا المحمد نائم عليه بردة فلم يزالوا كذلك اي يريدون ان يوقعوا به
الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى اصبحوا واتضح النهار فقام علي عن الفراش فقالوا والله
لقد صدقنا الذي حدثنا اي ولما قام علي رضي الله تعالى عنه سالوه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا علم لي به وفي رواية فلما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم
فلما راوا عليا رد الله مكرهم فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فانزل الله تعالى قوله ام
يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وانزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
كذا في الاصل تبعا لابن اسحاق ولا يخفى ان الاية الثانية موفية لما ذكروه من المشاورة
قال والمانع من اقتحام الجدار عليه صلى الله عليه وسلم في الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا للقتل
انهم هموا بذلك فصاحت امراة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة في العرب ان يتحدث
عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا حرمنا انتهى اقول لا يخفى ان هذا يناسب
ما قدمناه عن بعضهم انهم انما ارادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهر لبني هاشم
قاتلوه فلا يتهيؤا عليه ليلا بتسور الجدار الا ان يقال ارادة ذلك منهم كانت
عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه صلى الله عليه وسلم الا ان
ان المانع لهم عن الوثوب عليه الذي جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صنا ديد قريش
انما هي حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلي اجلس الى فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول
بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون انه النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمونه بامارهم
لا بحجارة ونبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام النبي صلى الله عليه وسلم على فراشه
قلت لو فعل ذلك لفاتت اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار رعاية الله تعالى
له بخروجه عليهم ولم يبصره احد منهم وفي رواية انهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم
ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم فعرفوه فقالوا هو انت
اين صاحبك فقال لا ادري وهذا مخالف لما تقدم فليتأمل الجمع بينه على تقدير صحته
ولفظ امروه صلى الله عليه وسلم بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبسوه ساعة
ثم خلوا عنه والله اعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له في الهجرة الى المدينة

اي وانزل

اي وانزل الله عز وجل عليه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن اسلم جعل الله مدخل صدق المدينة
ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء ان عند رجوعه صلى الله عليه
وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبي مسألة فقال ما تامرني
ان اسال قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا فانزل الله عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة اي الا
ان يدعي تكرار النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال لجبريل من يهاجر
معي قال جبريل ابو بكر الصديق اي ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله
تعالى صديقا فقد تقدم فقد تقدم ان تسميته بذلك عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم
عند اخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب ايضا ما في الاستيعاب
ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع اصحابه فقال ايكم يوافق معي ويرافقني فقد امرني
الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال ابو بكر انا يا رسول الله ويرده ما في
السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال اخرج من عندك
فقال يا رسول الله انما هما ابنتاي يعني عائشة واسماء قال شعرت اي علمت انه قد اذن
لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اي اسالك الصحبة فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصحبة اي لك الصحبة عندي فانطلقا اي ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم
عنها انه دخل بيت ابي بكر في ليلة خروجه من على قريش وانه مكث ببيت ابي بكر الى الليلة
القابلة التي كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان
مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى اتيا
الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال عند خروجه من مكة اي متوجها الى المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم
انك احب بلاد الله واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت
اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف اي على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت
وقال والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك
اخرجوني منك ما خرجت وفي لفظ انه وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت

فقال اني لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى الله منك وما في الارض بلد احب اليه منك وما خرجت
عنك رغبة ولكن الذين كفروا اخرجوني اي وهذا السياق يدل على ان وقوفه صلى الله عليه وسلم
على الحزورة او في وسط المسعى يقتضي انه كان بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى
المدينة وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب
ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وفي لفظ ولو تركت فيك ما خرجت منك
ولا مانع من تكرر ذلك ثم رايته في كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام
الفتح وفي لفظ اخر قال لمكة ما اطيبك من بلدة واحبك ولولا ان قومي اخرجوني ما سكنت
غيرك وفي جامع العلم للسعادي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف
ونظر الى مكة وبكى فانزل الله عليه وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك الاية اي واما
ما رواه الحاكم عن ابي هريرة مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في
احب البقاع اليك قال الذهبي انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر موضوع
اقول والذي رايته في المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد
الي فاسكني احب البلاد اليك والمعنى واحد واليه والى ما روي عن الزهري اللهم انك اخرجتني
من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة
قال لان الله تعالى اجاب دعاه فاسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلما ومنهم الامام مالك
رضي الله تعالى عنه والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور
ومنهم امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه واستندوا في ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع
اي بلد تعلمونه حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذا يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة رضي الله
تعالى عنهم واقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها مكة افضل من ساير البلاد لان ما كان اعظم
حرمة فهو افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال
صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة ماية عام
قال ابن عبد البر واني لاعجب ممن يترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله اني
لاعلم انك خير ارض الله واحبها الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا
حديث صحيح ويميل الى تاويل لاجماع ما تاوله عليه ولا الحسنة فيها بماية الف حسنة
نعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا
كتبت

كتبت له بكل خطوة سبعماية حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة
فيه بماية الف حسنة والكلام في غير ما ضم اعضاه الشريفة من ارض المدينة والا فذاك
افضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسي يعني ان صاحب عوارف المعارف
ذكر ان الطوفان موج بتلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهي من جملة
ارض مكة وحينيذ لا يحسن الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول ابي بكر رضي الله
تعالى عنه انهم لما اختلفوا في اي محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا في احب
البقاع اليه ليدفن فيه كما سياتي والله اعلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت بينا
نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر الصديق في نحر الظهيرة اي وسطها وهو وقت الزوال قال
قايل لابي بكر اي وهذا القايل هي اسما بنت ابي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر
ابن فهيرة اي مولى ابي بكر قالت اسما فقلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا
اي متطيلسا في ساعة لم يكن ياتينا فيها اي فعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يمر علينا
يوم اي قبل الهجرة الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية وفي لفظ
كان لا يخطي ان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ابي بكر احد طرفي النهار اما بكرة واما عشية
اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى في البخاري
وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا اي متطيلسا
وهو اصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه
وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه وحينيذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان
بل التقنع بتغطية الراس واكثر الوجه بالردا من غير ان يجعل منه شي تحت رقبته الذي
يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التي تلبسها اليهود
قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفا بني العباس
الطرحة السودا على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفا فالحاصل ان ما يغطي به الراس
مع اكثر الوجه ان كان معه تحنيك اي ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له ردا مجازا
وان لم يكن معه تحنيك قيل له ردا وقناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا
في القديم لقاضي القضاة الشافعي خاصة قال بعضهم بل صار شعارا للعلما ومن ثم صار لبسه
يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتا والتدريس فكان الشخص يكتب في اجازته وقد اذنا له في لبس

الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الراس يقال له ردا فقط وزعم
قبل له طيلسان انما مجازا وصح عن ابن مسعود وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الانبيا
وقد ذكر بعضهم ان الطيلسان الخلوة الصغري د في حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة
في قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق واول
من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم وعن الكفاية لابن الرفعة ان ترك الطيلسان
للفقيه مخل بالمروة اي وهو بحسب ما كان في زمنه د في الترمذي لم يكن عادته صلى الله
عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر او برد وتعقب بان في حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يكثر التقنع وفي طبقات ابن سعد مرسلا انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هذا ثوب لا يؤدي شكره اي لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغري كما تقدم
وما قيل لابي بكر رضي الله تعالى عنه ذلك اي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر
فدا له ابي وامي والله ما جا به في هذه الساعة الا امر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستاذن فاذن له فدخل اي وتنحي ابو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه اخرج من عندك فقال ابو بكر
انما هي اهلك اي لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عايشة رضي الله تعالى عنها كما تقدم فامها
من جملة اهله واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لاخر اهلي اهلك وفي رواية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا عين
عليك انما هما ابنتاي اي وسكت عن امهما سترا قال فانه قد اذن لي في الخروج
فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله بابي انت وامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم اي فبكى ابو بكر سرورا قالت عايشة رضي الله تعالى عنها فرايته ابا بكر يبكي وما
كنت احسب ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر رضي الله تعالى عنه ولله در القايل

ورد الكتاب من الحبيب بانه ... سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه ... من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين من فرح ومن احزاني

اي ومنه اقر الله عينه لمن يدعي له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن الله عينه لمن يدعي عليه
ويكون سخنة عين لما يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روي

ان

ان نبيا من الانبيا اجتاز بحجر يخرج منه الما فسال ربه عن ذلك فانطق الله الحجر
فقال منذ سمعت ان لله عز وجل نارا وقودها الناس والحجارة وانا ابكي هذا الدمع خوفا
من النار فاشفع لي عند ربك فشفع له فشفعه فيه وبشره ثم مر به بعد مدة فاذا الما يخرج
منه فقال الم يبشرك ان الله اجارك من النار فما هذا فقال يا نبي الله ذاك بكا
الخوف والخشية وهذا بكا الفرح والسرور ومن ثم لما قيل لابي بن كعب رضي الله تعالى عنه ان الله
عز وجل امرني ان اقرا عليك سورة كذا اي لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بكي رضي الله
تعالى عنه من الفرح وقال او ذكرت هناك اي ذكرني الله عز وجل وفي لفظ وسماني فبكى
وفي سفر السعادة قال العلما البكا على عشرة انواع بكا فرح وبكا حزن لما فات وبكا رحمة وبكا خوف
لما يحصل وبكا كذب كبكا النايحة فانها تبكي بشجو غيرها وبكا موافقة بان يرى جماعة
يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب وبكا المحبة والشوق وبكا الجزع من حصول الم لا يحتمل
وبكا الجور والضعف وبكا النفاق وهو ان تدمع العين والقلب قاسي والبكا بالقصر
دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت واما التباكي فهو تكلف البكا وهو
نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه لما راي المصطفي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله تعالى عنه يبكيان
في شان اساري بدر اخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت
ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثاني ما يكون لاجل الريا والسمعة قال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه فخذ بابي انت يا رسول الله احدي راحلتي هاتين فاني اعددتهما
للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن اي لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم
الى الله عز وجل بنفسه وماله اي والا لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم فقد انفق ابو بكر
رضي الله تعالى عنه اكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم اي فعن عايشة رضي الله تعالى عنها انفق
ابو بكر رضي الله تعالى عنه على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف درهم وفي لفظ دينار ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم ليس من احد اشفق علي في اهل ومال من ابي بكر وفي رواية ما احد
من علي في صحبته وذات يده من ابي بكر وما نفعني مال ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر
رضي الله تعالى عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية ما لاحد عندنا
يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا الله يكافيه بها يوم القيامة اقول والنبي

كونه صلى الله عليه وسلم اخذ احدى ناقتي ابي بكر رضي الله تعالى عنه بالثمن كما رواه ابان بن
ابي عياش رحمه الله احد الثابعين عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله تعالى عنه ما اطيب مالك منه بلال المؤذن وناقتي التي هاجرت عليها
وزوجتني ابنتك وواسيتني مالك كاني انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي لان ابان
ابن ابي عياش معدود من الضعفا وقد قال شعبة لان اشرب من بول حمار حتى اروى
احب الي من ان اقول حدثنا ابان بن ابي عياش وقال فيه مرة اخرى لان يزني الرجل
خير من ان يروي عن ابان وقد طلب من شعبة ان يكف عن ابان هذا قال
لا امر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان عن ابان
بانه كان يروي عن انس رضي الله تعالى عنه وابان يجالس الحسن البصري فكان يسمع كلامه
فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله لا منافاة
ايضا لانها كانت من مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبل ان ياخذها صلى الله عليه وسلم
بثمنها على ان في الترمذي ما يوافق ما رواه ابان فعنه عن علي رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة
وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله اعلم وكان
الثمن عن تلك الناقة التي هي القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت
في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه والجدعا واربعمائة درهم اي لما علمت ان
الناقتين اشتراهما ابو بكر رضي الله تعالى عنه بثمانمائة درهم واما ناقته صلى الله
عليه وسلم العضبا فقد جا ان بنته صلى الله عليه وسلم فاطمة تحشر عليها قالت عائشة
رضي الله تعالى عنها فجهزناهما احب الجهاز اي اسرعه والجهاز بكسر الجيم افصح من فتحها
ما يحتاج اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة في جراب اي زادا في جراب لان السفرة
في الاصل الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعا الزاد وكان في السفرة شاة
مطبوخة فقطعت اسما بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قطعة من نطاقها فربطت به على فم
الجراب اي وابقت الاخرى نطاقا لها وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن اسما رضي الله
تعالى عنها انها قالت للحجاج بلغني انك تقول اي لولدها عبد الله بن الزبير تعيره بابن
ذات النطاقين انا والله ذات النطاقين اما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وطعام ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واما الاخر فنطاق المراة اي الذي لا تستغني
عنه اي عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المراة وسطها لئلا تعثر في ذيلها اي
على ثوب يلقى اعلاه على اسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جا في بعض الروايات
ذات النطاق اي وكلاهما صحيح لكن في لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة
منه ثم الجراب وشدت فم القربة بالباقي اي فلم يبق لها شي منه ٥ ويوافقه ما في
البخاري عن اسما لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمحلها الذي هو الجراب
ولا لسقا به اي الذي هو القربة ما نربطهما به فقلت لابي بكر والله ما نجد شيا اربط
به الا نطاقي قال فشقيه اثنين واربطي بواحد السقا الذي هو القربة وبواحد السفرة
ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين اي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها
ابدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة وفيه ان الرواية الاولى التي عن عائشة رضي الله
تعالى عنها والرواية الثانية التي عن اسما رضي الله تعالى عنها التي رواها مسلم لم يذكر السقا
وفي رواية البخاري ذكر السقا واسقاط الجراب لكن ذكر بدل الجراب السفرة وقد يقال المراد
بربط السفرة ربط محلها التي هو الجراب كما اشرنا اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم
ينبغي ان يكون اقرب الى الضبط لان اسما قالته في اخر عمرها مخبرة عن نفسها
اي فلم ترتبط الا بالجراب باحد شقي النطاق وابقت لها الاخر وقد يقال الحصر ليس
في محله لمنافاته لرواية البخاري وحينئذ يجمع بانه يجوز انها لما شقت النطاق نصفين
قطعت احدهما قطعتين فشدت باحداهما الجراب وبالاخرى السقا فهي اي الشقة النطاقين
الذي ابقته والذي قطعت به ما ذكر وفي السيرة الهشامية ان اسما بنت ابي بكر جاءت اليهما
لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فذهبت تعلق السفرة فاذا ليس
لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانطقت الاخر وهذا يدل على ان المراد بقول
عائشة فجهزناهما احب الجهاز اي خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر
من السياق ثم على النبا درج ابن الجوزي حيث قال اسما بنت ابي بكر اسلمت بمكة قديما
وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا للسفرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد يقال
لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المراة وسطها لئلا تعثر في ذيلها يخالفه

تود بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المراة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل
وهذا يوافق القيل المتقدم ولعل له اطلاقين ويوافق الثاني ما قيل اول من تعلقه
هاجر ام اسماعيل اتخذته لتخفي اثر مشيها على سارة ولعله عند خروجها لما امره الله
عز وجل باخراجها مع ابراهيم ليذهب بها الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على
البراق ثم استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل اي وهو عبد الله
ابن الاريقط اي ويقال ابن ارقط او ارقد اسم امه فاريقط مصغرها ليدلهما على
الطريق للمدينة وكان على دين قريش اي ثم اسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفي الروض
ما وجدنا من طريق صحيح انه اسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور
بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذي يحرث عليه وسياتي ما
يدل على ان استيجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عايشة رضي الله تعالى عنها
ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور اي ليلا كما تقدم وعن ابن سعد
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكان
فيه الى الليل ثم خرج صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر فمضيا الى غار ثور فدخلاه اي
وكان خروجهما من خوخة في ظهر بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه وعن عايشة
بنت قدامة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة
متنكرا فكان اول من لقيني ابو جهل لعنه الله فاعمى الله بصره عني وعن ابي بكر حتى مضينا
وفي كلام سبط ابن الجوزي وعن وهب بن منبه رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خرج الى الغار من بيت ابي بكر فخرج من خوخة في ظهر الدار والاصح انما كان خروجه
من بيته نفسه وجعل ابو بكر رضي الله تعالى عنه يمشي مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم
ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة
عن يمينك ومرة عن يسارك لا امن اقول في الدر المنثور مشى صلى الله عليه وسلم ليلته تزل
على اطراف اصابعه لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما راها ابو بكر قد
حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله وفي لفظ لم يصب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفي كلام السهيلي عن ابي بكر انه قال نظرت الى قدمي

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما قال بعضهم ويشبه ان يكون
ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك ولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت
المسافة ويدل عليه قوله تمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته وفي لفظ فانتهى
الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشي ليلة الا بتقدير ذلك او انه صلى الله عليه وسلم
كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب
فناداه جبل ثور الي يا رسول الله وساق في الاصل رواية تقتضي انه ذهب الى غار
ثور راكبا ناقته الجدعاء ورايته في النور اشار الى ان ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان
بعد خروجه من الغار لا انه ركبها من منزل ابي بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفي
الخصايص الكبرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما تشاور المشركون في امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم واطلع الله نبيه على ذلك فخرج تلك الليلة حتى لحق الغار فلما اصبحوا
اقتفوا اثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل الحديث اي وهو مخالف لما تقدم من ان
خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية لا في ليلة خروجه على قريش وقد
يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا في خصوص تلك الليلة
اي خرج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية لكن تقدم
انه صلى الله عليه وسلم جا الى بيت ابي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتامل واعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وامره ان يتخلف بعده حتى يودي عنه
الودايع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة احد عنده شي
يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلم من امانته اي ولعل اعلام علي
بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اجتمع
بعلي رضي الله تعالى عنه بعد ذلك الا في المدينة لكن سياتي عن الدر ما يقتضي انه اجتمع به
عند خروجه من الغار وفي الفصول المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا بحفظ ذمته
واداء امانته ظاهرا على اعين الناس وامره ان يبتاع رواحل للفواطم
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد ام علي كرم الله
وجهه وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بني هاشم ومن
ضعفا المومنين وشرا على الرواحل مخالف لما ياتي في الاصل انه صلى الله عليه وسلم

ارسل النبي عليا رضي الله تعالى عنه حلة وارسل يقول له تشققها خمرا بين الفواطم اي
فاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة ام علي وفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وارساله
لتلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتامل قال في الفصول المهمة وقال له
اي لعلي اذا ابرمت ما امرتك به كن على اهبة الهجرة الى الله ورسوله وسر لقدوم
كتابي عليك واذا جا ابو بكر فوجهه خلفي نحو بئر ام ميمون وكان ذلك في فحمة العشا
والرصد من قريش قد احاطوا بالدار ينتظرون ان ينتصف الليلة وتنام الناس ودخل
ابو بكر على علي رضي الله تعالى عنه وهو يظنه اي وابو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر ام ميمون وهو يقول لك ادركني
فلحقه ابو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى اتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتامل الجمع
بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك
بالحق نبيا لا تدخل حتى ادخله قبلك فان كان فيه شي نزل بي قبلك فدخل فجعل يلتمس
بيده كلما راى جحرا قال بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان
فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر
لما احست بعقب سيدنا ابي بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تتحدر قال ابن كثير
وفي هذا السياق غرابة ونكارة اي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع راسه في حجر ابي بكر
ونام فسقطت دموع ابي بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما لك يا ابا بكر قال
لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك ابي وامي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه قال بعضهم
والسر في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤوسهم تعظيما للحية التي لدغت ابا بكر
في الغار اي لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر اين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية وانه راى على ابي بكر اثر الورم فسال عنه
فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتني قال كرهت ان اوقظك فمسحه النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين
على تقدير صحتهما وحين اخبره ابو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر
معي في درجتي في الجنة فاوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله لك ويروى انه لما صار يسد كل جحر

وجده اصاب يده ما ادماها فصار يمسح الدم على اصبعه وهو يقول

هل انت الا اصبع دميت ◦ وفي سبيل الله ما لقيت

اي وسياتي ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وانه يجوز ان يكون
ابن رواحة ضمن ذلك البيت لابياته ومما قد يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره
سبط ابن الجوزي ان ابا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم في اثنا الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكفار فاسرع في المشي فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع ابو بكر
صوته ليعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك ما رايته عن جندب
البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار كذا فدميت اصبعه فذكر البيت المذكور واراد
بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء في الصحيحين عن جندب بن عبد الله
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل انت الا
اصبع دميت البيت اي ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار امر الله تعالى شجرة
اي وهي التي يقال لها العشار اي وقيل ام غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها
اي ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار
وانها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها اي نسجا متراكما
بعضه على بعض اي كنسج اربع سنين كما قاله بعضهم وقد نسج العنكبوت ايضا على عبد الله ابن
انيس رضي الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع راسه واخذها ودخل في غار في الجبل
وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سياتي ونسج على نبي الله داود عليه السلام لما طلبه طالوت
ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب وهو اخو الامام محمد الباقر
وعم الامام جعفر الصادق وهو الذي ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن اخذ
عن واصل بن عطا الاخذ عن الحسن البصري ولما اثبت عطا المنزلة بين المنزلتين امره الحسن
البصري باعتزال مجلسه فقيل له معتزلي وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ
سيدنا زيد معتزليا ان يسلك سيدنا زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا واقام مصلوبا
اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها
ولا مانع من وجود الامرين وكانوا عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التي صلب عليها
الى ان صار وجهه الى القبلة اي وقد وقع لخبيب نحو ذلك كما سياتي ثم احرقوا خشبته وجسده

واذرى رماده في الرياح على شاطي الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت
نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفي امير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك
فانهزم اصحاب زيد عنه بعد ان خذله وانصرف عنه اكثرهم فقد بايعه ناس كثير من
اهل الكوفة وطلبوا منه ان يتبرا من الشيخين ابي بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل اتولاهما
فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا انتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة
وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرا ممن يبرا منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية
اقول والعجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرا من الشيخين ويكرههما
ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته اصابته جراحات واصابه
سهم في جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من القرى لينزع له
النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته واخفوا قبره واجروا عليه
الما واستكتموا الحجام ذلك فلما اصبح الحجام مشى الى يوسف ابن عمر متنصحا واخبره ودله
على موضع قبره فاستخرجه وبعث براسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا
فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغني انك تريد الخلافة
ولا تصلح لك لانك ابن امة فقال قد كان اسماعيل بن امة واسحاق بن حرة فاخرج الله
من صلب اسماعيل خير ولد ادم فقال له هشام قم قال اذن لا تراني الا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم ... وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل وراس زيد هذا دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين
ولذلك وقع في طبقات الشيخ الشعراوي نفعنا الله ببركاته وليس كذلك بل هو محل راس
زيد بن زين العابدين كما ذكره المقريزي في الخطط ويقال زيد الازياد وذكر في حياة الحيوان
ان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي رضي الله تعالى عنه
طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر وامر الله تعالى حمامتين
وحشيتين فوقفتا بفم الغار اي ويروى انهما باضتا اي وفرختا كما قاله بعضهم واستاجر
المشركون رجلا يقال له علقمة بن كرز رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك عام الفتح ليقص
لهم اثر النبي صلى الله عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار اي فصعد الجبل [illegible] الحجر
ثم قال هاهنا انقطع الاثر ولا ادري اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل وفي رواية قال لهم القائف

هذا

هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا القدم الاخر لا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في
المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شي فلما وصل الى الغار قال الى هنا
انتهى الاثر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم بات وتقدم ما في ذلك اي فان المشركين لما
فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه صلى الله عليه وسلم
بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة اي الذين يقصون الاثر في كل وجه ليقتفوا اثره
فوجد الذي ذهب الى جبل ثور اثره صلى الله عليه وسلم اي وقال ما تقدم واقبل فتيان قريش
من كل بطن بعصيهم وسيوفهم اي ولما اقبلوا اشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب رضي الله تعالى
عنه وخاف عليه وقال وا صهيباه ولا صهيب لي اي لانه تواعد معهما ان يكون ثالثهما
فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل له ابا بكر مرتين او ثلاثا
فوجده يصلي فقال يا رسول الله وجدت صهيبا يصلي فكرهت ان اقطع عليه صلاته فقال
اصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على اربعين ذراعا من الغار تعجل
بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين اي ونسج العنكبوت فقال ليس فيه احد فسمع
النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درا عنه اي دفع عنه وفي رواية فلما
انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم اي حاجتكم
الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد اي ولو دخل الغار لانفتق ذلك العنكبوت
وتكسر البيض وهذا يدل على ان البيض لم يكن خرج اي ويحتمل ان بعض البيض فرخ وبعضه
لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال ابو بكر يا رسول الله انه يرانا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا اي وفي بعض الروايات لو رانا ما تكشف
عن فرجه اي ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال ابو جهل اما والله اني لاحسبه قريبا
يرانا ولكن بعض سحره قد اخذ على ابصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير ان بعض اهل السير
ذكر ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا
تحت قدميه قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاونا من هاهنا لذهبنا من هاهنا فنظر الصديق
الى الغار قد انفرج من الجانب الاخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه
قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي ولا
ضعيف ولسنا نثبت شيا من تلقاء انفسنا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت

وقال انها جند من جند الله انتهى وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال لا ازال
احب العنكبوت منذ رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم احبها ويقول جزى الله العنكبوت
عنا خيرا فانها نسجت علي وعليك يا ابا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها اي ينبغي ذلك
لما تقدم ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر وفي الجامع الصغير جزى الله العنكبوت لفظ
عنا خيرا فانها نسجت علي الغار اقول فيه ان في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي
العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فاذا صح وثبت تاخره فهو ناسخ له وان كان سابقة
علي ما هنا وقد صح ما هنا فهو منسوخ به والله اعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين
اي وفرض جزا الحمام واخرجتا في الحرم فافرختا كل شي في الحرم من الحمام اي ولاجل ذلك ذهب
الغزالي من ايمتنا الى صحة الوقف على حمامة مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظر في
الامتناع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روي في قصة نوح عليه السلام انه بعث
الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقفت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع
الكعبة وكانت طينتها فاختضبت رجلاها ثم جاءت ثم مسح عنقها وطوقها طوقا ووهب
لها الحمرة في رجليها واسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفي شعر الحارث بن مضاض الذي اوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
وتبكي لبيت ليس يوذي حمامه ... يظل به امنا وفيه العصافر

ففي هذا ان الحمام قد كانت في الحرم من عهد جرهم اي ونوح وذكر بعضهم ان حمام مكة اظلت النبي صلى
الله عليه وسلم يوم فتحها فدعى صلى الله عليه وسلم بالبركة له وروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه
لما راى قريشا اقبلت نحو الغار حصوصا ومعهم القافة بكى اي ويقال لاسم القايف يقول
لقربتي والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله ما على نفسي ابكي ولكن
مخافة ان ارى فيك ما اكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وانزل الله
تعالى سكينته على ابي بكر رضي الله تعالى اي وانزل عليه امنته التي تسكن عندها القلب
قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهي
تانيس وتبشير له كما في قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك قولهم وبه يرد
ما زعمته الرافضة ان ذلك غضبا من ابي بكر وذما له لان حزنه رضي الله تعالى
عنه ان كان طاعة فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية
وفي رواية عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار

لو ان

لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما
قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى اما باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال
لابي بكر يا خليفة رسول الله واما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير
في ايده بجنود لم تروها راجع للنبي صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملايكة انزلهم الله تعالى عليه
في الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على اعدايه ويروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه عطش
في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق ابو بكر
رضي الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء احلى من العسل وابيض من اللبن وازكى
رايحة من المسك فشرب منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امر الملك الموكل
بانهار الجنة ان يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال ابو بكر يا رسول
الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وافضل والذي بعثني بالحق
نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا اي وذكر بعضهم قال كنت
جالسا عند ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني بثلاث حثيات من تمر
فقال ارسلوا الى علي فجا فقال يا ابا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له فحثى له
فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه عدوها فعدوها فوجدوا كل حثية ستين تمرة
لا تزيد ولا تنقص فقال ابو بكر صدق الله ورسوله قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الهجرة في الغار كفي وكف علي في العدد سوا ذكر الذهبي انه موضوع ولعل
قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا نفسه في ان يحثو الا ان ذلك
علة لكون كل حثية جات ستين حبة ولما ايست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل
ان من اسر او قتل احدهما كان له مائة ناقة اي ويقال ان ابا جهل امر مناديا ينادي
في اعلا مكة واسفلها من جا بمحمد او دل عليه فله مائة بعير والى قصة الغار اشار صاحب الهمزية بقوله

اخرجوه منها واواه غار ... وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مراه ... ومن شدة الظهور الخفاء

اي كانوا سببا لاخراجه صلى الله عليه وسلم من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطن ابايه

مبالغتهم في ايذائه صلى الله عليه وسلم وايذاء اصحابه رضي الله تعالى عنهم خصوصا ضعفاوهم
وأواه غار وحمته منهم حمامة في لونها بياض وسواد وكفته اعداه عنكبوت بنسجها الذي
كفته ابا بهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقا حصدا او استتر صلى الله عليه وسلم
منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم
الى ما تحت قدميه شدة ظهوره صلى الله عليه وسلم عليهم بالغلبة والمعرفة الالهية ومكثا في الغار
ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما وهو غلام يعرف ما يقال
بابيهما حين تختلط الظلام ويدلج عندهما بنحر فيصبح مع قريش كبايت في بيته فلا يسمع
امرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنهما
كان مملوكا للطفيل فاسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب في الله فاشتراه ابو بكر من الطفيل
واعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم اي قطعة من غنم ابي بكر فكان
يرعاها حتى تذهب ساعة من العشا ويغدو بها عليهما ثم يغلس اي اذا خرج من عندهما
عبد الله تبع عامر ابن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي اثره ثم يفعل ذلك في كل ليلة من تلك
الليالي الثلاث اي وذلك بارشاد من ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفي السيرة الهشامية
وامر ابو بكر ابنه عبد الله يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون
في ذلك اليوم من الخبر وامر عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا امسى
في الغار وكانت اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما تاتيهما اذا امست بما يصلحهما
من الطعام اقول وفي الدر عن عايشة رضي الله تعالى عنها ما كان احد يعلم مكان ذلك الغار
الا عبد الله بن ابي بكر واسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا يختلفان اليهما
وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما وفي النور المهمة واقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام بلياليهن في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسماء بنت ابي بكر
رضي الله تعالى عنهما تاتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث امرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تاتي عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستاجر لهما دليلا وياتي معه بثلاث
من الابل بعد مضي ساعة من الليل الاتية اي وهي الليلة الرابعة فجاءت اسماء الى علي كرم الله
وجهه فاخبرته بذلك فاستاجر لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثي وارسل معه
بثلاث من الابل فجاء بهن الى اسفل الجبل ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار

هو وابو بكر فعرفاه اي والذي في البخاري فاتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا
اي وتقدم ان المستاجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وقد يجمع بان المراد باستيجار
علي رضي الله تعالى عنه اعطاوه الاجرة ولكونه استاجرها ثلاث رواحل واتى بها معه فيه نظر ظاهر
وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر وركب الدليل وفي الدر المنثور فمكث صلى الله عليه وسلم هو
وابو بكر رضي الله تعالى عنه في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما عامر بن فهيرة وعلي يجهزهما فاشتروا
ثلاثة اباعر واستاجر لهم دليلا فلما كان في بعض الليل في الليلة الثالثة اتاهم علي بالابل والدليل
فليتامل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام
الا ثمر البرير اي الاراك وتقدم في باب رعية الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف
فبا موحدة مفتوحتين فثا مثلثة قال بن عبد البر وهذا اي القول بانهما مكثا في الغار بضعة
عشر يوما غير صحيح عند اهل العلم بالحديث قال الحافظ بن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما مكثا
مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر في الغار اي الاقتصار عليه
من بعض الرواة والله اعلم قال وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ان ابا بكر ارسل ابنه
عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم او ستة الاف وكان حين اسلم اربعين الف درهم
وفي لفظ اربعين الف دينار اي ويؤيد ذلك ما جاء عن انس رضي الله تعالى عنه انفق ابو بكر
على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف دينار فحمل ذلك اليه في الغار قالت اسماء فدخل علينا جدي
ابو قحافة رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله اني لاراه
يعني ابا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا ابت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت
احجارا فوضعتها في كوة اي طاقة في البيت كان ابي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا
ثم اخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا باس ان كان ترك لكم
هذا في هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيا ولكن اردت ان اسكن قلب الشيخ انتهى اي ولما
بلغ ضمرة ابن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فامر
اهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد
ابن حزام بن خويلد بن اسد اسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات من نهشة حية
قبل ان يصل وجا انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله تعالى عنه

هل قلت في ابي بكر شيا قال نعم قال قل وانا اسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا

وكان حبه رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اي وفي لفظ تبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه احب البرية اليه اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره
اقول في ينبوع الحياة والذي اعرف في هذين البيتين انهما من ابيات رثى بها حسان ابا بكر هذا كلامه وقد يقال لا مانع ان يكون ادخلهما حسان في مرثيته لابي بكر بعد ذلك والله اعلم وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال لجماعة ايكم يقرا سورة التوبة قال رجل انا قال اقرا فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال انا والله صاحبه وعن ابي الدردا رضي الله تعالى عنه قال راني رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر فقال يا ابا الدردا اتمشي امام من هو افضل منك في الدنيا والاخرة والذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل فقال ان الله يامرك ان تستشير ابا بكر وعن انس رضي الله تعالى عنه حب ابي بكر واجب على امتي

باب ... الهجرة الي المدينة خامس وثلاثين

لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذي هو الرجل الدولي براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة اي رديفا لابي بكر يخدمهما اي وفي البخاري ان ابا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لما سياتي ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ ابو بكر بغرزه اي ركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاي ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك قال بلى فداك ابي وامي قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا اصل له قال السيوطي رايت له متابعا ودعا صلى الله عليه وسلم يومئذ اللهم اصحبني في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق السواحل وصار ابو بكر اذا ساله سايل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك اي وفي رواية من هذا الذي بين يديك وفي رواية من هذا الغلام بين يديك اي بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهديني الطريق اي طريق الخير انه صلى

الله عليه وسلم قال لابي بكر الهي الناس اشغل الناس عني اي تكفل عني بالجواب لمن سال فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب اي ولو صورة كالتورية فكان ابو بكر يقول لمن ساله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر وانما لم يسال ابو بكر عن نفسه لان ابا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم في التجارة الى الشام اي معروفا لغالبهم فلا ينافي ما جا في بعض الروايات انه كان اذا سيل من انت يقول باغي اي طالب حاجة فعلم ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا ينبغي لهم الكذب ولو صورة ومن ثم التورية لكن سياتي في غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورا ابي بكر وفي التمهيد لابن عبد البر انه لما اتي براحلة ابي بكر سال ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انت اركب وارد فك انا فان الرجل احق بصدر دابته فكان اذا قيل من هذا وراك قال هذا يهديني السبيل اقول لا مخالفة بين هذا او ما تقدم لانه يجوز ان يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف ابي بكر على ناقة ابي بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقة نفسه امامه وان ركوبه لها كان في اثنا الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما ركب راحلة عامر بن فهيرة او ترك ركوبها لاجل راحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتاخر وان كان الاول هو الغالب والله اعلم وفي توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة اشار صاحب الهمزية بقوله

ويممحي نحو المدينة واشتا ... قت اليه من مكة الانحاء

اي وقصده صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحي من مكة وقد جا انه لما خرج من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل الله تعالى عليه ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي الى مكة واهل الرجعة يقولون الى الدنيا اي من يقول بان النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد اظهرها عبد الله بن سبا وكان يهوديا وامه يهودية سودا ومن ثم كان يقال له ابن السودا اظهر الاسلام في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وكان قصده باظهار الاسلام نوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وسياتي ذلك عند بنا المسجد وكانت قريش كما تقدم ارسلت لاهل السواحل ان من قتل او اسر ابا بكر او محمدا كان له ماية ناقة اي فمن قتلهما او اسرهما كان له مايتان فعن سراقة انه قال جاءنا رسل كفار

قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسراديتين فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اي بقديد
وهو محل قريب من رابغ اقبل رجل منهم حتي قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني رايت اسوده
اي اشخاصا بالسواحل اراه محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا هم ولكنك
رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا اي بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم اي وفي لفظ قال لا بل
ركبة بالتحريك جمع راكب بلاثة مروا علي انفا اي قريبا اني لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة
فاومت اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة
ثم قمت الي منزلي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية اي الي بطن الوادي ٥ وتحبسها
علي واخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة
التي تكون في اسفل الرمح وخفضت عاليه اي مسكت باعلاه وجعلت اسفله في الارض
لئلا يراه احد وانما فعلت ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من قومه
بخروجه معه لقتلهما او اسرهما زاد في رواية ثم انطلقت فلبست لامتي وجعلت احجر
الرمح مخافة ان يشركني اهل الماء بعني قومه قال حتي اتيت فرسي اي وكان يقال لها
العود والفرس لغة يقع علي الذكر والانثي قال في النور والمراد هنا الانثي لقوله فركبتها
ولقوله فرفعتها اي بالغت في اجرائها حتي دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها تقرب بي
وحينئذ يكون المراد اسرعت بالسير بها لان التقريب دون العدو وفوق العادة
فعثرت بي فرسي اي فوقعت لمنخريها كما في حديث اسماء بنت ابي بكر زاد في رواية ثم قامت
تحمحم فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الي كنانتي فاستخرجت الازلام اي وهي عيدان
السهام التي لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي
اكره وهو عدم اضرارهم اي لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الامر ويقال
للثاني الناهي فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتي سمعت قراءة رسول الله صلي الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت اي غاصت يدا فرسي في الارض
حتي بلغتا الركبتين اي وكانت الارض جدرة ٥ فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت
فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان اي غبار ساطع في السماء
مثل الدخان اي مع كون الارض جلدة ٥ فخررت عنها فاستقسمت بالازلام فخرج الذي
اكره فناديتهم بالامان اي وقلت انظروني لا اوذيكم ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه اي

وفي رواية ناديت القوم وقلت انا سراقة ابن مالك انظروني اكلمكم انا لكم نافع غير ضار
واني لا ادري لعل الحي فزعوا لركوبي اي ان بلغهم ذلك وانا راجع رادهم عنكم فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا تبتغي فوقفوا فاخبرتهم بما يريد الناس بهم
وفي رواية قال يا محمد ادع الله ان يطلق فرسي وارجع عنك وارد من وراءك وفي رواية
قال يا هذا ان ادعو الي الله ربكما ولكما ان لا اعود ففعل اي دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم
فانطلق الفرس حينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء فلا مخالفة قال فركبت
فرسي اي بعد نهوضها حتي جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية اي مائة
من الابل لمن قتلك او اسرك وهذا هو المراد بقوله في الرواية السابقة فاخبرتهم
بما يريد الناس منهم وكانه راي ان ذلك كاف في تخوفه بهم عن ذكر ابي بكر قال سراقة
وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا اي وفي رواية عرضت عليهما
الزاد والحلان اي ولعل الحلال هو المراد بالمتاع ايا انه حاله فقال لها خذ هذا
السهم من كنانتي وغنمي وابلي بمحل كذا وكذا فخذ منها ما شئتما فقالا له اكفنا نفسك
فقال كفيتكما ها اقول وفي رواية قال له صلي الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين
الاسلام فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية عن ابي بكر رضي الله تعالي عنه قال
لما ادركنا سراقة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا
اي وقد تقدم انه قال ذلك له في الغار فلما كان بيننا وبينه قيد اي مقدار رمح
او ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت اما والله
ما علي نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما
شئت فساخت به فرسه في الارض الي بطنها وكانت الارض صلبة اي ولا يخالف ما سبق
انها بلغت الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم صارت الي بطنها وذلك كله في المرة
الاولي فلا يخالف ما في الامتاع لما قرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه
في الارض الي بطنها فقال ادع لي يا محمد ان يخلصني الله تعالي ولك علي ان اردعنك الطلب
فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه في الارض اشد من الاولي فقال يا محمد قد
علمت ان هذا من دعائك علي الحديث اذ هو يدل علي انها في المرة الاولي وصلت الي البطن
وفي الثانية وصلت الي ما هو زائد علي ذلك وقد يدل له ما ياتي عن الجمهرة ولعل المراد دخل
جزء من بطنها في الارض في المرة الثانية وفي لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله
ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين علي من وراءي من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفي
حسبعيات

للهمداني ان سراقة لما دنى منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام
وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ارض خذيه فاخذت ارجل جواده الى الركب فساق سراقة
فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو نجيتني لاكونن لك بما علمك
فقال يا ارض اطلقيه فاطلقت جواده وروي في بعض التفاسير ان سراقة عاهد
سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما نكث تغوص قوايم فرسه في الارض وهذا اي الاقتصار
على غوص قوايم فرسه في الارض لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق وفي السابعة
تاب توبة صدق وفي **الفصول المهمة** لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وذلك في اليوم الثاني من خروجه من الغار جمع الناس ابو جهل وقال بلغني ان محمدا قد مضى
نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان اخران فايكم ياتيني بخبره فوثب سراقة فقال
انا لمحمد يا ابا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه عبدا اسود كان ذلك
العبد من الشجعان المشهورين فسار في اثر النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به
فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد اقبل ومعه غلامه الاسود المشهور
فلما ابصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول قوسه واقبل نحوهم فلما قرب
منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر سراقة بما شئت وكيف شئت
واني شئت فغاصت قوايم فرسه في الارض حتى لم يقدر الفرس ان يتحرك فلما نظر
سراقة الى تلك حاله رمى بنفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت
امن واصحابك اي انت كما انت اي امن واصحابك فادع ربك يطلق لي جوادي
ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه الى السما وقال اللهم
ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فانطلق له قوايم فرسه حتى وثب على الارض
سليما اي ولعل هذا في المرة الثانية او المرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم
ان الاقتصار على القوايم لا ينافي الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق في هذه الرواية
ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فانكر انه راى محمدا فلا زال به ابو جهل
حتى اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لابي جهل
ابا حكم والله لو كنت شاهدا ❊ لامر جوادي اذ تسيخ قوايمه

علمت

علمت

علمت ولم تشكك بان محمدا ❊ رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك
ما ذكر انه كان احد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه يخالف لما تقدم
انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه واخفى خروج فرسه
وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون لما خرج من مكة
سلك طريقا غير الطريق التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد
فجلس في مجلس قومه فلما اخبر بمرورهم فعل ما تقدم ثم اوجد عبده الاسود في مروره
وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع انه خرج من مكة
بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك قوله فاتانا رسل كفار قريش
لانه يجوز ان يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة بعده بطريقه ولا ينافي
ذلك كونه كان احد القاصين لاثره لانه يجوز ان يكون عاد الى قديد قبل ان
يجعل الجعل وفي كلام بعضهم انه ارسل هذين البيتين الى ابي جهل ولا منافاة لجواز
ان يكون ارسل بهما قبل ان يشافهه بهما وفي رواية انه لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم
اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن
احدا يلحق بنا اي لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل ان يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها
قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهي فعثرت بي فرسي فخررت عنها وحينئذ
يكون عثورها بدعايه صلى الله عليه وسلم والله اعلم **قال سراقة** فسالته ان يكتب
لي كتاب امن لانه وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي السبعيات** قال سراقة يا محمد اني لاعلم انه سيظهر امرك
في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك يوم ملكك فاكرمني فامر عامر
ابن فهيرة اي وقيل ابا بكر فكتب لي في رقعة من الادم اي وقيل في قطعة من عظم وقيل في
خرقة **اقول** وحينئذ يمكن ان يكون كتبه عامر بن فهيرة اولا فطلب سراقة ان يكون
ابو بكر هو الذي يكتبه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابته ثم انه اخذها كتب في
الرقعة من الادم والاخر كتب في العظم او الخرقة او المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة
ولما اراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى قال كسرى
ابن هرمز قال نعم وسياتي ان سراقة اسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

له مرحبا بك. وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت
ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني
بالرماح ويقولون اليك اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته
فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابي وانا سراقة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت ولما جيء لعمر رضي الله تعالى عنه في زمن خلافته
بسواري كسرى وتاجه ومنطقته اي وبساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا
منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب
عليه اذا عدمت الزهور وجيء له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثة وعليهن
من الحلي والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعي سراقة وقال ارفع
يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان
يقول انا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك اي ورفع بهما عمر صوته وصب المال الذي
جيء به من اموال كسرى في صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين
المسلمين فاصاب عليا رضي الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين الف دينار ثم جيء ببنات
الملك الثلاث فوقفن بين يديه وامر المنادي ان ينادي عليهن وان يزيل نقابهن
عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي
في صدره فغضب عمر رضي الله تعالى عنه واراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال
له علي رضي الله تعالى عنه مهلا يا امير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه فقال له علي ان
بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر رضي الله تعالى
عنه كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن
فقومن واخذهن علي رضي الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم
واخرى لمحمد بن ابي بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده علي
الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا اهل المدينة علما وورعا وكان اهل المدينة
قبل ذلك يرغبون عن السراري فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب
الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اجالس سعيد بن المسيب واعجب سعيد بي يوما

فقال

فقال لي من اخوالك فقلت امي فتاة فكاني نقصت من عينه فانا عنده ودخل عليه سالم
ابن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال
سبحان الله اتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن امه
قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال
ما اعجب امرك اتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه
علي بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجيب منك ان تجهل مثل هذا
هذا علي زين العابدين بن الحسين قلت فمن امه قال فتاة فقلت يا عم رايتني نقصت من عينك
لما علمت ان امي فتاة فالي في هؤلاء اسوة فقال اجل وعظمت في عينه جدا ولما رجع سراقة
صار يرد عنهم الطلب لا يلقى احدا الا رده يقول سبرت اي اختبرت الطريق فلم ار احدا وفي
لفظ قال لقريش اي لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كانهم احيوا امكان مسيره
ذلك قد عرفتم بصري بالطريق وقد سبرت فلم ار شيئا فرجعوا اي فان كفار قريش لما سمعوا
من الهاتف اي ومن غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد كما سياتي ارسلوا سرية
في طلبه يقول قايلهم اطلبوه قبل ان يستعين عليكم بكلبان العرب فيحتمل ان هؤلاء الذين
ردهم سراقة فكان سراقة اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر النهار مسلحة
اي سلاحا له وفي رواية قال سراقة خرجت وانا احب الناس في تحصيلهما ورجعت وانا احب
الناس في ان لا يعلم بهما احد ويحتمل ان بعد ان ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد ففي تتمة
الخبر ان تلك السرية جاءت الى ام معبد فسالوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشفقت
اي خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم اي اظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسالوني عن امر
ما سمعت به قبل عامي هذا ثم قالت لئن لم تنصرفوا عني لاصرخن في قومي عليكم وكانت في عز من
قومها فانصرفوا ولم يجلوا اين توجه اي من اي طريق توجه اي ولعلها قالت لهم ذلك لما رات
منهم التقبل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة ام معبد والى قصة سراقة
اشار صاحب الاصل بقوله * غرت سراقة اطماع تسابق * به جواده فانثنى للصلح مطلبا *
والبها اشار صاحب الهمزية بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهـ * ـوته في الارض صافن جرداء *
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء *

اي وتبع اثره سراقة فهوت اي سقطت به صافن وهي الفرس التي تقوم على ثلاثة قوائم وتقيم الرابعة
على طرف الحافر وهو وصف محمود في الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود في الخيل ايضا
بعد ان قاربت ان يخسف بها كلها وقد تخلص بالدعاء الخرق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليه قال وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى
قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه احد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا
عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها
ثم بسطت له فروة معي ثم قلت يا رسول الله نم وانا اتحسس واتعرف من نحا نحوه فنام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذي اردنا اي وهو
الظل فلقيته فقلت له لمن انت يا غلام فقال لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته اي وقال
الحافظ ابن حجر لم اقف على اسم هذا الراعي ولا على اسم صاحب الغنم قال ابو بكر رضي الله تعالى
عنه فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت افتحلب لي قال نعم فاخذ شاة فحلب لي في قعب
كان معه وفي رواية في اداوة معي على فمها خرقة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اوقظه
من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد اسفله فقلت يا رسول
الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل
اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذون له في ذلك اي كما تقدم فلا ينافي ما جاء لا يحلبن
احد ماشية احد الا باذنه وان هذا الحديث محمول على ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعي
واما قول بعضهم انما استحل شربه لانه مال حربي ففيه نظر لان الغنائم اي اموال الحربيين
لم تكن ابيحت له حينئذ ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم الم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا
بعد ما زالت الشمس انتهى اي وفي رواية ان ابا بكر قال قد ان الرحيل يا رسول الله اي دخل
وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بدا فسأل فقال له ابو بكر
بلى ثم اعاد عليه بقوله قد ان الرحيل واجتازوا في طريقهم بام معبد اي واسمها عاتكة وكان
منزلها بقديد اي وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي يلي المدينة ومنزل
سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته متسعة فليتأمل وكانت ام معبد امرأة برزة جلدا
تحتبي بفناء قبتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفهم وسألوها لحما وتمرا اي وفي رواية او لبنا يشترونه
فقالت والله لو كان عندنا شيء ما اعوزناكم القرى اي وفي رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين

اي مجدبين

اي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله
فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم اي لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن
قالت هي اجهد من ذلك قال اتأذنين في حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط فشأنك
اي اصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعى بها فمسح ظهرها بيده اي وفي رواية
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات
فرقا فمسح ظهرها وفي رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى اي وقال اللهم بارك
لنا في شاتنا فدرت واجترت وتفاجت اي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض
الرهط اي يرويهم بحيث يثقل عليهم الري فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل من السبعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا اي بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفي
رواية حتى علاها الثمال بضم المثلثة اي الرغوة وفي رواية فسقاها فشربت
حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا وعلوا بعد نهل اي مرة ثانية بعد الاولى اي ثم شرب
صلى الله عليه وسلم وكان اخرهم شربا وقال ساقي القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه وغادره
اي تركه عندها وارتحل والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

مسحت على شاة لذي ام معبد ... فالقاها ادر حلوبة

والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها ... فلها ثروة بها ونماء

اي ارسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك
الراحة كثرة لبن وزيادة وفي ام معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام
الرمادة اي وكانت تلك السنة اجدبت الارض جدبا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوي
الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها اي لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا
فسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك الاعراب لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى يحيى الناس
اي يجيء لهم الحيا وهو المطر قال كيف لا يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني ما مسهم وهذا السياق
على ان الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري
عن يونس عن ابن اسحاق انه دعي ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعى الله وحلب في العس حتى ارغى وقال

اشربني يا ام معبد فقالت اشرب فانت احق به فرده عليها فشربته ثم دعا بحايل اخري
فنعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا اخري ففعل بها مثل ذلك فسقي دليله ثم دعا بحايل اخري ففعل
بها مثل ذلك فسقا عامر بن فهيرة و طلبت قريش رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي بلغوا
ام معبد فسالوا عنه ووصفوه لها فقالت ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحايل
فقالوا ذلك الذي نريده وعند تول عمر رضي الله عنه ذلك قال كعب لعمر يا امير المومنين ان بني
اسرايل كانوا اذا اصابهم مثل هذه استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلي
الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بني هاشم فمشي العباس فمشي اليه عمر وشكي اليه ما فيه الناس فصعد
عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه فاسقنا الغيث ولا
تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا ابا الفضل قم وادع فقام وحمد الله واثني عليه ودعا
بدعا منه اللهم شفعنا في انفسنا واهلينا اللهم انا نشكوا اليك جوع كل جايع اللهم
انا لا نرجوا الا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الي منازلهم
وخاضوا في الما واخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر رضي الله تعالي عنه هذا والله هو
الوسيلة الي الله وصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيا لك يا ساقي الحرمين وذكر
السهيلي ان جماعة كانت مقبلة الي المدينة في ذلك اليوم فسمعوا صايحا يصيح في السما اتاك
الغوث ابا حفص اتاك الغوث ابا حفص هذا وذكر العلامة بن حجر الهيتمي رحمه الله
كالصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقا عام الرمادة سنة سبع عشرة
من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضي الله تعالي عنه لاستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما اصبح
غدا للعباس فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتي نستسقي
الله بك قال اقعد فارسل الي بني هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه فاخرج
طيبا وطيبهم ثم خرج وعلي امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم
خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتي المصلي فوقف وحمد الله واثني عليه وقال اللهم
انك خلقتنا ولم توامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا
اللهم كما تفضلت علينا في اوله فتفضل علينا في اخره قال جابر فما برحنا حتي سحت السما علينا
سحا فما وصلنا الي منازلنا الا خوضا فقال العباس انا ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي
ابن المسقي خمس مرات اشار الي ان اباه عبد المطلب استسقي خمس مرات فسقي هذا كلامه فليتنظر الجمع قال

قال

قال ابن شهاب كان اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله
ويقدمونه ويشاورونه ويا خذون برايه اي وكان لا يمر عمر وعثمان وهما راكبان
الا ترجلا حتي يجوز العباس وربما مشيا معه الي بيته اجلالا له اي لانه صلي الله
عليه وسلم قال احفظوني في العباس فانه عمي وصنو ابي وفي رواية فانه بقية ابايي قالت
ام معبد في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا اي بكرة وعشية وما
في الارض قليل ولا كثير اي مما يتعاطي الدواب اكله ولما جا زوجها ابو معبد قال
السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالمثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله
جا عند المسا يسوق اعنزا عجافا فراي اللبن الذي حلبه صلي الله عليه وسلم عجب وقال يا ام
معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت اي والشاة عازب اي لم يطرقها فحل الكرابيه
والبور شرا لعازب بالبعيدة المرعي التي تاوي الي المنزل في الليل وفي الصحاح العازب
الكلا البعيد الذي لم يوكل ولم يوطا قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رايت رجلا
ظاهر الوضاة مبلج الوجه اي مشرقه في اشفاره اي في اجفان عينيه اي شعرها
النابت بها وطف اي طول وفي عينيه دعج اي شدة سواد في شدة بياض اي وهذا هو الحور
اي ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة سواد وفيه انه صلي الله عليه وسلم لم يكن ابيض عينيه
شديد البياض بل كان اشكل العينين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة
وهو من اعلام نبوته صلي الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته صحل اي بحة
بضم الموحدة اي ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشناه من طول اي لا تبغضه
لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر اي لا تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة اي عظم البطن
وكبرها ولم تزر به صعلة اي صغر الراس كان عنقه ابريق فضة اي والابريق السيف
الشديد البريق اذا نطق تعليه البها واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات
النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا
واذا نهي انتهوا اعند لهيبه قال وفي لفظ انها قالت رايت رجلا ظاهر الوضاة
ابلج الوجه اي مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزره صعلة وسيما قسيما
اي حسنا في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحلا وقالت صهل احور اكحل
اي في اجفان عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع اي نور وفي لحيته كثاثة اي طويلة

ولا دقيقة ازج اي رقيق طرف الحاجب اقرن اي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به اي ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم من قريب حلو النطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربع لا تشناه تقتحمه من طول اي من فرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر اي لا يتجاوزه الى غيره اختيارا له غصنا بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقا يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان امر ابتدروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا معتد اي يكثر اللوم انتهى قال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رايته لاتبعته ولاجتهدت ان افعل اي وفي الامتاع ويقال انها اي ام معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت لهم في سفرتهم منها ما وسعته تلك السفرة وبقي عندها اكثر لحمها وفي الخصايص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايعها اي اسلمت قبل ان يرحلوا عنها وفي كلام ابن الجوزي ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها هاجر واسلم اقول وفي شرح السنة للبغوي وهاجرت هي وزوجها واسلم اخوها حبيش بن الاسعر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يورخون بيوم نزول الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج في اثرهم فادركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع وفي الاجوبة المسكتة لابن عوف قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه به من سائر صفات من وصفه اي من الرجال فقالت اما علمتم ان نظر المراة الى الرجل اشفى من نظر الرجل الى الرجل وفي ربيع الابرار للزمخشري قالت هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها ام معبد قام من رقدته فدعا بما فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك في عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهي اعظم دوحة اي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون في لون الورس ورايحة العنبر وطعم الشهد ما اكل منها جايع الا شبع ولا ظمآن الا روي ولا سقيم الا بري ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در لبنها فكنا نسميها المباركة فاصبحنا في يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر امر هذه الشجرة كما اشتهر امر الشاة وعن ام معبد انها قالت مر علي خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاي يستهديه ماء زمزم فانا اعجل السير كي لا ينشف القرب اي فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل

ابن عمرو ان جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن او نهارا فلا تمسين حتى تبعث الي من ماء زمزم فاستعان بامراتين فملاهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه ازهر ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر ام معبد في ابيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فافلح من امسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب اي وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبه ام معبد قال بعضهم وليست ام معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز ان يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه صلى الله عليه وسلم من الغار هو قول هذا الهاتف او عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف اشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى ... اطرب الانس منه ذاك الغناء

اي واظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الحميدة في صورة الغنا الذي تتولع به النفس حتى اطرب ذلك الغنا الانس حيث سمعوه واما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد ... من الامر لا يخشى خلاف المخالف

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة او سعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول

فيا سعد سعد الاوس كن انت مانعا ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا اسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان اقول يجوز ان يكون ان هنا بمعنى اذا اي صبرو رته صلى الله عليه وسلم امنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين او المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع اهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم ان السعود من الانصار سبعة اربعة من الاوس سعد ابن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد ابن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان ابو عبادة والله اعلم قال وتقديم قصة سراقة على قصة ام معبد تبعوا ما في الاصل وقد التزم تبعد ترتيب الوقايع وقضيته الترتيب ذكر قصة ام معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذي جرم

به جماعة انتهى اقول ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا انه توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر ام معبد وعن اسما ابنة ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل فوقفوا على باب البيت فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك قلت والله لا ادري فرفع ابو جهل يده فلطم خدي خرم منها قرطي اي وفي لفظ طرح منها قرطي والقرط ما يعلق في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضي ثلاث ليال ولم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يغني بابيات وان الناس يتبعونه يسمعون صوته حتى خرج باعلى مكة يجزي الله رب الناس الابيات كذا في الاصل وفيه ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه الغار وقولها فمضى ثلاث ما ندري يقتضي ان المراد خروجه من الغار وتقدم انهم علموا بخروجه الى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الا من الهاتف فليتامل وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قدم خبر ابنة على قصة ام معبد الآن يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن تبعيته وهذه قصة اخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة ام معبد وقيل غيرها واجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقالوا لراعيها لمن هذه قال لرجل من اسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سلمت ان شاء الله ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه وقال سعدت ان شاء الله تعالى وفي الامتاع ولقي بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا اي والحصيب بضم الحا المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته قريش لمن ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع في ذلك فخرج له في سبعين من اهل بيته وفي لفظ وكانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته قومه فلما راه صلى الله عليه وسلم قال له من انت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا بكر برد امرنا وصلح قال ممن انت قال من اسلم من بني اسهم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اي لانه صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريده للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا محمد بن عبد الله

ابن عبد الله

ابن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه اي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشا الاخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لوا فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشي بين يديه اي وقال له كما في الوفا تنزل علي يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مامورة قال بريدة الحمد لله الذي اسلمت بنو سهم يعني قومه طايعين غير مكرهين والله اعلم ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل خروجهم كان في ثلاثة ايام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله اعلم فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم اي واحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اي محل مرتفع من اطامهم اي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اي لانهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة ابن عبيد الله قال في النور ولعلهما لقياه معا او متعاقبين فكسواه ومن ثم ذكر الحافظ بن حجر ان هذا القول الذي في السير ومال الدمياطي الى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شانه في ابتدا امره فلما تضلع من الاحاديث الصحيحة كان يريد الرجوع عن كثير مما وافق عليه اهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما راهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم اي والسراب ما يرى كالماء وسط النهار في زمن الحر فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم اي حظكم الذي تنتظرون اي وفي رواية فلما دنوا من المدينة بعثا رجلا من اهل البادية الى ابي امامة واصحابه من الانصار اي ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة اي وفي لفظ فوافقوه وهو مع ابي بكر في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا امنين مطمئنين وفي لفظ فاستقبله زها خمسمائة اي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا امنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقبا في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين

لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم اي لانه كان شيخ بني عمرو
ابن عوف وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم اسلم وتوفي قبل بدر بيسير وقيل اسلم
قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة اي وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع اصحابه
في بيت سعد بن خيثمة اي لانه كان عزبا لا اهل له هناك اي وكان منزله يسمى منزل العزاب
والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال اعزب وقيل هي لغة رديئة **اقول** وبذلك
يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رايت
الحافظ الدمياطي اشار الى ذلك **ونزل علي بن ابي طالب** رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة
على كلثوم ايضا بقبا بعد ان تاخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يودي الودايع
التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم **قيل** توجه
صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام علي بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وديعة فليات نودي اليه امانته فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشخوص اليه فابتاع ركايب وقدم ومعه الفواطم ومعه ام ايمن وولدها ايمن وجماعة
من ضعفا المومنين **اقول** سياتي ما يخالف ذلك وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار
ابي ايوب بعث زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما خمسماية درهم وبعيرين
بعد ما نفاطمة وام كلثوم بنتيه وسودة زوجته وام ايمن وولدها اسامة الا ان
يقال يجوز ان يكون الكتاب الذي يكون فيه استدعا سيدنا علي للهجرة كان مع زيد
وابي رافع وانهما اصحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من انه تاخر بمكة بعده ثلاث ليال
يودي الودايع لان تلك الليالي الثلاث كانت مدة تاديه الودايع ومكث بعدها
الى ان جاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينيذ يكون قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة بعد نزوله بقبا على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الهشامية نزل على
معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا ياتي الا على القول بانه صلى الله عليه وسلم
مكث في قبا بضع عشرة ليلة كما سياتي وحينيذ يخالف ما سبق من مجيه مع زيد وابي رافع
لما علمت انه صلى الله عليه وسلم انما ارسلهما بعد ان تحول من قبا الى المدينة **وفي الامتاع** لما قدم
علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه صلى الله عليه وسلم وبكى

رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع
من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه لانه يجوز ان يكون هاجر ماشيا رغبة في عظم الاجر
وفي السيرة الهشامية ان اقامة علي بقبا كانت ليلة او ليلتين وانه راى امراة مسلمة لا زوج
لها ياتيها انسان في جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيا معه فتاخذه
قال علي فسالتها فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف اني امراة لا احد لي فاذا امسى عدا على
اوثان قومه فكسرها ثم جاني فقال احتطبي بهذا اي اجعليه للنار فكان علي يعرف ذلك لسهل
ابن حنيف والله اعلم **قال** ونزل ابو بكر رضي الله تعالى عنه على حبيب بن اساف وقيل على خارجة
ابن زيد بالسنح بالسين المهملة فنون ساكنة فحا مهملة **وعن** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ولد نبيكم يوم الاثنين اي وحملت به امه يوم الاثنين وخرج من مكة الى الغار يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان
يوم الاثنين ودخول المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة يوم الاثنين ووضع
الركن يوم الاثنين **ومن الغريب** ما حكاه بعضهم عن ابي الربيع المالكي وكان عمره كان يوم
الاثنين خاصة اذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه **وقيل** خرج من مكة اي الى الغار يوم الخميس
وعليه يكون مكث في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وليس يكون
خروجه عليه الصلاة والسلام من الغار صبيحة يوم الاحد **وفي** البخاري اتاهما اي الدليل
براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان خروجهما الى الغار كان ليلا من بيت ابي بكر وقول ابي بكر
سرنا ليلتنا كلها حتى قام قايم الظهيرة يقتضي انهما خرجا من الغار ليلا اي اول الليل لا ان
التاكيد يبعد ان يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري اتاهما براحلتيهما صبح ثلاث
وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتامل هذا المحل وقيل دخلها اي المدينة ليلا
كما في رواية مسلم **اي وقال** الحافظ ابن حجر ويجمع بان القدوم كان اخر الليل فدخلها نهارا
اقول لعل المراد من قول الحافظ ان الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل
الى ان اسفر النهار وساروا فما وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة
وذكر الحافظ ابن حجر انه شاذ والله اعلم **وسرى** السرور الى القلوب بحلوله في المدينة **فعن** البرا
رضي الله تعالى عنه قال ما رايت اهل المدينة فرحوا بشي فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة اضا منها كل شي وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير اي الاسطحة عند قدومه
يقلن يقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عايشة رضي الله تعالى عنها
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل النسا والصبيان والولايد يقلن

طلع البدر علينا ✻ من ثنيات الوداع ✻
وجب الشكر علينا ✻ ما دعا لله داع ✻
ايها المبعوث فينا ✻ جيت بالامر المطاع ✻

قال واستشكل بان ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل اي من جهة
الشام فقد قال ابن القيم في الهدي في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام
لا يطاوها القادم من مكة ونقل الحافظ بن حجر عنه عكس ذلك وليس في محله واجيب
بانه صلى الله عليه وسلم جا من جهتها في دخوله للمدينة عند خروجه من قبا انتهى
اي وفي كلام بعضهم ما كان احد يدخل المدينة الا منها فاذا لم يعرفها مات
قبل ان يخرج لو باها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به وقيل قيل
لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلي
وقيل اسلامي سمي بذلك المحل بذلك وقيل ان الصحابة ودعوا بها النسا اللاتي استمتعوا
بهن في خيبر عند رجوعهم من خيبر او وقع توديع من خرج الى غزاة تبوك بها او لكونه
صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا يدل على ان هذا الشعر قيل عند
دخوله المدينة لا عند دخوله قبا وسياق بعضهم يقتضيه وسياتي عن الحافظ ابن حجر ما يقتضي
انه كان عند دخوله قبا ومن هنا نعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قبا ومنه قولنا
وسرى السرور الى القلوب بقرب الرسول الخ وان المراد بدخوله المدينة يوم الاثنين
على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قبا وحينيذ تكون هي المرادة بقول انس لما
كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الخ ولعل منه ما في بعض
الروايات المتقدمة دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم
ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ابو بكر للناس اي وابو بكر شيخ اي شيبه ظاهر
والنبي صلى الله عليه وسلم شاب اي شعر لحيته اسود مع كونه اسن من ابي بكر كما تقدم وقد
قال انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر فطفق من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى

اسلم

الله عليه وسلم يحيي ابا بكر اي يظن انه النبي صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر اي يظن انه النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردايه فعرفه الناس
اي عرفه من جا منهم بعد ذلك اي لان عدم تاثير الشمس فيه لتظليل الغمام كان
قبل البعثة ارهاصا كما تقدم ومما يدل على ان دخوله المدينة وخروجه من قبا كان يوم
الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف اي في قبا بقية
يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة فيكون اقام بضعة
عشر ليلة وهو المنقول عن البخاري وعن ابن عقبة قام ثنتين وعشرين ليلة وفي
الهدي اقام اربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فلينظر وأسس بقبا المسجد الذي
اسس على التقوى اي الذي نزلت فيه الاية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في الهدي ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سيل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال
مسجدكم هذا يعني واشار لمسجد المدينة اي وفي رواية فاخذ عصا فضرب بها الارض
وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما موسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه
ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني في المدينة اسس على
التقوى اي لكن الذي نزلت فيه الاية هو مسجد قبا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم
من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار قال قيل وكان محل مسجد قبا مربدا اي محلا يجفف
فيه التمر لكلثوم بن الهدم وهو اول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي
انه بني قبله غيره من المساجد لكن الخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق
بفنا داره بمكة كما تقدم انتهى اي وفي كلام ابن الجوزي اول من بنى مسجدا في الاسلام
عمار بن ياسر وفي السيرة الهشامية عن الحكم بن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل قبا قال عمار بن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد ان يجعل له مكانا يستظل
به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا اي فانه لما جمع الحجارة اسسه صلى الله
عليه وسلم واستتم بنيانه فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين قال وعن جابر رضي الله تعالى
عنه لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة
انتهى ونعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطفه نقيم الصلاة من عطف التفسير
ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بنا المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم

وفيه ان الحافظ بن حجر قال كان بين ابتدا هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم بشهران ونصف شهر على التحرير كما تقدم ايضا في رواية جابر تدل على انه كان بين اجتماع الاثني عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم للمدينة سنتين وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتدا المدة من قدوم الاثني عشر عليه بل مراده ان ابتداها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر وانها تزيد على السنتين فليتامل ولا اي مسجد قبا او مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين اي امنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرين والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قبا صلى فيه ولم يحدث فيه شيا ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس المسجد مسجد قبا فرايته ياخذ الحجر والصخرة حتى يصهره الحجر اي يتعبه فيأتي الرجل من اصحابه فيقول يا رسول الله بابي انت وامي تعطيني اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه اي وجا انه لما اراد بناه قال يا اهل قبا ايتوني باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة واخذ حجرا فوضعه ثم قال يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه جنب حجر عمر قال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة وسيجي في بنا مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد تحوله الى المدينة كان ياتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضا واسبغ الوضو ثم جا مسجد قبا فصلى فيه كان له اجر عمرة اي وروى الترمذي والحاكم وصححاه عن اسيد ابن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد قبا كعمرة وفي رواية من صلى في مسجد قبا يوم الاثنين والخميس انقلب باجر عمرة وكان عمر رضي الله تعالى عنه ياتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف وفي رواية في افق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل اي وصحح الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قبا ماشيا وراكبا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن ابيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قبا وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا فيصلي فيه ركعتين وعنه قال خرجنا

ح

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبا فقام يصلي فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل باطنها الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة في الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ايمنه رضي الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلي فسلمت فاومى اليها براسه وفي الهدي واما حديث من اشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفي كلام بعضهم قد ثبت في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو في الصلاة اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض لا حديث مجهول وهو من اشار في صلاته اشارة تفهم فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سالهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله تعالى عليكم فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغايط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفي لفظ اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا اي وفي الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اتؤمنون بالقضا قالوا نعم قال وتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون على الرخا قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معاشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضو وعند الغايط اي المعبر عنه بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا هذا كلامه وفي رواية فقال ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور الذي تتطهرون به فقالوا يا رسول الله ما نعلم شيا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وفي لفظ كنا نستنجي بالما في الجاهلية فلما جا الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفي لفظ قالوا نتوضا للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا خرج الى الغايط احب ان يستنجي بالما وفي رواية يستنجي بالما من البول والغايط زاد في رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة قال هو ذاك فعليكموه اي الزموه اي وفي مسند البزار

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء
قال بعضهم في اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووي حيث
قال هكذا اي ذكر الحجارة مع الماء في خبر الانصار رواه الفقهاء في كتبهم وليس له اصل
في كتب الحديث بل المذكور فيها انهم قالوا كنا نستنجي بالماء وليس فيها مع الحجر اي ويكون
السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله وفي الخصائص الصغرى انه مما اختص به في
شرعه وامته الاستنجاء بالجامد وبالجمع فيه بين الماء والحجر ومن اهل قباء عويم بن ساعدة
قال في حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة عويمر
ابن ساعدة اي لانه كان اول من استنجى بالماء كما قيل اي ومن ثم جاء تخصيصه فقد
روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عويمر بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم به فقال يا نبي الله ما خرج
منا رجل ولا امراة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما يقتضي ان الاستنجاء بالماء
لم يكن معروفا في غير اهل قباء قبل نزول هذه الاية وفي كلام بعضهم اول من استنجى بالماء
ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة لعله يكون في الاستنجاء بالماء
عدول عن الرخصة ونقل عن عمر انه كان لا يستنجي بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا نقل عن ابن
الزبير ما كنا نفعله وعن الامام احمد انه لم يصح حديث في الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاي
في رده وعن سيدنا مالك انكار ان النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة
ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار في الخبر يؤيد ظاهر ما ذكروا ما في الام
ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجاء بالحجر كافيا لو اقتصر عليه وبقية الاستنجا
اي بالحجر كاف ولو اتى به اي الاستنجاء الكافي رجل ثم غسل بالماء كان احب الي وانما قلنا ظاهر
لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا بقيد كونه كافيا والذي عليه متاخرو اصحابنا ان سنة
الجمع يكتفى فيها بازالة العين ولو بحجر واحد وقد يقال هذا محبوب وما ذكره
الامام احمد يخفي ان حديث الانصار يقتضي اختصاص سن الجمع بين الحجر والماء
بالغائط وبه قال القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الام ان مثل
الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب راحلته
الجدعاء وقيل القصوى وقيل العضباء اي قاصدا المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة

الانف

الانف او مقطوعة الاذن كلها والقصوى المقطوع طرف اذنها والعضباء المشقوقة
الاذن قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها اي بتلك النوق شيء من ذلك وسيأتي
عن الاصل ان هذه القاب لناقة واحدة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء وسار
سار الناس معه ما بين ماش وراكب اي ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة
شحا اي حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال
وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد ولعبت الحبشة
بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو ابن عوف له يا رسول الله اخرجت
ملالا لنا ام تريد دارا خيرا من دارنا قال اني امرت بقرية تاكل القرى اي تغلبها وتقهرها
والمراد اهلها اي ان اهلها تفتح القرى فياكلون اموال اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم
خلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم اي ومن اسماء تلك القرية المدينة روى الشيخان
امرت بقرية تاكل القرى يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية
كالنجم للثريا اذا اطلق فهي المرادة وان اريد غيرها قيدوا ونسبة اليها مدني ولغيرها
من المدن مديني للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك
المحل سمي بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح عليه الصلاة والسلام وفي الحديث
المدينة تنفي الناس اي شرارهم كما ينفي الكير خبث الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم
الساعة حتى تنفي المدينة شرارها قيل وذلك يكون في حياته صلى الله عليه وسلم
وقيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد جاء ان الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق و
كافر الا خرج اليه وفي رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات
يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث
ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة
من خيار الصحابة منهم علي وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله
ابن مسعود وفي كلام ابن الجوزي ان عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال
صلى الله عليه وسلم اي ارض مات بها رجل من اصحابي كان قائدهم ونورهم يوم القيامة
وفي رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون اي خير لهم من بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث ياتي على الناس زمان
يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

والذي نفسي بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا اخلف الله من هو خير منه اي من خرج منها رغبة عنها الي غيرها من بلاد الرخا والسعة فلا دليل في ذلك على انها افضل من مكة ومن اسمايها اكالة البلدان ومن اسمايها البارة بتشديد الرا وتسمي الفاضحة لان من اضمر فيها شيا اظهر الله ما اضمره وافتضح به اي فالمراد اضمر شيا من السو وقد قال صلي الله عليه وسلم من سمي المدينة بيثرب فليستغفر الله تعالي هي طابة كسامة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله فليستغفر الله هي طيبة كطيبة هي طيبة هي طيبة هي طابة كما تقدم قيل وانما سميت طيبة لطيب رايحة من مكث بها وتزايد روايح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم اي لان ترابها يشفي الجذام وتسميتها بيثرب في القران انما هو حكاية لقول المنافقين اي بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلي الله عليه وسلم لا اراها الا يثرب اي ونحو ذلك من كل ما وقع في كلامه صلي الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك انتهي اي وجا الايمان ليارز الي المدينة كما تارز الحية الي جحرها ويارز بكسر الزاي اي ينضم ويجتمع بعضه الي بعض وفي رواية ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا ياارز كما تارز الحية الي جحرها وانما كرهت تسميتها يثرب لان يثرب ماخوذ من التثريب وهو المواخذة بالذنب ومنه قوله تعالي لا تثريب عليكم اليوم او من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم ابن محمد قال بلغني ان المدينة في التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر اسما من جملتها سكينة اي ومن جملتها الجابرة والعذرا والمرحومة وفي كلام بعضهم لها نحو ماية اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووي لا يعرف في البلاد اكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل علي ان خروجه صلي الله عليه وسلم من قبا متوجها الي المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلي الله عليه وسلم الي المدينة ادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي عن معد من اسلمي وهم ماية اي وصلاها بعد ذلك في المدينة وكانوا اي معه صلي الله عليه وسلم اربعين عن ابن مسعود رضي الله

بلغ مقابلة

تعالي

تعالي عنه انه صلي الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا اي ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينيذ صلي الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا المسجد مسجد الجمعة ويكون علي يمين السالك تخوفيا فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة اي وخطب لها وهي اول خطبة خطبها صلي الله عليه وسلم في الاسلام اي ومن خطبته صلي الله عليه وسلم تلك فمن استطاع منكم ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها الي سبعماية والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي هذه الخطبة في تفسيره واوردها جميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ اقول هذا واضح ان كان صلي الله عليه وسلم اقام في قبا الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس كما تقدم واما علي انه اقام بضع عشرة ليلة او اكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه لم يصل الجمعة في قبا في تلك المدة ثم رايت في كلام بعضهم انه كان يصلي الجمعة في مسجد قبا في اقامته هنا كذا اي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا الي يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل او امام جاير فلا جمع الله شمله ولا بورك له في امره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له وبان كان صلي الله عليه وسلم قال ذلك في هذه الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضي ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهاينا انها وجبت بمكة ولم تقم لعدم قدرتهم علي اظهارها بمكة لان الجهاد بها اقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفي الاتقان انها تاخر حكمها عن نزول اية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الفرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما اخرجه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الي الجمعة فسمع الاذان استغفر لابي امامة اسعد بن زرارة فقلت يا ابتاه ارايت صلاتك علي اسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال اي بني كان اول من صلي بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلي الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه وليتامل ما وجه الرد من هذا وجا صلاة الجمعة في المدينة كالف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان كصيام الف شهر فيما سواها كذا في الوفا عن نافع عن ابن عمر واول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة

قبل الصلاة او بعدها في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد
ان يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدم عير دحية الكلبي
وكان اذا قدم خرج اهله للقائه بالطبل واللهو فخرج الناس للشراء من طعام تلك العير
وللتفرج عليها وقيل للتفرج على دحية فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصرة
الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع ان يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس
ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا والجلال المحلي في قطعة التفسير اسقط لفظ
نحو اي والانفضاض ما عداهم ولا يحتمل ان يكون في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان
يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد او نحوه قبل
طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم
فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع اربعين لاركان
الخطبة قال مقاتل بلغني انهم فعلوا ذلك اي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فانزل
الله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها الاية ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل ان
يصلي اي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر
لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تاخر
صلاة الجمعة عن الخطبتين ثبتت صلاته بعد خطبتين اي استقر ثبوت ذلك
وعن الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب اي في
غير الخطبة المتقدمة كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات لا يعجل الله لعجلة احد
ولا يخف لامر الناس امرا ويريد الله امرا فما شا الله كان لا ما شا الناس وما شا الله
كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شي الا باذن
الله والله اعلم وركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها الى المدينة اي
اي وقد ارخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا تساله بنو سالم منهم
عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت
فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعدة والمنعة وفي لفظ انزل فينا فان فينا
العدد والعدة والحلقة اي السلاح ونحن اصحاب الحدائق والدرك يا رسول
الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم

خيرا

خيرا وقال خلوا سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مامورة اي وفي رواية انها مامورة
خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة
اي محلتهم والمراد القبيلة فتساله بنو بياضة اي ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو
بمثل ما تقدم واجابهم بانها مامورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة
اي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وابو دجانة فتساله بنو ساعدة بمثل ذلك
واجابهم خلوا سبيلها فانها مامورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم اخواله
صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم اي باول دورهم فتساله دار بني عدي
ابن النجار اي اولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم اي وفي رواية انهم قالوا له نحن اخوالك هلم
الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله ه اي وزاد في
رواية لا تجاوزنا ليس احد من قومنا اولى بك منا لقرابتنا واجابهم بانها مامورة فانطلقت
حتى بركت في كل محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد اي محل بابه او في محل المنبر
الان ذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري اي واسمه خالد بن زيد
الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع علي
ابن ابي طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان غزى ايام معاوية رضي الله تعالى عنه
ارض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفي عند مدينة
قسطنطينية فدفن هناك وامر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفى اثر
القبر اي خوف ان ينبشه الكفار وكان المشركون اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون فلم
ينزل عنها صلى الله عليه وسلم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه وتحلحلت اي بالجيم
تضعضعت ووضعت جرانها اي باطن عنقها من المذبح الى المنحر وارزمت اي صوتت
من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب انزلني منزلا مباركا وانت خير
المنزلين اي قال ذلك اربع مرات واخذه الذي كان ياخذه عند الوحي اي برحاء ه وقال
هذا ان شاء الله تعالى يكون المنزل اي وامر ان يحط رحله وفي لفظ ان ابا ايوب قال له ايذن لي
ان انقل رحلك فاذن له واحتمل ابو ايوب رحله فوضعه في بيته اي وجاء اسعد بن زرارة
فاخذ بزمام راحلته فكانت عنده اي وذكر بعضهم ان ابا ايوب لما نقل رحله اناخ الناقة في منزله

وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده اي وعن ابي ايوب
لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار ايهم ياويه فقرعهم الحديث وقد يقال
مراده بالانصار اهل تلك المحلة التي بركت فيها الناقة وذكر السهيلي انه لما القت جرانها
في دار بني النجار اي في محل من محلاتها جعل رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر وكان من
صالحي المسلمين ينخسها رجاء ان تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجا انه صلى الله عليه وسلم
قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار
خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا اخر الاربع اسرجوا لي حماري
اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن اخيه سهل فقال انك تذهب لترد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك ان تكون رابع اربع فرجع فقال الله
ورسوله اعلم وامر بحماره فحل عنه وفي رواية قال له اجلس الا ترضى ان سمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الاربع الدور التي سمى فمن ترك فلم يسم اكثر ممن سمى فانتهى سعد ابن عبادة عن كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار ** يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتحببنني وفي رواية اتحبونني قلن نعم يا رسول
الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفي رواية والله احبكم وفي رواية وانا والله احبكم وانا
والله احبكم وانا والله احبكم قال ذلك ثلاثا وفيه دليل لسماع الغنا على الدف من المراة لغير
العرس ويدل لذلك ايضا ما جا عن ابن عباس مرفوعا ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلسوا اسماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين ومعها مزهر تختلف به بين القوم
وهي تغنيهم وتقول ** هل علي ويحكم ** ان لهوت من حرج ** فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لا حرج ان شاء الله تعالى وما روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها دخل علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من جواري الانصار يغنيان وفي رواية يضربان بدفين
فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه الشريف ودخل ابو بكر رضي الله تعالى عنه
فانتهرني فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وفي رواية قال ابو بكر امزمور
وفي لفظ امزمار وفي لفظ امزمارة الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين
وانتهرني وكان صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه

الشريف فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد اي لان تلك كانت ايام منى وقيل كان يوم عيد
الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة اقول في البخاري عن الربيع بنت معوذ انه
صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بني عليها وعندها جويريات يضربن بالدف
يندبن من قتل من ابايها يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين وفي حديث ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سودا فقالت
يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله سالما ان اضرب بين يديك بالدف فقال
لها ان كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل ابو بكر وهي تضرب ثم دخل عمر فالقت
الدف تحتها وقعدت عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك
يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب ودخل ابو بكر وهي تضرب فلما دخلت انت القت
الدف اي واذا كان الشيطان يخاف منه فما بالك بامراة ضعيفة العقل ولا ينافي
هذا اي سماعه صلى الله عليه وسلم الغنا من المراة مع الضرب على الدف ما تقدم
في باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم في صغره من امر الجاهلية لان الدف ثم كان معه
مزمار بخلافه هنا وتسمية ابي بكر رضي الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد
حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه قال بعضهم واعلم ان السماع في طريق القوم معروف
وفي الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض احزابه من اكبر مصايد النفوس
اي والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تاثير السماع في الحيوانات غير الناطقة بل في
الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن ابي بشر ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر رضي الله تعالى عنه مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا ايها الضيف المعرج طارقا ** لولا مررت بال عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم ** منعوك من جهد ومن اقتار

اي ولم ينكر عليهم وبه استدل ائمتنا على جواز الرقص حيث خلي عن التكسر فقد
صحت الاخبار وتواترت الاثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم
بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل ائمتنا على جواز انشاد الشعر واستماعه
حيث خلي عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلي عن تشبيه بمعين من امراة او غلام

والخلاف انما هو في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وحوف الغنة ومن سماع صوت
المراة او الامرد الجميل ونقل عن الجنيد رضي الله تعالى عنه انه قال الناس في السماع اي
سماع الالات على ثلاثة اضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد
وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه
ابو طالب المكي وصححه السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم جبلت النفوس
حتى غير العاقلة على الاصغا الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور
تقف على راس داود عليه السلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما اخرجه ابن
ابي شيبة عن صفوان بن امية وهو من المولفة قال لما كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
اذ جا عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من
دفي بكفي فاذن لي في الغنا من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة
ولا نعمة كذبت اي عدو الله اي يا عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله
عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو قلت بعد هذه المقالة لنلتك
ضربا وجيعا الا ان يقال هذا النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه
تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الى اخره لعله لما لحقه في التشهير عن الله
ونزل صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب وقال المرء مع رحله اي بعد ان قال اي بيوت اهلنا
يعني اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو ايوب داري هذا وقد حططنا رحلك فيها
فقد ثبتت تلك الكلمة اي التي هي المرء مع رحله مثلا وقال له اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب
فهيا ذلك ثم جا فقال يا نبي الله قد هيات مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه زيد بن حارثة
٥٠ قوله وفي رواية فتنازع القوم ايهم ينزل عليه اي كل يحرص على ان يكون داره له منزلا
اي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني النجار اخوال عبد المطلب
لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث امر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي هذه
الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني النجار هلم الينا وقوله لهم انها مامورة لجواز ان يكون
امرها بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي ينزل بها من دارهم
ما تبرك به الناقة وفيه ان يبعد مع ذلك اي مع قوله المذكور اي انه ينزل على بني النجار سؤال غير
بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل السايلين له في ذلك لم يبلغهم قوله المذكور او جوزوا ان يكون رسول الله

صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك راي وقد اشار الى نزوله على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله

نزلت على قوم بايمن طاير * لانك ميمون السنا والنقيبة
فيا لبني النجار من شرف به * يجرون اذيال المعالي الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان في اخر ليلة وهو في قبا
وهو يرد قول بعضهم يشبه ان يكون ذلك في اول قدومه من مكة قبل نزوله قبا لا في قدومه باطن
المدينة فالمراد باهل المدينة اهل قبا ويرد قول سبط ابن الجوزي لعله نزل على بني النجار ليلة اي
تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف اي في قبا هذا وفي رواية عن انس بن مالك رضي الله تعالى
عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف
فاقام فيهم اربعة عشرة ليلة ثم ارسل الى ملا من بني النجار فجاو متقلدين سيوفهم قال انس فكاني
انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه وملا من بني النجار حوله حتى اناخ بفنا
ابي ايوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال انه عرج على عبد الله بن ابي بن سلول وكان
جالسا محتبيا واراد النزول عليه فقال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد
ابن عبادة يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد ان تملكه
وقد وقع له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت عبد الله بن ابي بن سلول
اي تالفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق
النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له
اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب
ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما
ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في
البخاري وفيه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن ابي بن سلول في جماعة فقال لقد غبرنا
ابن ابي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيه براسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر اباك وكان ابن ابي جميل الصورة
ممتلا الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية [illegible]
جي به بصيغة الجمع وعن الزهري اخبرني عروة بن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب
حمارا على اكاف واردف اسامة وراه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر

حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبي فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة
فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن أبي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم نزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبي ايها المرء انه لا احسن مما تقول
ان كان حقا فلا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله
ابن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود
حتى كادوا يتبادرون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد
الم تسمع ما قال ابو حباب يعني ابن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف
عنه واصفح فوالله الذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد اصطلح اهل
هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي اعطاك الله شرق بذلك
الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ومكث صلى الله عليه وسلم ببيت
ابي ايوب الى ان تم بناء المسجد وبعض مساكنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر
صفر من السنة القابلة اي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت ابي ايوب سبعة اشهر
قال قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول
المهاجرون اي غالبهم اخذا مما يأتي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا
فيهم بالسهمان فما نزل احد من المهاجرين على احد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون
في دور الانصار واموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابي
امامة اسعد بن زرارة وكان ابو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه في بعض مربد للتمر لسهل
وسهيل اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع
او التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال فعن ام زيد بن
ثابت انها قالت رأيت اسعد بن زرارة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يصلي بالناس
الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل قالت فكأني انظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه اي بعد ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ
لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطي عن الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهل وسهيل
وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان اسعد بن زرارة بناه وكان يصلي باصحابه
ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولما قدم المدينة صار يصلي فيه وفي الامتاع
كان اسعد بن زرارة بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس كان يصلي اليه من اسلم قبل قدوم مصعب بن عمير
ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتقدم ما فيه لما تقدم انه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري
انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبني المسجد اي ولعله اتفق له ذلك في بعض
الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سأل
اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك البقعة التي كانت من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت
في يده ليتيمين في حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا في حجر معاذ بن عفراء قال في الاصل وهو اشهر
وفي المواهب ان الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بني مالك بن النجار وقيل كانا في حجر ابي ايوب
الانصاري قال بعضهم والظاهر ان كلا اي من اسعد ومعاذ وابي ايوب كانوا يكفلون لليتيمين
لانهم بنو عم فنسبا الى حجر كل وقد عرض ابو ايوب عليه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين
قيمتها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر اي وفي رواية فدعا
الغلامين فساومهما بالمربد فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فابى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما
بعشرة دنانير وامر ابا بكر ان يعطيهما ذلك اي وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفي
رواية ارسل الى ملأ من بني النجار ولعلهم من تقدم وهم اسعد ومعاذ وابو ايوب ومعهم سهل وسهيل
فجاؤه فقال ثامنوني بحائطكم هذا اي خذوا مني ثمنه قالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى
ان يأخذه الا بالثمن قال وجاء اسعد بن زرارة عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا اي له في بني بياضة
وقيل ارضاهما فيها ابو ايوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من اسعد وابي ايوب
ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيئا اي زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان في
تلك الارض قبور جاهلية فامر بها صلى الله عليه وسلم فنبشت وامر بالعظام فالقيت انتهى اي وفي رواية
وامر بالعظام ان تغيب وفي رواية كان في موضع المسجد نخل وخرب اي حرث ومقابر للمشركين فامر
صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت اي وفي سيرة الحافظ الدمياطي
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي في الحديقة اي وهي تلك الارض التي كانت مربدا اي وتسمى حديقة
لوجود النخل به وامر بالغرقد الذي فيه ان يقطع اي والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة اهل المدينة وشجر الغرقد

بقتاله يشجر اليهود فانه لا بد لعلي اليهودي اذا توارى به عند نزول عيسى عليه السلام وقتله
للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة نادته يا روح الله ها هنا يهودي
حتى يقف عليه فاما ان يسلم واما ان يقتل الا شجر الغرقد فانه لا بد لعلي اليهودي اذا توارى به
فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان في المربد ما مستجمل فيبروه حتى ذهب والمستجمل
الذي ينشع ويظهر من الارض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن
فاتخذ وبنى به المسجد وجا انه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البنا وضع
لبنة ثم دعا ابا بكر فوضع لبنة اي بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر
فوضع لبنة بجانب لبنة ابي بكر ثم جا عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة عمر اي
وقد اخرج بن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع في البنا حجرا
وقال لابي بكر ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر ابي بكر
ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلا الخلفا بعدي قال ابو زرعة
اسناده لا باس به فقد اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلا
ولاة الامر بعدي قال بن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال
بعضهم وقوله لعثمان ما ذكر اي ضع حجرك جنب حجر عمر يرد على من زعم ان هذا
منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم اي اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن
عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب ابي بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة
اي لانه لا يستفاد من قوله هؤلا الخلفا بعدي الا ذلك ومن ثم جا في رواية فسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال امر الخلافة من بعدي وبتصحيح
الحاكم لما ذكر يظهر التوقف في قول بعضهم ان هذا لم يخرج في الصحيح الا ان يريد
صحيح الشيخين واما قوله قال البخاري في تاريخ بن حبان لم يتابع على الحديث
المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم فقد
يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف احد بعينه عند موته وذلك لا ينافي الاشارة
الى وقوع الخلافة لهولا بعده ولا ينافيه قوله هولا الخلفا بعدي لجواز ان يراد
الخلافة في العلم ثم رايت ابن حجر الهيتمي اشار الى ذلك حيث قال قلت هذا
اي وضع هذه الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هولا الخلفا بعدي مع

احتماله

احتماله للخلافة في العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة ولو قريب
الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا اي الحجارة وضعوا
ورفع بالحجارة اي قريبا من ثلاثة اذرع وبنى باللبن وجعل عضادتيه اي جانبيه بالحجارة
وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفي رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة
اي كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما اراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يبني المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشيبات وظلة كظلة
موسى والامر اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب راسه السقف اي
رفعت يدي انتهى اي فالمراد جعلوا سقفه بحيث لو اصابه راسي السقف او رفعت
يدي اصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على ان المراد ما هو قريب من ذلك
بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافي ما ياتي من امره بجعل ارتفاعه سبعة اذرع فليتامل
وفي سيرة الحافظ الدمياطي فقيل له الا نسقفه فقال عريش كعريش موسى خشيبات
وثمام اي وقيل للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف
وفي رواية لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا المسجد قال قيل لي اي قال له جبريل
عريش كعريش اخيك موسى سبعة اذرع طولا في السما اي وكان سبعة اذرع بحيث يصيب
راسه ولا تزخرفه ثم الامر اعجل من ذلك اي وفيه ان هذا يقتضي ان موسى كان طوله
سبعة اذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت اربعين ذراعا وعصاه كذلك
وثبته لذلك وقد جا ما امرت بتشييد المساجد اي ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار
مالا وجاوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه
الى متى نصلي تحت هذا الجريد وجا لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وجا
من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في المساجد اي يزخرفونها كما تزخرف اليهود والنصارى
كنايسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كثير طين اذا كان المطر يكف اي ينزل منه ما المطر
للطين عليهم بحيث يمتلي المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو امرت فطين اي جعل عليه طين
كثير بحيث لا ينزل منه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعند بنايه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه
لترغب المسلمون في العمل فيه قال فقد جا انه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن اي في ثيابه وفي رواية

في رواية حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر اي
هذا المحمول من اللبن ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحا
المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه لا يحسن هذا الوجه
الا اذا كانت جمال خيبر انفس من جمال غيرها وصار يقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
قال البلاذري وهذا القول لامراة من الانصار وتمامه ❁ وعافهم من حر نار ساعره
فانها للكافر وكافرة ❁ والذي في البخاري ❁ فاغفر للانصار والمهاجره ❁ ولعله صلى الله عليه وسلم
هو الذي اخرجه عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم
وفي رواية اللهم لا خير الا خير الاخره ❁ فارحم المهاجرين والانا صره ❁ وفي رواية فانصر
الانصار والمهاجره وعن الزهري انه كان يقول اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصار
لانه كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر اجر الاخره
لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ
تكون المراة من الانصار انما نطقت بذلك اي قالت لاهم الى اخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي
غيره ونقل عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال
البيت ولم اقف على قايله وسياتي عن الزهري انه من انشاده صلى الله عليه وسلم وسياتي ما فيه
وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري لم يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم
تمثل ببيت شعر تام اي موزون الا هذه الابيات ❁ قال ابن عايد اي التي كان يرتجز بهن
وهو ينقل اللبن لبنا المسجد اي وفيه ان هذا مخالف لما تقدم عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم
لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال فلا يحسن ان يقيس كلامه بذلك
على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جا انه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

❁ نفلق هاما من رجال اعزة ❁ علينا وهم كانوا اعق واظلما ❁

وفي المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشا الشعر لا انشاده اي ولذلك جا
ما ابالي ما اوتيت ان انا قلت الشعر من قبل نفسي وفي الكشاف وقد صح ان الانبيا معصومون
من الشعر ولا دليل على منع انشاده اي الشعر موزونا متمثلا اقول نقل الحافظ الدمياطي عن
الزهري انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله

❁ هذا الحمال لا حمال خيبر ❁ هذا ابر ربنا واطهر ❁

اي فانه

اي فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري المذكور
شي والاصل انه لم يقل شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما اي موزونا
الا قوله هذا الحمال الخ فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا
وهو متمثلا هو المنقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياتي بشي من الشعر فقالت كان ابغض الحديث اليه الشعر غير انه كان يتمثل وهو
يجعل اوله اخره واخره اوله اي غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام
والشيب للمرء ناهيا ❁ اي وذلك قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بني الحساس شاعر مشهور
مخضرم كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ❁ ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
الصديق انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق اشهد انك رسول
وما علمناه الشعر ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم الحمد لله حمدا لا انقطاع له ❁
فليس احسانه عنا بمقطوع ❁ قال احسن وصدق فقول الصديق اشهد انك رسول الله
وما علمناه الشعر يدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا وقد قيل
له صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس قال الذي يقول الم تر اني كلما جيت طارقا ❁ وجدت بها وان لم تطيب طيبا ❁
الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان ابو بكر يقول له بابي انت وامي يا رسول الله ما انت
بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر ابغض اليه اي الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر
كما تقدم ويستنشده فقد ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنسا اخت صخر لامه
ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومي بيده وقد قال بعضهم اجمع اهل
العلم بانه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها في اخيها المذكور

❁ اعيني جودا ولا تجمدا ❁ الا تبكيان لصخر الندا ❁
❁ طويل النجاد عظيم الرماد ❁ وساد عشيرته امردا ❁

وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلسا في اشعار النسا وقولنا في قول عايشة رضي الله تعالى
عنها انه كان يتمثل اي بالشعر ويجعل اوله اخره اي غالبا حتى لا ينافي ما جا عنها كان يتمثل بشعر
ابن رواحة ❁ ويأتيك بالاخبار من لم تزود ❁ وقولها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد
شعر الا بيتا واحدا ❁ تفال بما تهوي يكن فلقلما ❁ يقال لشي كان الا تحققا ❁ وفي الخصايص
الكبرى قال المزني لم يبلغني انه صلى الله عليه وسلم انشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر لقول لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل، او الرجز كقول طرفة: ويأتيك بالاخبار من لم تزود، اي وفيه
ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وكقوله وقد انشده اعشى بن مازن ابياتا في ذم
النساء اخر تلك الابيات: وهن شر غالب لمن غلب، فانشد بيتا كاملا غيره اي غالبا
لما تقدم كبيت العباس بن مرداس اي فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس ارايت
قولك وفي لفظ انت القائل: اصبح نهبي ونهب العبيد، بين الاقرع وعيينة، فقيل له
انما هو بين عيينة والاقرع فقال انما هو الاقرع وعيينة فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه
بابي انت وامي يا رسول الله وفي لفظ اشهد انك رسول الله ما انت بشاعر ولا راويه
وما ينبغي لك انما قال بين عيينة والاقرع كما لا ينبغي لك ان تكون شاعرا كما قال الله
لا ينبغي لك ان تكون راوية للشعر اي بان تاتي به على وجهه اي شانك ذلك لا يكون مباعدة
عن الشعر وكون شانه ذلك لا ينافي وجوده منه على وجهه في بعض الاخبار تليينا مل ومن
بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا مرة واحدة وقد يقال لا يخالف هذا
ما تقدم عن المواهب لانه يجوز ان يكون هذا المنقول عن عائشة وعن الزهري ومن بعضهم
كان اغلب احواله كما قدمناه في المنقول عن عائشة رضي الله تعالى عنها ثم رايته في الامتاع
اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله عليه وسلم البيت المستقيم في النادر وقول المواهب
لا دليل على منع انشاده متمثلا اي دائما وابدا ويدل لذلك قول الزهري انه لم يقل بيتا
موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال الخ وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه
كلام عربي موزون عن قصد قال البدر الدماميني وقولنا عن قصد خرج ما كان وزنه
اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها اي من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكر
الجلال السيوطي في نظمه للتلخيص وذلك كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وكقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وكلمات شريفة
نبوية جاء الوزن فيها اتفاقا غير مقصود كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي
سبيل الله ما لقيت اي بناء على تسليم انه من قوله صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة
اي فان ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة مؤتة وقد صدمت اصبعه فدميت وذكر بدل في سبيل الله
في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن رواحة ادخل ذلك البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم
وفي كلام ابن دحية وما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الامران منهوك ومشطور

فالمشهور

فالمشهور انا النبي لا كذب، والمشطور هل انت الا اصبع دميت، وقيل البيت الواحد لا يكون
شعرا على انه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل اي فان الاخفش احتج
على ان الرجز ليس بشعر ردا على الخليل ومن تبعه القائلين بانه من الشعر حيث قال
لا احتج عليهم بحجة ان لم يعرفوها كفروا لو كان شعرا ما جرى على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه
قال في النور والصحيح انه شعر اي موافقة للخليل وقد علمت ان ما جرى منه على لسانه
صلى الله عليه وسلم ليس بشعر لعدم قصده قليلا مل وقد نقل الماوردي من ايمتنا
انه كما يحرم عليه قول الشعر اي انشاده يحرم عليه روايته اي دون انشاده
متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بان الرواية يقول قال فلان
كذا واما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من
اشعر الناس قال الذي يقول الخ وقال للعباس بن مرداس انت القائل الخ قال
وكان الفرق بين الرواية والانشاد ان في قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب
قوله وهذا متضمن لرفع شان الشعر والمطلوب منه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الشعر
من حيث كونه شعرا وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براوية
كما تقدم وعن الخليل كان الشعر احب اليه من كثير من الكلام اي وقد يقال لا يخالف هذا
ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان ابغض الحديث اليه الشعر لان المراد بالشعر الذي
يحبه ما كان مشتملا على حكمة او وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان
مشتملا على ما فيه هجنة او هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي
الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن
احد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شي
من غريب القران فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام سيدنا عمر رضي الله
تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم
ويستميل بها لوم اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد ويجتمع الاقوال ان المحرم عليه
صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر اي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا
هو المعني بقوله وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون

ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا انشد بيتا من الشعر متمثلا او مسندا لقائله لا يأتي به موزونا وربما اتى به موزونا وادعى بعض الادباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر اي يأتي به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه اي لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا اقرب واكثر مما لو قلنا انه كان لا يحسنه وفيه ان في ذلك تكذيبا للقرآن وفي التهذيب للبغوي من اصحابنا قيل كان يحسن الشعر ولا يقوله والاصح انه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون شعر ثم رايته في ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض في كلامه بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال بعضهم والحكمة في منع القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية في اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء النهي عن انشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رايتموه ينشد شعرا في المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات وفي العرائس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قال ادم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى ادم بالماثم وان محمدا والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اعلم ان الشعر محل الاجمال واللغز والتورية اي ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيئا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا اخر ولا اجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه واطال في ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة اوائل السور ولعله رضي الله تعالى عنه لا يرى ان ذلك من المتشابه او ان المتشابه ليس مما استاثر الله بعلمه والله اعلم ولما راى الصحابة ينقل اللبن بنفسه دأبوا في ذلك اي في نقل اللبن اي ولعل المراد بالصخر في قول بعضهم وجعل الصحابة ينقلون الصخر او المراد الصخر الذي يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم ۞ لئن قعدنا والنبي يعمل ۞ لذاك منا العمل المضيع ۞

وجعل

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن راس عمار ويقول يا عمار الا تحمل كما يحمل اصحابك قال اني اريد الاجر من الله تعالى وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران واخر زادك من الدنيا شربة من لبن وجا في حق عمار بن سمية ما عرض عليه امران قط الا اختار الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة وتدعوك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله وفي رواية بالرحمن من الفتن اي وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك في بعض الاوقات وفي مسلم وعن ابي سعيد الخدري قال اخبرني من هو خير مني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين شغل يحفر الخندق جعل يمسح راس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفي رواية تبيين من ابهمه ابو سعيد وهو ابو قتادة زاد رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة اي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة ثم رايت بعضهم قال يشبه ان يكون ذكر الخندق وهما او قالها عند بنا المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه اي ويكون عمار بن ياسر في الخندق صار يحمل الحجرين وكان في بنا المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنظفا متنزها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وانشد يقول مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا به ۞ لا يستوي من يعمر المساجدا ۞ يدأب فيها قائما وقاعدا ۞ ومن يرى عن التراب حائدا ۞ اي وكان عثمان هذا من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وذكر ابن اسحاق وقال سالت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به علي او انشاه فكل يقول لا ادري فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر وهو يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض به

لتكفن او لاعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني لاراني
ساعرض هذه العصا لانفك لعصاة كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه
الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ونخاف ان ينزل
فينا قرآن فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال ما لك ولهم قال يريدون
قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين اي وفي لفظ يحملون علي اللبنتين
والثلاث اي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات فاخذ بيده وطاف به المسجد
وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذي جهة القفا ويقول
يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية
يدعوهم الى الجنة اي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه كان يدعو الى اتباع علي وطاعته
وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار اي الى سببها وهو عدم اتباع علي
وطاعته واتباع معاوية وطاعته وفيه ان تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان فيها جمع من
الصحابة وهم معذورون بالتاويل الذي ظهر لهم الا ان يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده
واطلاق البغي عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه
بغي لا فسق فيه لانه انما صدر عن تاويل يعذر به اصحابه انتهى اي وما زاده بعضهم في الحديث
لا انالهم الله شفاعتي يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في هذه الزيادة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم لم يقلها اذ لم ينقل عن ثقة وقال الامام
ابو العباس ابن تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه احد من اهل العلم باسناد
معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف له اسناد والذي
في الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية وعن ابي الغادية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان ابا الغادية هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان
ابو الغادية مع معاوية وكان عمار مع علي اي ويقال ان عمارا لما برز للقتال قال اللهم
لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فارمي نفسي فيها لفعلت او اغرق نفسي فيها لفعلت
واني لا اريد قتالهم الا لوجهك الكريم وانا ارجو الا تخيبني وجعلت يده ترتعش
على الحربة اي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة اي وقد كان جيء له بلبن فضحك

فقيل

فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخر شراب تشربه حين
تموت لبن وفي رواية اخر زادك من الدنيا ضيح من اللبن ثم نادى اليوم تزخرفت
الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو
ابن العاص على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فقال معاوية دحضت اي زلقت
في بولك انحن قتلناه انما قتله من اخرجه وفي رواية قال له اسكت فوالله ما تزال
تدحض اي تزلق في بولك انما قتله علي واصحابه جاءوا به حتى القوه بيننا وذكر ان عليا
رضي الله تعالى عنه لما احتج على معاوية بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله
من اخرجه من داره يعني بذلك عليا فقال علي رضي الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن قتل حمزة حين اخرجه ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه سيفه
وقاتل مع علي وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تقتل عمارا الفئة الباغية قاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه
مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف نقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا
يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان
ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي اي لان ذا الكلاع كان ذووه اربعة الاف اهل
بيت وقيل عشرة الاف وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي رضي الله تعالى عنه
فلما قتل عمار اخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية
فازاله عن موقفه وازال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله تعالى
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر اهله
وان ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم
الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وانتم والله على الحق على نور من ربكم
وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر اهله فقوموا رحمكم الله
ولما قتل عمار ندم ابن عمر على عدم نصرة علي والمقاتلة معه وقال عند موته ما اسى على شيء ما اسى
على ترك قتال الفئة الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع علي بن ابي طالب في ثمان مائة من اهل بيعة الرضوان

وقتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع علي يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل
عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عمار تقتله الفئة الباغية وفي الحديث من عادا عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله
عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه امران
الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب
ان عمار بن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنه ايمانا وفي رواية ان عمارا ملئ ايمانا من
قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد في سرية كان فيها
خالد اميرا فلما جاء اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يا رسول الله ايسرك ان هذا
العبد الاجدع يشتمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من
سب عمارا فقد سب الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام
مغضبا فقام خالد فتبعه حتى اخذ بثوبه واعتذر اليه فرضي عنه وعن سعد بن ابي وقاص
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم تغلب عليه دلهة
الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحنا
واشيع عنه انه يريد ان يخلع عثمان بن عفان فاستدعاه سعد بن ابي وقاص وكان مريضا
فقال له ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذي بلغني عنك من السعي في الفساد
بين المسلمين والتالب على امير المومنين امعك عقلك ام لا فغضب عمار ونزع عمامته
وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك
حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من
الدين عريانا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول اعوذ بربي من فتنة
سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دلهه وخرف عمار فاظهر عمار القوم على
تلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل ثلاثة ابواب باب في
موخره والباب الذي كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي
يقال له الان باب جبريل انتهى وهو الباب الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال
له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي يخرج منه الان الى البقيع اقول وجعل قبلته

الى بيت المقدس كان قبل ان تحول القبلة ولما حولت قبلته الى الكعبة وهذا محل قوله
صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت الى الكعبة فوضعتها اي ابتهما
اي امها اي اقصدها وفي رواية ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني
وبين الكعبة والله اعلم اي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاي ان
موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالف سنة وانه لم يزل
على ملكه اي متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع اقول سياتي ان تبعا
بنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل في تلك الدار وانه يقال انها
دار ابي ايوب وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ذلك المربد ودار ابي ايوب مجموعهما
تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكانت دار ابي ايوب بعضها وذلك المربد
بعضها الاخر وان الايدي تداولت سكنى تلك الدار الى ان صارت سكنا لابي
ايوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى ان صارت
لابي ايوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فان الكتاب كما سياتي وصل اليه في مكة في اول البعثة ونزوله دار ابي ايوب
واخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك اي انه ذكر له امر تلك الدار والله اعلم
قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر
ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في موخر المسجد وفي كلام بعضهم
لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التي كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب
الذي يقال له باب جبريل عليه السلام اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي
كان يقال له ايضا باب عاتكة فاخر عن محله وسبب وضع الحصا في المسجد ان المطر
جاءت ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل ياتي بالحصا في ثوبه فيبسطه تحته
ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي رواية
ما احسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان
يحصب المسجد فانه قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله تعالى عنه اقول قد يقال لا معارضة
لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما اعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة امر ان يحصب
جميع المسجد لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد

الا ان يراد بالحصر وحدها لانه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا امر به ثم رايت بعضهم
ذكر ذلك قال اول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة
بالحصا اي في زمنه كما تقدم وفي الاحيا اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات
في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط
الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا يرون ان يكون بينهم
وبين الارض حايل هذا كلام الاحيا اي والابها لا تعد حايلا وسياتي ان المسجد بني بعد
فتح خيبر وهي التي عناها خارجة رضي الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا
يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هي التي ادخل فيها الارض التي اشتراها
عثمان رضي الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جا عثمان الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتري مني البقعة التي اشتريتها من الانصار
اي التي كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت في الجنة اي وفي رواية ان عثمان
رضي الله تعالى عنه لما حصر اي الحصرة الثانية واشرف على الناس من فوق سطح
داره وقد اشتد به العطش قال اها هنا علي قالوا لا قال اها هنا طلحة قالوا
لا قال انشدكم بالله الذي لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يبتاع موبد بني فلان اي لم يكن كان مجاور للمسجد غفر الله له فابتعته
بعشرين الفا او بخمسة وعشرين الفا فشك عثمان وتقدم انه اشتراها بعشرة
الاف درهم فليتامل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله
مسجدنا واجره لك قال اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام
هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري
بقعة اي فلان لبقعة كانت الي جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها
ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ خير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها
في المسجد فانتم الان تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه
بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة
وسقفه بالساج كما في البخاري وعد اشيا منها انه قال انشدكم بالله وبالاسلام
هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب غير

بير

بير رومة ولم يكن يشرب منها احد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يشتري بير رومة فيجعل دلوه فيها مع دلا المسلمين وفي لفظ ليكون دلوه
فيها كدلا المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ وله بها شرب في الجنة
فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم
نعم قال فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني الما الا احد يسقينا
فاني افطر على الما الملح وفي رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فابلغوه
فلما بلغ ذلك عليا ارسل اليه بثلاث قرب مملوة ما فما كادت تصل اليه وجرح
بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني امية اي وكانت هذه البير ركية اليهودي
يقال له رومة يقال انه اسلم وكان يبيع المسلمين ماها كانت بالعقيق وتغل
فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماوها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري
بير رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلاهم وله بها شرب في الجنة
ساومه فيها عثمان فابى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر الف درهم
وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما فكان اذا كان يوم عثمان استقى
المسلمون ما يكفيهم يومين فلما راى اليهودي ذلك قال لعثمان افسدت علي ركيتي فاشتر
النصف الاخر بثمانية الاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون الف درهم وقول
عثمان جعلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل على ان قوله دلوي فيها كدلا المسلمين
على انه لم يشترط ذلك بل قصده به التعميم في الموقوف عليه فلا دليل فيه على جواز ان
للواقف ان يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان حصار عثمان
شهرين وعشرين يوما وفي كلام سبط ابن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني
اربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن امري
هذا اي من اين اتيت فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المومنين
انك تطاطات لهم فركبوك وما جراهم على ظلمك الا ارخا حبلك فقال له صدقت
ثم جلس واول من دخل عليه الدار محمد بن ابي بكر فشو رعليه بلو وجماعة من الحايط
من دار عمرو بن حزم فاخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن اخي فوالله لقد كان ابوك
يكرمها فاستحيا وخرج وفي رواية لما اخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية

وما اغني عنك ابن ابي سرح فقال له يا ابن اخي ارسل لحيتي فوالله انك لتجر لحية
كانت تعز على ابيك وما كان ابوك يرضى مجلسك هذا مني فتركه وخرج ويقال انه
قال له ما اربو بك اشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين
به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ثم ضربه بعضهم بالسيف فاتقته نائلة زوج
عثمان فقطع اصابع يدها الخمس وعن ابن الماجشون عن مالك ان عثمان بعد قتله
القي على المزبلة ثلاثة ايام وقيل اغلق عليه بابه ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان يدفنه
فلما كان في الليل اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام
وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه اربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه
فلما صاروا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر المسلمين فدفنوه بمحل
كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان عمر به ويقول سيدفن هنا رجل
صالح فيتأسى به الناس في دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان
وزاده في البقيع فكان هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان راسه ليقرع الباب
لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش واما الغلامان
اللذان قتلا معه فجرا برجليهما والقوا على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه
الفتنة انهم انقموا عليه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضي الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعري
عن البصرة فان عمر اوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله
ابن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وعزل سعد بن ابي وقاص رضي الله
تعالى عنه عن الكوفة وولاها لاخيه لامه الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي سماه الله
تعالى فاسقا بقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس
ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن
الفاسق المدمن الخمر ولعل مستندهم في ذلك ما رواه الحاكم في صحيحه من ولى رجلا
على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله
والمؤمنين ومنها انه ادخل عمه الحكم بن ابي العاص والد مروان المدينة وكان يقال له
طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به

مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابي بكر بعد ان سأله عثمان في ادخاله المدينة
فابى فقال له عثمان عمي فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيئا
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته ابدا فلما توفي ابو بكر وولي عمر كلمه عثمان
في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله
ورسوله فلما ولي عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار
وانكر ذلك عليه اعيان الصحابة فكان ذلك من اكبر الاسباب على القيام عليه واعتذر
عثمان رضي الله تعالى عنه عن ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وادعي في
مرض موته قال فشهدت عند ابي بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة
واحد ثم قال لي عمر كذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي واما عزله لابي موسى
فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان اهل مصر
يشكون ممن ولاه عليهم وهو ابن ابي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا ورد هذا
بان عزله لعمرو اي كان لكثرة شكايتهم فيه وابن ابي سرح اسلم بعد الفتح وحسن حاله
ووجدوه بسياسة الامراء اقوم من عمرو وعزله للمغيرة فانه انتهى اليه فيه انه ارتشى
فراى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن ابي سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان
وكلموا اكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقال اعزله عنهم فانهم يسالونك
رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا اوليه عليهم فاختاروا محمد بن ابي بكر
فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة
من التابعين لينظروا بين اهل مصر وبين ابن ابي سرح فلما كان محمد بن ابي بكر
ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل عن المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير
فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا غلام امير المؤمنين ارسلني الى عامل مصر
فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن ابي بكر فقال ما هذا اريد
فلما اخبر ذلك الرجل محمد بن ابي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من
المهاجرين والانصار انت غلام من فصار تارة يقول غلام امير المؤمنين وتارة
يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد

الي من ارسلت قال الي عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال ففتشوه فاذا معه كتاب
من عثمان الي ابن ابي سرح في قصبة من رصاص في جرف الاداوة في الما ففتح الكتاب بمحضر
جميع من معه فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية
انظر فلانا وفلانا اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا
منهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن ابي بكر واحش جلده
تبنا وكن علي عملك حتي ياتيك كتابي فلما قري الكتاب فزعوا ورجعوا الي المدينة وقري
الكتاب علي جميع من بالمدينة من الاصحاب والتابعين فما منهم احد الا اعتزل لكن دخل
عليه علي مع جماعة من اهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال
نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت
هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به فقال له علي والخاتم خاتمك قال نعم فقال فكيف
يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك وانت لا تعلم به فحلف بالله ما امرت بهذا
الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الي مصر فعرفوا انه خط مروان لا عثمان لان عثمان
لا يحلف باطلا وفي رواية الخط خط كاتبي والخاتم خاتمي وفي رواية انطلق الغلام بغير
امري واخذ الجمل بغير علمي قالوا فما نقش خاتمك قال نقش عليه فسالوه ان يدفع
لهم مروان وكان مروان عنده في الدار فابي فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا نبرا
عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتي نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان امر به
عزلناه وان كان مروان كتبه علي لسان عثمان نظرنا ما يكون في امر مروان فابي عثمان
ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل لخوض عثمان بسبب ذلك ومنعوه الما ووقع ما وقع
وذكر ابن الجوزي انه لما دخل المصريون علي عثمان رضي الله تعالي عنه والمصحف في حجره
يقرا فيه مدوا اليه ايديهم فمد يده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة علي فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلامه اي وهذا من اعلام
النبوة فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقطر قطرة من دمك علي فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم قال الذهبي انه حديث موضوع اي قوله فيه وانت تقرا الي اخره وروي
انه لما حوصر قال والله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ هداني

الله

الله ولا قتلت نفسا بم تقتلونني وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان
قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين اصابعه وقال معدا لنعم الله تعالي عليه ما وضعت
يدي علي فرجي منذ بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ اسلمت الا وانا
اعتق رقبة الا ان يكون عندي شي فاعتقها بعد ذلك قال بعضهم وجملة من اعتقه
عثمان القان واربعماية رقبة تقريبا وذكر انه راي في الليلة التي قتل في يومها المصطفي
صلي الله عليه وسلم وابا بكر وعمر في المنام فقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما
اصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك في الجاهلية
ولا في الاسلام خوفا ان يطلع علي عورته عند قتله وكان من جملة ما انتقم به علي عثمان رضي الله
تعالي عنه انه اعطي ابن عمه مروان بن الحكم مائة الف وخمسين اوقية واعطي الحارث عشر
ما يباع بالسوق سوق المدينة وانه جا اليه ابو موسي بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه
وبناته وانه انفق اكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وانه حمي لنفسه دون ابل
الصدقة وانه حبس عطا ابن مسعود وهجره وحبس عطا ابي بن كعب ونفي ابا ذر الي الربذة
واشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية وضرب عمار بن ياسر وكعب
ابن عبيدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الي بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف
انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت المال وان لا يشتري احد قبل وكيله وان لا تسير
سفينة في البحر الا في تجارته وانه احرق الصحف التي فيها القران وانه اتم الصلاة بمني ولم
يقصرها لما حج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك
كله في الصواعق فراجعه وما رواه الزبير بن بكار عن انس من انه صلي الله عليه وسلم لم
يعمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد اربع سنين من الهجرة رايت ما يرده في تاريخ المدينة
ونصه ما روي عن انس واه او موول والمعروف خلافه والله اعلم اي وعن ابي هريرة
رضي الله تعالي عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الي صنعا كان
مسجدي قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام نبوته اي لانه وسع بعد ذلك اي وسعه
المهدي وذلك في سنة ستين وماية ثم زاد فيه المامون في سنة ثنتين وماتين ويرد القول
بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة اي لكن المحافظة علي الصلاة فيما كان في عهده صلي الله

عليه وسلم اولى قال وبني حجرتين لعائشة وسودة اي بناهما مجاورين للمسجد ملاصقين
له الى ان طرز بنا المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد اي وقدم رجل من اهل اليمامة
عند الشروع في بنا المسجد يقال له طلق من بني حنيفة فعنه رضي الله تعالى عنه قال قدمت على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين
فاخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا
احسن صنعته وقال لي الزم هذا الشغل فاني اراك محسنا له وفي لفظ ان هذا الحنفي لصاحب
طين وفي لفظ قربوا اليمامي من الطين فانه احسنكم له مسكا واشدكم منكبا وفي لفظ دعوا
الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل وهو في بيت ابي ايوب زيد بن حارثة وابا رافع
مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا باهله اي والخمسمائة اخذها من ابي بكر
ليشتريا بهما ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة ابعرة وارسل معهما ابو بكر عبد الله
ابن الاريقط دليلا ببعيرين او ثلاثة فقدما بفاطمة وام كلثوم بنتيه وسودة زوجته وام ايمن
حاضنته زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة اخو ايمن لامه وكان اسامة
رضي الله تعالى عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن حاضنته وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها ان اسامة عثر يوما في اسكفة الباب فشج وجهه فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اميطي عنه قالت عائشة فكاني تقذرته اي لانه كان اسود افطس فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمصه يمج الدم ثم يمجه واما بنته صلى الله عليه وسلم زينب التي هي اكبر بناته
فكانت مع زوجها ابن خالتها ابي العاص ابن الربيع فمنعها من الهجرة وسياتي انها هاجرت
بعد ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان اسر في بدر واطلق فامره صلى الله عليه وسلم
بان يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم ردها اليه واما بنته رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها
عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن ابي بكر ومعه عيال ابي بكر منهم
زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء زوج الزبير اي وهي حامل بابنها عبد الله بن الزبير
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت هي وامها على بعير في محفة فنفر البعير قالت
فصارت امي تقول وابنتاه واعروساه فمسك البعير وسلمنا الله وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى
عنها لما صارت امي تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه
فوقف باذن الله وسلمنا الله وام رومان ولدت لابي بكر عائشة وعبد الرحمن وكانت قبل
ابي بكر عند عبد الله بن الحارث فولدت له الطفيل فقال صلى الله عليه وسلم في حقها من سره ان ينظر الى امرأة

من الحور

من الحور العين فلينظر الى ام رومان وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة
ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك ما لاقت
ام رومان فيك وفي رسولك وعورض القول بموتها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في البخاري
عن مسروق قال سالت ام رومان وهي ام عائشة ومسروق ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
بلا خلاف وما في البخاري حديث صحيح مقدم على ما ذكره اهل السير من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم
وفي البخاري عن اسماء فنزلت بقبا فولدته بقبا تعني ولدها عبد الله بن الزبير ثم اتيت النبي صلى
الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل في جوفه
ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة اي بتلك التمرة وفي المواهب وحنكه بها ثم دعا
له وبارك عليه وهو اول مولود ولد في الاسلام اي للمهاجرين وفيه ان اسماء اتت من المدينة
اي الى قبا بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قبا ويدل له قول بعضهم قدم آل ابي بكر من مكة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يبني مسجده وانزلهم ابو بكر في السنح الا ان يقال يجوز انه صلى الله عليه وسلم جا الى قبا
بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على ان عبد الله بن الزبير ولد في السنة الاولى
لا في الثانية كما قاله الواقدي وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون
فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا رعا يؤيد القول
الثاني الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله مكث في بطنها المدة المذكورة فقد ذكر ان مالكا رضي
الله تعالى عنه مكث في بطن امه سنتين وكذا الضحاك بن (التابعي مكث في بطن امه سنتين)
وفي المحاضرات للجلال السيوطي ان مالكا مكث في بطن امه ثلاث سنين واخبر سيدنا مالك ان
جارة له ولدت ثلاثة اولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل اربع سنين وحينئذ يجوز ان تكون سيدتنا
اسماء جاءت الى قبا فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قبا في ذلك اليوم
وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابو بكر بكنية جده الصديق وروي انه جا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع او ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امره والده الزبير
بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون آل ابي بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة في السنح
لا ينافي كون اسماء نزلت بقبا وولدت بها لانه يجوز ان يكون نزول اسماء في السنح بعد نزولها في قبا قصدا
لراحتها لكونها كانت حاملا حتى وضعته والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله ابن الزبير اول مولود
ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة لذلك عبد الله بن جعفر بن ابي طالب اول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال

له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشي ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر
يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي ابنه عبد الله وارضعته اسما بنت
عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع **واول** مولود
ولد للانصار بعد الهجرة سلمة ابن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكر ان ام اسما قدمت
المدينة وهي مشركة على اسما بهدية تحفتها اسما وردت عليها هديتها فسالت عايشة
رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فامر اسما ان تاوي امها وتقبل
هديتها قيل وفي ذلك وفي ارسال عبد الرحمن بن ابي بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم
الى ابيه يساله النفقة فابى ابوه ان ينفق عليه انزل الله الاذن في الانفاق على الكفار
وقال ابو ايوب الانصاري لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في اسفل
البيت وانا وام ايوب في العلو فقلت يا رسول الله بابي انت وامي اني اكره واعظم
ان اكون في العلو وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل
فقال يا ابا ايوب ارفق بنا اي السفل اوفق بنا وبمن يغشانا وفي لفظ ان ارفق
بنا وبمن يغشانا ان نكون في اسفل البيت قال ابو ايوب فانكسر حب لنا فيه ما والحب
بضم الحا المهملة الجرة الكبيرة فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف
بها الما تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شي فيوذيه ولم ازل اتضرع
للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول في العلو وفي رواية عن ابي ايوب قال نزل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطي اقدامنا وتنزل عليه الملايكة
وينزل عليه الوحي وفي رواية ينزل عليه القران وياتيه جبريل فما بت تلك الليلة انا ولا ام
ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب
قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملايكة وينزل عليك الوحي والذي بعثك بالحق
لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا اي وعن افلح مولى ابي ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل اسفل وابو ايوب في العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة فقال نمشي فوق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فباتا في جانب فلما اصبح الحديث **وعند** نزوله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب
صارت تاتي اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة اي وكانت

جفنة

جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت ازواجه
قدحا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد اي
عليه لحم او خبز في لبن او في سمن او خل وزيت في كل يوم تدور معه اينما دار مع
نسايه وصار وهو في بيت ابي ايوب ياتي اليه الطعام من غيرهما اي قدحا
وما كان من ليلة الا وعلى بابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون
الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل ابي ايوب اي وفي لفظ
وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه في منزل ابي ايوب
رضي الله تعالى عنه وهو تسعة اشهر **واول طعام** جي به اليه صلى الله عليه وسلم في دار
ابي ايوب قصعة ام زيد بن ثابت فعن زيد بن ثابت اول هدية دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب قصعة ارسلتني بها امي اليه فيها ثريد
خبز بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يا رسول الله ارسلت بهذه القصعة
امي فقال بارك الله فيها وفي رواية بارك الله فيك ودعا اصحابه فاكلوا فلم ازل
الزم الباب اي ارده حتى جات قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم اي
عظم عليه لحم فان اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقدحا كان احب الطعام الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفا **ولما** بنى المسجد
جعل في المسجد محلا مظللا ياوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل
الصفة وكان صلى الله عليه وسلم في وقت العشا يفرقهم على اصحابه ويتعشى معه منهم طايفة
وظاهر السياق ان ذلك اي الجعل فعل في زمن بنا المسجد واوى اليه المساكين من حينئذ
لكن روى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار
ولا ماوى انزلهم صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم اصحاب الصفة وكان يجالسهم ويانس
بهم اي وكان اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم
ان تزدادوا فاقة وحاجة **اقول** ذكر ان المسجد كان اذا جات العتمة يوقد بسعف
النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك
القناديل بسواري المسجد واوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي ابنة لانكحتكها هذا وفي كلام بعضهم

اول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب ويوافقه قول بعضهم والمستحب
من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد فاول من فعل ذلك عمر بن
الخطاب فانه لما جمع الناس على ابي بن كعب في صلاة التراويح علق القناديل فلما
راها علي تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق
ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فامرني يعني سيده فاسرجت المسجد
بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه فقال فتح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا
وعن بعضهم قال امرني المامون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم
ادر ما اكتب لانه شي لم اسبق اليه فاريت في المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين
ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة
الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغي ان يكون
ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم قال وذكر
ابن اسحاق في كتاب المبدا وقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان
الحميري وهو تبع الاول اي الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن
الملك المتبوع ويقال له الرايش لانه راش الناس بما اوسعهم من العطا وقسم فيهم من
الغنايم وكان اول من غنم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه رمي بدا تمخض به راسه
قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع احد يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم انه
بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اختار يثرب وكان في ركابه مائة الف وثلاثون الفا
من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر الفا من الرجالة فاخبر ان اربعماية رجل من اتباعه
من الحكما والعلما تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف البيت
انما هو بهذا الذي يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا
واشترى له جارية واعتقها وزوجها منه واعطاهم عطا جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه
الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وفي ذلك الكتاب انه امن

به وعلى دينه وبنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلدة ويقال انها
دار ابي ايوب اي كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب اي فهو صلى الله
عليه وسلم لم ينزل الا داره ه اي على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي دعا الى الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى ابا ليلى فلما راه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له انت ابو ليلى الذي معه كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلى ومن انت
قال انا محمد هات الكتاب فلما قراه اي قرئ عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب
اما بعد يا محمد فاني امنت بك وبربك ورب كل شي وبكل ما جاءك من ربك من شرايع
الاسلام والايمان واني قلت ذلك فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع
لي يوم القيامة ولا تنسني فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل ان يرسلك
الله وانا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقد قرا هذا قبل نزوله وكتب عنوان
الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول
حمير امانة الله في يد من وقع هذا الكتاب في يده الى ان يدفعه الى صاحبه ودفعه
الى راس العلما المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم
المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على ان ذلك
كان في اول البعثة وبعد قراة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح
ثلاث مرات وكان بين تبع هذا اي بين قوله انه امن به وعلى دينه وبين مولد النبي صلى
الله عليه وسلم الف سنة سوا اي وتقدم انه ابتاع المحل الذي بناه دارا له وقيل مبعثه
بالف سنة فليتامل ويقال ان الاوس والخزرج من اولاد اولئك العلما والحكما انتهى
اقول قد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب على الوجه المتقدم واخذه المربد
على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه اول البعثة بين مكة والمدينة وهو مهاجر
الى المدينة يبعد هذا وفيه ايضا ان الذي في التنوير لابن دحية ان هذا تبع الوسط وانه
الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها انصرف عنها لما اخبر
انها مهاجر نبي اسمه محمد اي فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود
فقال له رجل منهم بلغ مايتين وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره اعظم

من ان يضيق عنا حلمه اذ يكرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث من ولد ابراهيم
فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الي ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابي ايوب الانصاري وكان ذلك قبل مبعثه
بسبعماية عام وفي التنوير ايضا ان ابن ابي الدنيا ذكر انه حفر قبرا بصنعا قبل الاسلام
فوجد فيه امراتان لم يبليا وعند روسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانه
وفلانة ابنتا تبع ماتتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيا وعلي ذلك مات
الصالحون قبلهما وجا لا تسبوا تبعا فانه كان مومنا وفي رواية لا تسبوا تبعا الحميري فانه اول
من كسي الكعبة قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مومنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال شعرا
يلبي فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وكانت المدينة في الجاهلية معروفة بالوبا
اي الحمي وكان اذا اشرف علي واديها احد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوبا وفي لفظ كانا اذا
دخلها غريب في الجاهلية يقال له ان اردت السلامة من الوبا نهق نهيق الحمار فاذا فعل
ذلك سلم وفي حياة الحيوان كانوا في الجاهلية اذا خافوا وبا بلد عشروا كعشير الحمار نهقوا
عشرة اصوات في طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك ينفعهم من الوبا
ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اهلها من ابخس الناس كيلا فانزل الله تعالى
ويل للمطففين الاية فاحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم هو واصحابه اصابت اصحابه
الحمي وفي لفظ استوخم المهاجرون هوا المدينة هو واصحابه ولم يوافق امزجتهم ومرض كثير
منهم وضعفوا حتي كانوا يصلون من قعود فراهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا ان صلاة القاعد
علي النصف من صلاة القايم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عايشة رضي الله تعالي
عنها قدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله اي ولما حصلت لها الحمي قال لها صلى الله عليه وسلم ما لي
اراك هكذا قالت بابي انت وامي هذه الحمي وسبتها فقال لا تسبيها فانها مامورة
ولكن ان شيت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله تعالي عنك قالت فعلمني قال قولي
اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله
العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الي من اتخذ مع الله
الها اخر فقالتها فذهبت عنها وعن علي رضي الله تعالي عنه لما قدمنا المدينة اصبنا من ثمارها
فاصابنا بها وعك اي حمي ومن جملة من اصابته الحمي سيدنا ابو بكر رضي الله تعالي عنه ومولياه عامر بن فهيرة

لعل بابخس اخبث

رقية الحمى

وبلاد

وبلال اي وكان ابو بكر اذا اخذته الحمي انشد

كل امرئ مصبح في اهله والموت ادني من شراك نعله

اي وهذا من شعر حنظلة بن يسار بنا علي الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس
من شعر ابي بكر فعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر لم يقل شعرا في الاسلام اي
ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال ابو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الاسلام
اي لم ينشئه حتي مات اي وهذا ربما ينافي ما في الينبوع ليس عمل الشعر رذيلة وقد كان
الصديق وعمر وعلي رضوان الله عليهم اجمعين يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه
اشعر من ابي بكر وعمر وما تقدم عن عايشة معارض لظاهر ما روي عن انس بن مالك
رضي الله تعالي عنه قال كان ابو بكر الصديق رضي الله تعالي عنه اذا راى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

امين مصطفي بالخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

الا ان يحمل قولها علي انها لم تسمع ذلك منه بنا علي ان ذلك من انشا الصديق وكان بلال اذا
اقلعت عنه الحمي يرفع عقيرته اي صوته يقول متشوقا الي مكة

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة ابن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الي ارض الوبا
واراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف
وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة اي وفي رواية وهل يبدون لي عامر وطفيل وعامر
ايضا جبل من جبال مكة وفي شرح البخاري للخطابي كنت احب شامة وطفيل جبلين حتي مررت
بهما فاذا هما عينان من ما هذا كلامه وقد يقال يجوز ان يكون العينان بقرب الجبلين
المذكورين فاطلق اسم كل منهما علي الاخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن
المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين علي الراجح الا ان علم موته علي الكفر كابي جهل وابي لهب
دون الكافر الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسني فيموت علي الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة
الله تعالي المستلزم لليأس منها واما اللعن علي الوصف كاكل الربا فجايز وان كان محمولا في ذلك
علي الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا علي الطرد عن رحمة الله الذي هو حقيقة اللعن وكان
كل من ابي بكر وعامر وبلال في بيت واحد قالت عايشة رضي الله تعالي عنها فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بني عياد ثم فدخلت اليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى
من شدة الوعك فسلمت عليهم اي وقالت لابيها يا ابه كيف اصبحت فانشدها الشعر المتقدم
قالت فقلت انا لله ان ابي ليهذي قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

اني وجدت الموت قبل ذوقه ... ان الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف اصبحت وفي رواية
فانشدها البيتين فاذا هو لا يعقل قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقلت
انهم يهذون وما يعقلون من شدة الحمى اي وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية
ان الصديق لما قدم المدينة اخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا ان يقال لا مخالفة
لانه يجوز انها اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه
وسلم بعايشة او ان عايشة استاذنته في ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها
كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان في غير بيت ام عايشة والذي في تاريخ الازرقي
عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبي
صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل
على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال
كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم وما مانع من التعدد فليتأمل وحين ذكرت
عايشة رضي الله تعالى عنها له ذلك نظر الى السما اي لانها قبلة الدعا وقال اللهم حبب الينا
المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها وصاعها
وصححها لنا وانقل وباها الى مهيعة اي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة
من رابغ محل احرام من يجي من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاوه
صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه
ومن ثم جاء في حديث ان عايشة رضي الله تعالى عنها سالت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من اوصافها الحسنة ما غرغرت
منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر
اقول ودعاوه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان في اخر الامر واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة خير بين الطاعون والحمى اي بقاها فامسك الحمى وارسل الطاعون الى الشام كما جاء في بعض

الاحاديث

الاحاديث اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام
وقولنا اي بقاها رد لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ في قلة من اصحابه فاختار الحمى لقلة
الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد واذن له في القتال ووجد الحمى
تضعف اجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح
بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتأمل فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت
الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما ياتي عن الخصايص وحين نقلت الحمى الى الجحفة
صارت الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها الطاير حم واستشكل حينئذ جعلها
ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لم يامر بما فيه ضرر واجيب
بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز او قبله حين
التوقيت بها كذا قيل فليتأمل مع دعته صلى الله عليه وسلم قال رايت اي في النوم امراة سودا
ثايرة وبا المدينة نقل الى مهيعه وفي الخصايص الصغرى للسيوطي وضرب للحمى بعنها يعني
المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل بالحمى والطاعون امسك
الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره اياها
لم تستطع ان تاتي احدا من اهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستاذنته فيمن يبعثها اليه
فارسلها الى الانصار فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انا ام ملدم
وفي رواية انا الحمى ابرى اللحم واشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا اهلا ونبه انه تقدم انه نهى
عايشة عن سبها فقال لها امضي الى احب قومك او احب اصحابك اليك فقال اذهبي للانصار
فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا ادع لنا بالشفا فقال ان شيتم دعوت الله عز وجل يكشفها
عنكم وان شيتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بل دعها يا رسول الله
ولعل هذا كان لطايفة من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار لما شكوا له الحمى وقد مكثت
عليهم ستة ايام بلياليها دعا لهم بالشفا وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا وبيتا بيتا
يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصايص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها
بقية بالمدينة انها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم
والذي نقله هو عن الحافظ بن حجر ان الحمى كانت تصيب من اقام بالمدينة من اهلها وغيرهم

فان تُوُفِّيَت بالدعا عن اهلها الا النادر ومن لم يالف هواها وقد جا ان حمى ليلة كفارة
سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والذي رواه
الامام احمد وابن حبان في صحيحه عن جابر استاذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
من هذه قالت ام ملدم فامر بها الى اهل قبا فلقوا ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه فقال
ان شيتم دعوت الله ليكشفها وان شيتم تكون لكم طهورا قالوا او تفعل قال نعم قالوا
فدعها واسا علم ثم دعا بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة وفي
رواية واجعل مع البركة بركتين وجا انهم شكوا له سرعة فنا طعامهم فقال اتكيلون او
تحثون قالوا نحثو قال كيلوا ولا تحثوا فان البركة في الكيل فكالوه فما فني
طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا صلى الله عليه وسلم للغنم كانت ترعى
بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف اكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد اي وليحل الدعا
بكونه لبيبى خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصايص
الصغرى مما اختصت به المدينة ان غبارها يطفي الجذام ونصف اكراش الغنم فيها مثل
ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون
بارساله الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة اي على ابوابها ملايكة لا يدخلها
الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها اي المدينة سبعة ابواب على كل باب ملكان قال
قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف ارسله صلى الله عليه وسلم الى الشام
مع انه شهادة واجيب بانه انما ارسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه لعدم انتفاء تقدم
لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول
الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها في بعض السنين وهي سنة
تسع واربعين وسبعماية وقال انه وقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل
الكعبة اي الجانب الذي جهة الحجر قال بعضهم لما حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر
الى ان اقاموا الاخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون
كذا اخبر بعض الثقاة من اهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون في المدينة في زمن
من الازمنة يخالفه قول بعضهم في السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون في المدينة
افنى الخلق وهو اول طاعون وقع في الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض

فلا تخرجوا منها وان سمعتم به في ارض فلا تقربوها ويروى انه لما قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوبا ثلاثا اي وفيه ان هذا
قد يخالف ما سبق من ان هذا كان في اخر الامر لا عند قدومه المدينة الا ان يحمل
ان قدومه كان من سفر لا الهجرة وفي الحديث سياتي على الناس زمان يلتمسون
فيه الرخا فيتحملون باهليهم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يليتها
احد فيصبر للاوايها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا او شفيعا
وفي مسلم لا يصبر على لاوى المدينة وشدتها احد من امتي الا وكنت له شفيعا يوم القيامة
او شهيدا اي شفيعا للعاصي وشهيدا للطايع واللاوى بالمد الجوع وعن ابن عمر رضي الله
تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت
فاني اشفع لمن يموت بها لا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه الله تعالى ذوب الملح
في الما وفي لفظ اذابه الله في النار ذوب الرصاص او ذوب الملح في الما لا تقوم الساعة
حتى تنفي شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد اي وفي رواية في مسلم تنفي الخبث كما تنفي النار
خبث الفضة وتقدم ان هذا ليس عاما في الازمنة بل في الاشخاص وفي رواية مكة والمدينة
ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد من اخاف اهل المدينة ظلما اخافه الله عز وجل
وعليه لعنة الله والملايكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا اي وبهذا
الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه في اباحة المدينة في وقعة الحرة
ورد بانه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه والغاية على جواز
لعنه بالوصف ويكون من اخاف اهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين
واضح كما علمت وجا اهل المدينة جيراني وحقيق على امتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكباير
من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال
اي وهي عصارة اهل النار وفي لفظ من اخاف هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين
هذين ووضع يده على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر اي
الطيب بها رايحة لا توجد فيه في غيرها ومن خصايصها ان ترابها شفا من الجذام
كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل دا وعجوتها شفا من السم اي وفي الحديث
تخرب المدينة قبل يوم القيامة باربعين سنة اي وان خرابها يكون من الجوع وان خراب

اليمن يكون من الجراد اي وقد دعا صلي الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد
واقتل كباره واهلك صغاره واقطع دابره وخذ بافواهها عن مواشينا وارزاقنا
انك سميع الدعاء وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه كان صلى الله عليه وسلم يوتي باول
الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة
ثم يعطيه اصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك
دعاك لمكة واني عبدك ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه
ثم بني النبي صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسعة عند الحاجة اليها اي وهذا هو الموافق
لما سبق ان بعضها بني مع المسجد وهي حجرة سودة وحجرة عايشة رضي الله تعالى عنها كما تقدم
وفي كلام ايمتنا ان بيوته كانت مختلفة واكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل
يقتضي انها كلها بنيت في السنة الاولي من الهجرة حيث قال وفيها اي السنة الاولي
بني مسجده ومساكنه اي وخط صلى الله عليه وسلم لنسايه حجرا في كل ارض ليست لاحد
وفيما وهبته له الانصار من خططها واقام قوم منهم ممن لم يمكنه البنا يقرب
عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله بن زيد الهذلي رايت بيوت ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك اي بعد موت
ازواجه قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرا بادخالها في المسجد
فما رايت اكثر باكيا من ذلك اليوم اي وكانت تسعة اربعة مبنية باللبن وسقفها
من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد اي غير بيت ام سلمة فانها جعلت
حجرتها بنا وكان صلى الله عليه وسلم في غزاة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها اول نسايه
فقال لها ما هذا البنيان قالت اردت ان اكف ابصار الناس فقال ان شر ما ذهب فيه
مال المرء المسلم البنيان وعن علي رضي الله تعالي عنه ان لله بقاعا تسمي المنتقمات فاذا
اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه به اي وكانت تلك
الحجر التي من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة ابيات من جريد مطينة
لا حجر لها علي ابوابها ستور من مسوح الشعر اي وهي التي يقال لها البلاس ذرع
الستر فوجد ثلاثة اذرع في ذراع هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه مبنية من جريد
عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه السلام

الكسية

الكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم
تهدم حتي يقصر الناس عن البنا ويرون ما رضي الله تعالي لنبيه صلى الله عليه وسلم
ومفاتيح خزاين الارض بيده اي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في
البنيان وجا انه صلى الله عليه وسلم خرج الي بعض طرق المدينة فراي فيه مشرعة فقال ما هذه
قالوا هذه لرجل من الانصار فجا ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه ففعل
ذلك مرارا فاعلم بالقضية فهدمها الرجل وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وانا
مراهق ادخل بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فاتناول سقفها
بيدي اي لان الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وقيل بقيا
وكان ابوه مولى لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت تخرجه
للصحابة يباركون عليه واخرجته الي عمر فدعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه
الي الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه خالد في خلافة الصديق من الفرس
وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالي عنه لان عمره كان قبل ان يخرج علي من المدينة
الي الكوفة وذلك بعد قتل عثمان اربعة عشر سنة قيل له يا ابا سعيد انك تقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السايل كل شي سمعتني
اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن ابي طالب غير اني في زمان لا
استطيع ان اذكر عليا اي خوفا من الحجاج وقد اخرج له عن علي جماعة من الحفاظ
كالترمذي والنسايي والحاكم والدارقطني وابو نعيم ما بين حسن وصحيح ويرد
قول من انكر انه لم يسمع من علي لان المثبت مقدم علي النافي او هو محمول على انه لم
يسمع من علي بعد خروج علي من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت
عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي ام المومنين ام سلمة رضي الله
تعالي عنها فان امه ربما غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة ثديها تعلله به الي ان تجي امه
فيدر عليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن البصري اجمل اهل البصرة
وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري شكلا فخما لولا هذا كلامه وكان اذا اقبل
اقبل كانه اقبل من دفن حميمه واذا جلس فكانه اسير امر بضرب عنقه واذا ذكرت
النار فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدي كان لحارثة ابن النعمان منازل قرب المسجد وحوله

فلما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلا يحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله
كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه بنيت
في السنة الاولى **ومات عثمان** بن مظعون وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
وامر صلى الله عليه وسلم ان يرش قبره بالماء ووضع حجر عند راس القبر اي بعد ان امر رجلا
ان ياتيه بحجر فاخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه
ثم حمله ووضعه في المحل المذكور وقال اتعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي
اي ومن ثم دفن ولده ابراهيم عند رجليه **وعن** عايشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورايت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي
عثمان بن مظعون **اي وفي** الاستيعاب انه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل
وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين
خبر عايشة السابق كما لا يخفى وجعل النسا يبكون فجعل عمر يسكتهن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان
ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان
وقالت امراته وهي خولة بنت حكيم وقيل ام العلا الانصارية وكان نزل عليها
وقيل ام خارجة بن زيد طبت هنيا لك الجنة ابا السايب فنظر اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله فارسك وصاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق الناس على عثمان **وعن**
عايشة رضي الله تعالى عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي متوسخة الحال فقالت لها
عايشة ما بالك قالت زوجي يعني عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي
صلى الله عليه وسلم اي على عايشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا
اما لك بي اسوة والله اني اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا اي وسماه السلف الصالح فقال
عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال عند دفن زينب بنته الحقي بسلفنا الخير الصالح
عثمان بن مظعون **ومات اسعد** ابن زرارة ووجد اي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده
اي بعد ان قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم وقال لهم انتم اخوالي وانا نقيبكم

وكره ان يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم اي ووهم ابن منده
وابو نعيم في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل
نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة اي وقد قيل ان قبل
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البرا ابن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت
وهي اول صلاة صليت على الميت في الاسلام بنا على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز
ان يراد بالصلاة الدعا ويوافق ذلك قول الامتاع لم اجد في شي من كتب السير متى فرضت
صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة
الثانية وكذلك اسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه **وكتب** رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود اي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير
اي صالحهم على ترك الحرب والاذى ان لا يحاربهم ولا يوذيهم وان لا يعينوا عليه احدا وانه
ان دهمه بها عدو ينصرونه وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم وقد ذكر في الاصل
صورة الكتاب **واخا** صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك
وهي دار ابي طلحة زوج ام انس اي واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات
فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام فوجدوا جزيرة فدفنوه بها
ولم يتغير وعن انس ان ابا طلحة لم يكن يكثر من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسبب الغزو فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم سرد الصوم **وكانت** المواخاة بعد بنا
المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام
وفي لفظ دون القرابة فقال تاخوا في الله اخوين اخوين **اقول** ذكر ابن الجوزي عن زيد ابن
ابي اوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان
اين فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم بحديث فاحفظوه
وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الاية الله يصطفي من الملايكة
رسلا ومن الناس واني اصطفي منكم من احب ان اصطفيه واواخي بينكم كما اخى الله تعالى بين
ملايكته قم يا ابا بكر فقام فجثى بين يديه فقال ان لك عندي يدا يجزيك الله بها ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ثم قال

ادن مني يا عمر فدنا فقال قد كنت شديد الباس علينا يا ابا حفص فدعوت الله ان
يعز بك الدين او بابي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت احبهما الى الله تعالى فانت
معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة واخي بينه وبين ابي بكر هذا كلام ابن الجوزي
وهو يقتضي انه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة اخا بين المهاجرين ايضا اي كما اخا بينهم
قبل الهجرة وهذا لا يتم الا لو اخي بين ابي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن الجوزي
اقتصر والمعروف المشهور ان المواخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة
ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله اعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا
اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار اي وقيل كانوا تسعين فاخا بين
ابي بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر كانت ابنته تحت ابي بكر وبين عمر وعتبان
ابن مالك وبين ابي ذر تم الخثعمي وبين بلال وبين اسيد بن حضير وبين زيد ابن
حارثة وكان اسيد ممن كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عيسى وكان من احسن الناس
صوتا بالقران وكان احد العقلا اهل الراي وكان الصديق يكرمه ولا يقدم عليه احد
واخا بين ابي عبيدة وبين سعد بن مسعود واخا بين عبد الرحمن بن عوف وبين
سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من اكثر الانصار
مالا فانا مقاسمك وعندي امراتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها
فقال له بارك الله لك في اهلك ومالك وفي الاصل عن ابن اسحاق اخا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال تاخوا في الله اخوين اخوين
وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه اوصى حمزة
يوم احد فليتامل فانهما مهاجران ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب وقال هذا اخي فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلي اخوين وفيه ان هذا ليس من المواخاة بين المهاجرين والانصار
وقد تقدم في المواخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مواخاته له صلى الله عليه وسلم واخا بين
جعفر بن ابي طالب وهو غايب بالحبشة وبين معاذ بن جبل اي ارصد معاذ الاخوة
جعفر اذا قدم من الحبشة ويرد قول ما قيل جعفر بن ابي طالب انما قدم في فتح خيبر سنة
سبع فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل اول مقدمه عليه السلام واخي بين ابي ذر الغفاري
والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وابي ايوب
وفي الاستيعاب انه اخي بين سلمان وابي الدردا واخا سلمان ابا الدردا فزار فراى ام الدردا

متبذلة فقال لها ما شانك قالت ان اخاك ليس له حاجة في شي من الدنيا فقال له سلمان
ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه فسال
ابو الدردا النبي صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال له سلمان ولعل هذه المواخاة
بين سلمان وابي الدردا كانت قبل عتق سلمان لانه تاخر عتقه عن احد لانه اول مشاهده
الخندق كما تقدم وروى الامام احمد عن انس انه اخي بين ابي عبيدة وبين ابي طلحة وتقدم
انه اخا بينه وبين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل قوم قدمنا
عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير كفونا المونة واشركونا في المهنة اي
الخدمة حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم اي فان
ثناكم عليهم ودعاكم لهم حصل منكم نوع مكافاه قال بعضهم والمواخاة من خصايصه
صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش ابن ابي ربيعة
وهشام بن العاص اي المحبوسين عند قريش لما نعين لها من الهجرة فقال الوليد بن الوليد
ابن المغيرة اي بعد ان خرج الى المدينة من حبس اهله له بمكة كما تقدم انا لك يا رسول الله فخرج
الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امراة تحمل طعاما فقال لها اين تريدين يا امة الله قالت اريد
هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف له فلما امسى تسور عليهما
ثم اخذ مروة اي حجرا فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه
ذو المروة ثم جعلهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت اصبعه فانشد اي متمثلا

هل انت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد القول بان عياشا استمر محبوسا
حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا صلى الله عليه وسلم في قنوت الصلاة بقوله
اللهم انج الوليد بن الوليد اي وذلك قبل ان يتخلص من حبسه بمكة اي فان الوليد اسر يوم
بدر اسره عبد الله بن جحش فتقدم في فدايه اخواه خالد وكان اخاه لابيه وهشام وكان
اخاه لامه وابيه ومن ثم لما ابى عبد الله ان ياخذ في فدا الوليد الا اربعة الاف درهم
وصار خالد يابى ذلك قال له هشام انه ليس بابن امك والله لو ابى فيه كذا وكذا لفعلت
ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل في فدايه الا شكة ابيه وكانت درع
فضفاضة مقومة بماية دينار فطاعا بها وسلماها الى عبد الله فلما افتدي وقدم مكة
اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت ان تظنوا بي اني جزعت من الاسار

فلما اسلم حبسه اهله بمكة ثم افلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضا وكتب الى اخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد من جملة من خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة للاسلام واهله فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو اتانا خالد لاكرمناه وما مثله يجهل الاسلام فكتب له اخوه الوليد بذلك وفي مدة حبس الوليد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في كل ليلة اذا صلى العشا الاخرة قنت في الركعة الاخيرة يقول اللهم نج الوليد ابن الوليد اللهم نج سلمة بن هشام اللهم نج عياش بن ابي ربيعة اللهم نج هشام ابن العاص اللهم نج المستضعفين من المومنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سني يوسف فاكلوا العهن ثم لم يزل يدعوا للمستضعفين حتى نجاهم الله اي بعد ان نجا عياشا وهشاما والوليد اقول هذه الرواية تدل على انه كان يدعو بما ذكر في الركعة الاخيرة من العشا الاخرة وفي البخاري ان ذلك كان في الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان تارة يدعو في الركعة الاخيرة من صلاة العشا الاخيرة وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح او كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما راى والله اعلم ثم لا زال المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخا دون القرابات اي الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي في الارث في كتاب الله اي في اللوح المحفوظ فنسخ ذلك اي لانه كان الغرض من المواخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد ازر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوي رحمه اي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة بعد ان كان يقال له زيد بن محمد اقول تقدم ان سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لابائهم اي ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف ابوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن ابي حذيفة فكان ابو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امراة ابي حذيفة

الى

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل علي واظن في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فماذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمي عليه وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضي الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين في مسجد قباء فيهم ابو بكر وعمر الحياة كانت المواخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل المحاربة واما قول ابن عباس كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت واولوا الارحام فمعناه انهم التزموا هذا الحكم ودوامه ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحتات بضم الحاء المهملة وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية في خلافته ورث بالاخوة مع وجود اولاده ثم رايت الحافظ ابن حجر في الاصابة ذكر ذلك

باب في بدء الاذان ومشروعيته اي والاقامة ومشروعيتها سادس وثلاثون

وكل منهما من خصائص هذه الامة كما كان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح هذه الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كانهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل اي وكان دابه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظة الله اكبر ولم ينقل عنه سواها اي لا لشيء ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدي واركعي مع الراكعين لان المراد به في ذلك الخضوع او الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل به لكن في البغوي قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان ذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتامل وكان وجود ذلك اي الاذان والاقامة في السنة الاولى وقيل في الثانية ذكر ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها اي لدخول اوقاتها من غير دعوة اي وقد قال ابن المنذر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور قال وورد احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن حجر ابن رجب هو حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعا لما اسري بي اذن جبريل

فظننت الملائكة انه اي جبريل يصلي بهم فتقدمني فصليت قال فيه الذهبي حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان الثاني اقول ومن اغرب ما وقع في بدء الاذان ما رواه ابو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لادم حين هبط من الجنة وقد سئل الحافظ السيوطي هل ورد ان بلالا او غيره اذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذي صححه اكثر العلما ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وانه لم يوذن قبلها لا بلال ولا غيره وذكر في الدر في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة في شان المؤذنين والاذان انما شرع في المدينة فهي مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفي كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر ان الحق انه لا يصح شي من الاحاديث الدالة على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور في ذلك اي فقد اهتم صلى الله عليه وسلم هو واصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا راها الناس اذن اي اعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود اي ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم را ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلي وهو اولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذي يدعون به لصلاتهم اي يجمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من امر اليهود فذكر له الناقوس الذي يدعو به النصارى لصلاتهم فقال هو من امر النصارى اي فقالوا لو رفعنا نارا اي فاذا راها الناس اقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس وقيل كما في حديث الشيخين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة اي بحضورها اي ففعلوا ذلك وكان المنادي هو بلال رضي الله تعالى عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذي ينادي به اي بلال اي قبل رويا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد ابن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابث

رجالا

رجالا ينادون الناس بحين الصلاة اي في حينها اي في وقتها وحتى هممت ان امر رجالا يقومون على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة اي ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلالا بما تقدم وقيل اهتم صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بالناقوس اي اتفقوا عليه لينحت ليضرب به المسلمون اي وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فقام عبد الله بن زيد فاري الاذان اي والاقامة في منامه فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بي وانا نايم رجل وفي لفظ ابن ليلى انا بين نايم ويقظان طاف بي رجل والمراد انه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطي ظهر من هذا ان يحمل على الحالة التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة هم روس ارباب الاحوال اي وهذه الحالة هي التي عناها الشيخ عبد الله الدلاصي بقوله كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني اخذة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى بسورة المدثر وفي الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت اي ويدل لذلك قول عبد الله بن زيد كما جا في رواية ولولا ان يقول الناس اي لتستبعد الناس ذلك لقلت اني كنت يقظان غير نايم وذلك الرجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى اي وفي رواية فقلت اتبيع الناقوس فقال ما تريد به فقلت اريد ان ابتاعه لكي اضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فانا احدثك بخير لكم من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استاخر عني اي ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله اي ففي هذه الرواية افراد الفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير

اولا واخرا وفي رواية رواية راي رجلا عليه ثياب خضر وهو قايم على سقف المسجد وفي
رواية على جذم حايط بكسر الجيم وسكون المعجمة اي اصل الحايط ولا مخالفة لما سبحل فاذن ثم قعد
قعدة ثم قام فقال مثلها اي مثل الكلمات اي كلمات الاذان الا انه يقول قد قامت الصلاة
قد قامت الصلاة اي زيادة على تلك الكلمات التي هي الاذان ففي هذه الرواية تثنية
الفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير في اولها اربعا كالاذان اي وهذا اي كونه على سقف
المسجد وكونه على جذم حايط لا مخالفة بينهما لانه يجوز ان يكون لما قال له تقول
الله اكبر الى اخر الاذان والاقامة كان قايما على سقف المسجد قريبا من جذم الحايط
فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استاخر عني غير بعيد اي سكت غير طويل قال
عبد الله فلما اصبحت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رايت اي وفي رواية
انه اتاه ليلا واخبره وهي المذكورة في سيرة الحافظ الدمياطي ولا منافاة لانه يجوز ان يكون
قول عبد الله فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرويا حق
ان شا الله تعالى فقم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن فانه اندى وفي رواية امد صوتا منك
اي اعلا وارفع وقيل احسن واعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله فقمت مع بلال
وفي رواية فقال لبلال قم فانظر ما امرك به عبد الله ابن زيد فافعله فجعلت القيه عليه
ويؤذن به اي فبلال اول موذنيه صلى الله عليه وسلم اي وقيل اول موذنيه عبد الله بن زيد
ذكره الامام والغزالي وانكره ابن الصلاح اي حيث قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه
وقد يقال لا منافاة لان عبد الله اول من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحينيذ
يكون اول مشروعيته كان في اذان الصبح فلما سمع ذلك اي باذان بلال عمر ابن الخطاب
وهو في بيته خرج يجر رداه وفي رواية ازاره اي عجلا اي ولم يعلم بالقصة لقوله والذي
بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راي يعني عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه
وفي رواية مثل ما يقول اي بلال رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلله الحمد قال الترمذي عبد الله ابن زيد هو بن عبد ربه لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه
وسلم شيا يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان وقيل راي مثل ما راي عبد الله ابو بكر
رضي الله تعالى عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل اربعة عشر قال ابن الصلاح
لم اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي فقال هذا ليس بثابت ولا معروف

وانما

وانما الثابت خروج عمر يجر رداه وقيل راه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا سمع ملكا يوذن
اي فقد جا في حديث لبعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه انه لما اراد الله عز وجل
ان يعلم رسوله الاذان جا جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها
الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر وذكر بقية الاذان فرد يا عبد الله دلت على ان هذا الذي راه
في السما يكون سنة في الارض عند الصلوات الخمس اي التي فرضت عليه تلك الليلة اي فلذلك
قال انها لرويا حق ان شا الله وقيل ان الذي تقدم عن الخصايص ان المراد هو الذي اتى به
الملك الاقامة لا حقيقة الاذان اي ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة
قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدي انا الحق ثم بعضهما ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم تقدم فام اهل السما فيهم ادم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بعد بئة عبد الله
باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا ما روي عن محمد بن الحنفية عن ابن العلا
قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رويا
راها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال
عمدتم الى ما هو الاصل في شرايع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رويا راها
رجل من الانصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون اضغاث احلام قال فقلت
له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال والله هذا هو الباطل ثم قال وانما اخبرني ابي
ان جبريل عليه السلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسرا فاقام ثم اعاد جبريل عليه السلام الاذان
لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وفي رواية عنه
انه لما انتهى الى مكان من السما وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر
فقال الله صدق عبدي انا الله اكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه
ما علمت ان هذا الاقامة لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت يقول جبريل لما احتاج صلى الله
عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما ياتي عن بعض
الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتي بالبراق الى الحجاب
هو بنا على ان المعراج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون هذا عروجا اخر غير ذلك وحينيذ
لا يخالف هذا ما تقدم انه لما اسري به اذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جا عن علي رضي الله تعالى عنه

موذن اهل السما جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينيذ لا يخالف ايضا ما جا
اسرافيل موذن اهل السما واما مهم ميكايل عند البيت المعمور وفي لفظ يوم الملايكة
في البيت المعمور ولعل كون ميكاييل اماما هل السما لا يخالف ما جا عن عايشة رضي الله
تعالي عنها امام اهل السما جبريل لما علم وجا ان موذن اهل السما يوذن لاثني عشر
ساعة من النهار ولاثني عشر ساعة من الليل اقول وفي النور لو راه اي الاذان ليلة
الاسرا لم يحتج الي ما يجمع به المسلمين الي الصلاة ويرد بانه لم يكن يعلم قبل هذه الروية
ان ما راه في السما يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة قبل تلك الروية
لما علم ان ذلك سنة في الارض كما تقدم وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل ببيت
المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسرا قبل مشروعية
للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم ان المراد له الاذان حقيقة لا الاقامة
وقد علمت ما فيه ثم رايت بعضهم قال واما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسرا
ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد الله تعالي ان يعلم رسوله الاذان
اي لان المتبادر تعليمه الاذان الذي ياتي به في الارض الصلوات وقد يقال على تسليم
ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذي سمعه ليلة الاسرا الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر
الحق انه لم يصح شي من هذه الاحاديث الواردة بانه سمعه ليلة الاسرا ومن ثم قال ابن كثير
في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في السما ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما
زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ابو الجارود الذي تنسب اليه الفرقة
الجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما في الخصايص الصغري حيث يذكر اسمه في
الاذان في عهد ادم وفي الملكوت الاعلي والله اعلم اي وروي بسنده واه ان اول من اذن
بالصلاة جبريل في سما الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ثم جا بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يكون ذلك بعد
رويا عبد الله وذكر ان عمر راه من عشرين يوما وكتمه ولما اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له
منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه اقول في هذا الكلام ما لا يخفي
فليتامل والله اعلم وقيل انما قال صلى الله عليه وسلم له انها رويا حق لانه يجوز ان يكون جا صلى الله
عليه وسلم الوحي بذلك قبل ان يجي اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له من حين اخبره بذلك على ما في بعض الروايات

قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما ثبت بالوحي لا بمجرد رويا عبد الله قال بعضهم في قوله
تعالي واذا ناديتم الي الصلاة اتخذوها هزوا الاية كان اليهود اذا نودي للصلاة
وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزا والسخرية
وفيها دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو
حيان بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشايها هذا كلامه اي وذلك
على تسليم ان يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذي وجد في المنام اي وصار
بلال يوذن بذلك للصلوات الخمس وينادي في الناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث
يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقا الصلاة جامعة
قيل وكان بلال يقول اذا اذن اشهد ان لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر
على اثرها اشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل كما قال عمر
وهذا روي عن ابن عمر في حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على
ان بلالا اتي بذلك ناسيا في ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رايت ابن حجر الهيتمي
قال والحديث الصحيح الثابت في اول مشروعية الاذان يرد هذا هذا كلامه قيل وزاد
بلال في اذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي لان بلالا كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول الصلاة
فدعاه ذات يوم الي الفجر فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نايم فصرخ باعلي صوته
الصلاة خير من النوم مرتين اي اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم
اقول وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاونا انه صح انه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك
لابي محذورة اي قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة
لان تعليم ابي محذورة للاذان كان عند منصرفه من حنين على ما سياتي وكذا ما ورد من انه
صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه بعد ان اقر بلالا
عليها ثم ذكر انه لم ينقل ان ابن ام مكتوم كان يقوله اي لقول بلال له في الاذان الاول
وهو يدل لمن قال انه اذا قيل في الاذان الاول لا يقال في الثاني لان اذانه في الصبح كان متاخرا
عن اذان بلال في اكثر الاحوال وهو محمل ما جا في كثير من الاحاديث ان بلالا يوذن
بليل فكلوا حتي يوذن ابن ام مكتوم ومن ثم الاكثر محمل مما جا ان ابن ام مكتوم ينادي بليل

فحلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن ام مكتوم اعمى فاذا اذن ابن ام مكتوم فكلوا واذا اذن
بلال فامسكوا ولا تاكلوا والراجح انه يقوله فيهما لكن رعاية لعدد ذلك ما في الموطا ان المؤذن
جاء لعمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فامره عمر ان يجعلها
في نداء الصبح وفي الترمذي ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب في شيء
من الصلاة اي من اذان الصلاة الا في صلاة الفجر ان يقول الصلاة خير من النوم
وعن ابن عمر انه سمع الاذان في مسجد فاراد ان يصلي فيه فسمع المؤذن يثوب في غير الصبح فقال
لرفيقه اخرج بنا من هذا المبتدع فان هذه بدعة اي سمع المؤذن يقول بين الاذان
والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذي سمعه ابن عمر
كما قاله بعضهم وفي كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجيء بين الاذان والاقامة
الى باب المسجد فيقول حي على الصلاة قيل واول من احدثه مؤذن معاوية
فكان ياتيه بعد الاذان وقبل الاقامة فيقول حي على الصلاة حي على الصلاة حي على
الفلاح حي على الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة
الصلاة فليس بدعة لان بلالا كان يقول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واما قوله حي على
الصلاة فهذا لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم ثم رايت في درر المباحث في احكام البدع
والحوادث اختلف الفقهاء في جوازه دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة
بان ياتي المؤذن باب الامير فيقول حي على الصلاة حي على الفلاح ايها الامير فسربه
التثويب فاحتج من قال بجوازه اي بسنيته ان بلالا كان اذا اذن ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يقول حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله اي كما كان
يفعل مؤذن معاوية فليس من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله
عليه وسلم اتاه بلال فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة
يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم له مر ابا بكر فليصل بالناس واحتج من قال بالمنع بان
عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال الصلاة يا امير المؤمنين
حي على الصلاة حي على الفلاح فقال ويحك امجنون انت اما كان في دعائك الذي
دعوتنا ما يكفيك حتى تاتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه اي وكون عمر لم يبلغه
فعل بلال من البعيد عن ابي يوسف لا ارى باسا ان يقول المؤذن السلام عليك ايها

الامير

الامير ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال
الامراء بمصالح المسلمين اي ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز يفعله وذكر بعضهم انه في
دولة بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة
السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وامروا ان يقولوا في اذان الصبح بدل ذلك الصلاة
خير من النوم مرتين وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي ابن
الحسين انهما كانا يقولان في اذانهما بعد حي على الفلاح حي على خير العمل وورد
الترجيع في خبر اذان ابي محذورة ايضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه
بهما ففي مسلم عن ابي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال
فمسح مقدم راسي وقال تقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان
محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة
اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله
وكان ابو محذورة يشفع الاقامة كالاذان اي يكرر الفاظها فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر
اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله
حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر
الله اكبر لا اله الا الله لتعليمه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله
ابن زيد وذكر الامام ابو العباس بن تيمية ان النقل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ابا
محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا لا يشفع الاذان ويوتر
الاقامة ولا يرجع الاذان ففي الصحيحين امر بلال ان يشفع الاذان اي من شفع الاذان
التكبير اوله اربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل اهل
المدينة كما سياتي ثم يرد على شفع الاذان التهليل اخره فانه مفرد فالاولى ان يقال يشفع
معظم الاذان ويوتر الاقامة اي الا لفظها اي ولكن قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين
يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة اي وان
كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين اولا واخرا وحينئذ
يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول في الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد
ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة

الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ولم يكن في اذانه ترجيع اي وهو الاتيان بالشهادتين مرتين
سرا ثم ياتي بهما جهرا كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح
بلا ريب اي وكما روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال اي ابن تيمية فاحمد وغيره اخذوا باذان
بلال واقامته اي فلم يستحبوا الترجيع في الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعي
اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا
لفظها وابو حنيفة اخذ باذان بلال واقامة ابي محذورة اي فلم يستحب الترجيع واستحب
تثنية الفاظ الاقامة قال في الهدي واخذ مالك بما عليه عمل اهل المدينة من الاقتصار
في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة اي ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة
والا ففي ابي داود لم يزل ولد ابي محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة
اي معظم الفاظها ويحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه اكثر فيحتمل ان اتيان ابي
محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعد على ذلك كان بامر منه صلى الله عليه وسلم
له بذلك بعد امره اولا بتثنيتها اي فيكون اخر عمره الافراد وقد قيل لاحمد كان
ياخذ باذان بلال اي كما تقدم اليس اذان ابي محذورة بعد اذان بلال اي لان النبي صلى الله عليه
وسلم علمه له منصرفه من حنين على ما سياتي وهو الذي رواه امامنا الشافعي رضي الله
تعالى عنه عن ابي محذورة انه قال خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فاذن مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون اي عن الطريق فصرنا
نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار القوم كلهم الي فحبسني اي ابقاني
عنده وارسلهم وقال قم فاذن فقمت ولا شيء اكره الي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يامرني به فقمت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي التاذين هو بنفسه الحديث ثم دعاني حين قضيت
التاذين فاعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي وامرها على وجهي ثم بين
ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول
الله مرني بالتاذين بمكة فقال قد امرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن اسيد عامل

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فاذنت بالصلاة عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل علمه ذلك يوم فتح مكة لما اذن بلال الظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش
يستهزئون ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم ابو محذورة فاعجبه صلى الله عليه وسلم
صوته فدعاه وعلمه الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة فليتامل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث
فالاحدث من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالمتاخر عنه لان المتاخر ينسخ المتقدم فقال
البيهقي لما عاد الى المدينة اقر بلالا على اذانه قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة
مذهب اكثر علماء الامصار وجرى بها العمل في الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار
مصر ونواحي المغرب اي الا في مصر في المساجد التي يصلي فيها صلاة الاروام فيها فان الاقامة
تثنى كالاذان فيها وقد ذكر ان ابا يوسف ناظر امامنا الشافعي في المدينة بين يدي مالك
والرشيد فامر الشافعي باحضار اولاد بلال واولاد سعد بن مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة من ابائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة
فرادى هكذا تلقيناه من ابائنا واباؤنا عن اسلافنا اي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله
وادامها وفي البخاري من قال حين يسمع النداء اي الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له
شفاعتي يوم القيامة قال بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان
بلال وابن ام مكتوم فلما كان زمن عثمان رضي الله تعالى عنه جعلهم اربعة وزاد الناس بعده
ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فراى
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا
وفي لفظ انه قال ما هذه الجفوة يا بلال اما ان لك ان تزورنا فانتبه بلال فقصد المدينة
فلما انتهى الى المدينة تلقاه الناس اي واتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ
عليه واقبل على الحسن والحسين يقبلهما ويضمهما والحوا عليه ان يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع
اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا اذانه فلما قال
الله اكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال
اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان
الى ان مات رضي الله تعالى عنه اقول في كلام بعضهم كان اسعد القرظي موذنه صلى الله عليه وسلم
بقبا فلما لحق بلال بالشام ايام عمر امر سعد القرظ ان يوذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي فان بلالا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى ابي بكر فقال يا خليفة رسول الله اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افضل اعمال المومن الجهاد في سبيل الله وقد اردت ان اربط
في سبيل الله حتى اموت فقال له ابو بكر انشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي عليك ان اتاني
فاقام بلال حتى توفي ابو بكر وهو يوذن ثم جا الى عمر فقال له كما قال لابي بكر ورد عليه كما رد عليه ابو بكر
فابى وخرج الى الشام مجاهدا وفي انس الجليل لما فتح امير المومنين عمر رضي الله تعالى عنه
بيت المقدس حضرت الصلاة فقال يا بلال اذن لنا رحمك الله فقال بلال يا امير المومنين
والله ما اردت ان اذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ولكن سا طيعك اذ امرتني
في هذه الصلاة وحدها فلما اذن بلال وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته ذكروا
النبي صلى الله عليه وسلم فبكوا بكا شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ اطول بكا من ابي عبيدة
ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم يوذن
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر بالاذان هذا ما في انس
الجليل اي فالمراد بالمرة هذه المرة التي كانت ببيت المقدس وفيه ان هذا
يخالف ما تقدم مما ظاهره انه استمر يوذن مدة خلافة ابي بكر وما تقدم من الحاح
الحسن والحسين عليه في ان يوذن عند مجيئه المدينة الا ان يقال المراد لم يوذن
خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من اذانه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل ما سبق
كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفا الاربعة ثم رايت الزين العراقي
قال لم يوذن بلال بعد النبي صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفا الا ان عمر لما قدم الشام
حين فتحها اذن بلال هذا كلامه فليتامل مع ما سبق وفي الكتاب المذكور روي
عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله اي الخلق اول دخولا الجنة
قال الانبيا قال ثم من قال الشهدا قال ثم من قال موذنوا بيت المقدس ثم قال
موذنوا البيت الحرام قال ثم من قال موذنوا مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين
ثم رايت في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن جابر تقدم موذني المسجد الحرام على موذني

ببيت

بيت المقدس ورايت في بعض الروايات ما يوافقه وهي اول من يدخل الجنة بعدي ابو بكر ثم
الفقرا ثم موذنوا المسجد الحرام ثم موذنوا بيت المقدس ثم موذنوا مسجدي ثم سائرهم على قدر
اعمالهم وفي البدور السافرة عن جابر ان رجلا قال يا رسول الله اي الخلق اول دخولا الجنة
يوم القيامة قال الانبيا قال ثم من قال الشهدا قال ثم من قال موذنوا الكعبة قال
ثم من قال موذنوا بيت المقدس قال ثم من قال موذنوا مسجدي هذا قال ثم من قال
سائر الموذنين على قدر اعمالهم وفيها عن جابر ايضا اول من يكسى من حلل الجنة ابرهيم
ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى الموذنون وجا ان الصحابة
قالوا يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم
سفلتهم موذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطني ليست محفوظة وجا اذا اخذ
الموذن في اذانه وضع الرب يده فوق راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه
ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال صدق عبدي وشهد بشهادة الحق فابشر والله اعلم
قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اي من التجار وعن السدي
من النصارى بالمدينة سمع الموذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب
وفي رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم واهله نيام فسقطت
شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار حضرت
الصلاة اي صلاة الصبح فطلبوا بلالا ليوذن فلم يوجد اي لتاخره في السير عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذن زياد بن الحارث الصدائي اي بامره صلى الله عليه وسلم فقال له اذن
يا اخا صدا وصدا حي من اليمن وعنه رضي الله تعالى عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يومرني على قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مومن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم
مسيرا فسرت معه فانقطع عنه اصحابه واضا الفجر فقال لي اذن يا اخا صدا فاذنت
ثم لما حضرت الصلاة اراد بلال ان يقيم فقال صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من اذن واختلف
هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل على ذلك بانه جا في بعض الاحاديث
اي وقدم انه اذن في السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته فصلى بهم يومي ايماء
يجعل السجود اخفض من الركوع وقيل ما اذن وانما امر بلالا بالاذان كما في بعض طرق الحديث
ففي الهدي وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين وقد روى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم

فالمؤذن السما من فوقهم واسفل من اسفل منهم فحضرت الصلاة
انتهى الى مضيق هو واصحابه والسما من فوقهم واسفل من اسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن
فاذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضي على المجمل وفي رواية
اذن اختصارا اي امر بالاذان اي وهذا المجمل الذي يشير اليه هو قاذن صلى الله عليه وسلم على راحلته
واقام ايه ويروى ان بلالا كان يبدل الشين في اشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال
عند الله شين قال ابن كثير لا اصل لرواية سين بلال شين في الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية
لا اصل لها ان تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن ام مكتوم يؤذنان وياذن في اذان الصبح
فكان احدهما يؤذن بعد مضي نصف الليل الاول والليل باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر
روى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم اي وفي مسلم عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدا منكم اذان بلال او قال نداء بلال
من سحوره فانه يؤذن او قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه
الاول فيرجع القايم المتهجد الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النايم ليتاهب
للصبح قال في الهدي وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن ام مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا
حتى ينادي بلال اي وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا يتناوبان فكان بلال تارة يؤذن بليل
وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن ام مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث
باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا
ابد ان ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثاني ما ذكر فمن كان يؤذن اولا يتربص
بعد اذانه لنحو الدعا ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فيرقى ويؤذن
مع الفجر او عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال
له اصبحت اصبحت وعن ابن عمر كان ابن ام مكتوم يتوخى فلا يخطيه وفي ابي داود عن ابن عمر
ان بلالا اذن قبل طلوع الفجر فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد نام فرجع
فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام اي غفل عن الوقت او رجع لينام لبقا الليل ولعل
هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم مؤذنا ثانيا او كان اذان بلال في هذه المرة بعد
اذان ابن ام مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت في الجمعة اذان واحد كان يفعل بين يديه
صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قاله فقهاونا مستدلين على ذلك بحديث البخاري
عن السايب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه
ولما كثر المسلمون امر عثمان رضي الله تعالى عنه اي وقيل عمر وقيل معاوية بان يؤذن قبله
على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة التاسعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء
يوم الجمعة ليسمع الناس فياتوا الى المسجد واول من احدثه بمكة الحجاج والتذكير
قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعماية في زمن الناصر محمد بن قلاوون
واول ما احدثت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة الان

بعد

بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور حاجي بن الاشرف
شعبان بن حسن ابن محمد قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبذي في اواخر القرن الثامن
واستمر ذلك الى الان لكن في غير اذان الصبح الثاني وغير اذان الجمعة اول الوقت اما اذان
الصبح الثاني واذان الجمعة المذكورة فيقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان
فيهما وكان احدث ذلك في زمن صلاح الدين ابن ايوب ولعل الحكمة في ذلك اما في الاول
فلاستيقاظ النايم واما في الثاني فلاجل حصول التكبير المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة
مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي وتلتبس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن
التي يستحب بها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
فقد قيل في معناه لا اذكر الا وتذكر معي لكن بعد فراغها لا عند الابتدا بها كما يقع لبعض
الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتدا الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر
فان ذلك بدعة ومن البدع التطريب في الاذان والتلحين فيه وفي كلام امامنا الشافعي
رضي الله تعالى عنه ويكون الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغني قيل التمطيط التمديد في المد
والتغني ان يرفع صوته حتى يجاوز المقدار ومن البدع رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير
لمن بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا باس به لما فيه من النفع اي حيث لم يبلغهم
صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الايمة
الاربعة حيث بلغ المامومين صوت الامام ومعنى منكرة انها مكروهة واول ما حدث
التسبيح بالاسحار في زمن موسى عليه السلام حين كان بالتيه واستمر الى زمن داود عليه السلام
ببيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الالات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير
يقومون به على الالات عند الفجر واول حدوثه في ملتنا كان بمصر امر به اميرها من قبل
معاوية سلمة بن مخلد الصحابي رضي الله تعالى عنه فانه لما اعتكف بجامع عمرو سمع اصوات النواقيس
عالية فشكى ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قرب الفجر
وسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن ابي سفيان اخي معاوية وعتبة تولاها بعد
ما مات اميرها عمرو بن العاص وهذا يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا
فصيحا قال الاصمعي الخطبا من بني امية عتبة بن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان خطب عتبة
يوما اهل مصر فقال يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا تاتونه وذم الباطل وانتم تفعلونه كالحمار

جمرا اسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها وانى لا اداوي داكر الا بالسيف ولا ابلغ السيف
ما كفاني السوط ولا ابلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا ما الزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض
الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب ومما يؤثر عنه ازدحام الكلام في السمع
مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها
ومسلمة اول من جعل بنيان المناير التي هي محل التاذين في المساجد ولما ولي احمد بن طولون
رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولي صلاح الدين يوسف بن ايوب وحمل الناس
على اعتقاد مذهب الاشعري والخروج عما كان يعتقده العوام امر المؤذنين ان يعلنوا
وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث ورقات ولم اقف
على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها كل ليلة قيل في سبب نزوله قوله تعالى قل كل من عند الله
ان اليهود قالوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها
وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ان تمسسكم حسنة تسؤهم وعن صفية ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنها بنت حيي قالت كنت احب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر
اي وكانا من احبار اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
غدوا اليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال
اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال
وفي رواية انها قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعوني فان الله قد
جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق ابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت من عند رجل والله لا ازال
له عدوا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت
بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك انتهى ثم وافق اخاه حيي فكانا اشد اليهود
عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعوا

فانزل الله

فانزل الله تعالى فيهما وفي من كان موافقا لهما في ذلك ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق اي وحيي بن اخطب هذا قيل هو الذي قال لما نزل قوله تعالى من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل ان سبب نزولها ان ابا بكر
دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله
فقال والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر وضرب وجه
فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الاية اي وقيل
في سبب نزولها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي الله تعالى عنه الى فنحاص
ابن عازورا بكتاب وكان انفرد بالسيادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام
يامرهم في ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فلما قرا فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده وفي رواية قال يا ابا بكر تزعم ان ربنا
يستقرضنا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان حقا ما تقول فان الله اذا
لفقير ونحن اغنياء فضرب ابو بكر وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربه بالسيف
وما منعني ان اضربه بالسيف الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب قال لي
لا تفتئت على بشيء حتى ترجع الي فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ابا بكر فقال صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت
لله تعالى فقال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الاية تصديقا لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد قال
بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن اغنياء لانه استقرض اموالنا فقال له ان كان
استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغني الحميد ومن شدة
عداوتهم اي اليهود ان لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط اي له صلى الله عليه وسلم
وقيل في اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهي ما يخرج من الشعر اذا مشط من شعر
راسه صلى الله عليه وسلم اعطاها لهم غلام يهودي كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع
وقيل من عجين لمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احد عشر عقدة

وفي لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت راعوفة في بير ذي اروان وقد منع الله
تعالى اياها حتى صار كنقاعة الحنا فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو
لا يفعله اي ومكث في ذلك سنة وقيل ستة اشهر وقيل اربعين يوما قال بعضهم ويمكن
ان تكون السنة او الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت
في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة ايام وقد يقال هي اشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل
جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فارسل
صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجا بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم لذلك خفة حتى
قام كانما نشط من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك ببيره فانزل الله تعالى سورة الفلق
وسورة الناس وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات
كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فاذا وتر فيه احد عشرة عقدة مغروزة
بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرا جبريل اية انحلت عقدة ووجد
ووجد بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل
جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل دا يوذيك اي ولعله كان يقول ذلك
عند حل كل عقدة بعد قراة الاية اي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه بعد
خيبر جات روسا يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان اعلمهم
بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم تصنع شيا اي ولم يوثر سحرهم
وانت ترى امره فينا وخلافه في ديننا ومن قتل واجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل
ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاني رجلان اي وهما جبريل وميكاييل كما في بعض طرق الحديث
فقعد احدهما عند راسي والاخر تحت رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل فقال الاخر مطبوب اي مسحور
فقال من طبه فقال لبيد بن الاعصم قال فبم قال في مشط ومشاطة وفي بعض ومشاقة اي وهي المشاطة
وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفا وقيل بالبا الموحدة طلعة ذكر اي غشا طلع الذكر الذي يقال
له كوز الطلع قال فاين هو قال في بير ذي ذروان على وزن مروان وفي لفظ بير ذي اروان
وفي لفظ بير ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة في الما قال فما دوا ذلك قال تنزح البير
ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال فيها احدى عشر عقدة فتحرق فانه يبرا باذن الله تعالى
ثم احضر صلى الله عليه وسلم لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له

يا رسول

يا رسول الله لو قتلته فقال قد عافاني الله وما وراه من عذاب الله اشد ويحتاج الى الجمع بين
كون جبريل قال له سحرك الى اخره وكون جاه رجلان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند
رجليه فقال احدهما للاخر ما وجع الرجل الى اخره قيل وهذا اي عدم قتل الساحر يعارض
القول بان الساحر يتحتم قتله وفيه انه عندنا انه لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا
قتل بسحره واعترف بان سحره يقتل غالبا وليس هذا قيل انه من قال بنفي صفات الباري
وقال بها الجهم بن صفوان واظهرها فقيل لاتباعه في ذلك الجهمية وعند ذلك بعث صلى الله
عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البير فاستخرجا ذلك وقيل الذي استخرج السحر بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن وفي الصحيح عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم توجه الى البير مع جماعة
من اصحابه فاذا ماوها كانه خضب بالحنا فاستخرجا اي النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة منها ذلك
ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم ارسل لاستخراج السحر عليا وكونه بعث لاستخراجه عليا
وعمار بن ياسر وكونه امر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته
لاستخراجه فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة اي واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد تذهب عنه
صلى الله عليه وسلم ما كان يجد اي وهذا ينافي ما تقدم ان القاري لذلك جبريل عليه السلام والجواز
ان يكون كلاهما صار يقرا الاية او انه صلى الله عليه وسلم صار يقرا بعد قراة جبريل وفي الامتاع
عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت له افلا استخرجته قال لا اما انا فقد عافاني الله
وكرهت ان اثير على الناس شرا ومرادعايشة بقولها افلا استخرجته اي السحر اي هلا استخرجت
السحر من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال اكره ان اثير على الناس شرا قال ابن بطال اي كره
ان يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذي كرهه وذكر السهيلي انه يجوز ان يكون الشر
غير هذا وهو انه لو اظهره للناس لربما قتلته طايفة من المسلمين ويغضبا حزون من عشيرته
فيثور شر وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت اي استعملت
النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليها قولها
وكرهها جمع واستندوا لحديث ابي داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التي
يصحبها العزايم المشتملة على الاسما التي لا تفهم فامر بها فدفنت اي تلك البير وحفروا بيرا اخرى فاعانهم
صلى الله عليه وسلم في حفرها حيث طموا الاخرى التي سحر فيها هذا كلامه فليتامل مع ما قبله وقيل انها سحره بنات اعصم

اخوات لبيد ودخلت احداهن علي عايشة فسمعت عايشة تذكر ما انكر صلى الله عليه وسلم من بصره
ثم خرجت الي اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غير ذلك
فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله عليه وقد يجمع بين كون الساحر له لبيد
وكون الساحر له اخوات لبيد فان الساحر له اخواته لبيد ونسب السحر الي لبيد لانه جا به
الذي ذهب به فادخله تحت راعوثة البير اي او في القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون
وضعه في القبر مدة ثم اخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعوثة اي وهي الحجر يوضع
علي راس البير يقوم عليه المستقي وقد يكون في اسفل البير يجلس عليه الذي ينظف البير
اي والثاني هو المراد بدليل ما سبق وفي النهر لابي حيان ونص القران والحديث ان السحر
تخييل لا يقلب الاعيان ولا شك في وجوده في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما في زماننا
الان فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه شي ولا يصح منه شي البتة
وطعنت المعتزلة وطوايف من اهل البدع في كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز علي
الانبيا ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد عصموا من الناس ورد بان الحديث
الدال علي ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم في عقولهم واديانهم واما ابدانهم فيبتلون
فيها والسحر انما اثر في بعض جوارحه فقد تقدم عن عايشة من ذكرها ما انكر صلى الله عليه وسلم
من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له انه يفعل الشي ولا يفعله وهذا متعلق
بالعقل ثم رايت ابا بكر بن العربي قال لم ينقل كل الرواية انه اختلط عليه امره وانما هذا اللفظ
زيد في الحديث لا اصل له قال وقيل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الي القول
بابطال معجزات الانبيا والقدح فيها وانه لا فرق بين معجزات الانبيا وبين فعل السحرة وان
جميعه من نوع واحد هذا كلامه فليتامل ومن كان حريصا علي رد المسلمين عن الاسلام
ايضا شاس بن قيس كان شديد الطعن علي المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما علي الانصار
الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما راي من الفتهم بعد ما كان بينهم
من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى
شابا من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان
بينهم وما كان فيه وانشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك
اي قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الاخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا

علي

علي المقاتلة اي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادي هولا يا ال الاوس ونادي هولا
يا ال الخزرج ثم خرجوا اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاهم فقال يا معشر المسلمين
الله الله اي اتقوا الله ابدعوي الجاهلية اي وهي يا للاوس يا للخزرج وانا بين اظهركم
بعد ان هداكم الله الي الاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من
الكفر والف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق
الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
في شاس بن قيس يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا
الاية وقد جاني ذم هذه الكلمة التي هي دعوي الجاهلية وهي يا ال فلان قوله صلى
الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يتعزي بعزا الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اي
قولوا له اعضض علي ذكر ابيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا علي هن ابيك بل قولوا
علي ذكر ابيك تنكيلا له وزجرا عما اتي به اي وقد كان انزل الله فيهم يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وقد قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو
بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله
تعالي عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون علي الاوس والخزرج برسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل مبعثه اي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا فنقتلكم معه قتل عاد وارم كما
تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البرا يا معشر اليهود اتقوا الله
واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث وتصفونه
لنا بصفته فقال سلام اي بالتشديد بن مشكم من عظما يهود بني النضير ما جانا
بشي نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالي في ذلك قوله تعالي ولما جاهم كتاب
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله علي الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالي ما انزل الله علي بشر من شي
انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك ابن الصيف وكان رييسا علي اليهود انشدك بالذي انزل التوراة
علي موسي هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين فقد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الي عمر فقال ما انزل الله علي بشر من شي

فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه من الرياسة
وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا في التوراة وقيل ان
يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من بينهم
من مشركي العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون اللهم انا نستغفرك بحق النبي الامي الذي وعدت انك باعثه في اخر الزمان
الا نصرتنا عليهم وفي لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة
يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت
يهود فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان
تخرجه لنا في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون
غطفان وصار اليهود يسالونه صلى الله عليه وسلم عن اشيا ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن
جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنت
امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكا على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ
مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية
لئلا يستقبلكم بشي تكرهونه اي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي اي وانتم
تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح وفي
رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال بن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال
ويسالونك عن الروح اي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربي فقالوا
هكذا نجد في كتابنا اي التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحي
قال صاحب الافصاح انما سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح يطلق
بالاشتراك على الروح الانساني وعلى القران وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك اخر وعلى
صنف من الملايكة فقصد اليهود انه باي شي اجابهم به قالوا ليس هو فجا لهم الجواب
مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر امر من مامورات الحق تعالى
ولما انزل الله تعالى في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا
اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا بمثله مددا وفي الكشاف
انهم قالوا لنحن مخصوصون بهذا الخطاب ام انت معنا فقال صلى الله عليه وسلم

نحن وانتم

نحن وانتم لم توتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسالوه صلى الله عليه وسلم
متى الساعة ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها
عند ربي الاية اي وجا يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببري الى
سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا
في السبت فقبلا يده صلى الله عليه وسلم ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما
ان تسلما فقالا نخاف ان اسلمنا ان تقتلنا يهود اي وسالوه صلى الله عليه وسلم عن خلق
السموات اي ومن في الارض وما بينهما اي مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض في يوم
الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثا اي ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل
وخلق البحر والما والمداين والعمران والخراب يوم الاربعا وخلق السموات يوم الخميس وخلق
الشمس والقمر والنجوم والملايكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا
قد اصبت لو تممت ثم استراح اي لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح يوم
السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى قوله ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب فاصبر على ما يقولون وفي رواية
خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الانهار والاشجار
يوم الاربعا وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والافة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة
وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت حتى يكون اخر
الاسبوع الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام
ان حبرين من احبار الشام لما بلغهما بعثته صلى الله عليه وسلم قدما المدينة فقال احدهما للاخر ما اشبه
هذه بمدينة النبي الخارج في اخر الزمان فاخبر انها مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة
فلما راياه قالا له انت محمد قال نعم قالا نسالك عن مسالة ان اخبرتنا بها امنا فقال اسالا فقالا

اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الاية شهد الله الى اخر الاية فتلاها عليهما فامنا
قال وعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد هذا الذي خلق الجن والانس من خلقه وفي لفظ خلق الله الملايكة من نور
الحجاب وادم من حما مسنون وابليس من لهب النار والسما من دخان والارض من زبد الما
فاخبرنا عن ربك اي من اي شي خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجا جبريل وقال
له خفض عليك وانزل الله تعالى عليه قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد السورة
اي متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته اي
اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه انتهى اقول ونزول
جبريل بذلك ربما يدل على انه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له
صلى الله عليه وسلم لما ساله عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما ياتي
ثم رايت عن الشيخين وغيرهما ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ذكر في سبب نزول
هذه السورة غير ما ذكر ولعله ما سياتي في قصة اسلام ابن سلام ولا مانع من تكرر
النزول لاسباب مختلفة ثم رايته في الاتقان ذكر ان سورة الاخلاص تكرر نزولها
فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها
نزلت بالمدينة وفي دعوى تكرير نزولها بمقال حيث سبق اولا ونزلت جوابا كيف
يتوقف ثانيا عند السوال الثاني حتى يحتاج الى نزولها مع تجدد نسيانه لها لم صلى الله عليه
وسلم ثم رايت عن البرهان قد ينزل الشي مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا عند حدوث سببه
خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف وكان من اعلم احبار يهود عبد الله بن سلام
بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
وكان من ولد يوسف الصديق اي وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع كما تقدم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
كلامه اي في اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب اي ولعل الذي سمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام
وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل عليه الناس اي بالجيم اسرعوا فكنت فيمن اتى اليه اي وهذا يدل على انه

جاء في قبا وسياتي قال فلما رايته وجهه عرفت انه وجه غير كذاب اي ان صورته
وهيئته وسمته تدل العقلا على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول
ايها الناس الخ اي ولا مانع ان يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال اشهد انك
رسول الله حقا وانك جيت بحق ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي
من اليهود ثم جيته في بيت ابي ايوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم
واعلمهم وابن اعلمهم فاخبيني يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فاسالهم عني قبل
ان يعلموا اني اسلمت فانهم قوم بهت اي بضم البا والها بوا جهون الانسان بالباطل
واعظم قوم عضيهة اي كذبا وانهم ان يعلموا اني قد اسلمت قالوا في ما ليس في وخف
عليهم مبينا قال اني ان اتبعتك وامنت بكتابك الذي انزل عليك فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم
اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جيتكم بحق
اسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاي رجل فيكم ابن
سلام قالوا سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا بالخا
المعجمة والبا المثناة تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والبا الموحدة اي اعلمنا بكتاب الله
عز وجل سيدنا وعالمنا وافضلنا قال صلى الله عليه وسلم افرايتم ان شهد اني رسول الله
وامن بالكتاب الذي انزل علي تومنوا بي قالوا نعم فدعاه فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن
سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام اما تعلم اني رسول الله تجدوني
عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل اخذ الله ميثاقكم ان تومنوا بي وان تتبعوني من ادركني
منكم قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله عز وجل والله الذي
لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جا بالحق قال زاد في رواية تجدونه مكتوبا
عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت انت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديية والفصيح
شرنا وابن شرنا بغير همزة وهي من رواية البخاري قال ابن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول
الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واظهرت اسلامي وانزل الله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله يعني عبد الله بن سلام على مثله يعني اليهود فامن واستكبرتم

ان الله لا يهدي القوم الظالمين اقول هذا السياق لا يناسب ما حكاه في الخصائص الكبرى
عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال
ناشدتك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التوراة قال انسب
ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم يدر ما يقول فقال له جبريل قل هو الله
احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام رضي الله تعالى عنه اشهد
انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله
تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم
عن التوراة فانه يدل على ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه اسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان
كذلك لما قال فلما ابصرت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته
واسمه ولما ساله عن الامور الاتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الا ان يقال على تسليم
صحة ما قال ابن عساكر جاز ان يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود وقد
وقع لابن سلام هذا رضي الله تعالى عنه لقي عليا كرم الله وجهه بالربذة وقد خرج
بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وبعد ان بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه
ان عائشة رضي الله تعالى عنها وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان
وكان ذلك سببا لوقعة الجمل فاخذ بعنان فرس علي رضي الله عنه وقال يا امير المومنين لا تخرج
يعني من المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبه بعض الناس
وقال ما لك ولهذا يا ابن اليهودية فقال علي رضي الله تعالى عنه دعوه فنعم الرجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لقيت عبد الله بن سلام
رضي الله تعالى عنه فقلت له اخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال في اخر ساعة في
يوم الجمعة فقلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي
وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي ونبه ان في الصحيحين ان في يوم الجمعة
ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه اياه
ثم رايت عن سنن ابن ماجة ان جواب ابن سلام رضي الله تعالى تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ونص السنن

ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التوراة ساعة لا يوافقها عبد مومن يصلي يسال
الله عز وجل فيها شيئا الا قضى الله له حاجته قال عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه
فاشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله او بعض
ساعة قلت اي ساعة هي قال اخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة
صلاة قال بلى ان العبد المومن اذا صلى ثم جلس لا يجلسه الا الصلاة فهو في الصلاة وفي لفظ
لفظ قائم في رواية الصحيحين مريدا القيام للصلاة اي صلاة العصر وقد قيل ان تلك
الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل
لا زمن لها معين وقيل في زمن معين وعليه ففي تعيينها احد عشر قولا وقيل اربعين قولا
وقد وقع لميمون بن يامين وكان راس اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلني حكما فانهم
يرجعون الي فادخله صلى الله عليه وسلم داخلا وارسل اليهم فجاءوه فقال لهم اختاروا رجلا
يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال اشهد انه
لرسول الله فابوا ان يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى الكلام على نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وانكروه وظلما ... كتمته الشهادة الشهداء
او نور الاله تطفيه الافوا ... ه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا ... حشوها من حبيبه البغضاء

اي عرفوه انه النبي المنتظر وانكروه بظواهرهم لاجل ظلمهم كتمت الشهادة به صلى الله
عليه وسلم العارفون به او نور الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك كيف
يكون ذلك وهو الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا ملؤها
البغضاء لحبيبه صلى الله عليه وسلم اقول وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد
نجران لما نطقوا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم
معه العين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن امه فقالوا لهم
هلا كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد تكذيبا
لهم في ان الله جل وعلا ثالث ثلاثة والصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها

ان قريشا هم الذين قالوا له صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه والله اعلم
وقد جاء عن بن عباس رضى الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود اوفوا
بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي اخذت
في اعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم
عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول كافر به وعندكم فيه من العلم
ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما
جاء به وانتم تعلمون تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم قال بعضهم ولم يسلم
من رؤساء اليهود الا عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ
ابن حجر ولم اقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش اي
ويصح لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروي في سبب اسلام ابن سلام اي اظهار بلغ
اسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم اتاه فقد تقدم عنه رضي الله
تعالى عنه جاء رجل حتى اخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وانا في راس نخلة اعمل فيها وعمتي تحتي جالسة
فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران
ما زدت فقلت لها اي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت
يا ابن اخي اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم
اي وقد جاء عن بن عمر رضى الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك
له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار من خالف امري وجاء انه صلى الله عليه وسلم
قال بعثت انا والساعة كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى اي جمع بينهما وفي رواية
بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه واشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال
الطبري الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع
اي وقد تقدم عن بن عباس الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها
وتقدم في حديث اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسماية سنة قال
بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤول
عنها باعلم من السائل الدالة الرواية الاولى على علمه بها اجيب بان القران نطق بان علمها عند الله لا يعلمها

الا

الا هو ومعنى قوله بعثت انا والساعة كهاتين انه ليس بيني وبينها نبي اخر يأتي بشريعة
ولا تتراخى الى ان تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم اول اشراطها لانه نبي اخر
الزمان وهذا لا يقتضي ان يكون عالما بخصوص وقتها قال بن سلام وكنت عرفت صفته
واسمه في التوراة زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت
يا محمد اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله
اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن
جبريل انفا فقال ابن سلام ذاك جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله
ابن صوريا ولا مانع من ان يكون قال ذلك كل منهما اي وعن ابن صوريا انه قال له صلى الله
عليه وسلم من ينزل عليك بالوحي قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو كان
ميكائيل لامنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم
وسبب العداوة انهم زعموا انه امر ان يجعل النبوة فيهم اي يجعل النبي المنتظر في بني
اسرائيل الذين هم اولاد اسحاق فجعلها في غيرهم اي في ولد اسماعيل وقيل سبب عداوتهم
لجبريل انه انزل على نبيهم ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثوا من يقتله فلما عظم
بني اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره باهلاككم فانه
لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه اي فان بني اسرائيل اعتدوا وقتلوا اشعيا فجاءهم بخت نصر
ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل في سبب العداوة
كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من ان يكون كل ذلك سببا للعداوة قال صلى الله عليه وسلم
اما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت
اي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذة ويقال انها هنيء الطعام
وامراه وروي ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فياكل منه اهل الجنة ثم يحيى فينطح الثور
بذنبه فياكله اهل الجنة ثم يحيى قال واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد اليه واذا سبق ماء
المراة ماء الرجل نزع الولد اليها اي لكن في فتح الباري عن عائشة رضي الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل
ماء المراة اشبه اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل اشبه اخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان
اذا علا مني الرجل مني المراة جاء الولد ذكرا وان علا مني المراة مني الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه اي
واذا استوى الماءان جاء خنثى وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض

والسموات ومن اول الناس اجازة وما تحفتهم اي الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على
اثره وما شرابهم عليه فاجابهم بانهم يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط
لكن في رواية مسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رايت البيهقي ان قوله على الصراط مجاز
لكونهم بمجاورته ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح ان الارض والسما يتبدلان مرتين المرة الاولى
تتبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتكون السما
كالمهل وتكشط الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا في الحشر فتتبدل
الارض بارض من فضة لم يقع عليها معصية وهي الساهرة اي والسما تكون من ذهب ثم جا عن علي
وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفاها الجبار
كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة فياكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض
قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه ان المؤمنين لا يعذبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الله
بقدرته طبع الارض حتى ياكلوا منها من تحت اقدامهم ما شا الله من غير علاج ولا كلفة قال
ويؤيد ان هذا مراد الحديث ما جا تبدل الارض بيضا مثل الخبزة ياكل منها اهل الاسلام حتى
يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتامل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض من فضة وان هذا
يدل على ان تلك الارض التي تكون خبزة تكون في موقف الحساب وما جا عن علي رضي الله تعالى عنه
يدل على انها تكون بعد مجاوزتهم الصراط واول الناس اجازة فقرا المهاجرين وتحفة اهل الجنة
حين يدخلونها زيادة كبد النون اي الحوت وغذاؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها
وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا وسالوه صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن علامة النبي فقال عليه الصلاة
والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه وسالوه صلى الله عليه وسلم اي طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل ان تنزل التوراة
قال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا
وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام اليه فكان
احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمها ودعا النفسه ومنعها عن
شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر ان سبب قوله تعالى كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابرهيم وانت
تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا اي علمه في التوراة فنحن اولى الناس
بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى الاية تكذيبا لهم اي فان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ثم جا فيها
فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المراة منهم اخرجوها من البيت ولم يواكلوها

ولم يباشروها

ولم يباشروها اي وفي كلام الواحدي كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم
يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس هذا كلامه فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي قال له بعض
الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرنا لهن بالثياب هلك ساير اهل البيت وان
استاثرنا بها هلكت الحيض فانزل الله تعالى ويسالونك عن المحيض قل هو اذى الاية فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شي الا النكاح اي الوطي وما في معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة اي فالاية
لا تنص الا على عدم قربانهن ومن ثم جا في رواية انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيا الا خالفنا فيه فجا اسيد بن حضير وعباد
ابن بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا افلا نجامعهن اي نوافقهن فتغير وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي وعند ذلك قال بعض الصحابة فظننا انه قد وجد اي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما
هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما وذكر المفسرون
ان في منع الوطي للحايض اقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم اي النصارى يتمتعون من وطي الحيض
وذكر ابن سلام وغيره ممن اسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة اكل لحم الابل وشرب البانها
فانكر عليهم ذلك المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل به ايضا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم كافة قال وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم ما هذا السواد الذي في القمر فاجابهم عن ذلك
بانهما كانا شمسين اي شمس في الليل وشمس في النهار قال الله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة فالسواد
الذي يرى هو المحو اي اثره قال بعضهم في قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار انثى
فالليل كادم والنهار كحوا وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل اكثر وجا
انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علما اليهود اتشهد اني رسول الله قال لا قال اتقرا التوراة
قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجد في التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك
ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا ان تكون انت فنظرنا فاذا انت لست هو قال ولم ذلك قال معه من امته
سبعون الفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذي نفسي بيده لانا هو وانهم
لاكثر من سبعين الفا وسبعين الفا وقد ساله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد اي والبرق فقال صوت ملك
موكل بالسحاب بيده مخراق من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث امر الله وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى
عنه قال البرق مخاريق من نار بايدي ملايكة يزجرون به السحاب المخراق المنديل الملفوف يضرب به اي فحينئذ
فالمراد بالملك الجنس وفي رواية ان الله ينشي السحاب فينطق احسن نطق ويضحك احسن الضحك فمنطقها الرعد وضحكها
البرق وفي بعض الاثار لله ملايكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا اجنحتهم فهو البرق وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا

عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد وعن بعضهم قال بلغني ان البرق ملك له اربعة
وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا مصع بذنبه اي حركه فذلك البرق اي تحريكه
غالبا يكون عند وجود الرعد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءا اي يظهر ويغيب وفي
رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرق ملك اي ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفي رواية ان ملكا
موكل بالسحاب في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن مجاهد الرعد
ملك والبرق اجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته او صوت سوقه فلينا مل الجمع بين هذه
الروايات وذهب الفلاسفة الي ان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها
فقد زعموا ان عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه
الا انها مع حدتها سريعة الخمود وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير
منها او مثلها لان اليهود انكروا النسخ فقالوا الا ترون الي محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وسالوه مما يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة
المراة اما نطفة الرجل فنطفة غليظة اي بيضا منها العظم والعصب واما نطفة المراة فنطفة رقيقة اي صفرا منها
اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك اي من الانبيا وتقدم في ترجمة سطيح ابراد عيسي عليه الصلاة والسلام
بعد ذلك اي وقالوا اغاظة له صلي الله عليه وسلم ما نري لهذا الرجل همة الا النسا والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله
امر النبوة عن النسا فانزل الله تعالي ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد جا انه كان
لسليمان عليه السلام مائة امراة وتسعمائة سرية وسالوه عن رجل زنا بامراة بعد احصانه اي شريفا
من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الي بني قريظة ليسالوا رسول الله
صلي الله عليه وسلم اي قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فسالوه فاجاب
بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمايهم انشدكم بالله الذي انزل التوراة علي موسي ما تجدون في التوراة
علي من زنا بعد احصانه الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة
فوضع احدهم يده علي تلك الاية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا هي اية الرجم اقول هذا
كان في السنة الرابعة وهو يخالف ما في بعض الروايات ان احبار يهود اي وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو
ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق اجتمعوا في بيت المدارس حين قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة وقد زنا
رجل من يهود بعد احصانه بامراة محصنة من يهود وقالوا ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا به عند الله وقلنا افتانا نبي من انبيائكم وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته
وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر ان اليهود جاؤا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكروا له

ان امراة

ان امراة منهم ورجلا زنيا اي بعد احصان فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان
الرجم قالوا نفضحهما اي بان نسود وجوههما ثم يجلان علي حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمار وفي لفظ
يحملان علي حمار ويقابل اقفيتهما ويطاف بهما ويجلدون اي بحبل من ليف مطلي بقار فقال عبد الله
ابن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده علي اية الرجم فقرا ما قبلها
وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدقت يا محمد
فيها اية الرجم وقد جا ان موسي خطب بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى
جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امراة جلدناه مائة جلدة ومن زنا وله امراة رجمناه حتي يموت
والله اعلم قال ولما جاؤا اليه قالوا يا ابا القاسم ما تري في رجل وامراة زنيا اي بعد احصان فقال لهم
ما تجدون في التوراة قالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يحكم لهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم حتي اتي بيت مدارسهم فقام علي الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الي علماءكم فاخرجوا اليه
عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلا علماؤنا فقال انشدكم بالله الذي
انزل التوراة علي موسي ما تجدون في التوراة علي من زنا بعد احصان قالوا يجمم اي يحمم ويجبه ويجنب
فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها اية الرجم اي وفي رواية لما سالهم واجابوه الا شابا منهم فانه
سكت فالح عليه صلي الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذا نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رايا
انه ان زنا الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا علي ما نقيمه علي الشريف
والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انا احكم بما في التوراة ولعل هذا
الشاب بن صوريا وفي الكشاف انه لما امرهم بالرجم ابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه
السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اي ووصفه له جبريل فقال صلي الله عليه وسلم هل
تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له بن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي
علي وجه الارض بما انزل الله علي موسي في التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة علي موسي وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم
واغرق ال فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوي والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون
فيه الرجم علي من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفي رواية
قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف في كتابك يا محمد قال اذا
شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال بن صوريا والذي انزل التوراة

علي موسي هكذا انزل الله التوراة علي موسي فليتامل الجمع بين هذه الروايات علي تقدير صحتها ثم
ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
النبي الامي وهذا مما يدل علي اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ بن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايتوا بالشهود فجاوا باربعة فشهدوا انهم راوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر بهما عند باب المسجد
صلى الله عليه وسلم قال بن عمر فرايت الرجل يحني علي المراة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا
انزلنا التوراة فيها هدي ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وفي اية
اخري فاولئك هم الفاسقون وفي اخري فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رايت الرجم في الجاهلية
في غير بني ادم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجا قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجا قرد اصغر منه فغمزها
فسلت يدها من تحت راس القرد برفق وذهبت معه ثم جات فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح
فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاوا بذلك القرد
فحفروا لهما حفيرة فرجموهما وفي لفظ رايت في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني القردة ورجمتها
معهم قال في الاستيعاب وهذا عند جماعة من اهل العلم منكر لاضافة الزنا الي غير مكلف واقامة الحدود
في البهايم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات في الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتامل والله
اعلم وقد ذكر غير واحد ان احبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا على انقطاع
نفقتهم فانها كانت علي عوامهم فتنقطع عنهم النفقة اي وكانوا يقولون لمن اسلم لا تنفقوا اموالكم
علي هولا المهاجرين فانا نخشي عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون
ما اتاهم الله من فضله اي من صفة النبي الذي يجدونه في كتابهم فقد كان فيها انه اكحل العين ربعة جعد الشعر
حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا ازرق العين سبط الشعر واخرجوا ذلك الي اتباعهم وقالوا هذا
نعت النبي الذي يخرج في اخر الزمان وعند ذلك انزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
الاية وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم
اي لان ذلك كما قال بن عباس بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شي كان
لاهل الكتاب يعظمون به انبياهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ
رضي الله تعالى عنه لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعدا الله لين سمعنا من رجل منكم
هذا بعد هذا المجلس لاضرب عنقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا ان اليهود لما سمعوا الصحابة تقول له صلى الله عليه وسلم اذا القي عليهم شيا يا رسول الله

راعنا

راعنا اي انتظرنا وتان علينا حتي نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تسابوا بها اليهود
فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
براعنا يعنون به تلك المسبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا اعدا
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه فقالوا الستم تقولونها فنزلت واتي النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم
فقالوا له يا محمد هل علي هولا من ذنب قال لا فقالوا والله نحلف به ما نحن الا
كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار وما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا
بالليل فانزل الله تعالى الم تر الي الذين يزكون انفسهم الاية ان احبار اليهود منهم بن صوريا
اي قبل ان يسلم علي ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا انبعثن الي محمد
لعلنا نفتنه عن دينه فجاوا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم
وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم
فنومن بك فابي ذلك عليهم فنزل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواهم الاية
اليهود من دخل في الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم
عليه فكان هواهم مع يهود في السر اي وهم المنافقون ذكر بعضهم ان المنافقين الذين
كانوا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فالف
فسين بن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير
ابن سعد رضي الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس اي فان الجلاس كان زوج ام عمير وكان عمير
في حجره لا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجا الجلاس ليلة فاستلقي علي فراشه فقال لين كان
ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس واحسنهم عندي
يدا ولقد قلت مقالة لين رفعتها عليك لافضحنك ولين صمت عليها اي سكت عنها
ليهلكن علي ديني ولاحدهما ايسر علي من الاخري فمشي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مقالة
جلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الجلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فقال
عمير بلي والله لقد قلته فتب الي الله ولولا ان ينزل القران فيجعلني معك ما قلته انه استحلف الجلاس
عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوي عليه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل علي نبيك تكذيب الكاذب وتصديق
الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الي

قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته
ولم ينزع عن خير كان يصطنعه الى عمير فكان ذلك مما عرف من حسن توبته وقال صلى الله عليه وسلم للعمير
وقت اذ ذاك ... نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فوقية مفتوحة فلام بن الحارث
قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس
اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد اذن من حدثه
بشي صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن الاية
وجا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك اي صفته نقال للحديث
الذي تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره
عبد الله بن ابي بن سلول وهو راس المنافقين ولاشتهاره في النفاق لم يعد في الصحابة
وكان من اعظم اشراف اهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم المدينة قد نظموا
له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم اي كما تقدم لان الانصار من القحطان ولم يتوج من
العرب الا القحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي فلما جاءهم الله عز
وجل برسوله انحرف عنه قومه الى الاسلام فضغن اي اضمر العداوة لانه راى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على
النفاق اي وكان له اما يكرههن على الزنا ليا خذ اجورهن فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم
على البغا وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ان عبد الله
ابن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيهم ابو بكر وعمر وعلي فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد هولا السفها عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنهم
فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال علي رضي الله تعالى عنه اتق الله يا عبد الله ولا
تنافق فان المنافقين اشر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن لا تقول
هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد
قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العايرة بين الغنمين اي المترددة اليهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة

هذه السنة الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم بعايشة رضي الله تعالى عنها اذ الذي في
المواهب ان ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال وعن عايشة رضي الله تعالى عنها تزوجني
صلى الله عليه وسلم وبنى بي في شوال فاي نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني اي فما توهمه
بعض الناس من التشاوم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة به
ولا التفات اليه وكان ذلك على راس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة اشهر وقيل بعد ثمانية اشهر
من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عايشة رضي الله تعالى عنها جا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
بيتنا واجتمع اليه رجال ونسا من الانصار فجاتني امي واني لفي ارجوحة بين عذقين اي
نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة لاني وعكت اي مرضت لما قدمنا المدينة
اي اصابتها الحمى وعن البرا قال دخلت مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اهله فاذا عايشة
ابنته مضطجعة قد اصابتها الحمى فرايت اباها يقبل خدها ويقول كيف انت يا بنية قالت عايشة
فتمزق شعري فوفرتها ومسحت وجهي بشي من ما ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني
لانهج حتى سكن نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا
وعنده رجال ونسا من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هولا اهلك فبارك الله لك فيهم
وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنسا فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا
فقد بنى بها نهارا ... الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو خطا وانما يقال بنى على اهله
قال الحافظ ابن حجر ولا ينبغي عن الخطا لكثرة استعمال الفصحا له اي كاستعمال عايشة له هنا
وفي الاستيعاب عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر قال يا رسول الله
ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر اثنتي عشرة ونشا فبعث بها الينا
وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا فيه وهو الذي توفي فيه ودفن فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبعد ان سياق ما تقدم وما ياتي يدل على انه انما دخل بها في بيت ابيها
بالسنح ثم رايت بعضهم صرح بذلك فقال دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهو
خلاف ما يعتاده الناس اليوم هذا كلامه وفي رواية عنها رضي الله تعالى عنها اتتني امي وانا في
ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى
وقفت بي على باب الدار وانا انهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيا من ما فمسحت به وجهي
وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طاير فاسلمتني

اليهن واصلحن من شاني فلم يرعني الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ضحي فاسلمتني اليه وانا يوميذ

بنت سبع سنين قال بعضهم دخل صلى الله عليه وسلم بعايشة ولعبتها معها

وعنها رضي الله تعالى عنها انها كانت تلعب بالبنات اي اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان يا تينها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن

اليها اي يطلعهن لها ليلعبن معها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك

او حنين فهبت ريح فكشفت ناحية عن ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال صلى الله عليه وسلم

ما هذا يا عايشة قلت بناتي وراي بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال وما هذا

الذي اري وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قال جناحان

قلت اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتي بدت نواجذه

وفيه هلا امرها بتغيير ذلك واجيب بان هذا مستثني من عدم جواز التصوير لذي الروح

وقولها اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة واقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل

على صحته لبعضهم اورد انه كان لسليمان خيلا لها اجنحة وقد ذكرت ذلك

عند الكلام علي اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه في اوايل هذه السيرة وعنها انها

قالت وما عرت على جزور ولا ذبحت على شاة حتي ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنة

كان يرسلها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في كلام بعضهم وروي انه صلى الله عليه وسلم ما ادام

على عايشة بشي غير ان قدحا من لبن اهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم

وشربت عايشة بما فيه يجوز ان يكون سعد ارسل بالقدح من اللبن وبالجفنة

وان بعض الرواة اقتصر على احدهما ثم لا يخفي انه يجوز ان تكون الرواية الاولي واقعة

بعد هذه الرواية الثانية وانها ذهبت الي الارجوحة بعد ان اصلح النسا من شانها

وتعلق بها امها ما ذكروا انه وقع الاقتصار في الرواية الاولي والله اعلم

تم الجزء الاول من السيرة [illegible]